

اكتسابُ الأُغنيّاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

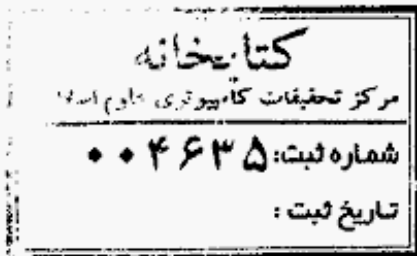
المتوفى سنة ٣٥٦ هـ

إعداد

مكتب تحقيق دار أحياء التراث العربي



الجزء الثالث عشر



طبعة كاملة وحديثة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزينة بفهارس شاملة

دار أحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



دولار احياء التراث العربي

طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادي ١٤١٥/١٤ هجري

1 / أخبار أبي الطمحا القيني

(٧) في «مختار الأغاني الكبير» (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٤٦ أدب): «حبة من حبة».

وقيوده حتى صعد الأكمة، ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن، وتغشاه عبرة فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم ساكن السماء فرج لي مما أصبحت فيه. فبينما هو كذلك إذ عرض له راكب يسير، فأشار إليه أن أقبل، فأقبل الراكب، فلما وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمن. قال: ومن أنت؟ قال [أنا] (١) أبو الطمّحان القيني، فاستعبر باكياً. فقال [له] (٢) أبو الطمّحان: من أنت؟ فأني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك، وأنت بدار ليس فيها ملك. قال: أنا قيسبة بن كلثوم السكوني، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج، [٥/١٣] فوثب عليّ هذا الحيّ فصنعوا بي ما ترى، وكشف عن أغلاله / وقيوده؛ فاستعبر أبو الطمّحان، فقال له قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك! قال: فأنخ، فأناخ. ثم قال له: أمعك سيكين؟ قال نعم. قال: ارفع لي عن رَحْلِكَ، فرفع له عن رَحْلِهِ حتى بدت خشبة مؤخره (٣)، فكتب عليها قيسبة بالمُسند (٤)، وليس يكتب به غير أهل اليمن:

بَلَّغَا كِنْدَةَ (٥) الْمُلُوكَ جَمِيعاً حَيْثُ سَارَتْ بِالْأَكْرَمِينَ الْجِمَالَ
أَنْ رَدُّوا الْعَيْنَ بِالْخَمِيسِ (٦) عَجَالاً وَأَصْدُرُوا عَنْهُ وَالرَّوَايَا (٧) ثِقَالَ
هَزَيْتُ جَارَتِي وَقَالَتْ عَجِيباً إِذْ رَأَيْتَنِي فِي جِيْدِي الْأَغْلَالَ
إِنْ تَرَيْتَنِي عَارِي الْعِظَامِ أَسِيراً قَدْ بَرَّانِي تَضَعُضُوعٌ وَأَخْتِلَالَ
فَلَقَدْ أَقْدُمُ الْكِتَابَةَ بِالْبِ سِفِ عَلَيَّ السِّلَاحُ وَالسَّرِيَالَ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمّحان مائة ناقة. ثم قال له: أقرئ هذا قومي؛ فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء. فخرج تسير به ناقته، حتى أتى / حَضْرَمَوْتَ، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه. ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويكيبن، فذكر أمره، فأتى أخاه الجون بن كلثوم، وهو أخوه لأبيه وأمه، فقال له: يا هذا، إني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل. قال له: فهي لك. فكشف عن الرحل، فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة، ثم أتى قيس بن معديكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس، فقال له: يا هذا، إن أخي في بني عُقَيْل أسير، فسر معي بقومك، فقال له: أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجذك، وإلا فامض راشداً. فقال له الجون: مس السماء أسير من ذلك وأهون عليّ مما خيّرته. وضجّت

(١) زيادة عن نسخة ط.

(٢) يجوز فيه سكون الهمزة مع فتح الخاء وكسرها، وفتح الهمزة مع تشديد الخاء مفتوحة ومكسورة، كما يقال فيه آخرة الرحل وآخره ومؤخرته، وفي «مؤخرته» من اللغات ما في «مؤخره».

(٣) المسند: هو خط حمير وهو مخالف لخطنا. وقد نشرت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول كتاباً في حروف هذا الخط، وحل الآثار اليمنية المكتوبة به من تأليف الأستاذ أغناطيوس جويدي، اسمه «المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة». ويعد أجود المراجع في خط اليمن ولغتها.

(٤) كان قيسبة من قبيلة السكون. والسكون: بطن من كندة. لذلك استنجد بملوكهم.

(٥) الخميس: الجيش الكامل، وهو المؤلف من خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة والساقة.

(٦) الروايا: جمع رواية وهي هنا المزايدة فيها الماء. وتطلق الرواية أيضاً على البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء. والرجل المستقى أيضاً رواية. ومن الأول قول عمرو بن ملقظ:

ذلك سنان محلّاب نصبره كالجميل الأوطف بالراوي
ومن الثاني قول أبي طالب:

وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

السُّكُونُ^(١) ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له: وما عليك من هذا! هو أبن عمك ويطلب لك بئارك! فأنعم له بذلك^(٢).

اجتماع السكون وكندة لإنقاذ قيسبة

وسار قيس وسار الجؤن معه تحت لوائه، وكندة والسُّكُونُ معه؛ فهو أول يوم اجتمعت فيه السُّكُونُ وكندة لقيس، وبه أدرك الشرف. فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة وأستنقذ قيسبة. وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي:

لا تَشْتُمُونَا إِذْ جَلَبْنَا لَكُمْ أَلْفِي كَمَيْتٍ كُلُّهَا سَلْهَبَةٌ^(٣)
نحن أبلنا^(٤) الخيل في أرضكم حتى نأزنا منكم قيسبه
/ وأعرضت من دونهم مذحج فصادفوا من خيلنا مشغبه^(٥)

١٣٢
١١

[٧/١٣]

/ اعتراف أبي الطمّحان بأدنى ذنوبه

حدثنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال:

بلغني أنّ أبا الطمّحان القتيبي قيل له، وكان فاسقاً خارباً، ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدّير. قيل له: وما ليلة الدّير؟ قال: نزلت بدّيرانية فاكلت عندها طفيشلاً^(٦) بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزيت بها، وسرقت كساءها^(٧)، ثم أنصرفت عنها.

التجاءه إلى بني فزارة من جناية جناها وإقامته عندهم حتى هلك

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزني عن عمرو بن أبي عمرو الشّيباني عن أبيه قال:

جنى أبو الطمّحان القتيبي جناية وطلبه السلطان، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له: مالك بن سعد أحد بني شُمخ؛ فأواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه. فأقام مدة، ثم تشوّق يوماً إلى أهله وقد شرب شراباً ثمل منه، فقال لمالك: لولا أن يدي تقصّر عن دية جنائتي لعذت إلى أهلي. فقال له: هذه إبلي فخذ منها دية جنائتك وأردد^(٨) ما شئت. فلما أصبح ندم على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه، فأتى مالكاً فأنشده:

سأمدح مالكاً في كل ركب لقيتهم وأترك كل رذل
فما أنا والبكارة أو مخاض عظام جلة سدس وبزل^(٩)

(١) السكون كصبور: بطن من بطون العرب بكندة.

(٢) أنعم له، أي قال له: نعم.

(٣) الكميت: الذي خالط حمرة سواد. السلهب: الطويل من الخيل والناس؛ يقال فرس سلهب وسلهبة إذا عظم وطال وطالت عظامه. وفرس مسلّهت: ماض.

(٤) أبال الخيل واستبالها: وقفها للبول؛ يقال: لنبلن الخيل في عرصاتكم.

(٥) مشغبة: من الشغب بسكون الغين، وهو هيجاء القتال.

(٦) الطفيشل كسميدع: نوع من المرق.

(٧) كساء هنا: جمع كسوة مثل كسي كما ورد في القاموس.

(٨) في «المختار»: «وأردد» ولعلها أصوب.

(٩) البكارة: جمع بكر. والبكر بالفتح: الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس، والأنثى بكرة. والمخاض: الحوامل من النوق. وجلة الإبل: مسانئها، وهو جمع جليل مثل صبي وصبية. والسدس: جمع سدس كزغيف وزغف، وهي من الإبل ما دخل في السنة =

/ وقد عرفت كلابكم ثيابي / كأني منكم ونسيت أهلي
نمت^(١) بك من نسي شمع زناد / لها ما شئت من فرع وأصل

قال فقال مالك: مرحباً! فإنك حبيب أزداد حباً، إنما أشتقت إلى أهلك وذكرت أنه يحسبك عنهم ما تطالب به من عقل^(٢) أو دية، فبذلت لك ما بذلت، وهو لك على كل حال، فأقم في الرخيب والسعة. فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم.

قال أبو عمرو في هذه الرواية: وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النخوي صهر المبرد، قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

شعره في الاحتذار لامرأته من ركوبه الأهوال

عائبت أبا الطمّحان القيني أمرأته في غاراته ومخاطراته بنفسه، وكان لصاً خارباً خبيثاً، وأكثر ثلومته على ركوب الأهوال ومخاطراته بنفسه في مذاهبه، فقال لها:

لو كنت في ريمان^(٣) تحرّس بابّه / أراجيل أخبوش وأغضف ألف
إذا لآتنسي حيث كنت مننسي / يحسب بها هاد بأمرّي قائف^(٤)
فمن رهبة آتي المتألف سادراً / وإئة أرض ليس فيها متألف^(٥)

[٩/١٣] / شعره في بجير بن أوس الطائي وإطلاقه من الأسر

فأما البيت الذي ذكرت من شعره أن فيه لعريب صنعة وهو:

* أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم *

فإنه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي، وكان أسيراً في يده. فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجز ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدة قصائد. وأول هذه الأبيات:

إذا قيل أيّ الناس خير قليلة^(٦) / وأصبر يوماً لا توارى كواكب

= الثامنة، وذلك إذا ألقى السن التي بعد الرابعة. والبزل: جمع بزل، وهو الناقة والبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه. وفي قافية البيت إقواء.

(١) كذا في الأصول. والمعروف «ورت». ووري الزناد يضرب مثلاً للظفر والنجاح أي هم ينجحون فيدركون ما يطلبون بك.

(٢) العقل هو الدية، وهي ما يدفع فدية للقتيل.

(٣) ريمان بفتح الراء موضعان: أحدهما حصن باليمن وهو المقصود هنا، وقصر باليمن وصفه الأعشى في أبياته التي يقول فيها:

يا من يرى ريمان أم / سى خاويأ خريأ كعابه

والبيت في «معجم البكري» منسوب لأوس بن حجر. وأراجيل: جمع أرجال، وأرجال: جمع راجل كصاحب وأصحاب، وهو خلاف الفارس. والأخبوش: جماعة الحبش، أو الجماعة أيا كانوا؛ لأنهم إذا تجمعوا اسودوا. وجمعه أحابيش. والأغضف: المسترخي الأذن من الكلاب والألف: المستأنس بمن يحرسهم، من الإلف بكسر الهمزة.

(٤) يخب بها: يسير بها خبيأ، وهو ضرب من العدو السريع. والهادي بالأمر: العارف به، المهتدي. والقاف: متبع الآثار العارف بها.

(٥) السادر: الذي لا يهتم بشيء، ولا يبالي ما صنع. والمتألف: المهالك.

(٦) «قبيلة» منصوبة على التمييز، وكذلك «يوماً»، ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب. وقوله لا توارى كواكب، أي لا تتوارى، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً. ويروى: لا توارى كواكب (بضم التاء بالبناء للمفعول)، أي لا تستر. والأصل في هذا وما يجري مجرى الأمثال «يوم حليلة». وذلك أن غطيت عين الشمس في ذلك اليوم بالغياب الثائر في الجو فريت الكواكب ظهراً، على ما ذكروا فقيل: «ما يوم حليلة بسر» وصار الأمر إلى ما قيل في التوعد «لأرينك الكواكب ظهراً». (عن التبريزي في شرحه على حماسة أبي تمام ج ٤ ص ٧٣ طبع بولاق).

فلان بنّي لأم بن عمرو أرومة
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
// لهم مجلس لا يَخْصَرُون^(٣) عن الندى
علت فوق صعب لا تُنال مراقيه^(١)
دجى الليل حتى نظم الجزع^(٢) ناقبه
إذا مَطْلَبُ المعروف أُجْدَبَ راكمه

١١٢
١١

/ وأما خبر أسره والوقعة التي أسر فيها فلان علي بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن [١٠/١٣] ابن الأعرابي قال:

حرب جديلة والغوث الطائيين

كان أبو الطمّحان القتيبي مجاوراً في جديلة من طيء، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها «حرب الفساد»^(٤) وتحزبت حزبين: حزب جديلة وحزب الغوث، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث ويوم لجديلة. فأما اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصفة». وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها «يوم قارات حوق»^(٥) و «يوم البيضة»^(٦) و «يوم عزنان»^(٧) وهو آخرها وأشدّها وكان للغوث، فانهزمت جديلة هزيمة قبيحة، وهربت فلحقت بكلب وحالفهم وأقامت فيهم عشرين سنة.

شعر أبي الطمّحان لما أسر في هذه الحرب

وأسير أبو الطمّحان في هذه الحرب: أسره رجلان من طيء وأشتركا فيه، فاشتراه منهما بُجَيْر بن أوس بن حارثة لما بلغه قوله:

/ أَرِقْتُ وَأَبْتَنِي الهموم الطَّوارقُ ولم يلقَ ما لاقيتُ قبلي عاشقُ [١١/١٣]

(١) الأرومة: الأصل. والمراقب: جمع مرقبة، وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن. وروى في «الكامل للمبرّد» هذا البيت ضمن أبيات في هذه القصيدة لم يذكرها المؤلف، وها هي ذي:

وإني من القوم الذين هم هم
نجوم سماء كلما غار كوكب
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
وما زال منهم حيث كانوا مسود
إذا مات منهم سيد قام صاحبه
بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
تسير المنايا حيث سارت كتائبه

(«الكامل» ص ٣٠ طبع ليسك).

(٢) الجزع اليماني: الخرز اليماني والصيني، وهو الذي فيه سواد وبياض. وهو يختلط على ناظم العقد في الظلام.

(٣) لا يحصرون عن الندى: لا ييخلون. وفعله من باب فرح.

(٤) حرب الفساد من أيام العرب كانت كما قال المؤلف بين الغوث وجديلة من طيء، سميت بذلك لما حدث فيها من الفظائع والأهوال؛ فقد قيل إن هؤلاء خصفوا نعالهم بأذان هؤلاء، وهؤلاء شربوا الشراب بأقمحاف رؤوس هؤلاء. وفيه يقول جابر بن الحريش الطائي:

إذا لا تخاف حدوجنا قذف النوى
وقال له أيضاً: زمن الفساد، وعام الفساد.

(٥) حوق بالضم: موضع. وهذا اليوم هو المعروف أيضاً بيوم اليحاميم. وسببه أن الحارث بن جبلة النسائي كان قد أصلح بين طيء، فلما هلك عادت إلى حربها، فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له عرنان فقتل قائد بني جديلة وهو أسيع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة بن لأم، وأخذ رجل من سبب يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه. وفي ذلك يقول أبو سروة السبسي:

نخصف بالأذان منكم نعالنا
ونشرب كرهأ منكم في الجماجم
وتناقل الحيان في ذلك أشعاراً كثيرة. (ابن الأثير ج ٤ ص ٤٧٦ طبع أوروبا). وقارات جمع قارة وهي أصاغر الجبال والأكام.
(٦) البيضة: عين ماء لبني دارم، كما ذكر أبو محمد الأعرابي الأسود.
(٧) عرنان: جبل بين تيماء وجبلي طيء.

إليكم بني لأم تَخْبُ هِجَانُهَا بكلُّ طريق صادَقَتْهُ شَبَارِقُ^(١)
 لكم نائلُ غَمَرٍ وأحلامُ سادة وألسنةُ يومِ الخطابِ مَسَالِقُ^(٢)
 ولم يَدْعُ دَاعٍ مثلكم لعظيمة إذا وَزَمْتَ بالساعدين السَّوَارِقُ^(٣)
 السَّوَارِقُ: الجوامع^(٤)، واحدها سبارقة.

قال فابتاعه بُجَيْر من الطائيتين بحكمهما، فجزَّ ناصيته واعتقه.

جواره في بني جديلة وقتل تيس له غلاماً منهم وشعره في ذلك

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيوب المديني قال: حدّثني مُضْعَب بن عبد الله الزُّبيري قال:

كان أبو الطَّمْحان القَيْنِي مجاوراً لبطن من طَيِّء يقال لهم بنو جَدِيلَة، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله، فتعلّقوا
 أبا الطَّمْحان وأسروه حتى أدَّى^(٥) دِيَّتَهُ مائةً من الإبل. وجاءهم نَزِيلُهُ، وكان يدعى هِشاماً، ليدفع عنه فلم يقبلوا
 قوله؛ فقال له أبو الطَّمْحان:

أتاني هِشامٌ يَدْفَعُ الضَّيْمَ جَاهِداً يقولُ أَلَا ماذَا تَرَى وتَقُولُ
 فقلتُ له قُمْ يالِكَ الخَيْرُ أَذْها مُدَلِّلَةً إِنَّ العَزِيزَ ذَلِيلُ
 فإن يَكُ دُونَ القَيْنِ أَغْبَرُ شامِخُ فليس إلى القَيْنِ الغداةُ سَبِيلُ^(٦)

[١٢/١٣] / انتعاش المأمون بينين لأبي الطَّمْحان في ساعة اكتتابه

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق قال:

دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكراً غير نشيط، فأخذتُ أَدَحْثُهُ بِمُلَحِّ الأحاديثِ وطُرْفِها، أَسْتَمِيلُهُ
 لأن يضحك أو يَنْشَطُ، فلم يفعل. وخطر ببالي بيتان فأَنشَدْتُهُ إِيَّاهُما، وهما:

أَلَا عَلَّانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ^(٧) وقَبْلَ نُشُوزِ^(٨) النفس بين الجَوانِحِ
 وقَبْلَ غَدٍ، يا لَهْفَ نفسي على غَدٍ إذا راح أصحابي ولستُ بِرائِحِ^(٩)

(١) تَخْب: تسير الخبب، وهو الهدو السريع. والهجان: كرام الإبل. والشبارق: جمع شبرق بكسر الشين والراء، وهو شجر منبته نجد وتهامة، وشعرته شاكّة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم منبتها السباخ والقيعان، وإذا ييس فهو الضريع.

(٢) مسالِق: ذرية حادة؛ ومنه قوله تعالى: «سَلَفُوكُمْ بِالسَّنةِ حَدَادٌ».

(٣) في ب، س، ط: «إذا رزمت» وهو تحريف. ووزمت: عضت. ورواية «اللسان» و«أساس البلاغة» (مادة أزم): «إذا أزمّت». والأزم: العض كالوزم.

(٤) الجوامع: القيود التي تشد بها سواعد الأسرى والمحبوسين.

(٥) لعلها: يؤدي.

(٦) القَيْن: قبيلة أبي الطَّمْحان منسوبة إلى جدّه القَيْن بن جسر. يقول: إنه منقطع عن قبيلته وأهل نصرته بما يقوم بينه وبينهم من مفازة وجبل، فلا مناص من أداء دية الغلام المقتول. وإذا كان في أدائها معنى من معاني الذل، لأن جرح العجماء جبار (بضم الجيم) وهو يذهب هدراً، فإن العزيز يذل إذا وقع في مثل ما وقع فيه أبو الطَّمْحان.

(٧) وفي «الحماسة»: «ويروى قبل صدح الصّوادح». والصدح: شدة صوت الديك والغراب وغيرهما.

(٨) النشوز: ارتفاع الشيء عن موضعه، ونشوز النفس بين الجوانح: خروجها منها عند الموت. وفي «الحماسة»: «وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح». والجوانح: ضلوع الصدر. وارتقاء النفس فوقها: بلوغها التراقي.

(٩) راح أصحابي: رجعوا في العشية إلى منازلهم وبقيت في قبري منفرداً.

فتنبّه كالمفتزّع ثم قال: من يقول هذا ويحك؟ قلت: أبو الطمّحان القَيْنِيّ يا أمير المؤمنين. قال: صدقَ والله، أعِدّهما عليّ. فأعدتهما عليه حتى حفظهما. ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشراب فشرب. وأمر لي بعشرين ألفَ درهم.

استشهاد خالد بن يزيد ببيتين له في رية اعتذر عنها الحسن لعبد الملك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخزاز قال: [حدّثني] المدائني قال:

عاتب عبد الملك بن مَرْوان الحسن بن / الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إِيّاهُ ^{١١} إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، ألا تقبل عذر ابن عمك وتُزيلَ عن قلبك ما قد أُشْرِبْتَهُ إِيّاهُ؟ أمّا سمعتَ قول أبي الطمّحان القَيْنِيّ:

[١٣/١٣] / إذا كان في صدر ابن عمك إحنةٌ / فلا تَسْتِثِرْها سوف يَدُو دَفِينُها
وإنَّ ^(١) حَمَاةَ المعروفِ أعطاك صَفْوَها / فخذ عَفْوَه لا يَلْتَبِسْ بك طِيئُها

استذانه الزبير بن عبد المطلب في الرجوع إلى أهله وشعره في ذلك

قال المدائني: ونزل أبو الطمّحان على الزُّبَيْر بن عبد المطلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لَدَيْه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً ^(٢) إليهم، فلم يأذن له. وسأله المُقَام، فأقام عنده مدّة، ثم أتاه فقال له:

[١٤/١٣] / إذا حَتَّتِ المِرْقَالُ وأتتَبَ ^(٣) رُثْها / تَذَكَّرْ أوطاناً ^(٤) وأذكُرْ مَعَشَرِي
ولو عَرَفْتَ صَرْفَ البُيُوعِ لَسَرَّها / بمكة أن تَبْتَاعَ حَمْضاً بإذْخِرٍ ^(٥)
أَمَرَكِ لَو أَنَا بَجَبْنِي عُنِيزَةٌ ^(٦) / وحَمْضٍ ^(٧) وضمُران ^(٨) الجنابِ وصَعْتِرِ
/ إذا شاء راعِيها أَسْتَقَى من وَقِيعَةٍ ^(٩) / كَعِيسِ الغُرَابِ صَفْوُها لم يَكْدَرِ
فلَمَّا أنشدَه إِيّاهَا أَدِنَ له فانصرف، وكان نديماً له.

(١) الحمأة: الطين الأسود الممتن. والمقصود هنا عين الماء وفيها صفو وكدر. وهو يوصيه بأخذ الصفو وترك الطين.

(٢) في «المختار»: «شوقه».

(٣) المرقال: الناقة تسرع في سيرها، من الإرقال، وهو ضرب من العدو فوق الخبيب. وأتتَبَ: نهياً للذهاب وتجهز، كآب الثلاثي من بابي نصر وضرب.

(٤) رواية الشعر والشعراء ص ٢٢٩: «أراماً». وأرام: موضع، وله يوم يعرف بيوم أرام.

(٥) يقول: إن ناقتَه لو عرفت صرف البيوع، لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض لشوقها إلى البادية. والحمض من النبات كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له كالنجيل والرمث والطرفاء وما أشبهها. ومن الأعراب من يسمي كل نبات فيه ملوحة حمضاً ضد الخلّة من النبات وهو ما كان حلوّاً. والعرب تقول: الخلّة خبز الإبل، والحمض فاكهتها. وإذا شبت الإبل من الخلّة اشتتت الحمض. والإذخر: حشيش طيب الرائحة.

(٦) عنيزة: قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم.

(٧) حمض بفتح أوله هنا: موضع بالبحرين. وإذخر هنا: مكان بمكة.

(٨) الضمران: موضع، وصعتر بفتح أوله وإسكان ثانيه: موضع. قاله أبو حنيفة عند ذكر الصعتر في أصناف النبات («معجم ما استعجم» ص ٦٠٨). والبيت في رواية أبي حنيفة كما في «تاج العروس» (مادة: صعتر):

بوَدَّكَ لو أَنَا بفرش عنيزة / بحمض وضمُران الجناب وصعتر

(٩) الوقية: مكان صلب يمسك الماء.

صوت

لا يَغْتَرِي شَرِبْنَا اللَّحَاءَ وَقَدْ نُوهِبُ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحَلَلُ^(١)
 وَفَتِيَّةٌ كَالسَّيُوفِ نَادَمَتْهُمْ لَا حَصَرَ^(٢) فِيهِمْ وَلَا بَخْلُ
 الشعر للأسود بن يَغْفَر، والغناء لسليم، خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنْصَر. / [١٥/١٣]



مركز تحية تكملة لدراسات

(١) الشرب (بالفتح): القوم يجتمعون على الشراب. واللحاء: النزاع. والقيان: جمع قينة، وهي الأمة المغنية. يقول: إنهم قوم لا يعترهم النزاع، وقد يجود الواحد منهم بالقينة والحلة.

(٢) الحصر هنا: البخل.

أخبار الأسود ونسبه

نسبه ومنزله في الشعر

الأسودُ بن يَعْفَرُ - ويقال يَعْفَرُ بضم الياء^(١) - أبْن عبد الأسود بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دارِم بن مالك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم . وأُمُّ الأسود بن يَعْفَرُ رُهم بنت العَبَّاب، من بني سَهْم بن عَجَل . شاعر متقدم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالمُكثِر . وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثامنة^(٢) مع خُداش بن زُهَيْر، والمُخَبِّل السعدي، والنَّمِر بن تَوَلِّب العُكَلِي . وهو من العَنَسِي - ويقال العُنْشُو بالواو - المعدودين في الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة:

نَامَ الخَلِي وَمَا أَحْسَنُ رُقَادِي وَالْهَمُّ مُخْتَصِرٌ لَدَيَّ وَسَادِي
معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكْمِهَا، مُفَضَّلَةٌ ماثورةٌ.

توقف سَوَار القاضي في شهادة دارمي بجهل الأسود بن يعفر

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قالوا: حَدَّثَنَا الرِّياشِي عن الأصمعي قال:

/ تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارِم إلى سَوَار بن عبد الله لِيُقيمَ عنده شهادةً، فصادفه يتمثل قولَ الأسود بن [١٦/١٣] يَعْفَرُ^(٣):

ولقد علمتُ لَو أَنَّ عِلْمِي نَافِعِي^(٤) أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ^(٥)
إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْخُشُوفَ كِلَاهِمَا يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْمِيَانِ سَوَادِي^(٦)

(١) إذا فتحت الياء منع من الصرف لشبهه بالفعل . وإذا ضمت الياء مع الفاء صرف؛ لأنه زال عنه شبه الفعل . ويقال فيه أيضاً: يعفر (بفتح الياء وكسر الفاء) كما يقال: يونس ويوسف (بضم النون والسين وكسرهما).

(٢) كذا في جميع الأصول . وفي «خزانة الأدب» (ج ١ ص ١٩٥ طبع بلاق): «قال السيوطي: وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثانية مع خُداش بن زُهَيْر، والمُخَبِّل السعدي، والنمر بن تَوَلِّب».

والذي في «طبقات الشعراء» لابن سلام تحت عنوان: الطبقة الخامسة: «وهم أربعة رهط: خُداش بن زُهَيْر بن ربيعة ذي الشامة بن عمرو - وهو فارس الضحيا - بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارِم، وأبو يزيد المُخَبِّل بن ربيعة بن عوف بن قتال ابن أنف الناقة بن قريع، وتميم ابن أبي مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

(٣) من قصيدة له هي إحدى مختارات المفضل الضبي، وهي عنده في ستة وثلاثين بيتاً.

(٤) في س: «نافع». ورواية الضبي لهذا الشطر: «ولقد علمت سوى الذي نبأتني».

(٥) ذو الأعواد، من أجداد أكتن بن صيفي حكيم تميم . وقيل له ذو الأعواد لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسن، فكان سريره ملاذ الخائف وملجأ المحتاج . واسم ذي الأعواد مخاشن بن معاوية . يقول الأسود: إن سبيل كل حي سبيل ذي الأعواد بعد أن عمر طويلاً، فكان مصيره إلى الموت.

(٦) في جـ والمفضليات وشعر الأعشى: «يرقبان» بدل «يرميان». ويوفى: يعلو . ورجع الضمير هنا مفرداً وفي «يرميان» مثى، وهو جائز . والمخارم: أفواه الفجاج والطرق في الجبال، واحدها مخرم . وسواد الرجل: شخصه .

مَآذَا أُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ / تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادٍ^(١) /
 / أَهْلِ الْخَوَزَنَقِ وَالسَّيْدِيرِ وَبَارِقِ / وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ^(٢) /
 نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ يَفِيضُ عَلَيْهِمْ / مَاءُ الْفُرَاتِ يَفِيضُ مِنْ أَطْوَادٍ^(٣) /
 جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ / فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ

١٣٥
 ١١
 [١٧/١٣]

ثم أقبل على الدارمي فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرف من يقوله؟ قال: لا. قال: رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويه ولا تعرفه! يا مزاحم، أثبت شهادته عندك، فإني متوقف عن قبوله حتى أسأل عنه، فإني أظنه ضعيفاً.

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني عن الرياشي عن أبي عبيدة بمثله.

وهذا الرشيد بعشرة آلاف لمن يروي قصيدة «نام الخلي»...

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحكم بن موسى السلولي قال حدثني أبي قال: بينا نحن بالرافقة^(٤) على باب الرشيد وقوف، وما أفقد أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة [١٨/١٣] والعراق، إذ خرج وصيف كأنه دُرّة فقال: يا معشر الصحابة، / إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يَغْفَر:

نَاسُ الْخَلِيِّ وَمَا أَحْسَنُ رُقَادِي / وَالْهَمُّ مُخْتَصِرٌ^(٥) لَدَيَّ وَسَادِي

فليدخل فليشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهم. فنظر بعضنا إلى بعض، ولم يكن فينا أحد يزويها. قال: فكأنما سقطت والله البُدرة عن قُربوسي^(٦). قال الحكم: فأمرني أبي فرويث شعر الأسود بن يَغْفَر من أجل هذا الحديث.

(١) آل محرق هنا: هم ملوك الحيرة من لخم. ومحرق الذي أضيفوا إليه هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي أحد ملوكهم، ويقال له: المحرق الأكبر. ولقب به أيضاً من اللخمين عمرو بن هند من ملوكهم، ويقال له: المحرق الثاني. ومحرق أيضاً: لقب الحارث بن عمرو أبي شمر ملك الشام من آل جفنة؛ لأنه أول من حرق العرب في ديارهم. ويقال لآل جفنة أيضاً: آل محرق. (ملخص عن «اللسان» و «القاموس» و «شرح» مادة حرق، و «المعارف» لابن قتيبة ص ٣١٧). وإياد: حي من معد بن عدنان، وهم بنو إياد بن نزار، منهم قس بن ساعدة الذي يضرب به المثل في الجود والفصاحة. وكانت ديارهم مع العدنانية، وحين تكاثر بنو إسماعيل وتفردت مضر بالرياسة خرج بنو إياد إلى العراق، وكان لهم مع الأكاسرة أيام مشهودة إلى أن أغار عليهم سابور ذو الأكتاف من ملوك الأكاسرة فأبادهم وأفناهم. راجع كتاب «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي ص ٨٢ طبع مطبعة الرياض ببغداد).

(٢) الخورنق كسفرجل: قصر من قصور الحيرة، والخورنق هو بالفارسية خورنكاه وهو بيت الضيافة، بناء شخص رومي اسمه سنمار للنعمان بن امرئ القيس اللخمي، وكمله في عشرين سنة، فلما وقف عليه النعمان استجاده وأثنى على سنمار فقال له سنمار: لو شئت أن أجعله يدور مع الشمس لفعلت، فأمر به أن يطرح من أعلى شرفاته، فضرب به المثل قليل: «جزاء جزاء سنمار». (عن «مسالك الأبصار» ج ١ ص ٢٣٠ طبع دار الكتب). والسدير: قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب. وبارق: ماء بالعراق، أو هو نهر كما في معجم البلدان بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. وسنداد: منزل لإياد، وهو أسفل سواد الكوفة. وقال ابن الكلبي في القصر ذي الشرفات: إن العرب كانت تحج إليه.

(٣) أنقرة: مدينة بالأناضول على طريق القسطنطينية وهي عاصمة الدولة التركية اليوم، لها ذكر في رحلة امرئ القيس إلى الروم، وافتتحها المعتصم في طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣، وكانت إياد قد نزلتها لما نفاها كسرى عن بلاده.

(٤) الرافقة: بلد متصل البناء بالزقة على ضفة الفرات، ثم خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة، وصار اسم المدينة الرقة، وهي من أعمال الجزيرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات (عن «معجم البلدان»).

(٥) المحتضر: الحاضر.

(٦) القربوس: حنو السرج وهو الجزء المعوج في السرج.

التمثل بشعره لما انتهى علي إلى مدائن كسرى

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائني قال: حدثنا [أبو] (١) أمية بن عمرو بن هشام الحراني قال: حدثنا محمد بن يزيد بن سنان قال: حدثني جدي سنان بن يزيد قال:

كنت مع مولاي جرير بن سَهْم التميمي وهو يسير أمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول:
يا فَرَسِي سِيرِي وَأُمِّي الشَّامَا وَخَلْفِي الْأَخْوَالَ وَالْأَعْمَامَا
وَقَطْعِي الْأَجْوَازَ وَالْأَعْلَامَا (٢) وَقَاتِلِي مَنْ خَالَفَ الْإِمَامَا
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَقِينَا الْعَامَا جَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ الطُّغَامَا
أَنْ نَقْتُلَ الْعَاصِي وَالْهُمَامَا وَأَنْ نُزِيلَ مِنْ رِجَالِ هَامَا

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علي عليه السلام ووقفنا، فتمثل مولاي قول الأسود بن يَغْفَر:

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَكَانٍ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

/ فَيَقَالُ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَمْ لَمْ يَقُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾. ثم قال: يا بن أخي، إن هؤلاء كفروا بالنعمة،

فحلَّتْ بِهِمُ النَّعْمَةُ، فَإِيَّاكُمْ وَكُفِّرَ النَّعْمَةُ فَتُحِلَّ بِكُمْ النَّعْمَةُ.

التمثل بشعره لما مرَّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جفنة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

مرَّ عمرُ بن عبد العزيز ومعه مُزَاحِمٌ مولاه يوماً بِقَصْرِ مَنْ قُصُورِ آلِ جَفْنَةَ، وَقَدْ خَرِبَ، فَتَمَثَّلَ مُزَاحِمٌ بِقَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَغْفَر:

١١

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَلَقَدْ غَشُّوا (٣) فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
فَإِذَا النِّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَقَادِ

فقال له عمر: هَلَّا قَرَأْتَ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾. مَا قَالَهُ فِي اسْتِنْفَادِ لَيْلٍ لَهُ أَخَذَتْهَا بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ

نسخْتُ مِنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ:

كَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَغْفَرٍ مُجَاوِرًا فِي بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ثُمَّ فِي بَنِي مُرَّةَ بْنِ عُبَادٍ بِالْقَاعَةِ (٤)، فَقَامَرَهُمْ فَقَمَرُوهُ، حَتَّى حَصَلَ عَلَيْهِ تِسْعَةُ عَشَرَ بَكْرًا، فَقَالَتْ لَهُمْ أُمُّهُ وَهِيَ رُفْهٌ بِنْتُ الْعَبَّابِ: يَا قَوْمَ، أَسْتَلْبُونَ أَبْنَ أَخِيكُمْ (٥) مَا لَهُ؟ قَالُوا:

(١) الزيادة عن نسخة ط.

(٢) الأجواز جمع جوز بقصد الجهات. والأعلام: الجبال.

(٣) غشوا: أقاموا. ويستعمل إذا كانت الإقامة في غنى ونعيم. ومنه المغنى وجمعه مغان.

(٤) القاعة من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم قبل يبرين، وقيل منازل بني مرة بن عباد بن قيس بن ثعلبة، وتسمى الأجواف أيضاً. (عن

«معجم ما استعجم».)

(٥) في نسخة ط: «ابن أختكم».

[٢٠/١٣] فماذا نصنع؟ قالت: أحبسوا قِدَاحَهُ^(١). / فلما راح القوم قالوا له: أَمْسِكْ^(٢). فدخل لِيُقَامِرَهُمْ فَرَدَّوْا قِدَاحَهُ. فقال: لا أقم بين قوم لا أضرب فيهم بِقِدْحٍ؛ فاحتَمَلْ قبل دخول الأشهر الحُرْمَ، فأخذت إبله طائفةً من بَكْر بن وائل؛ فاستسعى الأسودُ بني مُرة بن^(٣) عباد وذكرهم الجوار وقال لهم:

يَا لَ عُبَادِ دَعْوَةٌ بَعْدَ هَجْمَةٍ فهل فيكم من قوّة وزَمَاعٍ^(٤)
فَتَنَعَوْا لَجَارٍ حَلًّا وَنَطَّ يُوْتَكُم غريب وجارات تُركن جِيَاعٍ

وهي قصيدة طويلة، فلم يصنعوا شيئاً. فادّعى جوار بني مُحَلَّم بن ذهل بن شيبان، فقال:

قل لبني مُحَلَّم يَسِيرُوا بِدَمَةٍ يَسْعَى بها خَفِيرٌ^(٥)
* لا قَدْحٌ^(٦) بعد اليوم حتى تُورُوا *

ويُروى «إن لم تُورُوا». فسعوا معه حتى استنقذوا إبله، فمدحهم بقصيدته التي أولها:

أَجَارَتْنَا غُضْبِي مِنَ السَّيْرِ أَوْ قَفِي وإن كنت قد أزمعت بالبين فاضرفني^(٧)
أَسَائِلُكَ أَوْ أَخْبِرْكَ عَنْ ذِي لُبَانَةٍ سَقِيمِ الْفُؤَادِ بِالْحِجَانِ مُكَلَّفٍ^(٨)

[٢١/١٣] / يقول فيها:

تَدَارَكَنِي أَسْبَابُ آلِ مُحَلَّمٍ وقد كدت أهوي بين نِيقَيْنِ نَفْنَفٍ^(٩)
هُمُ الْقَوْمُ يُعْسِي جَارُهُمْ فِي غَضَارَةٍ سَوِيًّا سَلِيمَ اللَّحْمِ لَمْ يُتَحَوَّفِ^(١٠)

فلما بلغتهم أبياتهُ ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم.

طلب طلحة من الأسود بن يعفر أن يسمي له في إبله

قال المفضل: كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة، جاراً لبني ربيعة بن عجل بن لجيم^(١١)، فأكلوا^(١٢) إبله، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله. فقال له الأسود: لست جامعهما لك، ولكن اختر أيهما شئت. قال: اختر أن تسعى لي بإبلي. فقال الأسود لأخواله من بني عجل:

يَا جَارَ طَلْحَةَ هَلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ فتكون أذنّى للوفاء وأكرمًا

(١) القداح جمع قده: سهام المير التي كانوا يتقارون بها. وفي س، ش: «أقداحه».

(٢) كذا في ط. وفي سائر الأصول: «أمسك قدحك».

(٣) في س، ب، ط: «فاستسعى الأسود بن مرة بن عباد» وهو تحريف. والتصويب عن نسخة جـ.

(٤) الزماع (كسحاب وكتاب): المضاء في الأمر والعزم عليه.

(٥) الخفير هنا: المانع المجير.

(٦) القدح: طلب الإبراء، يقال: قدح بالزند يقده قدحاً. واقتدح: رام الإبراء به. وتورون: تستخرجون نار الزند، يقال: وري الزند خرجت ناره، وأوراه غيره إذا استخرج ناره. ووري الزناد وإيراؤها يراد به الإنجاح وإدراك المطالب.

(٧) الصرف هنا: رد الشيء عن وجهه. يريد: اعتدلي عما أزمعته من البين.

(٨) مكلف: مولع.

(٩) النيق: حرف من حروف الجبل، وأرفع موضع فيه. والنفث: مهواة ما بين جبلين. وكل شيء بينه مهوى، فهو نفث.

(١٠) النضارة: النعمة والسعة في العيش. ويتحوف: يتنقص. وفي كل الأصول بالراء بدل الواو وهو تحريف.

(١١) في ب، س، جـ: «جشم» والتصويب من ط وكتب «الأنساب».

(١٢) يريد أخذوها.

تالله لو جاوزتموه بأرضيه حتى يفارقكم إذا ما أحرماً^(١)
وهي قصيدة طويلة.

رد الإبل مكرمة للأسود

فبعث أخواله من بني عجل بابل طلحة إلى الأسود بن يَغْفَر فقالوا: أما إذ كنت شفيعه فخذها، وتوَلَّ رَدَّهَا —
لشَحْرَزَ المَكْرَمَةَ عنده دون غيرك.

النعمان بحث خالد بن مالك على المطالبة بثأر عمه الذي قتله وائل وسليط المجلبان

وقال أبْنُ الأعرابي: قَتَلَ رجلان من بني سَعْدِ بْنِ عِجْلٍ يُقَالُ لهما وائِلٌ وسَلِيطٌ ابْنَا عبدِ الله، عَمَّا لخالد بن مالك بن رِيعِي التَّهْشَلِي يُقَالُ له عامرُ بن رِيعِي، وكان خالدُ بن مالكٍ عند النُّعْمان حيثُ ومعه: الأَسودُ بنُ يَغْفَر. فالتفت النُّعْمان يوماً إلى / خالد بن مالك فقال له: أيُّ فارسَيْنِ / في العربِ تَعْرِفُهما أَنْقَلُ على الأقرانِ وأخفُ^[٢٢/١٣] على مُتَوْنِ الخَيْلِ؟ فقال له: أَيْتَ اللَّعْنُ! أَنْتَ أَعْلَم. فقال: خالاً أبْنِ عَمِّكَ الأَسودُ بنُ يَغْفَرٍ وَقَاتِلًا عَمِّكَ عامرُ بن رِيعِي (يعني العِجْلِيَّينِ وائِلًا وسَلِيطًا). فتَغَيَّرَ لونُ خالدِ بن مالك. وإِنَّمَا أراد النُّعْمانُ أَنْ يَحْتِثَهُ^(٢) على الطَّلَبِ بثأرِ عَمِّهِ. فوثبَ الأَسودُ فقال: أَيْتَ اللَّعْنُ! عَضَّ يَهَنَ أُمِّهِ مَنْ رَأَى حَقَّ أَخواله فوقَ حَقِّ أَعْمامِهِ. ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال: يابْنَ عَمِّ، الخمرُ عليَّ حرامٌ حتى أَثَارَ لَكَ بَعْمَكَ. قال: وَعَلَيَّ مثلُ ذلك.

الأسود وخالد بجمعان جمعاً وبغيران على كاظمة فقتل وائل وسليط

ونَهَضَا يَطْلُبَانِ القَوْمَ؛ فجمعاً جَمْعاً من بني نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ فَأَغَارَا بِهِمْ على كَاطِمَةَ^(٣)، وأزسلا رجلاً من بني زيدِ بنِ نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ يُقَالُ له عُيَيْدٌ يَتَجَسَّسُ لَهُمُ الخَبْرَ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فقال: جَوْفُ كَاطِمَةَ مَلَانٌ مِنْ حُجَّاجٍ وَتِجَارٍ، وفيهم وائِلٌ وسَلِيطٌ مُتَسَانِدَانِ^(٤) في جيش. فركبَتْ بنو نَهْشَلٍ حَتَّى أَتَوْهُم، فنادَوْا: مَنْ كَانَ حَاجِبًا فَلْيَمْضِ لِحِجِّهِ، وَمَنْ كَانَ تَاجِرًا فَلْيَمْضِ لِتِجَارَتِهِ. فَلَمَّا خَلَصَ لَهُمُ وائِلٌ وسَلِيطٌ فِي جَيْشِهِمَا أَقْتَتَلُوا، فَقَتَلَ وائِلٌ وسَلِيطٌ، قَتَلَهُمَا هِزَانُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ جَنْدَلٍ بنِ نَهْشَلٍ، عَادَى بَيْنَهُمَا^(٥). وادَّعى الأَسودُ بنُ يَغْفَرٍ أَنَّهُ قَتَلَ وائِلًا. ثم عاد إلى النُّعْمان فلما رآه تَبَسَّمَ وقال: وفي نَدْرُكَ يا أسود؟ قال: نَعَمْ أَيْتَ اللَّعْنُ! ثم أقام عنده مَدَّةً يُنَادِمُهُ وَيؤَاكِلُهُ.

ما قاله الأسود في مرضه

ثم مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَبَعَثَ النُّعْمانُ إِلَيْهِ رَسولاً يَسْأَلُهُ عَنِ خَبَرِهِ وَهَوْلٍ مَا بِهِ؛ فقال:

/ نَفْعٌ قَلِيلٌ إِذَا نَادَى الصَّدى^(٦) أَصْلاً
وودَّعوني فقالوا ساعةً أَنْطَلَقُوا
فما أبالي إذا مات ما صَنَعُوا
وَحَانَ مِنْهُ لِبَرْدِ المَاءِ تَغْرِيدُ
أَوْدَى فَأَوْدَى التَّدى والحِزْمُ والجُودُ
كُلُّ أَمْرٍ بِسَبِيلِ المَوْتِ مَرْصُودُ

(١) لعلها «ما أجرما».

(٢) في ط: «يحثه».

(٣) كاظمة: موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان. وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب. وهي الواردة في «بردة البوصيري».

(٤) متساندان: متعاونان يستند كل واحد منهما الآخر ويعضده، وكل منهما تحت راية.

(٥) عادى الفارس بين رجلين، إذا طعنهما طعنتين متواليتين.

(٦) الصدى هنا: الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلى، وجمعه أصداء، وهو من خرافات العرب. وأصلاً (بضمين): جمع أصيل وهو العشي.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يائثره عن أبيه، قال:

ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح من بني الحارث بن تميم الله واستولدها أمهارة

كان أبو جَعْلٍ أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جَمْعاً من شَذَاذِ أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وغيرهم، فغزوا بني الحارث بن تميم الله بن ثعلبة، فَنَذَرُوا^(١) بهم وقتلوه قتلًا شديدًا حتى قَضُوا جمعهم، فليحق رجلٌ من بني الحارث بن تميم الله بن ثعلبة جماعةً من بني نهشل فيهم جَرَّاحُ بن الأسود بن يَغْفَر، والحُرُّ بن شَمِر بن هَزَّان بن زُهَيْر بن جَنْدَل، ورافع بن صُهَيْب بن حارثة بن جَنْدَل، وعمرو والحارث أبنا حُرَيْر^(٢) بن سَلَمَى بن جندل، فقال لهم الحارثي^(٣): هَلُمَّ إِلَيَّ طُلُقَاءً^(٤)؛ فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم، وأنا خيرٌ لكم من العَطَشِ. قالوا نَعَمْ. فنزل لِيُجِزَ نواصيهم. فنظر الجراح بن الأسود إلى فَرَسٍ من خيلهم فإذا هي أجودُ فرس في الأرض، فوثبَ فركبها وركضها ونجا عليها. فقال الحارثي للذين بقوا معه: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم نحن لكُ عَلَيْهِ خُفَرَاءُ. فلَمَّا أتى جَرَّاحُ أباه أمره فهرب بها في بني سَعْد فابْتَطَنَهَا^(٥) ثلاثة أَبْطُنٍ، وكان يقال لها: العَصماء. فلما رجع النَّفَرُ النَّهْشَلِيُّونَ إلى قومهم قالوا إِنَّا خُفَرَاءُ فَارِسِ الْعَصْمَاءِ، فوالله لناخذنها، فأوعَدُوهُ^(٦). وقال حُرَيْر^(٧) ورافع: نحنُ الْخَفِيرَانِ / بها. وكان بنو جَزُولٍ حُلَفَاءَ بني سَلَمَى بن جَنْدَل عَلَى بني حارثة بن جندل، فأعانه على ذلك التَّيْحَانُ بن بَلْج بن جَزُول بن نهشل. فقال الأسود بن يَغْفَر يَهْجُوهُ:

أَتَانِي وَلَمْ أَخَشِ الَّذِي ابْتُعِثَ بِهِ
هَمُّ خَيْلُونِي يَوْمَ كُلِّ غَنِيمَةٍ
فَلَا أَنَا مُعْطِيهِمْ عَلَيَّ ظُلَامَةٌ
وَإِنِّي لِأَقْرِي الضَّيْفَ وَصَّى بِهِ أَبِي
فَقُولَا لِتَيْحَانَ ابْنِ عَاقِرَةٍ أَسْتَهَا
وَلَوْ أَنَّ تَيْحَانَ بْنَ بَلْجٍ أَطَاعَنِي
وَأَنَّ يَكُ مَدْلُولًا^(٨) عَلَيَّ فَإِنِّي

خَفِيرًا بَنِي سَلَمَى حُرَيْرٍ وَرَافِعُ
وَأَهْلَكْتُهُمْ^(٩) لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
وَلَا الْحَقُّ مَغْرُوفًا لَهُمْ أَنَا مَانِعُ
وَجَارُ أَبِي التَّيْحَانِ ظِمَّانُ جَائِعُ
أَمْجَرٍ^(١٠) فَلَا قِيَّ الْغَيِّ أَمْ أَنْتَ نَازِعُ^(١١)
لَأَرْشِدْتَهُ وَلِلْأُمُورِ مَطَالِعُ
أَخُو الْحَرْبِ لَا قَحْمُ^(١٢) وَلَا مُتَجَادِعُ^(١٣)

(١) نذر بالشيء وبالعَدُو (بكسر الذا) نذرًا: علمه فحذره.

(٢) في الأصول: «حدين» صوابه من نقل البغدادي في «الخزانة» ١: ١٩٥ عن «الأغاني».

(٣) في سائر الأصول: «الحارث» وظاهر أنه تحريف، إذ هو الرجل الذي لحق بجماعة بني نهشل. وهو منسوب إلى بني الحارث بن تميم الله بن ثعلبة، وسيأتي بعد سطور بلفظ «الحارثي».

(٤) طلقاء: جمع طليق، وهو الأسير أطلق عنه إسماره.

(٥) ابتطنها: نتجها ثلاث مرات.

(٦) أوعدوه: هددوه.

(٧) كذا في ط. وفي سائر الأصول «جرير» بالجيم.

(٨) كذا في الأصل و«خزانة الأدب».

(٩) مجر: قاصد إلى الشر، يقال: أجرى إلى الشيء قصده؛ وأكثر ما يستعمل الإجراء، محذوف المفعول، في الأمر المنكر المذموم.

قال غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع:

هم قطعوا الأرحام بيني وبينهم

وأجروا إليها واستحلوا المحارم

أَجَرُوا مِنَ التَّزْوِجِ وَهُوَ الْكَفُّ عَنِ الشَّيْءِ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَنْهُ.

(١٠) مدلولاً علي: أي اجتراً القوم علي.

(١١) القحمة: الكبير السن.

(١٢) المتجادع: الذي يرى أنه صغير السن. والجذع: الصغير السن.

ولكنَّ تَيْحَانَ ابْنَ عَاقِرَةَ أَسْتَهَا لَهُ ذَنْبٌ^(١) مِنْ أَمْرِهِ وَتَوَابِعُ
قال: فلَمَّا رَأَى الْأَسْوَدُ أَنَّهُمْ لَا يُقْلِعُونَ عَنِ الْفَرَسِ أَوْ يَرُدُّوهُ، أَحْلَفَهُمْ عَلَيْهَا فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ خُفَرَاءُ لَهَا، فَرَدَّ
الْفَرَسَ عَلَيْهِمْ وَأَمَسَكَ أَمْهَارَهَا، فَرَدَّوْا الْفَرَسَ إِلَى صَاحِبِهَا. ثُمَّ أَظْهَرَ الْأَمْهَارَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَوْعَدُوهُ فِيهَا أَنْ يَأْخُذَهَا.
فَقَالَ الْأَسْوَدُ:

أَحَقُّا بَنِي أَبْنَاءِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ وَعَيْدُكُمْ إِيَّايَ وَسَطُ الْمَجَالِسِ
فَهَلَّا جَعَلْتُمْ نَحْوَهُ مِنْ وَعِيدِكُمْ عَلَى رَهْطِ قَعْقَاعٍ وَرَهْطِ أَبِي حَابِسٍ
/ هُمْ مَنَعُوا مِنْكَ ثَرَاتُ أَبِيكُمْ فَصَارَ الثَّرَاتُ لِلْكَرَامِ الْأَكْسَائِسِ
هُمْ أَوْرَدَوْكُمْ ضَفَّةَ الْبَحْرِ طَامِيَا وَهُمْ تَرَكَوْكُمْ بَيْنَ خَازٍ^(٢) وَنَاكِسٍ^(٣)

[٢٥/١٣]

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي وكان كثير البر به

وقال أبو عمرو: كَانَ مَسْرُوقُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ بْنُ نَهْشَلٍ سَيِّدًا جَوَادًا، وَكَانَ مُؤَثِّرًا لِلْأَسْوَدِ بْنِ
يَعْفَرٍ، كَثِيرَ الرُّفْدِ لَهُ وَالْبِرِّ بِهِ. فَمَاتَ مَسْرُوقٌ وَأَقْسَمَ أَهْلُهُ مَالَهُ، وَبَانَ فَقْدُهُ عَلَى الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ فَقَالَ يَرِثِيهِ:
أَقُولُ لَمَّا أَتَانِي هُلُكُ سَيِّدِنَا لَا يُنْعِدُ اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ مَسْرُوقًا
مَنْ لَا يَشِيعُهُ^(٤) عَجَزٌ وَلَا بَخْلٌ وَلَا يَبِيتُ لَدَيْهِ اللَّحْمُ مَوْشُوقًا^(٥)
مِرْدَى حُرُوبٍ^(٦) إِذَا مَا الْخَيْلُ ضَرَجَهَا^(٧) نَضَخَ الدِّمَاءُ وَقَدْ كَانَتْ أَفَارِيقًا^(٨)
وَالطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ نَحْسِبُهَا شَنَا^(٩) هَزِيمًا^(١٠) يَمْجُ الْمَاءُ مَخْرُوقًا
وَجَفْنَةً^(١١) كَنْضِيجٍ^(١٢) الْبِثْرِ مُتَأَفَّةٍ^(١٣) تَرَى جَوَانِبَهَا بِاللَّحْمِ مَفْتُوقًا^(١٤)
يَسْرَتُهَا لِيَتَأَمَى أَوْ لِأَزْمَلَةٍ وَكُنْتُ بِالْبَائِسِ الْمَتْرُوكِ مَحْقُوقًا^(١٥)
يَا لَهْفٍ أُمِّي إِذْ أَوْدَى وَفَارَقَنِي أَوْدَى أَبْنُ سَلَمَى نَقِيَّ الْعِرْضِ مَرْمُوقًا

(١) له ذنب: لأمره عواقب.

(٢) الخازي، من خزي بالكسر يخزي خزيًا، إذا ذل وهان، كما فسرهما البغدادي في «الخزانة».

(٣) الناكس: المعطأ طيء رأسه.

(٤) يشيعه: يصحبه ويتبعه.

(٥) الموشوق: المقدد. يقال وشق اللحم بشقه إذا شرحه وقدده، يقول: إنه لكرمه لا يذخر اللحم إلى غد.

(٦) مردى حروب: شجاع صبور عليها، غالب؛ وأصل المردى: الحجر الذي تكسر به الصخور، ويكسر به النوى، وأكثر ما يقال في الحجر الثقيل.

(٧) ضرجها: لطمها.

(٨) الأفاريق: جمع أفرق، وأفرق جمع فرقة وهي: الطائفة والجماعة.

(٩) الشن: القرية القديمة الصغيرة.

(١٠) الهزيم: اليابس المتكسر.

(١١) الجفنة: القصعة.

(١٢) نضيج البثر: حوضها.

(١٣) المتأفة: الممتلئة.

(١٤) المفتوق: المشقوق. قال في «اللسان» «مادة فتق» بعد أن ذكر هذا الشطر: «إنما أراد مفتوقة فأوقع الواحد موقع الجماعة». وفي ط
و«اللسان»: «... بالشحم مفتوقا».

(١٥) المحقوق هنا: الخلق. قال في «اللسان»: «قال شمر: تقول العرب: حق علي أن أفعل ذلك، وحق، وإني لمحقوق أن أفعل خيرا،
وهو حقيق به، ومحقوق به، أي خليف له، والجمع أحقاء ومحقوقون».

[٢٦/١٣] / ما أجاب به بنته وقد لامته على جوده

وقال أبو عمرو: عاتبت سلمى بنت الأسود بن يَغْفَرُ أباهما على إضاعته ماله فيما يتوب قومه من حمالة^(١) وما يمنحه فقراءهم ويعين به مُسْتَمْنَحِهِمْ، فقال لها:

وقالت لا أراك تليقُ شيئاً
فقلت بحسبها يسرّ وعارٍ
فلومسي إن بدا لك أو أفقي
أبو العوزاء لم أكّد عليه
مضوا لسيبلهم ويقيت وحدي
/ فلولا الشامتون أخذت حقي
أتهلك ما جمعت وتستفيد^(٢)
ومرتحسل إذا رحل الوفود^(٣)
فقبلك فاتني وهو الحميد
وقيس فاتني وأخي يزيد
وقد يغني ربايته الوحيد^(٤)
وإن كانت بمطلبه كزود^(٥)

١٣٩
١١

ويروى:

* وإن كانت له عندي كزود *

ما قاله في ابنه جراح وكان ضيلاً وضعيفاً

قال أبو عمرو: وكان الجراح بن الأسود في صباه ضيلاً وضعيفاً، فنظر إليه الأسود وهو يُصارع صبيّاً من الحي وقد صرعه الصبيّ - والصبيان يهزؤون منه، فقال:

سيجرح جراح وأعقل ضيمه
فأبأ جراح ذؤابة دارم
قال: وكانت أم الجراح أخيدة، أخذها الأسود من بني نهد في غارة أغارها عليهم.

[٢٧/١٣] / ما قاله لما أسن وكف بصره

وقال أبو عمرو: لما أسن الأسود بن يَغْفَرُ كُفَّ بصره، فكان يُقاد إذا أراد مذهباً. وقال في ذلك:

قد كنت أهدى ولا أهدى فعلمني
أمشي وأتبع جناباً ليهديني
الجُنَاب: الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجنيبة. الجشم: المشي ببطء. والغدر: مكان ليس مستوياً.

(١) الحمالة: ما يحمله عنهم من مغارم.

(٢) يقال: فلان ما يليق شيئاً أي ما يمسك شيئاً.

(٣) اليسر: القوم المجتمعون على الميسر. والعارى: الذي يعرو القوم يلتمس معروفهم. والمرتحل: الذي يرتحل البعير، أي يركبه بالقتب.

(٤) الرابعة، بالفتح وبالكسر: الشأن والأمر وهي القبيلة أيضاً.

(٥) كزود صفة لموصوف محذوف وهو العقبة التي تعترض من الطريق، وكان تامة. ورواية ط:

فلولا الشامتون لأخذ حقي وإن كانت بمطلبه كزود

(٦) أعقل: أحمل عنه. الضلع: الاعوجاج خلقه. والمعنى أن هذا العيب لا يمنع من أنه سيقوى فأبأه وأخواله رؤساء وسادة ولن يتخلف عن صفاتهم وشماثلهم. والمبدي، لعلها «المندي» بالنون، أي المخزي.

(٧) جناب بضم الجيم لا بالفتح: الذي يسير مع الرجل إلى جنبه (كما ورد في «اللسان»). والجنيبة: الدابة تقاد. والغدر: ما وارك وسد بصره.

شعر لأخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن المفضل: أن الأسود كان له أخ يقال له حطائط بن يعفر شاعر، وأن ابنه الجراح كان شاعراً أيضاً. قال: وأخوه حطائط الذي قال لأُمّهما رُهم بنت العباب، وعاتبته على جوده فقال:

تقول أبنُ العباب رُهم حَرَبْتَنِي	حُطَائِطُ لِمَ تَتْرُكُ لِنَفْسِكَ مَقْعَدًا ^(١)
إذا ما جمعنا صِرْمَةً بعد هَجْمَةٍ	تكون علينا كابن أُمِّكَ أسودًا ^(٢)
فقلتُ ولم أعْيِ الجواب: تأملي	أكان هُزالاً حَتَفُ زَيْدٍ وأزْبَدًا ^(٣)
أريني جَواداً مات هُزْلاً لعلني	أرى ما تَرَيْنِ أو بخيلاً مُخلِّداً
ذريني أكن للمال ربّاً ولا يكن	لي المالُ ربّاً تَحْمِدي غِيْبَهُ غداً
/ ذريني فلا أعيأ بما حلّ ساحتني	أسودُ فأخْفِي أو أطبِعُ المُسَوِّداً
ذريني يكن مالي لِعَرْضِي وقايةً	يَقِي المالُ عِرْضِي قَبْلَ أن يَتَبَدَّدَا
أجارة أهلي بالقَصِيمة لا يكن	عليّ - ولسم أَظْلِمُ - لسانُكَ مِبْرَدًا ^(٤)

[٢٨/١٣]

قصيدة

أَعَاذِلْتَنِي أَلَا لَا تَعَذِّلِينَا
فقد أَكْثَرْتَ لَوِ اغْنَيْتَ شَيْئاً
أَقْلَى اللّوْمِ إِنْ لَمْ تَنْقَعِينَا
ولستُ بِقَابِلٍ ما تَأْمُرِينَا
الشعر لأزطاة بن سُهَيْبٍ، والغناء لمحمد بن الأشعث، خفيف زمل بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانه.

(١) حربتنني: سلبتني مالي.

(٢) في «الحماسة» (طبع أوروبا ص ٧٥٥): «أفدنا» بدل جمعنا. والصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين. والهجمة: أربعون من الإبل إلى سبعين فما دون المائة. فإذا بلغت المائة فهي الهنيدة. وقد روى «عليها» وفي الأصول: «علينا». يريد: تعود عليها سالكا طريق أخيك الأسود بن يعفر في السخاء بذلك المال.

(٣) يقول: إن زيدا وأريدا من كرام قومنا لم يموتا من هزال. وفي «الحماسة»: «نهد» بدل «زيد». وفيها أيضاً: «وقيل إن بهذا وأريدا كانا أخوين لحطائط».

(٤) القصيدة: (بالفتح ثم الكسر) الرملة التي تثبت الغضى. وفي «معجم البلدان»: القصيدة بلفظ التصغير، ويضاف فيقال قصيدة الطراد. قال الأسود بن يعفر:

بالجور فالأمراج حول مرامر فضف قصيدة الطراد

/ أخبار أرطاة ونسبه

نسبه من قبل أبويه وبيان أن أمه كانت لضرار بن الأزور فصارت إلى زفر وهي حامل بأرطاة هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن عطفان^(١) بن أبي حارثة بن مرة بن أنسبة بن غيظ بن مرة [بن عوف]^(٢) بن سعد بن ذبيان. وقد تقدّم هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب. وسُمّيت أمه؛ وهي بنت زامل بن ١١ مَرُوان بن زهير بن ثعلبة بن حديج بن أبي جشم / بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف، سبيته من كلب، وكانت لضرار بن الأزور ثم صارت إلى زفر وهي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زفر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضرار إلى الحارث بن عوف فقال له:

* يا حارث أفكك لي بُني من زفر *

- ويروى: «يا حارٍ أطلق لي» -

* في بعض من تطلق من أسرى مضر *

* إن أباه أمرؤ سوء إن كفر^(٣) *

فأعطاه الحارث إياه وقال: أنطلق بأبيك، فأدركه نهشل بن حرث بن غطفان فانتزعه وردّه إلى زفر. وفي تصديق ذلك يقول أرطاة لبعض أولاد زفر:

فإذا خَمَصْتُمْ^(٤) قَلْتُمْ يا عَمْنَا وإذا بَطِئْتُمْ^(٥) قَلْتُمْ أَبْنَ الْأَزُورِ

/ قال: ولهذا غلبت أمه سُهَيْة على نسبه فُسِبَ إليها. وضرار بن الأزور هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه مُتَمُّم:

نَعَمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ تحت البيوت، قُتِلَتْ يَسَابِنُ الْأَزُورِ

منزله في الشعر

وأرطاة شاعر فصيح، معدود في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها. وكان أمراً صديق شريفاً في قومه جَوَاداً.

إنشاده عبد الملك بعض ما ناقض به شبيب بن البرصاء

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان رُفيع بن سَلَمَة الملقب بدماد، قال: حدثنا أبو عبيدة

قال:

(١) في الأصول: «غطفان» والتصويب مما سيأتي في الشعر. وقد صححها كذلك الشنقيطي في نسخته.

(٢) الزيادة من «شرح شواهد المغني للبغدادي» (ج ٢ ص ٥٧٢) نسخة مخطوطة ومحفظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ نحو - ش) و«القاموس المحيط» مادة (غيظ) ومما تقدّم في هذا الكتاب ومن ذلك ما ورد في أخبار النابغة ونسبه. (الجزء الحادي عشر الصفحة الثالثة من هذه الطبعة).

(٣) كفر: جحد حقه في أبوته.

(٤) خمصتم: جعتم.

(٥) بطئتم: شبعتم.

دخل أرطاة بن سُهَيْتَةَ على عبد الملك بن مروان، فاستنشدته شيئاً مما كان يناقض^(١) به شَيْبِ بن البرصاء، فأنشده:

أبي كان خيراً من أهلك ولم يزلْ جَنِيْباً لآبائي وأنت جَنِيْبٌ^(٢)
فقال له عبد الملك بن مروان: كذبت، شَيْبِ خيرٌ منك أباً. ثم أنشده:
وما زلتُ خيراً منك مذ عَضَّ كَارِهاً برأسك عادي النُّجاد رَسوب^(٣)

معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم

فقال له عبد الملك: صدقت، أنت في نفسك خيرٌ من شَيْبِ. فعجب من عبد الملك مَنْ حضر ومن معرفته مقادير الناس^(٤) على بُعدهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قال: كان شَيْبِ أشرفَ أباً من أرطاة، وكان أرطاة أشرفَ فعلاً ونفساً من شَيْبِ.

ما قاله لعبد الملك وقد أَسَنَ

/ أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا عمرو بن بحر الجاحظُ ودَمَازُ أبو غَسَّان، قالاً جميعاً، قال أبو [٣١/١٣] عبيدة:

دخل أرطاة بن سُهَيْتَةَ على عبد الملك بن مَرْوان، فقال له: كيف حالُك يا أرطاة؟ - وقد كان أَسَنَ - فقال: ضَعُفْتُ أوصالي، وضاع مالي، وقلَّ مِنِّي ما كنتُ أَحِبُّ كَثْرَتَهُ، وكَثُرَ مِنِّي ما كنتُ أَحِبُّ قَلَّتَهُ. قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطربُ ولا أغضبُ ولا أرغبُ ولا أرهَبُ، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع، وعلى أثني القائل:

رأيتُ المرءَ تَأْكُلُهُ اللَّيالي كَأَكْلِ الأرضِ سَاقِطَةَ الحديدِ
وما تَبْغِي المَنيَّةُ حينَ تأتي على نَفْسِ أبْنِ آدَمَ من مَزِيدِ
وأغْلَمُ أنها سَتَكُسرُ حَتَّى تُوفِّي نَذَرَهَا بابي الوليدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل تُوفِّي نَذَرَهَا بكَ وَبِلَكَ! مالي ولك؟ فقال: لا تُرْعَ يا أمير المؤمنين، / فَإِنَّمَا عَنَيْتُ^(٥) نفسي - وكان أرطاة يُكْنَى أبا الوليد فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكيّاً وقال: أَمَّا والله على ذلك لِنَلْمَنَّ^(٥) بي.

أخبرني به حبيب بن نَصْر المَهْلَبِي قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي أبو غَسَّان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحِيل^(٦) معنًى.

مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة

أخبرني عبد الملك بن مَسْلَمَةَ القُرَشِي الهشاميَّ بِأَنْطَاكِية^(٧) قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سُهَيْتَةَ دخل على مَرْوان بن الحَكَمَ لما أَجْتَمَعَ له أمرُ الخلافة.

(١) يناقض: يعارض، والمناقضة هي أن يعارض الشاعر غيره في قصيدته من نفس الوزن والروي.

(٢) الجَنِيْب: الطائع المتقاد.

(٣) النُّجاد: حمائل السيف. وعادي النُّجاد: سيف قديم، كأنه لقدمه أدرك زمن عاد، والرسوب: الماضي الذي يغيب في الضريبة ويرسب. وفي ب، س، ط: «ركوب» ولا وجه له.

(٤) في ط «بساتر الناس».

(٥) لِنَلْمَنَّ بي: لننزلن بي.

(٦) أحال الكلام يحيله إحالة: غيره وفسده.

(٧) أَنْطَاكِية (بِتَخْفِيفِ الياء): بلد معروف في شمال الساحل الشامي.

[٣٢/١٣] / وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً. وصمد^(١) لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربته، فهتأه وكان خاصاً به وبأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده:

تَجُرُّ السَّرِيحَ وَتُبْلِي الخِدَامَا ^(٢)	تَشْكِي قُلُوصِي إِلَيَّ السَّوَجَى
يَدُّ لَا تُعَدُّ وَتُهْدِي السَّلَامَا	تَزُورُ كَرِيمَا لَهُ عِنْدَهَا ^(٣)
تُجِيدُ الْقَوَافِي عَامَا فَعَامَا	وَقَلَّ ثَوَابَا لَهُ أَنَّهَا
قُرَيْشٌ وَسُدَّتْ قُرَيْشَا غُلَامَا	وَسَادَتْ مَعْدَا عَلَى رَغْمَهَا
فَمَا زَالَ غَمَزُكَ حَتَّى أَسْتَقَامَا	جُعِلَتْ عَلَى الْأَمْرِ فِيهِ صَغَا ^(٤)
فَجَرَّدَتْ فِيهِنَّ عَضْبَا حُسَامَا	لَقِيَتْ الزُّحُوفَ فَقَاتَلَتْهَا
لَ مَا تَحْتَهَا ثُمَّ تَبْرِي الْعِظَامَا	تَشُقُّ الْقَوَانِسَ ^(٥) حَتَّى تَنَّا
فَمَا زَادَكَ النَّزْعُ إِلَّا تَمَامَا	نَزَعَتْ ^(٦) عَلَى مَهْلٍ سَابِقَا
وَزَادَ لَكَ الْخَيْرَ مِنْهُ فَدَامَا	فَزَادَ لَكَ اللَّهُ سُلْطَانَا

فكساه مَرَوَانُ وأمر له بثلاثين ناقةً وأوفرهنَّ له بُرَا وَزَيْبَا وشعيراً.

هجاؤه شبيباً وقد وقع فيه عند يحيى بن الحكم

قال: وكان أَرْطَاةُ يُهَاجِي شَبِيبَ بْنَ الْبَرْصَاءِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ هَجَاءٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْفِي صَاحِبَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فِي أَشْعَارِهِ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا / يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ، وَكَانَتْ بَنُو مُرَّةَ تَأْلَفُهُ وَتَنْتَجِعُهُ لَصِهرِهِ فِيهِمْ. فَلَمَّا افْتَرَقَا سَبَعَهُ^(٧) شَبِيبٌ عِنْدَ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ؛ فَقَالَ أَرْطَاةُ لَهُ:

رَمَتْكَ فَلَمْ تُشَوَّ ^(٨) الْفَوَادَ جَنُوبُ	وَمَا كُلُّ مَنْ يَزْمِي الْفَوَادَ يُصِيبُ
وَمَا زَوَّدَتْنا غَيْرَ أَنْ خَلَطَتْ لَنَا	أَحَادِيثَ مِنْهَا صَادِقٌ وَكَذُوبُ
أَلَا مُبْلَغُ فِتْيَانٍ قَوْمِي أَنَّنِي	هَجَانِي أَبْنُ بَرْصَاءِ الْيَدَيْنِ شَبِيبُ
وَفِي آلِ عَوْفٍ مِنْ يَهُودَ قَبِيلَةٍ	تَشَابَهَ مِنْهَا نَاشِثُونَ وَشَبِيبُ
أَبِي كَانَ خَيْرًا مِنْ أَبِيكَ وَلَسْمَ يَزَلْ	جَنِيبًا لِأَبَائِي وَأَنْتَ جَنِيبُ ^(٩)

(١) صمد: قصد.

(٢) القلوص: الناقة الشابة. الوجي: الحفا. والسريح: الذي تشد به الخدمة فوق الرسخ. والخدام جمع خدمة (بالتحريك) هي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد في رسغ البعير ثم يشد إليها سرائج نعلها.

(٣) في س: «عنده» وهو تحريف.

(٤) الصغا: الميل.

(٥) القوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة من الحديد.

(٦) نزعت: جريت.

(٧) سبعة: شتمه ووقع فيه بالقول القبيح.

(٨) لم تشو: لم تصب الشوى، والشوى: كل ما كان غير مقتل من الأعضاء. وجنوب: اسم امرأة.

(٩) الجنيب: المنقاد.

وما زلتُ خيراً منك مذ عضَّ كارهاً
فما ذُنُبنا إن أم حمزة جاورث
وإن رجالاتي سَلَع وواقم^(٢)
فلو كنت عَوْفياً عَمِيتَ وأسهلتُ
برأسك عاديئ التَّجَادِ رَسوبُ
يُثْرِبَ أَيْسَاساً لَهُنَّ نَيْبُ^(١)
لَا يَرِ أبِيهم في أَيْسِكَ نَصِيبُ
كُذاك وَلَكِنَّ المُرِيبَ مُرِيبُ^(٣)

حرص العوفيين على العمى عند الكبر

فأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمري عن العُثبي قال: لما قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عَوْفٍ يتمنى أن يَعْمَى - وكان العَمَى شائعاً / في بني عوف كلما أَسَنَ منهم رجل ١٤٢ عَمِيَ - فَعُمِرَ أرطاة ولم يَعَمْ، فكان شبيب يعيِّره بذلك. ثم مات أرطاة وعَمِيَ شبيب، فكان يقول بعد ذلك: لَيْتَ أرطاة عاش حتى يراني أَعْمَى فيَعْلَمَ أَنِّي عَوْفِي.

[٣٤/١٣]

/ ما كان له مع شبيب وقد تمنى لقاءه في يوم قتال

ونسخت من كتاب ابن الأعرابي في شعر أرطاة قال: كان شبيب بن البرصاء يقول: وددت أني جمعني وابن الأمة أرطاة بن سُهَيْبَ يوم قتال فأشفي منه غيظي. فبلغ ذلك أرطاة فقال له:

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ
مَاذَا تَطْلُكُ تُغْنِي فِي أَخِي رَصَدٍ
تَسَمَّ السِّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَهَةَ الْأَسَدِ^(٤)
مَنْ أَسْدَخَفَانِ جَابِي الْعَيْنِ ذِي لَبَدٍ^(٥)

- جابي العين وجائب العين: شديد النظر - مرثية لعمير بن موسى

أَبَى ضَرَاغِمَةٍ غُبِرَ يُعَوِّدُهَا
يَا أَيُّهَا الْمَتَمَنِّي أَنْ يُبْلَقَنِي
نَقَضَ اللَّبَانَةَ مِنْ مُرِّ شَرَائِعِهِ
مَتَى تَرُدَّنِي لَا تَصُدِّرْ لِمَصْدَرَةٍ
لَا تَحْسِبْنِي كَفَقْعِ^(٦) الْقَاعِ يَنْقُرُهُ
أَنَا أَبْنُ عُقْفَانٍ مَعْرُوفٌ لَهُ نَسَبِي
أَكَلُ الرِّجَالِ مَتَى يَبْدَأَ لَهَا يُعَدِّ
إِنْ تَنَاقَرْتُكَ أَوْ إِنْ تَبْغُنِي تَجِدِ
صَعْبَ الْمَقَادَةِ تَخْشَاهُ فَلَا تُعَدِّ^(٧)
فِيهَا نَجَاةً وَإِنْ أَصْدِرْكَ لَا تَرُدْ
جَانِ^(٨) بِإِصْبَعِهِ أَوْ بِيَضَةِ^(٩) الْبَلَدِ
إِلَّا بِمَا شَارَكَتْ أُمٌّ عَلَى وَلَدِ

(١) النيب: صياح التيوس عند هياجها.

(٢) سلع: جبل متصل بالمدينة. وواقم: أطم من أطامها وإليه تنسب حرة واقم.

(٣) كدى: جمع كدية (بالضم) والكدية: الأرض الغليظة. يريد: لو كنت من بني عوف بن سعد بن ذبيان لعميت مثل كثيرين منهم ولسهلت أرضك الغليظة.

(٤) الناطرة: العين.

(٥) في ب، س «ماذا أظنك». والتصحيح من نسخة ط. أخي رصد، يقال رصده رصداً ورصداً بفتح الصاد: رقبه، كرصده. والراصد: الأسد. والرصيد: السبع يرصد الوثوب، كما في «القاموس». وخفان: موضع قرب الكوفة كان مأمدة.

(٦) الشرائع: (جمع شريعة) وهي مورد الشاربة، يقول: إن من يطمع في مواردٍ يجد ماءً مرا.

(٧) ققع القاع: الكمأة.

(٨) الجاني: الذي يجنيها.

(٩) بيضة البلد: الخامل الذي لا يعرف نسبه، ويضرب به المثل للذل.

لا قى الملوك فأتأى^(١) في دمائهم
من غضبة يطعنون الخيل ضاحية^(٢)
ويمنعون نساء الحي إن علمت
/ أنا أبس صرمة إن تسأل خيارهم
وفي بني مالك أم وزائرة
ضربت فيهم بأعرافي كما ضربت
جدي قضاة معروف ويعرفني
ثم استقر بلا عقل ولا قود^(٣)
حتى تبدد كالمزودة^(٤) الشرد^(٥)
ويكشفون قتام^(٦) الغارة العمدة
أضرب برجلي في ساداتهم ويدي^(٧)
لا يدفع المجد من قيس إلى أحد^(٨)
عروق ناعمة في أبطح تيد^(٩)
جبا ربيعة أهل السرو والعدد^(١٠)

[٣٥/١٣]

خبر حبه لوجزة وبعض ما قال فيها

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الخزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال:

كان أرطاة بن سهية يتحدث إلى امرأة من غني يقال لها وجزة، وكان يهواها ثم أفرقا وحال الزمان بينهما وكبير أرطاة، ثم اجتمعت غني وبنو مرة في دار، فمر أرطاة بوجزة وقد هربت وتغيرت محاسنها واقتربت، فجلس إليها وتحدث معها وهي تشكو إليه أمرها، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وأنصرف وقال:

مررت على حديثي^(١١) برمان^(١٢) بعدما
فكنت كظبي مفليت ثم لم يزل
تقطع أقران الصبا والوسائل
به الحين^(١٣) حتى أعلقت به الحبال^(١٤)

أرطاة ينسب بوجزة

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد ذكر أرطاة بن سهية وجزة هذه، ونسب بها في مواضع شعره، فقال في

قصيدة:

لوجزة تهديني النجوم الطوامس^(١٥)

/ وداوية^(١٥) نازعتها الليل زائرا

[٣٦/١٣]

(١) أتأى: جرح وطعن.

(٢) أي لم يرزأ بدية ولا قصاص.

(٣) الضاحية: البارزة.

(٤) المزودة: المذعورة.

(٥) الشرد (جمع شرد): النافر.

(٦) القتام: الغبار.

(٧) صرمة: هو ابن مرة بن عوف بن سعد، من أسلاف أرطاة.

(٨) زافرة الرجل: عشيرته وأنصاره.

(٩) أعراقي: أصولي. والناعمة: النبتة الحسنة الغذاء والري. والأبطح: المسيل الواسع، وثند: ندي.

(١٠) قضاة: جد الشاعر لأمه وهي سهية الكلبيّة. الجبا، بالفتح: الحوض، وما حول البئر. يعني به جماعة القبيلة. ورفيدة ابن ثور الجد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أم الشاعر. والسرو: المروءة والندى.

(١١) الحدث: المحدث والمسامر.

(١٢) رمان: جبل في بلاد طيء.

(١٣) الحين: الهلاك.

(١٤) الحبال جمع حبال (بالكسر) وهي: التي يصاد بها.

(١٥) الداوية، بتشديد الياء وتخفيفها: الفلاة الواسعة المستوية.

(١٦) النجوم الطوامس: التي ذهب نورها.

١٤٣
١١

أعوج^(١) بأصحابي عن القصد^(٢) تعتلي^(٣) / بنا عرض كسريها^(٤) المطي^(٥) العرامس^(٦) /
فقد تركتني لا أعيج^(٧) بمشرب / فأروى ولا ألهو إلى من أجالس
ومن عجب الأيام أن^(٨) كل منزل / لوجزة من أكناف رمان دارس
وقد جاورت قصر العذيب^(٩) فما يرى / برمان إلا ساخط العيش بئس
طلاب بعيد وأختلاف من النوى / إذا ما أتى من دون وجزة قادم^(١٠)
لئن أنجح الواشون بيني وبينها / وطال الثنائي والنفوس النوافس^(١١)
لقد طالما عشنا جميعاً ووُدنا / جميع إذا ما يتغى الأنس أنس^(١٢)
كذلك صرف الدهر ليس بتارك / حياً ويبقى عمره المتقاعس

/ وقال ابن الأعرابي: كانت بين أرطاة بن سُهَيْب وبين رجل من بني أسد يقال له حيان مهاجرة، فاعترض بينهما [٣٧/١٣] حُباشة الأسدِي فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة:

أبلغ حُباشة أني غير تاركه / حتى أذلك إذا كان ما كانا
الباعث القول يُنديه ويُحمه / كالمُجتدي الثكل إذ حاورت حيانا
إن تدعُ خنِيفَ بغيا أو مكائِرة / أدعُ القبائل من قيس بن عيلانا
قد نخس الحق حتى ما يجاوزنا / والحق يحبسنا في حيث يلقانا
ننبي لا خرننا مجداً نُشيدُه / إننا كذاك ورثنا المجد أولانا

وقال ابن الأعرابي: وفد أرطاة بن سُهَيْب إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة^(١٣)، وقد هنأه

(١) أعوج: أميل.

(٢) القصد: استقامة الطريق.

(٣) تعتلي: ترتفع.

(٤) كسرا كل شيء: ناحيته.

(٥) المطي: جمع مطية، وهي الناقة التي يركب مطاها أي ظهرها.

(٦) العرامس: جمع عرمس (بالكسر)، وهي الناقة الصلبة الشديدة.

(٧) لا أعيج بمشرب: لا أكثرث له ولا أباليه.

(٨) أن هنا: مخففة من الثقيلة.

(٩) العذيب: واد بظاهر الكوفة، أو هو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. وقصر العذيب: هو القصر الذي

أشرف منه سعد بن أبي وقاص على جيش المسلمين في قتاله مع جيش الفرس في وقعة القادسية. انظر «معجم ما استمعتم للبكري»،

و«معجم البلدان لياقوت» و«تاريخ الطبري» (القسم الأول ص ٢٣٥١ طبع أوروبا).

(١٠) النوى: النية، والقصد لبلد غير الذي أنت مقيم فيه، والبعد والتحول. وقادم: أراد بها القادسية. قال الكميت:

كأنني على حب البويسب وأهله يرى بالجبايتين العذيب وقادسا

انظر «معجم ما استمعتم» في رسم: «الجاب».

(١١) كذا في جـ. والنوافس: جمع نافس، وهو الحاسد. وفي بقية الأصول: «النفاث» وهو تحريف لأن «فعائل» لا يطرد في «فاعل»

سواء أكان اسماً أو وصفاً، وإنما الذي يطرد فيه «فواعل». انظر «شرح الأشموني» (ج ٣ ص ١٧٧ طبع بولاق).

(١٢) كذا في ب، س، وفي ط: «إلى ما يتغى». وفي جـ: «إلى من يتغى».

(١٣) المعروف أن عام الجماعة هو عام ٤١ هـ حينما تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة إلى معاوية وعبد الملك بن مروان ولي

الخلافة سنة ٦٥. وعام الجماعة هنا العام الذي فرغ فيه عبد الملك من قتال الزبيريين والخوارج، وقتله عمرو بن سعيد الأشدق

وكان يشارك عبد الملك في الخلافة.

بالظفر، ومدحه فأطال المقام عنده، وأرجف أعداؤه بموته، فلما قدم - وقد ملأ يديه - بلغه ما كان منهم، فقال فيهم:

إذا ما طَلَعْنَا مِنْ ثِيَّةٍ لَفَلَفٍ^(١) فخبُرَ رجالاً يَكْرَهُونَ إِيَّابِي
وخبُرَهُمْ أَنِّي رَجَعْتُ بَغِطَةً أَحَدُ أَظْفَارِي وَيَضْرِفُ^(٢) نَابِي
وإني ابنُ حرب لا تزالُ تَهْرُني كلابٌ عِدْوِي أَوْ تَهْرُ كِلَابِي

أرطاة وزميل يتلاحبان

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِي: وقع بينَ زميلٍ^(٣) قاتلِ ابنِ دارةَ وبينِ أرطاةَ بنِ سُهَيْلٍ لِحاء؛ فتوعده زميل، وقال: إني لأحسبك ستَجِرُّ مثلَ كأسِ ابنِ دارة. فقال له أرطاة:

[٣٨/١٣] / يا زميلُ إني إنْ أَكُنْ لَكَ سَائِقًا تَرَكُضُ بِرِجْلَيْكَ النِّجَاةَ وَالْحَقَّ
لا تحسبني كَامَرِيءَ صادفته بِمُضِيْعَةٍ فُخْدَشْتُهُ بِالْمِرْفَقِ
إني أَمْرُؤُ أَوْفِي إِذَا قَارَعْتُكُمْ قَصَبَ الرُّهَانِ وَمَا أَشَأُ أَتَعْرِقُ^(٤)
فقال له زميل:

يا أرطُ إنْ تَكُ فاعِلاً مَا قَلْتَهُ والمرءُ يَسْتَحْيِي إِذَا لَمْ يَضُدِّقْ
فافعل كما فعل ابنُ دارةَ سَالِمٌ ثم امشِ هَوْنَكَ^(٥) سَادراً لَا تَتَّقِرْ
وإذا جعلْتُكَ بينَ لَحْيَيْ شَابِكٍ أَلَا نِيَابَ فَارْعُدْ مَا بَدَا لَكَ وَابْرُقْ

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا الرِّياشي، قال: حدثنا الأصمعيُّ قال: قال أرطاة بن سُهَيْلٍ للربيع بن قعنِب:

لقد رأيتُكَ عُزِياناً وَمَوْزِراً فما عرفتُ أَأَنْتَى أَمْ ذَكَر؟

١٤٤ / فقال له الربيع: لكن سُهَيْلٌ قد عرفني. فغلبه وانقطع أرطاة.

عبد الرحمن بن سهيل يتزوج أم هشام ويأخذ عليها الموائيق عند وفاته ألا تتزوج بعده ولكنها تزوجت عمر بن عبد العزيز

أخبرني عمي، قال: حدثنا الحسن بن عَلَيلٍ العنزي قال: حدثنا قعنِبُ بْنُ المَخْرُزِ عن الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهلي قال: تزوج عبد الرحمن بن سُهَيْلٍ بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكانت من أجمل نساء قُريش^(٦)، وكان يجذُّ بها وجداً شديداً، فمِرَضَ مَرْصَتُهُ التي هَلَكَ فيها، فجعل يُدِيمُ النظرَ

(١) لفلَف: بلد تجاء برد من حرة ليلي. وهي من أداني ديار بني مرة (عن «معجم ما استعجم للبكري»). وفي هامش ط: «ويروى فبشر رجالاً».

(٢) صريف الأنياب: حرقها وسماع صوتها.

(٣) زميل: هو زميل بن عبد مناف الفزاري، تولى قتل ابن دارة لأنه هجا ثابت بن رافع الفزاري وهجا كذلك فزارة جميعاً فقال: لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصلك واكتبها بأسيار

وابن دارة هذا: هو سالم بن مسافع. ودارة أمه. (انظر «الشعر والشعراء» ص ٢٣٦ طبع لبيسك).

(٤) أتعرق: أذهب.

(٥) الهون ومثله الهويني: التؤدة والرفق. والسادر هنا: الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع.

(٦) في أغلب النسخ: «قيس». والتصويب من جد ونسخة الشنقيطي

إليها وهي عند رأسه، فقالت له: إنك لتَنْظُرُ إِلَيَّ نَظْرَ رَجُلٍ لَهُ حَاجَةٌ، قال: إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان علي ما أنا فيه. قالت: وما هي؟ قال: أخاف أن تتزوّجي بعدي. قالت: فما يُرْضِيكَ مِنْ ذَلِكَ؟ قال: أن تُوثِّقِي لي / بالآيمانِ المُعَلَّظَةِ. فحلفت له بكلّ يمينٍ سكنتُ إليها نفسه ثم هلك. فلما قُضِيَ عِدَّتُهَا خطبها عمرُ بن عبد العزيز وهو - أميرُ المدينة - فأرسلتُ إليه: ما أراك إلا وقد بلغتكَ يميني، فأرسلَ إليها: لك مكان كلِّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان، ومكان كلِّ علقٍ^(١) علقان، ومكان كلِّ شيءٍ ضِعْفُهُ. ففَزَّوَجَتْهُ، فدخلَ عليها بَطالٌ بالمدينة، وقيل: بل كان رجلاً من مشيخة قريشٍ مُعَفَّلاً، فلما رآها مع عمرَ جالسةً قال:

تبدلت بعد الخيزران جريدةً وبعد ثياب الخز أحلامَ نائم

فقال له عمر: جعلتني ويليكَ جريدةً وأحلامَ نائم! فقالت أم هشام: ليس كما قلت، ولكن كما قال أرطاة بن سهية:

وكائن ترى من ذاتِ بئٍ وعَوْلَةٍ
فكانت كذاتِ البو^(٢) لَمَّا تعطفَتْ
مَنى لا تجذّه تنصّرفَ لطيّاتها^(٣)
عن الدهرِ فاصفح إنه غيرُ مُعْتَبٍ

وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها أرطاة ابنه عمراً.

أرطاة يقيم عند قبر ابنه حولاً ويرق قومه لحاله بعد ذلك فيقيمون عامهم ذلك

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرَفِيُّ، قال: حدثنا الحسنُ بْنُ عَلِيٍّ، قال: حدثنا قَعْنَبُ بْنُ المحرّزِ عن أبي عبيدة، قال: كان لأرطاة بن سهية ابن يُقال له: عمرو، فمات، فجزع عليه أرطاة حتى كاد عقله يذهب، فأقام على قبره، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولاً. ثم إن الحيّ أراد الرّحيلَ بعد حولٍ لئُجْعَةٍ بَعُوثُهَا، فغدا على قبره، فجلسَ عنده / حتى إذا حان الرواحُ ناداه: رُحْ يا ابنَ سَلَمَى مَعَنَا! فقال له قومه: نَشُدُّكَ اللهَ في نفسك وعقلِكَ ودينِكَ، [٤٠/١٣] كيف يروحُ معكَ من ماتَ مَذْ حَوْلٍ؟ فقال: أنظروني الليلةَ إلى الغد. فأقاموا عليه، فلَمَّا أصبح ناداه: اغدُ يا ابنَ سَلَمَى معنا، فلم يَزَلْ الناسُ يُذَكِّرُونَهُ اللهَ وَيُنَاشِدُونَهُ، فانتضى سِنْفَهُ وعَقَرَ راحِلَتَهُ على قبره، وقال: والله لا أَتْبَعُكُمْ فامضُوا إن شئتم أو أَقِيمُوا. فرَقُوا له ورجمُوهُ، فأقاموا عامهم ذلك، وصبرُوا على منزلتهم. وقال أرطاة يومئذٍ في ابنه عمرو يرثيه:

وقفت على قبرِ ابنِ سَلَمَى فلم يَكُنْ
هل أنتَ ابنَ سَلَمَى إن نظرتُكَ رائِحُ
الأنسى ابنَ سَلَمَى وهو لم يأتِ دونه
وقفتُ على جُثمانِ عمرو فلم أجد

(١) العلق: النفيس من كل شيء.

(٢) البو: جلد الحوار يحشى ثاماً أو تبناً أو غيرها فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر.

(٣) طياتها (غير مشددة): أراد بها طياتها (بالتشديد) فحذف الياء الثانية. وهي جمع طية. والطيّة هنا: الوجه الذي يراد ويقصد. وقد نص صاحب «اللسان» على تخفيف ياء هذا الجمع في الشعر.

ضربتُ عمودَي بانة^(١) سَمَوَا معاً
ولو أنها حادت^(٢) عن الرمس نلتها
تركنتك إن تخيبي تكوسي^(٤) وإن تنؤ
فدع ذكر مَنْ قد حالت الأرض دونه
فخرت ولم أتبع قَلوصي بدغدع
ببادرة من سيفٍ أشهب^(٣) مَوْقع
على الجُهد تخذلها توال فتضرع
وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

أرطاة يناجي قبر ولده في العشي حولاً كاملاً

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، فذكر أن أرطاة كان يجيء إلى قبر ابنه عَشِيًّا فيقول: هل أنت رائحٌ معي يا ابن سلمى؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولاً، ثم تمثّل قولاً لبيد:

إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما / أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبِيّ، قال: حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني قال: قال أرطاة بن سُهَيْبَة يوماً للربيع بن قعنّب كالعابث به:

لقد رأيتك عُزباناً ومُؤْتَزِراً / فما دريتُ أنثى أنت أم ذَكَرُ
فقال له الربيع:

لكن سُهَيْبَة تدري إذ أتيتكُم / على عُريجاء لما احتلت الأزر^(٥)
فغلبه الربيع، وَلَجَّ الهجاء بينهما، فقال الربيع بن قعنّب يهجو أرطاة:

وما عاشت بُنُو عُقْفَانِ إِلَّا / بأحلام كأحلام الجوّاري
وما عُقْفَانُ من عُقْفَانِ إِلَّا / تَلُكْسُ مُظْلَمٍ بالليل ساري
إذا نَحَرَتْ بنو غِيظٍ جَزُوراً / دَعَوْهُمُ بالمراجِلِ والشُّفَارِ
طُهاة اللحم حتى يُنضِجُوهُ / وطاهي اللحم في شُغْلٍ وِعَارِ

فقال أرطاة يُجيبه ويعيره بأن أمّه من عبد القيس:

وهذا الفَسُو^(٦) قد شاركت فيه / فَمَنْ شاركت في أير الحمّار^(٧)
وأَيُّ الناس أخبثُ مِنْ^(٨) هَبَلٍ / فزاري وأخبثُ ريسح دار

(١) البانة: واحدة شجر البان، وهو شجر يسمو ويطول في استواء. وسموا معاً وارتفعوا. وفي النسخ «شمر» ولا وجه له. شبه بها راحلته التي عفرها على قبر ابنه. ودغدع: كلمة يدعى بها للعائر في معنى قم وانتعش واسلم.

(٢) في ط: «جارت».

(٣) الأشهب: النصل الذي برد برداً خفيفاً فلم يذهب سواده كله. والموقع هنا: الوقيع. والوقيع من السيوف ما شحذ بالحجر.

(٤) تكوسي: تمشي على ثلاث قوائم.

(٥) عريجاء: موضع. احتلت، كذا وردت. والمعروف «انحلت».

(٦) الفسو عرف به حي من عبد القيس يقال لهم الفساء. حكى أنه جاء رجل منهم يقال له زيد بن سلامة ببردى حبرة إلى سوق عكاظ فقال: من يشتري منا هذا الفسو بهذين البردين، فقام رجل من مهو، يقال له: عبد الله بن بيزرة فارتدى بأحدهما وانتزى بالآخر فسمى مشري الفسو ببردى حبرة فضرب به المثل فقيل «أخبث صفقة من شيخ مهو». انظر اللسان والقاموس وشرحه (مادة فسا).

(٧) نبزه بذلك لما كانت تعير به فزاره من أكل أير الحمّار. قال سالم بن دارة:

لا تأمنن فزاريا خلست به / على قلوصلك واكتبها بأسيار
لا تأمننه ولا تأمن من بوائقه / من بعد ما امتل أير العير في النار

(٨) الهبل: الثقيل المسن الكبير من الناس والإبل.

/ مسرف بن عقبة يطرد قومه ومعهم أرطاة لما استرفدوه بعد التهتهة والمديح بفوزه على أهل الحرة /
 أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز، قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر
 الهذلي، قال: قدم مسرف بن^(١) عقبة المري المدينة، وأوقع بأهل الحرة، فأتاه قومه من بني مرة وفيهم أرطاة فهتئوه
 بالظفر واسترفدوه^(٢) فطردهم ونهرهم، وقام أرطاة بن سُهَيْبَ ليمدحه فتجهَّمه بأفبح قولٍ وطرده. وكان في جيش
 مسرف رجل من أهل الشام من عذرة، يقال له عُمارة، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان، وسمع شعره،
 وعرف إقبال معاوية عليه، ورفده له، فأومأ إلى أرطاة فأتاه، فقال له: لا يغرُوك ما بدا لك من الأمير، فإنه عليلٌ
 ضجرٌ، ولو قد صَحَّ واستقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله وفعله، وأنا بك عارف، وقد رأيتك عند أمير
 المؤمنين - يعني معاوية - ولن تعد مني ما تُحب. ووَصَلَهُ وكساه وحَمَلَهُ على ناقَةٍ، فقال أرطاة يمدحه ويهجو
 مسرفاً:

لحما الله فؤدي مسرف وابن عمه /
 مررت على ربيعهما فكأنتني /
 - ويروى: «تَضَيَّقْتُ جَبَّارِينَ» -

على أن ذا العلياً عُمارة لم أجِدْ /
 جانبي يُرَدِّيه وعنس^(٤) كأنما /
 على البُعْد حُسْنُ العهد منه تَغَيَّرَا /
 بنسى فوق مثنيها الوليدان قَهَقَرَا

/ أرطاة يسب من تناولت على أمه ويضربها فيلومه قومه /
 وقال أبو عمرو الشيباني: خاضعت امرأة من بني مرة سُهَيْبَ أُمَ أرطاة بن سُهَيْبَ، وكانت من غيرهم أخيلة أخذها
 أبوه، فاستطالت عليها المرأة وسبَّتها، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها، فجاء قومه، ولاموه، وقالوا له مَالِكَ تَدْخُلُ
 نَفْسَكَ فِي خُصُومَاتِ النِّسَاءِ! فقال لهم:

يُعَيِّرُنِي قَوْمِي الْمَجَاهِلُ^(٥) وَالْخَنَاءُ /
 هل الجهل فيكم أن أعاقب بعدما /
 إذا أنا لم امنع عَجُوزِي مِنْكُمْ /
 وقد عَلِمْتُ أَفْنَاءُ^(٦) مُرَّةً أَنَّنَا /
 عليهم وقالوا أنت غير حليم /
 تُجُوزُ سَبِّي وَاسْتُحِلَّ حَرِيمِي /
 فكانت كأخرى في النساء عقيم /
 إذا ما اجتدانا^(٧) الشَّرَّ كُلَّ حَمِيمٍ

(١) مسرف: لقب مسلم بن عقبة المري، لقب به لأنه أسرف في القتل في وقعة الحرة.

(٢) استرفدوه: طلبوا الرشد وهو العطاء.

(٣) الجبار هو: الملك أو هو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً. وسرو حمير: محلهم. وبه فسر قول ابن مقبل:

يسرو حمير أبسوال البغسال به أنسي تسديت وهنا ذلك البينا

انظر «تاج العروس» مادة (سرو).

(٤) العنس: الناقة الصلبة القوية. والوليد هنا: العبد أو الغلام. والقهقر: جمع القهقرة، وهي الصخرة العظيمة. يريد: إن ما على متنيها
 من اللحم مثل الصخرة العظيمة. وقد يكون «القهقر» لغة في «القهور» كعصفور، وهو بناء من حجارة طويلة بينه الصبيان.
 «القاموس» (قهر).

(٥) المجاهل: هذا الجمع ليس له واحد يجمع عليه إلا قولهم «جهل» وفعل لا يكسر على مفاعل، فمجاهل هنا: واحد جهل على غير
 قياس، كما كسروا ملامح ومحاسن على لمحة وحسن على غير قياس.

(٦) كذا في ط. والأفناء: الأخلاط. وفي سائر الأصول «أبناء».

(٧) اجتدانا الشر: طلب إلينا الشر، وهو يريد طلب معونتنا لدفع الشر. فسمى المعونة شراً للمشكلة.

حماسة لأحساب العشيّرة كلّها إذا ذمّ يوم الرّوع كلّ مليم^(١)
وتمام الأبيات التي فيها الغناء، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سهيّة، وذكرت في قرله في قتلى من قومه قتلوا يوم
بنات قين^(٢) - هو:

فَلَا وَابَيْكَ لَا تَنْفَكُ نَبْكِ
عَلَى قَتْلَى هَذَا لَوْ أَوْ جَعْتَنَا
/ سَبْكِ بِالرَّمَاكِ إِذَا التَّقِينَا
بَطْمَنِ تَرْعُدُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ
كَأَنَّ الْخَيْلَ إِذَا أَنْسَنَ كَلْبًا^(٤)
عَلَى قَتْلَى هَذَا لَوْ أَوْ جَعْتَنَا
وَأَنْسَنَا رَجَالًا آخِرِينَ
عَلَى إِخْوَانِنَا وَدَلَى بَنِينَا
يَرُدُّ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانُ جُونًا^(٣)
يَرِينُ وَرَاءَ هُؤُوسٍ مَا يَتَغِينَا

[٤٤/١٣]

صوت

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْسَى تَخَلَّصْتُ
أَلَمْتُ فَحَيْثُ ثُمَّ قَامْتُ^(٦) فَوَدَّعْتُ
إِلَيَّ وَبَابُ السَّجَرِ بِالْقَفْلِ^(٥) مُغْلَقُ
فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ

الشعر لجعفر بن علبة الحارثي، والغناء لمعبد ثقل أول بالسبابة في معجزي النصر عن إسحاق. وذكر
عمرو بن بانه أن فيه خفيفاً ثقيلاً أول بالوسطى لابن سريج. وذكر حماد بن إسحاق أن فيه خفيف الثقل للهذلي.

مركز توثيق مكتبة التراث العربي

(١) المليم: الذي يأتي ذنباً يلام عليه.

(٢) بنات قين: أكام معروفة في ديار بني كلب كانت بها وقعة لبني فزارة على كلب زمن عبد الملك بن مروان. قال عوف القوافي:

صبحناهم غداة بنات قين
مللممة لها لجب طحونا

انظر «اللسان» (مادة قين) و«معجم ما استعجم للبكري».

(٣) البيض: السيوف. والأبدان معناه: الدروع القصيرة. والجون هنا: الحمر من كثرة الدم السائل من الجراح.

(٤) كلب: قبيلة.

(٥) كذا في ب، س. وفي جـ و«أشعار الحماسة» (طبع أوربا ص ٢٢): «دوني مغلق».

(٦) في ط: «ولت»، وكتب بهامشها: كلمة «قامت» وتحتها لفظة (صح).

[٤٥/١٣]

/ أخبار جعفر بن عتبة الحارثي ونسبه

أخبار جعفر بن عتبة الحارثي ونسبه

هو جَعْفَرُ بْنُ عُبَيْةَ بْنِ رَبِيعَةَ، بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكلاب بن معاوية^(١) بن صلاءة بن المُعَقَّل بن كعب بن الحارث بن كعب، ويكنى أبا عَارِمٍ، وعارم ابن له قد ذكره في شعره. وهو من مُحَضَّرَمِي الدولتين الأموية والعباسية، شاعرٌ مُقَلِّ غَزَلٍ فارسيٍّ مذكورٌ في قومه، وكان أبوه عتبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل: قيل: / إنه قتل في شأن أمة كانا يزورانها فتغايروا عليها. وقيل: بل في غارة أغارها عليهم. وقيل: بل ١٤٧ كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستغذوا عليه السلطان فأقاد^(٢) منه: وأخباره في هذه الجهات كلها تذكر وتنسب إلى من رواها.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربيعي، قال: حدثنا أبو مالك اليماني، قال: شرب جعفر بن عتبة الحارثي حتى سكر فأخذه السلطان فحبسه، فأنشأ يقول في حبسه:

لقد زعموا أنني سكرت ورئما يكون الفتى سكراناً وهو حليم
لعمرك ما بالسكر عاز على الفتى ولكن عاراً أن يُقال لثيم
وإن فتى دامت موثيق عهده على دون^(٣) ما لاقيته لكريم

/ قال: ثم حبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس، وكان يقال له دُورَان^(٤)، [٤٦/١٣] فقال جعفر:

إذا بابُ دورانٍ ترنم في الدجى وشدُّ بأغلاقٍ علينا وأقوال
وأظلم ليلٌ قامَ علجٌ بجلجل^(٥) يدورُ به حتى الصباحِ بإعمال

(١) كذا في جميع الأصول وفيما سيأتي في أخبار عبد يغوث ونسبه. والمعروف أن عبد يغوث أسير يوم الكلاب هو: عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة. انظر «التقاضي» ص ١٤٩ (طبع أوروبا) و«الأمال» ج ٣ ص ١٣٠ (طبع دار الكتب) و«الأغاني» ج ١٥ ص ٧٢ (طبع بولاق).

(٢) أقاد منه: قتله به.

(٣) في جد: «مثل».

(٤) كذا في جميع الأصول. ولم نهتد إلى مكان هذا السجن فيما لدينا من المصادر. وإنما المعروف - كما في «معجم ما استمعجم» و«معجم البلدان» - «دُورَان» بفتح الدال وتشديد الواو. وهم اسم سجن باليمامة. قال جرير، وقد نهى قوماً من بني كليب عن شيء وقع بينهم فلم يتنهبوا فحبسوا وقيدوا في سجن اليمامة:

لما عصتني كليب اللؤم قلت لها ذوقسي الحديد وشمسي ريح دُور
وقال السهري وقد سجن فيه:

كانت منازلنا التي كنا بها شتى فالف بيتنا دُور

راجع «معجم ما استمعجم للبكري» وكذلك «معجم البلدان لياقوت».

(٥) العلج هنا: الرجل الشديد الغليظ. والجلجل: الجرس الصغير.

وحراسُ سَوءٍ ما ينامون حَوْلَهُ فكيفَ لمظلومٍ بحيلةٍ مُخْتَالِ
ويصبرُ فيه ذو الشجاعة والندى على الذلِّ للمأمور والعُلجِ والوالي

جعفر بن علبة وعلي بن جعذب يغيران على بني عقيل

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفر وقتله في غارة أغارها على بني عقيل، فلإني نسخت خبره في ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه، قال: خرج جعفر بن علبة وعلي بن جعذب الحارثي القناني والنضر بن مضارب المَعَاوِي، فأغاروا على بني عقيل، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المَضَاق، فكانوا كلما أفلتوا من عصابة لقيتهم أخرى، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهيد فرجعت عنهم بنو عقيل، وقد كانوا قتلوا فيهم، ففي ذلك يقول جعفر:

إذا لم أَعَذَّبْ أن يجيء حمائيا / ألا لا أبالي بعد يومٍ سَخَبِلٍ^(١) [٤٧/١٣]
مُراقٍ دَمٍ لا ييسر الدهر ثاويا تركت بأعلى سَخَبِلٍ ومضيقة
وكان سناء^(٢) آخر الدهر باقيا شَفِيتُ به غيظي وجُرب موطني^(٣)
طريقي فمالي حاجة من وراثيا أرادوا ليَنُونِي فقلت تجنبوا
شَفُوا من بني القَرعاء عَمِي وخاليا فِدَى لبني عَمٍّ أجابوا لدعوتي
فراخُ القطا لا قَيْنَ صُفْرًا يمانيا كأن بني القَرعاء يوم لقيتهم
ضجيجُ دَبَارِي^(٤) اللَّيْبِ لاقت مُداويا تركناهم صَرعى كأن ضَجِيجَهُم
ليبك العُقَيْلِيَّين من كان باكيا أقول وقد أَجَلَّت من اليومِ عَرَكة^(٥)
ونضج دَمَاء منهُم ومَحَاييا فإن بَقَرِي^(٦) سَخَبِلَ لَأَمارة
- المَحَابِي: آثارهم، حَبَوْا من الضعف للجراح التي بهم -

وددت مُعَاذًا كان أتانِي فيمن أتانيا / ولم أَتُرك لي رِيَّةً غير أنني [٤٨/١٣]
- أراد: وددت أن مُعَاذًا كان أتانِي معهم فَأَقْتَلَهُ -

شَفِيتُ غليظي من خشينة بعد ما كسوتُ الهُدَيْلَ المَشْرِفِيَّ اليمانيا^(٧)
أحقًا عبادَ الله أن لست رائيا صحاري نجدٍ والسرياح الذواريا
/ ولا زائرًا شَمَّ العرائين أنتمى إلى عامر يحلُلنَ رَمَلًا مُعالييا

(١) سَخَبِل: موضع في ديار بني الحارث بن كعب. وهو الموضع الذي أدركت فيه بنو عقيل جعفر بن علبة فقاتلهم وقتل منهم كما سيأتي. ويقال لكل ما عظم واتسع سَخَبِل كالجراب والوطب.

(٢) موطني: موقي.

(٣) السناء (بالمد): المجد والشرف والرفعة. والنيب جمع ناب، والناب: الناقة المسنة.

(٤) دباري النيب: التي أصابها الدبر.

(٥) العركة: المرة من العراك.

(٦) قرى هنا: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب. وحكى البكري في «معجم ما استعجم» عن أبي حنيفة أن: قرى ماء قريبة من تبالة. وفي جميع الأصول: «بقري» وهو تحريف. وما أثبتناه عن «معجم ما استعجم للبكري» و«معجم البلدان لياقوت» و«أشعار الحماسة» (ص ١٩ طبع أوروبا).

(٧) خشينة والهذيل: شخصان كانا فيمن التقى بجعفر من العقيليين فقتل جعفر خشينة وعرقب الهذيل: ضربه في عرقوبه.

إذا ما أتيت الحارثيات فأنعني
لهن وخبرهن أن لا تلاقيا
وقود قلوصي بينهما فإنها
ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا^(١)
أوصيكم إن مسّت يوماً بعارم^(٢)
ليغني شيئاً أو يكون مكانيا

ويروى:

وعطل قلوصي في الركاب فإنها
ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا^(٣)

وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الرّيب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه. وقال في ذلك جعفر أيضاً:

وسائلة عنا بغيب وسائل
بمصدقنا في الحرب كيف نُحاول
عشية قرى سحبل إذ تعطفقت
علينا السرايا والعدو المباسل^(٤)
ففرج عنا الله مَرَحَى^(٥) عدونا
وضرب بيض المشرقية خابل
إذا ما قرى^(٦) هامّ الروس اعترامها^(٧)
تعاورها^(٨) منهم أكفّ وكاهل^(٩)
/ إذا ما رُصدنا مرصدا فرجت لنا
بأيماننا ينض جلتها الصياقل
ولما أبوا إلا المضيّ وقد راوا
بأن ليس منا خشية الموت ناكل
حلفت يميناً برة لم أرذ بها
مقالة تسميع ولا قول بساطل^(١٠)
ليختصمّن الهنْدوانسي منهم
معاقد يخشاها الطيب المزاول^(١١)
وقالوا لنا إثنان لا بدّ منهما
صدور زماح أشرعت أو سلاسل

[٤٩/١٣]

(١) قود: أكثر القيادة. والقلوص: الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء. وفي «أساس البلاغة»: «في الركاب» بدل «بينهن».
(٢) عارم: ابن جعفر بن حُلبة وبه كان يكنى. وفي «مختار الأغاني الكبير» القسم الثاني ص ٢٤٨ نسخة بالتصوير الشمسي: «أوصيهم» بدل «أوصيكم».

(٣) رواية بيت مالك بن الرّيب في «الخزانة» (ج ١ ص ٣١٩ طبع بولاق) هي:
وعطل قلوصي في الركاب فإنها
ستفلق أكباداً وتبكي بواكيا
وروايته في «الأمالي» (ج ٣ ص ١٣٨ طبع دار الكتب المصرية) هي:
وعر قلوصي في الركاب فإنها
ستفلق أكباداً وتبكي بواكيا

(٤) السرايا: جمع سرية، وهي الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة رجل. والمباسلة: المصاولة في الحرب. والبيت في «أشعار الحماسة» في إحدى روايته وفي «معجم البلدان» و «مختار الأغاني الكبير»:
ألهمني بقري سحبل حيسن أحلبت
علينا الولايا والعدو المباسل
وأحلبت: جاءت من كل أوب للنصرة. والولايا هنا: العشائر والقبائل. وفي «معجم ما استعجم»: «أحلبت» بالجم بدل «أحلبت» أي صار لها جلبة وضوضاء.

(٥) المرحى: الموضع الذي تدور عليه رحي الحرب.

(٦) قرأه: أطعمه القرى، وهو كناية عن كثرة الضرب.

(٧) اعترامها: اشتدادها.

(٨) تعاورها: تداولها.

(٩) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى فيه ست فقر. وفي جد: «احتدامها» بدل «اعترامها».

(١٠) التسميع: التشهير والتشيع. والبيت فيه إقواء.

(١١) الاختصام: القطع. وفي الأصل: «ليختصمن».

فقلنا لهم تلكم إذا بعد كرة
وقتلى نفوس في الحياة زهيدة
نُراجِعُهُمْ في قالة بدءوا بها
لهم صدرُ سيفي يوم بطحاء سجيل
تُعَادِرُ صرعى نهضها مُنْخَاذِلُ^(١)
إذا اشتجر الخطي والموت نازل
كما راجع الخصم البذي المُتَاوِلُ^(٢)
ولي منه ما ضمت عليه الأنامل

عامل مكة أخذ بحق بني عقيل ويقتل جعفر بن علبة

قال: فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر؛ فأرسل إلى أبيه علبه بن ربيعة فأخذه بهم، وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه، فأما النضر فاستقيد^(٣) منه بجراحة^(٤)، وأما علي بن جُعْدَبٍ فأفلت من الحبس، وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة^(٥): أنه قتل صاحبهم فقتل به. هذه رواية أبي عمرو.

وذكر ابن الكلبي أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي وإسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعوا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي، وهي في إيل لمولاهما في موضع يُقال له صَمْعَرُ من بلاد بَلْحَارِثِ^(٦)، فتحدثا / عندها فمالت إلى العقيلي، / فدخلتهما مؤاسفة^(٧) حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة الحارثي وخنقه العقيلي حتى صرعه، ثم تفرقا. وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم، ثم بلغهم بيت قبيل، وهو:

ألم تسأل العبدَ الزيادي ما رأى
بصمعر والعبدُ الزيادي قائم

فغضب إياس من ذلك فلقى هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي، وهو إسماعيل بن أحمر، فشجه شجتين وخنقه؛ فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم. ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي فأخذوه فضرَبوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه. وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر:

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن
فلا صلح حتى يخفق^(٨) السيف خفقة
تُعَرُّ إذا ما كان أمرٌ تحاذره
بكف فتى جرث عليه جرائره

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جُعْدَبٍ، والنضر بن مضارب، وإياس بن يزيد، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بجبر - وهو موضع بالقاعة^(٩) - فضرَبوهما ضرباً مُبرِّحاً، ثم أنصرفوا فضلُّوا عن الطريق، فوجدوا العقيليين وهم تسعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلى لهم العقيليون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعا آخر

(١) في ط: «بعد عركة».

(٢) المناقل: الذي يتحدث مع غيره ويراجعه.

(٣) استقيد منه: اقتص منه.

(٤) الجراحة: الضربة أو الطعنة.

(٥) القسامة: الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون. ويمين القسامة منسوبة إليهم. وراجع «اللسان» (مادة قسم) ففيه تفصيل واف عن القسامة.

(٦) هم بنو الحارث بن كعب، كما في «معجم البلدان».

(٧) المؤاسفة: المغاضبة.

(٨) خفق السيف: اضطرابه. وفي ط: «خفقة» بالثاء.

(٩) الذي في «معجم البلدان» و «معجم ما استعجم» أنه جبل لبني سليم. وأنشد لابن مقبل:

سل الدار من جنبي جبر فواهب إذا ما رأى هضب القلب المضيق

بَسَحَبِلْ فَاقْتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ جَعْفَرُ بْنُ عُبَيْة رَجُلًا مِنْ عَقِيلٍ يُقَالُ لَهُ خَشِينَةُ، فَاسْتَعْدَى الْعَقِيلِيُّونَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيَّ عَامِلَ مَكَّةَ، فَرَفَعَ الْحَارِثِيِّينَ ^(١) الْأَرْبَعَةَ مِنْ نَجْرَانَ حَتَّى حَبَسَهُمْ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أَفْلَتَ مِنْهُ رَجُلٌ فَخَرَجَ هَارِبًا، فَأَحْضَرَتْ عَقِيلٌ قَسَامَةً: حَلَفُوا أَنْ جَعْفَرَ قَتَلَ صَاحِبَهُمْ. فَأَقَادَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ. / قَالَ وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُبَيْة ^[٥١/١٣] قَبْلَ أَنْ يُقَتَّلَ وَهُوَ مَحْبُوسٌ:

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَتَيْتُ تَخَلَّصْتُ
الْمَتِّ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَعْتُ بَعْدَكُمْ
وَكَيْفَ وَفِي كَفِي حَسَامٌ مُذَلَّقٌ ^(٢)
وَلَا أَنْ قَلْبِي يَزْدَهِيهِ وَعَيْدُهُمْ
وَلَكِنْ عَرَنْتِي مِنْ هَوَاكَ ^(٣) صَبَابَةٌ
فَأَمَّا الْهَوَى وَالْوَدُّ مِنِّي فَطَامِحٌ
وقال جعفر بن عتبة لأخيه [ماعز] ^(٤) يحرّضه:

وَقُلْ لِأَبِي عَوْنٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ
- فِي نَسْخَةِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ:

وَدُونَهُ مِنْ عَرَضِ الْفَلَاةِ يُحَوِّلُ
وَدُونَهُ مِنْ عَرَضِ الْفَلَاةِ مُحَوِّلُ
بِالْمِيمِ، وَبِشْمِ الْهَاءِ فِي «دُونَهُ» بِالرَّفْعِ وَتَخْفِيفِهَا، وَهِيَ لَفْتُهُمْ خَاصَّةٌ -

ثَلَاثَةُ أَحْرَاسٍ مَعًا وَكُبُولٌ ^(٥)
يَبِيْتُ لَهَا فَوْقَ الْكِعَابِ صَلِيلٌ
يَعُودُ الْحَفَا أَخْفَافَهَا وَتَجُولُ
وَتَبْرَأُ مِنْكُمْ قَالَةً وَعُذُولُ
/ تَعَلَّمْ وَعَدَّ الشُّكَّ أَنِّي يَشْفُقُنِي
إِذَا رُمْتُ مَشِيًّا أَوْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعًا
وَلَوْ بِكَ كَانَتْ لَا تَبْتَعِشْتُ مَطِيئِي
/ إِلَى الْعَدْلِ حَتَّى يَصْدُرَ ^(٦) الْأَمْرُ مَصْدَرًا

(١) رفعهم: أرسلهم إلى الوالي.

(٢) الرواية في «أشعار الحماسة»: «دونني» بدل «بالقفل».

(٣) مذلّق: محدّد.

(٤) في جـ و «أشعار الحماسة» و «مختار الأغاني» و «معاهد التنصيص» (ص ٥٧ طبع بولاق): «وعيدكم». ورواية الشطر في «أشعار الحماسة»:

* وَلَا أَنْ نَفْسِي يَزْدَهِيهَا وَعَيْدُكُمْ *

وقال التبريزي في شرحه لهذا البيت: (ويروى «وعيدهم»). والأخرق هنا: الدهش فزعاً، أو هو القليل الرفق بالشيء.

(٥) كذا في جميع الأصول. وفي معاهد التنصيص وط: «ضمانة». وكتب بهامشها: ويروى:

* وَلَكِنْ مَا بِي مِنْ هَوَاكَ ضَمَانَةٌ *

والضمانة: المرض والزمانة.

(٦) زيادة عن جـ.

(٧) يشفه: يهزله ويضمّره ويذهب بعقله. والكبول: الفيود، واحداً كبل (بالفتح وبكسر). والكيل: القيد أو هو أعظم ما يكون من القيود.

(٨) في ط: «حتى تصدر» بالتاء.

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديد، فخالف هاتين الروايتين، وقال فيه: كان جعفر بن عتبة يزور نساء من عقيل بن كعب، وكانوا متجاوزين هم وبنو الحارث بن كعب، فأخذته عقيل، فكشفوا دُبُر قميصه، وربطوه إلى جُمته، وضربوه بالسياط، وكَتَفوه، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن على تلك الحال ليغيظوهن، ويفضحوه عندهن، فقال لهم: يا قوم، لا تفعلوا فإن هذا الفعل مُثَلَّةٌ، وأنا أحلف لكم بما يُنلجُ صدوركم ألا أزورَ بيوتكم أبداً، ولا أَلَجَها. فلم يقبلوا منه. فقال لهم: فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى، ومثوا علي بالكف عني فإني أعدُّه نعمة لكم ويدا لا أكفرها أبداً، أو فأقتلوني وأريحوني، فأكون رجلاً أذى قوماً في دارهم فقتلوه. فلم يفعلوا، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء، ويضربونه، ويغرون به سفهاءهم حتى شقوا أنفسهم منه، ثم خلوا سبيله. فلم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له، فدفع، راحلته حتى أولجها البيوت، ثم مضى. فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحبه، وكانت عقيل ألقى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيليون مُغتربون ليس مع أحد منهم عصاً ولا سلاح، فوثب عليهم جعفر بن عتبة وصاحبه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وأترقوا، فاستعدت عليهم عقيل السري / ابن عبد الله الهاشمي عامل المنصور على مكة، فأحضرهم وحسبهم، فأقاد من الجارج، ودافع عن جعفر بن عتبة - وكان يُحب أن يدرأ عنه الحد لخولة أبي العباس السفاح في بني الحارث، ولأن أخت جعفر كانت تحت السري بن عبد الله، وكانت حظية عنده - إلى أن أقاموا عليه قسامة: أنه قتل صاحبهم. وتوعده بالخروج إلى أبي جعفر والتظلم إليه، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه، وأفلت علي بن جعدب من السجن فهرب. قال وهو ابن أخي جعفر بن عتبة. فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد؟ فقال له: اسكت لا أم لك، إني إذا لمهيفاً^(١). وأنقطع شنع نعله^(٢) فوق فاصلحه، فقال له رجل: أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال:

أشد قبالي نعلي^(٣) أن يرايتني عديدي للحوادث مُشتكينَا

قال: وكان الذي ضرب عتق جعفر بن عتبة نخبة بن كليب أخو المجنون، وهو أحد بني عامر بن عقيل، فقال في ذلك:

شفى النفس ما قال ابن عتبة جعفر
هوى رأسه من حيث كان كما هوى
أبا عارم، فينا عرام^(٤) وشدة
هم ضربوا بالسيف هامة جعفر
وقدناه قود البكر قسراً وعنوة
/ وقال عتبة يرثي أبته جعفرأ:

لعمرك إني يوم أسلمت جعفرأ
لمتنجب حب المنايا وإنما

[٥٤/١٣]

١٥١

١١

- (١) المهيف: الذي لا يصبر على العطش.
(٢) شنع النعل: أحد سيورها، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام.
(٣) قبال النعل (بالكسر): شنعها.
(٤) كذا في الأصول ولا يستقيم بغيره الشعر، وفيه إقواء. والذي في «كتب اللغة»: أن العقاب مؤنثة. وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى، إلا أن يقولوا: هذا عقاب. ذكره في «اللسان» مادة عقب.
(٥) العرام (بالضم): الشدة والقوة والشراسة.

فراح بهم قومٌ ولا قومٌ عندهم مُغَلَّلَةٌ أيديهم في السلاسل
ورب أخ لي غاب لو كان شاهداً رآه التباليون^(١) لي غير خاذل
وقال عتبة أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر:
لعمرك إن الليل يا أم جعفر
أحاذر أخباراً من القوم قد دنت
فأجابته فقالت:

أبا جعفر أسلمت للقوم جعفرأ فمُت كَمدأ أو عِش وأنت ذليل
بنت يحيى بن زياد تكيه وتستجيد له الكفن وترثيه بأبياته

قال أبو عمرو في روايته: وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتاً ليحيى بن زياد بن عُبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قُتل فكفنته واستجادت له الكفن، وبكته وجميع من كان معها من جواريتها، وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله:

أحقاً عبادة الله أن لست رائياً صَحاريّ نجدٍ والرياح الدَّواريَا
وقد تقدمت في صدر أخباره. وفي هذه القصيدة يقول جعفر:

* وددت مُعَاذاً كان فيمن أتانيا *

/ فقال مُعَاذٌ يُحييه عنها بعد قتله، ويخاطبُ أباه، ويُعرضُ له أنه قُتل ظُلماً لأنهم أقاموا قَسامة كاذبة عليه حين [٥٥/١٣] قُتل، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلا أن عيظهم على جعفر حملهم على أن ادَّعوا القتل عليه:
أبا جعفر سَلَبَ بَنَجْرانَ واحتسب أبا عارمٍ والمُسَمَّناتِ العواليَا^(٣)
وقود قُلوصاً أنلف السيفُ ربها بغير دمٍ في القوم إلا تَماريَا^(٤)
إذا ذكرته مُعَصِر^(٥) حارثية جرى دمُعُ عَيْنَيْها على الخد صافيا
فلا تحسبن الدَّينَ يا عُلَبَ مُنْسا ولا الشائرَ الحرانَ يَنسَى التقاضيا
سنقتل منكم بالقتيل ثلاثة ونُغلي وإن كانت دماء غواليَا
تمنيت أن تلقى مُعَاذاً سفاهاة ستلقى مُعَاذاً والقضيبَ اليمانيَا
وَوَجَدْتُ الأبياتَ القافيةَ التي فيها الغناءُ في نسخةِ النَّضْرِ بنِ حديدٍ أَنَّمَا ذكره أبو عمرو الشيباني. وأولها:
ألا هَلْ إلى فتیانٍ لهوٍ ولذَّة سبيلٌ وتَهْتافِ الحمامِ المطوقِ^(٦)

(١) التبايون: المنسوبون إلى تباله، وهو بلد باليمن.

(٢) الأنقاض: جمع نقض (بالكسر)، وهو المهزول من الإبل والخيول كان السفر نقض بنيته. «ذليل» بدل «دليل» وفي «مختار الأغاني»: «هزيل».

(٣) سلب: ألبس ثياب الحداد السود. والأصل في السلب أن يكون للمرأة الذي يموت زوجها أو حميمها. يقال تسلب المرأة إذا لبست ثياب المأتم السود. والمسمنات: ذوات السمّة.

(٤) قود: اجعلها تقاد ولا تركب. والقُلوص: الشابة أو الباقية على السير، وأول ما يركب من إنائها إلى أن تنشئ ثم هي ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث. تماريا: تكديبا.

(٥) المعصر: الجارية التي بلغت عصر شبابه وأدركت.

(٦) المطوق من الحمام: ما كان له طوق في عنقه.

وشربة ماء من خَدُوراء^(١) بارد
وسيري مع الفتيان^(٢) كلَّ عشية
/ إذا كَلَحَتْ^(٣) عن نابها مَجَّ شِدْقُهَا
وأصهبَ جَوْنِيَّ كأن بَغَامَه
/ بَرى^(٤) لحمَ دَقْنِه وأدمى أَظْلَه أج
جَرى تحتَ أَظْلَالِ^(٥) الأراكِ المُسَوِّقِ
أَبَارَى مَطَايَاهُم^(٦) بصهباء سَيْلَقِ
لُغَامَا^(٧) كَمُحِّ الْبَيْضَةِ الْمُتَرْقِرِ
تَبَغُّمُ مَطْرُودٍ مِنَ الْوَحْشِ مُرْهَقِ^(٨)
تِيَابِي الْفِيَاْفِي سَمْلَقاً بَعْدَ سَمْلَقِ^(٩)

[٥٦/١٣]

١٥٢
١١

وذكر بعده الأبيات الماضية. وهذا وهم من النضر، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضة، فأتيت بكل واحدة منهما منفردة ولم أخلطهما لذلك.

علبة ينحر أولاد النوق والشياه لتصبح مع النسوة بكاء على جعفر

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لما قُتِلَ جعفر بن عتبة قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها، وألقاها بين أيديها وقال: ابكين معنا على جعفر! فما زالت النوق ترغو والشاة تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن؛ فما رُئِيَ يوم كان أوجع وأحرق مائماً في العرب من يومئذ.

صوت

/ عَلَّانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَلٌ وَاسْقِيَانِي عَلَّالاً بَعْدَ نَهَلِ^(١٠)
أَصْحَبُ الصَّاحِبِ مَا صَاحِبِي وَأَكْبَفُ اللُّومِ عَنْهُ وَالْعَذَلِ^(١١)

[٥٧/١٣]

الشعر للعجيز السلولي. والغناء لابن سُرَيْج ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حُبَيْش. وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي.

(١) خدوراء: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب ذكره ياقوت في «معجم البلدان».

(٢) في «معجم البلدان لياقوت» في روايته لهذا البيت: «أفنان» بدل «أظلال».

(٣) في ط: «وسير مع الفتيان».

(٤) كذا أصلها الشنقيطي في نسخته، وفي سائر الأصول: «ندماهم». والأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضه حمرة، وهو أن يحمز أعلى الوبر وتبيض أجوافه. وإنما خص الإبل الصهب بالذكر لأنها خير الإبل لسرعتها. والسيلق: الماضية في سيرها. ورواية البيت في «اللسان» (مادة سلق):

وسيري مع الركبان كل عشية
والأدماء من الإبل: البيضاء ذات المقلتين السوداءين.

(٥) كلحت: كشرت في عبوس.

(٦) اللغام: زيد أفواه الإبل، وهو من البعير بمنزلة البزاق أو اللعاب من الإنسان. ومع البيضاء ومحتها: صفرتها. وفي «اللسان» (مادة ملح): «وقال ابن شميل: مع البيض: ما في جوفه من أصفر وأبيض كله مع. ومنهم من قال: المحة: الصفراء. والغرقى: البياض الذي يؤكل». والمترقق: المتحرك جيئة وذهوباً.

(٧) يريد: بعيراً جونيا، وهو الأسود المشرب حمرة. وبغامة: صوته. يقال بغمت الناقة تبغم (بالكسر) بغاماً: قطعت الحنين ولم تمده. ويكون ذلك للبعير أيضاً. وتبغم (بالتشديد) لبغم. انظر «اللسان» (مادة بغم).

(٨) في سائر الأصول: «تري» بالتاء وهو تحريف. وما أثبتنا عن نسخة الشنقيطي مصصحاً بقلمه.

(٩) دفا البعير: جنباه. وأظله: باطن منسمة، أو هو باطن إصبعه. السملق: الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها.

(١٠) العل والعلل (محركة): الشربة الثانية، وقيل الشرب بعد الشرب تبعاً. والنهل (بالتحريك): أول الشرب.

(١١) العذل (بالتحريك): الاسم من عذله يعذله عذلاً فاعتذل وتعذل: لانه فقل منه وأعتب.

[٥٨/١٣]

/ أخبار العجير السلولي ونسبه

أخبار العجير السلولي ونسبه

هو - فيما ذكر محمد بن سلام - العجير بن عبد الله بن عبيدة^(١) بن كعب بن عائشة^(٢) بن الربيع^(٣) بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سلول. ونسخت نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب قال: هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول^(٤) بن مرة بن صعصعة، أخي عامر بن صعصعة. شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زبيد الطائي؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام الجُمحي، قال: حدثنا أبو الغراف^(٥) قال: كان العجير السلولي دلي عبد الملك بن مروان على ماء يقال له مطلوب^(٦)، وكان لناس من خثعم، فأنشأ يقول:

/ لا نوم إلا غرار العين ساهرة
إن لم أرَوْعَ بغيظ أهل مطلوب^(٧)
إن تشتموني فقد بذلت أيكتم
ذرق الدجاج بحفان اليعاقب^(٨)
وكنت أخبركم أن سوف يعمرها
بنو أمية وعدا غير مكذوب

[٥٩/١٣]

العجير يذهب ليلاً إلى عبد الملك حين طلبه

قال: فركب رجل من خثعم يقال له أمية إلى عبد الملك حتى دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنما أراد العجير أن يصل إليك وهو شويعر سأل^(٩). وحرّبه^(١٠) عليه. فكتب إلى عامله بأن يشد يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتسني

(١) عبيدة (بفتح العين وكسر الباء): هكذا ضبطه البخداي في «خزانة الأدب». ثم قال بعد ذلك: «ويقال ابن عبيدة بضم العين».

(٢) كذا في سائر الأصول ما عدا ط. وفي ط: «ابن عابسة».

(٣) في المؤلف والمختلف للآمدي: «... بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة وهم سلول».

(٤) في «الخزانة» ما يفيد أن «سلول» اسم امرأة؛ ففيها: «وأم بني مرة سلول بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة غلبت عليهم وبها يعرفون. وجاء في المعارف لابن قتيبة: «فأما بنو مرة فيعرفون ببني سلول وهي أمهم. منهم أبو مريم السلولي ومنهم العجير السلولي الشاعر وعبد الله بن همام الشاعر السلولي». انظر «خزانة الأدب» (ج ٢ ص ٢٩٨ طبع بلاق) والمؤتلف والمختلف (ص ١٦٦ طبع السلفية) و«المعارف لابن قتيبة» (ص ٤٢ طبع أوربا).

(٥) في الأصول: «الغراف» بالعين المهملة، وهو تحريف والتصويب من «طبقات الشعراء لابن سلام» (ص ١٣٢ طبع أوربا).

(٦) مطلوب: اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر يستقى منها بدلاء.

(٧) غرار العين: قلة نومها.

(٨) الأيكة: الفيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وذرق الدجاج: خرؤه. واليعاقب جمع يعقوب. وهو هنا ذكر الحجل. وحفان اليعاقب: فراخها.

(٩) السأل: الملحاح في السؤال.

(١٠) حرّبه: حرّضه عليه وأثار عليه حرب الغضب.

وأبعث من يبصر الأرضين والضياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حل^(١) وبل، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية.

نافع الكناني يطلبه ليقيم الحد أو يقيم عليه ذلك بنو حنيفة فيهرب

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: هجا العجير قوماً من بني حنيفة وشتهم، فأقاموا عليه البيعة عند نافع بن / علقمة الكناني، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحد وقال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحد وليكن ذلك في ملا يشهدون به لئلا يدعي عليكم تجاوز الحق. فهرب العجير منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة، فوقف له متكرراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلق بثوبه وقال:

[٦٠/١٣] / إليك سبقنا السوط والسجن، تحتنا
حيال يسامين الظلال ولقح^(٢)
إلى نافع لا نرتجي ما أصابنا
تحوم علينا السانحات وتبرح
فإن أك مجلوداً فكن أنت جالدي
وإن أك مذبوحاً فكن أنت تذبح
فسأله عن المطر وكيف كان أثره، فقال له:

يا نافع يا أكرم البرية^(٣) والله لا أكذبك العشية
إننا لقينا سنة قبيية^(٤) ثم مطرنا مطرة روية
* فنت البقل ولا رعية^(٥) *

- يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل - فقال له: أنتج بنفسك فإني سأرضي خصومك، ثم بعث إليهم فسألهم الصفع عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم. فكتب إليهم رسالة.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال:

حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن عبد الصمد السعدي قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي: أصدقت فيما قلته لابن عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا أنني قلت: فتى قد قذ السيف لا متضائل ولا رهل لبائته وبأدله^(٦)

[٦١/١٣] / هذا البيت يروي لأخت يزيد بن الطثيرة^(٧) ترثيه به -

(١) حل: حلال. وبل: مباح مطلق. وبل من برد الماء أي أن دمي يبرد صدرك. وقيل: «بل» إتياع «الحل» أي توكيد. إلا أن أبا عبيدة وابن السكيت لم يرتضيا هذا الإتياع لمكان الواو بينهما. انظر «اللسان» (مادة بلل).

(٢) حيال: جمع حائل. والحائل: الناقة التي ضربها الفحل فلم تحمل. ولقح: جمع لاقح. واللاقح: الناقة الحامل. ويسامين الظلال: يبارينها. وفي ط: «طلح» بدل «لقح» وكتب بهامشها كلمة «لقح» إشارة إلى الروايتين. وطلح: جمع طالح. والطلح: الناقة التي أجهدها السير فأصابها الكلال والإعياء.

(٣) رواية «اللسان» لهذا الشطر منسوباً إلى العجير السلولي (مادة قسا):

* يا عمرو يا كيرم البرية *

(٤) القسية: الشديدة لا مطر فيها، من القسوة.

(٥) الرعية: الماشية الراعية أو المرعية. (كما في «القاموس»).

(٦) الرهل: يقال رهل لحمه اضطرب واسترخى أو ورم من غير داء. اللبة: موضع النحر. والبادل: جمع بأدلة؛ وهي اللحمية بين العنق والترقوة. وفي «الأغاني» (ج ٨ ص ١٨٣ طبع دار الكتب) وهامش ط: «أباجله». والأباجل: جمع أبجل؛ وهو عرق غليظ في الرجل، وقيل في باطن الذراع.

(٧) في «أشعار الحماسة» (ص ٤١٦ طبع أوروبا) ذكر هذا البيت ضمن أبيات ستة منسوبة إلى العجير السلولي، لكن مع اختلاف في تقديم =

جميلٌ إذا استقبلته من أمامه
طويلٌ سطويٌّ^(٢) الساعدين عذور^(٣)
تري جارزيه يُرعدان وناره
/ يجران ثنياً^(٥) خيرها عظم جاره
تركنا أبا الأضياف في كل شتوة^(٧)
مقيماً سلبناه دريسى مُفاضة

وإن هو ولى أشعثُ الرأس جافله^(١)
على الحيّ حتى تستقلّ مراجله
عليها عداميلُ الهشيم وصامله^(٤)
على عينه لم تعد^(٦) عنها مشاغله
بمر^(٨) ومردى^(٩) كلّ خصم يجادله
وأبيض هندياً طوالاً حمائله^(١٠)

فقال هشام: هلك والله الرجل.

= الأبيات وتأخيرها وكذلك في ألفاظ بعض الأبيات. وفي «أشعار الحماسة» أيضاً (ص ٤٦٨) و «الأمالي» (ج ٢ ص ٨٥ طبع دار الكتب) و «الأغاني» (ج ٨ ص ١٨٢ طبع دار الكتب) ورد هذا البيت ضمن قصيدة لزينة بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد بن الطثرية؛ وفي هذه القصيدة أبيات مما نسب للمعجّر مع اختلاف في اللفظ أيضاً. والطثرية (ياسكان التاء)؛ هكذا ضبط ابن خلكان بالعبارة في ترجمته ليزيد بن الطثرية فقال: «والطثرية بفتح الطاء وإسكان التاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء وهي أمة ينسب يزيد المذكور إليها؛ وهي من بني طثر بن عزر بن وائل. والطثرة: الخصب وكثرة اللبن. يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زيد اللبن». وفي «القاموس وشرحه» (مادة طثر): «وطثرية (محرّكة): أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري». وقد ضبط بالقلم في ط ياسكان التاء. وفي «أشعار الحماسة» و «الشعر والشعراء» و «طبقات ابن سلام» و «الكامل للمبرّد» ضبط بالحركة ياسكان التاء أيضاً.

(١) الشعث: تلبّد الشعر واغبراره. يقال: شعث يشعث شعثاً وشعثونة فهو شعث وأشعث وشعثان إذا غبر شعره وتلبّد. وجافله هنا: من الجفال؛ وهو الشعر الكثير. ورواية البيت في «الحماسة» و «الأمالي»:

كريم إذا لاقيه مبسمنا
وإما تولى أشعث الرأس جافله

(٢) سطوي الساعدين: ذو بطش، وهو مبالغة من سطا عليه وبه سطوا وسطوة، إذا بطش به برفع اليد.

(٣) العذور: السيء الخلق. وإنما جعله عذوراً لشدة تهممه بأمر الأضياف وحرصه على تعجيل قراهم، حتى تنصب المراحل ونهياً المطاعم للضيّافان ثم يعود إلى خلقه الأول. ورواية البيت في «الحماسة» و «الأمالي»:

إذا نزل الأضياف كان عذورا
على الحيّ حتى تستقلّ مراجله

(٤) يرعدان: تصيهما الرعدة إما من خوفه لاستعجاله إياهما وإما من البرد. يخبر أنه ينحر في الشتاء والجذب. وإنما جعل له جازرين على عادتهم في جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين؛ كالبائس والمستعطي في الحلب والماتح والقابل في الاستقاء. انظر «شرح التبريزي للحماسة» ٤٧٠، وفي «اللسان»: «وللناقة حالبان أحدهما يمسك العلية من الجانب الأيمن، والآخر يحلب من الجانب الأيسر. والذي يحلب يسمى المستعطي والمعلّى، والذي يمسك يسمى البائس». والعداميل جمع عدمل: الضخم القديم من الشجر. والصامل والجميل: اليابس. ويروي «عدولي» كما في حـ و «اللسان» «مادة عدل». والعدولي هنا: نسبة إلى عدولي، وهو موضع بنواحي البحرين تنسب إليه السفن. والهشيم هنا: الشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف شاء لأنها بدون ثمر. وصامله: يابسه. يقول: على النار حطب يابس. وفي «اللسان» (مادة صمل) ورد هذا البيت منسوباً للمعجّر ولبنّت الطثرية بلفظ «عداميل» بدل «عدولي». وفي بقية الأصول: «... السنام وناصله» وهو تحريف. ورواية الشطر في الحماسة والامالي:

* عليها عداميل الهشيم وصامله *

(٥) الثنى: الناقة التي ولدت بطنين. وولدها الثاني يسمى ثنياً أيضاً. وخيرها عظم جاره يريد أن خير عظم فيها يهديه لجاره.

(٦) لم تعد: لم تصرف. يريد: لم يشغله عن نحرها ضنه بها لبصرة بقرى الأضياف والنحر لهم. وفي «الحماسة» و «الأمالي»: «بصيراً بها» يدل «على عينه».

(٧) كذا في جميع الأصول. وفي «أشعار الحماسة»: «في ليلة الصبا»، وفي «معجم البلدان»: «في ليلة الدجا».

(٨) «مر»: مائة لبني أسد بينها وبين الخوة يوم شرقي سميراء وبهجمات ابن عم المعجّر واسمه جابر بن زيد. (انظر «معجم البلدان» في رسم «مر»). وفي «أشعار الحماسة»: «مرو» وهو تحريف.

(٩) المردى في الأصل: صخرة يكسر بها النوى. يقال: فلان مردى الحروب أو الخصوم أي يرمون به فيكسرهم.

(١٠) الدريس هنا: الدرّج الخلقة. والمفاضة: الدرّج الواسعة. وأبيض هندياً: يريد سيفاً. وجعله طويل الحمائل لطول قوامه. يقول: إنه أنفق ماله فيما نشر له حمداً فلم يكن لإرثه إلا ما ذكر من السلاح. ورواية البيت في «الحماسة» و «اللسان» (مادة درس):

مضى وورثناه دريس مفاض
وأبيض هندياً طوالاً حمائله

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي: اصطحب العجير وشاعر من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعي الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، وقصد العجير رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعي وكساه ولم يعط العامري العجير شيئاً، فقال العجير:

[٦٣/١٣] / العجير يقول حين حرّمه العامري العطاء

يَا لَيْتَنِي يَوْمَ حَزَمْتُ الْقُلُوصَ لَهُ يَمَّمْتُهَا هَاشِمِيًّا غَيْرَ مَمْدُوقٍ^(١)
مَحْضُ النَّجَارِ^(٢) مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي جُعِلَتْ فِيهِ النَّبْؤَةُ يَجْرِي غَيْرَ مَسْبُوقٍ
لَا يُنْسَكَ الْخَيْرَ إِلَّا رَيْثَ يُسْأَلُهُ وَلَا يَلَاطُمُ^(٣) عِنْدَ اللَّحْمِ فِي السُّوقِ^(٤)

فلعلّت أبياته الحسن، فبعث إليه بصلة إلى مَحَلَّة قومه وقال له: قد أذاك حظك وإن لم / تتصدّ له.

العجير يشرب حتى يتشي فيأمر بنحر حمله ويقول شعراً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحمول قال: حدّثني بعض الرواة أن العجير بن عبد الله السلولي مرّ بقوم يشربون فسقّوه فلما انتشى قال: انحروا جملي وأطعمونا منه. فنحروا وجعلوا يُطعمونه ويسقونه ويغثّونه بشعر قال يومئذ، وهو:

عَلَّانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَّلَ وَاسْقِيَانِي عَلَّاءَ بَعْدَ نَهَلٍ
وَأَنْشِلَا^(٥) مَا اغْبَرَ مِنْ قَدْرِي كَمَا وَأَصْبَحَانِي^(٦) أَبْعَدَ اللَّهُ الْجَمَلِ
أَصْحَابُ الصَّاحِبِ مَا صَاحِبُنِي وَأَكْفُ الْكُومِ عَنْهُ وَالْعَذَلِ
وَإِذَا أَتَلَفَ شَيْئاً لَمْ أَقْلُ أَبْدَأُ يَا صَاحِبَ مَا كَانَ فَعَلِ

[٦٤/١٣] / قال: فلما صحا سأل عن جملة فقيل له: نحرته البارحة. فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم وهبوا له بعيراً فارتحله^(٧) وانصرف إلى أهله.

ندمه على ذلك بعد صحوه وارتحاله على بعير وهب له

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: حجّ العجير السلولي فنظر إلى امرأته وكان قد حجّ بها معه وهي تلحظ فتى من بُعِدٍ وتكلمه فقال فيها:

أَيَّارَبْ لَا تَغْفِرْ لَعُثْمَةَ ذَنْبَهَا وَإِنْ لَمْ يَعَاقِبْهَا الْعَجِيرُ فَعَاقِبْ
أَشَارَتْ وَعَقَّدُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِلَى رَاكِبٍ مِنْ دُونِهِ أَلْفُ رَاكِبٍ
حَرَامٌ عَلَيْكَ الْحَجُّ لَا تَقْرِبْنِي إِذَا حَانَ حَجُّ الْمُسْلِمَاتِ التَّوَائِبِ

(١) المذوق: الخلط. يريد أنه هاشمي صريح النسب.

(٢) النجار (بالكسر ويضم): الأصل والحسب. ومحضه: خالصه.

(٣) في جميع الأصول: «يطاعم» وهو تحريف. والتصويب عن المرحوم الشنقيطي في نسخته. والملاطمة: مفاعله من اللطم، وهو ضرب الجسد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة.

(٤) يريد أنه لا يشتري لضيفانه اللحم من السوق وإنما يذبح لهم في بيته.

(٥) انشلا: أمر من نشل اللحم ينشله (يضم الشين وكسرها) نشلا إذا أخرجه من القدر بيده من غير مفرقة فهو نشيل. والنشيل: ما طبخ من اللحم بغير توابل. وما اغبر: ما بقي.

(٦) أصبحاني: أعطيتاني الصبوح. وهو هنا ما أكل أو شرب عدوة.

(٧) ارتحله: خط عليه الرحل.

العجير بكل زواجه ابنته إلى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه

وقال ابن الأعرابي: غاب العجيرُ غيبةً إلى الشام، وجعل أمرَ ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوجه بكفء. فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أئتها فيه وأمرت خالَ الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوجه ففعل. فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير، وبرجال من قومها، وبابن عم لها يقال له قيل، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمها القيل فإنه ساعد أمها على ما أرادت، ومنع منها الفرزدق. فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال:

ألا هل لبُعْجَانِ الهَلَالِي زاجرٌ وبُعْجَانُ مَادُومُ الطَّمَامِ سَمِينُ
أليس أميرُ المؤمنين ابنَ عمها وبالحِمْوِ^(١) آسَاذُ لَهَا وَعَرِينُ
وعاذت بِحَقْوِي^(٢) عامر وابن عامر ولله قد بتت عِلْسِي يَمِينُ
تنالونها^(٣) أو يخضبُ الأرضَ منكم دم خَرَّ عنه حاجب وجبين

/ وقال أيضاً في ذلك:

إذا ما أتيت الخاضبات أكَفَّهَا عليهن مقصورُ الحجال المرووق^(٤)
فلا تدعونَ القِيلَ^(٥) إلا لمشرِبٍ رَوَاءَ وَلَكِنَّ الشَّجَاعَ الفِرْزَدَقِ
هو ابنُ لَيْبِضَاءِ الجبين نجية تَلَقَّتْ^(٦) بَطْهَرٍ لَمْ يَجِيءَ وَفَوَّاحِمْ
تداعى إليه أكرمُ الحيِّ نسوةً أطفن بكِسْرِي بيتهَا حِينَ تُطْلَقُ^(٧)
فجاءت بَعْرِيَانِ اليدين كأنه من الطَّيْرِ بَارِزٍ يَنْفُضُ الطَّلَّ أَزْرَقِ

/ قول العجير في رفيق

وقال ابن الأعرابي: كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبح، وكانا يصيبان الطريق، وفيه يقول العجير:

ومنخري عن منكيه قميصه وعن ساعديه، للأخلاء وواصل
إذا طال بالقوم المطافى تشوفه وطولُ السرى ألفتَه غير ناكلي^(٨)
دعوت وقد دب الكرى في عظامه وفي رأسه حتى جرى في المفاصل
كما دب صافي الخمر في مخ شارب يميل بعطفَيْه، عن اللَّبِّ ذاهل

(١) الحنو: حنو ذي قار قرب الكوفة.

(٢) الحقو (بالفتح وبكسر): معقد الإزار. ويسمى الإزار كذلك حقوا لأنه يشد على الحقو، كما تسمى المزادة الراوية لأنها تحمل على الراوية، وهو الجمل. والعرب تقول: «عدت بحقوه إذا عاذ به ليمتعه».

(٣) تنالونها: لا تنالونها. وحذف «لا» النافية في مثل هذا كثير.

(٤) المرووق: ذو السور. والرواق: ستر دون السقف، أو مقدم البيت. وورد في هامش ط: «المرووق الذي عليه رواق، أي ستر».

(٥) كذا في جـ وهامش ط، وفي سائر الأصول: «فلا يذعنك القيل». والقيل: اللبن يشرب في القائلة.

(٦) تلقت: علق، أي حبلى.

(٧) الكسر: جانب البيت أو الشقة السفلى. وتطلق بالبناء للمجهول من طلقت، كعنى، في المخاض أصابها وجع الولادة.

(٨) المطا هنا: التمثلي، والتمطي: السير الممتد. والتتوفة كالتتوفية: الأرض الواسعة البعيدة الأطراف وتسمى المفازة. والناكل هنا: الجبان الضعيف.

فَلَبِى لِيَشْنِي بَشْنِي لِسَانَهُ ثَقِيلِينَ مِنْ نَوْمِ غَلُوبِ الْغِيَاطِلِ^(١)
 فَقُلْتُ لَهُ قُمْ فَارْتَحِلْ لَيْسَ هَاهُنَا سِوَى وَقْفَةِ السَّارِي مُنَاخٍ لِنَازِلِ
 فقام اهتزازَ الرمح يسرو قميصه ويحسر عن عاري الذراعين ناحِلِ^(٢)

[٦٦/١٣] / وقال ابن الأعرابي: كانت للعجيز امرأة يقال لها أم خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يذآن حتى أثقل بالدين ومد يده إلى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تَقُولُ وَقَدْ غَالِبْتُهَا أُمُّ خَالِدٍ عَلَى مَالِهَا أُغْرَقَتْ دَيْنًا فَأَقْصُرُ^(٣)
 أَبِي الْقَصْرَ مَنْ يَأْوِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتِي إِلَى ضَوْءِ نَارِي مِنْ فَقِيرٍ وَمُقْتَرِ
 أَيَا مَوْقِدَيَّ نَارِي أَرْفَعُهَا لَعَلَّهَا تُشَبُّ لِمُقْصِرٍ^(٤) آخِرَ اللَّيْلِ مَقْفِرِ
 أَمِنْ رَاكِبٍ أَمْسَى بظَهْرٍ تَنُوفَةٍ أَوَارِيكَ أُمِّ مَنْ جَارِي الْمُتَنَظَّرِ
 وَلَا قِدْرَ دُونَ الْجَارِ إِلَّا ذَمِيمَةٌ وَهَذَا الْمُقَاسِي لَيْلَةً ذَاتَ مَنْكَرِ
 تَكَادُ الصَّبَا تَبْتَرُّهُ مِنْ ثِيَابِهِ عَلَى الرَّخْلِ إِلَّا مِنْ قَمِيصٍ وَمُزْرٍ^(٥)
 وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يَخَالِسَ ضَوْءُهَا كَرِيمٌ نَشَاءُ شَاخِبُ الْمُتَحَسَّرِ^(٦)

- المتحسر: ما أنكشف وتجرد من جسمه -

فِيخْبِرُنَا عَمَّا قَلِيلٍ وَلَوْ خَلَّتْ لَهُ الْقِدْرُ لَمْ نَعْجِبْ وَلَمْ نَتَخَبَّرْ

مرزوقية كبريتي (٧)

سَلِي الطَّارِقِ الْمُعْتَرِيَا أُمِّ مَالِكِ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَمَجْزَرِي^(٨)
 أَبْسُطْ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى وَأَبْذُلْ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي^(٩)
 فَلَا قَصْرَ حَتَّى يَفْرَجَ الْغَيْثُ مِنْ أَوَى إِلَى جَنْبِ رَحْطِي كُلِّ أَشْعَثِ أَغْبَرٍ^(١٠)
 / أَقْبِي الْعِرْضَ بِالْمَالِ الثَّلَادِ^(١١) وَمَا عَسَى

[٦٧/١٣]

(١) الغياطل: جمع غيطة، والغيطة هنا: غلبة النعاس.

(٢) يسرو قميصه: يلقيه عنه. يقال: سروت الثوب عن سروا وسريته إذا ألقيته عنك ونضوته.

(٣) الإقصار: الامتناع.

(٤) المقوى: الذي لا زاد معه، يقال: أقوى الرجل إذا نفذ طعامه وفني زاده.

(٥) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش وتبتزه: تجرده. والرحل بالحاء المهملة في ط، ووردت بالجيم في باقي الأصول، وهو تحريف.

(٦) يخالس: يتهز. والثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.

(٧) كلمة «صوت» ليس في ب، ج.

(٨) الطارق: الآتي بالليل. والمعتري: الذي يطيف بك يطلب ما عندك، سألك أو سكت عن السؤال. والجزر، وردت بفتح الزاي في ط خطأ والصواب كسرهما مثل مشرق ومغرب.

(٩) ورد في ج «قبل» بدل «دون».

(١٠) يفرج بكسر الراء.

(١١) الثلاد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك من مالك أو نتج. وكل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء. وهو التالذ والتليد والمتلد.

يُؤدِّي إلَيَّ الثَّيْلُ^(١) قَنِيَانٌ مَاجِدٍ كَرِيمٌ وَمَالِي سَارِحاً مَالٍ مُقْتَرٍ
- القنِيَانُ^(٢): مَا اقْتَنَى مِنَ الْمَالِ. يَقُولُ: إِنَّهُ لَبَذَلَهُ الْقَرَى كَأَنَّهُ مُوسِرٌ، وَإِذَا سَرَحَ مَالَهُ عَلِمَ أَنَّهُ مُقْتَرٌ^(٣).
إِذَا مُتُّ يَوْمًا فَاحْضُرِي أُمَّ خَالِدٍ تُرَائِكِ مِنْ طَرَفٍ وَسَيْفٍ وَأَقْدَرِ^(٤)
قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها:
* سَلِي الطَّارِقُ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَّ مَالِكِ *

لعروه بن الورد، وهي للعَجَبِ.

العَجَبِ يَفِدُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَيَقِيمُ بِيَابَهُ

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: وَفَدَ الْعَجَبِ السُّلُويُّ - وَسَلُولُ بَنُو مَرْءَةَ بْنِ صَعْصَعَةَ - عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَأَقَامَ بِيَابَهُ / شَهْرًا لَا ١٥٦
يَصِلُ إِلَيْهِ لَشَغْلٍ عَرَضَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ وَصَلَ إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَدَ:

[٦٨/١٣] / أَلَا تَلَسُّكَ أُمُّ الْهَبْرَزِيِّ تَبَيَّثَتْ عِظَامِي وَمِنْهَا نَاحِلٌ وَكَسِيرٌ^(٥)
وَقَالَتْ تَضَاءَلَتِ الْغُدَاةُ وَمَنْ يَكُنْ فَتَى قَبْلَ عَامِ الْمَاءِ فَهُوَ كَبِيرٌ^(٦)
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْعُجَيْرَ تَقَلَّبَتْ بِهِ أَبْطَنُ أَبْلَيْتِهِ وَظَهْوُورُ
فَمَنْهَنْ إِدْلَاجِي عَلَى كُلِّ كَوْكَبٍ لَهُ مِنْ عَمَانِي النُّجُومِ نَظِيرٌ^(٧)

(١) النِيل والنائل: ما نلته. ورواية ط لهذا الشطر:

* يُوْدِي إلَيَّ اللَّيْلِ قَنَوَانٌ مَاجِدٌ *

وفي مثل هذا المعنى قال الشاعر:

لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفَضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لِي بِكَ قَلِيلُ
(٢) يُقَالُ بِضَمِّ الْقَافِ وَكسرها. وفي ط: «القنوان». وهي صحيحة وقافها مضمونة، بمعنى القنيان.
(٣) في ط: «فقير».

(٤) الطرف هنا: الكريم من الخيل. والأقدر: الفرس الذي يجاوز حافراً رجله مواقع حافري يديه.

(٥) أم الهبرزي: الحمى. هكذا في «لسان العرب» و«تاج العروس» حيث روى البيت منسوباً للعَجَبِ شاهداً على ذلك، مع اختلاف في بعض ألفاظ الشطر الأول. ومثله كذلك ما أورده المحيّي في «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه» حيث قال: «أم الهبرزي هي الحمى». ثم قال في موضع آخر: «أم الهذبدي، بالدال والذال، هي الداهية والحمى». ثم أورد البيت شاهداً على ذلك مع اختلاف في بعض ألفاظ الشطر الأول كذلك. ناحل: مهزول دقيق. وفي جميع الأصول: «ناصل»، والتصويب من «لسان العرب» و«تاج العروس» وما يعول عليه. ورواية البيت في «اللسان» و«التاج» (مادة هبرز):

فَلَنْ تَلَسَّكَ أُمُّ الْهَبْرَزِيِّ تَمَصَّرَتْ عِظَامِي فَمِنْهَا نَاحِلٌ وَحَسِيرٌ
وَتَمَصَّرَتْ: اعْتَصَرَتْ. وحسير: تعب. وروايته في (ما يعول عليه):
فَمَنْهَنْ أُمُّ الْهَبْرَزِيِّ تَتَابَعَتْ عِظَامِي فَمِنْهَا نَاحِلٌ وَكَسِيرٌ
والكسير: المكسور.

(٦) عام الماء، قال أبو حنيفة: «إذا كان عام خصيب مشهور بالكلا والكمأة والجراد سمي عام الماء». انظر «المخصص» (١٠: ١٧). ورواية البيت في «اللسان» (مادة عوم):

رَأَيْتَنِي تَحَاذِبْتُ الْغُدَاةَ وَمَنْ يَكُنْ فَتَى عَامِ عَامِ الْمَاءِ فَهُوَ كَبِيرٌ
قال في «اللسان» هنا: «فسره ثعلب». فقال: العرب تكرر الأوقات فيقولون: أتيتك يوم يوم فمت، ويوم تقوم». وانظر ما سيأتي في ص ٧٥.

(٧) العماني: المنسوب إلى عمان.

وَقَرَعِي بِكَفِّي بَابَ مَلِكٍ كَأَنَّمَا / وَفِي يَوْمٍ تَبَارَى أَلْسُنُ الْقَوْمِ فِيهِمْ
بِهِ الْقَوْمُ يَرْجُونَ الْأَذِينَ نُسُورُ^(١) / لَوْ أَنَّ الْجِبَالَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ وَقَعَهَا
وَلِلْمَوْتِ أَرْحَاءُ بِهِنَ تَدُورُ^(٢) / فَرَحْتُ جَوَادًا وَالْجَوَادُ مَنَابِرُ
لَعُذْنٍ وَقَدْ بَانَتْ بِهِنَ فُطُورُ^(٣) / عَلَى جَزِيهِ، ذُو عِلَّةٍ وَيَسِيرُ

[١٩/١٣]

عطاء عبد الملك له لطول مقامه

فقال له: يا عجير ما مدحت إلا نفسك، ولكننا نعطيك لطول مقامك. وأمر له بمائة من الإبل يُعطأها من صدقات بني عامر، فكتب له بها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا محمد بن سعد الكرائي قال: حدثنا العُمري عن العُثبي قال: نظر أبي إلى فتى من بني العباس يسحب مطرف^(٤) خز عليه وهو سكران - وكان فتى متهتكاً - فحرك رأسه ملياً ثم قال: لله درُّ العَجِيرِ السُّلُويِّ حيث يقول:

وَمَا لِبَسِ النَّاسُ مِنْ حُلَّةٍ / جَدِيدٍ وَلَا خَلَقَ أُيْرَتَدَى^(٥)
كَمَثَلِ الْمُرُوءَةِ لِلْأَبْسِينِ / فَدَعَنِي مِنَ الْمُطَرَفِ الْمُسْتَدَى^(٦)
فَلَيْسَ يُغَيِّرُ فَضْلَ الْكَرِيمِ / خُلُوقُهُ أَثْوَابُهُ وَالْبَلَى^(٧)
/ وَلَيْسَ يُغَيِّرُ طَبْعَ اللَّثِيمِ / مَطَارِفُ خَمَزِ رِقَاقِ السَّيْدَى^(٨)
يَجُودُ الْكَرِيمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ / وَيَكْبُورُ اللَّثِيمُ إِذَا مَا جَرَى

[١٣/٧٠]

قوله في ابنه الفرزدق

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو القاسم اللّهي عن أبي عبيدة قال: كان العَجِيرُ السُّلُويُّ له أبن يقال له الفرزدق، وفيه يقول العَجِيرُ:

وَلَقَدْ وَضَعْتُكَ غَيْرَ مُؤَرِّكِ / مِنْ جَابِرٍ^(٩) فِي بَيْتِهَا الضَّخَمِ
وَاخْتَرْتُ أَمَّكَ مِنْ نِسَائِهِمْ / وَأَبُوكَ كُلُّ عَذُورٍ شَهْمٍ^(١٠)

(١) الأذنين: الحاجب الذي يبلغ إذن الملك للمثول بين يديه، وهو الأذن. والنسور: جمع نسر. وفي جد بالشين المعجمة، وهو تحريف. والمعنى أن طلاب المغنم يتجمعون على باب الملك مثل تجمع النسور.

(٢) الألسن: جمع لسان، و«اللسان»: المقول يذكر ويؤنث، ففي حالة التذكير يجمع على ألسنة كحصان وأحصنة، وفي حالة التأنيث يجمع على ألسن كذراع وأذرع. (انظر «اللسان» مادة لسن). ورواية البيت في جد:

وَيَوْمَ تَنَادَى أَلْسُنُ الْقَوْمِ فِيهِمْ / وَلِلْقَوْمِ أَرْحَاءُ بِهِنَ تَدُورُ

(٣) الفطور: الشقوق جمع فطر بالفتح.

(٤) المطرف (بالضم ويكسر) وأحد المطارف، وهي أردية من خر مربعة لها أعلام.

(٥) الحلة: إزار ورداء، برداً كان أو غيره. ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة. وخلق: بال، الذكر والأنثى فيه سواء.

(٦) المستدى هنا: المنسوج.

(٧) الخلوقة، بضم الخاء: البلى. وفي الأصل: «خلوقات».

(٨) السدي من الثوب: ما مد منه، وهو خلاف اللحم.

(٩) من جابر: يريد من قبيلة جابر، وجابر من آباء العَجِيرِ.

(١٠) العذور: السيم الخلق، القليل الصبر فيما يريده ويهم به.

فَلْتَن كَذِبَتِ الْمَنَحَ مِنْ مَائَةٍ فَلْتَقْبَلْنَ بِسَائِغٍ وَخَمٍ^(١)
 إِنْ النَّدَى وَالْفَضْلُ غَايَتُنَا وَنَجَاتُنَا وَطَرِيقُ مَنْ يَحْمِي

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرَانِي قال قال الحرمازي: وقف العَجِيرُ السُّلُولِي لبعض الأمراء، وقد علق به غريمٌ له من أهله فقال له:

أَتَيْتُكَ إِنْ الْبَاهِلِي يَسُوقُنِي^(٢) بِدَيْنٍ وَمَطْلُوبُ الدُّيُونِ رَقِيقُ
 ثَلَاثَتُنَا إِنْ يَسَّرَ اللَّهُ: فَائِرٌ بِأَجْرٍ، وَمُعْطَى حَقِّهِ، وَعَتِيقُ

فأمر بقضاء دينه.

[٧١/١٣]

/ بنت عمه تختار العامري عليه وتزوجه ليساره

وقال ابن الأعرابي: كانت للعَجِير بنتٌ عمٌ وكان يهواها وتهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده وقَارَبَهُ^(٣). ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ موسرٍ، فخيرها أبوها بينه وبين العَجِير، / فاختارت العامريّ ليساره، فقال العَجِيرُ في ذلك: ١٤٧
١١

إِلْمَا عَلَى دَارِ لَزِينٍ قَدْ أَتَى لَهَا يَلْوِي ذِي الْمَرْخِ صَيْفٌ وَمَرْزَعٌ^(٤)
 وَقُولَا لَهَا قَدْ طَالَ مَا لَمْ تَكَلَّمِي وَرَاعَاكَ بِالْعَيْنِ الْفُؤَادُ الْمُرَوِّعُ
 وَقُولَا لَهَا قَسَالَ الْعَجِيرُ وَخَصَّنِي إِلَيْكَ، وَإِرْسَالُ الْخَلِيلَيْنِ يَنْفَعُ
 أَنْتِ الَّتِي اسْتَوْدَعْتُكَ السَّرَّ فَاَنْتَحَى لِي الْخَوْنُ مَرَّاحٌ مِنَ الْقَوْمِ أَفْرَعُ^(٥)
 إِذَا مِتَ كَانَ النَّاسُ نِصْفَيْنِ: شَامَتٌ وَمِثْنٌ بِمَا قَدْ كُنْتَ أَشَدِّي وَأَصْنَعُ^(٦)
 وَمُسْتَلَحَمٌ قَدْ صَكَّاهُ الْقَوْمُ صَكَّةً بَعِيدِ الْمَوَالِي نَيْلٌ مَا كَانَ يَمْنَعُ^(٧)
 رَدَدْتُ لَهُ مَا أَقْرَطَ الْقَتْلُ بِالضَّحَى وَبِالْأَمْسِ حَتَّى اقْتَالَهُ فَهُوَ أَصْلَعُ^(٨)
 وَلَسْتُ بِمَسُولَاءَ وَلَا بِسَابِئٍ عُمَّةَ وَلَكِنْ مَتَى مَا أَمْلَكَ النِّفْعَ أَنْفَعُ^(٩)

(١) من مائة: يريد مائة من الإبل. «فلتقبلن» كذا في ط. وفي سائر الأصول: «فلتقبلن» وهو تحريف. بسائغ: في ط هكذا: «بسائغ» بإهمال الحرفين الأخيرين، وفي سائر الأصول: «بسائغ». الوخم: الذي لا تحمد مقبته. وفي ب وس وط: «وخم» ولا وجه له. وفي ج: «ضخم».

(٢) كذا في جميع الأصول. وكتب على هامش ط إشارة إلى نسخة أخرى: «خ استرقني». واسترقني: أدخلني في الرق أي العبودة. (٣) قاربه: قرب منه في الرأي والموافقة.

(٤) اللوى: منقطع الرمل، يقال: ألويتم فأنزلوا، وذلك إذا بلغوا لوى الرمل. وذو المرخ هنا: واد كثير الشجر قريب من فذك. (٥) انتحى: قصد. والخون: مصدر كالحيانة. ومراح مبالغة من المرح وهو نشاط الروح. وأفرع: له جمعة، وفي الشعر.

(٦) مثن في ج والشواهد الكبرى للعيني و «شرح الحماسة»، وفي بقية الأصول: «مسد». ورواية البيت في الشواهد: إذا مِتَ كان الناس صنفان: شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع

وصنفان خير الناس لا خير «كان».

(٧) المستلحم: الذي أهرق في القتال واحتوشه العدو. صكه القوم: ضربوه ضرباً شديداً. ونيل بالبناء للمجهول. أي نال القوم منه ما كان يمتعه، لضعفه.

(٨) القتل، كذا في ج، وفي بقية الأصول «القتل» بالياء بعد القاف. «اقتاله» يقال اقتاله شيئاً بشيء: بذله. وفي ج: «اقتاده»، بالذال قبل الهاء.

(٩) في ط وشواهد العيني «الضر» في مكان «النفع» وهي أبلغ في المعنى، وبيان ذلك أنه في الحالة التي يستطيع فيها أن يضر ينفع.

[٧٢/١٣] / تحجب العجير إلى امرأة من عامر فانتهبوا ماله، فشكاهم إلى محمد بن مروان

وقال ابن الأعرابي: كان العجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْلُ فألفها وعلّقها. ثم انتجع أهلها نواحي نصيبين، فتتبعها نفسه، فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً^(١)، ثم رأوه مُنازلاً مُلَازماً مُحَادَّةً تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا: قد رأينا أمرك فإما أن انقطعت عنها أو ارتحلت عنا، أو فأذن بحرب^(٢). فقال: ما بيني وبينها ما يُنكر، وإنما كنت أتحدث إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرة الكريمة، فأما الريبة فحاش الله منها. ثم عاود محادثتها؛ فانتهبوا ماله وطرده. فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان، فأثاه مُستَعْدِياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية^(٣)، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله:

عفا يافع من أهله فطلوب	واقفر لو كان الفؤاد يشوب ^(٤)
وقفت بها من بعد ما حلّ أهلها	نصيبين والراقسي الدموع طيب
وقد لاح معروف القتيير وقد بدت	بك اليوم من ريب الزمان ندوب ^(٥)
وسالمت رוחات المطي وأحمدت	مناسم منها تشتكي وصلوب ^(٦)
/ وما القلب أم ما ذكره أم صيبة	أريكة منها مسكن فهروب ^(٧)
حصان الحمى حرة حال دونها	حليل لها شاكى السلاح غضوب ^(٨)
شموس، ذو الفرقدين اقترابها،	لغبي مقاريف الرجال سبوب ^(٩)
أحقاً عبادة الله أن لست ناظراً	إلى وجهها إلا علي رقيب
عدتني العدا عنها بعيد تساعف	وما أرتجي منها إلي قريب ^(١٠)
لقد أحسنت جمل لو أن تبعتها	إذا ما أرادت أن تئيب يئيب ^(١١)
تصدين حتى يذهب اليأس بالمنى	وحتى تكاد النفس عنك تطيب

[٧٣/١٣]

(١) المجاور: الجار ولو من بعد. والمنازل: الذي ينزل بجانب بيتك. والملازم: الذي لا ينقطع عن البقاء في المنزل الذي يجاور من يهواه.

(٢) يقال أذن بهذا الأمر، أي أعلمه.

(٣) الخصوصية بفتح الخاء وضمها: اسم من خصه بخصه، أي خاصة.

(٤) يافع: مكان. وطلوب: علم لقلب عن يمين سميراء في طريق الحاج، طيب الماء قريب الرشاء. عن «معجم البلدان لياقوت». وقال أبو عبيد البكري: إنه من مياه بني عوف بن عقيل.

(٥) معروف القتيير: هو الشيب الذي لا يمكن نكرانه. ولاح: ظهر. والندوب آثار الجروح على الجلد.

(٦) المراد من سالمت رוחات المطي: أنها سلمت من عناتها في انغدو والرواح. وأحمدت: حمدت وأثنت. والمناسم: جمع منسم بفتح الميم وكسر السين: خف البعير. والصلوب بضم الصاد كما ورد في الأصول لم يعثر عليه في المعاجم، وهو جمع قياسي للصلب، والصلب يبدأ من الكاهل إلى أصل الذنب أي المؤخر.

(٧) ما: اسم استفهام. وأم: حرف عطف. وأريكة: اسم جبل بالبادية. وقال الأصمعي أريكة: ماء لبني كعب («معجم البلدان» ج ١ ص ٢١٢). وهروب: من قرى صنعاء باليمن.

(٨) الحصان: العفيفة أو المتزوجة. والحميا: الحوزة والجانب.

(٩) الشموس: الجامحة. ومقاريف الرجال: المتهمون. والسبوب: من السب والطعن.

(١٠) التساعف: الدنو والقرب والإقبال الشديد.

(١١) التبيع: المولى والناصر. وتئيب: تعطف.

- هذا البيت يروى لابن الدُمَيْنَة، وهو بشعره أشبه، ولا يُشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصّد منها، ولكن / هكذا هو في رواية ابن الأعرابي -

١٥٨
١١

وَأَنْتِ الْمُتَى لَوْ كُنْتَ تَسْتَأْنِفِينَا بخير ولكن مُعْتَفَاكَ جَدِيدُ^(١)
أَيُّكُلُ مَالِي وَأَبْنُ مِرْوَانَ شَاهِدٌ ولم يقض لي وأبن الحُسام قريب
فَتَنِي مَحْضُ أَطْرَافِ الْعُرُوقِ مَسَاوِرُ جبال العلا طلق اليدين وهوب^(٢)

فأمر محمد بن مروان بإحضار ابن الحسام الكلبي فأخضر، فحبسه حتى رد مال العجبر، وأمر العجبر بالانصراف إلى حيه وترك النزول على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجبر فيها أيضاً:

[١٣/٧٤]

/ هَاتِيكَ جُمْلُ بَارِضٍ لَا يَقْرُبُهَا إِلَّا هَبْلٌ مِنَ الْعِيْدِي مُعْتَقِدُ^(٣)
وَدُونَهَا مَعْشَرُ خَزَرٍ عِيُونُهُمْ لو تَخْمُدُ النَّارَ مِنْ حَرٍّ لَمَّا خَمِدُوا^(٤)
عَدُّوا عَلَيْنَا ذَنْوِبًا فِي زِيَارَتِهَا ليحجبوها وفي أخلاقهم نكد^(٥)
وَحَالٌ مِنْ دُونِهَا شَكْسٌ خَلَاتُفُهُ كأنه نمر في جلده الرُّيدُ^(٦)
فَلَيْسَ إِلَّا عَوِيلٌ كُلَّمَا ذُكِرَتْ أو زفرة طالما أثت بها الكبد
وَتَيَمَّنِي جُمْلُ فَاسْتَمَرَّ بِهَا شحط من الدار لا أم ولا صدد^(٧)
قَالُوا غَدَاةً اسْتَفَلَّتْ: مَا لِمَقْلَتِهِ أمن قذى هملت أم عارها رمد^(٨)
فَقُلْتُ لَا بَلْ غَدَتْ سَلْمَى لِطَيْفِهَا فليتهم مثل وجدي بكرة وجدوا^(٩)
إِنْ كَانَ وَصْلُكَ أَبْلَى الذَّهْرِ جِدْتَهُ وكل شيء جديد هالك نقد^(١٠)
فَقَدْ أَرَانِي وَوَجْدِي إِذْ تَفَارَقْنِي يوماً كوجد عجوز درعها قد^(١١)
تَبْكِي عَلَى بَطْلٍ حُمْتُ مَنِيَّتِهِ وكان واتر أعداء به ابتردوا^(١٢)
وَقَدْ خَلَا زَمَنٌ لَوْ تَصَرَّمِينَ لَهُ وضلي لا يقنت أني ميت كمد^(١٣)

(١) تستأنفيننا: تعودين إلينا بخير وتجدين العود. والمعنى: الذي يطلب فيه الحاجة.

(٢) محض أطراف العروق: خالص الأصول طاهرها. والمساو: الموائب. وفي بعض الأصول «حبال» بالحاء، أما في ط فبالجيم.

(٣) الهبل: الضخم أو الطويل يقال بكسر الهاء والباء، وبكسرهما مع فتح الباء. والعيدي: منسوب إلى فعل معروف منجب، ويقال النجائب العيدية. والمعتقد: الموثق الظهر الصبور الشديد الصلب.

(٤) خزر العيون: جمع أخزر، وهو ضيق العين، كناية عن العداوة.

(٥) النكد: الشح والعسر والبخل.

(٦) الشكس: الصعب. الريد: جمع ريدة، وهو السواد المنقطع فيه احمرار، أو الغبرة.

(٧) الشحط: البعد. والأم: القصد. وفي الأصول: «أيم». والصدد: القرب. يريد أن المسافة بعيدة وأنها أرض لا يسهل قطعها.

(٨) هملت: فاضت ودام نزول دمعها. وعارها: أصابها.

(٩) طيتها: وجهها الذي تريده ونيتها التي انتوتها. والطية: الحاجة والوطر وتكون منزلاً متوياً. وجدوا بفتح الجيم: اعتراهم الوجد، وهو الحب الشديد.

(١٠) نقد بالتحريك. وفي ط بكسر الفاء، وهو: الفاني.

(١١) القدد: القطع، جمع قدة بالكسر.

(١٢) حمت: نزلت. والواتر: المفزع المدرك الأعداء. وابتردوا، معناه في الأصل: صبوا على أجسامهم الماء أو شربوه، أي أثلجت قلوبهم لموته.

(١٣) من الكمد، وهو الحزن الشديد.

/ أزمانَ تعجَّبُني جَمَلٌ وأكْتُمُه
فقد برِئتُ على أني إذا ذُكِرَتْ
من عهد سَلَمَى التي هام الفؤادُ بها
قد قلت للكاشح المبدِي عداوتَه
ألا تُبَيِّنْ لي لا زِلْتَ تُبْغِضْني
جُملاً حياءَ، وما وجدُ كما أجد
ينهَلُ دمعِي وتَحيا غُصَّةٌ تَلَدُ^(١)
أزمانَ أزمانَ سَلَمَى طِفلةٌ رُوْدُ^(٢)
قد طالما كان منك الغِشُّ والحسد
حَتَّامٌ أنت إذا ما ساعَفْتَ ضِمْدَ^(٣)

وصية عبد الملك لمؤدب ولده أن يرويه مثل قول العجبر

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا رَوَيْتَهُمْ شعراً فلا تروهم إلا مثل قول العجبر السلولي:

يَبِينُ الجارُ حين يبين عني
وتظعنُ جارتِي من جنب بيتي
وتأمن أن أطالع حين آتي
كذلك هَذِي أبائي قديماً
فهدي هديهم وهُمُ افْتَلَوْنِي
كَمَا افْتَلَى العتيق من المِهَارِ^(٥)
لَمْ تَأْنَسْ إلَيَّ كِلَابٌ جاري
ولم تُسْتَرْ بستر من جداري^(٤)
عليها وهي واضعة الخمار
توارثه التُّجار عن التُّجار
عَلَّانِي إنما الدنيا عَلَل

/ وقال ابن حبيب أيضاً: نزل العجبرُ يقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه، فلما سكر قام إلى جملة فقعه، وأخرج كبده وجب سنامه، فجعل يشوى ويأكل ويُطْعِم ويغني:

عَلَّانِي إنما الدنيا عَلَل
وانشأ لي اللحم من قذري كما
واسقياني عَللاً بعد نهل^(٦)
واصبحاني أبعده الله الجميل^(٧)

فلما أفاق سأل عن جملة فأخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربناه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملًا وزودوه، فانصرف حتى لحق بقومه.

أخبرني عمي بهذا الخبر قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ السُّلُولِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَمِّهِ فَقَالَ فِيهِ:

مر العجبرُ بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم، وذكر باقي القصة نحواً مما ذكر ابن حبيب، ولم يقل فيها: - فلما أصبح جعل يبكي ويصيح: واغربناه! - ولكنه قال: فلما أصبح ساق قومه إليه ألفَ بغير مكانٍ بغيره.

(١) ينهل دمعِي: يشتد انصبابه. والغصة: ما يعترض في الحلق ويدفع بالماء. قال الشاعر:

لو بغير الماء حلقِي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وتلد بفتح التاء واللام، وهي لغة في التلاد، وهو القديم.

(٢) الرود: الشابة الحسنة. وانظر ما مضى من الكلام على تكرار الظرف في حواشي ص ٦٨.

(٣) الضمد، يقال ضمد فلان على فلان: حقد عليه.

(٤) في ط «حذار» بالحاء بدل الجيم.

(٥) افتلوني، يقال فلا الصبي والمهر فلوا وأفلاه وافتلاه: عزله عن الرضاع وفصله. وافتلته: فطمته أي: فطموني عن جهل الصبا وعقلت. والعتيق: الفرس الرائع الكريم. والمهارة، بكسر الميم: جمع مهر بالضم، وهو ولد الفرس.

(٦) عللاني: أشغلاني بطعام وحديث ونحوهما. والعلل: الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول.

(٧) انشأه: أخرجاه باليد من غير مغرفة. أصبحاني: اسقياني الصبح من لبن النوق.

سليمان بن عبد الملك يمجّب بشعر العَجِير ويأمر له بثلاثين ألفاً ردها على قومه ووهبها لهم

أخبرني عمّي وحبيب بن نصر المهلبّي قالاً: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثني الحكم بنُ موسى بن الحسين السُّلُولِي قال: حدّثني أبي عن عمه قال: عرض العَجِيرُ لسليمان بن عبد الله وهو في الطواف، وعلى العَجِير بُرْدان يساويان مائة وخمسين ديناراً، فانقطع شِسْعُ^(١) نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

وَدَلَيْتُ دَلْوِي فِي دِلَاءِ كَثِيرَةٍ إِلَيْكَ فَكَانَ الْمَاءُ رِيَّانَ مُعْلَمًا^(٢)

/ فوقف سليمان ثم قال: لله درّه ما أفصحّه، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلماً، والله إنه ليُخَيَّلُ إليّ [٧٧/١٣] أنه العَجِير، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك. فقليل له: هو العَجِير. فأرسل إليه: أن صِر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه، فردّها العَجِير عليهم ووهبها لهم.

رثاء العَجِير لابن عمه

أخبرني الحرّمي بنُ أبي العلاء قال: حدّثني هرون بن موسى الفروي^(٣) قال: كان ابن عم للعَجِير السُّلُولِي إذا سمع بأضياف عند العَجِير لم يَدْعُهُمْ حتى يأتي بجزور كوما^(٤)، فيطعن في لُبّها عند بيته، فيبيتون في شواء وقدير^(٥)، ثم مات، فقال العَجِير يرثيه:

تَرْكْنَا أَبَا الْأَضْيَافِ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا بِمَرٍّ وَمِرْدِي كُلِّ خَصْمٍ يَجَادِلُهُ^(٦)
وَأَرْعِيهِ سَمْعِي كُلَّمَا ذُكِرَ الْأَمْسَى وَفِي الصَّدْرِ مِنِّي لَوْعَةٌ مَا تَزِيلُهُ
وَكُنْتُ أَعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَن بَكَى فَأَنْتَ عَلَى مَن مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهُ

هكذا ذكر هرون بن موسى في هذا الخبر، والبيت الثالث من هذه الأبيات للشمر دل بن شريك لا يُشَكُّ فيه، من قصيدة له طويلة. فيه غناء قد ذكرته في أخباره.

قصيدة

فَتَاةٌ كَسَانُ رَضَابِ الْعِيَرِ فِيهَا يُعَلُّ^(٧) بِهِ الزَنْجِيلُ
قَتَلْتُ أَبَاهَا عَلَى حَبْهَا فَتَبَخَّلُ إِنْ بَخَلْتُ أَوْ تُنِيلُ

الشعر لخزّمة بن نهد، والغناء لطويس. خفيف رمل بالنصر عن يحيى المكي.

(١) الشسع: قبال النعل، والقيال ككتاب: زمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

(٢) الريان: الكثير. المعلم: ما فيه علامة، أراد أنه مشهور معروف.

(٣) الفروي: نسبة إلى جد له يقال له «أبو فروة».

(٤) الكوما: الناقة العظيمة السنام.

(٥) القدير: ما يطبخ في القدر.

(٦) مر، بفتح الميم: مائة لبني أسد مات بها جابر بن زيد، وهو أبن عم العَجِير. انظر «معجم البلدان» (مر) حيث أنشد المروية. وفي

بعض الأصول: «بصر» تحريف. ومردى الخصومة والحرب: الصبور عليهما.

(٧) يعمل به: يخلط.

[٧٨/١٣]

/ أخبار خزيمة بن نهدي ونسبه

١٦٠ / أخبار خزيمة ونسبه

١١

هو خزيمة بن نهدي بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية. وفاطمة التي عنها في شعره هذا: فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوجه إياها، فقتله غيلة. وإياها عني بقوله:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنون^(١)

خزيمة يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة

أخبرني بخبره محمد بن خلف وكيح قال: حدثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدثني عمي قال حدثني أبي - أظنه عن الزهري - قال: كان بدء تفرق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق، وخروج من خرج منهم عن نسبه، أنه كان أول من ظعن عنها وأخرج منها قضاة بن معد. وكان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهدي بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة بن معد كان مشؤوماً فاسداً، متعرضاً للنساء، فعلق فاطمة بنت يذكر بن عنزة - واسم يذكر عامر - فشبب بها وقال فيها:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنون

وحالت دون ذلك من همومي هموم تخرج الشجن الدفينا /

أرى ابنة يذكر ظننت، فحللت جنوب الحزن يا شحطاً مينا^(٢)

[٧٩/١٣]

مقتل يذكر بن عنزة وإشعاله الشربين قضاة ونزار

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمة بن نهدي قال ليذكر بن عنزة: أحب أن تخرج معي حتى تأتي بقرظ. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمة بن نهدي بيذكر بن عنزة قتله، فلما رجع - وليس هو معه - سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شر بين قضاة ونزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، ولم يصح على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهدي:

فتاة كأن رضاب العبير بفيها يُعل به الزنجيل^(٣)

قتلت أباهما على حبها فتبخل إن بخلت أو تنيـل

(١) الجوزاء: برج في السماء. أردفت الثريا: ردفها وتلتها، وذلك يكون في شدة الحر فتكبد السماء في آخر الليل، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ويتفرق الناس في طلبها. وظنه محتمل أمرين: أن تكون مجاورة له، فهي حيث لا تفارقه مع أهلها لطلب الماء. وقد تكون في موطن آخر، فهو متوقع أن يجمع بينهما ماء من المياه. انظر «الأزمة والأمكنة» (٢: ١٣٠ - ١٣١).

(٢) ظننت: رحلت. والحزن: ما غلظ من الأرض. والشحط المبين: البعد الفني.

(٣) بهامش ط: «العصير».

فلما قال هذين البيتين تثار الحيات فاقتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزار بن معد وهي يومئذ تنتسب فتقول كندة بن جندة بن معد. وحاء وهم يومئذ ينتمون فيقولون حاء بن عمرو بن أذ بن أدد. وكانت قضاة تنتسب إلى معد، وعك يومئذ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن أذ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. وكانوا يتبدون^(١) من تهامة إلى الشام، وكانت منازلهم بالصفاح، وكان مَرَّ وعُسفان لربيعة بن نزار، وكانت قضاة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة. وإياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله:

/ إذا سلكت غمر ذي كندة مع الصبح قصداً لها الفرقد^(٢)
هنا لك إما تعزى الهنسى وإما على إثرهم تكمد^(٣)

وكانت منازل حاء بن عمرو بن أدد، والأشعر بن أدد، وعك بن عدنان بن أدد، فيما بين جدة إلى البحر.

القارظان

قال: فيذكر بن عترة أحد القارظين^(٤) اللذين قال فيهما الهذلي:

/ وحتى يؤوب القارظان كلاهما ويُنشرف في القتلى كليب لوائل

والآخر من عترة، يقال له أبو رهم، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعرف له خبر.

انهزام قضاة وقتل خزيمة بن نهد

قال: فلما ظهرت نزار^(٥) على أن خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عترة قاتلوا قضاة أشد قتال، فهزمت قضاة وقتل خزيمة بن نهد وخرجت قضاة متفرقين، فسارت تيمم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة، وفرقة من بني ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، وبها يومئذ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجلتتهم، فقال في ذلك مالك بن زهير:

نزعنا من تهامة أي حيي فلم تحفل بذلك بنو نزار
ولم أك من أنيسكم ولكن شرينا داراً آتية بدار

الزرقاء بنت زهير تتحدث بقول الكهان في الرحيل والنزول بأرض عبقر

/ فلما نزلوا هجر قالوا للزرقاء بنت زهير - وكانت كاهنة - ما تقولين يا زرقاء؟ قالت: «سَعَفٌ»^(٦) وإهان، وتمر^(٧) ٨١/١٣ وألبان، خير من الهوان». ثم أنشأت تقول:

ودع تهامة لا وداع مُحَالِق بذمامه لكن قلبي وملام^(٧)
لا تنكري هجراً مقام غريبة لن تعدمي من ظاعنين تهام^(٨)

(١) يتبدون: ينزلون البادية.

(٢) وفي «ديوان عمر بن أبي ربيعة» طبع أوربا «قصداً» بالرفع، وفي «معجم البلدان» بالنصب.

(٣) في «معجم البلدان» و «ديوان عمر بن أبي ربيعة»: «الفواد» بدل «الهوى».

(٤) القرظ محرقة: ورق السلم أو ثمر السنط. والقارظ: مجتنبه.

(٥) ظهر على الشيء: عرفه.

(٦) الإهان: العرجون.

(٧) المخالقي: الذي يعاشر الناس على أخلاقهم.

(٨) لا تكرهي المقام الجديد الغريب في هجر فستجدين معك مسافرين من تهامة.

فقالوا لها: فما ترين يا زرقاء؟ فقالت: «مُقامٌ وتُتوخ، ما وُلِدَ مولودٌ وأنْفَقَتْ»^(١) فروخ»^(٢)، إلى أن يجيء غراب أبقع، أصمغ»^(٣) أنزع»^(٤)، عليه خلخالاً ذهب، فطار فألهب»^(٥)، ونَعَقَ فَنَعَب، يقع على النخلة السَّحُوق»^(٦)، بين الدُّور والطريق، فسيروا على وَتيرة، ثم الحيرة الحيرة»^(٧). فسميت تلك القبائل تُتوخ لقول الزرقاء: «مقام وتُتوخ». ولحق بهم قوم من الأزْد فصاروا إلى الآن في تنوخ، ولحق سائر قضاة موت ذريع؛ وخرجت فرقة من بني حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة يقال لهم: بنو تَزِيد، فنزلوا عُبَقَر من أرض الجزيرة، فنسج نساؤهم الصُوف وعملوا منه الزرابي»^(٨)؛ فهي التي يقال لها العبقرية، وعملوا البرود التي يقال لها التزديدية»^(٩). وأغار عليهم الترك، فأصابتهم وسبَّت منهم. فذلك قول عمرو بن مالك:

أَلَا لَّهِ لَيْلٌ لَّمْ تَنَمُّهُ عَلَى ذَاتِ الْخِضَابِ مُجَنِّينَا^(٩)
وَلَيْلٌ شَابِمًا دَلَمْ تَنَمُّهَا كَلَيْلَتِنَا بِمِيفَارِقِينَا^(١٠)

[١٣/٨٢] / بهراء تلحق بالبرك وتهزمهم

وأقبل الحارث بن قُرَادِ البهراني ليعيث في بني حُلوان، فعرض له أَبَاغُ بن سُلَيْحٍ صاحبُ العَيْنِ»^(١١)، فاقتتلا، فَقُتِلَ أَبَاغُ، ومضت بهراء حتى لحقوا بالترك، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تَزِيد. فقال الحارث بن قُرَادِ في ذلك:

كَأَنَّ الدَّهْرَ جُمِعَ فِي لَيْالٍ ثَلَاثِ بَثْنٍ بِشَهْرِ زُورٍ^(١٢)
صَفَقْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ مَعْدٍ صَفُوفًا بِالْجَزِيرَةِ كَالسَّعِيرِ

سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين

وسارت سُلَيْحُ بنُ عمرو بن الحاف بن قُضاعة يَقُودُهَا الْحَذْرَجَانُ بنُ سَلَمَةَ حتى نزلوا ناحية فِلَسْطِينَ على بني أَدَيْنَةَ بنِ السَّمِينِ من عاملة. وسارت أسلم بن الحاف وهي عُدْرَةٌ وَنَهْدٌ وَخَوْنَكَةٌ وَجُهَيْنَةُ وَالْحَارِثُ بنُ سَعْدٍ، حتى نزلوا من الْحِجَرِ إلى وادي الْقَرَى، ونزلت تنوخ / بالبحرين ستين. ثم أقبل غرابٌ في رجله حَلَقَتَا ذَهَبٍ وَهَمَ فِي مَجْلِسِهِمْ، فَسَقَطَ عَلَى نَخْلَةٍ فِي الطَّرِيقِ، فَيَنَعَقُ نَعَقَاتٍ ثُمَّ طَارَ؛ فَذَكَرُوا قَوْلَ الزَّرْقَاءِ، فَارْتَحَلُوا حَتَّى نَزَلُوا الْحِيرَةَ.

(١) أنفقت فروخ، بالنون والقاف: ثقت بيضها وخرجت.

(٢) الفروخ: جمع فرخ: وهو ولد الطير.

(٣) الأصمغ: صغير الأذن.

(٤) الأبرع: منحصر الشعر من جانبي الجبهة.

(٥) ألهب: اشتد في طيرانه كما يلهب الفرس في عدوه.

(٦) السحوق: الطويلة.

(٧) الزرابي: الوسائد والبسط، أو كل ما اتكىء عليه.

(٨) في ط «الزديدة» وهو تحريف.

(٩) المجنون: الذين انقطعت ألبان إبلهم.

(١٠) ميفارقين بفتح أوله وتشديد ثانيه: أشهر مدينة بديار بكر.

(١١) أي العين المشهورة بعين أبَاغ.

(١٢) شهرزور: معنى شهر بالفارسية: المدينة. قال مسعر بن مهلهل الأديب: شهرزور: مدينتان وقرى فيها مدينة كبيرة، وهي قصبتها في وقتنا هذا يقال لها نيم أُرْزَاي. ومن طريق ما ورد فيها قول أبي محمد جعفر بن أحمد السراج:

وَعَدْتُ بِأَنْ تَزُورِي بَعْدَ شَهْرٍ فَزُورِي قَدْ تَقْضِي الشَّهْرَ زُورِي
وَمَوْعِدٌ بَيْنَنَا نَهْرُ الْمَعْلَى إِلَى الْبَلَدِ الْمَسْمُومِ شَهْرُ زُورٍ
فَأَشْهَرُ صَدِّكَ الْمَحْتَمُومِ حَقٌّ وَلَكِنْ شَهْرٌ وَصَلَكَ شَهْرُ زُورٍ

فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ اخْتَطَّهَا^(١): مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ. واجتمع إليهم لَمَّا ابْتَنَوْا بِهَا الْمَنَازِلَ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ سَقَّاطِ^(٢) الْقُرَى، فَأَقَامُوا بِهَا زَمَانًا؛ ثُمَّ أَغَارَ عَلَيْهِمْ سَابُورُ^(٣) الْأَكْبَرُ، فَقَاتَلُوهُ فَكَانَ شَعَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ: يَا آلَ عِبَادِ اللَّهِ! / فَسُمُّوا الْعِبَادَ، [٨٣/١٣] وَهَزَمَهُمْ سَابُورٌ، فَصَارَ مَعْظَمُهُمْ وَمَنْ فِيهِ نَهَوْضٌ إِلَى الْحَضَرِ مِنَ الْجَزِيرَةِ يَقُودُهُمُ الضَّيِّزُ بْنُ مَعَاوِيَةَ التَّنُوخِي، فَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْحَضَرُ وَهُوَ بِنَاءُ بِنَاءِ السَّاطُرُونَ^(٤) الْجُرْمُقَانِي، فَأَقَامُوا بِهِ، وَأَغَارَتْ حِمِيرٌ عَلَى بَقِيَّةِ قِضَاعَةَ، فَخَيَّرُوهُمْ بَيْنَ أَنْ يُقِيمُوا عَلَى خَرَجٍ يَدْفَعُونَهُ إِلَيْهِمْ أَوْ يَخْرُجُوا عَنْهُمْ، فَخَرَجُوا عَنْهُمْ، وَجَزَمَ وَالْعَلَفَ، وَهُمْ بَنُو زَبَّانَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلَوَانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الرِّحَالَ الْعِلَافِيَّةَ، - وَعَلَفٌ لَقَبَ زَبَّانَ - فَلَحَقُوا بِالشَّامِ، فَأَغَارَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَانْهَزَمُوا^(٥) فَلَحَقُوا بِالسَّمَاءِ، فَهِيَ مَنَازِلُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ.

قصيدة

إِنِّي أَمْرٌ كَفَّنِي رَبِّي وَتَزَهَّنِي عَنْ الْأُمُورِ الَّتِي فِي غَيْبِهَا وَخَسَمُ^(٦)
وَأَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا عَاشَ الرِّجَالُ وَعَاشَتْ قَبْلِي الْأُمَمُ
الشعر للمغيرة بن حبناء، من قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة، والغناء لأبي العباس بن حمدون، ثقیلٌ أَوَّلُ
بالبنصر، وهو من مشهور أغانيه وجيدها.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١) اختطها: وضع أساسها.
(٢) السقاط بضم السين المشددة: جمع ساقط، وهو النازل على القوم. وفي «اللسان»: «يقال سقط إليّ قوم: نزلوا عليّ».
(٣) سابور: ملك من ملوك الفرس.
(٤) الساطرون: ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الأكتاف، وسمي بذلك لأنه كان يخلع أكتاف الأسرى.
(٥) السماء: موضع بين الكوفة والشام.
(٦) الوخم: الضار الذي لا يوافق.

[٨٤/١٣]

/ نسب المغيرة بن حنناء وأخباره

المغيرة بن حنناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وحنناء لقب غلب على أبيه وأسمه جبير بن عمرو، ولقب بذلك لحنين^(١) كان أصابه. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأبوه حنناء بن عمرو شاعر، وأخوه صخر بن حنناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الأعجم فاكتر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحد منهما صاحبه، كانا متكافئين في مهاجتهما يتتصف كل واحد منهما من صاحبه.

مديحه لطلحة الطلحات

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني الحسن بن جهور عن الحرمازي قال: قدم المغيرة بن حنناء على طلحة الطلحات الخزاعي ثم الملقحي، أحد بني ملبح، فأنشده قوله فيه:

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي
وأبذل نفسي في مواطن غيرها
حفاظاً وتمسكاً لما كان بيننا
رأيتك ما تنفك منك رغبة
أراني إذا استمطرت منك رغبة
// وأذليت دلوي في دلاء كثيرة
/ ولست بلاقي ذا حفاظ ونجدة
فإن تدن مني تدن منك مودتي

١٦٣

١١

[٨٥/١٣]

قال: فلما أنشده هذا الشعر، قال له: أما كنا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا. فأمر طلحة خازنه فأخرج دُرْجاً فيه حجارةً ياقوت، فقال له: اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألف درهم. فقال: ما كنت لأختار حجارةً على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال. فلما قبضه سأله حجراً منها، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم. ثم مدحه، فقال:

أرى الناس قد ملؤا الفُعال ولا أرى
بنبي خلف إلا رِواء الموارِد^(٥)

(١) الحنين: ورم في البطن.

(٢) التمسك: الصيانة.

(٣) تقصر دوني: لا تصل إلي.

(٤) استمطرت رغبة: طلبت. والرغبة: ما يرغب فيه. والعجاج: الغبار. والساقى: الريح التي تحمل التراب، أو الغبار نفسه.

(٥) الرواء: من الري. والرواء بفتح الراء: الماء العذب.

إذا نفَعُوا عَادُوا لِمَنْ يَنْفَعُونَهُ
 إذا ما انجلت عنهم غمامةُ غمرة
 وكائن ترى من نافع غير عائد^(١)
 من الموت أجلت عن كرام مَداود^(٢)
 وماجدُهم يعلو على كل ماجد
 تسود غطاريِف^(٣) الملوك ملوكهم

مديحة للمهلب بن أبي صفرة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا المغيرة بن محمد المهلب عن رواة باهلة، أن المهلب بن أبي صفرة لما هَزَمَ قطري بن الفجاءة بسابور^(٤) جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهشون وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبياء في أخرياتهم فأنشده:

/ حال الشجا دون طعم العيش والسهل
 واستحققتك^(٥) أمور كنت تكرها
 وفي الموارد للاقوام تهلكة
 ليس العزيز بمن تُغشى محارمه
 واعتاد عينك من إدمانها الدُر^(٦)
 لو كان ينفع منها التأني والحذر
 إذا الموارد لم يُعلم لها صدر^(٧)
 ولا الكريم بمن يُجفى ويختقر

حتى انتهى إلى قوله:

أَمسى العبادُ بشرًا لا غياثَ لهم
 كلاهما طيبٌ تُرجى نوافله
 لا يُجمدانِ عليهم عند جهدهم
 هذا يذودُ ويحمي عن ذمارهم
 واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوُّ بهم
 وأنت رأسُ لأهل الدين متخَبٌ
 إن المهلب في الأيام فضله
 حزمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفه
 ماضٍ على الهول ما ينفك مرتحلا
 سهلُ الخلائق يعفو عند قدرته
 إلا المهلبُ بعد الله والمطرُ
 مباركٌ سيئُهُ يرجى ويُنتظر^(٨)
 كلاهما نافعٌ فيهم إذا افتقروا^(٩)
 وذو يعيش به الأنعام والشجر^(١٠)
 فلا ريبَ عنهم تُرجى ولا مضرُ
 والرأسُ فيه يكون السمع والبصر
 على منازلٍ أقوام إذا ذكروا
 فيها يُعدُّ جسيمُ الأمر والخطر
 أسبابُ معضلةٍ يعيا بها البشر^(١١)
 منه الحياءُ ومن أخلاقه الخقرُ

(١) وكائن: بمعنى كم، أي كثير. هؤلاء القوم يكررون النفع ويعودون وغيرهم ينفع مرة واحدة.

(٢) الغمرة: الشدة. والمداود: جمع مذود وهو الكثير الذود والدفع عن العشيرة.

(٣) الغطاريِف: جمع غطريف: وهو السيد الشريف والسخي السري.

(٤) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس.

(٥) الدُر: جمع درة بالكسر. هي كثرة اللبن، والمراد هنا انسكاب الدموع بغزارة.

(٦) استحققتك: ادخرتك.

(٧) الموارد: جمع مورد، وموارد الأمور: مداخلها. يقول: من لم يعرف عاقبة أمره الذي دخل فيه هلك.

(٨) السيب: العطاء.

(٩) لا يجمدان: لا ييخلان.

(١٠) الذمار بكسر الهمزة: ما يلزمك حفظه وحمايته.

(١١) مرتحلا: راكباً، أي هو يركب المعضلات من الأمور حتى يذلها ويسهلها.

<p>يُخْزِي بِهِ اللَّهُ أَقْوَاماً إِذَا غَدَرُوا حَزْماً وَعِزْماً وَيَجْلُو وَجْهَهُ السَّفَرُ لَوْلَا يَكْفِكُفُهَا عَنْ مِصْرِهِمْ دَمَرُوا^(١) كَأَنَّمَا بَيْنَهُمْ عِشْمَانُ أَوْ عِمْرُ إِذَا تَكَتَّفَهُمْ^(٢) مِنْ هَوْلِهَا ضَرَرُ يَتَنَابِ نَائِلُهُ الْبَادُونَ وَالْحَضَرُ</p>	<p>/ شَهَابٌ حَرِبَ إِذَا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِ تَزِيدُهُ الْحَرْبُ وَالْأَهْوَالُ إِنْ حَضَرَتْ مَا إِنْ يَزَالُ عَلَى أَرْجَاءِ مُظْلِمَةٍ / سَهْلٌ إِلَيْهِمْ حَلِيمٌ عَنْ مَجَاهِلِهِمْ كَهَفْتُ يَلُودُونَ مِنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ بِهِ أَمِنْ لَخَائِفِهِمْ فَيَضُّ لَسَانَهُمْ</p>	<p>[٨٧/١٣]</p> <p>١١</p>
---	---	--------------------------

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشعر، لا ما نُعَلِّلُ به، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد، وزاده في عطائه خمسمائة درهم.

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبار المغيرة، من قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضاً. وأولها:

<p>أَقْوَتْ وَأَقْفَرَتْ مِنْهَا الطُّفُفُ وَالْعِلْمُ^(٣) عَفَى مَعَالِمَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِيمُ^(٤) إِذَا طَرِبَتْ أَثَافِي الْقَدْرِ وَالْحُمَمُ^(٥) إِذَا أَلَمَ بِهِ مِنْ ذِكْرِهَا لَمَمُ^(٦) هَمٌّ تَضِيقُ بِهِ الْأَحْشَاءُ وَالْكَظَمُ^(٧) يَبْدِي وَيُظْهِرُ مِنْهُمْ بَعْضَ مَا كَتَمُوا عَنْ الْأُمُورِ الَّتِي فِي غَيْبِهَا وَخَمُ^(٨) عَاشَ الرِّجَالُ وَعَاشَتْ قَبْلِي الْأُمَمُ</p>	<p>أَمِنْ رَسُومٍ دِيَارٍ هَاجَكَ الْقِدَمُ وَمَا يَهْيُجُكَ مِنْ أَطْلَالٍ مَنْزِلَةٍ بِئْسَ الْخَلِيفَةُ مَنْ جَارٍ تَضُنُّ بِهِ دَارُ الَّتِي كَادَ قَلْبِي أَنْ يُجَنَّ بِهَا إِذَا تَذَكَّرَهَا قَلْبِي تَضِيقُهَا / وَالْبَيْنُ حِينَ يَرُوحُ الْقَلْبُ طَائِفُهُ إِنِّي أَمْرٌ كَفَنِي رَبِّي وَأَكْرَمَنِي وَإِنَّمَا أَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا</p>	<p>[٨٨/١٣]</p>
---	---	----------------

سبب قوله قصيدة الصوت

وهي قصيدة طويلة، وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيهِ في جيشٍ لقتال الأزارقة، وقد شددت منهم طائفةٌ تُغَيِّرُ على نواحي الأهواز، وهو مقيمٌ يومئذٍ بسابور، وكان فيهم المغيرة بن حبياء، فلما طال مُقَامُهُ واستقر الجيش لحق بأهله، فَأَلَمَ بِهِمْ وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ شَهْرًا، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب فقبل له: إن الكتاب خطُّوا على اسمه، وَكُتِبَ إِلَى الْمَهْلَبِ أَنَّهُ عَصَى وَفَارَقَ مَكْتَبَهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشدته هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره، وأمر بإطلاق عطائه وإزالة العتب عنه، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

- (١) يكفكفها: يردّها. دمروا: هلكوا.
- (٢) يلودون: يلحنون. تكتفهم واكتفهم: أحاط بهم.
- (٣) الرسوم: الآثار أو بقيتها. أقوت: خلت وأقفرت. والطف والعلم: موضعان. الأرواح: الرياح.
- (٤) الديم جمع ديمة بكسر الدال: مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق، أو يدوم خمسة أيام.
- (٥) الخليفة هنا: الخلف والبدل. الأثافي: جمع أثفية بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه: الحجارة الثلاثة التي توضع عليها القدر. والحمم بضم الحاء واحذته حممة: الفحمة.
- (٦) أَلَمَ بِهِ: نَزَلَ بِهِ. واللمم: الجنون.
- (٧) الكظم: مخرج النفس.
- (٨) غبها: عاقبة فعلها. والوخم: المكروه.

ما عاقني عن قُقولِ الجندِ إذ قفلوا	عَيَّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ
ولسو أردتُ قفولاً ما تَجَّهمني	إذنُ الأمير ولا الكتابُ إذ رَقَمُوا ^(١)
إنسي ليعرفني راعي سريهم	والمُحَدِّجون إذا ما ابتَلت الحُرُمُ ^(٢)
والطالبون إلى السلطان حاجتهم	إذا جفا عنهم السلطان أو كَزَمُوا ^(٣)
فسوف تُبْلَغُكَ الأنباء إن سلِمْتَ	لك الشواحيج والأنفاس والأدم ^(٤)
إن المهلب إن أشتق لسرويته	أو امتدحه فإن الناس قد علموا
إن الكريم من الأقوام قد علموا	أبو سعيد إذا ما عُدَّت النعم
والقائلُ الفاعلُ الميمون طائره	أبو سعيد وإن أعداؤه رَغَمُوا
/ كم قد شهدتُ كراماً من مواطنه	ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا ^(٥)
أيامَ أيامٍ إذ عض الزمان بهم	وإذ تمنى رجال أنهم هَزَمُوا ^(٦)
/ وإذ يقولون: ليست الله يهلكهم	والله يعلم لو زلت بهم قدم
أيامَ سابور إذ ضاعت رباعتهم	لولا ما أوطنوا داراً ولا انتقموا ^(٧)
إذ ليس شيء من الدنيا نصول به	إلا المغافر والأبدان واللجم ^(٨)
وعاترات من الخطي مُحصدة	نفضي بهن إليهم ثم ندعم ^(٩)

[٨٩/١٣]

١١

سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبياء

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني في خبر هذه القصيدة، ونسخت من كتابه. وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبياء، أن زياداً الأعجم والمغيرة بن حبياء وكعباً الأشقر، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُشَدُّ شعره، لأن زياداً كان ألكن لا يُفصح، فكان رايته يُشَدُّ عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صلاته، فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، ففصصوا عليه ما فضل به؛ فانتدب^(١٠) له / المغيرة [٩٠/١٣] من بينهم، فقال للمهلب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يُغني عَنَّا في

(١) ما تجهمني: ما استقبلني بغير ما أحب.

(٢) المحددون: الذين يشدون الأحجام على الإبل.

(٣) كزمو: هابوا.

(٤) الشواحيج: البغال. والأدم جمع أدماء وأدم، وضم داله للشعر. والأدماء: الناقة أشرب لونها سواداً أو بياضاً.

(٥) ولا تقوالهم زعموا: القول المزعوم زوراً وبهتاناً.

(٦) انظر ما سبق من الكلام على تكرير الظروف في ص ٦٨.

(٧) رباعتهم: أمرهم الذي كانوا عليه. وأوطنوا داراً: اتخذوها دار إقامة.

(٨) المغافر جمع مغفر: الزرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح، والأبدان جمع بدن بالتحريك: الدرع القصيرة.

(٩) العاترات: المضطربات للبنها. والخطي: الرمح المنسوب إلى الخط بلد على سيف البحرين بكسر السين، وموضع في عمان. وكانت الرماح تجلب إلى هذه المواضع فتقوم وتصل ثم تباع. والمحصدة: بضم الميم وفتح الصاد: المحكمة الصنعة. وندعم: ننكيء عليها ونأخذها دعامة.

(١٠) انتدب له: مطاوع ندبه للأمر: دعاه ووجهه إليه.

الحرب، ولا هو بأفضلنا شعباً، ولا أصدقنا ودّاً، ولا أشرفنا أباً، ولا أفصحنا لساناً! فقال له المهلب: أما إنّي والله ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الأمر فيكم عندي لمتساو، ولكنّ زياداً يكرّم لِسَنَهُ وشعره وموضعه من قومه، وكلّكم كذلك عندي، وما فضله بما يُنْفَسُ^(١) به، وأنا أعوِّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضله به. فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه، فقال يهجوّه:

أرى كلّ قوم ينسل اللؤم عندهم ولؤم بنسي حبناء ليس بناسيل^(٢)
يَشْبُ مع المولود مثل شبابه ويلقاه مولوداً بأيدي القوابل
ويُرْضَعُه من ندي أمّ لثيمة ويُخْلَقُ من ماء امرئ غير طائل^(٣)
تعالوا فعدّوا في الزمان الذي مضى، وكل أناس مجدهم بالأوائل
لكم بفعال يعرف الناس فضله إذا ذُكِرَ الأملاء عند الفضائل^(٤)
فغازيكم في الجيش الأم من غزا وقافلکم في الناس الأم قافل^(٥)
وما أنتم من مالِك غير أنكم كمغرورة بالبو في ظل باطل^(٦)
بنو مالِك زُهر الوجوه وأنتم تبين ضاحي لؤمكم في الجحافل^(٧)

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء.

[٩١/١٣] / أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدّثني المدائني قال:

عَبْرَ زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلب بالبرص، فقال له المغيرة إن عِتاق الخيل لا تشينها الأوضاح^(٨)، ولا تعير بالغرر والحجول، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجلٍ عَبرَ بالبرص: «إنما أنا سيف الله جلاه واستلّه على أعدائه» فهل تُغني يا أبن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نسب الهجاء بينهما.

نسخت من نسخة ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بن حبناء يوماً يأكل مع المُفَضَّل بن المهلب، فقال له المفضل:

فلم أر مثل الحنظلي ولونه أكيل كرام أو جليس أمير
فرغ المغيرة يده وقام مغضباً، ثم قال له: لا^(٩) العتيك ولا أخوالي العوق^(١٠)
إنني امرؤ حنظلي حين تنسبي - العوق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل -

(١) ينفس به: يحسد عليه.

(٢) ينسل: من قولهم نسل ريش الطائر: سقط.

(٣) يقال للخسيس الدون: ما هو بطائل.

(٤) الأملاء: جمع ملأ، وهم الأشراف الذين يملتون العيين.

(٥) القافل: الراجع، وسميت القافلة وهي ذاهبة قافلة تيمناً برجوعها.

(٦) كمغرورة بالبو: أي مخدوعة بالجلد الذي يحشى تبناً فتحن له. والمراد أن هذه القبيلة تنوهم أن نسبها إلى مالك نسب حقيقي.

(٧) أراد بالجحافل الشفاه، جمع جحفة. وأصل الجحفة للخيل والحر والبغال.

(٨) الأوضاح: جمع وضع: التحجيل في القوائم بالبياض.

(٩) لام العتيك: لا من العتيك. انظر «الحيوان» (٥: ١٦٥).

(١٠) العتيك والعوق: قبيطان.

لا تحسبن بياضاً في منقصة إن اللّهاميم^(١) في ألوانها بلق

وبلغ المهلب ما جرى، فتناول المفضل بلسانه وشمته، وقال: أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا، ما حملك على أن أسمعت ما كره بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تؤذه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر إليه عنه، فقبل رِفده وعذره، وأنقطع بعد ذلك عن مواكلة أحد منهم. / - رجع الخبر إلى [٩٢/١٣] سياقته مع زياد والمغيرة - فقال المغيرة يجيب زياداً:

مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبياء

أزيادُ إنك والسذي أنا عبده
فالحق بأرضك يا زياد ولا ترُم
أظننت لؤمك يا زياد يسده
علج تعصب ثم راق بقوسه^(٢)
ألقي العصابة يا زياد فلنما
واعلم بأنك لست مثي ناجياً
تهجو الكرام وأنت الأم من مشى
ولقد سألت بني نزار كلهم
بالله مآلك في معد كلهم
ما دون آدم من أب لك يعلم
ما لا تطيق وأنت علج^(٣) أعجم
قوس سترت بها قفاك وأسهم
والعلج تعسرفه إذا يتعمم
أخزأك ربّي إذ غدوت ترئم
إلا وأنت يظن^(٤) أمك ملجم
حسباً وأنت العلج حين تكلم
والعالمين من الكهول فاقسموا
حسب وإنك يا زياد موذم^(٥)

فقال زياد يجيبه:

ألم تر أنني وتزت قوسي
عوى فرميته بسهام موت
وكننت إذا غمزت قناة قوم
/ هم الحشو القليل لكل حي
لأبقع من كلاب بني تميم
كذاك يُرد ذو الحمق اللثيم^(٦)
كسرت كعوبها أو تستقيم^(٧)
وهم تبع كزائدة الظليم^(٨)

[٩٣/١٣]

(١) اللّهاميم ومفردها لهوم، وهو الجواد من الخيل.

(٢) العلج: الرجل من كفار العجم.

(٣) راق بقوسه أي ظن أنه راق بها، أي زاد فضلاً.

(٤) البظر: هنة بين أسكتي الفرج.

(٥) الموذم بضم الميم وتشديد الذال: المقطع. وكلب موذم: جعلت في عنقه قلادة.

(٦) بالبناء للمجهول. في جـ «تردد الحمق».

(٧) غمزت: عضضت. وقد نصب سيبويه يستقيم بأو وكذلك جميع البصريين. والحجة لسبويه في هذا أنه سمع من العرب من ينشد هذا البيت بالنصب. وبالرفع يكون فيه إقواء. ويقال أقوى في الشعر: خالف بين قوافيه برفع بيت وجر آخر. وقلت قصيدة لهم بلا إقواء. وأما الإقواء بالنصب فقليل. (راجع «اللسان»). والإقواء يغلب على هذه القصيدة. والمعنى إذا اشتد على جانب قوم رمت تليينه لإضعافه أو يستقيم. وقد قيل: إنه هجا قوماً زعم أنه أثارهم بالهجاء وهددهم إلا أن يتركوا سبه وهجاءه.

(٨) الظليم: ذكر النعام. زائدة الظليم: هنة وراء الظلف، أو شبه أظفار الغنم في الرسغ في كل قائمة زائدتان كأنما خلقتا من قطع القرون، والشعرات المدلاة مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب.

فلسْتُ بِسَابِقِي هَرِمًا وَلَمَّا يَمِرُّ عَلَى نَوَاجِذِكَ الْقَسْدُومُ^(١)
 فَحَاوَلْتُ كَيْفَ تَنْجُو مِنِّ وَقَاعِي فَإِنَّكَ بَعْدُ ثَالِثَةُ رَمِيمُ^(٢)
 سَرَاتُكُمْ الْكِلَابُ الْبُقْعُ فَيَكُم لِلزُّمِكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ كَرِيمُ
 فَقَدْ قَدُمْتُ عُبُودَتُكُمْ وَدُمْتُ عَلَى الْفَخْشَاءِ وَالطَّبِيعِ اللَّثِيمِ^(٣)
 أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ الشَّيْعِي قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: قَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ يَهْجُو
 الْمَغِيرَةَ بْنَ حَبْنَاءَ:

عَجِبْتُ لِأَيُّضِ الْخُصِيِّينَ عَبْدٍ كَأَنَّ عِجَانَتَهُ الشُّعْرِي الْعَبُورُ^(٤)
 فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا أَمَامَةَ، لَقَدْ شَرَفْتَهُ إِذْ قُلْتَ فِيهِ:

* كَأَنَّ عِجَانَتَهُ الشُّعْرِي الْعَبُورُ *

ورفعت / منه . فقال: سأزيده رفعةً وشرفاً، ثم قال: ^{١١}
 لَا يَبْرَحُ السَّذَمُ مِنْهُمْ خَارِئٌ أَبَدًا إِلَّا حَسِبْتَ عَلَى بَابِ أَسْتِهِ الْقَمَرَا
 [٩٤/١٣] / قال، وَتَقَاوَلَا فِي مَجْلِسِ الْمَهْلَبِ يَوْمًا، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لَزِيَادَ:

أَقُولُ لَهُ وَأَنْكَرَ بَعْضُ شَأْنِي أَلَمْ تَعْرِفْ رِقَابَ بَنِي تَمِيمِ
 فَقَالَ لَهُ زِيَادُ:

بَلَى فَعَرَفْتُهُنَّ مَقْصَرَاتِ جِبَاهَ مِثْلَةٍ وَسِبَالِ لَوْمِ^(٥)

الْمَغِيرَةُ يَهْجُو زِيَادًا بِتَحْرِيزِ مِنْ رِبْعَةٍ

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو الشَّيْبَانِي، قَالَ: كَانَتْ رِبْعَةٌ تَقُولُ لَزِيَادَ الْأَعْجَمِ: يَا زِيَادُ، أَنْتَ لِسَانَتَا،
 فَادْبِيبْ عَنْ أَعْرَاضِنَا بِشَعْرِكَ، فَإِنَّ سَيُوفَنَا مَعَكَ. فَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ حَبْنَاءَ فِيهِ، وَقَدْ بَلَغَهُ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ رِبْعَةٍ لَهُ:
 يَقُولُونَ ذُبُّبُ يَا زِيَادَ وَلَمْ يَكُن لِيُوقِظَ فِي الْحَرْبِ الْمَلْمُؤَةَ نَائِمًا
 وَلَوْ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِهِ ذَا حَفِيزَةٍ فَيَمْنَعُهُمْ أَوْ مَا جَدًّا أَوْ مَرَاعِمَا
 وَلَكِنَّهُمْ جَاءُوا بِأَقْلَفٍ قَدْ مَضَتْ لَهُ حِجَجٌ سَبْعُونَ يُصْبِحُ رَازِمًا^(٦)
 لَيْمًا ذَمِيمًا أَعْجَمِيًّا لِسَانَهُ إِذَا نَالَ دُّغَالِمَ يِيَالِ الْمَكَارِمَا^(٧)

(١) «يمر» في حـ بالتاء وفي باقي الأصول بالياء، والاثنان جائزتان. والقُدوم: التي ينحت بها بفتح أوله. والمراد أنه لم يجرب مثله ولم تهتم أسنانه.

(٢) بعد ثالثة: أي بعد ليلة ثالثة.

(٣) العبودة: العبودية، وهي الخضوع والتذلل.

(٤) العجان: القضيب الممدود من الخصية إلى الدبر. والشعري: كوكب يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر. وتقول العرب: «إذا طلعت الشعري جعل صاحب النخل يرى». وسميت الشعري العبور لأنها عبرت السماء عرضاً ولم يعبرها عرضاً غيرها. وكان العرب يعبدونها، فأنزل الله تعالى: «وأنه هو رب الشعري» أي: رب الشعري التي تعبدونها. والشعري الغميصاء وسميت بذلك لأن العرب قالت في حديثها: إنها بكت على إثر العبور حتى غمصت.

(٥) السبال: جمع سبلة وهي مقدم الشعر أو مجتمعه في الذقن.

(٦) الأقفف: الذي لم تجر عليه موسى. والرازم: الذي لا يقدر على النهوض ولا يتحرك هزلاً وإعياء.

(٧) الدن: ونعاء الخمر.

وما خلثت عبد القيس إلا نفايةً
إذا كنت للعبدِي جارا فلا تزل
أناساً يُعدُّون الفساء لجارهم
من القسوي يقضون الحقوق عليهم
لهم زجلٌ فيه إذا ما تجاوزوا
/ لعمرك ما نجى ابنَ زروان إذ عوى
أظنَّ الخبيث ابنَ الخبيثِ أنني
لعمرك لا تهدي ربيعةً للحجا

[٩٥/١٣]

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، مالنا ولك، تعمُّنا بالهجاء لأنَّ نبحك منا كلب، فقال: وقلت، قد تبرأنا إليك منه، فإن هجأك فاهجُه، وخلَّ عنا ودَّعنا، وأنت وصاحبك أعلم، فليس منا له عليك ناصر. فقال:

لعمرك إنني لابن زروان إذ عوى
ومالك أصلٌ يا زياد تعدُّه
ألم ترَ عبد القيس منك تبرأت
وما طاش سهمي عنك يوم تبرأت
ولا غاب قرنُ الشمسِ حتى تحدَّثت

- رفع «المساجد»، لأنه جعل الفعل لها، كأنه قال: وأهل المساجد، كما قال الله عز وجل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾. وتحَدَّثت المساجد، وإنما يريد من يصلي فيها^(٥).

فأصبحت عِلجاً من يزرك ومن يزر
/ وأصبحن قلُفاً يفتزلن بأجرة
نقرن من الموسى وأقررن بالتي
/ بِاصطخر لم يلبسَن من طول فاقية

بناتك يعلم أنَّهن ولائد^(٦)
حواليك لم تجرَّخ بهن الحدائد^(٧)
يقرَّ عليها المقرِّفات الكواسد^(٨)
جديداً ولا تلقى لهن الوسائد^(٩)

١١٥
١١

[٩٦/١٣]

(١) النفاية بالضم: الرديء.

(٢) في ط: «سبعوا»، وفي س، ش، ح بالشين المعجمة والياء المثناة، والأصوب ما أثبتناه.

(٣) الزجل: الصوت. والهامهم: تردد الزئير في الصدر.

(٤) قرن الشمس: ناحيتها.

(٥) في ط: «وصل القصيدة» وكتب في الهامش: «أي وتحَدَّثت المساجد وإنما يريد من يصلي فيها».

(٦) الولائد: جمع وليدة: وهي الجارية.

(٧) القلف: جمع ألقف: من لم يختن. والقلفة بالضم ويحرك: جلدة الذكر، هذا في الأصل. وقد استعمله هنا للنساء. ولم تجرح

بهن، أي لم تستعمل في ختانهن.

(٨) المقرِّفات: الهجينات.

(٩) [اصطخر: بلدة بفارس من أعيان حصون فارس ومدنها.

وما أنتَ بالمنسوب في آلِ عامِرٍ
ولا رَيْبُكَ الحنْظَلِيَّةُ إذْ غَدَتِ
ولكنْ غَدَاكَ المَشْرُكُونَ وزاحمتِ
ولم أَرِ مثلي يا زِيَادَ بَعْرُضِهِ
ولو أنْني غَشِيْتُكَ السيفَ لم يقل
ولا وَلَدْتُكَ المَحْصَنَاتُ المَوَاجِدُ^(١)
بنيها ولا جِيبَتِ عَلَيْكَ القلائِدُ^(٢)
قَفَاكَ وخَدَّيْكَ البُظُورُ العَوَارِدُ^(٣)
وعَرَضِكَ يَسْتَبَانُ والسيفُ شَاهِدُ^(٤)
إذا مَتَ إلَّا مَاتَ عِلْجٌ مَعَاهِدُ^(٥)

المغيرة وجوائز المهلب

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً، قال: رجع المغيرة بن حبياء إلى أهله وقد ملأ كَفِّهِ بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه، وكان أخوه صخر بن حبياء أصغر منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنْكَرُ مثله، ولا يزال يتعَبَّ عليه في الشيء بعد الشيء ممَّا يَنْكِرُهُ عليه، فقال فيه صخر بن حبياء:

صخر والمغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه

رَأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مَالاً وَعَضَّنَا
تَجَنَّى عَلَيَّ الذَّهْرُ أَنِّي مَذْنِبُ
زَمَانٌ نَرَى فِي حَدِّ أَنْيَابِهِ شُغْبَا^(٦)
فَأَمْسُكَ وَلَا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبَا

فقال المغيرة يجيبه:

لِحَا اللَّهِ أَنَا عَنِ الضَّيْفِ بِالْقُرَى
وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ بِأَسْتِهِ
أَنْبَاكَ الْأَفَاكَ عُنِّيَ أَنِّي
أَحْرَكَ عَرْضِي إِنْ لَعِبْتَ بِهِ لَعْبَا

[٩٧/١٣] / أخت صخر تشكوه إلى المغيرة

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو، قال: جاءت أخت المغيرة بن حبياء إليه تشكو أخاها صخرًا، وتذكر أنه أسرع في مالها وأتلفه، وإنها منعه شيئاً يسيراً بقي لها، فمدَّ يده إليها وضربها، فقال له المغيرة معنفاً:

أَلَا مِنْ مِلْعُ صَخْرَ بْنِ لَيْلَى
رِسَالَةٌ نَاصِحٍ لَكَ مُسْتَجِيبِ
وَصُولٍ لَوْ يَرَاكَ وَأَنْتَ رَهْنٌ
يَرَى خَيْراً إِذَا مَا نَلْتَ خَيْرَا
فَلَيْسِي قَدْ أَنَانِي مِنْ نَثَاكَ^(٨)
إِذَا لَمْ تَرْعَ حَرَمَتَهُ رَعَاكَ
تُبَاعُ، بِمَالِهِ يَوْمًا فَذَاكَ
وَيَسْجِي فِي الْأُمُورِ بِمَا شَجَاكَ

(١) المواجد جمع ماجدة: الشريفة.

(٢) لاجيبت بالبناء للمجهول: أي ما وضعت.

(٣) العوارد: جمع عاردة، وهي الغليظة الشديدة المنتصبة.

(٤) يستبان بتشديد الياء: يتشأتان.

(٥) العليج: الكبير من كفار المعجم. والمعاهد: الذمي. وهو يقصد أنه لا يقتل إن قتله، لما ورد عن رسول الله قوله: «لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده» أي لا يقتل ذو عهد أي ذو ذمة وأمان ما دام على عهده الذي عوده عليه.

(٦) الشغب: تهيج الشر.

(٧) القف: بالضم: ما غلظ من الأرض وارتفع. والمخارم: جمع مخرم، وهو الطريق في الجبل.

(٨) نثاك: أخبارك. والنثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء، وهنا يقصد الشر.

فإنك لا ترى أسماء اختا
فإن تعنف بها أو لا تصلها
يبرؤ ويستجيب إذا دعته
وكننت أرى بها شرفاً وفضلاً
جزائي الله منك وقد جزاني
واعقب أصدق الخصمين قولاً
/ فلا والله لو لم تعص أمري

قال: فأجابه أخوه صخر بن حبياء فقال:

أتاني عن مغيرة ذرؤ قول
يعمُّ به بني ليلى جميعاً
/ فإن تك قد قطعت الوصل مئي
ثمئني إذا ما غبت عني
وتولينى سلامة أهل بيتي
فإن تك أختنا عتبت علينا
فإن لها إذا عتبت علينا
وإن تك قد عتبت علي جهلاً
فقد أعلنت قولك إذ أتاني
سيغني عنك صخرأ رب صخر
ويغنيني الذي أغناك عني
ألم ترني أجود لكم بمالي
وإنني لا أقود إليك حرباً
ولكنني ورائك شمري
وأدفع السن الأعداء عنكم
وقد كانت قريبة ذات حق
رأيت الخير يقصر منك دوني

تعمده فقلت له كذاكا^(٢)
قول هجاءهم رجلاً سواكا
فهذا حين أخلفني مئكا
وتخلفني مناي إذا أراكا
ولا تعطي الأقارب غير ذاكا
فلا تضرهم لظنتها أخكا
رضاها صابرين لها بذاكا
فلا والله لا أبغي رضاكا
فاعلن من مقالي ما أتكا
كما أغناك عن صخر غناكا
ويكفيني الإله كما كفاكا
وأرمي بالثواقير من رماكا^(٣)
ولا أعصيك إن رجل عصاكا
أحامي - قد علمت - على جماكا^(٤)
ويعينني^(٥) العدو إذا عناكا
عليك فلم تطالغها بذاكا
وتبلغني القوارص من أذاكا

١١

[٩٨/١٣]

(١) المعائب: جمع معتبة ومعتب، الملامة. وفي جـ «ومنائي» بدل «ومني» وهو تحريف. وفي «المؤتلف والمختلف» ١٠٥: «ومني في مغابتي».

(٢) كذا في ط «المؤتلف والمختلف» ص ١٠٦. والذرو، بالفتح: الطرف من القول. وفي «اللسان» (ذراً): «ذرؤ قول»، وهو بمعناه. وفي سائر النسخ: «زور قول».

(٣) النواقر: جمع ناقرة، وهي الداهية.

(٤) الشمري: الماضي في الأمور المعجرب، والحركات الثلاثة على الشين والميم لاختلاف اللهجات.

(٥) يعينني: يقصديني.

حبنا بن عمرو ينتقل إلى نجران وامرأته تلومه لما ضرب ابنه

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً قال: كان حبنا بن عمرو وقد غضب على قومه في بعض الأمر، فانتقل إلى نجران، وحمل معه أهله وولده، فنظرت امرأته سلمى إلى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة - وهو [٩٩/١٣] يومئذ / غلام - فقالت لحبنا: قد كنت غنياً عن هذا الدل، وكان مقامك بالعراق في قومك أو في حي قريب من قومك أعز لك! فقال حبنا في ذلك:

تقول سليمى الحنظلية لابنها
رأت غلمة ثاروا إليه بأرضهم
فقلت لقد أجرى أبوك لما ترى
وقال أيضاً:

غلام بنجران الغداة غريب
كما هرّ كلب الدار^(١) يئن كليب^(٢)
وأنت عزيز بالعراق مهيب

لعمرك ما تدري شيء تريده
متى ما يشأ مستقبس الشر يلقه
يليك أم الشيء الذي لا تحاوله
سريعاً وتجمعه إليه أنامله^(٣)

زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة بأدوائهم

أخبرني عيسى بن الحسن الوراق، قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو الشبل النضري،
قال: كان المغيرة بن حبنا أبرص، وأخوه صخر أعور، وأخوه الآخر / مجذوماً، وكان بأبيهم حبن، فلقب حبنا
- واسمه جببر بن عمرو - فقال زياد الأعجم يهجوهم:

إن حبنا كان يدعى جبيراً
ولذ العور منه والبُرص والجذ
فدعوه من لؤمه حبنا
مى، وذو الداء يُتَجّج الأدواء^(٤)

زياد يمسك عن الهجاء

فيقال: إن هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به؛ لأن المغيرة قال - وقد بلغه هذا الشعر -: ما ذنبنا فيما ذكره،
هذه أدواء ابتلانا الله عز وجل بها، وإنني لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواء كلها! فبلغ ذلك زياداً من قوله، وإنه
لم يهجه بعقب هذه الأبيات، ولا أجابه بشيء، فأمسك عنه، وتكافأ.

[١٠٠/١٧] / جادة المغيرة في تفضيل الأخ على أخيه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به
الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعي، قال:

لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأم، مثل قول المغيرة بن حبنا لأخيه صخر:
أبوك أبي وأنت أخي ولكن
تفاضلت الطبائع والظروف
وأثك حين تُنسب أم صدق^(٥)

(١) كذا. وفي الشعر: «سليمى» فلعله صغره في الشعر.

(٢) الكلب جمع كلب: جماعة الكلاب. وفي هذا البيت إقواء.

(٣) المستقبس، يقال قبس يقبس منه ناراً واقتبسها: أخذها. يشير إلى أن من يطلب الشر يجده.

(٤) الجذمي جمع أجذم: المقطوع اليد، أو الذاهب الأنامل.

(٥) الطبع بفتح الطاء وكسر الباء: دنيء الخلق اللثيمة الدنس، لا يستحي من سوءه وعيبه. والسخيف: قليل العقل شاذ التصرف. وقد =

قال: وكان عبدُ الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية - وكان ضعيفاً - يتمثل بهذين البيتين.

قول الحجاج في يزيد بن المهلب

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن جُدَّان، قال: حدثني أحمد بن محمد بن مخلد المهلب، قال:

نظر الحجاج إلى يزيد بن المهلب يخطر في مشيته، فقال: لعن الله المغيرة بن حنينة حيث يقول:

جَمِيلُ المَحْيَا بَخْتَرِي إذا مَشَى وفي الدُّرْعِ ضَخْمُ المَنَكِيِّينَ شِنَاقُ^(١)

فالتفت إليه يزيد، فقال: إنه يقول فيها:

شَدِيدُ القَوَى من أَهْلِ بَيْتٍ إذا وَهَى من الدُّيْنِ فَتَقَّ حُمْلُوا فَأَطَاقُوا^(٢)

مَرَجِيحُ في اللَّأواءِ إنْ نَزَلَتْ بِهِمْ مِيَامِينُ قَدْ قَادُوا الجِيوشَ وسَاقُوا^(٣)

/ مصرع ابن حنينة وكتابته اسمه على صدره

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني مَنْ حضر ابن حنينة لما قُتِلَ - وهو وجود بنفسه - فأخذ بيده من دمه - وكتب بيده على صدره: «أنا المغيرة بن حنينة». ثم مات.



بَسَطْتُ رَابِعَةَ الجَبَلِ لَنَا فَوَصَّلْنَا الجَبَلَ مِنْهَا مَا^(٤) اتَّسَعُ

كَيْفَ تَرَجُّونَ سِقَاطِي بَعْدَ مَا جَلَلُ الرَّاسِ يَبَاضُ وَصَلُغُ^(٥)

رُبُّ مَنْ أَنْضَجْتُ غِيظاً صَدْرَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْغِ^(٦)

وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِيراً مَخْرُجُهُ مَا يَنْتَزِعُ^(٧)

وَيَحْيِيْنِي إذا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا أَمَكِنَ مِنْ لَحْمِي رَتَعُ^(٨)

وَأَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَهْجَعُهُ وَيَعِينِي إذا التَّجَمُّمُ طَلَعُ^(٩)

= ورد في معنى هذا البيت وسابقه قول الشاعر:

أَبُوكَ أَبِي والجَدُّ لَا شَكَّ وَاحِدٌ وَلَكِنَّا عِوَدَانُ آسٍ وَخِرُوعُ

(١) البختري، حسن المشي. والشناق، بالكسر: الطويل.

(٢) الفتق: الشق والخرق. أطاقوا، يقال طاقه طوقاً وإطاقة، وأطاق عليه إطاقة، والاسم: الطاقة. وهو في طوقي أي في وسعي.

(٣) مراجيح: ذوو أحلام وبصر بالأمور.

(٤) اتسع: امتد. ويروى: «فبسطنا الجبل» وروى: «بسطت رابعة الوصل لنا».

(٥) سقاطي: يقال للرجل: «أنه لذنو سقاطات»، أي لا يزال يفتقر فترة بعد فترة، وهي الانكسار والضعف.

(٦) روى: «ربما أنضجت غيظاً قلب من».

(٧) الشجا: النقص ونحوه مما يعترض في الحلق.

(٨) روى: «وإذا يخلو له» راجع «المفضليات». رتع: أكل. وقد أرتع الرجل إذا ترك إبله ترعى.

(٩) روى: «فأبيت الليل ما أرقده»، ويروى: «ويعينني»، أي يتعيني. يصف أنه ساهر لا ينام، فهو يراعي النجوم، أي يمكث الليل ساهراً.

الحبل ها هنا: الوصل؛ والحبل أيضاً: السبب يتعلّق به الرّجل من صاحبه، يقال: عَلِقْتُ من فلانٍ بحبل؛ والحبل: العهد، والميثاق، والعقد يكون بين القوم؛ وهذه المعاني كلّها / تتعاقب ويقوم بعضها مقام بعض. والشّجاء: كلّ ما اغتصّ به من لُقمة أو عظم أو غيرهما.

الشعر لسويد بن أبي كاهل الشكريّ، والغناء لعلّويه، ثانيّ ثقل بالبنصر، عن عمرو بن بانة في الأول والثاني من الأبيات، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ما خوري بالوسطى، عن علي بن يحيى، والهشامي. ولمالك فيها ثقل بالبنصر، عن الهشامي أيضاً، ولا بن سريج فيها خفيف ثقل، عن علي بن يحيى.



مركز بحوث تاريخ اللغة العربية

[١٠٢/١٣]

/ أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه

سويد بن أبي كاهل بن حارثة بن جسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر. وذكر خالد بن كلثوم أنَّ اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سويد أبا سعد.

أنشدني وكيع عن حماد، عن أبيه، لسويد بن أبي كاهل شاهدا بذلك:

أنا أبو سعد إذا الليل دجا دخلت في سرباله ثم النجا^(١)

طبقة سويد

وجعله محمد بن سلام في الطبقة السادسة، وقرنه بعتر العبي وطبقته.

وسويد شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيب. وكان أبوه أبو كاهل شاعراً، وهو الذي يقول:

كان رجلي على صقعاء حادرة طيا قد ابتل من طل خوافيها^(٢)

قول الأصمعي في عينية سويد

أخبرني محمد بن العباس البيهقي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق البغوي، قال: حدثنا أبو نصر صاحب الأصمعي أنه قرأ شعر سويد بن أبي كاهل على الأصمعي، فلما قرأ قصيدته:

بسطت رابعة الجبل لنا فوصلنا الجبل منها ما اتسع

فصلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكيها. ثم قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر أنها كانت في الجاهلية تسمى: «التيمة»^(٣).

[١٠٣/١٣]

/ بين سويد وزياد الأعجم

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني محمد بن الهيثم بن عدي، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال: قال زياد الأعجم يهجو بني يشكر:

إذا يشكركي من ثوبك ثوبه فلا تذكرن الله حلى تطهرا

فلو أن من لؤم تموت قبيلة إذا لأمات اللؤم لا شك يشكرا

(١) روى: «تخال في سواده أرندجا».

(٢) الصقعاء: ما لها بياض في وسط رأسها من الخيل والطيور وغيرها. والحادرة من الحدة بالسكين: الحط من علو إلى أسفل كالحدور، والإسراع كالتهدير. الطيا: مؤنثة الطيان، وهو الجائع. والطوى: الجوع.

(٣) هي آخر قصيدة في الجزء الأول من «المفضليات» طبع المعارف.

قال: فأتيت بنو يشكر سويد بن أبي كاهل ليهجوا زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

وَأَبَيْتُهُمْ يَسْتَصْرِخُونَ ابْنَ كَاهِلٍ وَلِلْوَمِ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ^(١)
فَإِنْ يَأْتِنَا يَرْجِعْ سَوِيدٌ وَوَجْهُهُ عَلَيْهِ الْخَزَايَا غُبْرَةٌ وَقَتَامٌ^(٢)
دَعِي إِلَى ذُبْيَانَ طَوْرًا، وَتَارَةً إِلَى يَشْكُرٍ مَا فِي الْجَمِيعِ كَرَامٌ

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لي! وكان سويد مغلباً^(٣). وأما قوله:

دَعِي إِلَى ذُبْيَانَ طَوْرًا وَتَارَةً إِلَى يَشْكُرٍ

خبر أم سويد وسبب تسميته

فإن أم سويد بن أبي كاهل كانت امرأة من بني غُبَر، وكانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان، فمات عنها، فتزوجها أبو كاهل، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط أبو كاهل أبنها لَمَّا وَلَدَتْهُ^(٤)، وَسَمَّاهُ سَوِيدًا، / واستلحقه^(٥)، فكان إذا غضب على بني يشكر ادعى إلى بني ذبيان، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم.

[١٠٤/١٣] / وذكر عَلَّانُ الشُّعُوبِي، أَنَّهُ وَلِدَ فِي بَنِي ذُبْيَانَ، وَتَزَوَّجَتْ أُمُّهُ أَبَا كَاهِلٍ - وَهُوَ غَلَامٌ يَفْعَةٌ^(٦) - فَاسْتَلْحَقَهُ أَبُو كَاهِلٍ وَادَّعَاهُ، فَلَحِقَ بِهِ.

انتماء سويد إلى قيس

ولسويد بن أبي كاهل قصيدة ينتمي فيها إلى قيس، ويفتخر بذلك، وهي التي أولها:

أَبَى قَلْبُهُ إِلَّا عَمِيرَةً إِنْ ذُنُوبُكَ وَإِنْ حَضَرَتْ دَارَ الْعِدَا فَهُوَ حَاضِرُ
شَمْسٌ حَصَانُ السُّرُرِ يَا كَأَنَّهَُا مُرَبَّيَّةٌ مِمَّا تَضَعْنَ حَائِرُ^(٧)

ويقول فيها أيضاً:

أَنَا الْغُظْفَانِي زَيْنُ ذُبْيَانَ فَابْعَدُوا فَلَلزُّنَجُ أَدْنَى مِنْكُمْ وَيُحَابِرُ^(٨)
أَبَتْ لِي عَيْسُ أَنْ أَسَامَ ذَنِيَّةً وَسَعْدُ وَذُبْيَانُ الْهَجَانُ وَعَامِرُ^(٩)
وَحَيٌّ كَرَامٌ سَادَةٌ مِنْ هَوَازِنَ لَهُمْ فِي الْمِلَمَاتِ الْأَنْوُفُ الْفَوَاحِرُ^(١٠)

(١) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر، أو ما بين الكتفين أو موصل العنق في الصلب.

(٢) القتام: الغبار.

(٣) المغلب: المغلوب مراراً، والمحكوم له بالغلبة، ضد.

(٤) استلاطه: ادعاه ولداً وليس منه.

(٥) استلحقه: ادعاه إليه.

(٦) اليفع: المناهز البلوغ، من يفع: ترعرع وناهز البلوغ. ويقال رجل يفع ويفعة ورجلان ورجال يفعه.

(٧) الشموس هنا: النافرة التي لا تخضع، ويقال شمس الفرس: منع ظهره. وحصان السر: أي هي عفيفة في السر، بله العلانية. والمربية: عني بها الدرة التي يرببها الصدف في قعر الماء. وحائر البحر: مجتمع مائه. ومثله في قول حسان:

مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءٍ صَافِيَةٍ مِمَّا تَرْبِبُ حَائِرَ الْبَحْرِ
وَأَنْتِ أَحْسَنُ إِذْ بَسَرْتَ لَنَا يَسُومُ الْخُرُوجَ بِسَاحَةِ الْقَصْرِ

(٨) يحابر كيقاتل، وهو يحابر بن مالك بن أدد أبو مراد، ثم سميت القبيلة يحابر.

(٩) الهجان: الكريم الحسب النقية.

(١٠) الأنوف والفواخر: كناية عن ارتفاعها شمماً وإباء للضم.

سويد يهجو بني شيبان لأخذ ماله ويستقل عنهم

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن معتب الأودي عن الحرمازي^(١)، أن سويد بن أبي كاهل جاور في بني شيبان، فأساءوا جواره، وأخذوا / شيئاً من ماله غصباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر، وكان [١٠٥/١٣] الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني محلم، فقال يهجوهم وإخوتهم بني أبي ربيعة:

حَسَرَ الإلهَ مع القُرودِ محلماً وأباً ربيعةَ ألامَ الأفوامِ
فلأهدينَّ مع الرياحِ قصيدة مني مُغلغلة^(٢) إلى همامِ
الظاعنين على العمى قدامهم والنازليين بِشرِّ دارِ مُقامِ^(٣)
والواردين إذا المياء تُقُسمت نُزحَ الرُكيِّ وعاتِمَ الأسدِ^(٤)

وقال يهجو بني شيبان:

لعمري لبئس الحيُّ شيبانُ إنْ علا عُنيزةَ يومَ ذو أهابيٍّ أغبر^(٥)
فلما التقوا بالمشرفية ذبذبت موليةً أستاذ^(٦) شيبانَ تقطُرُ

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيبان، وفيه يقول مهلهل:

كأنا غُدوةً وبني أينا بجانب عُنيزةَ رَحِيماً مُدير^(٧)

وقال أيضاً:

فأدوا إلى بهراءَ فيكم بناتِهِ وأبناءه إنَّ القضاءَ عيٍّ أحمرُ

يعير بني شيبان لأن بهراء ردت نساءهم حبالي بعد الأسر

كانت بهراء أغارت على بني شيبان، فأخذوا منهم نساء، واستاقوا نَعَمًا^(٨)، ثم إنهم اشتروا منهم النساء وردوهم^(٩)، فعيروهم سويد بأنهم رُدَدَنَ حبالي، فقال:

/ ظَلَلنْ يُنَازَعَنَّ العُضارِيطَ أَرْزَهَا وشيبانُ وسطَ القُطْقُطَانَةِ حُضْرُ^(١٠)
فمننا يَزِيدُ إذْ تَحْدَى جُموعُكُمْ فلم تُفْرِحوه^(١١)، المرزبانَ المسوورُ

- يزيد: رجل من يشكر، برز يوم ذي قار إلى أسوار، وحمل على بني شيبان، فأنكشوا من بين يديه -

(١) الحرمازي من الحرمة، وهي الذكاء. وبنو الحرمازي.

(٢) المغلغلة: المحمولة السائرة من بلد إلى بلد.

(٣) الظاعنون: المسافرون.

(٤) نزح: جمع نزوح، وهي البئر التي نفذ ماؤها. الركي جمع ركية: البئر. والعاتم: المحتبس البطيء. والأسدام جمع سدم، وهو الماء المتدفن.

(٥) ذو أهابي: ذو تراب مثار.

(٦) الأستاذ: جمع است وسته بفتح وسكون ويحرك، وهي العجز أو حلقة الدبر.

(٧) الغدوة بالضم: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة والغدية.

(٨) النعم: الإبل والشاء، أو هو خاص بالإبل.

(٩) في ط: «ردوهم».

(١٠) العضاريط: الأتباع والأجراء. والقطقطانة: موضع كان سجن النعمان بن المنذر.

(١١) أفرحوه: غلبوه. والمرزبان: الفارس الشجاع المقدم على القوم، ويقال للأسد أيضاً مرزبان. والمسور: المرتفع.

فاعترضه الشكريّ دونهم، فقتله، وعادت شيبان إلى موقفها، ففخر بذلك عليهم، فقال:

وأحجمتكم حتى علاه بصارم / حسام إذا مسّ الضريبة يثُر^(١) /
ومنا الذي أوصى بثلاث ثرائه / على كل ذي باع يقلّ ويكثر
ليالي قُلتُم يا ابن حلزة ارتحل / فزأبن لنا الأعداء وسمع وأبصر^(٢)
فأدّى إليكم رهنكم وسطاً وائل / حباه بها ذو الباع عمرو بن منذر

١٣٧
١١

يعني الحارث بن حلزة، لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائهم. وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه.

بنو شيبان تستعدي عامر بن مسعود على سويد وقيس تتمصب له

قال: فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعود الجمحي، وكان والي الكوفة، فدعا به، فتوعدّه، وأمره بالكف عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسهم، فتعصّب له قيس، وقامت بأمره حتى تخلصته، فقال في ذلك:

يكفّ لساني عامر وكأما / يكف لساناً فيه صاب وعلقم^(٣)
/ أتترك أولاد البغايا وغيتني / وتحبسني عنهم ولا أتكلّم
ألم تعلموا أنّي سويد وأنّني / إذا لم أجد مستأخراً أتقدّم
حبسهم هجائي إذ بطت غنيمّة / عليّ دماء البذن إن لم تتدّموا^(٤)

[١٠٧/١٣]

سويد وابن الغبري يتهاجيان ثم يهربان لما طلبهما عبد الله بن عامر وعامل الصدقة يحبسهما وبنو حمال يفكون ابن الغبري

قال الحرمازي في خبره هذا: وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري، فطلبهما عبد الله بن عامر بن كريز، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمال بن يشكر، فأخذهما صاحب الصدقة، وذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحي الكوفة، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجوا من السجن حتى يؤديا مائة من الإبل، فخاف بنو حمال على صاحبهم ففكّوه، وبقي سويد، فخذله بنو عبد سعد، وهم قومه، فسأل بني غبر، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم، فقال:

ويخذل سويداً قومه

مَنْ سَرَّهُ النَّيْكَ بِغَيْرِ مَالٍ / فَالْغُبَرِيَّاتُ عَلَى طِحَالٍ^(٥)

* شواغر يُلمعن للَقَّالِ^(٦) *

(١) الضريبة: المضروب بالسيف.

(٢) زأبن: دافع.

(٣) الصاب: جمع صابة: شجر مر. والعلقم: الحنظل، وكل شيء مر.

(٤) بطتكم، يقال بطن بالكسر: عظم بطنه من الشبع. ورجل مبطان: كثير الأكل ورجل بطن: لا هم له إلا بطنه. ويطن الرجل بالبناء للمفعول: اشتكى بطنه.

(٥) طحال، بالكسر: موضع.

(٦) الشواغر: المرفوعة أرجلها للنكاح. والإلماع: الإشارة. والقفال: الراجعون من السفر.

عيس وذبيان تستوهبه لمديحه لهم وإطلاقه بغير فداء

فلما سأل بني عُبر، قالوا له: يا سويد «ضيعت البكار بطحال» فأرسلوها مثلاً. أي إنك عَمَمْتَ جماعتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة، فضاع منك ما قَدَرْتَ أنَّا نفديك به من الإبل. فلم يزل محبوساً حتى استوهبته عيس وذبيان لمديحه لهم، وانتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

[١٠٨/١٣]

القصيدة

أخضني المُقام الغمر إن كان غرني سنا خلبي أو زلت القدمان^(١)
أتركني جذب المعيشة مقفرا وكفالك من مساء الندى تكفان^(٢)
الشعر للعتابي، والغناء لمُخارق، ثاني ثقيل بالوسطى، وقيل: إن فيه للوائق ثاني ثقيل آخر.



مركز بحوث تاريخ اللغة العربية

(١) الغمر: الغزير. والخلب: البرق الذي لا يعقبه مطر؛ وهو المطمع.

(٢) تكفان: تقطران ماء غزيراً.

/ أخبار العتابي ونسبه

[١٠٩/١٣]

 $\frac{٢}{١٢}$

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو ابن مالك عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. شاعر مترسل بليغ مطبوع، متصرف في فنون الشعر ومقدم. من شعراء الدولة العباسية، ومنصور النمرى تلميذه وراوته، وكان منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرشد، ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ، وعظمت فوائده منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت. وأخبار ذلك تذكر في مواضعها.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني القاسم بن مهزويه، قال: حدثني جعفر بن المفضل، عن رجل من ولد إبراهيم الحراني^(١)، قال: كثر الشعراء بباب المأمون، فأوذى بهم، فقال لعلني بن صالح صاحب المصلى: أعرضهم، فمن كان منهم مجيداً فأوصله إليّ، ومن كان غير مجيد فاصرفه. وصادف ذلك شغلاً من علي بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مغضباً، وقال: والله لأعنتهم بالحرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون^(٢) على القرب منه، فقال لهم: على رسلكم فإن المدى أقرب من ذلك، هل فيكم من يحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ماذا عسى مَادِحٌ يثنى عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
فُتَّ المَمَادِحُ إِلَّا أَنْ أَسْتَنَسَا مُسْتَنْطَقَاتٍ بِمَا تَحْوِي الضَّمَائِيرُ

/ قالوا: لا والله ما بنا أحدٌ يحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً. [١١٠/١٣]

قبل في شعر العتابي تكلف ونفاه آخرون

/ أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهزويه، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن سهل، قال: تذاكرنا شعر العتابي، فقال بعضنا: فيه تكلف، ونصره بعضنا، فقال شيخ حاضر: ويُحكَمُ أيقال إن في شعره تكلفاً؟ وهو القائل:

رُئِلَ الضَّمِيرُ إِلَيْكَ تَتَرَى بِالشَّقِ ظَالِعةً وَحَسْرَى^(٣)
مَتَزَجِّياتٍ مَا يَنِي عَنَ عَلَى الْوَجَى مِنْ بُعْدِ مَسْرَى^(٤)
مَا جَافَ لِلْعَيْنَيْنِ بَعْدَ سَدِّكَ يَا قَرِيرَ الْعَيْنِ مَجْرَى
فَأَسْلَمَ سَلِمَتَ مَبْرَأَ مِنْ صَبَوْتِي أَبْدَأَ مُعْرَى^(٥)

(١) حران: مدينة عظيمة مشهورة بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، على طريق الموصل والشام. وقيل إنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان. وحراني: منسوب إليها، ويقال حراني على غير قياس.

(٢) يتغالبون: يتدافعون ويتسابقون.

(٣) ظالعة: ظلع السائر: غمز في مشيته وظهر عرجه. الحسرى: المتعبة المعية، من حسر كضرب وخرج: تعب وأعيا.

(٤) المتزجيات: المنساق. ما ينين: ما يبطئن ولا يفترن. والوجى: الحفا.

(٥) الصبوة: جهلة الفتوة.

إن الصَّابَةَ لَمْ تَدَعْ مِثِّي سِوَى عَظِيمٍ مُبَرَّى^(١)
ومدامحِ عُبْرَى عَلَى كَبِدِ عَلَيْكَ الذَّهْرَ حَرَى^(٢)

- في هذين البيتين غناء - أو يقال: إنه متكلف؟ وهو الذي يقول:

فلو كان للشكرِ شخصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لمثلُّه لك حتَّى تراه لتعلم أنِّي امرؤٌ شَاكِرُ

رذاذ يضح لحناً

الغناء في هذين البيتين لأبي العُبَيْس، ثقیل أول، ولرذاذ خفيف ثقیل. فحدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا: لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر:

* فلو كان للشكر شخصٌ يبين *

[١١١/١٣]

/ أبو العباس يسقط لحن رذاذ

فُتِنَ به الناس، وكان هَجِيرَاهُمْ زَمَاناً^(٣)، حتى صنع أبو العباس فيه الثقیل الأول، فأسقط لحن رذاذ وغلب عليه.

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد، قالوا جميعاً:

المأمون يكتب في إشخاص العتابي

كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرو العتابي، فلما دخل عليه قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفادتك فسررتني. فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاهما فضلاً وإنعاماً، وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمانة، ولا ييسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك. فقال له: سلني. فقال: يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال. فوصله صلات سنية، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل.

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعيد الكُراني، أن عبد الله بن سعيد بن زرارة، حدثه عن محمد بن إبراهيم اليساري، قال:

المأمون يداهب العتابي

لما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون، أذن له، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلم فرداً عليه وأدناه، وقربه حتى قرب منه، فقبل يده: ثم أمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسأله عن حاله، وهو يجيبه بلسان ذلّ طَلَقَ، فاستظرف المأمون ذلك، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخف به، فقال: يا أمير المؤمنين: الإبناس قبل الإبناس^(٤).

(١) المبري: المهزول المنحوت.

(٢) الحرى: المحترقة.

(٣) هجيراهم بكسر الأول والثاني مع تشديده: دأبهم وشأنهم.

(٤) الإبناس: أن يسمح ضرع الناقة يسكنها لتدر. والمراد الاطمئنان قبل المداعبة.

إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابي

[١١٢/١٣] فاشتبه على المأمون قوله، فنظر إلى إسحاق مستفهماً، فأوماً إليه، وغمزته على معناه^(١) حتى / فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار! فأتي بذلك، فوضعه بين يدي العتابي، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتابي / لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق، فبقي العتابي متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سل. فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كل بصل. فتبسم العتابي وقال: أما أنت فمعروف، وأما الاسم فمتكر. فقال إسحاق: ما أقل إنصافك، أنتكر أن يكون اسمي كل بصل؟ واسمك كل ثوم، وكل ثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتابي: لله درك، ما أحجك^(٢)، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلتني به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موافق عليك ونأمر له بمثله.

مصادقة العتابي لإسحاق

فقال له إسحاق: أما إذا أقررت بهذا، فتوهمني تجذني، فقال: ما أظنك إلا إسحاق الموصلي، الذي تناهى إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت. وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أما إذ قد اتفقتما على المودة، فانصرفا متنادمين. فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتابي

وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أن مسعود بن عيسى العبدلي، حدثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهر جمع من الشعراء، فعلم أنهم على باب، فقال لخادم له أديب: أخرج إلى القوم، وقل لهم: من كان منكم يقول كما قال العتابي للرشد:

مُسْتَنْبِط عَزَمَاتِ الْقَلْبِ مِنْ فِكْرِ مَا بَيْنَهُنَّ وَيَبْنِي اللَّهُ مَعْمُورُ^(٣)

فليدخل، وليعلم أنني إن وجدته مقصراً عن ذلك حرمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً إلا أربعة نفر.

[١١٣/١٣] جوائز الرشيد وسرور العتابي بما خلع عليه

أخبرني الحسن بن علي قال، حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن سعد عن إبراهيم بن الحدين، قال: وجد^(٤) الرشيد على العتابي، فدخل سراً مع المتطلعين بغير إذن، فمثل بين يدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد آذنتي الناس لك ولنفسي فيك، وردني ابتلاؤهم إلى شركك، وما مع تذرك قناعة بغيرك، ولنعم الصائن لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أَخْضِنِي الْمَقَامَ الْغَمْرَ إِنْ كَانَ غَرَنِي سَنَا خُلِبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانُ^(٥)
أَتَرَكْنِي جَدَبَ الْمَعِيشَةِ مُقْتَرَاً وَكَفَّاكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تَكْفَانُ
وَتَجْعَلُنِي سَهْمَ الْمَطَامِعِ بَعْدَ مَا بَلَّلت يَمِينِي بِالنَّدَى وَلِسَانِي

قال: فأعجب الرشيد قوله، وخرج عليه الخلع، وقد أمر له بجائزة، فما رأيت العتابي قط أبسط منه يومئذ.

(١) غمزته على معناه: أشار. (٢) ما أحجك: ما أكبر حجتك. (٣) المستنبط: المستخرج. (٤) وجد: غضب.

(٥) الغمر: الماء الكثير. سنا حلب: ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر.

بشار يحقد على إجابة العتابي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثنا أحمد بن خلاد، قال: حدثني أبي، قال: جاء العتابي وهو حدث إلى بشار، فأنشده:

أَصْدَفَ عَنْ أَمَامَةٍ أَمْ يُقِيمُ	وَعَهْدُكَ بِالصُّبَا عَهْدٌ قَدِيمُ
أَقُولُ لِمُسْتَعَارِ الْقَلْبِ عَقَى	عَلَى عَزَمَاتِهِ السَّيْرِ الْعَدِيمُ ^(١)
أَمَا يَكْفِيكَ أَنْ دَمَوْعَ عَيْنِي	شَايِبٌ يَفِيضُ بِهَا الْهَمُومُ ^(٢)
أَشِيْمُ فَلَا أَرُدُّ الطَّرْفَ إِلَّا	عَلَى أَرْجَائِهِ مَاءٌ سَجُومُ ^(٣)

قال: فمدَّ بشارُ يده إليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجباً لبصير ابن زانية، أن يقول هذا / الشعر. فحجل العتابي وقام عنه.

العتابي ويحيى بن خالد

/ أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حدثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق، قال: [١١٤/١٣]

كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة، فقال له يحيى: لقد ندرَ كلامك اليوم وقل. فقال له: وكيف لا يقل وقد تكنفني ذلك المسألة، وخيرة الطلب، وخوف الرد؟ فقال: والله لئن قلّ كلامك لقد كثرت فوائده. وقضى حاجته.

سخرة العتابي من الناس

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا عثمان الوراق، قال:

رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: رأيت لو كنا في دار فيها بقر، كنت تستحي وتحشش أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا. قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر. فقام فوعظ وقص ودعا، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد، أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار. فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبة أنفه، ويقدره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أبو عصام محمد بن العباس، قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي، فضلاً عن رسائله وشعره، فلن ترؤا أبداً مثله.

كتاب للعتابي

أخبرني أبي، قال: أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الخزاز عن ابن الأعرابي، قال:

(١) عني: طمس.

(٢) الشاييب: المياه المنصبة، جمع شؤبوب.

(٣) أشيم: أنظر، وأصله أن يشيم البرق ينظر أين يقصد وأين يخطر. السجوم: الكثير.

[١١٥/١٣] / أنكر العتابي على صديقي له شيئاً، فكتب إليه: «إما إن تقرّ بذنبك فيكون إقرارك حجّة علينا في العفو عنك، وإلا فطُب نفساً بالانتصاف منك، فإن الشاعر يقول:

أقرّ بذنبك ثمّ اطلب تجاؤزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان».

يحيى بن أكرم يستأذن المأمون للعتابي

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الواحد بن محمد، قال:

وقف العتابي بباب المأمون يلتبس الوصول إليه، فصادف يحيى بن أكرم جالساً ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيت - أعزك الله - أن تذكر أمري لأمر المؤمنين إذا دخلت فافعل. قال له: لست - أعزك الله - بحاجة. قال: فإن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت، واعلم أنّ الله - عز وجل - جعل في كل شيء زكاة، وجعل زكاة المال رفقاً^(١) للمستعين، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف. واعلم أنّ الله - عز وجل - مقبل عليك بالزيادة إن شكرت، أو التغيير إن كفرت، وإنّي لك اليوم^(٢) أصلح منك لنفسك، لأنّي أدعوك إلى ازدياد نعمتك، وأنت تأبى. فقال له يحيى: أفعَلْ وكرامة. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل، لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن^(٣) المأمون للعتابي، فأذن له.

كلمتان للعتابي

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو الشَّيل، قال:

قال العتابي لرجلٍ اعتذر إليه: إنّي إن لم أقبل عُذْرَكَ لكنْتُ ألام منك، وقد قبلتُ عُذْرَكَ، فدُم على لوم نفسك في جنابتك، نَزِدْ في قبول عُذْرَكَ، والتَّجَافِي عن هفوتك.

[١١٦/١٣] / قال: وقيل له لو تزوجت! فقال: إنّي وجدتُ مكابدة العِفةِ أيسرَ عليّ من الاحتِمالِ لمصلحة العِيالِ.

تقدير المأمون للعتابي وإكرامه لما أسنّ

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: قال جعفر بن المفضل: قال لي أبي:

رأيت العتابي جالساً بين يدي المأمون وقد أسنّ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده، واعتمد الشيخ على المأمون، / فما زال يُنْهَضُهُ رويداً رويداً حتّى أقلّه فنْهَضَ، فعجبت^(٤) من ذلك، وقلتُ لبعض الخدم: ما أسوأ أدب هذا الشيخ، فمن هو؟ قال: العتابي.

دعبل وابن مهرويه يحسدانه ويحقدان عليه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن الأشعث، قال: قال دعبل: ما حسدتُ أحداً قط على شيءٍ كما حسدت العتابي على قوله:

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لَأَخِي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
فَلِذَا مَا هَبْتُ ذَا أَمَلٍ مات ما أملت من سببه^(٥)

(١) رفق: إعطاء وصلة.

(٢) في ح: «لك منذ اليوم».

(٣) في ح: «أذن» وهو تحريف.

(٤) في الأصل: «فُعجبت»، والسياق يقتضي «فُعجبت».

(٥) السبب: الوسيلة، والمودة.

قال ابن مهرويه: هذا سرقة العتابي من قول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «الهيبة مقرونة بالخيبة، والحياء مقرون بالحرمان، والفرصة تمرّ مرّ السحاب».

حدثني محمد بن داود، عن أبي الأزهر، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بذلك.

عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات وينعم عليه بخلمة سنة بعد إنشاده

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه عن أبي الشبل. قال:

دخل العتابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده:

هـ سِوَايَ^(١) مِنْكَ الْغَدَاةُ أَتَى بِي
مِنْ يَقِينٍ^(٢) حَدَا إِلَيْكَ رِكَابِي

حُسْنُ ظَنِّي وَحُسْنُ مَا عَوَّدَ الدَّ
/ أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ

قال: فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد، فأنشده:

وَرَوَيْتَنِي كَافِيَةً عَنْ سَوْأَلِ
وَأَنَا^(٣) كَفَّاكَ لِي بَيْتَ مَا

وَدُّكَ يَكْفِينِيكَ فِي حَاجَتِي
وَكَيْفَ أَخْشَى الْفَقْرَ مَا عِشْتَ لِي

فأمر له بجائزة، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده:

بِهَاجَاتِ الثِّيَابِ يُخْلِقُهَا^(٤) الدَّهْرُ
فَاكْسُنِي مَا يَبِيدُ أَصْلَحَكَ الدَّ

بِهَاجَاتِ الثِّيَابِ يُخْلِقُهَا^(٤) الدَّهْرُ
فَاكْسُنِي مَا يَبِيدُ أَصْلَحَكَ الدَّ

فأمر له بجائزة، وأنعم عليه بخلمة سنّية.

العتابي وطوق ابن مالك

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو دعامه، قال:

قال طوق بن مالك للعتابي: أَمَا تَرَى عَشِيرَتَكَ؟ - يعني بني تغلب - كيف تُدِلُّ عَلَيَّ، وتتمرغ وتستطيل، وأنا أصبر عليهم؟! فقال العتابي: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ عَشِيرَتَكَ مِنْ أَحْسَنَ عَشِيرَتِكَ^(٥)، وَإِنَّ عَمَّكَ مِنْ عَمَّكَ خَيْرُهُ، وَإِنَّ قَرِيكَ مِنْ قَرُبٍ مِنْكَ نَفْعُهُ، وَإِنَّ أَخَفَّ النَّاسِ عِنْدَكَ^(٦) أَخَفُّهُمْ ثِقَلًا عَلَيْكَ، وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ:

وَجَبَرْتُ مَا وَصَلُوا مِنَ الْأَسْبَابِ
وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ مِنَ الْأَنْسَابِ

إِنِّي بِلَوْثِ النَّاسِ فِي حَالَتِهِمْ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تَقْرُبُ قَاطِعًا

/ شكوى النمري للعتابي إلى طاهر بن الحسين وإصلاحه ما بينهما

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال حدثنا الرياشي، قال:

(١) في ح: من: «سوائي».

(٢) في ح: «ظن».

(٣) هذا ما في ح، وفي سائر الأصول: «وهذه».

(٤) يخلقها: يلبسها.

(٥) في كل الأصول: «عشيرتك».

(٦) في ح: «عليك».

شكا منصور النمري العتابي إلى طاهر بن الحسين، فوجه طاهر إلى العتابي، فأحضره، وأخفى منصوراً في بيت قريب منهما، وسأل طاهر العتابي أن يصالحه، فشكا سوء فعله به، فسأله أن يصفح عنه، فقال: لا يستحق ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتابي، لم لا أستحق هذا منك؟ فأنشأ العتابي يقول:

أَصْحَبْتُكَ الْفَضْلَ إِذْ لَا أَنْتَ تَعْرِفُهُ / حَقًّا وَلَا لَكَ فِي اسْتِصْحَابِهِ أَرْبُ
لَمْ تَرْتَبِطْ عَلَى وَصْلِي مُحَافَظَةً / وَلَا أَعَاذَكَ مِمَّا اغْتَالَسَكَ الْأَدَبُ
مَا مِنْ جَمِيلٍ وَلَا عُرفٍ نَطَقَتْ بِهِ / إِلَّا إِلَيَّ وَإِنْ أَنْكَرْتَ يَنْتَسِبُ

قال: فأصلح طاهر بينهما - وكان منصور من تعليم العتابي وتخريج^(١) - وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف درهم. أخبرني عمر بن عبد الله بن أبي سعد عن الحسين بن يحيى الفهري عن العباس بن أبي ربيعة السلمي، قال: شكا منصور النمري كلثوم بن عمرو العتابي إلى طاهر. ثم ذكر مثله.

العتابي يفضل العلم والأدب على المال

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال:

كان العتابي جالساً ذات يوم ينظر في كتاب، فمر به بعض جيرانه، فقال: أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له؟ فأنشد العتابي يقول:

يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَقْوَاماً إِذَا تَفَقُّوا / ذَا اللَّبِّ يَنْظُرُ فِي الْأَدَابِ وَالْحَكَمِ^(٢) [١١٩/١٣]
قَالُوا وَلَيْسَ بِهِمْ إِلَّا نَفَاسَتُهُ / أَنْفَعُ ذَا مِنْ الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ^(٣)
وَلَيْسَ يَذُرُونَ أَنَّ الْحِظَّ مَا خُيِّرُوا / لِحَالِهِمْ اللَّهُ، مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ فَهَمٍ^(٤)

قول العتابي في عزل طاهر بن علي

أخبرني علي بن صالح وعمي، قالوا: حدثنا أحمد بن طاهر، قال: حدثنا أبو حيدرة الأسدي، قال:

قال العتابي في عزل طاهر بن علي، وكان عدوه:

يَا صَاحِباً مَتَلَوْنَا / مَتَابِناً فَعَلِي وَفَعْلَهُ
مَا إِنْ أَحَبُّ لَكَ السَّرْدَى / وَيُسْرَتِي وَاللَّهِ عَزَلَهُ
لَمْ تَعُدْ فِيمَا قَلَّتْ لِي / وَفَعَلْتَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
كَمْ شَاغِلٍ بِكَ عَذَوْتِيهِ / وَفَارَغَ مَنْ أَنْتَ شُغْلُهُ^(٥)

أخبرني أحمد بن الفرّج، قال: حدثني أحمد بن يحيى بن عطاء الحُراني عن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرّج، قال:

(١) من تعليم العتابي: أي من تلاميذه.

(٢) في الأصل: «نفقوا»، وهو تحريف. ويقال ثقّف الرجل الرجل: ظفر به ووجده.

(٣) النفاسة: الحسد. والإقتار: القلة والفاقة. ومثله العدم.

(٤) الفهم، بالتحريك: الفهم، ومثلهما الفهامة.

(٥) العدوتان: جانباً الوادي. يريد: إن كثيراً يشغلون أنفسهم بك في الآفاق ولكن من يشغل نفسه بك فارغ لا ينال شيئاً. وفي الأصل: «ما أنت».

مدحه جعفرًا لما أمّنه عند الرشيد

لما سعى منصورُ النمريُّ بالعتابيِّ إلى الرشيد اغتاض عليه، فطلبه، فستره جعفر بن يحيى عنه مدّة، وجعل يستعطفه عليه، حتّى استل ما في نفسه، وأمّنه، فقال يمدح جعفر بن يحيى:

ما زلتُ في غَمَرَاتٍ^(١) الموتِ مُطَرِّحَا قد ضاق عني فسيحُ الأرضِ مِن جِلي
ولم تزلْ دائبًا تَسْعَى بِلُطْفِكَ لي حتّى اختلست حياتي من يدَيّ أجلي

عودة عبد الله بن طاهر له في مرضه

/ أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن خلاّد عن أبيه، قال: [١٢٠/١٣]

عاد عبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب، كلثوم بن عمرو العتابي، في عِلّةٍ اعتلّها، فقال الناس: هذه خَطَرَةٌ خَطَرَتْ! فبلغ ذلك العتابي، فكتب إلى عبد الله بن طاهر:

قالوا الزّيارَةُ خَطَرَةٌ خَطَرَتْ ونجارٌ بِرُّكٌ ليس بِالْخَطَرِ^(٢)
أبطلْ مَقَالَتَهُم بِشَانِيَةٍ تستفسد المعروفَ من شُكْرِي

فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله، وركب هو وإسحاق بن إبراهيم، فعاداه مرة ثانية.

عبد الله بن هشام التغلبي يصله بعد العتب والكتابة إليه

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي، قال: حدّثني / أبو العيّن، قال: حدّثني أبو العلاء المعري^(٣)، قال: ^٨
عتب عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي على كلثوم بن عمرو التغلبي في شيء بلغه عنه، فكتب إليه:

صوت

لَقَدْ سُمْنَتِي الْهَجْرَانُ حَتَّى أَذْقَنِي عقوباتٍ زَلّاتِي وَسُوءِ مَنَاقِبِي
فَهَا أَنَا سَاعٍ فِي هَوَاكَ وَصَابِرٌ على حَدٍّ مَصْقُولٍ الْغَرَارِينَ قَاضِبٍ^(٤)
وَمَنْصَرَفٍ عَمَّا كَرِهْتَ وَجَاعِلٌ رِضَاكَ مِثَالًا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي

قال: فرضي عنه، ووصله صلةً سنّية.

/ الغناء في هذه الأبيات لسعيد مولى فائد، ثاني ثقليل بالبصرة، عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه منحول [١٢١/١٣] يحيى، وذكر أحمد بن المكي في كتابه، أنه لأبي سعيد، وجعله في باب الثقليل الأوّل بالبصرة، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله.

ربيعة تقتل واحداً من فزارة في خفارتها فاستعدى القيسي الحاكم على ربيعة

أخبرني الحسين بن القاسم، قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال: أخبرني الحسين بن

داود الفزاري عن أبيه، قال:

(١) الغمرات: جمع غمرة، وهي الشدة.

(٢) النجار: الأصل - وفي النسخ: «وبحار».

(٣) هذا غير الشاعر المعروف المتوفى سنة ٤٤٩.

(٤) الغراران: الحدان. والقاضب: القاطع.

كان أخوان من فزارة يخفّران قرية بين آمد وسُميساط، يقال لها تل حوم، فطال مقامهما بها حتى أثريا، فحسدهما قوم من ربيعة، وقالوا: يخفّران هذان الضياع في بلدنا! فجمعوا لهما جمعا، وساروا إليهما، فقاتلوهما، فقتل أحدهما، وعلى الجزيرة يومئذ عبد الملك بن صالح الهاشمي، فشكا القيسي أمره إلى وجوه قيس، وعرفهم قتل ربيعة أخاه، وأخذهم ماله. فقالوا له: إذا جلس الأمير فادخل إليه. ففعل ذلك، ودخل على عبد الملك، وشكا ما لحقه، ثم قال له: وحسب الأمير أنهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائل منهم:

اشربا ما شربتما إن قيساً
من قتيلى وهالك وأسير
لا يحوزن أمرنا مضرى
بخفيين ولا بغير خفيير

فقال عبد الملك: أتدبني^(١): إلى العصية؟ وزبره^(٢)، فخرج الرجل مغموماً، فشكا ذلك إلى وجوه قيس، فقالوا: لا ترع، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه، فعاوده. فعاوده في المجلس الآخر، فزبره، وقال له قوله الأول، فقال له: [١٢٢/١٣] إني لم آتك / أنذبك للعصية، وإنما جئتك مستعدياً^(٣)، فقال له: حدثني كيف فعل القوم؟ فحدثه وأنشده، فغضب فقال: كذب^(٤) لعمرى، ليحوزنها. ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده، فقال: اخرج فجرد السيف في ربيعة، فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتابي قصيدته التي أولها:

ماذا شجاك بحوارين من طلّس
ودمنة كشفت عنها الأعاصير^(٥)

يقول فيها:

هذي يمينك في قرباك صائفة
وصارم من سيوف الهند مشهور
إن كان منادو وإفك ومبارقة
وعصبة دينها العدوان والزور
فلن مئالي لا يستح إذا
حكت الجياد وضمتها المضامير
مستبسط عزمات القلب من فكر
مابينهن وبين الله معصور

٩ / يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي، وكان قد أخذ قوادهم.

شعر العتابي يجعل عبد الملك يأمر بالكف عن قتال ربيعة

فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عصمة بالكف عنهم، فلما قديم الرشيد الرفافة أنشده عبد الملك القصيدة، فقال: لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو، فقال: وما يمنعه أن يكون بيابنا. فأمر بإشخاصه من رأس^(٦) عين، فوافى الرشيد وعليه قميص غليظ، وفروة وخف، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل، فلما رفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حجرة، وتقام له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدمت إليه أخذ منها رُقاقة وملحاً وخلط الملح بالثراب فأكله بها، فإذا كانت وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقدونه، ويتعجبون من / فعله. [١٢٣/١٣]

(١) أتدبني: أتحتي وتدعوني.

(٢) زبره: زجره وانتهره.

(٣) مستعدياً: مستنصراً مستعيناً.

(٤) في س: «كذبت» والسياق يقتضي حذف التاء.

(٥) حوارين بضم أوله وتشديد الواو وكسر الراء وياء ساكنة: قرية من قرى حلب. وضبطها في «القاموس» بفتح الحاء. الدمنة: واحدة الدمن، وهي آثار الدار.

(٦) رأس عين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين.

الرشيد يأمر بطرده

وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمر بطرده.

يحيى بن سعيد العقيلي يشتري له دابة توصله إلى رأس عين وقد فضح سعيداً بأفعاله

فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله، فسلم عليه، وانتسب له، فرحب به، وقال له: ارتفع. فقال: لم آت لك للجلوس، قال: فما حاجتك؟ قال: دابة أبلغ عليها إلى رأس عين، فقال: يا غلام أعطه الفرس الفلاني. فقال: لا حاجة لي في ذلك، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أبلغ عليها. فقال لغلامه: امض مع فابتع له ما يريد. فمضى معه، فعدل به العتابي إلى سوق الحمير، فقال له: إنما أمرني أن أبتاع لك دابة. فقال له: إنه أرسلك معي، ولم يرسلني معك، فإن عملت ما أريد وإلا انصرف. فمضى معه فاشتري حماراً بمائة وخمسين درهماً، وقال: ادفع إليه ثمنه، فدفع إليه، فركب الحمار غريباً بمرشحة عليه وبرذعة، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيد: فضحتني، أمثلي يحمل مثلك على هذا؟ فضحك، وقال: ما رأيتُ قدرَكَ يستوجب أكثرَ من ذلك. ومضى إلى رأس عين.

لوم زوجته له وما قال في ذلك

وكانت تحته امرأة من باهلة، فلامته، وقالت: هذا منصور النمرئي قد أخذ الأموال فحلّى نساءه، وبني داره، واشترى ضياعاً، وأنت ها هنا كما ترى! فأنشأ يقول:

تلوم على ترك الغنى باهليّة زوي الفقر عنها كل طرف وتالسّد^(١)
رأت حولها الثّوان يرفلن في الثّرا مقلّدة أعناقها بالقلائد^(٢)
أسرك إني نلت ما نال جعفر من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وإن أمير المؤمنين أغصني مفضّهما بالمشركات البوارد^(٣)
/ رأيت رفيفات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود^(٤)
دعيني تجشني ميتسي مطمنة ولم أتجشم حول تلك الموارد^(٥)

[١٢٤/١٣]

وهذا الخبر عندي فيه اضطراب؛ لأن القصيدة المذكورة التي أولها:

* ماذا شجاك بخوارين^(٦) من طلل *

للعتابي في الرشيد، لا في عبد الملك، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متفقاً منه. وله أخبار معه طويلة، وقد حدّثني بخبره هذا لما استوهب رفّع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية. عتب الرشيد على العتابي وقطعه الهبات فيتنصل بقصيدته هذه

أخبرني عمي قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعيد، قال: حدّثني مسعود بن إسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال:

(١) الطرف: الجديد. والتالد: القديم. وانظر كتاب «الحيوان» للجاحظ (٤: ٢٦٥).

(٢) يرفلن: تجر الواحدة ذيلها وتبختر.

(٣) أغصني: من الغصة، وهي ما يعترض في الخلق فتحبس الأنفاس به. ويروي: «أغصني معضهما». المشرقات: السيوف اللوامع. البوارد: التي تثبت في الضريبة لا تشني.

(٤) الأساود: جمع أسود وهو الحبة. (٥) ورد في كل الأصول «ميتسي»، تحريف. (٦) انظر ما سبق في ص ١٢٢.

عتب الرشيدُ على العتابي أيام الوليدِ بنِ طريف، فقطع عنه أشياء كان عوده إياها، فأتاه متصلاً بهذه القصيدة:

١٠ / ماذا شجاك بحوَّارين من طليل
١٢ / وماذا شجاك حتى ضميرُ القلبِ مشترك
وفي ناظري انقباضٌ عن جفونهما
لو كنتِ تدرين ما شوقي إذا جعلتِ
علمتِ أن سُرى ليلى ومُطلعي
إذ الركائبُ مخوفٌ نواظرها
نادتك أرحامنا اللاتي نُمتُّ بها
/ مُستبطن عَزَمَاتِ القلبِ من فكرٍ
فُتَّ المدائحُ إلا أنْ أنفسنا
ماذا عسى مَادِحٌ يُثني عليك وقد
إن كان منا ذُووُ إفكٍ ومارقة
فلأن منا السذي لا يستحُ إذا
ومن عرائقه السَفاح عندكم
الآن قد بُعدت في خطو طاعتكم

١٠
١٢

[١٢٥/١٣]

الرشيد يرضى عن العتابي ويرد أرزاقه ويصله

- يعني يزيد بن يزيد، وهشام بن عمرٍ والتغلي، وهو من ولدِ سُفْيَاحِ بن السفاح - قال: فرضي عنه وردَ أرزاقه ووصله.

صوت

تطاول ليلى لم أنمه تقلباً
فإن تكن الأيامُ فرَقَسَ بيننا
كأن فراشي حال من دونه الجمرُ
فقد بان مني تذكُّره العذرُ

الشعر للأبيد الرياحي، والغناء لبابوية، ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن عمرو، وفيه رَمْلٌ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج. وقيل إنه منحول.

- (١) نجران: موضع بالبحرين وموضع قرب دمشق. والتغوير: الدخول في الغور.
(٢) الجلال بالجميم والبدال: النوق الصلاب وما غزر لبنها أو قل ضد. والجلة: المسان من الإبل. وفي ش: «الحيلة» تحريف. والخور: جمع خوارة على غير قياس، وهي الناقة الغزيرة اللبن.
(٣) الإفك: البهتان. والمارقة: الخارجة على الدين.
(٤) المضامير: جمع مضمار، وهو الموضع الذي تضرع فيه الخيل. وروى في ص ١٢٢: «وضمنتها المضامير».
(٥) المخبور: المختبر. وصدر البيت محرف.
(٦) الغشامير بالغين من الغشمة وهي: التهضم والظلم. وفي ش، حبالعين المهملة.

/ أخبار الأبيرد ونسبه

أخبار الأبيرد ونسبه

الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتّاب بن هزّمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ، من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية.

الأبيرد ليس مكثراً ولم يتكسب بشعره

وليس بمكثّر، ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم.

وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بريداً أخاه، وهي معدودة من مختار المراثي.

الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوّجت غيره

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الرياحي يهوى امرأة من قومه ويَجُنُّ بها حتى شهِرَ ما بينهما، فحجبت عنه، وخطبها فأبوا أن يزوّجوها إياه، ثم خطبها رجلٌ من ولد حاجب بن زُرارة، فزوّجته، فقال الأبيرد في ذلك:

إذا ما أردتَ الحسنَ فانظر إلى التي تبغى لقيط قومه وتخيّر^(١)

لها بشرٌ لو يدرُجُ الذرُّ فوقه لبان مكان الذرِّ فيه فأتّر^(٢)

/ لعمري لقد أمكنتِ منا عدونا وأقررتِ للعادي فأخنى وأهجر^(٣)

١١
١٢

لم يرض الأبيرد من حارثة بن بدر ثوبين يدخل بهما على ابن زياد

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إلي قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال:

/ قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال: اكسني بُردَيْن أدخلُ بهما على الأمير - يعني عبيد الله بن زياد - [١٣/١٢٧] وكساه ثوبين فلم يرضهما، فقال فيه:

أحارث أمسك فضلَ برديك إنما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

وكنْتُ إذا استمطرْتُ منك سحابةً لثْمَطِرني عادت عَجاجاً وسافيا^(٤)

أحارثُ عاود شُرْبَكَ الخمرَ إنني أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياته هذه حارثة فقال: قَبَّحه الله: لقد شَهِد بما لمْ يعلم. وإنما أدعُ جوابه لما لا يعلم. هكذا ذكر محمد بن سلام.

(١) تبغى لقيط قومه: طلب إليهم أن يساعده ويتخيروا له ذات النسب.

(٢) البشر: الجلد. والذر: صغار النمل.

(٣) أقررت: خضعت. للعادي روى في كل الأصول «للوادي» ولعلها ما أثبتنا. أخنى: قال الخنا. وأهجر: قال هجرأ.

(٤) العجاج: الغبار. والسافي: الريح تحمل تراباً.

حارثة منع عنه الكسوة لما بلغه مجاؤه

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: هَجَا الْأَبِيرْدُ الرِّيَاحِيُّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ فَقَالَ:

أَحَارِثُ رَاجِعَ سُورَتِكَ الْخَمَرَ إِنَّنِي أَرَى ابْنَ زِيَادٍ عَنْكَ أَصْبَحَ لَا هِيَا
أَرَى فِيكَ رَأْيَا مِنْ أَبِيهِ وَعَمِّهِ وَكَانَ زِيَادٌ مَاقَتَا لَكَ فَالِيَا

وذكر البيهقي الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام، وقال في خبره هذا: فكان حارثة يكسوه في كل سنة بردين، فحبسهما عنه في تلك السنة، فقال حارثة بن بدر يجيبه:

فإِنْ كُنْتَ عَنْ بَرْدِيٍّ مُسْتَغْنِيًّا لَقَدْ أَرَاكَ بِأَسْمَالِ الْمَلَابِسِ كَاسِيَا^(١)
وَعَشْتَ زَمَانًا أَنْ أَعْيُنَكَ كُسُوتِي قَنَعْتَ بِأَخْلَاقٍ وَأَمْسَيْتَ عَارِيَا^(٢)
وَبَرْدِينَ مِنْ حَوْكِ الْعِرَاقِ كُسُوتَهَا عَلَى حَاجَةٍ مِنْهَا لِأُمِّكَ بِادِيَا^(٣)

[١٢٨/١٣] / فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر:

زَعَمْتُ غُدَانَةً أَنْ فِيهَا سِيدَا ضَخْمًا يَوَارِيهِ جَنَاحُ الْجَنْدِبِ^(٤)
يُزْوِيهِ مَا يُرَوِي الذَّبَابَ وَيَنْتَشِي لَوْمًا وَيَشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْأَرْنَبِ

وقال أيضاً لحارثة بن بدر:

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ غُدَانَةٍ أَنَهَا تَكُونُ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٥)
أَبَى اللَّهِ أَنْ يَهْدِيَ غُدَانَةً لِلْهَدَى وَأَنْ لَا تَكُونَ الدَّهْرَ إِلَّا مَوَالِيَا^(٦)
فَلَوْ أَنَّ نِيَّ الْقَى ابْنَ بَدْرِ بِمَوْطِنِ نَعْدُ بِهِ مِنْ أَوْلِيَانَا الْمَسَاعِيَا^(٧)
تَقَاصَّرَ حَتَّى يَسْتَقِيدَ وَبَذَهُ قُرُومَ تَسَامَى مِنْ رِيَّاحِ تَسَامِيَا^(٨)
أَيَا فَارِطَ الْحَيِّ الَّذِي قَدْ حَشَا لَكُمْ مِنَ الْمَجْدِ أَنْهَاءَ مَلَاءِ الْخَوَايِيَا^(٩)
وَعَمِّي الَّذِي فَكَّ السَّمِيدَ عَنْوَةً فَلَسْتُ بِنَعْمِي يَا ابْنَ عَقْرَبِ جَازِيَا
كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغْنَانِيَا^(١٠)
أَلَمْ تَرْنَا إِذْ سَقَتْ قَوْمَكَ سَائِلَا ذَوِي عَدَدٍ لِلْسَائِلِينَ مَعَاطِيَا

(١) الأسمال: الثوب الخلق أو الأثواب الخلقة.

(٢) عينه: أعطاه. الأخلاق: جمع خلق بالتحريك: الثوب المهلهل.

(٣) حوك العراق: نسجه. وكان مشهوراً بالدقة في ذلك الزمان. وفي جميع الأصول «حول» باللام.

(٤) غدانة: هي من يربوع تسمى به القبيلة. والجندب: الجراد.

(٥) الكفاف: ما يكف عن الناس ويغني.

(٦) الموالى: العبيد.

(٧) المساعي: مآثر أهل الشرف والفضل. في الأصول: «يعينه من أولينا»، وهو تحريف.

(٨) استقاد: ذل وخضع. القروم: السادة. ورياح: قبيلة.

(٩) الفارط: السابق لإصلاح الحوض والدلاء. والأنهاء: جمع نهى، وهو الغدير. والخوابي: جمع خابية، وهي حوض يجتمع فيه الماء.

(١٠) هذا البيت يروي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، ونقل السمرطلي عن «أمالى القالي» أنه لسيار بن هبيرة.

بني الردف حمالين كل عزيمة (١) إذا طلعت والمترعين الجوابيا (٢)
وإنا لنعطي النصف من لو نصيمه أقر ولكننا نحسب العوافيا (٣)

/ الردف الذي عناه ها هنا: جدّه عتاب بن هرمي بن رياح، كان ردّف بن المنذر، إذا ركب ركب وراءه، [١٢٩/١٣] وإذا جلس جلس عن يمينه، وإذا غزا كان له المرباع؛ وإذا شرب الملك سقي بكأسه بعده، وكان بعده ابنه قيس بن ١٢ عتاب يزدف (٣) النعمان. وهو جدّ الأبيرد أيضاً.

الأبيرد وسعد العجلي

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال:

كانت بنو عجل قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عجلًا، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم، يقال له سعد، ويجالسه، وكان قصده امرأة سعد هذا، فمالت إليه فومقته، وكان الأبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريفاً، وكان سعد شيخاً هماً (٤)، فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرهما وتحدث بهما، وأتهم الأبيرد بها، فشكاه إلى قومه واستعذروهم منه (٥)، فقالوا له: مالك تتحدث إلى امرأة الرجل؟ فقال: وما بأس بذلك (٦)؟ وهل خلا عربي منه؟ قالوا: قد قيل فيكما ما لا قرار عليه، فاجتنب محادثتها، وإياك أن تعاودها. فقال الأبيرد: إن سعداً لا خير فيه لزوجته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنني رأيته يأتي فرسه اللقاء، ولا فضل فيه لامرأته، فهي تبغضه لفعله، وهو يتهمها لعجزه عنها. فضحكوا من قوله، وقالوا له: وما عليك من ذلك؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس إليها. فقال الأبيرد في ذلك:

/ ألم تر أن ابن المعذر قد صحبا (٧) وودّع ما يلحى عليه عواذله (٨)
غدا ذو خلاخيل علي يلومني وما لوم عذال عليه خلاخله (٩)
فدع عنك هذا الحلبي إن كنت لأمي فإني امرؤ لا تزدهيني صلاصله (٩)
إذا خطرت عنس به شدنية بمطرد الأرواح ناء مناهله (١٠)
تبيّن أقوام سفاهة رأيهم ترخل عنهم وهو عف منازله
لهم مجلس كالرؤن يجمع مجلساً لثاماً مساعيه كثيراً هتامله (١١)
تبرأت من سعد وخلّة بيننا فلا هو معطيني ولا أنا سائله

(١) الجوابي جمع جابية: الحوض يجمع فيه الماء.

(٢) نصيمه: نظلمه، والظلم علامة القوة. العوافي: جمع عافية: السلامة.

(٣) يردف: يقال يردف الملك: يجلس عن يمينه ويشرب بعده.

(٤) الهم والهمة بكسر الهاء: الشيخ الفاني.

(٥) استعذروهم: استعدهم عليه واستنصرهم.

(٦) ما بأس بذلك: ما عيب في ذلك. وفي الحديث أن النبي ﷺ استعذر أبا بكر من عائشة، كان عتب عليها في شيء وقال لأبي بكر: اعذرني منها إن أدبتها. أي قم بعذري في ذلك. ويقال أما تعذرني من هذا، أي أما تتصفني.

(٧) يلحى: أي يلوم.

(٨) أي لا أهتم بلوم من هو كائنساء يلبس الخلاخل.

(٩) صلاصله: رنينه وصوته.

(١٠) العنس: الناقة الصلبة. والشدنية من الإبل: منسوبة إلى موضع باليمن.

(١١) جعله كالردن، وهو أصل الكم، في ضيقه وقلة عددهم. وفي الأصول: كالردن. والهمة: الكلام الخفي.

متى تُتَّجُّ البلقاءُ يا سعد أم متى تُلَقَّحُ من ذات الرِّباطِ حوائله ^(١)
يحدثُ سعد أنَّ زوجته زنت ويا سعدُ إنَّ المرءَ تزني حلائله
فإن تَسْمُ عيناها إليَّ فقد رأت فتى كحسام أخلصَّته صياقله ^(٢)
فتى قَدْ قَدْ السَّيفُ لا متضائلٌ ولا رهيلٌ لبَّاته وأباجله ^(٣)

- وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلولي، ولأخت يزيد بن الطثيرة - فاعترضه سلمان العجلي فهجاه وهجا بني رياح فقال:

[١٣١/١٣] / لعمرك إنني وبني رياح
يسوقون ابنَ وجرة مزمثرا
وكم من شاعرٍ لبني تميم
كسونا - إذ تخرقُ ملبسناه -
وإن يُذكر طعامُهم بشرٌ
/ شريجٌ من مَنِيَّ أبي سواج
وسوداء المغابن من رياح
إذا ما مرب القعقاع ركب
تداولها غواة الناس حنَّي

١٣
١٢

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له:

عوى سلمان من جَوْ فلاقى
عوى من جُنَّه وشقيَّ عجل
بنو عجل أذل من المطايا
أخو أميل اليمامة سهم رمي
غواة الذئب مُختلَطَ الظلام ^(١٠)
ومن لحم الجزور على الثمام ^(١١)

(١) الرباط: الخيل أو الخمس منها فما فوقها، والمرابطة: أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة وكل معد لصاحبه. وسمي المقام بالثغر رباطاً. والحوائل: جمع حائل وهي التي حمل عليها فلم تلحق، والتي لم تلحق سنة أو ستين أو سنوات.

(٢) الصياقل: جمع صيقل.

(٣) الرهيل: المسترخي. ولباته جمع لبة: وهي موضع النحر. والأبجل: عرق غليظ في اليد أو الرجل. وفي بعض النسخ «أناصله» تحريف.

(٤) المزمثر: الغاضب.

(٥) في الأصول: «إذ يخرق».

(٦) الشريجان: لوانان مختلفان. وأبو سواج، ورد في «القاموس»: «أبو سواج الضبي أخو بني عبد مناة». الأم: جمع أمة، وهي المرأة المملوكة ليست بحرة.

(٧) المغابن جمع مغبن وهو: الإبط. والكردوس: كل عظم كثير اللحم. والكهام: الكليل.

(٨) القعقاع: مكان.

(٩) ليل التمام، بالكسر: أطول ليالي الشتاء.

(١٠) يعني بشقي عجل، سلمان العجلي. مختلط الظلام، أي وقت اختلاط الظلام.

(١١) الجزور: البعير أو خاص بالناقة المجزورة. والثمام: نبت خفيف. ويقصد أنهم كالشريحة الصغيرة يتحملها هذا النبت الضعيف، وذلك لحقارته.

[١٣٢/١٣]

تَحَيَّسَا الْمَسْلُومُونَ إِذَا تَلَاقَوْا
 إِذَا عَجَلِيَّةٌ وَلَدَتْ غَلَاماً
 / يَمَاصُّ بِشَدِيدِهَا فَرخٌ لثِيمٌ
 خَيْبَتْ الرِّيحُ يَنْشَأُ بِالمَخَازِي
 أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِيِّ بْنِ تَمِيمٍ
 وَكَائِنٌ مِنْ رِئِيسِ قَطْرَتِهِ
 وَجَيْشٍ قَدِ رَبَعْنَاهُ وَقَوْمٍ
 وَعَجَلٌ مَا تَحَيَّسَا بِالسَّلَامِ
 إِلَى عَجَلٍ فَقُبُّحٌ مِنْ غَلَامٍ
 سُلالَةُ أَعْبَدٍ وَرَضِيْعُ أُمٍّ^(١)
 لثِيمٌ بَيْنَ آبَاءِ لُثَامِ
 ذَوِي الْأَكْسَالِ وَالْهَمَمِ الْعِظَامِ^(٢)
 عَوَامِلُنَا وَمِنْ مَلِكٍ هُمَامِ^(٣)
 صَبَخْنَاهُ بِذِي لَجَبٍ لُهامِ^(٤)

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ فَلَمْ نَدَعْ
 مِنَ الْقُلُوحِ فُشَاءً ضَرُوطُ يَهْرُهُ
 وَأَقْلَحَ عَجَلِي كَأَن بَخْطِمِهِ
 يَزِلُّ النَّوَى عَنْ ضِرْسِهِ فِيرُدُّهُ
 إِذَا شَرِبَ الْعِجْلِيُّ نَجَّسَ كَأْسَهُ
 شَدِيدٌ سَوَادِ الْوَجْهِ تَحْسِبُ وَجْهَهُ
 إِذَا مَا حَسَاهَا لَمْ تَزِدْهُ سَمَاحَةً
 فَلَا يَشْرَبَنَّ فِي الْحَيِّ عَجَلٌ فَإِنَّهُ
 / يَقَاسِي نَدَامَاهُمْ وَتَلْقَى أُنُوفَهُمْ
 وَلَمْ تَكْ فِي الْإِشْرَاكِ عَجَلٌ تَذُوقُهَا
 وَيُنْفِقُ فِيهَا الْحَنْظَلِيُّونَ مَالَهُمْ
 وَلَكِنَّهَا هَانَتْ وَحُرِّمَ شَرِبُهَا
 لِسَلَمَانَ سَلَمَانَ الْيَمَامَةِ مَنظُرَا
 إِذَا الطَّيْرُ مَرَاتٍ عَلَى الدَّوْحِ صَرَصَرَا^(٥)
 نَوَاجِذُ خَنْزِيرٍ إِذَا مَا تَكْشُرَا^(٦)
 إِلَى عَارِضٍ فِيهِ الْقَوَادِحُ أَبْخُرَا^(٧)
 وَظَلَّتْ بِكَفِّي جَانِبٍ غَيْرِ أَزْهَرَا^(٨)
 مِنْ الدَّمِ بَيْنَ الشَّارِبِينَ مَقْيَرَا^(٩)
 وَلَكِنْ أَرْتَهُ أَنْ يَصْرَّ وَيَخْصُرَا^(١٠)
 إِذَا شَرِبَ الْعِجْلِيُّ أَخْنَى وَأَهْجُرَا^(١١)
 مِنَ الْجَذَعِ عِنْدَ الْكَأْسِ أَمْرًا مَذْكَرَا^(١٢)
 لِيَالِي يَسْبِيهَا مَقَاوِلُ حَمِيرَا^(١٣)
 إِذَا مَا سَعَى مِنْهُمْ سَفِيَةً تَجَبَّرَا
 فَمَا لَسْتَ بِنُوعِ عَجَلٍ لِمَا كَسَانُ أَكْفَرَا

[١٣٣/١٣]

- (١) الآم جمع أمة: المملوكة غير الحرة.
- (٢) في الأصول: «الآطال» تحريف. وذوو الآكال: سادة الأحياء الأخذون للمرباع. وآكال الملوك مآكلهم.
- (٣) قطرته: صرعه. وعواملنا: رماحنا.
- (٤) اللهام: الجيش العظيم.
- (٥) القلح بالضم جمع أفلح وهو: الفاسد الأسنان. يهره: يجعله يهر كالكلاب لفزعه. وفي الأصول: «بهره» وكذا «مراي الزرع».
- (٦) الخطم: مقدم الفم والأنف، وأصله للدواب. وفي النسخ: «مخطه» تحريف.
- (٧) القوادح: جمع قادح أكال، بضم أوله، يوجد في الأسنان.
- (٨) الجانب: القمى القصير الدليل وفي بعض الروايات «جانب» بالتسهيل وهو تصحيف.
- (٩) مقير: مطلي بالقار، وهو الزفت. وفي الأصول: «مغيرا».
- (١٠) يصر: أصل الصر الجمع والشد. يحصر: يبخل.
- (١١) أخنى: قال الخنا، وهو الفحش. وفي الأصول: «أخنى». وأهجر: قال هجراً وقولاً منكراً.
- (١٢) الجذع: القلع. وفي الأصول: «ويلقي ألوفهم من الجذع». والمذكر: الشديد.
- (١٣) يسبها: يشتريها. والمقاوِل: جمع مقول كمنير: الملك من ملوك حمير.

لعمري لئن أزننثم أو صحتهم لبئس الندامى كتنم آل أبجرا^(١)

مجاثل وعرادة يتفاخران بنحر الشياه والإبل

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال: كان مجاثل بن مرة بن محكان السعدي وابن عم له يقال له: عرادة، وقد كان عرادة اشترى / غنماً له فأنهبها، وكانت مائة شاة، فاشترى مرة بن محكان مائة من الإبل فأنحر بعضها^(٢) وأنهب باقيها، وقال أبو عبيدة: إنهما^(٣) تفاخرا، فغلبه مرة، فقال الأبيرد لعرادة:

شرى مائة فأنهبها جميعاً ويئت تقسم الحذف^(٤) النقادا

فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرة بن محكان فحبسه وقيدته، ووقع بعد ذلك من قومه لحاء، فكانت بينهم شجاج^(٥)، ثم تكافؤوا وتوافقوا على الذيات فأنبىء^(٦) مرة بن محكان وهو محبوبس، فعرف ذلك فتحمل جميعها في ماله، فقال فيه الأبيرد:

الله عينا من رأى من مكبل كورة إذ شذت عليه الأدهم^(٧)
/ فأبلغ عبيد الله عني رسالة فلإنك قاض بالحكومة عالم
فلإن أنت عاقبت ابن محكان في الندي فعاقب هداك الله أعظم حاتم^(٨)
تعاقب خرقاً أن يجود بماله سعى في نأى من قومه متفاقم^(٩)
كأن دماء القوم إذ علقبت به على مكفهر من ثايا المخارم^(١٠)

[١٣٤/١٣]

الأبيرد وابن عمه الأخوص يعرضان رجلاً على سحيم بن وثيل الرياحي

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، قال: حدثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحي وابن عمه الأخوص، وهما من رهط ردف الملك من بني رياح، يطلب منهما قطراناً لإبله فقالا له: إن أنت بلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً. فقال: قولا. فقالا: اذهب فقل له:

فلإن بُداهتني وجراء حولي لسدو شق على الحطم الحرون^(١١)

(١) أزننثم: اتهمتم.

(٢) أنحرها: أراد جعلها للنحر، ولم نجد هذا الفعل بهذا المعنى في المعاجم.

(٣) في حـ: «إنما».

(٤) الحذف بالتحريك وبالفاء لا القاف. في حـ: «الغنم السود حجازية أو حرشية بلا أذنان ولا آذان». وجاء بالذال المهملة والقاف في س، وهو تحريف. والنقاد: جمع نقد بالتحريك: جنس من الغنم قبيح الشكل، وراعيه نقاد.

(٥) الشجاج: جمع شجة، وهي الجرح في الوجه والرأس.

(٦) في الأصول: «فأني».

(٧) الأدهم: جمع أدهم وهو القيد.

(٨) حاتم، أي جواد كحاتم.

(٩) الثأي كالسعي والثري: الإفساد والجرح والقتل ونحوه وفي هذا البيت وما بعده إقراء كسابقهما.

(١٠) المكفهر: الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ. والمخارم جمع مخرم: الطريق في الغلظ.

(١١) البداة: أول جري الفرس. والجراء: الجري. والشق: المشقة. والحطم: العسوف العنيف. والحرون، أصله الفرس الذي لا ينقاد. وفي الأصول: «وعشق على الحطم» صوابه من «الأصمعيات» ص ٥ طبع المعارف

قال: فلما أتاه وأنشد الشعرَ أخذَ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يُقبل فيه ويدبر، ويُهَمِّمُ بالشعر. ثم قال: اذهب فقل لهما:

فلإنَّ عُلاَّتني وجراءَ حَولي لذو شِقِّ على الضَّرَعِ الظَّنون^(١)
أنا ابنُ الغُرِّ من مَلَفِّي رياح كنصل السيف وضاحُ الجبين
أنا ابنُ جلا وطلاغِ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني^(٢)
/ وإنَّ مكاننا مِن حنيري مكانُ الليث من وسطِ العَرين
وإنَّ قناتنا مَشِطُ شطاهَا شديد مَدُّها عُنُقَ القَرين^(٣)

[١٣٥/١٣]

- قال الأصمعي: إذا مسَّت شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل: مشطت يدي والشطأ: ما تشطَّى منها -

وإنني لا يعسود إليَّ قِرني غداة الغيبِ إلا في قَرين^(٤)
بذي لِبْدٍ يصدُّ الركب عنه ولا تُؤتَى فريسته لحيـن^(٥)
غدرتُ البُزْلَ إذ هي صاولتني فما بالي وبألِ ابْنِي لَبون^(٦)
وماذا تبتغي الشعراءُ مِنِّي وقد جاوَزْتُ رَأْسَ الأَربعين^(٧)
أخو الخمسين مُجْتَمِعَ أَشْدي ونَجَذَنِي مَدَاوِرَ الشَّوون^(٨)
ساحياً ما حييتُ وإنَّ ظهري لذو سَنَدٍ إلى نَصَدٍ أَمين^(٩)

قال: فأتياه فأعتذرا إليه، فقال: إنَّ أحدكم لا يرى أن يصنع شيئاً حتَّى يقيس شعره بشعرنا، / وحسبه^{١٢} بحسبنا، ويستطيف^(١٠) بنا استطفافة المهر الأرن^(١١). فقالا له: فهل إلى التَّزَع من سبيل^(١٢). فقال^(١٣): إننا لم تبلغ أنسابنا.

[١٣٦/١٣]

/ قال اليزيدي: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي.

- (١) الضرع بالتحريك: الصغير من كل شيء. والظنون كصبور: الذي لا يوثق بجريه.
- (٢) أنا ابن جلا، جلا: من الجلاء والظهور، كناية عن العلو. طلاع الثنايا، الثنايا: جمع ثنية وهي العقبة أو الجبل كناية عن سور قمة المعجد. متى أضع العمامة تعرفوني: قال ثعلب: «العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم».
- (٣) مشط بظاء المعجمة، وهذا مثل لا متناح جانبه، أي لا تمس قناتنا فبنالك منها أذى، وإن قرن بها أحد مدت عنقه وجذبه فذل.
- (٤) قرني: نظيري. والقرين: المصاحب. والمعنى أنه لا يأتي منفرداً، لضعفه.
- (٥) اللبد بكسر أوله ويحرك جمع لبد: الشعر في رقبة الأسد. و«يصد» يصح أن تكون لازمة وأن تكون متعدية. يصف بذلك القرين الذي يستعين به قربه.
- (٦) البزل: جمع بازل وهو ما بلغ من الإبل التاسعة. وابن اللبون: ما كان في العام الثاني واستكملة أو إذا دخل في الثالثة. والمعنى: القوي عذر إذا صاولني، فما عذر الضعيف.
- (٧) روى «يدري» بدل «يتغني»، ومعناه يختل بضرب من الحيلة، أي يخدع. و«حد» بدل «رأس».
- (٨) نجذني: جعلني مجرباً.
- (٩) النصد: الوسائد وما حشي من المتاع، وهو أيضاً الأعمام والأحوال المتقدمون في الشرف.
- (١٠) يستطيف: يدور ويحرم.
- (١١) الأرن بفتح الهمزة وكسر الراء: النشيط.
- (١٢) التزع: تحويل الشيء عن موضعه، وهو أيضاً: الكف.
- (١٣) في الأصل: «فقال».

قصيدة الصوت

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريدأ وفي أولها الغناء المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاوَلَ ليلي لم أنمه تقلباً / كأَنَّ فراشي حال من دونه الجمرُ
أراقب من ليل التمام نجومه / لدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا الفجرُ^(١)
تذكرت قَرماً بأن متاً بنصره / ونائله يا حبذا ذلك الذُكرُ^(٢)
فإن تكن الأيامُ فرّقن بيننا / فقد عذرتنا في صحابتنا العذرُ^(٣)
وكنيت أرى هَجْراً فراقك ساعةً / ألا بل الموتُ التفريقُ والهجرُ
أحقُّنا عباد الله أن لستُ لاقياً / بريدأ طَوَالَ الدهر ما لآلَا العُفرُ^(٤)
فَتَى إن هو استغنى تخرّق في الغنى / فإن قلَّ مالاً لم يؤذ متنه الفقرُ^(٥)
وسامى جسيمات الأمور فنالها / على العسر حتى أدرك العُسر اليسرُ^(٦)
نرى القوم في العزاء ينتظرونه / إذا ضلَّ رأيُ القوم أو حَزَبَ الأمرُ^(٧)
فليتك كنت الحي في الناس باقياً / وكنْتُ أنا الميت الذي غيَّبَ القبرُ^(٨)
فَتَى يشري حُسْنَ الثناء بماله / إذا السَّنةُ الشَّهباءُ قلَّ بها القطرُ^(٩)
/ كأن لم يُصاحبنا بُريدُ بغيطة / ولم يأتنا يوماً بأخباره السُّفرُ
لعمري لنعم المرء عالي نعيه / لنا ابنٌ عزيز بعد ما قَصَرَ العصرُ^(١٠)
تمضّت به الأخبار حتى تغلغلت / ولم تثنه الأطباع دوني ولا الجُدرُ^(١١)
ولما نعى الناعي بُريدأ تغوَّلت / بي الأرض فرطَ الحزن وانقطع الظهرُ^(١٢)
عساكر تغشى النفس حتى كأنني / أخو سكرة طارت بهامته الخمرُ^(١٣)
إلى الله أشكو في بُريدٍ مصيبي

[١٣٧/١٣]

(١) لدن: منذ.

(٢) القمر في الأصل: الفحل، وهو السيد. بان من البين: وهو البعد. والذكر بضم الذال: التذكر.

(٣) العذر، بإسكان الذال وأصلها الضم: جمع عذير، كسرير وسرر. والعذير: العاذر. ومثله قول حاتم:

أماوى قد طال التجنب والهجر / وقد عذرتني في طلبكم العذر

(٤) لآلَا العفر: حركت الظباء أذنانها.

(٥) تخرق: صار متلافاً.

(٦) سامى: بارى فنالها بعد الامتناع.

(٧) العزاء مأخوذة من العزاز، وهو الأرض الصلبة الصعبة، وانتقلت مجازاً إلى الشدة.

(٨) روى «ثاويًا» في جـ.

(٩) الشهباء: السنة الشديدة. ويقال أشهبت السنة القوم: جردت أموالهم.

(١٠) عالي: رفع الصوت به. «انعي»: خبر الموت. ابن عزيز، هو في «أمالى القالي» (٣: ٣): «ابن عرين».

(١١) في الأصول: «ولا بينها الأصباح»، صوابه من «الأمالى القالي» والأطباع: جمع طبع، وهو النهر.

(١٢) تغوَّلت: كادت تميد بي.

(١٣) العساكر: الشدائد، في حـ «مالت» بدل «طارت» وفي «الأمالى»: «دارت».

وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكنا
وما زال في عينيَّ بَعْدُ غشاوةٌ
على أنسي أفتى الحياءَ وأنقي
فحياءك عني الليل والصُّبح إذ بدا
سَقَى جدثاً لو أستطيع سقيته
ولا زال يرعى من بلاد ثوى بها
حلفتُ برب الرافعين أكفهم
ومُجْتَمِع الحجاج حيثُ توافقت
/ يمينَ امرئٍ آلى وليس بكاذب
لئن كان أمسى ابنُ المعذر قد ثوى
/ هو الخلفُ المعروفُ والدين والتقى
أقام فنأدى أهلُه فتحملوا
فتى كان يُغلي اللحمَ نيئاً ولحمُه
فتى الحيِّ والأضيافِ إن رَوحتهم
إذا جارةٌ حلتْ لديه وفى بها
عفيف عن السواتِ ما ألتبست به
سلكت سبيلَ العالمين فما لهم
وكل امرئٍ يوماً سيلقى حماه
وأبليت خيراً في الحياة وإنما

من الأجر لي فيه وإن سَرَنِي الأجر
وسَمِعِي عَمَّا كُنت أسمعُه وقسر^(١)
شمانة أعداء عيونهم خُزر^(٢)
وهُوجٌ من الأرواح غُدوتها شهر^(٣)
بأزْد فرواه الروافد والقطر^(٤)
نباتٌ إذا صاب السريغُ بها نضر^(٥)
وربُّ الهدايا حيث حلُّ بها النحرُ
رفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جارُ^(٦)
وما في يمينِ قالها صادقٌ وزرُ
بريدٌ لنعم المرء غيَّبه القبر
ومِسرُ حرب لا كهامٌ ولا غُمر^(٧)
وضُرمت الأسبابُ واختلط النَّجرُ^(٨)
رخيصٌ لجاديه إذا تُنزلُ القدر^(٩)
بليِّل وزاد السفرُ إن أرمِل السفرُ^(١٠)
قأبت ولم يُهتَك لجارته سترُ^(١١)
صليبٌ فما يُلقَى لعود به كسرُ
وراء الذي لا قيت مَعْدَى ولا قصر^(١٢)
وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
ثوابك عندي اليوم أن ينطق الشعرُ

[١٣٨/١٣]

١١
١٢

- (١) الوقر: الصمم. وفي الأصول: «وسمعي كما قد أسمع» صوابه من «الأمالي».
- (٢) أفتى الحياء: يقال قنى الحياء قنوا كرضى ورمى: لزمه، كافتى واقتنى وقنى. الخزر: كسر العين خلقة، أو ضيقها.
- (٣) الهوج: الشديدة. والأرواح جمع روح: الرياح العاصفة.
- (٤) أود بفتح الهمزة وضمها: مكان.
- (٥) ثوى: أطال الإقامة أو نزل.
- (٦) في «الأمالي»: «توافقت» بتقديم القاف.
- (٧) في «الأمالي»: «هو المرء المعروف». مسعر حرب: مثيرها. والكهام البطيء عن النصرة والغمر: الذي لم يجرب الأمور.
- (٨) ضرمت بالباء للمجهول: قطعت. يغلي اللحم: يشتره غالباً، ويقال أيضاً يغلى. قال الشاعر:
تفالي اللحم للأضياف نيئاً
وترخصه إذا نضج القدد
- والنجر: الأصل.
- (٩) الرخيص: أراد به المبدول. والجادي: طالت الجدوى. وهي العطاء.
- (١٠) روحتهم: هبت عليهم. وزاد السفر: هو أن يقوم المرء ب زاد المسافرين الذين لم يحضروا طعاماً. والسفر بسكون الفاء، هم المسافرون. أرمِل: نفذ زاده.
- (١١) في «الأمالي»: «وإن جارة حلت إليه وفي لها * فيات».
- (١٢) معدى: مصروف أو مجاز. والقصر وردت في بعض الأصول «مضر» وهو تحريف، والتصويب عن «ذيل الأمالي» ص ٣.

وقال يرثيه أيضاً، وهي قصيدة طويلة:

إذا ذكرت نفسي بريداً تحاملت
وذكرنيك الناس حين تحاملوا
/ فلا يُبعدنك الله خير أخى أمرى
وَصُولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا
أخو ثقة لا ينتحي القومُ دونَه
ولا يركب الوجناء دونَ رفيقه
إلى ولم أملك لعيني مذمعا
علي وأضحوا جلد أجرب مؤلعا^(١)
فقد كنت طلاع النجاد سميذا^(٢)
إذا أرتادك العجادي من الناس أمرعا^(٣)
إذا القوم حالوا أوجا الناس مطمعا^(٤)
إذا القوم أزعجوهن حسرى وظلعا^(٥)

[١٣٩/١٣]

نصوت

يا زائرنا من الخيام
بحزنٍ نثني أن أطفئنا بي
بورك هارون من إمام
له إلى ذي الجلال قُربى
حيّاكم الله بالسلام
ولم تنالا سوى الكلام^(٦)
بطاعة الله ذي اعتصام
ليس لعذل ولا إمام

الشعر لمنصور النمرى، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل، ذكر ذلك عبيد الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها، وفيه للرف خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانه. وفيه ثقل أول بالبنصر مجهول الأصابع. ذكر حبش أنه للرف أيضاً.

(١) المولع: ما فيه خطوط.

(٢) النجاد جمع نجد: المرتفعات. وطلاع النجاد: ضابط الأمور فيما يعجز عنه غيره. والسميدع: الكريم.

(٣) العجادي: طالب العطاء.

(٤) حالوا: ظنوا. وفي الأصول: «حالوا».

(٥) الوجناء: الناقة السريعة. والحسرى: الكليّة. والظلع: جمع ظالع، التي تغمز في مشيها من عرج.

(٦) في الأصول: «أطعمني»، وهو تحريف.

[١٤٠/١٣]

/ أخبار منصور النمري ونسبه

أخبار منصور النمري ونسبه

منصور بن الزبرقان بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن شريك بن مطعم الكيش الرخم، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن التمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وإنما سمي عامر الضحيان لأنه كان سيّد قومه وحاكمهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، فسُمي الضحيان. وسمي جدُّ منصور «مطعم الكيش الرخم»، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسه فإذا رخم يحمن حول أضيافه، فأمر بأن يُذبح لهم كبش ويُرْمى به بين أيديهم، ففعل ذلك، فنزلن / عليه، فمزقته؛ فسمي مطعم الكيش الرخم. وفي ذلك يقول أبو نعيم النمرى يمدح رجلاً منهم:

١٧
١٢

أبوك زعيم بني قاسط وخالك ذو الكيش يقري الرخم^(١)

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وروايته، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبه. والعتابي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرضه^(٢) عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه، وأخبار ذلك تُذكر في مواضعها من أخبارهما - إن شاء الله تعالى - وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابي إليه، وأسترَفده له، وسأله أَسْتَصْحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، وعرف مذهب الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل / مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن [١٤١/١٣] أبي طالب - عليهم السلام - والطنن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة، وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهب مروان في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان، ولكنه حام ولم يقع، وأوما ولم يُحقّق، لأنه كان يتشيع، وكان مروان شديد العداء لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نيّة قويّة يقصد بها طلب الدنيا، فلا يُبقي ولا يذر.

منصور النمري يسأل أن يذكر عند الرشيد ثم يمدحه

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد الكراني، وأخبرني به عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد حديث محمد بن جعفر النحوي أنه قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال: حدّثنا ثابت بن الحارث الجُشمي قال:

كان منصور النمري مُصافياً للبرامكة، وكان مسكنه بالشام، فكتب يسألهم أن يذكروه للرشيد، فذكروه ووصفوه، فأحب أن يسمع كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان، على ما سمعه من بيانه، وكان مروان يقول قبل قدومه: هذا شامي وأنا

(١) ذو الكيش: يعني به مطعم الكيش الرخم. يقري: يطعم.

(٢) قرضه: مدحه، ومن معانيها الذم.

حجازي، أفتراه يكون أشعر مني، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد، واستنشد الرشيد منصوراً، فأنشده:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خُضْنَا غِمَارَ الْهَوْلِ مِنْ بِلَدِ شَطِيرِ^(١)
بُخُوصٍ كَالْأَهْلَةِ خَافَقَاتِ تَلِينَ عَلَى الشُّرَى وَعَلَى الْهَجِيرِ^(٢)
/ حَمَلْنَ إِلَيْكَ أَحْمَالاً ثَقَالاً وَمِثْلَ الصَّخْرِ وَالْدَّرِ الثَّيَرِ^(٣)
فَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمَتْنَاهِ وَغَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ
إِلَى مَنْ لَا يَشِيرُ إِلَى سِوَاهِ إِذَا ذُكِرَ التُّدَى كَفَّ الْمَشِيرِ
فَقَالَ مِرْوَانُ: وَدِدْتُ وَاللهُ أَنَّهُ أَخَذَ جَائِزَتِي وَسَكَتَ.

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال:

يَذُلُّ مَنْ رَقَابِ بْنِ عَلِي وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنْ الصَّغِيرِ
/ مَنَنْتَ عَلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى وَكَانَ مِنَ الْخُتُوفِ عَلَى شَفِيرِ^(٤)

مروان ينشد الرشيد

قال مروان: فما برحت حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده، وكان يتبسم في وقت ما كان ينشده النمرى، ويأخذ على بطنه، وينظر إلى ما قال، فأنشدته:

مُوسَى وَهَارُونَ هُمَا اللَّذَانِ فِي كِتَابِ الْأَخْبَارِ يَوْجِدَانِ
مَنْ وَلَدَ الْمَهْدِيَّ مَهْدِيَّانِ قُدًّا عَنَانَيْنِ عَلَى عَنَانِ^(٥)
قَدْ أَطْلَقَ الْمَهْدِيُّ لِي لِسَانِي وَشَدَّ أَزْرِي مَا بِهِ حَبَانِي
مَنْ التَّجِينِ وَمَنْ الْعَقِيَانِ عِيدِيَّةَ شَاحِطَةِ الْأَثْمَانِ^(٦)
لَوْ خَايَلْتُ دَجَلَةَ بِالْأَلْبَانِ^(٧) إِذَا لَقِيتُ اشْتَبَهَ النَّهْرَانِ

/ النمرى لا يحتفل بقول مروان [١٤٣/١٣]

قال: فوالله ما عاج^(٨) النمرى بذلك ولا احتفل به، فأوماً إليّ هارون أن زده؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول

فيها:

خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمَعْشَرِ عَادَاتِهِمْ حَطَّمُ الْمَنَاكِبِ كُلِّ يَوْمِ زَحَامِ

(١) الشطير: البعيد.

(٢) الخوص: جمع خوصاء، الناقة لما في عينها من غرور وصغر، وفي س: «نخوص» بالنون في أوله والضاد المعجمة في آخره، وهو تحريف.

(٣) أراد شعراً جزلاً هو الغاية في النفاسة. وفي الأصول: «الصخرة الذر». وقد عابه مروان لهذا التعبير الذي لم يوفق فيه.

(٤) شفير كل شيء: حرفه.

(٥) قداً: قيساً وعملاً. والعنان بكسر العين هو السير يشد به اللجام. والمعنى أنهما يشبهان المهدي في صفاته.

(٦) العيدية: ضرب من نجائب الإبل. وفي الأصول: «عيدته». وشاحط من قولهم شحط فلان في السوم، إذا بلغ أقصى ثمنه. وفي الأصول: «ساخطة الإيمان».

(٧) خايلت: فاخرت وبارت. وفي الأصول: «لو حايلت».

(٨) عاج: إنعطف واهتم بالأمر.

إَرْضُوا بِمَا قَسَمَ إِلَهُ لَكُمْ بِهِ وَدَعُوا وَرَاثَةَ كُلِّ أَصِيد حَامٍ^(١)
أَتْسَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لِبَنِي الْبِنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
قال: فوالله ما عاج بشيء منها، وخرجت الجائزتان، فأعطى مروان مائة ألف، وأعطى النمري سبعين ألفاً، وقال: أنت مزيّد في ولد علي.

قال: ولقد تخلص النمري إلى شيء ليس عليه فيه شيء، وهو قوله:

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم وإلا فالئدامة للكفور
وإن قالوا بنو بنتٍ فحق ورؤدوا ما يناسب للذكور

قال: فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله:

وما لبني بناتٍ من تراثٍ مع الأعمام في ورق الزبور

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشر العبدي، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمد بن جعفر النحوي يزيد وينقص، والمعنى متقارب.

[١٤٤/١٣]

/ كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء ويغضب لمن قال كأنه رسول، أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي قال: حدثني أحمد بن سيار الشيباني الشاعر قال:

كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يُمدح بما تمدح به الأنبياء فلا يُنكر ذلك ولا يردّه؛ حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتى قال فيه:
* فكأنه بعد الرسول رسول *

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذٍ، وحرّم ذلك الشاعر فلم يُعطه شيئاً، وأنشد منصور النمري قصيدة مدحه بها وهجا آل علي وتلبهم، فصّحّر هارون وقال له: يا ابن اللّخناء، أنظن أنك تتقرب إليّ بهجاء قوم أبوهم أبي، ونسبهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟ فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبه، وأمر مسروراً فوجاً^(٢) في عنقه وأخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

/ بني حسنٍ ورَقط بني حُسينٍ عليكم بالسّداد من الأمور
فقد ذقتُم قِراعَ بنسي أبيكم غداة الرّوّع بالبيض الذّكور^(٣)
أحينَ شَفَوُكمو من كلِّ وترٍ وضئوكم إلى كَنَفٍ وثِيرٍ^(٤)
وجادوكم على ظمئٍ شديدٍ مُقيتُم من نوالهم الغزيرِ^(٥)
فما كان العقوقُ لهم جزاءً بفعلهم وأدى للثُورِ^(٦)

(١) الأصيد: النملك والرافع رأسه كبراً، وحام: هو الذي يحمي الذمار.

(٢) وجأ في عنقه: ضربه.

(٣) البيض الذكور: السيوف القوية.

(٤) الوتر: الثار. الكنف الوثير: الجنب اللين.

(٥) جاده: أمطره. في الأصول: «وجادتكم».

(٦) الثور: جمع ثار.

وإنك حين تُبلغهم أذاةً وإن ظلموا لمحزون الضمير^(١)

فقال له: صدقت، وإلا فعلني وعليّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

مروان ينشد الرشيد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال: حدثني عبد الصمد بن المعدل قال:

/ دخل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها: [١٤٥/١٣]

أئسى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البنات ورائة الأعمام

وأنشده سلم فقال:

* حَصَرَ الرِّحِيلَ وَشَدَّتْ الْأَحْدَاجُ^(٢) *

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم والمعروف أودية
أحللك الله منها حيث تجتمع

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء

فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم، فقال له يحيى بن خالد: يا أمير المؤمنين، مروان شاعرك خاصة قد ألحقهم به. قال: فليزد مروان عشرة آلاف.

إعجاب الرشيد بشعر منصور

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: أخبرني أبو حاتم الطائي، عن يحيى بن زبيبة الطائي، عن الفضل قال: حضرت الرشيد وقد دخل منصور النمري عليه فأنشده:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع
إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع
بأن الشباب وفاتتني بلذته
صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه غرته
حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

قال: فتحرك الرشيد لذلك ثم قال: أحسن والله، لا يتنهأ أحدٌ بعيش حتى يخطر في رداء الشباب.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن سعد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدى عن أبي ثابت العبدى عن مروان بن أبي حفصة، قال: خرجنا مع الرشيد / إلى بلاد الروم، فظفر الرشيد، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنمري: أنشدا. فأنشدته قولي: [١٤٦/١٣]

طرقتك زائرة فحيي خيالها
غراء تخلط بالحياء دلالها^(٣)

ووصفت الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، والظفر الذي رزقه، فقال: عذوا قصيدته؛ فكانت مائة بيت، فأمر لي بمائة ألف درهم، ثم قال للنمري: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمري:

(١) ب، س: «أذاء» وصوابه ما أثبتنا من ش.

(٢) الأحداج: جمع حذج بالكسر، وهو المحفة كالهودج.

(٣) الغراء: البيضاء.

/ مُضِرٌّ عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا اشْتَكَّتْ أَيْدِي الْجِيَادِ يَطِيرُ^(١)
فَظُلٌّ عَلَى الصَّفْصَافِ يَوْمَ تَبَاشَرَتْ ضِبَاعٌ وَذُوبَانٌ بِهِ وَنَسُورُ^(٢)
فَأَقْسِمَ لَا يَنْسَى لَكَ اللَّهُ أَجْرَهَا إِذَا قُسِمَتْ بَيْنَ الْعِبَادِ أَجُورُ

قال النمري: ثم قلت في نفسي: ما يمنني من إذكاري بالجائزة؟ فقلت:

إِذَا الْغَيْثُ أَكْدَى وَاقْشَعَرَّتْ نَجْوَاهُ فغِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَطِيرُ^(٣)
وَمَا حَلَّ هَارُونَ الْخَلِيفَةُ بِلْدَهُ فَأَخْلَفَهَا غَيْثٌ وَكَادَ يَضِيرُ^(٤)

فقال: أذكرتني. ورأيتُه مُتَهَلِّلًا لذلك. قال: فألحقني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم.

محمد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمري

أخبرني عمي، قال: حدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان، قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيدق - وكان قصيراً، فلقب بالبيدق^(٥) / لقصره، وكان يُنشدُ هَارُونَ أشعارَ المحدثين - وكان [١٣/٤٧] أحسنَ خلقي الله إنشاداً - قال: دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع، ويزيد بن مزيد، وبين يديه خوان لطيف عليه جديان^(٦) ورُغْفَان سَمِيد^(٧) ودجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النُمري العينية، فلما بلغت إلى قوله:

أَيُّ أَمْرٍ بَاتَ مِنْ هَارُونَ فِي سَخَطٍ فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَتَسَعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُنْضِعُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُغْلَمَةٌ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَايَا بَيْنَهَا قُرْعُ^(٨)

قال: فرمى بالخوان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيبُ من كل طعام وكل شيء، وبعث إليه بسبعة آلاف دينار، فلم يعطيني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأس العين، فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله:

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هَامِلٌ يعللون النفوس بالباطل^(٩)

فلما بلغت إلى قوله:

إِلَّا مَسَاعِيرَ يَغْضَبُونَ لَهَا بَسَلَةَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا الذَّابِلَ^(١٠)

(١) مضِرٌّ على فأس اللجام: يقال أضز الفرس على اللجام إذا أزم عليه. وفأس اللجام: الحديد القائمة في الحنك.

(٢) «فظل» في كل الأصول بالطاء المهملة، وهو تحريف. والصفصاف: مدينة غزاها سيف الدولة بن حمدان.

(٣) أكدي الغيث: منع لم يسقط مطره.

(٤) أخلف الغيث: لم يمطر. وكاد يضير: كاد يتلف لغزارته.

(٥) البيدق: الصغير الخفيف. واختلفت النسخ فكتب بعضها بالذال المعجمة وبعضها بالمهملة.

(٦) في الأصل: «جرمان».

(٧) السميد: لباب الدقيق، وهو بالذال المعجمة أفصح.

(٨) المعلمة بكسر اللام التي أعلمت أنفسها في الحرب بعلامة. وبالفتح أيضاً، أي أعلمت بذلك. بينها، أي بين الأبطال. وفي الأصل: «المنايا صابها فزع». وفي «تاريخ بغداد» ١٣: ٦٨: «المنايا بينهم فزع». وصواب ما في الأصل ما أثبتنا.

(٩) في الأصول: «ساد» صوابه من «تاريخ بغداد» و«الشعر والشعراء» ٨٣٦ بتحقيق الشيخ أحمد شاکر. والرائع: الذي يأكل ما شاء في رغد. والهامل: المتروك سدى ولا يعمل.

(١٠) المساعير: الذين يوقدون نار الحرب، جمع مسعار. سلة البيض: اسفل السوف. والذابل: الدقيق اللاصق اللبظ، أي القشر.

الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته

[١٤٨/١٣] قال: أراه يحرض عليّ، أبعثوا إليه من يجيء برأسه. فكلّمه فيه الفضل بن الربيع / فلم يغن كلامه شيئاً، وتوجّه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفن. قال: وكان إنشاد محمد البيدق يطرب كما يطرب الغناء.

سبب غضب الرشيد على النمري

أخبرني عمي، قال: حدّثنا ابن أبي سعيد، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جهور، قال: سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه، فقال لي: استقبلت منصوراً النمري يوماً من الأيام فرأيت مغموماً زاجماً كثيباً، فقلت له: ما خبرك؟ فقال: تركت امرأتي تطلق^(١)، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورجلي، والقيمة بأمرني وأمر منزلي. فقلت له: لم لا تكتب على فرجها «هارون الرشيد»؟ قال: ليكون ماذا؟ قال: لتلد على المكان، قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

٢١ إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع^(٢) ١٢

/ فقال لي: يا كشخان^(٣)، والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن قولك هذا للرشيد. فلما ولدت امرأته خير الرشيد بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلي، فاستترت عند الفضل بن الربيع، فلم يزل يسأل في حتى أذن لي في الظهور؛ فلما دخلت عليه، قال لي: قد بلغني ما قلته للنمري، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت: والله يا أمير المؤمنين ما حمّله على التكذب عليّ إلّا وقوفي على ميله إلى العلوية، فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلت. فقال: أنشدني. فأنشدته قوله:

شاء من الناس راتع هامل يعذلون النفوس بالباطل^(٤)

[١٤٩/١٣] / حتى بلغت إلى قوله:

إلا مساعير يغضبون لها بسالة البيض والقنا السذابل

غضب الرشيد وطلبه نبش جثة النمري

فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضل بن الربيع: أحضره الساعة. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد توفّي، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه.

الفضل بن الربيع يحمي النمري

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدّثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال: حدّثني بعض الزينبيين، قال: حبس الرشيد منصوراً النمري بسبب الرفض^(٥)، فتخلصه الفضل بن الربيع، ثم بلغه شعره في آل عليّ عليه السلام، فقال للفضل: اطلبه. فستره الفضل عنده، وجعل الرشيد يلح في طلبه، حتّى قال يوماً للفضل:

(١) تطلق بالبناء للمجهول: تعاني وجع الولادة.

(٢) مخايله: جمع مخيلة بالفتح، وهي السحابة.

(٣) الكشخان بالفتح والكسر: الدبوث.

(٤) بعده في «الشعر والشعراء»:

تقتل ذرية النبي ويرجون جنان الخلد للقاتل

(٥) الرفض: ضرب من التشيع لآل علي. ذكر في «القاموس» أن الروافض كل جند تركوا قائدهم. والرافضة: الفرقة منهم وفرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين. فأبى وقال: كانا وزيرين جدّي. فتركوه ورفضوه ورفضوا عنه، والنسبة رافضي.

وَيَحْكُ يا فضلُ تَفَوُّتِي النمري؟ قال: يا سيدي، هو عندي قد حصَّلت. قال: فجنني. وكان الفضل قد أمره أن يُطوِّل شعره، ويكثر مباشرة الشمس ليشحَّب وتَسْوِء حالته، ففعل، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فَرَّوَةً مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا^(١) شعره، وسَاءَت حالته، فلما رآه، قال: السيف! فقال الفضل: يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القاتل:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

/ فقال منصور: لا يا سيدي ما أنا قاتلٌ هذا، ولقد كُذِبَ عليّ، ولكني القاتل: [١٥٠/١٣]

يا منزل الحي ذا المغاني انعم صباحاً على بلاكا^(٢)
هارون يا خير من يُرجى لم يطع الله من عصاكا
في خير دينٍ وخير دنيا من اتقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخليه سبيله، فقال منصور يمدح الفضل بن الربيع:

رايت الملك مُذْآزر ت قد قامت محانيه^(٣)
هو الأوحـد في الفضل فما يعرف ثنانيه

صفه النمري

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعيد، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل، قال:

اجتمع عند المأمون قبل خلافته، وذلك في أيام الرشيد، منصور / النمري والخزيمي والعباس بن زفر، وعنده^{١٢} جعفر بن يحيى، فحضر الغداء، فأتي المأمون بلون من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فوضع بين يدي جعفر بن يحيى، فأصاب منه، ثم أمر به فوضع بين يدي العباس فأكل منه، ثم نحاه، فأكل منه بعده الخزيمي وغيره - ولم يأكل منه النمري - وذلك بعين المأمون، فقال له: لم تأكل؟ فقال: لئن أكلت ما أبقي هؤلاء إني لنهم. قال: فهل قلت في هذا شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

لَهْفِي أَنْطَعِمَهَا قَيْنَا وَآكَلَهَا إني إذا لدنيء النفس والخطر^(٤)
ما كان جدي ولا كان الهمام أبي ليأكل سور عباس ولا زفر^(٥)
/ شتان من سور عباس وفضلته وسور كلب مغطى العين بالوبر^(٥)
مسا زال يلقم والطباخ يلحظه وقد رأى لقمأ في الحلق كالعجر^(٦)

[١٥١/١٣]

(١) عفا شعره: طال وكثر.

(٢) البلى: القدم.

(٣) أزرت: عاوت وصرت وزيراً. محانيه: معاطفه. وفي الأصول:

رايت الملك وهذا زر

ت قد قامت أحسانيه

(٤) الخطر: القدر والمنزلة.

(٥) السور: البقية والفضلة.

(٦) العجر جمع عجرة: وهي العقدة.

نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي، قالوا: حدثنا الحسن بن عليّ العنزي، قال: أخبرني علقمة بن نصر بن واصل النمري، قال: سمعتُ أسيّاخنا يقولون: إن منصور بن بجرة بن منصور بن ضليل بن أشيم بن قطن بن سعد بن عامر بن الضحّيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، قال هذه القصيدة:

ما تنقضي حيرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدع^(١)
ما كنت أولَ مَسْلُوبٍ شبيبةً مكسوفٍ شيبٍ فلا يذهب بك الجزع

منصور بن سلمة يستوهبها منه ويطلبه الرشيد ولكنه يرده فيستنجد بيزيد الشيباني فيدخله

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحّيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدى لمدح ولا يفد إلى أحد ولا يتجعه بالشعر، وكان هارون الرشيد قد جرد السيف في ربيعة، فوجه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد، وكان رجلاً تقّحه^(٢) العين جداً، ويزدره من رآه لدماة خلّفه فأمر الرشيد لما عُرضت عليه بإحضار قائلها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرّفني الحاجب أنّه لما عُرضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً، وأمره بإدخالها، فلما قرئت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدواني لدماة خلقي، وكان قصيراً أزرقاً أحمرَ أعمش^(٣) نحيفاً. قال: فردّني، وأمر بإخراجي فأخرجت، / فمرّ بي ذات يوم يزيد بن يزيد الشيباني^(٤)، فصحت به: يا أبا خالد، أنا رجلٌ من عشيرتك، وقد لحقني ضيم، وعدت بك. فوقف، فعرفته خبري، وسألته: أن يذكّرني إذا مرّت به رقعتي، ويتلطّف في إبصالي، ففعل ذلك، فلما دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة:

* أتسلو وقد بان الشباب المزايل *

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة

فقال لي: غداً إن شاء الله أمر برفع السيف عن ربيعة - وخرج يزيد يركض، فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها، وأنشدته القصيدة، فلما صرت إلى هذا الموضع:

يُجرّد فينا السيف من بين مارقٍ وعانٍ بجودٍ كلهم متحامِل^(٥) /

جلساء الرشيد يظنون في هذا البيت حتف منصور

/ قالوا: فلما سمع الجلساء هذا البيت، قالوا: ذهب الأعرابي وافترض، فلما قلت:

وقد علم العُدوان والجورُ والخنا بأتك عيافٌ لهنّ مُزايِل^(٦)
ولو علموا فينا بأمرٍ لم يكن ينال برئاً بالأذى متساوِلُ

(١) فاتتني: تخطتني ولم تصبني. والشرة: النشاط.

(٢) تقّحه: تتخطاه إلى غيره، وذلك لضعف شأنه.

(٣) الأعمش: ضعيف البصر مع سيلان الدمع.

(٤) في الأصل: «يزيد بن يزيد الشيباني».

(٥) العاني: الأسير. بجود: جمعة بجود: الجماعة من الناس. وقد وردت في كل الأصول بالخاء بدل الجيم، والمعنى لا يستقيم بهذا.

(٦) العياف: الشديد الكراهة. والمزاييل: المقارق.

لنا منك أرحام ونعتد طاعة^(١) وبأساً إذا اصطك القنا والقنابل^(٢)
وما يحفظ الأنساب مثلك حافظ^(٣) ولا يصل الأرحام مثلك واصل^(٤)
جعلناك، فامنعنا، معاذاً ومفزعاً لنا حين عضتنا الخطوب الجلائل^(٥)
وأنت إذا عاذت بوجهك عوذ تطامن خوف واستقرت بلايل^(٦)

/ فقال الجلساء: أحسن والله الأعرابي يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يُرفع السيف عن ربيعة ويحسن إليهم. [١٥٣/١٣]

منصور النمري ينشد الرشيد ومعه الكسائي ويأمر له بجائزة

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن الحسين بن عبيد البكري قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل، قال:

كنا عند الرشيد وعنده الكسائي، فدخل إليه منصور النمري، فقال له الرشيد: أنشدني. فأنشده قوله:
ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجع
فتحرك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

ما كنت أوفي شبابي كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع^(٥)
فطرب الرشيد، وقال: أحسنت والله، وصدقت، لا والله لا يتهنأ أحد يعيش حتى يخطر في رداء الشباب! وأمر به بجائزة سنية.

جماعة من الشعراء يتكلمون بالنمري لعدم اشتراكه في الشراب

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي، قال: حدثني أحمد بن سنان البيسان، وأخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد، قال: حدثنا مسعود بن عيسى، عن موسى بن عبد الله التميمي: أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمري، وكانوا على نبيذ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشرب لأنك رافضي، وتسمع وتضعي إلى الغناء، وليس تركك النبيذ من ورع. فقال منصور:

أصوات

خلا بين ندماني موضع مجلسي ولم يبق عندي للوصال نصيب^(١)
/ وزدت على الساقى تفيض وربما رددت عليه الكأس وهي سليب^(٢)
وأني امرئ لا يستهش إذا جرت عليه بنان كفه ن خضيب^(٣)

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، مطلق في مجرى البصر. ومن الناس من ينسبه إلى مخارق، هكذا في الخبر.

(١) القنابل: جمع قنبلة بفتح القاف: الطائفة من الناس والخيال.

(٢) في الأصول: «الإنسان».

(٣) فامنعنا، بالنون كما في ش، أما في س، ب فإثناء وهو تصحيف. والجلائل: العظيمات.

(٤) عوذ جمع عائد: هو الملتجئ. البلايل: الوسوس والهواجس.

(٥) الكنه: القدر.

(٦) السليب: الفارغ. يعني الكأس. وفي بعض الأصول: «وهو سليب» تحريف. والكأس مؤنثة.

قصيدة للعتابي كتبها إلى منصور النمري

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفض، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمري قوله:

تَقَضَّتْ لُبَانَاتٌ وَلاَحَ مَشِيبٌ وَأَشْفَى عَلَى شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبٌ
وَوَدَّعْتَ إِخْوَانَ الصُّبَا وَتَصَرَّمْتَ غَوَايَةَ قَلْبٍ كَانَ وَهُوَ طُرُوبٌ^(١)
وَرُدَّتْ عَلَى السَّاقِي تَفِيضٌ وَرَبَّمَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ الْكَأْسَ وَهِيَ سَلِيبٌ
وَمَّمَّا يَهِيْجُ الشُّوقُ لِي فَيَرُدُّهُ خَفِيفٌ عَلَى أَيْدِي الْقِيَانِ صَخُوبٌ^(٢)
عَطَّوْنَ بِهِ حَتَّى جَرَى فِي أَدِيمِهِ أَصَابِيغٌ فِي لَبَاتِهِنَّ وَطِيبٌ^(٣)

فأجابه النمري وقال:

أَوْحَشَتْ نَدَمَانِيكَ تَبْكِي فَرَبَّمَا تَلَاقِيَهُمَا وَالْحِلْمَ عَنْكَ عَزُوبٌ^(٤)
تَرَى خَلْفًا مِنْ كُلِّ تَكَلٍّ وَثَرُوةً سَمَاعٌ قِيَانٌ عَوْدُهُنَّ قَرِيبٌ^(٥)
/ يَغْنِيكَ يَابِتْسِي فَتَسْتَصْحِبُ الثَّمَى وَتَحْتَازُكَ الْآفَاتُ حِينَ أَغْيَبُ^(٦)
وَإِنْ أَمْرًا أَوْدَى السَّمَاعُ بَلْبُهُ لُغْرِيَانُ مِنْ ثُوبِ الْفَلَاحِ سَلِيبٌ

[١٥٥/١٣]

النمري ينشد يزيد بن مزيد فيعطيه مائة دينار

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر، قال: أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومئذ في إضافة^(٧) وعسرة، فقال: اسمع مني جُعِلَتْ فِدَاكَ. فأنشده قصيدة له، يقول فيها:

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِبَنِي شَيْبَانَ مِنْ حَسَبٍ سَوَى يَزِيدَ لَفَاتُوا النَّاسَ فِي الْحَسَبِ
تَأْوِي الْمَكَارِمَ مِنْ بَكَرٍ إِلَى مَلِكٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ يَحْوِيَهُنَّ مِنْ كَثَبٍ
أَبٌ وَعَمٌّ وَأَخْوَالٌ مَنْصَابُهُمْ فِي مَنَبَتِ النَّبْعِ لَا فِي مَنَبَتِ الْغَرَبِ^(٨)
إِنْ أَبَا خَالِدٍ لَمَّا جَرَى وَجَرَتْ خَيْلُ النَّدَى أَحْرَزَ الْأَوَّلَى مِنَ الْقَصَبِ
لَمَّا تَلَغَّبَهُنَّ الْجَرِيُّ قَدَمَهُ عَتَقَ مُبَيِّنٌ وَمَحْضٌ غَيْرَ مُؤْتَشَبِ^(٩)

(١) تصرمت: تقطعت. وفي الأصول «تغرمت». طروب وردت في ب، جد أما في س فهي «حروب».

(٢) في الأصول: «فترده» تحريف، أي فيرد الشوق. والخفيف، يعني به العود.

(٣) عطون به: تناولته ومدد أعناقهن. أصابيح: جمع للصيغ، عني به الزعفران ونحوه من الطيب ذي اللون. وفي الأصول: «أصابع» تحريف. واللبات: مواضع النحر.

(٤) العزوب: الشديد البعد.

(٥) أي قريب المتناول.

(٦) تحتازك: تلم بك.

(٧) الإضافة: ذهاب المال والضيق.

(٨) الغرب بالتحريك: ضرب من الشجر.

(٩) تلغبن: أطال الطرد. والعنق: الكرم. وغير مؤتشب: غير مختلط.

إن الذين اغتزوا بالحُرَّ غرته
كمغتزي الليث في عرْيِهِ الأشب^(١)
ضرباً دراكاً وشَدَاتٍ على عَنِّي
كَأَنَّ إيقاعها الثَّيرانُ في الحطب^(٢)
لا تقربنَّ يزيداً عند صولته
لكنَّ إذا ما احتبى للجُود فاقترَب^(٣)
فقال يزيد: والله ما أصبح في بيتٍ مالي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاءه بمائة دينارٍ وحلفَ أنَّه لا يملك يومئذٍ غيرها.

/ منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية إلى غيره

[١٥٦/١٣]

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمري: كنت واقفاً على جسرٍ بغداد أنا وعبيدُ الله بن هشام بن عمرو التغلبي، وقد وَخَطَنِي الشَّيبُ يومئذٍ، وعبيد الله شابٌ حديث السن، فإذا أنا بقُصْرِيَّة^(٤) ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت، وقلت فيها:

لَمَّا رَأَيْتِ سَوَامَ الشَّيْبِ مَتَشِيراً
فِي لِمَتِي وَعَبِيدَ اللَّهِ لَمْ يَشِبْ^(٥)
سَلَلْتُ سَهْمِينَ مِنْ عَيْنِكَ فَانْتَضَلَا
عَلَى سَبِيلَةِ ذِي الْأَذْيَالِ وَالطَّرِبِ^(٦)
كَذَا الْغُرَانِي نَرَى مِنْهُنَّ قَاصِدَةً
إِلَى الْفُرُوعِ مَعْرَاةً عَنِ الْخَشَبِ^(٧)
لَا أَنْتِ أَصْبَحْتَ تَعْتَدِينَنَا أَرْبَاً
وَلَا وَعَيْشُكَ مَا أَصْبَحْتَ مِنْ أَرْبِي^(٨)
إِحْدَى وَخَمْسِينَ قَدْ أَنْضَيْتِ جَدَّتَهَا
نَحْوَلِ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ^(٩)
/ لَا تَحْسَبِي وَإِنْ أَغْضَيْتُ عَنْ بَصْرِي
عَفَلْتُ عَنْكَ وَلَا عَنْ شَأْنِكَ الْعَجَبِ

٢٥
١٢

ثم عدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيد بن مزيد فقلت:
لو لم يكن لبني شيبان من حسب
لا تحسب الناس قد حابوا بني مطر
سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب
الجود أخشنُ لمساً يابني مطر
إذا أسلِمَ الجودُ فيهم عاقد الطنب^(١٠)
من أن تَبْزُكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ
/ ما أعرف الناس أن الجود مدفعة
للسدِّم لكنَّه يأتني على النشب^(١١)

[١٥٧/١٣]

قال: فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم.

- (١) اغتزوا: قصدوا. والمغتزي: القاصد. وفي الأصول: «اعتروا» و«كمنتزي». وهاتان الكلمتان محرفتان. والعريس: مأوى الأسد.
- والأشب: الشجر الملتف.
- (٢) الدراك: لحاق الفرس الوحش وإتباع الشيء بعضه بعضاً. والعنق بالتحريك: سير سريع.
- (٣) احتبى بالثوب: اشتمل به، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو غيرها.
- (٤) القُصْرِيَّة: نسبة إلى القصر، صفة للغانية.
- (٥) السوام في الأصل: الإبل الراعية، وعنى به الشيب المتفرق في جوانب الرأس. واللمة: الشعر المجاور شحمة الأذن.
- (٦) انتضلا: خرجا. والسبيبة: الخصلة من الشعر. وفي الأصول: «سبيبة».
- (٧) القاصدة: المتجهة. معراة عن الخشب: أي تحب الشباب وبهجته، ولا يروقها كبار السن.
- (٨) تعديتنا: تعديتنا. وفي الأصول: «تعقد بيننا أرباً» وفي «تاريخ بغداد»: «تفيدني»، وصواب هذه الأخيرة: «تعديني».
- (٩) أنضيت: أخلقت وأبليت.
- (١٠) الطنب: جبل طويل يشد به سرادق البيت.
- (١١) النشب بالشين المعجمة في ش، وبالمهملة في ج، س وهو تحريف. والأشب: الحال والعقار.

النمري لم يعد مدحاً ولكنه أطال المعنى فيما قال فينال صلة

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبلي، قال: حدثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال: حدثني ابن أبي رَوْق الهمداني، قال:

قال لي منصور النمري: دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددْتُ له مدحاً، فوجدته نشيطاً طيب النفس، فرمَتْ شيئاً فما جاءني، ونظر إليّ مستنطقاً، فقلت:

إذا أعتاصَ المديحُ عليك فامدَحْ أمير المؤمنين تجذ مقالاً^(١)
وعُذْ بفنائه وأجنَحْ إليه تنل عُرفاً ولم تُذلْ سؤالا
فناءً لا تزال به ركابٌ وضعن مدائحاً وحملن مالا

فقال: والله لئن قصرت القول لقد أطلت المعنى. وأمر لي بصلة سنية.

صوت

طربت إلى الحيِّ السدين تحمّلوا بئرقة أحواذ وأنت بطروب^(٢)
فبك أسقاها سلفاً مُدامةً لها في عظام الشاريين ديب^(٣)

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي، والغناء لعلّونه، رمل بالوسطى، عن الهشامي، وفيه لسليم خفيف رمل، مطلق في مجرى الوسطى.

(١) أعتاص: تعسر.

(٢) أحواذ، جمع حاذ: شجر تألفه بقرة الوحش. وبئرقة أحواذ: موضع كما في «معجم البلدان». في س: «أخوان» ب «أخوان» محرفتان.

(٣) السلاف: الخمر.

[١٥٨/١٣]

١ / نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجاله بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مُضَرَ ذوي البأس والنَّجدة فيهم، وكان ممَّن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قُتل، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً، واحتال عليه حتى أَمَنه. وأخباره تُذكر في ذلك وغيره ها هنا.

الحجاج وتسره إلى الفتن

أخبرني بخبره في تنقله من عسكرٍ إلى عسكر، ثم استثمانه، جماعة من شيوخنا، فذكروه متفرقاً فأبتدأت بأسانيدهم، وجمعت خبره من روايتهم.

فأخبرنا الحرميُّ ابنُ أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني يزيد بن أبي عبد الله محمد بن العباس ببعضه، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي؛ / وأخبرنا محمد بن ٧٦ عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عَلِيٍّ العُتْرَبِيُّ، قال: حدثنا محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا محمد بن ١٢ كُنَاسَة؛ وأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أَرْثِيل؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلب، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبة، قالوا:

كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب، وكان متسرعاً إلى الفتن، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص، فلما ظفر به عبد الملك / هرب إلى ابن الزبير، فكان معه حتى قُتل، ثم [١٥٩/١٣] اندس إلى عبد الملك فكلم فيه فأمته.

دخوله على عبد الملك بتحاييل منه أو من غيره

هذه رواية ثعلب، وقال العتري وابن سعد في روايتهما:

لما قُتل عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس، فدخل حجرة، فقال له: مَالِكُ يا هذا لا تأكل؟ قال: لا أَسْتَحِلُّ أن أكل حتى تأذن لي. قال: إني قد أذنتُ للناس جميعاً. قال: لم أَعْلَمُ فأكلَ بأمرِك. قال: كل. فأكل، وعبد الملك ينظرُ إليه ويعجبُ من فعّاله، فلما أكل الناس [و] جلس عبد الملك في مجلسه، وجلس خواصُه بين يديه، وتفرق الناس، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده:

مما لقيتُ من الحوادثِ موجِعُ

أبلغَ أميرَ المؤمنين فإتني

مُنِيعَ الْقَرَارُ فَجِئْتُ نَحْوَك هَارِبَا جِيْشَ يَجْسُرُ وَمِقْنَبٌ يَتَلَمَّعُ^(١)
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَمَا خَوْفُكَ لَا أُمُّ لَكَ، لَوْلَا^(٢) أَنْكَ مُرِيبٌ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

إِنَّ الْبِلَادَ عَلَيَّ وَهِيَ عَرِيضَةٌ وَعُورَتُ مَذَاهِبُهَا وَسُدُّ الْمَطْلَعِ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

كُنَّا تَنَحَّلْنَا الْبَصَائِرَ مَرَّةً وَإِلَيْكَ إِذْ عَمِيَ الْبَصَائِرُ نَرْجِعُ^(٣)
إِنَّ الَّذِي يَغْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مَتَوَدِّعُ
آتِي رِضَاكَ وَلَا أَعُوذُ لِمَثَلِهَا وَأَطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ
أَعْطِي نَصِيحَتِي الْخَلِيفَةَ نَاجِعَا وَخِزَامَةَ الْأَنْفِ الْمَقْوُودِ فَاتَّبِعْ^(٤)

[١٦٠/١٣] / فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: هَذَا لَا نَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبِذَنْبِكَ، فَإِذَا عُرِفَتِ الْحَوْبَةُ قَبَلْنَا التَّوْبَةَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

وَلَقَدْ وَطَنْتَ بَنِي سَعِيدٍ وَطَاءَةً وَابْنُ الزَّيْزِرِ فَعَرْشُهُ مَتَضَعُّعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: اللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْكِبًا عَنْ مَنْكِبٍ تَعْلُو وَيَسْفُلُ غَيْرُكُمْ مَا يُرْفَعُ
وَوَطَّئْتُمْ فِي الْحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا حَدَثًا يَكُوسُ وَغَابِرًا يَتَجَمَّعُ^(٥)
فَحَوَى خِلَافَتَهُمْ وَلَمْ يَظْلَمْ بِهَا الْقَرْمُ قَرْمٌ بَنِي قَصِيٍّ الْأَنْزَعُ^(٦)
لَا يَسْتَوِي خَاوِي نَجُومٍ أَقْبَلُ وَالْبَدْرُ مِنْبِلَجًا إِذَا مَا يَطْلُعُ^(٧)
/ وَضَعْتَ أَمِيَّةً وَاسْطَبِيسَنَ لِقَوْمِهِمْ وَوَضِعْتَ وَسَطَهُمْ فَنَعَمَ الْمَوْضِعُ^(٨)
بَيْتُ أَبِي الْعَاصِي بِنَاهِ بَرِيوَةِ عَالِي الْمَشَارِفِ عَزَّهُ مَا يُدْفَعُ^(٩)

٢٧
١٢

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّ تَوْرِيَّتَكَ عَنْ نَفْسِكَ لَثَرِيْبِي، فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ؟ وَمَاذَا تَرِيدُ؟ فَقَالَ:

حَرَبْتُ أَصِيْبِي يَدُ أَرْسَلْتُهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرْجِعُ^(١٠)

(١) المِقْنَب: الخيل زهاء الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى الأربعين تجتمع للغارة. يتلمع: يبرق ويضيء بما فيه من لمعان السيوف والسلاح.

(٢) فِي ح: «لَا».

(٣) تَنَحَّلَهُ وَاتَّحَلَهُ: ادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لْغَيْرِهِ. وَفِي ح: «إِنْ».

(٤) فِي الْأَصُولِ: «نَاجِعًا»، تَحْرِيفٌ. وَيُقَالُ نَخَعَ فَلَانًا الْوَدَّ وَالنَّصِيحَةَ: أَخْلَصَهُمَا لَهُ. الْخِزَامَةُ: حَلْقَةٌ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ أَوْ فِي لَحْمَةِ أَنْفِهِ.

(٥) فِي الْأَصْلِ: «بُؤْسٌ» تَحْرِيفٌ. وَيَكُوسُ، مِنْ قَوْلِهِمْ كَأَسَ الْبَعِيرِ: مَشَى عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ بَعْدَمَا عَرَقَبَ. يَتَجَمَّعُ: يَضْرِبُ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ مِنْ وَجَعٍ.

(٦) الْأَنْزَعُ: مَنْ يَنْحَسِرُ عَنْهُ الشَّعْرُ مِنْ أَعْلَى الْجَبِينِ حَتَّى يَصْعَدَ فِي الرَّأْسِ. وَفِي صِفَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «الْبَطِينُ الْأَنْزَعُ». وَالْعَرَبُ تَحِبُّ النَّزْعَ وَتَتِيمَنُ بِالْأَنْزَعِ.

(٧) الْخَاوِي مِنَ النُّجُومِ: الْمَاحِلُ الَّذِي لَا يَمُطِرُ.

(٨) الْوَاسْطُونَ: الْحِيَارُ.

(٩) الْمَشَارِفُ: الْأَعَالِي.

(١٠) حَرَبْتُ: سَلَبْتُ الْمَالَ وَلَمْ تَتْرَكْ شَيْئًا. وَفِي ح، ب بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةُ. أَصِيْبِي: تَصْغِيرُ أَصْبِيَّةٍ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الصَّادِ وَكُسْرِ الْبَاءِ جَمْعُ صَبِيٍّ.

وأرى الذي يرجو ثراث محمد أفلست نجومهم ونجمك يسطع^(١)

/ فقال عبد الملك: ذلك جزاء أعداء الله. فقال عبد الله بن الحجاج:

فانعش أصيبيتي الألاء كأنهم جعل تدرج بالشرية جوع^(٢)

فقال عبد الملك: لا أنعشهم الله، وأجاع أكبادهم، ولا أبقي وليداً من نسلهم، فإنهم نسل كافر فاجر لا يبالي ما صنع^(٣). فقال عبد الله:

مال لهم مما يضرن جمعته يوم القليب فحيز عنهم أجمع^(٤)

فقال له عبد الملك: لعلك أخذته من غير حيلة، وأنفقت في غير حق، وأرصدت به لمشاقة^(٥) أولياء الله، وأعددت له لمعاونة أعدائه، فنزعه منك إذ استظهرت به على معصية الله. فقال عبد الله:

أذنو لترحمني وتجبر فاقتي فأراك تدفعني فأين المدفع^(٦)

فتبسم عبد الملك، وقال له: إلى النار، فمن أنت الآن؟ قال: أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي، وقد وطئت دارك وأكلت طعامك، وأنشدتك، فإن قتلني بعد ذلك فأنت وما تراه، وأنت بما عليك في هذا عارف. ثم عاد إلى إنشاده، فقال:

ضاق ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فتوبك أوسع

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه، وقال: البسه، لا لبست! فالتحف به، ثم قال له عبد الملك: أولى لك والله، لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم بعض / هؤلاء فيقتلك، فأبى الله ذلك، فلا تجاوزني في بلد، وانصرف آمناً، قم حيث شئت. [١٦٢/١٣]

- قال اليزيدي في خبره: قال عبد الله بن الحجاج: ما زلت أتعرف منه كل ما أكره حتى أنشدته قولي:

ضاق ثياب الملبسين وفضلهم عني فألبسني فتوبك أوسع

فرمى عبد الملك مطرفه^(٧)، وقال: البسه. فلبسته.

ثم قال: أكل يا أمير المؤمنين؟ قال: كل. فأكل حتى شبع، ثم قال: أمنت ورب الكعبة؟ فقال: كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج. قال: فأنا والله هو، وقد أكلت طعامك، ولبست ثيابك، فأبى خوف علي بعد ذلك؟ فأمضى له الأمان.

التجاؤه إلى أحيح بن خالد وهجاؤه إياه حين غدر به

ونسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

(١) هذا البيت في كل الأصول، وليس في حد. والذي هنا بمعنى الذين. كما في قوله تعالى: «وخضتم كالذي خاضوا» وكقول الشاعر:

وإن الذي حانست بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

(٢) الألاء لغة في الآلى، مثل ما جاء في قوله:

أبى الله للشسم الألاء كأنهم سيوف أجاد القين يسوماً صقالها

وروى: «فأرحم أصيبيتي هديت فإنهم». الحجل: ضرب من الطير، واسم الجمع منه الحجلج. والبيت في «اللسان» (حجل)

برواية: «حجل تدرج». الشربة: الأرض المعشبة لا شجر بها، وموضع بنجد.

(٣) الكلام من «ولا أبقي» إلى هنا ساقط من حد.

(٤) ورد في حد: «ما إن لهم مما تظن». حيز عنهم: أبعد.

(٥) المشاقة: المعادة والمحاربة.

(٦) فأين المدفع: أين الجهة التي تدفعني إليها لأنال منها.

(٧) المطرف بضم الأول وكسره: رداء من خز مربع ذو أعلام.

كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامر الحنفي الشاري، فلما انقضى أمره هرب، وضاعت عليه الأرض من شدة الطلب، فقال في ذلك:

رأيت بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطرود كفة حابل^(١)
تؤدي إليه أن كل ثنية تيممها ترمي إليه بقاتل^(٢)

٢٨ / قال: ثم لجأ إلى أخنح بن خالد بن عقبة بن أبي معيط، فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك، فبعث إليه بالشرط،
١٢ فأخذ من دار أحيح، فأتي به الوليد فحبسه، فقال وهو في الحبس:

[١٦٣/١٣] / أقول وذاك فرط الشوق مني لعيني إذ نأت ظمياءً فيضي^(٣)
فما للقلب صبر يوم بان وما للدمع يسفح من مغيض
كان معتقاً من أذرع بماء محابة خصر فضيضي^(٤)
بفيها، إذ تخافني حياة سرّاً تبسوح به خفيضي

يقول فيها:

فلإن يغرض أبو العباس عني ويركب بي عروضا عن عروض
ويجعل عرقه يوماً لغيري ويغضني فلأنني من بغيض
فلأنني ذو غنى وكريم قوم وفي الأكفاء ذو وجه عريض
غلبت بني أبي العاصي سماحاً وفي الحرب المذكرة العضوض^(٥)
خرجت عليهم في كل يوم خروج القذح من كف المفيض^(٦)
فدى لك من إذا ما جئت يوماً تلقاني بجامعة ربوض^(٧)
على جنب الخوان وذاك لؤم وبست تحفة الشيخ المريضي^(٨)
كأنني إذ فزعت إلى أخنح فزعت إلى مقوقية ييوض^(٩)
إوزة غيضة لقحت كشافاً لفتحها إذا درجت نقيض^(١٠)

(١) الكفة للمائد: حبالته، وهي المصيدة بكسر الميم وسكون الصاد.

(٢) تؤدي إليه: تخيل إليه. والثنية: الطريق الصعبة والطريقة في الجبل كالنقب، وقيل هي العقبة، وقيل هي الجبل نفسه.

(٣) ظمياء: اسم امرأة. والظمياء من الشفاء: الذابلة في سمرة، ومن العيون: الرقيقة الجفن.

(٤) المعتق: الشراب عتق زماناً. وفي جـ، س بالباء بدل التاء وهو تصحيف. أذرع: بلدة بالشام مشهورة بالخمير. والخصر: البارد، وفي جـ: «خضر» بالضاد المعجمة وهو تصحيف. والفضيض: المنتشر.

(٥) المذكرة العضوض: الشديدة.

(٦) المفيض: الذي يضرب بقдах الميسر ليظهر الفائز وغير الفائز.

(٧) الجامعة: الغل، الربوض: الضخمة الثقيلة.

(٨) التحفة: ما أتحت به الرجل من طعام ونحوه. وفي الحديث: «تحفة الكبير». وفي كل الأصول: «دمست بخفة». وروى في «الحيوان» (٢: ٣٠٢): «وبست خبزة».

(٩) المقوقية: المصونة.

(١٠) الكشاف: أن تلقح حين تبيض. والقحح بضم الغافين: العظم المطيف بالدبر. والتقيض: الصوت. وفي هذا البيت إقواء.

/ قال: فدخل أحيح على الوليد بن عبد الملك، فقال يا أمير المؤمنين: إن عبد الله بن الحجاج قد هجاك، [١٦٤/١٣] قال: بماذا؟ فأنشده قوله:

فإن يُغْرِضْ أبو العباس عني ويركب بي عروضا عن عروض
ويجعل عُرْفَه يوماً لغيري ويغضني فإني من بغض

فقال الوليد: وأي هجاء هذا! هو من بغض إن أعرضت عنه، أو أقبلت عليه، أو أبغضته، ثم ماذا؟ فأنشده:

كأنني إذ فرغت إلى أحيح فرغت إلى مقوقرة بيوض

فضحك الوليد، ثم قال: ما أراه هجا غيرك. فلما خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجاج، فأطلق. وكان الوليد إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه.

هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة. وحدثني يعقوب بن القاسم الطلحي، قال: حدثني غير واحد، منهم عبد الرحمن بن محمد الطلحي، قال: حدثني أحمد بن معاوية، قال: سمعت أبا علقمة الثقفي يحدث. قال أبو زيد^(١): وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر، وقد ألفت ذلك، قال:

كان^(٢) كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصّة بن يزيد بن شدّاد بن قنّان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب، على ثغر الرّي، ولآه إياه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة / معاوية على الكوفة، وكان^{٢٩} عبد الله بن / الحجاج معه، فأغار الناس على الدّيلم، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم، فأخذ سلّبه^{١٢}، فانتزعه [١٦٥/١٣] منه كثير، وأمر بضربه، فضرب مائة سوط، وحبس، فقال عبد الله في ذلك^(٣)، وهو محبوس:

تسائل سلمى عن أبيها صحابه وقد علقتّه من كثير حائل^(٤)

فلا تسألني عني الرفاق فإنّه بأبهر لا غار ولا هو قافل^(٥)

ألسن ضربت الدّيلم أمّهم فجذّلتّه فيه سنّان وعامل^(٦)

فمكث في الحبس مدة، ثم أخلي سبيله، فقال:

سأترك ثغر الرّي ما كنت والياً عليه لأمر غالي وشجاني

فلأن أنا لم أدرك بشاري وأثّر فلا تدعني للصّيد من غطفان^(٧)

تمتّيتني يا بن الحصين سفاهة ومالك بي يا بن الحصين يدان^(٨)

فإني زعيم أن أجّل عاجلاً بسيفي كفاحاً هامة ابن قنّان

(١) أبو زيد: كنية عمر بن شبة.

(٢) «كان»، ليس في الأصول، وأثبتناها لتستقيم العبارة.

(٣) «في ذلك»: ليست في جـ.

(٤) الحبال: جمع حبال: المصيدة.

(٥) «فلا تسألني»، في جـ «فان». وأبهر: مدينة بين قزوين وزنجان.

(٦) جذّلتّه: صرّعته. والعامل من الرمع: صدره.

(٧) اثّر: أدرك ثاري، ومثله «اثّر» و«اثّر». انظر «مقاييس اللغة» (نار). والصيد، جمع أصيد: وهو الملك.

(٨) في الأصول: «تمتّيتني».

عبد الله بن الحجاج بضرب كثيراً بعمود عند خروجه من دار المغيرة

قال: فلما عَزِلَ كَثِيرٌ وقدم الكوفةَ كَمِنَ لَهُ عبد الله بن الحجاج في سوق التَّارِينِ - وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة - وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدثُ المغيرةَ، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال، وخرج من عنده مُمَسِّياً يريد داره، فضربه عبدُ الله بعمودٍ حديدٍ على وجهه فهتَمَ مقاديم أسنانه كُلِّها، وقال في ذلك:

ضربتُ كثيراً مضربَ الظَّربانِ (١)
تُذِلُّ وتُخْزِي الذَّهْرَ كُلَّ يَمَانِ (٢)
سريعاً إلى الهيجاء غير جبانِ
على سابح غَوْجِ اللَّبَانِ حِصَانِ (٣)
كرامٍ على البأساء والحدثانِ
فلأنسي لِقَرَمٍ يا كثيرُ هِجَانِ (٤)
بغِيضِ بَن رِيثٍ بعد آل دجان

/ مَن مَبْلُغٌ قَبِياً وخندفَ أنسي
فأقسِمُ لا تَنفَكُ ضربةُ وجهه
فإن تَلَقَّني تلقَ أمراً قد لقيته
وتلقَ أمراً لم تلقَ أُنْكَ بِرَّه
وحوليَ مِن قيسٍ وخندفَ عصبته
وإن تك للسُّنْخِ الذي غَصَّ بالحصى
أنا ابنُ بني قيسٍ عَليَّ تعطفَت

[١٦٦/١٣]

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجاج:

أدركت مَظْلِمَتِي مِن ابْنِ شَهَابٍ
سُرحَ الجِراءِ طَوِيلَةَ الأَقْرَابِ (٥)
تعلُّو بجُؤْجُؤِهَا هُوِيَّ عُقَابِ (٦)
منه فأضربه على الأنيابِ
ذهَلَ الجَنَانُ مضرجَ الأثوابِ (٧)
بقصور أنْهَرِ نصرتي وعقابي (٨)
جلدي وتَنزَعُ ظالمًا أثوابي
بأشَمِّ لا رَعِشَ ولا قَبْقَابِ (٩)

مَن مَبْلُغٌ قَبِياً وخندفَ أنسي
أدركته أجرى على مَخْبُوكَةٍ
جرداء سُرحوبٍ كأن هُوِيَّهَا
خُضَّتْ الظلامَ وقد بدت لي عورةُ
فتركته يكبو لِفِيهِ وأنفِهِ
/ هلا خَشِيتَ وأنت عادٍ ظالمٍ
إذ تستحِلُّ، وكان ذاك مُجَرَّماً،
ما ضرَّه والخُرُّ يطلب وتره

[١٦٧/١٣]

(١) الظربان: دوية كالهرة ننتة الرائحة لا تخرج رائحتها من الثوب حتى يلى. وفي «اللسان»: «وقوله مضرب الظربان، أي ضربه في وجهه، وذلك أن للظربان خطاً في وجهه».

(٢) تنفك في ش، وفي باقي الأصول بالياء.

(٣) غوج بالفتن المعجمة. واللبان كسحاب: أي واسع جلد الصدر. والحصان بالكسر: الفرس الذكر أو الكريم المضمون بمائه.

(٤) السنخ: الأصل، وجاء في س، ب بالحاء المهملة. والقرم: السيد الشجاع، أي إن نسبتي إلى أباء سادة شجعان. والهجان: الرجل الحسيب.

(٥) المحبوكة: الفرس القوية. في بعض الأصول: «مرح» وفي بعضها: «مرخي». والسرح: المنسرحة في سيرها السريعة. والجرا: الجري. والأقرب: جمع قرب بالضم أو بضمّتين: الخاصرة.

(٦) الجرداء: قصيرة الشعر. السرحوب: الفرس الطويلة، توصف به الإناث دون الذكور. هويها، يعني به سرعتها. وفي الأصول: «كان هوبوها». والجؤجؤ: مقدم الصدر.

(٧) يكبو: ينكب لوجهه.

(٨) نصرتي ويروي: «نؤرتي» وهي المكافأة بجناية جنيت عليك «مهذب الأغاني».

(٩) الحر تصحيح ش، روي في س، ب «الحرب» وهو تحريف. والأشم: ذو الأنفة. وورد في س، ب «بأتم». والرعرش: المضطرب. والقبقاب: الكذاب أو المهذار.

انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج

/ قال: فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية: إن سيدنا ضربه خسيسٌ من غطفان، فإن رأيت أن تُقيدنا^(١) من أسماء بن خارجة. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: ما رأيتُ كالْيَوْمِ كتابَ قومٍ أحمقٍ من هؤلاء. وحَسَّ عبد الله بن الحجاج، وكتب إليهم: «إِنَّ الْقَوَدَ مِمَّنْ لَمْ يَجِنِ مُحْظُورٌ، وَالْجَانِي مُحْبُوسٌ، حَبْسُهُ فَلْيَقْتَصَّ مِنْهُ الْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ». فقال كثيرُ بن شهاب: لا أستقيدها إلَّا من سيدٍ مضر. فبلغ قوله معاوية فغضب وقال: أنا سيدٌ مضرٌ فليستقيدها مِنِّي، وأَمَّنْ عبد الله بن الحجاج، وأطلقه، وأبطل ما فعله بابن شهاب، فلم يقتصَّ ولا أخذ له عقلاً.

صفو كثير عن عبد الله بن الحجاج

قال أبو زيد: وقال خلادُ الأرقطُ في حديثه.

إن عبد الله بن الحجاج لمَّا ضربه بالعمود، قال له: أنا عبدُ الله بن الحجاج صاحبُك بالريِّ، وقد قابلتُك بما فعلتَ بي، ولم أكن لأكتمك نفسي، وأقسِمُ بالله لئن طالبتَ فيها بقودٍ لأقتلتُك. فقال له: أنا أقتصُّ من مثلك، والله لا أرضى بالقصاصِ إلَّا من أسماء بن خارجة! وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة، فكتب معاوية إلى المغيرة: أن أحضر كثيراً وعبدَ الله بن الحجاج فلا يرحل من مجلسك حتى يقتصَّ كثيرٌ أو يعفو. فأحضرهما المغيرة، فقال: قد عفوت؟ وذلك / لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله. قال: وقال لي: يا أبا الأقيع، والله لا نلتقي أنت [١٦٨/١٣] ونحن جميعاً أهتمام، وقد عفوتُ عنك.

الحراث ينش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

كان لعبد الله بن الحجاج أبنان يقال لأحدهما: عوين، والثاني جندب، فمات جندب وعبدُ الله حيَّ فدفنه بظهر الكوفة، فمرَّ أخوه عوين بحراثٍ إلى جانب قبر جندب، فنهاه أن يقرِّبه بفدَّانه، وحذَّره ذلك، فلما كان الغدُ وجده قد حرث جانبَه، وقد نبَّشه وأضرَّ به، فشدَّ عليه فضربه بالسيف وعقر فدَّانه^(٢). وقال:

أقول لحراثي حريمي جنباً فدائيكما لا تُحرثا قبر جندب^(٣)
فإنكما إن تحرثاه تُشردا ويذهب فدانٌ منكما كلَّ مذهب^(٤)

عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه من عبد الملك

قال: فأخذ عوين، فاعتقله السجان، فضربه حتَّى شغَّله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه، وأمر بالآ يُتَعَقَّب، فقال عبد الله بن الحجاج، يذكر ما كان من ابنه عوين:

لمثلُك يا عوينُ فدتك نفسي نجاً من كُرْبَةٍ إن كان ناجي
عرَفْتُكَ من مُصاصِ السُّنخِ لما تركت ابن العكاس في العجاج^(٥)

(١) تقيدنا: أفاد القاتل بالقتيل: قتله، ومعناه هنا القصاصي.

(٢) الفدان: الثور أو الثوران يقرن بينهما للحراث، أو هو آلة الثورين، يقال بتشديد الدال ويتخفيفها.

(٣) فدائيكما بالثنية، وروى: «فديتكما» («مذهب الأغاني» ج ٤ ص ١١٧) ش، ب.

(٤) كذا في جـ و«مذهب الأغاني»، وفي سائر النسخ: «ويذهب كل».

(٥) مصاص السنخ، يقال فلان مصاص قومه، إذا كان أخلصهم نسباً. ويقال للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد. والسنخ: الأصل، وورد في س، ب بالحاء المهملة، تحريف.

إنشاده عبد الملك أرجوزة يستعطفه بها

قال: ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مثّل بين يديه، فأنشده:

يا ابن أبي العاصي ويا خير فتى / أنت النجيب والخيار المصطفى (١)
أنت الذي لم تدع الأمر سدى / حين كشفت الظلمات بالهدى
ما زلت إن ناز على الأمر انتزى / قضيت إن القضاء قد مضى (٢)
كما أذقت ابن سعيد إذ عصى / وابن الزبير إذ تسمى وطفى
/ وأنت إن غدت قديم وبقي / من عبد شمس في شماريخ العلى (٣)
جيت قريش عنكم جوب الرحى / هل أنت عاف عن طريد قد غوى (٤)
أهوى على مهواة بشر فهوى / رمى به جول إلى جول الرجا (٥)
فتجير اليوم به شيخاً ذوى / يعوي مع الذئب إذا الذئب عوى
وإن أراد النسوم لسم يقض الكرى / من قول ما لاقى وأهوال الردى
يشكر ذاك ما نقت عين قذى / نفسي وأبائي لك اليوم الفدا

فأمر عبد الملك بتحفل ما يلزم ابنه من غزم وعقل، وأمنه.

مغاضبته عبد العزيز بن مروان، ثم رجوعه إليه

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه، فأجزل صلته، وأمره بأن يقيم عنده ففعل، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر / أن يمنعه عطاءه، فمنعه، ورجع عبد الله لما أضرب به ذلك إلى عبد العزيز، وقال بمدحه:

تركت ابن ليلى ضلة وحريمه / وعند ابن ليلى معقل ومعول (٦)
ألم يهيني أن المراعم واسع / وأن الديار بالمقيم تنقل (٧)
سأحكم أمري إن بدا لي رشده / واختار أهل الخير إن كنت أعقل
وأترك أوطاري والحسق بامريء / تحلب كفاء السدى حين يسأل (٨)
أبت لك يا عبد العزيز مآثر / وجري شأى جري الجياد وأول (٩)

(١) النازي: المتوئب. ويقال قضى عليه وقضاه، أي أهلكه.

(٢) البنى بكسر الباء وضمها جمع بنية بالكسر والضم: ما بنيت. والشماريخ مفردة شمراخ، وهي رؤوس الجبال وأعالي السحاب.

(٣) جيت بالجيم، ووردت بالحاء تصحيفاً. وجاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للأَنْصار يوم السقيفة: «إنما جيت العرب عنا كما جيت الرحي عن قطبها»، أي خرقت العرب عنا فكنا وسطاً وكانت العرب حوالينا كالرحي، وقطبها الذي تدور عليه.

(٤) الجول: جدار البئر. والرجا: ناحية البئر.

(٥) المعول: ما يعول عليه ويعتمد.

(٦) المراعم: المهرب والمتسع.

(٧) الأوطار: الحاجات.

(٨) شأى: سبق.

أبي لك إذ أكذوا وقلّ عطاؤهم
مواهبٌ قَيَّاضٌ ومجدٌ مؤثَّلٌ^(١)
أبوك الذي يَنمِيكَ مروانٌ للعلی
وسعدُ الفتى بالخال لا من يُخوِّل^(٢)

فقال له عبد العزيز: أما إذ عرفت موضع خطتك، واعترفت به فقد صفحتُ عنك. وأمر بإطلاق عطائه، ووَصَلَه، وقال له: أقم ما شئت عندنا، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت.

عبد الله بن الحجاج يعاونه قومه على عمر بن هبيرة
ونسخت من كتابه أيضاً:

كان عمرُ بنُ هبيرةَ بنِ معيَّة بنِ سكينٍ قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقاً له، واستعان عليه بقومه، فلَقَّوه في بعلبك، فعاونوا عبدَ الله بن الحجاج عليه، وفرَّقوه^(٣) بالسياط حتى انتزعوا حَقَّهُ منه، فقال عبد الله في ذلك:

[١٧١/١٣]

/ ألا أبلغُ بنيَ سعدٍ رسولاً
أميطُوا عنكم ضرطَ ابنِ ضرطٍ.
ولي حقٌّ فرَاطَةٌ أولينا
فما زالت مباسطتي ومَجدي
وجدي بالسياط عليك حتى
مَتى ما تعترضُ يوماً لحَقِّي
من الحيَّين ثعلبةَ بنِ سعدٍ
تراهم في البيوت ومم كسالى
والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها:

نأتك ولم تخشَ الفِراقَ جَنوبٌ
وشطَّت نَوَى الظاعنين شُعبٌ^(١١)
طربتَ إلى الحيِّ الذين تحمَّلوا
يُرْقَةَ أحوازٍ وأنت طروب^(١٢)
فظَلْتُ كَأَنِّي ساورتني مُدامةٌ
تمنى بها شَكْسُ الطَّبَاعِ أريب^(١٣)

٣٢
١٢

(١) أكذوا: قل خيرهم وعطاؤهم. وفي س، ب «كروا».

(٢) الخال: أخو الأم. ويخول: يدعى أنه خال وليس به. وفي الأصول: «وسعد الفتاة الخال».

(٣) التفريق: التخويف. وفي الأصول: «فوقوه»، تحريف.

(٤) بسيطة بلفظ التصغير: أرض في البادية بين الشام والعراق، سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر. «معجم البلدان».

والمعاط: لعله مكان.

(٥) يماط: يكشف.

(٦) الفراطة: السابقة. لها افتراط: يخاف فوتها.

(٧) التهايط والمياط ضدان، وهما الدنو والتباعد.

(٨) الذنابي: الذنب.

(٩) السعر جمع أسعر: القليل اللحم الظاهر العصب. والسباط: الطوال.

(١٠) الاعتباط: إلقاء النفس في الحرب غير مكره. ووردت في الأصول بالغين المعجمة محرفة.

(١١) شعوب: مفرقة.

(١٢) برقة أحواز سبق شرحها آخر ترجمة منصور النمري.

(١٣) ساورتني: أخذت برأسي. والشكس: الصعب الخلق.

تُمِرُّ وتستحلي على ذاك شَرِبُهَا / وَتُحَلِّي عَلَى ذَاكَ شَرِبُهَا
 كَمِيتَ إِذَا صَبَتْ وَفِي الْكَأْسِ وَرْدَةٌ / إِذَا صَبَتْ وَفِي الْكَأْسِ وَرْدَةٌ
 تَذَكَّرْتُ ذِكْرِي مِنْ جَنْوَبٍ مَصِيئَةٍ / تَذَكَّرْتُ ذِكْرِي مِنْ جَنْوَبٍ مَصِيئَةٍ
 / وَأَنْتَى تَرْجِي الْوَصْلَ مِنْهَا وَقَدْ نَأَتْ / وَأَنْتَى تَرْجِي الْوَصْلَ مِنْهَا وَقَدْ نَأَتْ
 فَمَا فَوْقَ وَجْدِي إِذْ نَأَتْ وَجْدٌ وَاجِدٍ / فَمَا فَوْقَ وَجْدِي إِذْ نَأَتْ وَجْدٌ وَاجِدٍ
 بَرَهْرَهَةً خُودَ كَأَنَّ ثِيَابَهَا / بَرَهْرَهَةً خُودَ كَأَنَّ ثِيَابَهَا
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ.

الحجاج يحرض عبد الملك على قتل عبد الله بن الحجاج

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يُعَرِّفُهُ آثار عبد الله بن الحجاج، وبلاءه من محاربتة، وأنه بلغه أنه أمته، ويحرضه ويسأله أن يوفده^(٤) إليه ليتولَّى قتلَه، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج، فجاء حتَّى وقف بين يديَّ عبد الملك، ثم أنشده:

أَعُوذُ بِشَوَيْتِكَ اللَّذَيْنِ ارْتَدَاهُمَا / كَرِيمُ الثَّنَا مِنْ جَيْهِ الْمَسْكَ يُنْفَعُ^(٥)
 فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي / وَإِنْ كُنْتُ مَذْبُوحًا فَكُنْ أَنْتَ تَذْبَحُ
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:
 لَأَنْتَ وَخَيْرُ الظَّافِرِينَ كَرَامُهُمْ / عَنْ الْمَذْنِبِ الْخَاشِي الْعِقَابِ صَفُوحُ
 وَلَوْ زِلَقْتُ مِنْ قَبْلِ عَفْوِكَ نَعْلُهُ / تَرَامِي بِهِ دَخُضُ الْمَقَامِ بَرِيحُ^(٦)
 نَمَى بِكَ إِنْ خَانَتْ رَجَالًا عُرُوقُهُمْ / أُرُومٌ وَدِينٌ لَمْ يَخُنْكَ صَحِيحُ^(٧)
 وَعَرَفْتُ سَرَى لَمْ يَسْرِ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ / وَشَاؤُ عَلَى شَأْوِ الرِّجَالِ مَتُوحُ^(٨)
 / تَدَارَكْنِي عَفْوُ ابْنِ مَرْوَانَ بَعْدَمَا / جَرَى لِي مِنْ بَعْدِ الْحَيَاةِ سَنِحُ^(٩)
 رَفَعْتُ مَرِيحًا نَاطِرِي وَلَمْ أَكُودْ / مِنْ الِهْمِّ وَالْكَرْبِ الشَّدِيدِ أَرِيحُ

عبد الملك يمنع الحجاج من التعرض لعبد الله

فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إني قد عرفت من خُبْرِ عبد الله وفسقه ما لا يزيدني علماً به، إلا أنه اغتفلني

(١) الكميت: الذي خالط حمرتها سواد. والوردة: الحمراء.

(٢) الواجد بالجيم: المشوق. وورد في ب، س بالخاء المهملة.

(٣) البرهرة: المرأة البيضاء الشابة والناعمة. والخود بالفتح: الحسنات الخلق الشابة أو الناعمة.

(٤) في ح، س: «يفده».

(٥) الثناء: ما أثبت به على المرء من مدح أو ذم.

(٦) الدخض بفتح الدال وسكون الحاء: الزلق. وفي الأصول بالراء. والبريح: المتعب.

(٧) الأروم جمع أرومة بالفتح والضم: الأصل. وفي الأصول: «ودين لم يجهك»، تحريف.

(٨) الشاؤ: السبق والغاية. والمتوح: البعيد. وروى بالنون في س، ش، ب.

(٩) السنيح: السانح. وكانت العرب إذا جرت الطير من شمال الإنسان إلى يمينه تفاعلوا ويسمى بالسانح، فإذا مر من الميامن إلى

المياسر تشاءموا ويسمى بالبارح. ويقال: «من لي بالسانح بعد البارح»، أي المبارك بعد المشنوم.

متنكرًا، فدخل داري، وتحرم بطعامي، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي، وأعاذني فأعذته، وفي دون هذا ما حَظَرَ عليّ دمه، وعبدُ الله أَقْلُ وأَذَلُّ من أن يُوقَعَ امرأ، أو ينكثَ عهداً في قتله خوفاً من شره، فإن شَكَرَ النعمة وأقامَ على الطاعة فلا سبيلَ عليه، وإن كفر ما أُوتِيَ وشاقَّ اللهَ ورسولَه وأولياءه فالله قَاتِلُه بِسَيْفِ البغي الذي قَتَلَ به نظراؤه ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيته^(١) إلا بخير، والسلام.

الوليد وابن هبيرة يأمران عبد الله بمبارزة رجل في بركة ماء

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحَزَنُ بْنُ عَلِيٍّ عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال:

كانت في القريتين^(٢) بركةٌ من ماء، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دَعْكَنَةُ، لا يدخل البركة معه أحدٌ إلا غَطَّه^(٣) حتى يغلبَه، فغطَّ يوماً فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذ: اللهم أصبب علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجاج. فكان أول رجل انحدرت به راحلته، فأناخها ونزل، فقال ابن هبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحطَّ عليه في البركة / والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرضٌ للناس وقد صدّوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين إني [١٧٤/١٣] أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله، أو أقتله فلا تُرضي قومه إلا بمثل ذلك، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال. فقال دَعْكَنَةُ: يا أمير المؤمنين هو في حلٍّ وأنا في حلٍّ. فقال له الوليد: دونك. فتكأ^(٤) ساعة كالكارِه حتى عزم عليه الوليد، فدخل البركة، فاعتنق الكلبيُّ وهوى به إلى قعرها، ولزَمَه حتى وجد الموت، ثم خَلَّى عنه، فلما علا غَطُّه غَطَّةً ثانية، وقام عليه ثم أطلقه حتى تَرَوَّحَ، ثم أعاده وأمسكه حتى مات، وخرج ابن الحجاج وبقي الكلبيُّ، فغضب الوليد وهم به، فكلَّمه يزيد وقال: أنت أكرهته، أفكان يُمكنُ الكلبيُّ من نفسه حتى يقتله؟ فكف عنه. فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك:

نَجَّاني اللهُ فرداً لا شريكَ له بالقريتين ونفسٌ صُلْبَةُ العودِ
وذمَّةٌ من يزيدٍ حالَ جانِبِها دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهود^(٥)
لولا الإلهُ وصبري في مغاطستي كان السليمَ وكنت الهالكَ المودي

قصيدة

يا حَبَّذا عملُ الشيطان من عمل إن كان من عمل الشيطان حُبِّها^(٦)
لنظرةٍ من سليمى اليومَ واحدةً أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها^(٧)
الشعر لناهض بن ثومة الكلابيُّ، أنشدني هاشمُ بن محمد الخزاعيُّ، قال: أنشدنا الرياشيُّ قال: أنشدنا ناهضُ بنُ ثومةَ أبو العطف الكلابيُّ هذين البيتين لنفسه. وأخبرني بمثل ذلك عمي من الكُرَانيِّ عن الرياشي. والغناء لأبي العبيس ابن حمدون ثَقِيلٌ أولُ يُنشدُ بالوُسْطَى.

(١) فيما عدا ش: «أهله سيئة».

(٢) القريتان: قرية بحمص.

(٣) غطَّه: غطَّه.

(٤) تكأ: تكص وجبن.

(٥) فأنجيت بالجم في ش، أما في ح، س فبالحاء، وهو تصحيف.

(٦) حبَّها: أي حبِّي إياها.

(٧) نظرة بالنون، وروى في ش، ح بالقاف، وهو تحريف.

/ أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

[١٧٥/١٣]

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدوي فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقه، ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وكان يهجو رجلاً من بني الحارث بن كعب، يقال له: نافع بن أشعر الحارثي، فأثرى عليه ناهض^(١). فمما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس، قصيدة ناهض التي أولها:

ألا يا أسلماً يأيها الطلّان / وهل سالمٌ باقٍ على الحدّثان
أينالنا، حُببُما اليوم، إننا / ميينان عن مئيلٍ بما تَسْلان
متى العهدُ من سلمى التي بَثَّ القُوى / وأسماءُ إن العهد منذ زمان^(٢)
ولا زال ينهلُ الغمامُ عليكمما / سبيلَ الرّبي من وإبلٍ ودِجان^(٣)
فإن أنما يئتما أو أجبتما / فلا زلتما بالنبتِ ترتديان
وجرّ الحريزُ والفِرندُ عليكمما / بأذيالِ رخصاتِ الأكفِّ هِجان^(٤)
نظرت ودوني قيْدُ رمحين نظرة / بعينين إنسانهما غرقان^(٥)
إلى ظُفنٍ بالعاقرين كأنها / قرائنُ من دوحِ الكثيبِ ثمان^(٦)
/ لسلمى وأسماء اللتين أكتتا / بقلبي كنيئتي لوعة وضمّان^(٧)
عسى يُعقبُ الهجرُ الطويلُ تدانیا / وياربَّ هجرٍ معقبٍ بتداني

٣٤
١٢

[١٧٦/١٣]

- (١) فأثرى عليه: كان أكثر منه.
(٢) بتت: قطعت. وفي بعض الأصول: «تبت» وفي بعضها «فتت» محرّفتان.
(٣) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر. والدجان: الأمطار الكثيرة.
(٤) الفرند: ضرب من الثياب. والهجان: البيض.
(٥) القيد بكسر القاف: القدر والمقدار.
(٦) الظعن بضم الأول والثاني جمع ظعينة وهي: اليهودج فيه امرأة أم لا، وهي أيضاً المرأة ما دامت في اليهودج. والعاقرين بفتح الراء: أرضان في وادي العقيق متكافتان، ويحيطان بقرية لبني أسد. والقرائن: المتماثلات المتكافئات. والدوح: الشجر. والكثيب: الرمل.
(٧) اللتين في ش، وفي سائر الأصول «البنين» وهو تحريف. كنيئتي: مثني كنيئ، أي مكنون.

خيلبي قد أكثرتما اللوم فاربعاً
 إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصبا
 فدع ذا ولكن قد عجبك لنافع
 عوى أسداً لا يزدديه عواؤه
 لعمرى لقد قال ابن أشعر نافع
 أيزعم أن العامري لفعله
 ويذكر إن لاقاه زلة نعليه
 كذبت ولكن بابن علبة جعفر
 أصيب فلم يعقل وطل فلم يقدر
 وحق لمن كان ابن أشعر ثائراً
 ذليل ذليل الرهط أعمى سوؤه
 / فلم يبق إلا قوله بلسانه
 هجانافع كعباً ليدرك وتره
 ولم تعف من آثار كعب بوجهه
 وقد خضبوا وجه ابن علبة جعفر
 فلم يهيج كعباً نافع بعد ضربة
 فمالك منهجى يا بن أشعر فاكتعم
 إذا المرء لم ينهض فيثأز بعثه
 أبي قيس عيلان وعمي خندف

كفاني ما بي لو تركت كفاني^(١)
 بجليهما خبلي فمن تصلان
 ومعواه من نجران حيث عواني^(٢)
 مقيماً بلوذني يذبل وذقان^(٣)
 مقالة موطوء الحريم مهان^(٤)
 بعاقبة يرمى به الرجوان^(٥)
 فجيء للذي لم يستبين بيان
 فدع ما تمنى زلت القدمان
 فذاك الذي يخزي به الأبروان^(٦)
 به الطل حتى يحشر الثقلان^(٧)
 بنوعامر ضيماً بكل مكان
 وما ضر قول كاذب بلسان
 ولم يهيج كعب نافعاً لأوان
 قوارع منها وضخ وقوان^(٨)
 خضاب نجيع لا خضاب دهان^(٩)
 بسيف ولم يطعنهم بسنان
 على حجر واصبر لكل هوان^(١٠)
 فليس يجلس العاز بالهذيان
 ذوا البذخ عند الفخر والخطران^(١١)

[١٧٧/١٣]

(١) أربعا: أمسكا وتوقفا.

(٢) معواه: صوته.

(٣) اللوذ: جانب الجبل وما يطيف به. ويذبل وذقان: جبلان.

(٤) في الأصول: «لقد كان». الموطوء: المداس المحترق. في ش «أصرع» وفي ج «أضرع» وإنما هو نافع بن أشعر، كما سبق في أول الحديث.

(٥) الرجوان، يقال رمى به الرجوان أي استهين به استهزاء وطرح في المهالك. وهو مثل، كأنه رمى به رجوي بثر. والرجا: الناحية، وناحية البثر، والجمع أرجاء.

(٦) لم يعقل: لم تؤد دية. والطل: هدر الدم. لم يقدر: يقال أقاد القاتل بالقتل أي قتله به.

(٧) في س، ش «الطل» بالطاء المهملة وفي ج بالمعجمة. وفي الأصل: «ابن أصغر» تحريف.

(٨) القوارع: الإصابات. الوضع: جمع واضحة، وهي الشجة التي تبدي وضع العظم. والقواني: الشديدة الحمرة.

(٩) النجيع: دم الجوف.

(١٠) اكتعم لم توجد في المعجمات، ويوجد كعم البعير: شد فاه لثلا بعض. وفي الأصول: «ابن أصغر».

(١١) الخطران: أن يرفع الإنسان رمحاً وسيفه مرة ثم يضعهما أخرى، وفي المشي أن يرفع يديه ويضعهما.

إذا ما تجمّعنا وسارت حذاءنا
/ أليس نبئ الله منا محمد
ومنا ابن عباس ومنا ابن عمّه
وعثمان والصّدّيقُ منّا وإنّا
ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكم
ربيعة لم يُعدّل بنا أخوان
وحمزة والعبّاسُ والعمّـرـان
عليّ إمام الحقّ والحسنان
لنعلم أن الحقّ ما يعدّان
هَلْهُنَّـوهُ أولاً ينطقنَّ يمان

٣٥
١٢

ناهض ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه نصيح

قال: فأنشد ناهض هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة، وعنده خال له من الأنصار، فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري: أخرجنا أخرسه الله!

وكان جدّه نصيح شاعراً، وهو الذي يقول:

ألا من لقلب في الحجاز قسيمه
/ معاود شكوى أن نأت أمّ سالم
سليم ليصلّ أسلمته لمّا به
فلم ترم الدار البريضاء فالصفا
وقفت عليها بازلاً ناهججة
كنازاً من السلاتي كأن عظامها
ومنه بأكناف الحجاز قسيم
كما يشتكي جنح الظلام سليم^(١)
رُقي قلّ عنه دفعها وتميم^(٢)
صفاها فخلأها فأين تريم^(٣)
إذا لم أزعها بالزمّام تُعوم^(٤)
جبرنّ على كسرفهنّ عشوم^(٥)

[١٧٨/١٣]

الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه، قال:

ناهض يصف وليمة وصف البدوي لما لم يره من قبل

كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدّي قثم فيمدحه، ويصلّه جدّي وغيره، وكان بدويًا جافياً كأنّه من الوحش، وكان طيّب الحديث، فحدّثه يوماً: أنهم انتجعوا ناحية الشام، فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه، وكان برّاً به، قال: فمررت بقريّة يقال لها قريّة بكر بن عبد الله

(١) السليم: اللديغ.

(٢) الصل: الحية. الرقي: التماويز. والتميم: جمع تميمة.

(٣) الخل بالفتح: الطريق النافذ في الرمل. وتريم: تفارق.

(٤) البازل ورد في س، ب بالنون وهو تصحيف، وهو ما كان من الإبل في السنة التاسعة، وليس بعده سن تسمى. في س، ب، ج: «لم أردّها».

(٥) كنّاز: كثيرة اللحم صلبته. والعشوم: المنجبرة على غير استواء.

الهلال، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً^(١) قد ضم بعضها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تحكي ألوان الزهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العيدين: الأضحى أو الفطر. ثم تاب إليّ ما عزّب عن عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي أرى؟ فبينما أنا واقفٌ متمجّب أتاني رجل فأخذ بيدي، / فأدخلني داراً قوراء^(٢)، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِد في وجهه فُرُش ومُهْدَت، [١٧٩/١٣] وعليها شابٌ ينال فروع شعره منكبيه، والناس حوله سِمَاطان^(٣)، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حكي لنا جلوسه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه، فقلت وأنا مائل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. ف جذب رجُلٌ يدي، وقال: اجلس فإن هذا ليس بأمير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: واثكل أماءه، لربّ عروس رأيت بالبادية أهونُ على أهله من مَن أمه^(٤). فلم أنشَب^(٥) أن دخل رجالٌ يحملون هَنَات^(٦) مدوّرات، أما ما خفّ منها فيُحْمَل حملاً، وأما ما كبر وثقل فيدحرج فوضع ذلك أماناً، وتحلقُ القومُ عليه حلقاً، ثم أُتينا بِخِرْقٍ بيضٍ فَأَلْقَيْتُ بين أيدينا، فظننتها ثياباً، وهممتُ أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً، وذلك أني رأيتُ نسجاً مُتَلَاحِماً / لا يبين له سَدَى ولا لحمه، فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمرّق سريعاً، وإذا هو - فيما زعموا - صِنْفٌ من الخُبْز لا أعرفه؛ ثم أُتينا بطعام كثير بين حلوٍ وحامضٍ، وحرارٍ وبارِدٍ؛ فأكثرْتُ منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التَّخَم والبَسَم؛ ثم أُتينا بِشَرَابٍ أحمرٍ في عِساس^(٧)، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابي إنك قد أكثرت من الطعام، وإن شربت الماء هَمَى^(٨) بطنك. فلما ذكر البطن تذكّرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي، قالوا: لا تزال حيّاً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف فأوص^(٩). فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أكثر منه فلا أَمَلُ شربه، فتدخلني من ذلك / صلفٌ لا أعرفه من نفسي، وبكاءٌ لا أعرف سببه ولا عهد لي بمثله، واقتدارٌ على [١٨٠/١٣] أمري أظنّ معه أني لو أردتُ نيل السَّقَف لبلغته، ولو ساورت^(١٠) الأسد لقتلته، وجعلت ألثفت إلى الرجل الناصح لي فتحدّثني نفسي بهتَم أسنانه وهشَم أنفه، وأهمُّ أحياناً أن أقول له: يا ابن الزانية! فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة، أحدهم قد علّق في عنقه جعبة فارسيّة مشنّجة^(١١) الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً؛ ثم بدر الثاني فاستخرج من كمّه هَنَةً سوداء كفيشلة الحمار^(١٢)، فوضعها في فيه، وضرط ضراطاً لم أسمع - وبیت الله - أعجب منه، فاستتمّ بها أمرهم، ثم حرّك أصابعه على أجحرة فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ

(١) الخصاص: البيوت من القصب، جمع خص.

(٢) القوراء: واسعة.

(٣) السمّاطان: الصّفان.

(٤) الهن: الفرج.

(٥) فلم أنشَب، يقال ما نشبت أفعل كذا أي ما زلت.

(٦) هَنَات: أشياء، جمع هنة.

(٧) عِساس بكسر العين جمع عس بالضم: هي القداح الكبيرة.

(٨) هَمَى بطنه: أي انطلق.

(٩) اختلف: أصابه إسهال.

(١٠) ساورت الأسد: واثبته. وفي ب، س: «شأوت».

(١١) المشنّجة: المنقضة.

(١٢) الفيشلة: الحشفة ورأس كل مدور.

تشبه بالضراط ولكته أتى منها لما حرك أصابعه بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضه لبعض، كأنه، علم الله، ينطق. ثم بدا ثالث كز^(١) مقيت عليه قميص وسخ، معه مرأتان، فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان^(٢)، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان^(٣) لا ساق لواحد منهما، فجعل يقفز كأنه يشب على ظهور العقارب، ثم التبط^(٤) به على الأرض، فقلت: معتوه ورب الكعبة! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ورأيت القوم يحذفونه^(٥) بالدراهم حذفاً منكراً، ثم أرسل النساء إلينا: أن أمتعونا من لهوكم هذا. فبعثوا بهم، وجعلنا نسمع أصواتهن من بعد، وكان معنا في البيت شاب لا أبه^(٦) له، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء، فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها، فيها خيوط أربعة، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه، ثم عرك أذانهما وحركها بخشبة في يده فطنقت - ورب الكعبة - وإذا هي أحسن قينة^(٧) رأيتها قط، وغنى عليها، فأطربني حتى استخفني من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه، وقلت: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريباً. فقال: هذا البربط؟^(٨) فقلت بأبي أنت وأمي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير^(٩). قلت: فالذي يليه؟ قال: المثنى^(١٠). قلت: فالثالث؟ المثلث^(١١). قلت: فالأعلى؟ قال: البم^(١٢). قلت: آمنت بالله أولاً، وبك ثانياً، وبالبربط ثالثاً، وبالبم رابعاً.

قال: فضحك أبي، والله، حتى سقط، وجعل ناهض يعجب من ضحكه، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا
٣٧ / الحديث، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه. ١٢

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال: كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب، فأتاه أعرابي، فقال له: حدث أبا عبد الله - يعني الهيثم بن النخعي - بما رأيت في حاضر المسلمين. فحدثه بنحو من هذا الحديث، ولم يُسم الأعرابي باسمه، وما أجدره بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفه الذي حدث به النوفلي عنه.

١٨٢ / الكعبي يستعدي قومه بني كلاب علي من عقر إبله

نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعر ناهض بن ثومة قال: كان رجل من بني كعب قد تزوج امرأة من بني كلاب، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلقها، وأقام بموضع في بني كلاب، وكان لا يزالون يستخفون به ويظلمونه، وإن رجلاً منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبي عليها، فزاحمته، لكنها

(١) الكز: الجهم المنقبض. والمقيت: الممقوت.

(٢) في الأصول: «فخالطت بصوته».

(٣) الأجذمان: من قولهم «أجذم»، أي مقطوع اليد.

(٤) التبط به، المعروف «لبط به» أي صرع.

(٥) يحذفونه: يرمونه.

(٦) لا أبه له: لا أظن أو نسيته ثم فطنت له.

(٧) القينة: المغنية.

(٨) البربط: العود.

(٩) الزير: أدق أوتار العود.

(١٠) المثنى: من أوتار العود بعد الأول.

(١١) المثلث من أوتار العود.

(١٢) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزهر.

ألقته على ظهره فتكشفت، فقام مُغضباً بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر منها عدةً، وجَلَّأها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخاً بني كلابٍ على الرجل، فلم يُصرخوه، فساق باقي إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم، فغضبوا له، وركبوا معه حتى أتوا حِلَّةَ بني كلاب، فاستاقوا إبل الرجل الذي عقر لصاحبهم، ومضى الرجلُ فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعبٌ للقتال، فتحاربوا في ذلك حرباً شديداً، وتماذى الشرُ بينهم، حتى تساعى حلماؤهم في القضية، فأصلحوها على أن يُعقل القتلى والجرحى، وتُرَدَّ الإبل، وتُرسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الألفة، فقال في ذلك ناهض بن ثومة:

أَمِنْ طَلَلٍ بِأَخْطَبٍ أَبْدَتْهُ نِجَاءُ الْوَيْلِ وَالذَّيْمِ النَّضَاحُ^(١)
وَمَرُّ الدَّهْرِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ فَمَا أَبْقَى الْمَسَاءَ وَلَا الصَّبَاحَ
فَكُلَّ مَحَلَّةٍ عُنِيَتْ بِسَلْمِي لَرِيْدَاتِ الرِّيحِ بِهَانُوحِ^(٢)
تَظَلُّ عَلَى الْجَفَوْنَ الْحَزْنَ حَتَّى دَمَوْعُ الْعَيْنِ نَاكَزَةً نَزَاحِ^(٣)

/ وهي طويلةٌ يقول فيها:

هَنِيئًا لِلْعَدَى سَخِطٌ وَرَغَمٌ وَلِلْعَيْنِ الرِّقَادُ فَقَدْ أَطَالَتْ
وَقَدْ قَالَ الْعُدَاةُ نَرَى كِلَابًا وَكَعْبًا يَبْنِي صَلَاحَهُمَا افْتِاحُ
تَدَاعَوْا لِلسَّلَامِ وَأَمْرٌ تُجِجُ وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا فِيهِ النِّجَاحُ
وَمَدُّوا بَيْنَهُمْ بِحِبَالٍ مَجْدٍ وَثُلَّةٍ لَا أَجْدُ وَلَا ضِيَّاحُ^(٤)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنْ حَرِيْمٍ وَاحِدِهِمْ مَبَاحُ
وَأَنَّ الْقَذْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا فَيُنْهَضُ لَا يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحُ^(٥)
وَأَنَّكَ إِنْ قَبِضْتَ بِهَا جَمِيعًا أَبَتِ مَا سُمِنَتْ وَاحِدَهَا الْقِدَاحُ
/ أَنَا الْخَطَّارُ دُونَ بَنِي كِلَابٍ وَكَعْبٍ إِنْ أُنْبِحَ لَهُمْ مُتَاحُ^(٦)
أَنَا الْحَامِي لَهُمْ وَلِكُلِّ قَسَمٍ أَخْ حَامٍ إِذَا جَدَّ النَّضَاحُ^(٧)
أَنَا اللَّيْثُ الَّذِي لَا يَزْدَهِيهِ عُوَاءُ الْعَاوِيَاتِ وَلَا التَّبَاحُ
سَلِ الشَّعْرَاءَ عَنِّي هَلْ أَقْرَتِ بِقَلْبِي أَوْ عَفَتِ لَهُمُ الْجِرَاحُ^(٨)

(١) أخطب: اسم جبل بنجد. وأبدته: أوحشته. نجاء بالنون والجيم: جمع نجو، وهو السحاب الذي قد هراق مائه. والديم: جمع ديمة، وفي الأصل: «الضيم». والنضاح: التي تنضح بالماء، ووردت في الأصول بالصاد المهملة.
(٢) عنيت: عمرت، في ش، جد بالعين المهملة وهو تصحيف. الريدات: جمع ريده، وهي الريح الكثيرة الهبوب. وفي الأصول: «لريدان».

(٣) تظل في س، ش بالطاء المهملة، أما في ج فالطاء المعجمة. أراد أنها تهدر الحزن وتبطله، وذلك لكثرة ما استنزفت من الدمع. والناكزة: التي فني ماؤها، والنزاح كذلك.

(٤) الأجد: المقطوع. والضياح: اللبن الرقيق الممزوج.

(٥) القذح: العود. ويهصر: يكسر. والافتداح: الضرب به.

(٦) الخطار: الذي يخطر بالسيف ويهزه معجبا. والمتاح: ما يتاح ويقدر.

(٧) القرم: السيد. النضاح: الدفء، يقال هو يناضح عن قومه، أي يذب عنهم.

(٨) عفت: زالت وانقطعت.

فما لكسواهل الشُّعراء بُدُّ من القَتَب الذي فيه لَحاح^(١)
ومن تورريك راكبه عليهم وإن كرهوا الركوب وإن ألحوا^(٢)

[١٨٤/١٣] / ما وقع بين بني نمير وبني كلاب وشعر ناهض في ذلك

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره، أن وقعة كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر، وكانت لـكـلاب على بني نمير؛ وأن نميراً استغاثت ببني تميم، ولجأت إلى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مضر، فَمَنَعَ تميماً من إنجادهم، وقال: ما كنا لِنُلقَى بين قيس وخندف دماء نحن عنها أغنياء، وأنتم وهم لنا أهل وإخوة، فإن سعيتم في صلح عاوناً، وإن كانت حَمالة^(٣) أعناً، فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها. فقال ناهض بن ثومة في ذلك:

سلام الله يا مال بن زيد عليك وخير ما أهدى السلاما
تعلم أينما لكم صديق فلا تستعجلوا فينا الملاما
ولكننا وحيي بني تميم عداة لا نرى أبداً سلاما
وإن كنا تكاففنا قليلاً كحرف السيف ينهار انهداما^(٤)
وهيَضُ العظمُ يصبح ذا انصداع وقد ظنَّ الجهول به ألتاماً^(٥)
فلن ننسى الشباب المُسَرَّدَ مِنَّا ولا الشَّيبَ الجحاججَ والكراماً^(٦)
ونوح نوائح مِنَّا ومنهم ماتم ما تجف لهم سجاماً^(٧)
فكيف يكون صلح بعد هذا يرجي الجاهلون لهم تماماً
ألا قل للقبائل من تميم وخُصَّ لمالك فيها الكلاما
فزيدوا يا بني زيد نميراً هواناً إنه يدني الفطاماً
ولا تُبقوا على الأعداء شيئاً أعزَّ الله نصركم وداماً
/ وجدت المجد في حيي تميم ورَهَطِ الهذلي الموفي الذماماً^(٨)
نجوم القوم ما زالوا هداةً وما زالوا لآبئهم زماماً^(٩)
هم الراس المقدم من تميم وغاربها وأوفاهما سناماً^(١٠)
إذا ما غاب نجم أب نجم أغرَّ نرى لطلعتيه أبتساماً

[١٨٥/١٣]

(١) القتب: الرجل. اللحاح: العقر والكسر.

(٢) التورريك: الاعتماد على الورك. وألحوا: أعرضوا.

(٣) الحمالة: الدية التي يحملها قوم عن قوم.

(٤) تكاففنا: كف بعضنا عن بعض. السيف بكسر السين: جانب الشاطئ.

(٥) الهيض: الكسر بعد الجور.

(٦) الجحاجج: السادة من القوم، جمع جحجج.

(٧) السجام، يقال سجم العين والدمع والماء يسجم سجوماً وسجاماً، إذا سال.

(٨) الهذلي: هو ابن بشير أخو بني عتيبة ابن الحارث بن شهاب.

(٩) الآبي: الكاره.

(١٠) الغارب: الكاهل أو ما بين السنام والعنق.

فهذي لابن ثومة فأنسبُوها إليه لا اختفاء ولا اكتاماً^(١)
 وإن رَغِمْتَ لَذاك بنو نَمِيرٍ فلا زالت أُنوفُهم رَغاماً^(٢)
 قال: يعني بالهذلق الهذلق بن بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمة وصباحاً.

فخر ناهض بقومه

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا نميراً، فلما ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض:

٣٩
١٢

/ ألا هل أتى كعباً على نأى دراهم وخذلانهم أنا سَرَرنا بني كعب
 بما لقيت منا نميرٌ وجمعُها غداةً أتينا في كَتائِبنا الغُلب^(٣)
 فيالك يوماً بالحمى لا نرى له شبيهاً وما في يوم شيان من عتب
 أقامت نمير بالحمى غير رغبة فكان الذي نالت نمير من النهب
 رؤوسٌ وأوصالٌ يزابل بينها سباعٌ تدلّت من أباتين والهضب^(٤)
 / لنا وقعاتٌ في نمير تتابعَت بضيمٍ على ضيمٍ ونكبٍ على نكب^(٥)
 وقد علمت فيسُ بن عيلان كلُّها وللحرب أبناءٌ بأنا بنو الحرب
 ألم ترهم طُرّاً علينا تحزّبوا وليس لنا إلا الرُدَيَّتى من حزب^(٦)
 وإننا لنقتادُ الجيادَ على السوجى لأعدائنا من لا مُدان ولا صَقْبُ^(٧)
 ففي أي فجٍّ ماركنا رماحنا مخوفٍ بنصبٍ للعدا حين لا نصبُ^(٨)

[١٨٦/١٣]

شعر عمارة في تحريض كعب وكناب على بني نمير

أخبرنا جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني غريز بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له: رأس الكبش، قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدة، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرض كعباً وكناباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال:

رأيتكما يا بني ربيعة خُرْتُما وعولْتُما والحرب ذات هرير^(٩)
 وصدقتما قول الفرزدق فيكما وكذبتما بالأمس قول جرير

(١) الاكتام: الاختفاء.

(٢) رَغِمَ: ذل. وأنوفهم رَغام أي ذليلة.

(٣) في الأصول: «في كتائبها الغلب». والغلب: جمع غلباء، وهي العزيزة الممتعة.

(٤) يزابل: يفرق. الأبانان: جيلان يقال لأحدهما: الأبان الأبيض وهو لبني فزارة، ثم لبني جريد منهم، والأبان الأسود لبني أسد، ثم لبني والبة، ثم للحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وقال صاحب «اللسان»: «إن الأبيض لبني أسد والأسود لبني فزارة».

(٥) النكب كالنكبة، وهي المصيبة.

(٦) الرديني: الرمح المنسوب إلى (ردينة)، وهي امرأة كانت تقوم الرماح.

(٧) الوجى: الحفا، وهو أن يرق القدم أو الحافر، وفي «الصحاح»: هو الوجع، والمداني: القريب، وكذلك الصقب.

(٨) النصب: يقال نصبه الشر وناصبه، إذا أظهره له.

(٩) خرتما: ضعفتما. وعول الرجل: رفع صوته بالبكاء والصياح. وفي كل الأصول: «وعودتما».

فإن أنتم لم تقذعوا الخيل بالقنا فصيرا مع الأنباط حيث تصير^(١)
تسومكما بغيا نيمير هزيمة^(٢) ستجد أخبار بهم وتغور^(٣)

[١٨٧/١٣] / قال: فارتحلت كلاب حين أتاها هذا الشعر، حتى أتوا نيميراً وهم في هضبات يقال لهنّ واردات^(٤)، فقتلوا واجتاحوا، وفضحوا نيميراً، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة يجيب عمارة عن قوله:

يحضضنا عمارة في نيمير ليضغلهم بنا وبه أرابوا^(٥)
ويزعم أننا حزنا وأنا لهم جار المقربة المصاب
سلوا عن نيميراً هل وقعنا بنزوتها التي كانت تُهاب
ألم تخضع لهم أمّدد ودانت لهم سعد وضبة والرباب
ونحن نكُرّها شُعْثاً عليهم عليها الشيبُ منا والشباب
رغبنا عن دماء بني قريع إلى القلعيْن إنهما اللباب^(٦)
صَبَحْنَاهُمْ بأرعن مكفهراً يدفُ كأن رايته العُقاب^(٧)
أجشّ من الصواهل ذي دوي تلوج البيض فيه والحراب^(٨)
فأشعل حين حلّ بواردات وثار لنقعته ثمّ انصياب^(٩)
صبحناهم بها شُعْث النواصي ولم يفتق من الصبح الحجاب
/ فلم تُغمد سيوفنا الهند حتى تعيلت الحليّة والكعاب^(١٠)

١٢
١٢

أصوت

[١٨٨/١٣]

أعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مُحَفَّقٍ وصحار^(١)

(١) القذع: الكف والمنع، ومثله القذع، بالذال المهملة. فصيرا في س، ش، وفي جـ «فصيرا» وهو تحريف. النبط: جيل من العجم ينزل بين العراقيين سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء، واستعمل في أخلاط الناس وعوامهم، ومنه كلمة نبطية أي عامية، في «تصير» إقواء، وكذلك في «تغور» في البيت التالي.

(٢) تنجد: تأتي نجداً. تغور: تأتي الغور.

(٣) واردات: اسم مكان عن يسار طريق مكة للذهاب إليها، وقال أبو عبيدة إنها عن يمين سميراء، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب قتل فيه بجير بن الحارث بن عباد بن مرة. وفيه يقول المهلهل:

فإنني قد تركت بواردات بجيرا في دم مثل العيبر

(٤) يحضضنا: يحملنا عليهم. أرابوا: تشككوا.

(٥) القلعان: هما صلاة وشريح ابنا عمرو بن خويلقة بن عبد الله بن الحارث بن نيمير.

(٦) الأرعن: يقال جيش رعن أي له فصول. يدف: يذب ويسير بليّن.

(٧) الأجيش: الغليظ الصوت.

(٨) أشعلت الغارة: تفرقت.

(٩) تعيلت: أهملت لموت عائلها. والكعاب: من نهد بُديها وبرز.

(١٠) الشط: موضع باليمامة. والمحفق: رمل في أسفل الدهناء من ديار بني سعد.

وكانما أثر النعاج بجوها
بمدافع الركبتين ودغ جواري^(١)
وسألها عن أهلها فوجدتها
عمياء جاهلة عن الأخبار
فكان عيني غرب أدهم داجن
متعوذ الإقبال والإدبار^(٢)

الشعر للمخبل السعدي، والغناء لإبراهيم، هزج بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال الهشامي:
فيه لإبراهيم ثقل أول، ولعنان بنت خوط خفيف رمل.



مركز توثيق مكتبة طهران

(١) الجوّ: ما أتسع من الأرض واطمأن ويرز. والمدافع: جمع مدفع، وهو مسيل الوادي. والركبان: موضع.
(٢) الغرب: الدلو العظيمة. والأدهم: الأسود، عني به البعير. والداجن: البعير الساني، أي الذي يستقي عليه.

/ أخبار المخبل^(١) ونسبه

أخبار المخبل ونسبه

قال ابنُ الكلبي: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابنُ حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال^(٢) بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابعُ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجُرول

طبقت في الشعراء

ذو القروح: امرؤ القيس. وجرول: الحطيثة. وأبو يزيد: المخبل. وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلين، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى بلغ خبره عمر، فردّه عليه.

جزعه على ولده شيان حين هاجر

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد. قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال:

هاجر شيان بن المخبل السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبل جزعاً شديداً، وكان قد أسنَّ وضعف، فافتقر / إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يُغلب على عقله، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرضه لبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمة بن هذلة بن مالك، وأعطاه مالاً وقرساً، وقال: أنا أكلّم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك، فإن فعل غنمت مالك. وأقمت في قومك، وإن أبي استنفقت ما أعطيتك ولحقت به، وخلفت إبلك لعيالك. ثم مضى إلى عمر - رضوان الله عنه - فأخبره خبر المخبل، وجزّعه على ابنه، وأنشده قوله:

أيهلكني شيان في كل ليلة	لقلبي من خوف الفراق وجيب ^(٣)
أشيان ما أدراك أن كل ليلة	غبتك فيها والغبوق حبيب ^(٤)
غبتك عظماها سناماً أو انبري	برزقك برّاق المتسون أريب ^(٥)

(١) المخبل بفتح الباء المشددة: اسم مفعول من خبله تخبيلاً. وفي الشعراء من يقال له المخبل غير هذا ثلاثة. وهم المخبل الزهيري والثمالي وكعب المخبل. «المؤتلف والمختلف للامدي» ١٧٧.

(٢) في الأصول «ابن قتال» صوابه بالناء كما في «المؤتلف» و«الخزائن» (٢: ٥٣٥).

(٣) في حد: «أهلكني». والوجيب: الخفقان.

(٤) الغبوق: الشرب في العشي.

(٥) عظماها: تفضيل من العظم. براق المتون: عنى به السيف. الأريب: المغتال.

٤١ ١٢	يقاسون إياماً لهنّ حطوب ^(١)	/ أشيبان إن تأبى الجيوش بحدّهم
	عليه فتى شاكي السلاح نجيب ^(٢)	ولا همّ إلا البزّ أو كلّ سابع
	بذودون أورد الكلاب تلّوب ^(٣)	بذودون جند الهرمزان كأنما
	وغصنك من ماء الشباب رطيب	فإن يكّ غصني أصبح اليوم ذاوياً
	فمشي ضعيف في الرجال ديب	فلئنّي حنّ ظهري خطوب تتابع
	أرى الشخص كالشخصين وهو قريب	إذا قال صبحي يا ربيع ألا ترى
	تعلّق إذا فارقتنّي وتحوب ^(٤)	ويخبرني شيبان أن لن يعقني
[١٩١/١٣]	يقوم بها يوماً عليك حبيب ^(٥)	/ فلا تَدْخِلَنَّ الذّهرَ قَبْرَكَ حوبة
- يعني بقوله «حبيب» الله عز ذكره -		

عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان إلى أبيه

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقفل شيبان بن المخبل ويردّه على أبيه، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان وردّه فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمنيّ الجهاد. فقال له: إنّها عزمة من عمر، ولا خير لك في عصيانه وعقوقي شيخك. فأنصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات.

رواية أخرى في ذلك

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار والجوهري، قالوا:

حدثنا عمر بن شبة أن شيبان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه، فلا يزال أبوه يقول: أحسن رعية إبلك يا بني، فيقول: أراحني الله من رعية إبلك. ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى، وانحدر إلى البصرة، وشهد فتح تستر^(٦)، فقال: فذكر أبوه^(٧) الأبيات، وزاد فيها قوله:

إذا قلت ترعى قال سوف تريحني من الرّعي مدّعانُ العشي خبّوب^(٨)

قال: أبو يزيد وحدثناه عتاب بن زياد، قال: حدثنا ابن المبارك، قال حدثنا مسعود عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه، ولم يقل: شيبان بن المخبل، ولكنه قال: «انطلق رجلٌ إلى الشام»، وذكر القصة والشعر.

الزبرقان لا يزوّج أخته خليدة المخبل

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمّي عبيد الله، عن ابن حبيب، قال: خطب المخبل السعدي

(١) حدّهم: سيفهم.

(٢) البز: السلاح. وفي الأصول: «البر». السابح: الفرس يسبح في جريه.

(٣) الهرمزان والهرمز والهارموز: الكبير من ملوك العجم. وتلّوب: تحوم.

(٤) تحوب بالحاء المهملة: تأثم.

(٥) الحوبة: الذنب.

(٦) تستر: أعظم مدينة بخورستان.

(٧) في الأصل: «فقال أبوه فذكر أبوه».

(٨) المدعان: الناقة السلسة المتقادة. والخبوب: من الخب، وهو ضرب من العدو. وفي الأصول: «جنوب» وصحبها الشنيطي بما أثبتناه.

إلى الزبرقان بن بدر أخته خليدة، فمنعه إياها، وردّه لشيء كان في عقله، وزوّجها رجلاً من بني جُشم بن عوف، يقال له: مالك بن أمية / ابن عبد القيس، من بني محارب. [١٩٢/١٣]

هزال وعبد عمرو يضربان قاتل الجلّاس حتى يموت

فقتل رجلاً من بني نهشل يقال له الجلّاس بن مخربة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالاً، ولم يعلم به أحدٌ، ففقد ولم يعلم له خبر، فبينما جارُ الزبرقان الذي من عبد القيس قاتل الجلّاس ليلةً يتحدث إذ غلط، فحدث هزالاً بقتله الرجل، وذلك قبل أن يتزوج هزالٌ إلى الزبرقان، فأتى هزال عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن نهشل فأخبره، فدعا هزالٌ قاتل الجلّاس فأخرجه عن البيوت، ثم اعتوره هو وعبد عمرو فضرباه حتى قتلاه، ورجع هزالٌ إلى الحي وضرب عبد عمرو حتّى لجأ إلى أخواله بني عطارٍ بن عوف.

امرأة مالك تعرض على من قتل زوجها

فقال امرأة مالك بن أمية المقتول:

أجيران ابن مية خيرٌ مني أعين لابن مية أم ضمّار^(١)
تجأل خزيها عوفٌ بن كعب فليس لنسلهم منها اعتذار

المخبل يعير الزبرقان لتزويج هزال بعد قتله جاره وتلاحيهما

٤٢ / قال: فلما زوّج الزبرقان أخته خليدة هزالاً بعد قتله جاره عيب عليه، وعُير به، وهجاه المخبل، فقال: ١٢

نعمرك إن الزبرقان لدائم على الناس تعدونوك ومجاهله^(٢)
أنكحت هزالاً خليدة بعدد ما زعمت بظهر الغيب أنك قاتله
فأنكحته رهواً كأن عجانها مشق إهاب أوسع السّرخ ناجله^(٣)
يلاعبها فوق الفراش وجاركم بذئ شبرمان لم تزيّل مفاصله^(٤)

قال: ولجّ الهجاء بين المخبل والزبرقان حتى توافقا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذات يوم، وكان الزبرقان أسودهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته:

[١٩٣/١٣] / أنبت أن الزبرقان يسبني سفهاً ويكره ذو الحريّن خصالي^(٥)

قال: وإنما سماه ذا الحريّن لأنه كان مُبَدَّنًا، فكان له ثديان عظيمان، فسبّه بهما وشبّههما بالحريّن. ويقال: إنه إنما عيره بأخته وابنته، ولم يكن للمخبل ابن في الجاهلية، قال:

أفلا يفاخرني ليعلم أيّنا أدنى لأكرم سُودٍ وفِعّال

فلما بلغ إلى قوله:

وأبوك بدر كان مشترط الخصى وأبي الجواد ربيعة بن قتال^(٦)

فلما أنشده هذا البيت، قال:

وأبوك بدر كان مشترط الخصى وأبي ...

(١) الضمار من المال: ما لا يرجى رجوعه، ومن الدين ما كان بلا أجل.

(٢) النوك: الحمق. (٣) العجان: الاست. والناجل: الشاق للجلد. وقد ذكر في «اللسان» (وهو) تعليل تسمية خليدة «رهوا».

(٤) شبرمان بضم أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه: موضع. وتزِيل: تفرق.

(٥) في حد: «نبئت». ذو الحريّن: صاحب الفرجين. (٦) مشرط الخصى: المشرط: القاطع. والخصى: جمع خصية وخصى كفعل.

ثم انقطع عليه كلامه، إما بشرق أو انقطاع نفس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله: «وأبي». فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين، فقال: صدقت، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعة. فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله وتفرقوا، وقد انقطع بالمخبل قوله.

زرارة بن المخبل يضرب الطباوي بحجر فيطلب أبوه إلى بغيض بن عامر أن يحمل الدية ثم يكسوه

أخبرنا اليزيدي، قال: حدثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب، قال: كان زرارة بن المخبل يلبط^(١) حوضه، فأتاه رجل من بني علباء بن عوف، فقال له: صار غني. فقال له زرارة: إني عن صراعك لمشغول. فجذب بحجزته وهو غافل فسقط، فصاح به فتیان الحي: صرع زرارة وغلب. فأخذ زرارة حجراً، فأخذ به رأس العلباوي، فسأل المخبل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمل عن ابنه / الدية، فتحملها وتخلصه، وكسا المخبل حلة حسنة، [١٩٤/١٣] وأعطاه ناقة نجية، فقال المخبل يمدحه:

لعمري أيبك لا ألقى ابن عم	على الحدثان خيراً من بغيض
أقل ملامه وأعز نصراً	إذا ما جئت بالأمير المريض
كسانني حلة وحباً بعننس	أبس بها إذا اضطربت غروضي ^(٢)
غداة جنى بئي على جرماً	وكيف يداي بالحرب العضوض ^(٣)
فقد سد السبيل أو حميد	كما سد المخاطبة ابن بيض ^(٤)

خبر ابن بيض

- أبو حميد: بغيض بن عامر. وأما قوله: «كما سد المخاطبة ابن بيض»، فإن ابن بيض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجراً، وكان لقمان بن عاد يجيز له تجارته في كل سنة بأجر معلوم، فأجازه سنة وستين، وعاد التاجر ولقمان غائب، فأتى قومه فنزل فيهم، ولقمان في سفره، ثم حضرت / التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيه وماله^{٤٣} فقال لهم: إن لقمان صائر إليكم، وإنني أخشاه إذا علم بموتي على مالي، فاجعلوا ماله قبلي في ثوبه، وضعوه في طريقه إليكم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقه، فادفعوه إليه واتقوه، وإن تعداه رجوت أن يكفيكم الله إياه. ومات الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه، فقال: «سد ابن^(٥) بيض الطريق»، فأرسلها مثلاً، وانصرف وأخذ حقه. وقد ذكرت ذلك الشعراء، فقال بشامة بن عمرو:

كثوب ابن بيض وقساهم به فسد على السالكين السبيل

/ قال ابن حبيب: ولما حشدت بنو علباء للمطالبة لدم صاحبهم، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل، [١٩٥/١٣] ومشت المشيخة في الأمر، وقالوا: هذا قتل^(٦) خطأ، فلا تواقعوا الفتنة، واقبلوا الدية. فقبلوها وانصرفوا، فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك:

(١) يلبط: يطين، وفي حد: «يلط».

(٢) العنس: الناقة الصلبة. أبس يقال بس الإبل: ساقها سوقاً ليناً وزجرها. والغروض: جمع غرض بالفتح، وهو للرجل كالحزام للسر.

(٣) العضوض: الشديدة.

(٤) البيت والمثل عند الميداني في قوله: «سد ابن بيض الطريق».

(٥) ابن بيض بكسر الباء، ويروى بفتحها.

(٦) في حد: «قتيل».

فأز المخالِسُ لما أن جرى طَلَقاً
إنسي رميت بِجُلُود على حَنَق
لِشَا إليّ يَشْقُ النَّاسَ مَنفَرَجاً
فأورثتني قَتِيلاً إن لَقِيتُ وإن
أما حُطِيمُ بنِ عِلْبَاء فقد غُلِباً^(١)
مِنِي إليه فكانت رميةً غَرِباً^(٢)
لَحْيَاهُ عَنَانَةٌ لَا يَتَّقِي الخَشْبَا^(٣)
أفلتُ كانت سماع السَّوء والحَرْبَا^(٤)

سمى المخبل في إبل جار بني قشير

ثم أخذ بنو^(٥) حازم جاراً لبني قشير، فأغار عليه المُتَشَرُّبُ وهب الباهلي، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبل، فلما سأله قال له: إن شئت فاعترض إبلي فخذ خيرها ناقةً، وإن شئت سميت لك في إبلك. فقال: بل إبلي. فقال المخبل^(٦):

إن قشيراً من لقاح ابن حازم
فلا يأكلها الباهلي وتقعدا
أغرّك أن قالوا لعزة شاعر
كراحيضة حيضاً وليست بطاهر^(٧)
لدى غرض أرميكم بالنواقر^(٨)
فذاك أباه من خفير وشاعر

فلما بلغهم قول المخبل سغوا بإبله، فردّها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل، فقال المخبل في ذلك:

/ تدارك حزن بالقنا آل عامر
فلأني بذ الجار الخفاجي وائس
إذا ما عقيلي أقام بدمّة
لعمري لقد خارت خفاجة عامراً
وإنك لو تعطي العبادي مشقصاً
لراشي كما راشي على الطبع أبخر^(٩)
قفّا حصن والكر بالخيّل أعسر^(١٠)
وقلبي من الجار العبادي أوجر^(١١)
شريكين فيها فالعبادي أوجر^(١٢)
كما خير يبت بالعراق المشقر^(١٣)
لراشي كما راشي على الطبع أبخر^(١٤)

[١٩٦/١٣]

- راشي من الرّشوة -

(١) في حد: «فار المخالس» بالخاء وفي ط «المجالس» بالجيم ومي ب، س، ش «هان» بدل «فاز» والمحناس: الذي يأخذه غيره خلصة.

(٢) الجلود: الحجر. والرمية الغرب: التي لا يدري من رماها.

(٣) عنانة: مبالغة من العن، وهو اعتراض الموت.

(٤) الحرب: الهلاك.

(٥) في حد «بني» بالياء وهو تحريف.

(٦) في حد إضافة «فقال المخبل قوله».

(٧) الراحضة بالحاء المهملة: الغاسلة.

(٨) النواقر: بالقاف، أي الدواهي.

(٩) قفا حصن، أي خلفه. وحصن: جبل بأعلى نجد. قال:

فما قلص وجدن معقلات

قفّا حصن بمختلف التجار

وفي الأصول: «قنا حصن»، تحريف.

(١٠) الأوجر: الخائف.

(١١) في الأصول: «عقيلياً». الأوجر هنا: الكاره الناقض للمهد.

(١٢) المشقر: موضع ببلاد العرب. وفي الأصل: «جارت خفاجة» و«جير». وخاره: صار خيراً منه. وخير: اصطفى.

(١٣) المشقص: النصل العريض، وقيل: سهم يرمى به.

المخبل وخليدة بنت بدر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: مر المخبل السعدي بخليدة بنت بدر، أخت الزبرقان بن بدر، بعد ما أسنّ وضعف بصره، فأنزلته وقربته وأكرمه ووهبت له وليدة، وقالت له إني أثرتك بها يا أبا يزيد^(١) فاحتفظ بها. فقال: ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال: بلى والله أسألك. قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظالمًا، أنا خليدة بنت بدر. فقال: واسواتاه / منك؟ فإني ٤٤
١٢ استغفر الله عز وجل، وأستقيلك وأعتذر إليك. ثم قال:

لقد ضلّ حلمي في خليدة إنني سأعتب نفسي بعدها وأموت
فأقسم بالرحمن إنني ظلمتها وجُرت عليها والهجاء كذوب

/ من قصيدة الغناء

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل وأخباره يمدح بها علقمة بن هذلة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله، ويقول:

فجزى الإله سراً قومي نضرة وسقاهم بمشارب الأبرار
قوم إذا خافوا عشار أخيهم لا يُسلمون أخاهم لعشار
أمثال علقمة بن هذلة إذ سعى يخشى عليّ متالف الأبصار
أثروا عليّ وأحسنوا وترافدوا لي بالمحاض البزل والأبكار^(٢)
والشول يتبعها بنات لبونها شرقاً حاجرهما من الجرجار^(٣)

المخبل والزبرقان وعبد وعمر يحكمون في شعرهم

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس البيهقي قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكُراني، قال: حدثنا العمري، عن لقيط قالوا:

اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب وعمر بن الأهم قبل أن يُسلموا، وبعد مبعث النبي ﷺ، فحروا جزوراً، واشتروا خمراً بغير، وجلسوا يشون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرنا. فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حذار^(٤) الأسدي، وقال البيهقي: فجاءهم رجل من بني يربوع يسأل عنهم، فدلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أيُّنا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فأمّنه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره بروذ / يمنية تنشر [١٩٨/١٣] وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزوراً قد نُحرت^(٥)، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك.

(١) في ح: «أبا زيد».

(٢) المخاض: الحوامل من النوق، أو العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. والبزل: ما بلغ من الإبل التاسعة. والأبكار: النوق التي ولدت أول بطن. والشول جمع شائلة: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها. وابن الليون: ولد الناقة إذا كان من العام الثاني واستكمل أو إذا دخل في الثالثة.

(٣) الجرجار: عشب لها زهرة صفراء.

(٤) حذار في م، ش، أما في ح فحذار بالخاء المعجمة والدال المهملة، تحريف. وفي القاموس: «وربيعة بن حذار، كغراب: جواد معروف».

(٥) ح: «ذبحت».

وقال لقيط في خبره، قال له ربيعة بن حُذار: وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يترك نيتاً فينتفع به، وأما أنت يا مخبِلُ فشعرك شُهْبٌ من نار الله يلقبها على من يشاء^(١)، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة^(٢) أخكم خزرها فليس يقطر منها شيء.

استمناح روق للمخبيل

أخبرنا اليزيدي، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرئ القيس يقال له روقٌ مُجاوراً في بكر بن وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبيل يستمنحه، فقال له: إن شئت فاختر خير ناقة في إبلي فخذها، وإن شئت سعيْتُ لك. فقال: أن تَسْعَى^(٣) بي أحبُّ إليّ. فخرج المخبيل فوقف على نادي قومه، ثم قال:

أدوا إلى روق بن حسن بأن بن حارثة بن منذر

كوماء مدفأة كأن ضرور عها حماء أجفر^(٤)

تأبى إلى بصص تسد سخ المحض باللبن الفضنفر^(٥)

فقالوا: نعم ونعمة. فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدة / إبله.

وقال ابن حبيب في هذه الرواية: «كان رجل من بني ضبة».

[١٩٩/١٣]

القصيدة

اسأل عن ليلى علاك المشيب وتصابي الشيخ شيء عجيب

وإذا كان النسيب بسلمى لقد في سلمى وطاب النسيب

إنما شبهتها إذ تراءت وعليها من عيون رقيب

بطلوع الشمس في يوم دجن بكرة أو حان منها غروب

إنني فاعلم وإن عز أهلي بالسويداء الغداة غريب^(٦)

الشعر لغيلان بن سلمة الثقفى، وجدت ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري، والغناء لابن زُرُور الطائفي، خفيف ثَقِيل أول بالوسطى، عن يحيى المكي، وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتابه، ولم يُجنسه^(٧).

(١) على من يشاء، ساقطة من حـ.

(٢) المزادة: الرواية. وقيل لا تكون إلا من جلدتين بينهما ثالث لتسع.

(٣) في الأصول: «بل يسمى بي».

(٤) الكوماء: الناقة العظيمة الضخمة السنام. والمدفأة: الكثيرة الوبر والشحم. والأجفر يقال: جفر ولد الشاة، إذا عظم واستكرش أو

بلغ أربعة أشهر. والحماء: الاست. وفي الأصول: «جماعة».

(٥) تسع: تنزل. والمحض: اللبن الخالص. وفي البيت تحريف ظاهر.

(٦) السويداء: موضع بالحجاز بعد المدينة على طريق الشام.

(٧) لم يجنسه: لم يذكر نوع لحنه.

[٢٠٠/١٣]

١ / أخبار غيلان ونسبه

أخبار غيلان ونسبه

غيلانُ بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي - وهو ثقيف - وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف. أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وأسلم ابنه عامر قبله، وهاجر، ومات بالشام في طاعون عمواس^(١) وأبوه حي. وغيلانُ شاعرٌ مقل، ليس بمعروف في الفحول.

وصف بادية بنت غيلان

وبنته بادية بنت غيلان التي قال هيثم المخنث لعمر بن أم سلمة أم المؤمنين، أو لأخيه سلمة^(٢): «إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله ﷺ أن يهب لك بادية بنت غيلان، فإنها كحلأ؛ شموخ نجلاء^(٣)، خمصانة هيفاء^(٤)، إن مشيت تشئت، وإن جلست تبنت^(٥)، وإن تكلمت نغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، وبين فخذيهما كالإناء المكفأ^(٦)».

قول له قبل إسلامه

وغيلان فيما يقال أحد من قال من قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وآله: «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القرينين».

اتهم ولد عمار بسرقة وما كان بينهما من تدابر

قال ابن الكبي: حدثني أبي، قال: تزوج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص، / فولدت له عماراً وعامراً، [٢٠١/١٣] فهاجر عمار إلى النبي ﷺ، فلما بلغه خبره عمده خازن كان لغيلان إلى مال له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه، وأخبر غيلان أن ابنه عماراً سرق ماله وهرب به، فأشاع ذلك غيلان وشكاه^(٧) إلى الناس، وبلغ خبره عماراً فلم يعتذر إلى أبيه، ولم يذكر له براءته مما قيل له، فلما شاع ذلك جاءت أمه لبعض ثقيف إلى غيلان، فقالت له: أي شيء لي عليك إن دلتك على مالك؟ قال: ما شئت. قالت: تبتاعني وتعتقني؟ قال: ذلك لك. قالت: فاخرج

(١) عمواس بالكسر والفتح وسكون الميم أو فتحها وفتح الأول: كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، كانت العاصمة في القديم، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة.

(٢) في «اللسان» (بني): «وروي شمر أن سخطاً قال لعبد الله بن أبي أمية: ثم ساق الخبر».

(٣) الشموخ: المزاحمة للعبوب. والنجلاء: الواسعة العينين.

(٤) الخمصانة: الضامرة البطن. والهيفاء: الدقيقة الخصر.

(٥) تبنت: أي صارت كالمنبأة، وهي القبة من آدم، وذلك لسمنها وكثرة لحمها.

(٦) كذا في «اللسان» وحده. وفي سائر النسخ: «المكفوء». وهما سيان، يقال كفا الإناء وكفاه: قلبه. يعني بذلك ضخم ركبها ونهوده.

(٧) في ط، ح: «تشكاه».

معي. فخرج معها، فقالت: إني رأيت عبدك فلاناً قد احتقر هاهنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه، ويتفقده في اليوم مرات، وما أراه إلا المال. فاحتقر الموضع فإذا هو بماله، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها،^(١) وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً، فقال: والله لا يراني غيلان أبداً، ولا ينظر في وجهي. / وقال:

حلفتُ لهم بما يقولُ محمدٌ وبالله إن الله ليس بغافل
برئتُ من المالِ الذي يَدفنونهُ أبرئُ نفسي أن أَلطَّ بِسَاطِلِ^(٢)
ولو غيرُ شِخِي من معدٍّ يقولُهُ تيممُهُ بالسيفِ غير مُواكِـلِ
وكيف انطَلَقِي بالسَّلاحِ إلى امرئٍ تُبشِّرُهُ بي يتدِرْنَ قـوابـلي

فلما أسلم غيلان، خرج عامرٌ وعمارٌ مغاضبين له مع خالد بن الوليد، فتوفي عامر بعمواس، وكان فارسٌ ثقيف يومئذٍ، وهو صاحبُ شُوءةٍ يومَ تـلـيـث^(٣)، وهو قتل سيدهم جابر بن سنان أخا دهنه، فقال غيلان يرثي عامراً:

[٢٠٢/١٣] / غيلان يرثي ولده عامراً

عيني تجودُ بدمعها الهتانِ سحاً وتبكي فارسَ الفُرسانِ^(٤)
يا عامراً من اللخيل لَمَّا أجمعتُ عن شدةٍ مرهوبةٍ وطمان
لو أستطيعُ جعلتُ مَنِّي عامراً بين الضُّلوعِ وكلِّ حيٍّ فان
يا عين بكي ذا الحزامِ عامراً للـخـيـل يـومَ تـواقـفِ وطـمان
ولـه بـثـلـيـثـاتٍ شـدَّةٌ مُعْلَمٌ منه وطعنةٌ جابر بن سنان^(٥)
فكأنه صافي الحديدِ مَحْدَمٌ ممَّا يُحِيرُ الفُرسَ للبادانِ^(٦)

ما قاله فيما حدث لجاره الباهلي

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكري، قال: كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبـل يـرعاها راعيـه في الإبل مع إبل غيلان، فتخطى بعضها إلى أرض لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب، فضرب أبو عقيل الراعي واستخف به، فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل:

ألا من يرى رأى امرئ ذي قرابة أبي صدره بالضغن إلا تطلعنا
فَسَلَمَكَ أرجو لا العداوة إنمَّا أبوك أبي وإنمَّا صَفَقْنَا معا^(٧)
وإن ابن عم المرء مثل سلاحه بقيه إذا لاقى الكميَّ المقْتعَا
فإن يكشر المولى فإتاك حاسدٌ وإن يفتقر لا يُلِفَ عندك مَطْمَعَا
فهذا وعيدٌ وأدخارٌ فإن تُعد وجَدَكَ أعلم ما تسلفَت أجمعَا^(٨)

(١) في ش، حد: «لبرئت» ولا يستقيم الوزن بهذا. وألظ: ألصق.

(٢) شُوءة: قبيلة. تـلـيـث: موضع بالحجاز قرب مكة. ويوم تـلـيـث: من أيام العرب بين بني سليم ومراد. قال أعشى باهلة: وجاشت النفس لما جاء فلهم

(٣) في حد: «بدمعها الشتان».

(٤) المـعـلـم: الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب.

(٥) المـحـذـم: القاطع. يحير: يرد ويرجع. والبادان: اسم للذين دخلوا حديثاً في الإسلام، كما في «معجم استينجاس».

(٦) الصفق: الضرب. وهو أيضاً ضرب الأيدي عند المبايعة.

(٧) تسلف في المادة والشيء: اقترض. والمعنى إن عدت فسأقف على ما وقع منك

ونسخت من كتابه، قال: لما أسن غيلان وكثرت أسفاره ملته زوجته، وتجنّت عليه، وأنكر أخلاقها، فقال فيها:

يا ربّ مثلك في النساء غريرة بيضساء قد صبحتها بطلاق
لم تدبر ما تحت الضلوع وغرّها مني تحمّل عِشرتي وخلاقي

ثقيف تنصر على بني عامر وغيلان يصف تخلف بني نصر عنهم

ونسخت من كتابه: إن بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرة من أنفسهم وأحلافهم، ثم ساروا إلى ثقيف بالطائف، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف، فلما بلغ ثقيفاً مسير بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامر وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة بن معتب، فلحقوهم وقاتلتهم ثقيف قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم، وظهرت عليهم ثقيف، فأكثروا فيهم القتل، فقال غيلان في ذلك، ويذكر / تخلف ^{٤٧}_{١٢} بني نصر عنهم:

شعره في انتصار ثقيف على عامر

ودّع بـذم إذا ما حان رحلتنا أهل الحظائر من عوف ودھمانا
القائلين وقد حلّت بساحتهم جنرٌ تحسّس عن أولاد هصّانا^(١)
والقائلين وقد رابت وطائبهم أسيف عوف ترى أم سيف غيلانا^(٢)
أغنّوا الموالي عتلاً لأبالكم إنا سنغني صريح القوم من كانا^(٣)
لا يمنع الخطر المظلوم قُحْمته حتّى يرى ... بالعين من كانا^(٤)

شعر غيلان في هزيمة خثعم

ونسخت من كتابه، قال: جمعت خثعم جموعاً من اليمن، وغزت ثقيفاً بالطائف؛ فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف، فقاتلتهم قتالاً شديداً، فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر عدّة منهم، ثم منّ عليهم وقال في ذلك:

/ ألا يا أخت خثعم خبّرنا بأيّ بلاء قوم تفخرينا
جلّنا الخيل من أكناف وجّ وليث نحوكم بالذارعينا^(٥)
رايناها من معلمة رواحا يقيتان الصباح ومعتدينا^(٦)

(١) هسان: قبيلة. وفي الأصل: «عن أولادها الضانا».

(٢) راب: خثر وفسد. والوطاب: سقاء اللبن.

(٣) الصريح: الخالص النسب. وهذا تصحيح س. وفي سائر النسخ: «سغني صريح».

(٤) القحمة بالقاف تفتح وتضم: الاقتحام في الشيء والمهلكة. وفي كل الأصول بالفاء وهو تحريف. وفي البيت نقص.

(٥) وج: اسم واد بالطائف. وليث، بالكسر: واد بأسفل السراة. وهذا تصحيح س. وفي سائر النسخ: «وليت». والدارعون: لابسو الدروع.

(٦) المعلمة: المميزة. يقيتان، يقال أقات الشيء: قدر عليه. والصباح: الغارة تفجأ صباحاً. وهذا تصحيح ش. وفي سائر النسخ: «يقيتان».

فأُست مُنِي خَاسِةً جَمِيعاً تُضَابِعُ فِي الْقِيَادِ وَقَدْ وَجِينَا^(١)
 وَقَدْ نَظَرْتُ طَسُو الْعَكَمِ إِلَيْنَا بِأَعْيُنِهِمْ وَحَقَقْنَا الظَّنُونَا
 إِلَى رَجْرَاجَةٍ فِي السِّدَارِ تُغَشِي إِذَا اسْتَنْتَ عَيْسُونَ النَّسَاطِرِينَ^(٢)
 تَرَكْنَ نِسَاءَكُمْ فِي السِّدَارِ نَوَحَا يَبْكُونَ الْبُعُولَةَ وَالْبَيْنِينَ^(٣)
 جَمَعْتُمْ جَمْعَكُمْ فَطَلَبْتُمُونَا فَهَلْ أُثْبِتَ حَالِ الطَّلِيلِينَ

كيسان ينشد هب الله الثقفي شعر غيلان

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: أخبرني محمد بن سعد الشامي، قال: حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي، قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسيره، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة، ما أنشدني لغيره، حتى صدرنا عن الأُبُلَّة، ثم مرَّ بالطَّف وهو يريد الطَّابِق^(٤)، فأنشدني له:

[٢٠٥/١٣] / وَلَيْلَةَ أَرَقْتُ صَحَابَكَ بِالطِّفْ وَفَّ وَأَخْرَى بِجَنْبِ ذِي حُصْمٍ^(٥)
 فَالْجَسْرُ فَالْقَصْرَانِ فَالْهَرَّ الْمُرَّ دُيِّنَ التَّخِيلُ وَالْأَجْمُ^(٦)
 مَعَانِقُ الْوَاسِطِ الْمُقَدَّمِ أَوْ أَدْنُو مِنَ الْأَرْضِ غَيْرَ مَقْتَحِمٍ^(٧)
 اسْتَعْمِلَ الْعَنْسَ بِالْقِيَادِ إِلَى الْ آفَاقِ أَرْجُو نَوَافِلَ الطُّعْمِ^(٨)

وصية غيلان بن سلمة لبنيه

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه، قال:

لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية، قال: «يا بني، قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم فلن تزالوا بخير ما غدوتم من كريم وغدا منكم، فعليكم بيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكل رمكاه^(٩) مكيئة ركيئة، أو بيضاء رزينة، في خدر^(١٠) بيت يتبع، أوجد

(١) مسى خامسة: في مساء الليلة الخامسة. تضابح: تمد أضياعها في الجري. والقياد: المقود، ما تقاد به الدابة. وجين: حفين ووجعن.

(٢) الرجراجة: الكتية العظيمة. تعشى من العشا، وهو سوء البصر. وهذا تصحيح س، وفي سائر النسخ: «تغشى». واستنت: أسرعت. وفي الأصول: «استلمت».

(٣) النوح: جمع نائحة. في س، ش، ح: «يكون». كما أثبتنا. وفي «مذهب الأغاني»: «يكون».

(٤) الطابق: نهر ببغداد. وفي الأصول: «الطائف».

(٥) الطف: مكان بالعراق قتل به الحسين. ذو حسم: موضع. وفي الأصول: «وأجرى بذئ جسم».

(٦) الجسر: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة. والقصران بالصاد: ناحيتان كبيرتان بالري. وفي كل الأصول: «القطران» بالطاء.

(٧) الواسط: المقدم وأول الشيء. ويقصد به قادمة الرجل.

(٨) العنس: الناقة الصلبة. والآفاق: وردت في كل الأصول: «آفات» بالفاء بدل القاف، تحريف.

(٩) الرمكاه: ما كان في لونها حمرة مختلطة بالسواد.

(١٠) ح: «في حديث».

يُرْتَجَى، وَإِنَّا كَمْ وَالْقَصِيرَةُ الرَّطْلَةُ^(١)، فَإِنْ أَبْغَضَ الرِّجَالُ إِلَيَّ أَنْ يِقَاتِلَ / عَنْ إِبِلِي أَوْ يَنَاضِلَ عَنْ حَسْبِي، الْقَصِيرُ^{٤٨} الرَّطْلُ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

وَحُرَّةٌ قَوْمٍ قَدْ تَتَوَّقُ فِعْلَهَا وَزَيْنَتُهَا أَقْوَامُهَا فَتَزِينَتْ
رَحَلْتُ إِلَيْهَا لَا تُرَدُّ وَسِيلَتِي وَحَمَلْتُهَا مِنْ قَوْمِهَا فَتَحَمَّلَتْ

[٢٠٦/١٣]

/ وفود غيلان على كسرى

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكُراني، قال:

كان غيلان بن سلمة الثَّقَفِيُّ قد وفدَ إلى كسرى فقال له ذات يوم: يا غيلان، أئني ولدك أحبُّ إليك؟ قال: «الصغير حتى يكبر»، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يَسْمَ. قال له: ما غذاؤك؟ قال: خبز البر. قال: قد عجبت من أن يكون لك هذا العقلُ وِغذاؤك غِذاءُ العرب، إنما البرُّ جعل لك هذا العقل.

رواية أخرى في هذا الخبر

قال: الكُراني، قال العُمري: روى الهيثمُ بنُ عدي هذا الخبرَ أتمَّ من هذه الرواية، ولم أسمع منه. قال الهيثم: حدثني أبي، قال:

خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون^(٢) العراق بتجارة، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان، فقال لهم: إنا من مسيرنا هذا لعلنا نخطُر، ما قدومنا على ملك جبارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه، وليست بلاده لنا بمشجَر؟! ولكن أياكم يذهب بالعير، فإن أُصيبَ فنحن برآء من دمه، وإن غنمَ فله نصفُ الرِّيح؟ فقال غيلان بن سلمة: دعوني إذا فأنا لها. فدخل الوادي، فجعل يَطُوفُه ويضرب فروعَ الشجر ويقول:

ولورائي أبو غيلان إذ حَسَرْتُ عني الأمورُ إلى أمرٍ له طَبَقُ^(٣)
لقال رُغْبٌ ورُهْبٌ يُجمَعانِ معاً حبُّ الحياة وهولُ النَّفسِ والشفقُ^(٤)
إما بقيتَ على مجدٍ ومكرمة أو أسوة لك فيمن يَهْلِكُ الورقُ^(٥)

[٢٠٧/١٣]

/ ما دار بين غيلان وبين كسرى

ثم قال: أنا صاحبكم. ثم خرج في العير، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً، فلما قَدِمَ بلادَ كسرى، تخلَّقُ^(٦) وليس ثوبين أصفرين، وشهر أمره، وجلس بياب كسرى حتَّى أذن له، فدخل عليه وبينهما شباكٌ من ذهب، فخرج إليه التَّرجُمانُ؟ وقال له: يقول لك الملك: مَنْ أدخلك بلادِي بغيرِ إذني؟ فقال: قل له: لستُ من أهلِ عداوةٍ لك، ولا أتيتُك جاسوساً لِبُصْدٍ من أضدادك، وإنما جئتُ بتجارةٍ تستمتعُ بها، فإن أردتها فهي لك، وإن لم تُردّها وأذنتَ في بيعها لرعيَّتِكَ بعثها، وإن لم تأذن في ذلك رددتها. قال: فإنه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى فسجد، فقال له الترجمان: يقول لك الملك: لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتاً عالياً حيث لا يَنْبَغِي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالاً

(١) الرطل بفتح الراء وكسرهما: المرأة الحمقاء الضعيفة. هذا. والوصية نسبت في «البيان والتبيين» (٢: ٦٧) طبع لجنة التأليف، إلى عثمان بن أبي العاصي.

(٢) حد: «يريد».

(٣) حسر: انكشف. الطبق: الحال والخطر، والذي له ما بعده.

(٤) الرغب: الرغبة. وفي الأصول: «رغب».

(٥) الورق: الفضة.

(٦) تخلق: تطيب بالخلوق.

للملك، فعلمت أنه لم يُقدِّم على رفع الصَّوت هناك غيرُ الملك فسجدتُ إعظاماً له. قال: فاستحسن كسرى ما فعل، وأمر له بمرفقةٍ تُوضَع تحته^(١)، فلما أتى بها رأى عليها صورةَ الملك، فوضَعها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمَّقه، وقال للترجمان: قل له: إنَّما بعثنا إليك بهذه لتجلسَ عليها. قال: قد علمتُ، ولكنِّي لما أتيتُ بها رأيتُ عليها صورةَ الملك، فلم يكن حقُّ صورته على مثلي أن يجلسَ عليها، ولكن كان حقُّها التعظيم، فوضعتها على رأسي، لأنَّه أشرفُ أعضائي وأكرمُها عليّ. فاستحسن فعله جدًّا، ثم قال له: ألك ولد؟ قال: نعم. قال: فأيتهم أحبُّ إليك؟ قال: الصَّغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يؤوب. فقال كسرى: زه، ما أدخلك عليّ ودلَّك على هذا القول والفعل إلا / حظُّك، فهذا فعلُ الحكماء وكلامُهم، وأنت من قوم جُفأةٍ لا حكمةَ فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البُرِّ. قال: هذا العقل من البُرِّ، لا من اللين والتمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكسَّاه وبعث معه من الفرس من بنى له أطماً^(٢) بالطائف، فكان أولُ أطم بني بها.

رثاؤه لأخيه نافع وقد قتل بدومة الجندل

[٢٠٨/١٣] / أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمر بن أبي بكر الموصليُّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال:

استشهد نافع بن سلمة الثَّقَفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فجزع عليه غيلان وكثر بكاءه، وقال يرثيه:

ما بال عيني لا تُغْمَصُ ساعةً
إلا اعتريتنني عبْرَةٌ تغشاني
أرعى نجوم الليل عند طلوعها
وهناً وهُنَّ من الغروب دوان^(٣)
يانافعاً من للفوارس أحجمت
عن فارس يعلو ذرى الأقران
فلو استطعت جعلت مني نافعاً
بين اللهاة وبين عكدي لسان^(٤)

قال: وكثر بكاءه عليه، فعوتب في ذلك، فقال: والله لا تسمع عيني بمائها فأصنُّ به على نافع. فلمَّا تناول العهد انقطع ذلك من قوله، فقليل له فيه، فقال: «بلي نافع، وبلي الجرع، وفني وفني الدموع، واللحاق به قريب».

صوت

ألا علاني قبل نوح السوادِ
وقبل ثواني في تُرابٍ وجندلٍ
وقبل بكاء المغولات القسرائب
وقبل نشوز النفس فوق الترائب^(٥)
فإن تأتني الدنيا يومي فجاءة
تجذني وقد قضيت منها مآربي

الشعر لحاجز الأزدي، والغناء لنبية هزج، بالبصرة، عن الهشامي.

(١) المرفقة: المتكأ والمخدة.

(٢) الأطم بضم تين: القصر وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح.

(٣) الوهن: نحو منتصف الليل أو بعده بساعة.

(٤) اللهاة: قطعة من اللحم مشرفة على الحلق. والمكد: وسط الشيء.

(٥) نشوز النفس: ارتفاعها، كناية عن الاحتضار. وفي الأصول: «نشور» بالراء المهملة، تحريف.

[٢٠٩/١٣]

/ أخبار حاجز ونسبه

أخبار حاجز ونسبه

هو حاجزُ بنُ عوف بن الحارث بن الأخشم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مُفَرِّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَدَعان بن مالك بن نصر بن الأزدي. وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وفي ذلك يقول:

قومي سلامان إما كنتِ سائلةً وفي قريش كريم الحليف والحسب
إنني متى أدعُ مخزوماً تري عُنقاً لا يرعشون لضرب القوم من كُتَب^(١)
يُدعى المغيرةُ في أولى عديدهم أولادُ مَرَأْسَةٍ ليسوا من الذنب^(٢)

وهو شاعر جاهلي مقل، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يستيق به الخيل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثني العباس بن هشام، عن أبيه، عن عوف بن الحارث الأزدي، أنه قال لابنه حاجز بن عوف: أخبرني يا بُني بأشدّ عذوك. قال: نعم، أفزعنتني خشمُ فنزوتُ نزواتٍ، ثم استفزنتني الخيل واصطف لي ظبيان، فجعلت أنهنههما^(٣) بيدي عن الطريق، ومنعاني / أن أتجاوزها في العذو لضيق الطريق^{٩٢} حتى اتسع واتسعت بنا، فسبقتهما. فقال له: فهل جارك أحدٌ في العذو؟ قال: ما رأيت أحداً جاراني إلا أطيّلس أغبير من الثقوم^(٤)، فإننا عدونا معاً فلم أقدر على سبقه.

- قال: الثقوم^(٤) بطن من الأزدي من ولد ناقيم، واسمه عامر بن حوالة بن الهنو بن الأزدي.

[٢١٠/١٣]

/ نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني

من كتاب بخط المرحوم الكوكبي، قال: أغار عوف بن الحارث بن الأخشم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داج مظلم، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم. فانطلق حتى أتى صرماً من بني هلال^(٥)، وقد عصب على يد فرسه عصابة ليطلع^(٦) فيطمعوا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركبوا في طلبه، وانهمز من بين أيديهم، وطمعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان، فأصيب يومئذ بنو هلال، وملا القوم أيديهم من الغنائم^(٧)، ففي ذلك يقول حاجز بن عوف:

(١) العنق: الجماعة الكثيرة من الناس.

(٢) مَرَأْسَة: رأسه.

(٣) النهنه: الرد والكف.

(٤) في الأصل: «القوم».

(٥) الصرم، بالكسر: الجماعة.

(٦) الظلع: غمز في المشي شبيه بالمرج.

(٧) من الغنائم، ساقطة من حرب.

صباحك واسلمى عنا أماماً
برهرهة يحار الطرف فيها
فلن تمس ابنه السهمي مثلاً
فلنك لا محالة أن تريني
بناجية القوائم عيسجور
سلي عثي إذا اغبرت جمادي
السنا عصمة الأضياف حتى
/ أبى ريع الفوارس يوم داج
فلو صاحبنا لرضيت منا

تحيّة وامق وعيمي ظلاماً
كحقة تاجر شذت ختاماً^(١)
بعسداً لا تكلمنا كلاماً
ولو أمست جبالكم رماماً
تدارك نيتها عاماً فعاماً^(٢)
وكان طعام ضيفهم الثماماً^(٣)
يضحى مالههم نقلاً تواماً^(٤)
وعمي مالك وضع السهاماً^(٥)
إذا لم تغبق المائة الغلاماً^(٦)

[٢١١/١٣]

يعني بقوله: وضع السهام، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران، كان يأخذ من جميع الأزدي إذا غنموا الربيع، لأن الرياسة في الأزدي كانت لقومه، وكان يقال لهم: «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسد بلد السراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزتهم بنو ققيم بن عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مائة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم، حتى هزموا بني ققيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارث أن يأخذ الربيع كما كان يفعل، فمنعه مالك بن دهل بن مالك بن سلامان، وهو عم أبي حازم، وقال: «هيهات، ترك الربيع غدوة»^(٧) فأرسلها مثلاً، فقال له الحارث: أترك يا مالك تقدّر أن تسود؟ فقال: هيهات، الأزدي أمنع من ذلك. فقال: أعطني ولو جعباً - والجعب: البعر في لغتهم - لثلا تسمع العرب أنك منعتني. فقال مالك: «فمن سماعها أقر»^(٨)، ومنعه الربيع، فقال حازم في ذلك:

ألا زعمت أبناء يشكر أننا
/ ستمنعنا منكم ومن سوء صنكم
وأسمر خطي إذا هز عاسل

بريعهم باءوا هنالك ناضل^(٩)
صفائح ييض أخلصتها الصياقل
بأيدي كماء جربتتها القبائل^(١٠)

[٢١٢/١٣]

١٧. وقال أبو عمرو: جمع حازم ناساً من فهم وعدّان، فدلّهم على خشمهم، فأصابوا منهم غرة وغنموا ما شاءوا، فبلغ حازم أنهم يتوعدونه ويرصدونه، فقال:

(١) برهرهة: بضه غضة. والحقه بضم القاف: وعاء من خشب أو من عاج.

(٢) الناجية: السريعة، ولا يوصف بها البعير. والعيسجور: الناقة الصلبة السريعة. تدارك: تلاحق. والني بكسر النون وفتحها: الشحم.

(٣) اغبرت جمادي: قل الخير وذلك في الشتاء. والثمام: نبت ضعيف.

(٤) ضحى إليه: رعاها وقت الضحى. وفي الأصول: «يفحى». والنفل: الهبة والعطية. والتوام: تسهيل توأم، وهو المزدوج.

(٥) ريعهم: أخذ منهم المرباع، وهو ربع الغنيمة. وفي الأصول: «عبر».

(٦) تغبق: تسقي الغبوق، وهو الشرب بالعشي.

(٧) ترك الربيع غدوة: مثل «الصيف ضيعت اللبن».

(٨) في حد: «أقر» بالقاف.

(٩) باءوا: فخروا. الفاضل: الغالب.

(١٠) العاسل: الرمح المهتر.

إِنِّي مِن إِعَادِكُمْ وَبِرُوقِكُمْ وَإِعَادَكُمْ بِالْقَتْلِ صُمُّ مَسَامِعِي^(١)
وإِنِّي دَلِيلٌ غَيْرُ مَخْفٍ دَلَاتِي عَلَى أَلْفِ بَيْتٍ جَدُّهُمْ غَيْرُ خَاشِعٍ
تَرَى الْبَيْضَ يَرْكُضَنَّ الْمَجَاسِدَ بِالضَّحَى كَذَا كُلُّ مَشْبُوحٍ الذَّرَاعِينَ نَازِعٍ^(٢)
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ تَشِيرُونَ نَحْوِي نَحْوَكُمْ بِالْأَصَابِعِ

عمرو بن معد يكرب يطمئن حاجزاً

وقال أبو عمرو: أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معديكرب، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقوا واقتتلوا، فطمئن عمرو بن معديكرب حاجزاً فأنفذ فخذه، فصاح حاجز: يا آل الأزدا فنديم عمرو وقال: خرجت غازياً وفجعت أهلي. وانصرف، فقال عزيل الخثعمي يذكر طعنة عمرو حاجزاً، فقال:

أعجز حاجز منّا وفيه مشلشلة كحاشيشة الإزار^(٣)
فعر عليّ ما أعجزت منّي وقد أقسمت لا يضرنك ضار^(٤)

فأجابه حاجز فقال:

إِنْ تَذَكَّرُوا يَوْمَ الْقَرِيِّ فَلَنْبَ بَوَاءَ بِأَيَّامٍ كَثِيرٍ عَدِيدِهَا^(٥)
/ فنحن أبحننا بالشخيصة وإنّا جهاراً فجننا بالنساء نقودها^(٦)
ويوم كراء قد تدارك ركضنا بنني مالك والخيل صعر خدودها^(٧)
ويوم الأراكات اللواتي تأخرت سراة بني لهبان يدعو شريدّها^(٨)
ونحن صبحنا الحيّ يوم تنومة بملومة يهوى الشجاع وثيدّها^(٩)
ويوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حمرأ جلودها^(١٠)
فما رغمت حلفاً لأمر يصيبها من الذل إلا نحن رغباً نزيدها

خثعم تحبط بحاجز وعجوز تسحر سلاحه ثم ينجو

وقال أبو عمرو: بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم، وكان معه بشير ابن أخيه، فقال^(١١) له: يا بشير، ما تشير؟ قال: دعهم حتى يشربوا ويقفلوا^(١٢) ويمضوا ونمضي معهم فيظنوننا بعضهم. ففعلاً، وكانت في ساق

(١) الإيعاد: التهديد.

(٢) المجاسد: الثياب المعصفرة بالزعفران.

(٣) المشلشلة: الضربة التي تفيض دماً.

(٤) في الأصول: «ما أعجزت دمي».

(٥) القرى: واد. البواء: الكفاء، والنظير.

(٦) الشخيصة: اسم مكان.

(٧) كراء: ثنية بالطائف.

(٨) الأراكات: أودية قرب مكة.

(٩) الملمومة: الكتبية المجتمعة. وفي الأصول: «وبيدّها».

(١٠) شروم: قرية كبيرة باليمن بها عيون وكروم. والطرفاء: نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة.

(١١) في حد: «فقال» فقط.

(١٢) يقفلوا في حد: «يقفلوا» وهو تحريف.

حاجز شامةً، فنظرت إليها امرأة من خثعم، فصاحت: يا آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم سلاحه أو عدوه. فقالوا: لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوقاً وهو يعدو مثله، ولكن اكفيننا سلاحه. فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر^(١) بن همام بن الأسر بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفرع الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف ارم حاجزاً، فلم يُقدم عليه، وجبُن، فغضبوا وصاحوا: يا حاجز، لك الذمام، فاقتل عوقاً فإنه قد فضحنا. فترع في قوسه ليرميه، فانقطع وتره، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فترع فيها فانكسرت، / وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريد ونحا به نحو خثعم؛ فنزل حاجز / عنه، فمرّ فنجاً وقال في ذلك:

فِدى لَكُمَا رَجُلِيَّ أُمِّي وَخَالَتِي
أَوَّانَ سَمِعْتُ الْقَوْمَ خَلْفِي كَأَنَّهُمْ
سَيُوفُهُمْ تَغْشَى الْجَبَانَ وَنَبْلُهُمْ
فَغَيْرَ قَتَالِي فِي الْمَضِيقِ أَغَاثِي
نَجَوْتُ نَجَاءً لَا أَيْسَكَ تَبَشُّهُ
وَجَدْتُ بَعِيراً هَامِلاً فَرَكِبْتُهُ
بَسْعِي كَمَا يَبْنِي الصَّفَا وَالْأَثَابُ^(٢)
حَرِيقَ أَبَاءٍ فِي الرِّيَّاحِ الثَّوَاقِبِ
يُضِيءُ لَدَى الْأَقْوَامِ نَارَ الْحُبَّاحِ^(٣)
وَلَكِنْ صَرِيحَ الْعَدُوِّ غَيْرَ الْأَكَاذِبِ
وَيَنْجُو بِشِيرِ نَجْوٍ أَزْعَرَ خَاضِبٍ^(٤)
فَكَادَتْ تَكُونُ شَرَّ رَكْبَةٍ رَاكِبٍ^(٥)

حاجز يغير على بني هلال

وقال أبو عمرو: اجتاز قوم حُجَّاجٌ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي هَلَالٍ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَعَرَفَهُمْ ضَمْرَةَ بْنُ مَاعِزِ بْنِ هَلَالٍ، فَقَتَلَهُمْ هُوَ وَقَوْمُهُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ حَاجِزاً، فَجَمَعَ جَمْعاً مِنْ قَوْمِهِ وَأَغَارَ عَلَى بَنِي هَلَالٍ فَقَتَلَ فِيهِمْ وَسَبَى مِنْهُمْ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ يَخَاطِبُ ضَمْرَةَ بْنَ مَاعِزٍ:

يَا ضَمْرُ هَلْ نَلْنَاكُمْ بِدِمَائِنَا
نَبْكِي لِقَتْلِي مَنْ قُتِّنِي قَتَلُوا
/ وَلَقَدْ شَفَانِي أَنْ رَأَيْتُ نِسَاءَكُمْ
يَا ضَمْرُ إِنْ الْحَرْبُ أَضَحَّتْ بَيْنَنَا
أَمْ هَلْ حَذَوْنَا تَغْلَكُمْ بِمِثَالٍ^(٦)
فَالْيَوْمَ تَبْكِي صَادِقاً لِهَلَالٍ
يَكِينِ مَرْدِفَةٍ عَلَى الْأَكْفَالِ^(٧)
لِقِحَّتْ عَلَى الدُّكَّاءِ بَعْدَ حِيَالٍ^(٨)

[٢١٥/١٣]

(١) في حد: «ابن الأعسر».

(٢) الأثاب: جمع أثاب، وهو شجر ينبت في بطون الأودية.

(٣) الحباح: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج، وربما جعلوا الحباح اسماً لما يرى في ذنبه كأنه نار. وقيل هو اسم رجل بخيل كان لا يوقد ناراً إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل حتى قيل «نار الحباح» لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا ينتفع به.

(٤) لا أيبك: لعله أراد: لا وأيبك. ويقال نجا ينجو نجواً: خلاص. وفي الأصول: «نحو»، تحريف. والأزعر: القليل الشعر. والخاصب: الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقوادمه، وهو الذكر من النعام.

(٥) الهامل: المتروك سدى ليلاً ونهاراً.

(٦) في الأصول: «نفلكم بمثال».

(٧) المردفة: التي أركبت خلف الراكب. والأكفال جمع كفل: العجز.

(٨) الدكاء: رابية من طين. والحيال: العقم.

أخت حاجز ترثيه حين انقطعت أخباره

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يَعدْ، ولا عُرِفَ له خبر، فكانوا يَرون أنه مات عطشاً أو ضلّ، فقالت أخته ترثيه:

أحيّ حاجزُ أم ليس حيّاً فيسلك بين جندف والبهيم^(١)
ويشربُ شربةً من ماء تَرج فيصدرُ مشية السبع الكليم^(٢)

ما قيل من الشعر في فرار حاجز

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا دَمَازُ عن أبي عبيدة، قال:

كان حاجز الأزدي مع غاراته كثيرَ الفرارِ، لقي عامراً فهرب منهم فنجأ، وقال:

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي عشيةً بين الجُرف والبحر من بحر^(٣)
عشيةً كادت عامرٌ يقتلونني لدى طرفِ السلماءِ راغيةً البكر^(٤)
فما الظبي أخطت خلفه الصقر رجلاً وقد كاد يلقى الموتَ في خلفه الصقر^(٥)
يمثلي غداة القوم بين مُقَنَّع وآخر كالسكرانٍ مرتكزٍ يفري^(٦)

/ وفرّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي، ففاته حاجز، وقال في ذلك:

وكانما تبع الفوارسُ أربنا أو ظبي راويةً خُفافاً أشعباً^(٧)
وكانما طردوا بلدي نمراته صدعاً من الأروى أحسّ مكلياً^(٨)
أعجزت منهم والأكفُ تنالني ومضت حياضهم وآبوا خيياً
أدعو شنوءةً غثها وسمينها ودعا المرقع يسوم ذلك أكلباً^(٩)

وقال يخاطب^(١٠) عوض أمسي:

أبلغ أميمةً عوض أمسي بزناً سلباً وما إن سرّها تُنكباً^(١١)
/ لولا تقارب رافة وعيونها حمشاً مصعداً ومصوياً^(١٢)

(١) «جندف» بالجيم المفتوحة مع الدال تصحيح الشنقيطي: جبل باليمن. وفي بعض النسخ «خندف». والبهيم: جبل أيضاً.

(٢) ترج وييشة: قريتان متقابلتان بين مكة واليمن.

(٣) فرتي: فراري، والجرف بضم الجيم: موضع باليمن. والبحر: مكان بين مكة واليمامة، ماء لبني ربيعة بن عبد الله بن كلاب.

(٤) راغية البكر: صوته. والبكر: الفتى من الإبل، يراد به بكر ناقة صالح، وهو مثل في الشؤم.

(٥) أخطت: أخطأت. وخلفه الصقر: اختلافه مرة بعد مرة. وفي الأصول: «خلفه الصقر» ثم «حلقة الصقر».

(٦) يفري: يبالغ في النكاية والقتل.

(٧) الراية والرياء: كل ما ارتفع عن الأرض. والظبي الأشعب: البعيد ما بين القرنين.

(٨) الصدع بالعين المهملة تصحيح الشنقيطي: الفتى الشاب القوي من الأوعال وقيل هو الوسط منها. قال الأزهري: هو الوعل بين

الوعلين. وفي الأصل: «صدغاً». والأروى: أنثى الوعل، أو هو تيس الجبل.

(٩) شنوءة بالشين: قبيلة، وكذلك أكلب.

(١٠) وقال يخاطب، زيادة عن بعض الأصول.

(١١) في الأصول: «سلباً ما إن سرّها أن تسكباً».

(١٢) كذا ورد البيت محرفاً منقوصاً.

قصيدة

- يا دارُ من ماويٍّ بالسَّهْبِ بنيت على خطب من الخطيب^(١)
 إذ لا ترى إلا مُقَاتِلَةً وعجائناً يُرقلن بالركب^(٢)
 / ومُدَجَجاً يسعى بِشَكَّتِهِ مُحَمَّرَةً عيناه كالكلاب^(٣) [٢١٧/١٣]
 ومعاشراً صدا الحديد بهم عبق الهناء مخسّاطم الجرب^(٤)
- الشعر للحارث بن الطفيل الدؤسي، والغناء لمعبد، رمل بالنصير، من رواية يحيى المكي، وفيه لابن سريج خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى النصير عن إسحاق، والله أعلم.



مركز تحقيقات كتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) السهب: اسم موضع.

(٢) العجائن: جمع عجس: الشديد الضخم من الإبل.

(٣) الشكة: السلاح.

(٤) الهناء يقال هنا للإبل يهونها مثلثة النون: طلاها بالهناء، ككتاب وهو القطران. عبق الهناء، أن يحكى عبق الهناء. والعبق: مصدر عبق به، أي لصبق. والمخاطم: جمع مخطم كمجلس ومنبر: مقدم أنفها وفمها.

/ أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

[٢١٨/١٣]

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله بن عُدْثَان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، شاعر فارس، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطفيل بن عمرو شاعر أيضاً، وهو أول من وفد من دوس على النبي ﷺ، فأسلم وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

وفود الطفيل على رسول الله ﷺ

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنَا الْحَزَنُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو عَنْ أَبِيهِ، وَاللَّفْظُ فِي الْخَبَرِ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ:

إِنَّ الْطَفِيلَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الدُّوسِيَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ حَاجًّا، وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ رَجُلًا يَعْصُو - وَالْعَاصِي الْبَصِيرَ بِالْجِرَاحِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَوْلَدِهِ: بَنُو الْعَاصِي - فَأَرْسَلْتُهُ قَرِيشَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: انْظُرْ لَنَا مَا هَذَا الرَّجُلُ، وَمَا عِنْدَهُ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي رَجُلٌ شَاعِرٌ، فَاسْمَعْ مَا أَقُولُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: هَات. فَقَالَ:

لَا إِلَهَ إِلَّا نَاسُ نَأْلَمُ حَرْبَهُمْ
وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ تَزُولُ نَجْوَاهُ
/ أَسْلَمْتُ عَلَى خَسَفٍ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ
فَلَا سَلَمَ حَتَّى تَحْفِزَ النَّاسَ خَيْفَةً
وَلَوْ حَارِبْنَا مُنْهَبٌ وَبَنُو فَهْمٍ
تَطِيرُ بِهِ الرُّكْبَانُ ذُو نَبَأٍ ضَخْمٍ^(١)
وَمَالِي مِنْ وَاقٍ إِذَا جَاءَنِي حَتَمِي
وَيَصْبَحُ طَيْرُ كَانِسَاتٍ عَلَى لَحْمٍ^(٢)

[٢١٩/١٣]

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَنَا أَقُولُ فَاسْتَمِعْ، ثُمَّ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». ثُمَّ قَرَأَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ، فَأَتَاهُمْ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ ظُلُمَاءَ، حَتَّى نَزَلَ بَرُوقٌ، وَهِيَ قَرْيَةٌ عَظِيمَةٌ لِدُوسٍ فِيهَا مَنِيرٌ، فَلَمْ يَبْصُرْ أَيْنَ يَسْلُكُ، فَأَضَاءَ لَهُ نُورٌ فِي طَرَفِ سَوْطِهِ، فَبَهَرَ النَّاسَ ذَلِكَ النُّورُ، وَقَالُوا: نَارٌ أَحْدَثَتْ عَلَى الْقَدُومِ ثُمَّ عَلَى بَرُوقٍ / لَا تَطْفَأُ. فَعَلِقُوا يَأْخُذُونَ بِسَوْطِهِ فَيَخْرُجُ النُّورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِمْ، فَدَعَا أَبُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ أَبُوهُ وَلَمْ^{٩٤} تَسْلَمْ أُمُّهُ، وَدَعَا قَوْمَهُ فَلَمْ يَجِبْهُ إِلَّا أَبُو هَرِيرَةَ، وَكَانَ هُوَ وَأَهْلُهُ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ذُو رَمَعٍ^(٣)، فَلَقِيَهُ بِطَرِيقٍ يَزْحَزِحُ، وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ كَانَ يَزْخَفُ فِي الْعَقَبَةِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَيَقُولُ:

يَا طَوْلَهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَعَنَاءُهَا
عَلَى أَنَّهُمَا مِنْ بَلَدَةِ الْكُفْرِ نَجَّتْ

(١) حد: «تطير نجومه».

(٢) كانسات: مقيمات.

(٣) في س، ش: «ذو رمعا». وفي حد: «ذو منعا»، صوابه ما أثبتنا. قال ياقوت: «موضع باليمن».

النبي يدهو لدوس بالهداية

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبي ﷺ ومعه أبو هريرة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: بلادٌ حصينة وكفر شديد. فتوضأ النبي ﷺ ثم قال: «اللهم اهد دوساً» ثلاث مرات. قال أبو هريرة: فلما صلى النبي ﷺ خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا، فصحت: واقوماه! فلما دعا لهم سُري عني، ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه، فقال [٢٢٠/١٣] له: لم أحب هذا منك يا رسول الله. فقال له: إن فيهم مثلك كثيراً. وكان جندب بن عمرو بن حممة / بن عوف بن غويّة بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن مُنْهَب بن دوس يقول في الجاهلية: إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو. فخرج حينئذٍ في خمسة وسبعين رجلاً حتى أتى النبي ﷺ. فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: ما زلت ألوي الآجرة^(١) بيدي، ثم لويت على وسطي حتى كَانِي بِجَادَ^(٢) أسود، وكان جندب يقرّبهم إلى النبي ﷺ رجلاً رجلاً، فيسلمون.

سبب أبيات الغناء

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة للحارث بن الطفيل، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دَهْمَان بن نصر بن زهران.

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضِمَاد بن مُسَرَّح بن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر، سيد آل الحارث، كان يقول لقومه: أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث يَظْلَانِ رياستكم. وكان ضِمَادٌ يتعيف^(٣)، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلها، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم، وكان القَتِيلُ من آل الحارث تؤخذ له دِيْنَانِ، ويعطون إذا لزمهم عقلٌ قتيل من دوس ديةً واحدة، فقال غلامان من بني الحارث يوماً: اتنوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون إلى أمره فلتقتله^(٤). فأتياه، فقالا: يا عم، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه. فأخرجاه من منزله، فلما تنجّيا به قال له أحدهما: يا عم، إن رجلي قد دخلت فيها شوكة، فأخرجها لي. فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمدت دوس إلى سيد بني الحارث، وكان [٢٢١/١٣] نازلاً بِقَنْوَنِي^(٥) فأقاموا له في غيضة في الوادي، وسرحت إليه فأخذوا / منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها، فجعلت الناقة ترغو وتحن إلى الإبل، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأن الناقة، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتوا أهله، وعرفت بنو الحارث الخبر، فجمعوا لدوس وغزوهم فنذروا^(٦) بهم فقاتلوهم فتناصفوا، وظفرت بنو الحارث بِغِلْمَةٍ من دوس فقتلوه، ثم إن دوساً اجتمع منهم تسعة وسبعون رجلاً، فقالوا: مَنْ يكلمنا، مَنْ يُمانينا^(٧) حتى نغزو أهل ضِمَاد؟ فكان ضِمَاد قد أتى عُكَاظ، فأرادوا أن يخالفوه / إلى أهله، فمروا برجل من دوس وهو يتغنى:

فَلِإِنِّ السَّلَمَ زَائِدَةٌ نَوَاهَا وَإِنِّ نَوَى الْمُحَارِبِ لَا تَرْوِبُ^(٨)

فقالوا: هذا لا يتبعكم، ولا ينفعكم أن تبعكم، أما تسمعون غنائه في السلم. فأتوا حُمَمَةَ بن عمرو، فقالوا: أرسل إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شِئتم. وهو عاصب حاجبيه من الكبر، فأخرج معهم ولده جميعاً، وخرج معهم،

(١) الآجرة: واحدة الأجر، الطين المحروق.

(٢) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به. وفي الأصل: «كان بجاد».

(٣) يتعيف: يتكهن.

(٤) فلتقتله في س، ش أما في ح فبالياء بدل النون وهو تحريف.

(٥) قنوني: من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة.

(٦) يقال نذر بالعدو بكسر. الذال نذرا: علمه فحذره.

(٧) ماناه: لزمه، وانتظره، وداراه. في الأصول: «يمانين».

(٨) تروِب: تفتت. وفي ح «ترود».

وقال لهم: تفرّقوا فرقتين، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا، وإياكم والغارة حتّى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضاً. ففعلوا، فلم يلتفتوا حتّى قتلوا ذلك الحيّ من آل الحارث، وقتلوا إبناً لضماد، فلما قدّم قطع أذني ناقته وذنبها، وصرخ في آل الحارث، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوسّ تجتمع بإزائه، وهم مع ذلك يتغاورون^(١) ويتطرّف بعضهم بعضاً^(٢)، وكان ضِمَاد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ: إِنْ كُنْتُ تَحْرِزُ^(٣) أهلي، وإلّا أقمْتُ عليهم. فقال له: أنا أحرزهم من مائة؛ فإن زادوا فلا. وكانت تحت ضِمَاد امرأة من دوس، وهي أخت مربان^(٤) بن سعد الدوسي الشاعر، فلما أغارت دوس على بني الحارث قصدها / أخوها، فلاذت به، وضمت [٢٢٢/١٣] فخذها على ابنها من ضِمَاد، وقالت: يا أخي اصرف عني القوم، فإنّي حائض لا يكشفوني. فنكزسيّة القوس في درعها، وقال: لست بحائض، ولكن في درعك سخلّة بكذا من آل الحارث، ثم أخرج الصبي فقتله، وقال في ذلك:

ألا هل أتى أمّ الحُصَيْن ولونأت
ونضرة تدعو بالفناء وطلّقها
وخلافنا في أهله ابنُ مُسَرَح
تراثبه ينفحن من كلّ منْفَح^(٥)
وفرار جبان لأمه الذلّ مُقَرَح^(٦)

يوم حضرة الوادي

قال: فلم يزلوا يتغاورون حتّى كان يوم حضرة الوادي، فتحاشد الحيّان، ثم أتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالهم، ووقف ضِمَاد بن مسرّح في رأس الجبل، وأتهم دوس. وأنزل خالد بن ذي السبلة بناته هنداً وجندلة وفطيمة ونضرة، فبنين بيتاً، وجعلن يستقن الماء، ويحضّضن^(٧). وكان الرجل إذا رجع فارّاً أعطيه مكحلة ومجمراً^(٨)، وقلن: معنا فانزل - أي إنك من النساء - وجعلت هند بنت خالد تحرضهم وترتجز وتقول:

مَنْ رَجُلٌ يَنْأَزِلُ الْكَتِيْبَه
فَذَلِكُمْ تَزْنِي بِهِ الْحَبِيْبَه

فلما ألتقوا رمى رجل من دوس رجلاً من آل الحارث، فقال: خذها وأنا أبو الزبن^(٩)، فقال ضِمَاد وهو في رأس الجبل وبني الحارث بحضرة الوادي: يا قوم زينتتم فارجعوا. ثم رجل آخر^(١٠) من دوس، فقال: خذها وأنا أبو ذُكْر^(١١). فقال ضِمَاد: ذهب القوم / بذكرها، فاقبلوا رأيي وانصروا. فقال: قد جبنت يا ضِمَاد. ثم ألتقوا، فأيدت [٢٢٣/١٣] بنو الحارث. هذه رواية أبي عمرو.

وأما الكلبي فإنه قال: كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف، وكان لهم ديتان،

(١) يتغاورون بالغين المعجمة: يغير بعضهم على بعض.

(٢) يقال: تطرف عليهم، أي أغار. «اللسان» (طرف).

(٣) تحرز: تحصن.

(٤) مران في س، ش بالباء، أما في ح فبالنون بدل الباء.

(٥) نضرة وردت في ح بالصاد المهملة. والطلق، أصل معناه الظبي، ويقال أيضاً: ناقة طلق: لا عقال عليها. والترائب: عظام الصدر. ينفحن: ينضمحن بالدم.

(٦) مقروح: مجروح.

(٧) التحضيض: الحث.

(٨) المكحلة: وعاء الكحل. والمجمر: ما يوضع فيه الجمر.

(٩) الزبن: الدفع. وحرب زبون: يدفع بعضها بعضاً. وزابنه: دافعه.

(١٠) أي ثم رمى رجل آخر.

(١١) أبو ذُكْر: أي أبو الصيت والثناء.

ولسائر قومه دية، وكانت لهم على دوس إتاوة يأخذونها كل سنة، حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدوسي فيضع سهمه أو نعله على الباب، ثم يدخل، فيجيء / الدوسي، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته، حتى أدرك عمرو بن حممة بن عمرو فقال لأبيه: ما هذا التطول^(١) الذي يتطول به إخواننا علينا؟ فقال: يا بني، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا، فأعرض عن ذكره. فأعرض عن هذا الأمر، وإن رجلاً من دوس عرس بابتنة عم له، فدخل عليها رجل من بني عامر بن شكر، فجاء زوجها فدخل على الشكري، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك، فجمع دوساً وقام فيهم، فحرضهم وقال: إلى كم تصبرون لهذا الذل، هذه بنو الحارث، تأتيكم الآن تقاتلكم، فاصبروا تعيشوا كراماً أو تموتوا كراماً. فاستجابوا له، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا، واقتتلوا، فظفرت بهم دوس، وقتلتهم كيف شاءت، فقال رجل من دوس يومئذ:

قد علمت صفراء حرشاء الذيل^(٢) شراية المحض تروك للقيـل^(٣)
ترخي فروعاً مثل أذناب الخيل أن برؤوقاً دونها كالويل
* ودونها خرط القتاد بالليل^(٤) *

[٢٢٤/١٣] وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم، عن أبي عمرو:

يا دار من ماوي بالسهب بُنيت على خطب من الخطب
إذ لا تـرى إلا مقـاتلة وعجائناً يُرقلن بالركب^(٥)
ومدججاً يسعى يشكته محمرة عيناه كالكلب^(٦)
ومعاشراً صدا الحديد بهم عبق الهناء مخاطم الجرب^(٧)
لما سمعت نزال قد دُعيت أيقنت أنهم بنو كعب^(٨)
كعب بن عمرو لا لكعب بني الـ عنقاء والتبيان في النسب
فرميت كبش القوم مُعتمداً فمضى وراشوه بلذي كعب^(٩)
شكوا بحفـوئـه القـداح كما ناط المعرض أقدح القضب^(١٠)

(١) التطول: وردت في جـ: «الطول».

(٢) الحرشاء: الخشنه.

(٣) المحض: الخالص، وفي الأصول: «المحض»، تحريف. والقيـل بالياء: اللبن يشرب نصف النهار. ويقال هو شروب للقيـل، إذا كان مهياً فائق الخصر يحتاج إلى شرب نصف النهار.

(٤) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

(٥) العجائس: ومفردها عجنس كعملس بتشديد اللام وحذفت النون الثقيلة في الجمع لأنها زائدة: الجمال الضخمة الصلبة الشديدة مع ثقل ويطء.

(٦) الشكة: السلاح.

(٧) الهناء بالكسر: القطران. والمخاطم: ما يقاد منه البعير مكان الخطام.

(٨) بنو كعب روى كلب في جـ.

(٩) الكبش: الرئيس. راشوه حابوه من الرشوة، والكلام تهكم، وذئ كعب: الرمح.

(١٠) شكوا: يقال شكه بالرمح انتظمه وفي السلاح دخل. والحقو: الخصر. والقداح: السهام. ناط: علق. والمعرض: الرامي الذي يعرض القوس عرضاً إذا أضجعتها ثم رمى عنها. والأقدح جمع قده بالكسر: السهم قبل أن يراش أو ينصل. والقضب جمع قضيب، وهو القوس عملت من قضيب أو من غصن غير مشقوق.

فَكَأَنَّ مُهْرِي ظَلَّ مُنْعَمَسَاً	بشبا الأمانة مَغْرَةً الْجَابِ ^(١)
يَارَبِّ مَوْضُوعٍ رَفَعَتْ وَمَرَّ	فَرُوعَ وَضَعَتْ بِمَنْزِلِ اللَّصْبِ ^(٢)
وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ هَتَكَتْ قَرَارَهَا	تَحْتَ الْوَعْيِ بِشَدِيدَةِ الْعَضْبِ ^(٣)
كَانَتْ عَلَيَّ حُبِّ الْحَيَاةِ فَقَدْ	أَحْلَلْتُهَا فِي مَنْزِلِ غَرْبِ ^(٤)
«جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ	تُعْدَى الصُّحَاخَ مَبَارِكُ الْجَرْبِ» ^(٥)

/ هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج؛ وليس هو في هذه القصيدة، ولا وُجد في الرواية، وإنما ألحقناه [٢٢٥/١٣] بالقصيدة لأنه في الغناء كما تُضيف المغنون شعراً إلى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الروي والقافية.

قصيدة

صَرَفْتُ هَوَاكَ فَاَنْصَرَفَا	وَلَمْ تَدْعِ الَّذِي سَلَفَا
وَبِنْتَ فَلَمْ أَمُتْ كَلَفَا	عَلَيْكَ وَلَمْ تَمُتْ أَسَفَا
كَلَانَا وَاجِدَ فِي النَّا	سِ مِمَّنْ مَلَأَهُ خَلَفَا ^(٦)

/ الشعر لعبد الصمد بن المعذل، والغناء للقاسم بن زُرْزُور، رملٌ بالوسطى، وفيه لعمَرَ الميداني هزج.



مركز تحقيقات كتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) المغرة بالفتح: لون إلى الحمرة. والجاب: موضع.
(٢) اللصب بالكسر: مضيق الوادي. واللواصب: الآبار البعيدة القعر.
(٣) العضب: الطعن والقطع.
(٤) الغرب: البعيد.
(٥) تعدى بالناء المشاة الفوقية في س، ش أما في ج فبالباء الموحدة. والصحاح: الصحيحة من الإبل.
(٦) واجد في ش، أما في س، ج فبالحاء المهملة وهو تحريف.

/ أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه

[٢٢٦/١٣]

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البَحْثَرِيِّ^(١) بن المختار بن ذريح بن أوس بن هَمَام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن حِدرجان بن عساس^(٢) بن ليث بن حُدَّاد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وداعة بن لُكَيْز بن أفضى^(٣) بن عبد القيس بن أفضى بن دُعَمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران.

وجدت في كتاب بخط أحمد بن كامل: حدثني غيلان بن المعذل أخو عبد الصمد، قال: كان أبي يقول: أفضى أبو عبد القيس هو أفضى بن جديلة بن أسد، وأفضى جدُّ بكر بن وائل هو أفضى بن دُعَمِي. والنسابون يغلطون في قولهم عَبْدُ القيس بن أفضى بن دُعَمِي. ويكنى عبد الصمد أبا القاسم، وأمه أم ولد يقال لها: الزَّرْقَاء. شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصري المولد والمنشأ. وكان هجاء خبيث^(٤) اللسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً، إلا أنه كان عفيفاً، ذا مروءة ودين وتقدم في المعنزة، وله جاه^(٥) واسع في بلده وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجده غيلان شاعرين، وقد روى عنهما شيء^(٦) من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير، والمعذل بن غيلان هو الذي يقول:

[٢٢٧/١٣] / إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلّة في إخوة وأقارب وذي رحم ما كان مثلي يضيعها
فلو ساعدتني في المكارم قدرة لفاض عليهم بالنوال ربيعتها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المبرّد، وأنشدناه محمد بن خلف بن المرزبان عن الربيعي أيضاً. قال: وهو القائل:

ولست بميسال إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإنني لصبار على ما ينوبني وحسبك أن الله أثنى على الصبر

تهاجي أبان والمعذل

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثنا النخعي وإسحاق، قال: هجا أبان اللاحقي المعذل بن غيلان، فقال:

كنت أمشي مع المعذل يوماً ففسا فسوة فكدت أطيّر

(١) س، ش: «البَحْثَرِي».

(٢) عساس: في س، ش. وفي جـ «عسان».

(٣) أفضى: بالصاد المهملة في س، ش أما في جـ فبالضاد المعجمة، وهو تحريف.

(٤) خبيث اللسان في س، ش أما في جـ فيسبقهما كلمة «خبيثاً».

(٥) وله جاه: في س، ش أما في جـ فبأسقاط لفظ «له».

(٦) حد: «شيء عنهما».

فتلفست هل أرى ظرباننا
فلذا ليس غيـره وإذا أعـ
فتعجبت ثم قلت لقد أعـ
فأجابه المعذل فقال^(٢):

٥٨
١٢

/ صَحَفْتُ أَثُوكَ إِذْ سَمَّ
قَدْ عَلِمْنَا مَا أَرَادَتْ
صَيَّرَتْ بَاءَ مَكَانِ الْ
قَطَعَ اللَّهُ وَشَيْكَا
تَكَ بِالْمَهْدِ أَبَانَا
لَمْ تُرْذِ إِلَّا أَتَانَا
تَاءَ وَاللَّهِ عِيَانَا
مِنْ مُسَيِّكِ اللِّسَانَا

[٢٢٨/١٣]

/ المعذل وعبد الله بن سوار

أخبرني عمي قال: حدثنا المبرد قال: مرَّ المعذل بن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري القاضي، فاستتره
عبد الله، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده، فأبى، وأنشده:

أَمِنْ حَقِّ الْمَوَدَّةِ أَنْ تُقْضَى
وَقَدْ قَالَ الْأَدِيبُ مَقَالَ صِدْقٍ
إِذَا أَكْرَمْتَكُمْ وَاهْتَمُّونِي
ذِمَامُكُمْ وَلَا تَقْضُوا ذِمَامَا^(٣)
رَأَى الْآخِرُونَ لَهُمْ إِمَامَا
وَلَمْ أَغْضَبْ لَذَلِكَ فِدَامَا^(٤)

قال: وانصرف، فبكر إليه عبد الله بن سوار، فقال له: رأيتك أبا عمرو مغضباً. فقال: أجل ماتت بنت أختي
ولم تأتني. قال: ما علمت ذلك. قال: ذنبك أشد من عذرك، ومالي أنا أعرف خبر حقوقك، وأنت لا تعرف خبر
حقوقني؟! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضي عنه.

هجاء عبد الصمد لشروين المغني

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا ابن مهوريه عن الحمْدوني، قال: كان شروين حسن الغناء
والضرب، وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه، وتُلَوِّحَ له بخرقه
حمراء، ليظنها امرأة تطالعه، فكان حينئذ يغني أحسن ما يقدر عليه تصنعاً لذلك، فغضب عليه عبد الصمد في بعض
الأمور، فقال يهجو:

مَنْ حَلَّ شَرَوِينَ لَهُ مَنْزِلًا
فَلَيْسَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْتِهِ
فَلْتَنْهَ الْأُولَى عَنِ الثَّانِيهِ
إِلَّا فَتَى فِي بَيْتِهِ زَانِيَهُ

هجاؤه لزان متزوج زانية

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهوريه، قال: حدثني أبو عمرو البصري، قال: قال عبد الصمد بن المعذل
في رجل زانٍ من أهل البصرة كانت له امرأة تزني، فقال:

(١) الظريان: دوية صغيرة متنتة جداً، ويقال إنها إذا فست في ثوب لم تذهب رائحته حتى يلى.

(٢) «فقال» ساقطة من حـ.

(٣) حـ: «يقضي ذمامكم».

(٤) أي ماذا يسمى ذلك.

/ إن كنت قد صغرت أذن الفتى
لا تعجبي إن كنت كشختيه
فطالما صغرت أذنا
فإنما كشخت كشخاناً^(١)

شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية ابن الجوهري

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدثنا سوار بن أبي شراعة، قال:

كان بالبصرة رجل يعرف بابن الجوهري، وكانت له جارية مغنية حسنة الغناء، وكان ابن الجوهري شيخاً هماً قبيح الوجه، فتعشقت فتى كاتباً كان يعاشره ويدعوه، وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مراراً في منزله، وكان عبد الصمد يعاشره، فكان الفتى يكاتمه أمره، ويحلف له أنه لا يهواها، فدخلت عليهما ذات يوم بغتة، فبقي الفتى باهتاً لا يتكلم، وتغير لونه وتخلج في كلامه، فقال عبد الصمد:

لسان الهوى ينطق
ومشاهدة يصدق^(٢)
لقد نمت هذا الهوى
عليك ومما يشفق^(٣)
إذا لم تكن عاشقاً
فقلبك لم يخفق^(٤)
/ ومالك إمّا بدت
تصارف فلا تنطق
أشمت تجللت لنا
أم القمطر المشرق

٥٩
١٢

الغناء في هذه الأبيات لرذاذ، ويقال للقاسم بن زرور، رمل مطلق.

/ قال: ثم طال الأمر بينهما، فهربت إليه جملة، فقال عبد الصمد في ذلك: [٢٣٠/١٣]

إلى امرئ حازم ركبث
فتنة ابن الجوهري لقد
أكذبت بها عزيمة ظهرت
ظفرت فيها بما هو يث
ثم خدود بعد ما لطمت
وعيون لا يُرقآن على
خرجت والليل مُعْتَكِر
وعيون الناس قد جمعت
لم تخف وجداً بعاشقها
أي امرئ عاجز تركت^(٥)
أظهرت نصحاً وقد أفكت
لا تبالي نفس من سفكت
ونجت من قرب من فركت^(٦)
وجيوب بعد ما هتكت
حسني وجه فاتهن بكت^(٧)
لم يهلهن أئمة سلكت
ودجى الظلماء قد حلكت
حُرمة الشهر الذي انتهكت

(١) كشخن الرجل: صار لا يغار واتهم بالديانة، وهي أن يرى الرجل العمل الفاضح في أهله ولا يغار.

(٢) مشهده، وفي كل الأصول: «مشاهده» ولا يستقيم الوزن.

(٣) في كل الأصول: «تم» وهو تصحيف.

(٤) لم يخفق: أي لماذا يخفق.

(٥) في ب، ش: «إلى امرئ».

(٦) فركت: كرهت.

(٧) فاتهن بالتمام، وفي كل الأصول بالنون وهو تحريف.

ورأيت لَمَّا سَقَيْتُ كَمَدًا أَنَّهُا فِي دِينِهَا تَسْكُثُ
مُلِّتُ كَفًّا بِهَا ظَفِيرَتِ دُونَ هَذَا الْخَلْقِ مَا مَلَكَتْ
أَيُّ مَلِكٍ إِذَا خَلَا وَخَلَّتْ فَشَكَأَ أَشْجَانَهُ وَشَكَّتْ
تَجْتَلِي مِنْ وَجْهِهِ ذَهَبًا وَهُوَ يَجْلُو فَضَّةً فَتَكْتُ^(١)
هَكَذَا فَعَمِلَ الْفَتَاةَ إِذَا هِيَ فِي عَشَاقِهَا مُحَكَّتْ^(٢)

هَجَاؤُهُ لِحَارِ لَهُ يَمْشِي مَشْيَةً مُنْكَرَةً

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه، قال: حدثني بعض أصحابنا قال: نظر عبد الصمد بن المعذل إلى جارٍ له يخطِر في مشيته خطرة منكرة، وكان فقيراً رثَّ الحال، فقال فيه:

[٢٣١/١٣]

/ يَتَمَشَّى فِي ثَوْبٍ عَصَبٍ مِنَ الْعُرْ يَ عَلَى عَظْمٍ سَاقِيهِ مَسْدُولٍ^(٣)
دَبَّ فِي رَأْسِهِ خُمَارٌ مِنَ الْجَوِ عِ سُرَى خُمَرَةِ الرِّحِيْقِ الشَّمُولِ^(٤)
فَبَكَى شَجْوَهُ وَحَنُّ إِلَى الْخُدِّ بَزْ وَنَادَى بِزَفْرَةٍ وَعَوِيلِ
مَنْ لِقَلْبٍ مَتَّيْمٍ بِرَغِيْفٍ مِنْ وَنَفْسٍ تَاقَتْ إِلَى طِفْشِيلِ^(٥)
لَيْسَ تَسْمُو إِلَى الْوَلَائِمِ نَفْسِي جَلَّ قَدْرُ الْأَعْرَاسِ عَنْ تَأْمِيلِي^(٦)
هَاتِ لَوْنًا وَقُلْ لَتِلْكَ تَغْنِّي لَسْتُ أَبْكِي لِدَارِسَاتِ الطُّلُولِ^(٨)

رثَاؤُهُ لِأَبِي سَلْمَةَ الطَّقِيلِي

أخبرنا سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ، قال: كان بالبصرة طَفِيلِي يُكْنَى أَبَا سَلْمَةَ، وكان إذا بلغه خبرٌ وليمة لبس لبْسَ القضاة، وأخذ ابْنَهُ مَعَهُ وَعَلَيْهِمَا الْقَلَانِسُ الطُّوَالُ، وَالطَّيَالِسَةُ الرَّقَاقُ^(٩)، فيَقْدَمُ ابْنَهُ، فيدُقُّ الْبَابَ أَحَدُهُمَا وَيَقُولُ: افْتَحْ يَا غَلَامَ لِأَبِي سَلْمَةَ. ثُمَّ لَا يُلْبِثُ الْبَوَابَ حَتَّى يَتَقَدَّمَ لِأَخْرُ، فيقول: افْتَحْ وَيْلَكَ فَقَدْ جَاءَ أَبُو سَلْمَةَ. وَيَتْلُوهُمْ فَيَدُقُّونَ جَمِيعاً الْبَابَ، / وَيَقُولُونَ: بَادِرْ وَيْلَكَ، فَإِنَّ أَبَا سَلْمَةَ وَاقِفٌ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَرَفَهُمْ فَتَحَ لَهُمْ، وَهَابَ^(١٠) مِنْظَرُهُمْ^(٩)، وَإِنْ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ إِيَّاهُمْ قَدْ سَبَقَتْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَهْرٌ مَدُورٌ يَسْمُونَهُ^(١١) «كَيْسَان»، فَيَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَجِيءَ بَعْضُ مَنْ دُعِيَ، فَيَفْتَحُ لَهُ الْبَابَ، فَإِذَا فَتَحَ طَرَحُوا الْفَهْرَ فِي الْعَتَبَةِ حَيْثُ يَدُورُ الْبَابُ، فَلَا يَقْدِرُ الْبَوَابُ عَلَى غَلْقِهِ، وَيَهْجُمُونَ عَلَيْهِ فَيَدْخُلُونَ. فَأَكَلَ أَبُو سَلْمَةَ / يَوْمًا عَلَى بَعْضِ الْمَوَائِدِ لُقْمَةً حَارَّةً مِنَ الْوُذْجِ^(١٢)، [٢٣٢/١٣] وَبَلَعَهَا لَشِدَّةَ حَرَارَتِهَا، فَجَمِعَتْ أَحْشَاؤُهُ فَمَاتَ عَلَى الْمَائِدَةِ، فَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدِلِ يَرِثِيهِ:

(١) فِي الْأَصُولِ: «مِنْ وَجْهِهِ».

(٢) مُحَكَّتٌ: لَجَّتْ وَأَمَعَتْ. وَمِنْ مَعَانِيهِ عَسَرَ الْخَلْقِ.

(٣) الْعَصَبُ: ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ.

(٤) الْخُمَارُ بِضَمِّ الْخَاءِ: أَلَمُ الْخَمْرِ وَصَدَاعُهَا، وَمِثْلُهُ الْخُمَرَةُ بِالضَّمِّ. وَالشَّمُولُ: الْيَارِدَةُ.

(٥) الطَّفْشِيلُ: نَوْعٌ مِنَ الْمَرْقِ، أَوْ ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ. انْظُرْ تَحْقِيقَهُ فِي «حَوَاشِي الْحَيَوَانَ» (٣: ٢٤). س، ش: «الطَّفْشِيلُ».

(٦) التَّأْمِيلُ: التَّثْبِيتُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّظَرِ.

(٧) رَوَى «طُولًا» بِدَلِّ «لَوْنًا».

(٨) الْقَلَانِسُ: أَلْبَسَةُ الرَّأْسِ. وَالطَّيَالِسَةُ: مَلَابِسُ سَوْدَ. وَالرَّقَاقُ هِيَ فِي حَدِّ: «الزَّرَقُ».

(٩) فِي س، ش: «وَهَابَ مِنْظَرُهُمْ» أَمَا فِي حَدِّ حَذَفَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ.

(١٠) الْفَهْرُ: الْحَجَرُ.

(١١) الْفَالُودْجُ: حُلْوٌ مِنَ الْمَاءِ وَالْذَّقِيقِ وَالْعَسَلِ.

أحزان نفسي عليها غير مُنصَرِمة
على صديقي ومولّى لي فُجِئتُ به
كم جفنةٍ مثلِ جوفِ الحوضِ مُثَرَّعةٍ
قد كلَّلتها شحومٌ من قَلْبَتِهَا
غُيِّبَتْ عنها فلم تُعرف له خبراً
ولو تكون لها حيّاً لما بُعِدَتْ
قد كنت أعلم أنّ الأكل يقتله
إذا تعمَّم في شبلِيهِ ثم غدا

وأدْمَعِي من جفوني الذَّهرَ منسَجَمَةً^(١)
ما إنْ لهُ في جميع الصالحين لَمَةً^(٢)
كوماً جاء بها طباخُها رَذَمَهُ^(٣)
ومن سَنَامٍ جزورٍ عَظْمَةٌ سَنِمَهُ^(٤)
لهفي عليك وويلي يا أبا سلمه
يوماً عليك ولو في جاحمٍ حُطَمَهُ^(٥)
لكنني كنت أخشى ذاك من تُخَمَهُ
فإن حوزةً من يأتيه مصطَلَمَهُ^(٦)

شعره في فتي عشقه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه، قال: كان عبد الصمد بن المعدل يتعشق فتي من المغنين، يقال له: أحمد، فغاضبه الفتى وهجره، فكتب إليه:

القصيدة

[٢٣٣/١٣]

سَلْ جَزَعِي مُذْ صَدَدْتَ عَنْ حَالِي
لا غَيْرَ اللهُ سِوَهُ فَعَلَيْكَ بَئِي
ولا ذَمَمْتُ الْبِكَالِي عَلَيْكَ وَلَا
لو كُنْتُ أَبْغِي سِوَاكَ مَا جِهَلْتُ
هل خَطَرُ الصِّبْرِ عَلَى بَالِي
إن كُنْتُ أَعْتَبْتُ فِيكَ عُدَّالِي
جَمَدْتُ حُسْنَ السُّلُوِّ مِنْ سَالِ
نَفْسِي أَنَّ الصُّدُودَ أَعْفَى لِي^(٧)

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

هجاؤه لقينة بصرية

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، فقال:

هجا عبد الصمد بن المعدل قينةً بالبصرة قال فيها:
تَفْشُرُ عَنْ مَضْحَكِ السُّدْرِيِّ إِنْ ضَحَكَتْ
كَرَفَ الْأَتَانِ رَأَتْ إِدْلَاءَ أَعْيَارِ^(٨)

(١) منسجمة: منصبة سائلة.

(٢) اللمة، بالضم: المثل والشكل.

(٣) الكوما: المرتفعة. والرذمة: التي تسيل دسماً.

(٤) الجزور: الناقة المذبوحة. والعبطة: ما ذبحت من غير علة. والسنة: العظيمة السنام.

(٥) الجاحم الحطمة: النار الشديدة.

(٦) الشيلان: عني بهما الولدين. والمصطلمة: المستأصلة.

(٧) أعفى: أطيب وأحسن.

(٨) السدري، غنى به أبا نبرة السدري انظر ص ٢٥٠. كرف الأتان: يقال كرف الحمار وغيره يكرف، شم بول الأتان ثم رفع رأسه وقلب جحفلته. وربما قيل كرفت الأتان. وكل ما شممته فقد كرفته. الإدلاء: يقال أدلى الفرس أو البعير: أخرج ذكره ليبول. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار.

يَقْنُوحُ رِيحٌ كَنِيْفٍ مِنْ تَرَائِبِهَا سَوْدَاءُ حَالِكَةٌ دَهْمَاءُ كَالْقَارِ^(١)
قال: فَكَسَدَتْ وَاللَّهِ تِلْكَ الْقَيْنَةُ بِالْبَصْرَةِ، فَلَمْ تُدْعَ وَلَمْ تُسْتَبَعِ حَتَّى أُخْرِجَتْ عَنْهَا.

عتابه لبعض الأمراء

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رُقْعَةً فَلَمْ يَجِبْهُ عَنْهَا، لِشَيْءٍ كَانَ بَلَّغَهُ عَنْهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:
قَدْ كَتَبْتُ الْكِتَابَ ثُمَّ مَضَى الْيَوْمَ / لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْأَمِيرِ لِمَاذَا
م وَلَمْ أَدِرْ مَا جَوَابُ الْكِتَابِ / لَا يَرَانِي أَهْلًا لِرَدِّ الْجَوَابِ /
لَا تُدْعِنِي وَأَنْتِ رَفَعْتَ حَالِي / ذَا انْخِفَاضٍ بِهِجْرَتِي وَاجْتِنَابِي
إِنْ أَكُنْ مَذْنِبًا فَعَنْدِي رَجُوعٌ / وَبِلَاءٌ بِالْعَذْرِ وَالْإِغْتَابِ
وَأَنَا الصَّادِقُ الْوَفَاءُ وَذُو الْعَهْدِ / سِدِّ الْوُثُوقِ الْمَوْكُودِ الْأَسْبَابِ

هجاؤه للمهلب الذي كان يخدع الفتيات

أخبرني الحرمي بن علي، قال: حدثني أبو الشبل، قال:

كَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، يُقَالُ لَهُ: صَبِيَانَةُ، وَكَانَ لَهُ بَسْتَانٌ سِرِّيٌّ فِي مَنْزِلِهِ، فَكَانَ
يَدْعُو الْفَتَيَاتِ إِلَيْهِ، فَلَا يُعْطِيَهُنَّ شَيْئًا مِنَ الدَّرَاهِمِ، وَيَقْصُرُ بِهِنَّ عَلَى مَا يَحْمِلُنَّهُ مِنَ الْبَسْتَانِ مَعَهُنَّ، مِثْلَ الرُّطْبِ
وَالْبَقُولِ وَالرِّيَاحِينَ، فَقَالَ فِيهِ عَبْدُ الصَّمَدِ قَوْلُهُ^(٢):

قَوْمٌ زِنَاءٌ مَالَهُمْ دَرَاهِمُ / جَذَرَهُمُ النَّمَامُ وَالْحَمَاحِمُ^(٣)
أَنْزَلُ مِنْ تَجَمُّعِهِ الْمَوَاسِمُ / خَشُّوا وَخَشَّتْ مِنْهُمْ الْمَطَاعِمُ
* فَعَدَلُهُمْ إِنْ قَسَتْهُ الْمَظَالِمُ^(٤) *

جزع عبد الصمد من هجاء الجماز

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ سَوَّارُ أَجَازَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

لَمَّا هَجَا الْجَمَازُ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ جَاءَنِي فَقَالَ لِي: أَنْقِذْنِي مِنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ: أَمْثَلُكَ يَفْرُقُ^(٥) مِنَ الْجَمَازِ؟
فَقَالَ: نَعَمْ، لِأَنَّهُ لَا يَبَالِي بِالْهَجَاءِ وَلَا يَفْرُقُ مِنْهُ، وَلَا عِرْضُ لَهُ، وَشَعْرُهُ يَنْفُقُ^(٦) عَلَى مَنْ لَا يَدْرِي. فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى
أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمَا بَعْدَ أَنْ سَارَ قَوْلُهُ فِيهِ:

/ ابْنُ الْمَعْدِلِ مَنْ هُوَ / وَمَنْ أَبَوَاهُ الْمَعْدِلُ
سَأَلْتُ وَهَبَانَ عَنْهُ / فَقَالَ يَبْضُ مَحْوُولٌ^(٧)

(١) الترائب: عظام الصدر، أو ما بين الثديين، أو أربع أضلاع من جانبي الصدر، أو موضع القلادة.

(٢) قوله، ليست في س، ش.

(٣) الجذر: الأصل. والنام نبت طيب مدر. والحماحم: الحبق البستاني العريض الورق.

(٤) ح: «مظالم».

(٥) يفرق: يخاف ويفزع.

(٦) ينفق: يروج ويتشر.

(٧) محول: أي حضنه غير أبويه.

وهبان وعبد الصمد

قال: وكان وهبان هذا رجلاً يبيع الحمام^(١)، فجمع جماعة من أصحابه وجيرانه، وجعل يغشى المجالس، ويخلف أنه ما قال: إن عبد الصمد بيض محوّل، ويسألهم أن يعتذروا إليه؛ فكان هذا منه. قد صار بالبصرة طرفة ونادرة، فجاءني عبد الصمد يستغيث منه، ويقول لي: ألم أقل لك إن آفتي منه عظيمة، والله لدوران وهبان على الناس يحلف لهم: إنه ما قال: إني بيض محوّل، أشد عليّ من هجائه لي. فبعثت إلى وهبان فأحضرتة، وقلت له: يا هذا، قد علمنا أنّ الجمار قد كذب عليك، وعذرناك فنحن لا نتكلف العذر إلى الناس في أمرنا، فلنا قد عذرناك. فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء.

تدخل الحمدوي بين عبد الصمد ومضرطان

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد، قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال: قال لي أبو شراعة القيسي:

بلغ أبا جعفر مضرطان أن عبد الصمد بن المعدّل هجاه، واجتمعا عند أبي وإثلة السدوسي، فقال له مضرطان: بلغني أنك هجوتني. فقال له عبد الصمد^(٢): من أنت حتى أهجوك؟ قال: هذا شر من الهجاء. فوثب إلى عبد الصمد يضربه، فقال الحمدوي، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه، وحمدويه جدّه، وهو الذي كان يقتل الزنادقة:

أَو اقْتَرَحَ عَلَيَّ قِيَّانُ ^(٣)	/ أَلْذَمَ مِنْ صُحْبَةِ الْقَنَانِي	[٢٣٦/١٣]
يُهَسِّدِي لِسَهُ أَهْوَونَ الْهَوَانِ ^(٤)	لَكِزُ فَتَى مِنْ بَنِي لُكَيْزٍ	
يَطْحَنُ قَرْنِيهِ بِالْجِرَانِ ^(٥) /	أَهْوَى لَهُ بِأَزَلٍ خِشْدٌ	١٢
بِالسَّيْدِ طَوْرًا وَيَسَالُلسَانِ ^(٦)	فَنَالَ مِنْهُ ثُوُورٌ قَوْمٌ	١٢
يَضْرِبُ مِنْ خَوْفٍ مَضْرُطَانِ	وَكِسَانٍ يَفْشُرُ فَصَارَ حَقًّا	

قال: وبلغ عبد الصمد شعر الحمدوي، فقال: أنا له. ففرع الحمدوي منه، فقال:

إِذْ قِيلَ إِنَّ ابْنَ الْمَعْدَلِ وَاجِدُ ^(٧)	تَرَحُّ طَعْنَتْ بِهِ وَهَمٌّ وَارِدُ
وَإِنَّ الْمَعْدَلِ مِنْ مِزَاحِي حَارِدِ ^(٨)	هِيَهَاتَ أَنْ أَجِدَ السَّيْلَ إِلَى الْكَرَى

فرضي عنه عبد الصمد.

تهاجي الجمار وعبد الصمد

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا العنزي، قال: حدثني إبراهيم بن عتبة الشكري، قال:

- (١) في س، ش: «يتبع الحمام». وفي ح: «يتبع الجمار» وهو تحريف.
- (٢) الكلام بعده إلى «عبد الصمد» لا يوجد في ح، وزيدت كلمة «فجعل» قبل «يضربه» في ح.
- (٣) في الأصول: «من محنة». القناني: جمع قنينة.
- (٤) اللكز: الضرب. ولكيز كزير ابن أفسى بن عبد القيس. ويهدي بالياء في س، ش أما في ح فبالنون.
- (٥) الخدب بتشديد الباء هو الجمل الشديد الصلب. والقرنان: الجانبان.
- (٦) الثور: جمع ثار.
- (٧) الترح: الهم.
- (٨) الحارِد: الغضبان المغتاظ.

قال لي عبد الصمد بن المعذل، هجاني الجمارُ بَيْتَيْنِ سَخِيفَيْنِ فسارا في أفواه الناس، حتى لم يبق خاصٌّ ولا عامٌّ إلا رواهما، وهما:

ابنُ المعذل مَنْ هو ومَنْ أبوه المعذل
سألتُ وهباًنَ عنه فقال يفضُّ مُحسُولُ

/ فقلت أنا فيه شعراً تركته يحتاجي^(١) فيه كلُّ أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه، وذلك لضعته، وهو قولي: [٢٣٧/١٣]

نسبُ الجَمَّازِ مقصو ر إليـه مُتَّهـاه
يتراءى نسبُ النـا س فمـا يخفـى مـواه
يتحاجي في أبي الجـ مَّاز من هـو كـاتبـاه
ليس يذري مَنْ أبو الجـ مَّاز إلا مَنْ يـراه

شعره في بستان له

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبد الصمد بستانٌ نظيف عامر، فأنشدنا لنفسه فيه:

إذا لم يزرني^(٢) نَدمانيه خلوتُ فنادمتُ بستانيه
فنادمته خضراً مُؤنقاً يُهَيِّجُ لي ذكراً أشجانيه
يقرب مفرحة المُستَلِدُ ويُبْعِدُ همِّي وأحزانيه
أرى فيه مثلَ مداري الطُّبَاءِ تظيلُ لأطلالها حانيه^(٣)
ونورَ أفاح شتيتِ النباتِ كما ابتسمتُ عجباً غانيه^(٤)
ونرجسه مثلُ عين الفتاة إلى وجهِ عاشقها رانيه^(٥)

/ شعره في يزيد والجارية التي عشقها واشتراها

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال:

كان يزيد بن عبد الملك المسمعي يهوى جارية من جواري القيان، يقال لها: عَلِيم، وكان يعاشر عبد الصمد، وي زيد يومئذ شابٌ حديث السن، وكان عبد الصمد يسميها ابني، ويسمي الجارية ابنتي، فباع الفتى بستاناً له في مَعْقِل، وضبعة بالقندل^(٦)، فاشتري الجارية بثمنها، فقال عبد الصمد:

بُيِّتِي أصبححتُ عَرُوساً تُهْدِي من ابني إلى عروس
زُفْتُ إليه لخيرٍ وقتٍ فاجتمعنا ليلة الخميس

(١) يتحاجي: يتفاطن، من الأحجية، وهي مثل اللغز في الكلام.

(٢) في الأصول: «إذا لم يزرنا». والندمان، بالفتح: التديم على الشراب، والندماء أيضاً.

(٣) المداري: القرون. والطلا بالفتح: ولد الظبي ساعة يولد، وهو أيضاً الصغير من كل شيء.

(٤) النور: الزهر. والأفاحي: جمع أقموانة، نبت تشبه به الأسنان.

(٥) الرانية من رنا: إذا أدام النظر في سكون.

(٦) نهر معقل: نهر معروف بالبصرة، منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني. والقندل: موضع بالبصرة ذكر في أخبار مكة.

يا معشرُ العاشقين أنتم بالمنزل الأرذل الخسيس
يزيدُ أضحى لكم رئيساً فاتبعوا منهج الرئيس
من رام بلاءً لرأسٍ أير ذل نفساً بحل كيس^(١)

هجاؤه للجهاز وأبي قلابه

/ أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني يزيد بن محمد المهلب، قال:

١٢

بلغ عبد الصمد بن المعذل أن أبا قلابه الجرمي تدسّس إلى الجهاز لما بلغه تعرّضه له، وهجاؤه إياه، فحمّله على الزيادة في ذلك، ويضمن له أن ينصره ويعاضده، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قلابه حتى أفحمه، فقال عبد الصمد فيهما:

يا من تركت بصخرة صمّاء هامت أميمه^(٢)
إن الذي عاضدته أشبهته خلُقاً وشيمه^(٣)
وكفعل جدّتك الحديد ثمة فعل جدّته القديمه
فتناصر، فابن اللثيم مة ناصراً لابن اللثيمه

[٢٣٩/١٣] / عتابه لصديق ارتفعت حاله

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيّن، قال: كان لعبد الصمد بن المعذل صديق يعاشره ويأنس به، فتزوّج إليه أمير البصرة، وكان من ولد سليمان بن علي، فبُلى الرجل وعلا قدره، وولاه المتزوّج إليه عملاً، فكتب إليه عبد الصمد:

أحلت^(٤) عمّا عهدت من أدبك أم نلت ملكاً فتهت في كُتّيك
أم هل ترى أن في مناصفة الإخ وان نقصاً عليك في حسبك
أم كان ما كان منك عن غضبٍ فأني شيء أدناك من غضبك^(٥)
إن جفّاء كتاب ذي ثقة يكون في صدره «وأمتع بك»
كيف بإنصافنا لديك وقد شاركت آل النبي في نسبك
قل للوفاء الذي تقدّره نفسك عندي مللت من طلبك
أتعبت كفتيك في مواصلي حسبك ماذا كفيت من تعبك

فأجابه صديقه:

كيف يحول الإخاء يا أملّي وكل خير أنال من نسبك^(٦)

(١) في الأصول: «ذلك نفساً لحل».

(٢) الأميم: المشجوج الرأس، الذي بلغت الطعنة أم دماغه.

(٣) الشيمة: الطبع والسجية. س، ش: «وسيمه». والسيمة: العلامة.

(٤) حلت: تغيرت.

(٥) في الأصول: «عن غضبك».

(٦) في الأصول: «كيف أحول».

إن يك جهل أتاك من قبلي
فأمن بفضل علي من أدبك
أنكرت شيئاً فليست فاعله
ولا تراه يخط في كتبك

هجاؤه لصديق كلوب

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

كان لعبد الصمد بن المعذل صديق كثير الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومطله به مطلاً طويلاً، فقال عبد الصمد:

لي صاحب في حديثه البركة
لوقال «لا» في قليل أحرفها
يزيد عند التكون والحركة
لرذها بالحروف مشتبه^(١)

/ شعره في هجاء بن المنجاب

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني سوار بن أبي شراة، قال:

كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يعاشر عبد الصمد بن المعذل، ويجتمعان في دار رجل من بني المنجاب له جارية مَغْنِيَّةٌ، وكان ينزل رجة المنجاب بالبصرة، ثم استبد بها الهاشمي دون عبد الصمد، فقال فيهم عبد الصمد:

قل ليحيى^(٢) ملئت من أحبابي
قد تركنا تعشق المزدلماً
وشئنا المؤاجرين فعلنا
حبذا قينة لأهل بني المند
صدقت إذ يقول لي خلق الأح
حبذا تلك إذ تغنيك يا يح
«ذكر القلب ذكره أم زيد
حبذا إذ ركبتهما فتجافت
وتغئت وأنت تدفع فيها
«إن جئني عن الفراش لناب
ليت شعري هل أسمعن إذا ما

فليكنهم ما شاء من أصحابي
أن يكوننا تنعم العزَاب
بعد خبر إلى وصال القحاب^(٣)
جواب حلت في رجة المنجاب
راح ليس الفقاح للأزياب^(٤)
يى وتنفيك من ثايا عذاب
والمطايا بالسهب الركاب^(٥)
تشكى إليك عند الضراب
غير ذي خيفة لهم وارتقاب
كتجافي الأسر فوق الطراب^(٦)
زاح عني وساوس الكتاب

(١) مشتبه، في كل الأصول «مستكة» وهو تحريف.

(٢) في الأصول: «ملكيت» تحريف.

(٣) شئنا: أبغضنا. حد: «شئنا» صواب هذه بالفاء. المؤاجر: الذي ينال الأجر لقاء الاستمتاع به. والخبر: الاختبار. وفي الأصول: «بعد خير» تحريف.

(٤) الأحراج: الفروج. والفقحة: حلقة الدبر.

(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٩٩. والسهب: موضع.

(٦) الأسر: البعير به ورم في جوفه. والطراب: جمع ظرب ككتف، وهو ما نتأ من الحجارة وكان طرفه حاداً. وهذا البيت لمعد يكره، كما في «اللسان» (مكرر).

مِنْ فِتَاةٍ كَأَنَّهَا خَوْطٌ بَانٍ / إِذْ تُغْنِيكَ خَلْفَ سَجْفَرٍ رَقِيقٍ
مَجَّ فِيهَا النِّعَمُ مَاءَ الشَّبَابِ^(١) / نَعَمَاتٍ تَحْبُّهَا بَصَوَابُ^(٢)
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقُ جَنَاحِي^(٣) / فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ سَحَابِ^(٤)
رَبِّ شَعَرٍ قَدْ قَلَّتْهُ بَتْبَاهِ^(٥) / وَيُغَرِّى بِهِ ذُوو الْأَلْبَابِ^(٦)
قَدْ تَرَكْتُ الْمَلْحَنِينَ إِذَا مَا / ذَكَرُوهُ قَامُوا عَلَى الْأَدْنَابِ^(٧)

قال: وشاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية من معاشرته الهاشمي، وقطعه بعد ذلك.

ما وقع بينه وبين ابني هشام الكرنباني وشعره في ذلك

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن يحيى بن يحيى، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْلِ الْعَنْزِي، قال: حدثني أحمد بن صالح الهاشمي، قال:

كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمان مائلاً إلى عبد الصمد بن المعدل، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني، فجرى عن ابني هشام الكرنباني - وهما أبو وائلة وإبراهيم - وبين الحر بن عبد الله، لحاء في أمر عبد الصمد، لأنهما ذكراه وسبّاه، فامتنع له الحسين وسبّهما عنه، فرمى الحسين بابن المعدل، ونسباه إلى أن عبد الصمد يرتكب القبيح، وبلغ الحسين ذلك، فلقيهما في سكة الميزد، فشدا عليهما بسوطه وهو راكب، فضربهما ضرباً مبرحاً، وأفلت أبو وائلة، ووقع سبب^(٨) السبوط في عين إبراهيم، فأثر فيها أثراً قبيحاً، فاستعان بمشيخة من آل سليمان بن علي، وهرب أبو وائلة إلى الأمير علي بن عيسى وهو والي البصرة، فوجّه معه / بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه وهرب حسين إلى المحدث^(٩)، فلما كان من الغد جاء حسين إلى صالح بن إسحاق بن سليمان، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان، ومشيخة من آل سليمان، فصاروا معه إلى علي بن عيسى، وأقبل عبد الصمد بن المعدل لما رآهم، فدخل معهم لنصرة حسين، فكلموا علي بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد، فقال: أصلح الله الأمير، هؤلاء أهلك، وأجلّة أهل مصر^(١٠)، تصدّوا إليك في ابنهم وابن أخيه،^(١١) و [هو و] إن كان حدثاً لا ينسبط للحجة بحدائثه^(١٢)، فإن ها هنا من يُعبّر عنه، وقد قلت أبياتاً، فإن رأى / الأمير أن يأذن^(١٣) في إنشادها ففعل. قال: قل. فأنشده عبد الصمد قوله:

يا ابنَ الخلائف وابنَ كلِّ مُبَارِكٍ / رأسَ الدّعائم سابقَ الأغصان
إنّ العلوج على ابنِ عمك أصفقوا / فأتوك عنه بأعظم البهتان^(١٤)
قرّفوه عندك بالتعدّي ظالماً / وهم ابتدؤوه بأعظم العدوان

(١) الخوط، بالضم: الغصن الناعم.

(٢) السجف: الستر. وفي الأصول: «سحق».

(٣) المحقق: المحكم النسخ من الثياب، أو الذي له وشم على صورة الحق. والمجند: بلد من بلاد اليمن.

(٤) في الأصول: «يتساه». يغري: من التغرية، وهي بمعنى الإغراء. يقال أغراه بالشئ وغراه به تغرية.

(٥) في الأصول: «الملتحن».

(٦) السبب: ذرابة السوط. حد: «شيب» وفي سائر النسخ «سبب» صوابه ما أثبتنا.

(٧) المحدث بضم الميم: ماء ونخل في بلاد العرب، ولها جبل يسمى عمود المحدث.

(٨) أجلّة، كذا وردت في النسخ. وصوابها وقياسها «جلة».

(٩) في س، ش: «لا ينسبك للخسة»، صوابه في حد.

(١٠) يأذن، وردت في حد: «يأذن لي».

(١١) العلوج: جمع عالج وهو كبير العجم. أصفقوا: اجتمعوا.

[٢٤٣/١٣]

شَتَمُوا لَهُ عِرْضًا أَغْرَ مُهَذَّبًا
وَسَمَوْا بِأَجْسَامٍ إِلَيْهِ مَهِينَةٍ
خُلِقَتْ لِمَدِّ الْقُلُوبِ لَا لِتَنَاقُلِ
لَمْ يَحْفَظُوا قَرِيبَاهُ مِنْكَ فَيَتَّهَوَا
/ أَيْدِي مَظْلُومًا وَجَدُّكَ جَدُّهُ
وَيُنَالُ أَقْلَفٌ، كَرِبْلَاءُ بِلَادُهُ،
إِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تُنَالَ بِكَ التِّي

فدعا علي بن عيسى حُسَيْنًا، فضمه إليه، فقال: انصرف مع مشايخك. ودعا بهشام الكرباني وابنيه، فعَذَلَهُمْ^(٣) في أمره، ثم أصلح بينهم بعد ذلك.

عنه لعبد الله بن المسيب

أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: كان عبد الصمد بن المعدل يعاشر عبد الله بن المُسَيَّب ويألفه، فبلغه أنه اغتابه يوماً وهو سكران، وعاب شيئاً أنشده من شعره، فقال فيه وكتب بها إليه:
عَثَبِي عَلَيْكَ مُقَارِنُ الْعُذْرِ
لَكَ شَافِعٌ مَنِّي إِلَيَّ فَمَا
لَمَّا أَتَانِي مَا نَطَقْتَ بِهِ
حَاشَا لِعَبْدِ اللَّهِ يَذْكُرْنِي
إِنْ عَابَ شَعْرِي أَوْ تَحَقَّقَهُ
يَا ابْنَ الْمَسِيْبِ قَدْ سَبَقَتْ بِمَا
فَمَتَى خُمِرْتَ فَأَنْتَ فِي سَعَةِ
تَسْرُكُ الْعَتَابِ إِذَا اسْتَحَقَّ أَخُ

فقد زال عند حفيظتي صبري^(٤)
يَقْضِي عَلَيْكَ بِهَفْوَةٍ فَكْرِي
فِي الشُّكْرِ قُلْتُ جَنَائِدَ السُّكْرِ
مُسْتَعْلِبًا بِنَقِيصَتِي ذِكْرِي
فَلَيْتَنِي مَا عَابَ مِنْ شَعْرِي
أَصْبَحْتَ مَرْتَهَنًا بِهِ شَكْرِي
وَمَتَى هَفَوْتُ فَأَنْتَ فِي عَذْرِ
مِنْكَ الْعَتَابِ ذَرِيعَةُ الْهَجْرِ

[٢٤٤/١٣]

/ هجاءه لشروين المغني

أخبرني الأخفش، قال: حدثنا المبرِّد، قال:

دعا عبد الصمد بن المعدل شروين المغني، وكان مُحْسِنًا متقدِّمًا في صناعته، فتعَالَكَ عليه ومضى إلى غيره، فقال عبد الصمد: والله لأَسِمَّتْهُ مِيسَمًا لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلَّا بعد أن يبذل عِرْضَهُ وحريمَهُ. فقال فيه:
مَنْ حَلَّ شُرُوبِينَ لَهُ مِنْزِلًا
فَلَيْسَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْتِهِ
فَلَتَنْتَهَهُ الْأُولَى عَنْ الثَّانِيَةِ
إِلَّا فَتَنِي فِي بَيْتِهِ زَانِيَةِ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ إلى أن خرج إلى بغداد وسرَّ مَنْ رَأَى.

(١) القلس: الحبل الضخم من ليف أو خوص أو غيرها. عنى أنهم ملاحون ضعاف الشأن.

(٢) الألف: الذي لم يخن.

(٣) عذله: لا مهم.

(٤) في حد: قد زاد عنك حفيظتي نصري.

هجاء أبي قلابة لأبي رهم

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن العباس العسكري، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا الفضل بن أبي جرزة، قال:

كان أبو قلابة الجرمي وعبد الصمد بن المعدل وعبد الله / بن محمد بن أبي عيينة المهلبّي أرادوا المسير^(١) إلى بيت بحر البكرائي، وكانت له جارية مغنية، يقال لها: جبلة^(٢)، وكان أبو رهم إليها مائلاً يتعشّقها، ثم اشتراها بعد ذلك، فلما أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رهم، فأدخلوه وحدّه وحجّبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة، فقال أبو قلابة: لا بدّ أن نهجوّ أبا رهم. فقالوا: قل. فقال:

أنا	قل لأبي رهم	سيهوى	نعتك	الوصف
كما	حالفك	الغني	جانبك	الظرف
أنا	أهدى	إلى	بحر من	الشغف ^(٣)
/ حزيمات	من	الصير	فهلأ	معهُ
فنادوا	اقسمي	فينا	فقد	جاءكم
				اللطف ^(٥)

[٢٤٥/١٣]

سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم

فقال له عبد الصمد: سخنت عينك أينس هذا الشعر، بمثل هذا يهجي من يراؤ به الفضيحة. فقال أبو قلابة: هذا الذي حضرني، فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله وأجود. فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم، وأوّل قصيدة هجاء بها^(٦) قوله:

دعوا الإسلام وانتحلوا المجوسا	وألّفوا الرئيظ واشتملوا القلوسا ^(٧)
بني العبد المقيم بنهر تيرى	لقد أنهضت طيركم نحوسا ^(٨)
حرام أن يبيت لكم نزيل	فلا يُمسي بأمكم عروسا
إذا ركّد الظلام رأت عسّيلاً	يُحسّ على نداماه الكوسا ^(٩)
ويذكرهم أبو رهم بهجو	فيستدعي إلى الحرم الثقوسا
ويخلّهم هشام بالغوانسي	ويحمي الفضل بينهم الوطيسا ^(١٠)

(١) في حد: «المصير».

(٢) جبلة هي في حد: «جيل».

(٣) الشغف، بالفتح والتحريك: أن يبلغ الحب شغاف القلب. وفي البيت إقواء.

(٤) الحزيمات: جمع حزيمة. وفي كل الأصول بالخاء المعجمة. والصير: سمكات مملوحات.

(٥) اللطف، بالضم والتحريك: البر والتكرمة والتجفي.

(٦) في الأصول: «هجاها».

(٧) الرئيظ جمع ربيعة: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة. والقلس: الحبل الضخم من حبال السفينة.

(٨) نهر تيري: بلد في الأهواز حفره أردشير الأصغر.

(٩) عسيل: اسم علم.

(١٠) الوطيس: التنور. ويقال حمى الوطيس: اشتدّت الحرب.

فتسمع في البيوت لهم هيباً
لقد كان الزناة بلا رئيس
هم قبلوا الزناء وأنشووه
لئن لم تنف دعوتهم سدوس
كما أهملت في الزرب التيساً^(١)
فقد وجد الزناة بهم رئيساً
وهم سمووا بجبهته حيساً^(٢)
لقد أخزى الإله بهم سدوساً

/ وقال فيه :

لوجاد بالمال أبوهم
أضحى وما يُعرف مثل له
من بر بالحرمة إخوانه
كجوده بالأخت والام
وقيل أسخى العرب والعجم
أحس أن يشكر بالشتيم^(٣)

وله فيه من قصيدة طويلة :

هو والله مُنصِفٌ
يقسيم الأيسر عادلاً
زوجّه زوج زوجته
بين جرهما وفقحته

وصف عبد الصمد لنزّهة

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدثنا العتري، قال : حدثني أبو الفضل بن عبدان، قال :
خرج عبد الصمد بن المعدل مع أهله إلى نزّهة وقال :

/ قد نزلنا بروضة وغدير
بعريش ترى من الزاد فيه
وغريسن يطربان الندامى
غنياني، فغنياني بلحن
« لا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فُلُقِ الْـ
حَيِّ ذَا الزَّوَرِ وَانْهَهُ أَنْ يَعُودَا
/ من يزُزنا يجذ شواء حُبَارَى
وهجرنا القصر العنيف المشيدا^(٤)
زُكْرَتْنِي خَمْرَةً وَصَقْرًا صَيُودَا^(٥)
كلما قلت أدياً وأعيدا^(٦)
سلس الرّجّع يصدع الجلمودا
صُبْحَ مَغِيرًا وَلَا دُعِيْتُ يَزِيدَا^(٧)
إِنْ بِالْبَابِ حَارِسِينَ قَعُودَا^(٨)
وقديراً رخصاً وخمراً عَتِيدَا^(٩)

(١) الهيب: صوت التيس عند السفاد. والزرب بالزاي: موضع الغنم. وفي كل الأصول بالبدال، تحريف. والتيس: الذكر من الظباء والمعز والوعول أو إذا أتى عليه سنة.

(٢) قبلوا الزناء: كانوا له كالقابلة، وهي التي تتلقى المولود. وفي كل الأصول: «اقتلوا الزناة». والإنشاء والتشنة: الترية. والحيس: الموقوف، أي وضعوا علامة على وجهه ليعلم أنه حيس.

(٣) العبارة تهكم. وفي الأصول: «استحق أن يسكر».

(٤) العنيف: المرتفع. والمشيد: ما طلي بالجص ونحوه.

(٥) الزكرة، بالضم: زقيق للشراب. وفي الأصول: «ذكرتي» بالذال المعجمة، تحريف.

(٦) الغريز: من لا تجربة له.

(٧) السوام: الإبل الراعية.

(٨) الزور: الزائر، ويطلق كذلك على الزوار والزائرين.

(٩) الحباري: طائر للذكر والأنثى والواحد والجمع وألفه للتأنيث. والقدير بفتح القاف وكسر الدال: ما يطبخ في القدر. والرخص: اللين.

وكراماً معذلين وبيضاً
خلعوا العذر يسحبون البروداً^(١)
لست عن ذا بمقصرٍ ما جزائي
قربت لي كريمة عنقوداً^(٢)

شعره في الأفشين وهو غلام أمرد

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: نظر عبد الصمد بن المعذل إلى الأفشين يسر من رأى وهو غلام أمرد، وكان من أحسن الناس، وهو واقف على باب الخليفة مع أولاد القواد، فأنشدنا لنفسه فيه، قال:

أيها اللا حظي بطرفٍ كليل
هل إلى الوصل بيننا من سبيل
علم الله أنني أتمنى
زورة منك عند وقت المقييل
بعد ما قد غدوت في القرطق الجو
ن تهادي وفي الحسام الصقييل^(٣)
وتكفيت فسي المواكب تختا
ل عليها تميل كل مميل^(٤)
وأطلت الوقوف منك بيا
ب القصر تلهو بكل قال وقيل
وتحدثت في مطاردة الصي
سد بخبر به ورأى أصيل^(٥)
ثم نازعت في السنان وفي الرم
ح وعلم بمرفقات النصول^(٦)
وتكلمت في الطراد وفي الطع
من ووثب على صعب الخيول^(٧)
فإذا ما تفرق القسوم أقبل
ست كريحانة دنت لذبول^(٨)
قد كساك الغبار منه رداء
فوق صُدغ وجفن طرف كحيل
ويحدث ورده القسامه من خ
سذك في مشرق نقى أسيل^(٩)
ترشح المسك منه سالفه الظب
سي وجيد الأمانة العطبول^(١٠)
فأسوف الغبار ساعة ألقا
ك برشف الخدين والتقييل^(١١)
وأحل القباء والتيف من خص
رك رفقا باللطف والتعليل^(١٢)
ثم توتى بما هويت من التش
سريف عندي والبر والتبجيل

[٢٤٨/١٣]

(١) المعذل: من يعذل كثيراً لإفراط جوده. وفي الأصول: «معدلين». والعذر مع تسكين الذال للشعر: جمع العذار، وهو من اللجام ما سال على خذ الفرس. كناية عن عدم الحياء.

(٢) في الأصل: «لما قربت».

(٣) القرطق: القباء، معرب كرتة. والجون بفتح الجيم: الأبيض والأسود، من الأضداد.

(٤) تكفيت: أي تكفأت وتمايلت.

(٥) الخبر، بالضم والكسر: العلم بالشيء. في الأصول: «بخبرة».

(٦) في ح: «في السنان وفي الدرع».

(٧) الطراد: مزاوله الصيد.

(٨) الوردة، بالضم: الحمرة. والقسامة: الحسن. وفي الأصول: «البشامة».

(٩) السالفة: ما تقدم من العنق. والأمانة، بالضم: الشديدة السمرة. والعطبول: المرأة الفتية الجميلة الممثلة الطويلة العنق.

(١٠) السوف: الشم.

(١١) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، وقيل يلبس فوق القميص ويتملى عليه. والتعليل: يقال علله بطعام وغيره، إذا شغله.

ثم أجلوك كالعروس على الشر
ثم أسقيك بعد شربي من ري
وأغنيك إن هويك غناء
لا يزال الخلخال فوق الحشايا
/ فإذا ارتاحت النفوس اشتياقاً
كان ما كان بيننا، لا أسمي
ب تهادي في مجسد مصقول^(١)
حك كاساً من الرحيق الشمول^(٢)
غير مستكره ولا مملول
مثل أثناء حية مقتول
وتمسى الخليل قرب الخليل
— ولكنّه شفاء الغليل

٣٨
١٢

/ شعره في متيم وما جرى بينه وبين ابن أكرم بسبب ذلك

[٢٤٩/١٣]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني الحسن بن عليّ العنزيّ والمبرد وغيرهما، قالوا: كانت متيمّ جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة، فعلقها عبد الصمد بن المعدل، وكانت لا تخرج إلا مُتَّعِبَةً، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهة، وقدمت متيمّ إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي، فاحتاج إلى أن يُشهد عليها، فأمرها بأن تُسفر، فلما قدم عبد الصمد قيل له: لو رأيت متيمّ وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم ير مثله. فقال عبد الصمد قوله:

ولما سرت عنها القناع متيمّ
رأى ابن عبيد الله مُحَكَّكُمُ
وكان قديماً كالح الوجه عابساً
فإن يضرب قلب العنبريّ فقلبه
تبرّج منها العنبريّ متيمّاً
عليها لها طرفاً عليه محكماً
فلما رأى منها السفور تبسّماً
صبا باليتامى قلب يحيى بن أكرما

فبلغ قوله يحيى بن أكرم، فكتب إليه: عليك لعنة الله، أي شيء أردت مني حتى أتاني شعرك من البصرة؟ فقال لرسوله: قل له: متيمّ أقعدتك على طريق القافية!

هجاؤه لأخيه أحمد بن المعدل

أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني عبد الله بن أحمد العبدّي، قال: حدثني الأنيسي، قال:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعدل، وكان خرج من البصرة على أن يغزو، فلما دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده:

أفضلت نعلي على قوم رعيت لهم
/ وحرمة القصدي بالأمال إنهم
لأنت أكسرهم منه عند رفعته
حقاً قديماً من الود الذي درسا^(٣)
أتوا سواك فما لاقوا به أنسا
قولاً وفعلًا وأخلاقاً ومُغْتَرِسا^(٤)

[٢٥٠/١٣]

(١) المجسد: الثوب المعصفر بالزعفران.

(٢) الشمول: الباردة.

(٣) درس: عفت آثاره وزالت معالمه لقدمه.

(٤) المغترس: عني به الأصل..

فأمر له بخمسمائة دينار، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثَّغَر، وبلغ عبد الصمد خبره، فقال فيه:

يُرى الغزاة بأن الله هَمُّهُ وإنما كان يَغزو كَيْسَ إِسْحاقِ
فباع زُهْداً ثواباً لا نَفَادَ لَهُ وأبتاعَ عاجلَ رِفْدِ القومِ بِالْباقِي^(١)

صلة إسحاق بن إبراهيم لعبد الصمد

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال: قد مسنا أبو السم عبد الصمد بشيء من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أبا الأمير إلا كرمًا وظرفًا.

هجاؤه لأبي نبقة

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْلٍ، قال: حدثني الحسن الأسدي، قال: قدم أبو نبقة من البحرين وقد أهدى إلى قوم من أهل البصرة هداياه، ولم يُهدِ إلى عبد الصمد شيئاً فكتب إليه:

أما كان في قَسْبِ اليمامةِ والتمر وفي أَدَمِ البحرينِ والنَّيْقِ الصُّفْرِ^(٢)
ولا في مناديل قَسَمْتَ طريفها وأهديتها حَظًّا لنا يا أبا بكر
سَرَتْ نحو أقوامٍ فلا هَنَأَتْهُمْ ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثري
أَنْتَ إلى طالوتِ ذي الوفْرِ والغنى وآل أبي حربِ ذوي النَّشْبِ الدُّثْرِ^(٣)
/ ولم تأتني ولا الرياشي تَمْرَةً غَضِصَتْ بياقي ما أَدْخَرْتَ من التمر^(٤)
ولم يُعْطَ منها النهشلي إداوةً تكون له في القَيْظِ ذُخْرًا مَدَى الدهر^(٥)
أقول لفتيانٍ طويثُ لطيهم عُرَى البيدِ، منشورَ المخافةِ والذعر^(٦)
لئن حُكِمَ السدريُّ بالعدل فيكم لما أنصف السدريُّ في ثَمَرِ السدرِ
لئن لم تكن عيناك عذرك لم تكن لدينا بمحمودٍ ولا ظاهرٍ العذرِ

[٢٥١/١٣]
٦٩
١٢

هجاؤه يزيد المهلي ونسبه إلى الشؤم

أخبرنا الحسن بن عُلَيْلٍ، قال: حدثنا أحمد بن يزيد المهلي، قال:

وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعدٌ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم، وكان يقال ذلك في عبد الصمد، فقال فيه:

يقول ذوو النَّشْؤِ ما لقينا كما لقى ابن سهلٍ من يزيد

(١) الرغد: العطاء.

(٢) القسب: التمر اليابس. والأدم جمع أديم، وهو الجلد. والنبيق: حمل شجر الدر، الواحدة نبقة.

(٣) أنت بهمة الاستفهام أي أنتسب إلى طالوت ذي الوفْرِ. والنشب: المال الأصيل من الناطق والصامت. والدثر بالفتح: المال الكثير، لا ينثى ولا يجمع، وقيل هو الكثير من كل شيء.

(٤) غص بالماء والطعام: اعترض في حلقه شيء ومنعه من التنفس.

(٥) الإداوة: إناء يتطهر به. وفي الأصول: «من الدهر».

(٦) طيهم: نيتهم التي اتتوها.

أنته مئة المأمون لما
فصير منه عسكره خلا
فقلت لهم وكم مشؤوم قوم
رايت ابن المعذل يال عمرو
فمنه موت جلة آل سلم
ولم ينزل بدار ثم يمسي
وكل مديح قوم قال فيهم
إذا رجل سمع منه مدحاً
/ فلو حصف الذين يبيع فيهم
فليس العز يمنع منه شوماً

أتاه يزيد من بلد بعيد
وفرّق عنه أفواج الجنود
أباد لهم عديداً من عديدي
بشؤم كان أسرع في سعيدي
ومنه قض آجام البريد^(١)
ولما يستمع لطم الخدود
فإن بعقبه «يا عين جودي»
تنمّ منه رائحة الصعيد^(٢)
أثاروا منه رائحة الطريد^(٣)
ولا عتياً بأبواب الحديد^(٤)

[٢٥٢/١٣]

هجاؤه لأخيه أحمد

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

مرّ أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد وهو يخطر، فأنشأ يقول:

إن هذا يرى أرى أنته ابن المهلب
أنت والله مُعْجِبٌ ولنا غير مُعْجِب

شعره في غلام له يدعى المغيرة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أبي وغيره، وحدثني به بعض آل المعذل، قال:

مرّ عبد الصمد بن المعذل بغلام يقال له: المغيرة، حسن الصوت حسن الوجه، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأعجب به، وقال فيه:

أيها الرافع في المسد جد بالصوت العقيـره
قتلتني عيناك النجـد سلاء، والقتل كـيـره
أيها الحكم أنتـم فاصلّو حكم العشيـره
أحلاًلاً ما بقلبي صنعت عينا مُغيـره

قصيدة له في صفة الحمى

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران بن يحيى، قال:

(١) القبض: الهدم. وفي جميع الأصول: «قبض» ولعل الصواب ما أثبتنا. والآجام: الحصون.

(٢) الصعيد: القير.

(٣) الحصف: الإقصاء والطرْد. أثاروا: هيجوا. والطرْد: ما يطرد.

(٤) العتب: جمع عتبة، وهي أسكفة الباب وما يدور عليه، وقد عتب عبد الله بن جابر.

[٢٥٣/١٣] / جاءنا عبد الصمد بن المعدل إلى منزل محمد بن عمر الجرجاني، فأنشدنا قصيدة له في صفة الحمى، فقال لي محمد بن عمر: أمض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها. فمضيت إليه حتى كتبتها، / وهي:

هَجَرْتُ الصَّبَا إِيْمَا هَجَرَهُ وَعِفْتُ الْغَوَائِي وَالْخُمَرَهُ
طَوْتُنِي عَنْ وَصْلِهَا سَكْرَهُ بِكَأْسِ الضَّنَا إِيْمَا سَكْرَهُ

هجاؤه لأبي تمام

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال: جَمَعَ بين أبي تمام الطائي وبين عبد الصمد بن المعدل مجلس، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه:

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ تَبْرُزُ لَنَا سِ، وَكَلْتَاهُمَا بِوَجْهِ مُذَال^(١)
لَسْتَ تَنْفُكُ طَالِباً لَوْصِلِ مِنْ حَيْبٍ أَوْ طَالِباً لِنَوَالِ
أَيُّ مَاءٍ لِحَرٍّ وَجْهَكَ يَبْقَى بَيْنَ ذُلِّ الْهَوَى وَذُلِّ السَّوَالِ

هجاء أبي تمام له

قال: فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلاً، وجاء به وقد كتب فيه:

أَفْسِي تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفَنَدِ وَأَنْتَ ابْرُزُ مِنْ لَا شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ^(٢)
أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ مِنْ بُغْضِي عَلَى حُرْقٍ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ أَرْوَحٍ فِي الْجَسَدِ^(٣)

نقد عبد الصمد لأبي تمام

فقال له عبد الصمد: يا ماصّ بظُر أمّه، يا غث، أخبرني عن قولك «أنزر من لا شيء»، وأخبرني عن قولك [٢٥٤/١٣] «أشرجت قلبك»، قلبي مفرش أو عيبة^(٤) أو حُرْج / فأشرجه، عليك لعنة الله فما رأيت أغث منك. فانقطع أبو تمام انقطاعاً ما يرى أقيح منه، وقام فانصرف، وما راجعه بحرف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابن مهرويه تحامل على أبي تمام لا يضُرُّ أبا تمام هذا منه، وما أقل ما يقدح مثل هذا في مثل أبي تمام.

هجاء عبد الصمد لرجل من ولد جعفر

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني العنزي، قال:

كان عبد الصمد بن المعدل يستقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش، وكان له ابن أنقل منه، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو - وكان يخلف بعض أمراء البصرة - وكان الفراش هذا يصلي به، ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصمد بن المعدل:

غَدَرَ الزَّمَانُ وَلِيَّتَهُ لَمْ يَغْدِرْ وَحَدَا بِشَهْرِ الصَّوْمِ فَطَرُ الْمَفْطَرِ

(١) المذل: المهان، أذاله: أهانه.

(٢) الفند: الكذب.

(٣) أشرجت العيبة: شدتها بخيط أو نخره. وفي ح بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٤) العيبة: الحقيبة من جلد: وما يوضع فيه الثياب.

[٢٥٥/١٣]

٧١
١٢

وثوَّت بقلبك يا محمَّدُ لوعةً
وتقسمتك صبا بستان لبينيه
فاستبق عينك واحش قلبك يأسه
سقياً لدهرك إذ تروَّح يومه
حتَّى تُنِيخ بكل كل متزاوٍ
/ وتروِّد منك على الخوان أنامل
ويُح الصُّحاف من ابن فَرَّاش إذا
ذو دُرْبَة طَبَّ إذا لمَعَتْ له
ودَّ ابنُ فَرَّاش وفرَّاش معاً
يُزري على الإسلام قِلَّةَ صبره
/ لا تَهْلِكَنَّ على الصَّيام صبابه
لا درْ دُرْك يا محمَّدُ من فتى

تَمْرِي بِوَادِرِ دَمْعِكَ الْمُتَحَدِّرِ^(١)
أَسْفُ الْمَشُوقِ وَخَلَّةِ الْمُتَفَكِّرِ^(٢)
وَأَفْرَ السَّلَامِ عَلَى خُوانِ الْمُنْذِرِ^(٣)
وَالشَّمْسِ فِي عِلْيَاءَ لَمْ تَهْوَرِ^(٤)
وَتَمَدَّ بُلْعُوماً قُمُوصَ الْحَنْجَرِ^(٥)
تَدْعُ الْخَوَانَ سَرَابَ قَاعٍ مَقْفَرِ^(٦)
أُنْحَى عَلَيْهَا كَالْهَزِيرِ الْهَيْصَرِ^(٧)
يُنْرُ الْخَوَانَ بَدَا بِحَلِّ الْمُنْزَرِ^(٨)
لَوْ أَنَّ شَهْرَ الصَّوْمِ مَدَّةُ أَشْهَرِ
وَتَرَاهُ يَحْمَدُ عِدَّةَ الْمُتَنَصِّرِ
سَيَعُودُ شَهْرُكَ قَابِلًا فَاسْتَبْشِرِ
شَيْنَ الْمَغِيبِ وَغَيْرِ زَيْنِ الْمُخْضَرِ

هجاءه ليزيد المهلبى

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد البصري وكان جارا لعبد الصمد بن المعدل، قال: كان يزيد بن محمد المهلبى يُعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسأه، ويرمي كل واحد منهما صاحبه بالشؤم، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولَّى نهر تيرى ونواحيها، فقال عبد الصمد يهجو:

أبوك أميرُ قريّةٍ نهر تيرى
وأرزاقُ العباد على آله
فكم في رزق ربك من فقيرٍ
ولست على نساءك بالأميرِ
لهنهم وعليك أرزاقُ الأيـور
وما في أهل رزقك من فقيرٍ^(٨)

[٢٥٦/١٣]

/ شعره في علي بن عيسى وقد شرب الدهن

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثني أحمد بن منصور، قال:

- (١) تمرى: تستدر.
- (٢) الخلّة: الخلصة. وفي كل الأصول بالحاء المهملة.
- (٣) تروح: راح وانقضى. لم تهوّر: لم تسقط.
- (٤) المتزاوّر: المنحرف. القموص: السريع. وفي «اللسان»: «يقال للكذاب: إنه لقموص الحنجرة».
- (٥) السراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.
- (٦) الهيصر: الأسد يفترس ويكسر ويميل.
- (٧) الطّب: الخبير. بشر الخوان بضمينتين، جمع بشير، أخذه من قول أعشى باهلة: كأنه بعد صدق القوم أنفسهم باليأس تلمع من قدماه البشر.
- (٨) انظر «الخزانة» (١: ٩٦). وفي الأصول: «نشر الخوان» تحريف. وفي الأصول أيضاً: «يدار بخل المتزّر»، والوجه ما أثبتناه.
- (٨) في الأصول: «فكم من رزق».

شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدُّهْن، فدخل إليه عبدُ الصَّمَد بن المعدَّل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

وأعلى رُبَّةً وَأَجَلُّ حَالٍ ^(١)	بأيمن طائرٍ وأسرفَ قالٍ
خروج المشرفي مسن الصقال	شربت الدهنَ ثم خرجت عنه
كما انكشف الغمام عن الهلال ^(٢)	تكشفَ عنك ما عاثت عنه
به حاجيتُ مستمعاً سؤالي ^(٣)	وقد أهديتُ ريحاناً طريفاً
وقد سبقا بميم قبل دال ^(٤)	وما هو غيرَ ياءٍ بعد حاءٍ
وليس يموت ريحانُ المقال	وريحانُ الشباب يعيش يوماً
على تفاح أسماغ الرجال	ولم يك مؤثراً تفاح ثم

جوابه بالشعر عن رقعة رفعت إلى الإسكافي

أخبرني^(٥) جحظة، قال: حدثني ميمون بن مهران^(٦)، قال: حدثني أحمد بن المغيرة العجلي، قال: كنت عند أبي سهل الإسكافي وعنده عبد الصمد بن المعدَّل، فرفع إليه رجلٌ رقعة، فقرأها فإذا فيها:

هذا الرحيلُ فهل في حاجتي نظرُ / فدفَعها إلى عبد الصمد، وقال: الجواب عليك. فكتب فيها:

[٢٥٧/١٣]

النفس تسخو ولكن يمنع العُسرُ / والحُرُّ يعذر من بالعسر يعتذر^(٧)

ثم قال عبد الصمد لعلِّي بن سهل: هذا الجوابُ قولاً، وعليك أعزك الله الجوابُ فعلاً، ونُجِّح سعي الأملِ حقَّ واجب على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار.

هجاؤه لابن أخيه

أخبرني حبيب بن نصر المهلب وعلي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي، قال: كان لابن المعدَّل ابنٌ^(٨) ثقيلٌ تَيَّاهُ الذُّهاب بنفسه، وكان مُبَغْضاً عند أهل البصرة، فمرَّ يوماً بعُمِّه عبد الصمد، فلما رآه قال لمن معه:

إن هَذَا يَرَى أَرَى	أنتَ ابنُ المَهْلَسِ
أنتَ والله مُعْجَبٌ	ولنا غير معجِب

(١) أجل: أعظم. وفي الأصول: «أجل» بالمهملة.

(٢) في الأصول: «ما عاينت».

(٣) حاجيت، هي في الأصول: «جائيت».

(٤) أراد «مدحي». وفي الأصول: «بعد دال».

(٥) أخبرني ساقطة من حد.

(٦) في حد: «هارون».

(٧) بالعسر هي في حد: «بالصدق».

(٨) يعني ابن أخيه أحمد بن المعدَّل. وقد مضى أن الهجاء في أحمد بن المعدَّل لا ابنه.

قال: وقال فيه أيضاً:

لو كان يُعطى المُنَى الأعمامُ في ابن أخ / لو كان رؤيتنا إليك في الحين^(١)
 قد كان همّاً طويلاً لا يقامُ له / مجال أعيننا من رملٍ يَريين^(٢)
 فكيف بالصُّبر إذ أصبحتُ أكثرَ في / وأقذَر الناس في دُنْيَا وفي دين
 يا أبغضَ الناس في عُسرٍ وميسرة / بمُدُّ ثُكُلِكَ أجراً غيرَ ممنون
 لو شاء ربِّي لأضحى واهباً لأخي / في السالفات على غُرمولٍ عَينين^(٣)
 / وكان خيراً له لو كان مؤثراً / شخصٌ ترى وجهه عيني فيُضنييني
 وقائلٍ لي ما أضناكَ قلتُ له / إذا رأيتك على مثل السكاكين

٧٢
١٢

[٢٥٨/١٣]

هـ

أتتك العيسُ تنفُخ في بُراها / تَكشِفُ عن مناكبها القطوع^(٤)
 بأبيضٍ من أمةٍ مضرحيٍ / كأن جبينه سيفٌ صَنِيعٌ^(٥)
 الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، والغناء لابن المهريد^(٦)، رمل بالبنصر عن الهشامي. والله أعلم.



مركز تحقيق المخطوطات والكتب النادرة

(١) القرقور: ضرب من السفن عظيم طويل.
 (٢) يبرين: موضع من أصقاع البحرين، رمله موصوف بالكثرة.
 (٣) الغرمول: الذكر أو الضخم الرخو.
 (٤) العيس: النوق البيض يخالط بياضها شقرة. والبري: جمع برة بضم ففتح، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أنف البعير. والقطوع بضم القاف: جمع قطع بالكسر، وهو الطنفسة تكون تحت الرجل على كتفي البعير.
 (٥) المضرحي: السيد الكريم، والأبيض من كل شيء. والصنيع: السيف المجرب المجلول.
 (٦) في حد: «المهريد».

/ أخبار عبد الرحمن ونسبه

[٢٥٩/١٣]

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه أم أخيه مروان، أمنة بنت صفوان بن أمية بن محرز بن شق بن رقة بن مخدج من بني كنانة. ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف، شاعر إسلامي متوسط الحال^(١) في شعراء زمانه، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه ويتصّف كل واحد منهما من صاحبه.

خير قدومه على معاوية معاتباً لعزله أخاه مروان

أخبرني محمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليّ العنزي، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان.

وأخبرني به عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم، عن صالح بن حسان قال:

قدّم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولّى سعيد بن العاص، وكان مروان وجه به وقال له: القه أمامي فعاتبه لي واستصليحه. وقال عمي^(٢) في خبره: كان عبد الرحمن بدمشق، فلما بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلّقه، وقال له: أقم حتى أدخل إلى الرجل، فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفرداً. وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس. قال: فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أمامه، فلما قدم عليه دخل إليه وهو يعشي الناس، فأنشأ يقول:

أتتك العيس تنفخ في بُراها تكشف عن مناكبها القُطوع
بأبيض من أمية مضرحي كأن جبينه سيف صنيع

[٢٦٠/١٣] / فقال معاوية: أزانراً جئت أم مُفاخراً أم مُكاثراً؟ فقال: أي ذلك شئت. فقال له: ما أشاء من ذلك شيئاً^(٣)، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عن له، فقال: على أي الظهر أتيتنا؟ قال: / على فرسي. قال: وما صفتة؟ قال: أجش هزيم، يعرض بقول النجاشي له:

ونجى ابن حربٍ سابح ذو علالة أجش هزيم والرماح دواني^(٤)
إذا خلّت أطراف الرُمّاح تناله مرّنه به السّاقان والقدمان^(٥)

قدوم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية مغاضباً

فغضب معاوية، وقال: أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الرّيب، ولا هو ممّن يتسور على جاراته ولا

(١) في حد: «متوسط المحل».

(٢) في الأصول: «عمري».

(٣) شيئاً، ساقطة في حد.

(٤) السابح: الفرس السريع، كأنه يسبح بيديه. والعلالة: البقية من السير ومن كل شيء. والأجش: الغليظ الصوت من الإنسان ومن الخيل ومن الرعد وغيره. والهزيم: الفرس الشديد الصوت.

(٥) مرّنه: استدرت جريه.

يتوثب على كنانته^(١) بعد هجعة الناس - وكان عبد الرحمن يُتهم بذلك في امرأة أخيه - فخرج عبد الرحمن وقال: يا أمير المؤمنين، وما حملك على عزل ابن عمك، الجناية أوجبَتْ سُخْطاً، أم لرأي رأيته، وتدبير استصلحتَه؟ قال: لتدبير استصلحتَه. قال: فلا بأس بذلك، وخرج من عنده فلقى أخاه مروان، فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية، فاستشاط غيظاً، وقال لعبد الرحمن: قَبَحَكَ اللهُ، ما أضغفك، أعرضتَ للرجل بما أغضبَه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه؟ ثم لَبَسَ حُلَّتَه، وركبَ فرسَه، وتقلَّدَ سيفَه، ودخل على معاوية، فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه: مرحباً بأبي عبد الملك، لقد زُرْتَنَا عند اشتياقٍ منا إليك. قال: لاها^(٢) الله ما زرتُك لذلك، ولا قدِمْتُ عليك فالفيتك إلا عاقاً قاطعاً، والله / ما أنصفتنا ولا جَزَيْتَنَا جزاءنا. لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص، [٢٦١/١٣] والصَّهْر برسول الله ﷺ لهم، والخلافة فيهم، فوصلوكم يا بني حرب وشرَّفوكم، وولَّوكم فما عزَّلوكم ولا آثروا عليكم، حتى إذا وُلِّيتُم وأفضى الأمر إليكم، أبيتم إلا أثره وسوءَ صنيعه، وقُبِحَ قطيعه، فرويداً رويداً، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيهِ نيفاً وعشرين، وإنما هي أيامٌ قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحُسنى وبالسوء بالمرصاد.

قال عُمي في خبره: فقال له معاوية: عزلتُك ثلاثٍ لو لم يكن منهنَّ إلا واحدة لأوجبتَ عزلَك: إحداهنَّ إنِّي أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما، فلم تستطع أن تشتفي منه. والثانية كراهتُك لأمرٍ زياد. والثالثة أن ابنتي رَملة استعدتْك^(٣) على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدها^(٤). فقال له مروان: أما ابن عامر فإني لا أنتصر في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه. وأما كراهتي أمرَ زياد فإن سائر بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً كثيراً. وأما استعداد رَملة على عمرو فوالله إنِّي لتأتي عليَّ سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً - يعرض بأن رَملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح - فقال له معاوية: يا ابن الوزغ^(٥)، لست هناك. فقال له مروان: هو ذاك الآن، والله إنِّي لأبو عشرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة، وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منِّي! فأنخزل معاوية ثم قال:

/ فإن أك في شرارِكُم قليلاً / فإنِّي في خیارِكُم كثيرُ
بُغاثُ الطَّير أكثرُها فراخاً / وأُمُّ الصَّقَرِ مقلاتٌ نزورُ^(٦)

قال: فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له، وقال: لك العتبي^(٧)، وأنا رادُّك إلى عملك. فوثب مروان وقال له: كلاً والله وعيشك لا رأيتني عائداً إليه أبداً. / وخرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيته لك قط سَقَطَةً مثلاً، ما هذا الخضوعُ لمروان؟ وأي شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأي شيء تخشاه منهم؟ فقال له: ادن منِّي أخبرك بذلك. فدنا منه، فقال له: إنَّ الحكم بن أبي العاص كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة^(٨) لما زُفَّت إلى النبي ﷺ، وهو الذي تولَّى نقلها إليه، فجعل رسول الله ﷺ يُحدِّث النَّظَرَ إليه، فلما خرج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أخذت النَّظَرَ إلى الحكم فقال: «أبن المخزومية؛ ذلك رجل إذا بلغ

(١) كنان: جمع كنة بفتح الكاف: امرأة الأبن أو الأخ، وهو جمع نادر توهموا فيه «فعيلة» ونحوها، مما يجمع على فعائل.

(٢) لاها، في مثل هذا الأسلوب للتنبيه دخلت على حرف القسم المحذوف، أو هي بدل من تاء القسم. انظر «مغني اللبيب» و«حاشية الأمير».

(٣) استعدتْك: استغاثت بك واستصتركت.

(٤) أعداه عليه: نصره وأعانه.

(٥) الوزغ: جمع وزغة: سام أبرص، سميت بها لخفتها وسرعة حركتها.

(٦) بُغاث الطَّير: أضغفها. والمقلات: الناقة التي تضع واحداً ثم لا تحمل، والمرأة التي لا يعيش لها ولد. والنزور: القليلة النسل.

(٧) العتبي بالضم: الرضا.

(٨) أم حبيبة، هي رَملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، زوج الرسول ﷺ.

ولده ثلاثين - أو قال: أربعين - ملكوا الأمر بعدي». فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية: فقال له الأحنف: لا يسمعن هذا أحد منك، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك، وإن يقض الله عز وجل أمراً يكن. فقال له معاوية: فأكثمها علي يا أبا بحر إذا، فقد لعمري صدقت ونصحت.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني يعقوب بن القاسم الطلحي قال: حدثني ثمال عن أيوب بن درباس بن دجاجة قال:

[٢٦٣/١٣] / شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن، إلى معاوية، ثم ذكر نحوه من الحديث الأول، ولم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف، وزاد فيه: فقال عبد الرحمن في ذلك:

أَنقَطُرَ آفَاقَ السَّمَاءِ لَهُ دَمًا إِذَا قِيلَ هَذَا الطَّرْفُ أَجْرُدُ سَابِحٌ^(١)
فَحَتَّى مَتَى لَا نَرْفَعُ الطَّرْفَ ذِلَّةً وَحَتَّى مَتَى تَعْيَا عَلَيْكَ الْمَنَادِحُ^(٢)

بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين وما قال في ذلك

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه، قال: كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية، وقد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي - عليهما السلام - فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال:

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تُكُنْ كُمُوتِرِ أَقْوَاسٍ وَلَيْسَ لَهَا نَبْلٌ^(٣)
لَهَا بِجَنْبِ الطَّرْفِ أَدْنَى قَرَابَةٍ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ الْوَعْدُ ذِي الْحَسْبِ الرِّذْلُ^(٤)
سُمِّيَتْ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْخَصِي وَنَبَتْ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلٌ

[٢٦٤/١٣] / فصاح به يزيد: اسكت يا ابن الحمقاء، وما أنت وهذا؟

بكاء ابن عباس لما حدث بين الأمويين والعباسيين

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني هارون بن معروف قال: حدثنا بشر بن السري قال: حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم - يعني بني أمية - يتتايعون^(٥) نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبت معهم وأنا غلام، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده، فدخلنا عليه، فقال له عبيد بن عمير، مالي أراك تذرف عينك؟ فقال له: إن هذا - يعني عبد الرحمن بن الحكم - قال بيتاً أبكاني، وهو:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَرَى الذَّلَّ نِسَوْتِي وَعَبْدُ مَنْافٍ لَمْ تَغْلُهَا الْغَوَائِلُ

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية، وإننا كنّا أهل بيت واحد في الجاهلية، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل.

(١) الطرف بالكسر: الكريم من الخيل كرم طرفاه، أي أبواه. والأجرد: الفصير الشعر. والسابح: السريع الجري، كأنه يسبح بيديه.
(٢) تعيا عليك، أي تعيبك وتعجزك. والمنادح: جمع مندوحة، وهو المتسع من الأرض.
(٣) أوتر القوس: شد وترها. والنبل: السهام لا واحد لها، أو واحدها نبلة، جمعه أنبال ونبال.
(٤) الهام: جمع هامة، عني بهم القتلى من آل الرسول. والهامة: الرأس والشريف، أو هو انسياق مع ما كان يزعم العرب في جاهليتهم أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره نصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقوني اسقوني! فإذا أدرك بثأره طارت. والطف: موضع قرب الكوفة كان به مقتل الحسين.
(٥) يتتايعون: يتهافون ويسرعون في اللجاجة. وفي حديث الباء الموحدة قبل العين.

ولوع عبد الرحمن بن الحكم بجارية مروان، وما قال في ذلك

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرائي قال: / حدثنا العمري عن الهيثم قال: حدثني أخي عباس: أن عبد الرحمن بن الحكم كان يُولع بجارية لأخيه مروان يقال لها «شبناء» ويهيم بمحببتها، فبلغ ذلك مروان، فشتمه وتوَعده وتحفَّظ منه في أمر الجارية وحَبَّجها، فقال فيها عبد الرحمن:

لَعَسْرُ أَبِي شَبْنَاءِ إِنِّي بِذِكْرِهَا وَإِنْ شَحَطْتُ دَارَ بِهَا لِحَقِيقُ^(١)
وإني لها، لا ينزع الله مالها عليّ وإن لم ترعه، لصديقُ
ولما ذكرتُ الموصلَ قالت وأعرضتُ متى أنت عن هذا الحديث مُفِيقُ

شعر عبد الرحمن في إدهاء معاوية لزياد وغضب معاوية عليه

/ أخبرني عمي قال: حدثنا الكرائي قال: حدثنا الخليل بن أسد عن العمري، ولم أسمع من العمري، عن [٢٦٥/١٣] الهيثم بن عدي قال:

لما ادعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك - والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط - قال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْهَجَانِ^(٢)
أنغضب أن يقال أبوك عفتُ وتعرضي أن يقال أبوك زان
فأشهد إن رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرِخِمِ الْفَيْلِ مِنْ وَلَدِ الْإِنَانِ
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من شميّة غير داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال له: إيه^(٣) يا عبد الرحمن، أنت القاتل:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْهَجَانِ
قال: لا أيُّها الأمير، ما هكذا قلت، ولكني قلت:

ألا من مبلغ عني زياداً مغلغلة من الرجل الهجان
من ابن القرم قرم بني قصي أبي العاصي بن أمنة الحصان^(٤)
حلفت برب مكّة والمصلّى وبالثوراة أحلف والقُرآن
لأنت زيادة في آل حرب أحب إليّ من وُسطى بناني
/ سررت بقربه وفرحت لَمّا أتاني الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقة وعمُّ بعون الله في هذا الزمان^(٥)
كذلك أراك والأهواء شتى فما أدري بغيب ما تراني

[٢٦٦/١٣]

(١) شحطت: بعدت.

(٢) المغلغلة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد. الهجان: الرجل الحسيب.

(٣) إيه بالكسر وتنون: كلمة استزادة.

(٤) القرم: السيد. الحصان، بالفتح: العفيفة المصونة.

(٥) في حد: «إني أخو ثقة» وفي ش: «قلت أخو ثقة» ولا يستقيم الوزن فيهما.

فرضي عنه زيادٌ، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلما دخل عليه بالكتاب قال: أنشدني ما قلت لزياد. فأنشده، فتبسّم ثم قال: قَبِحَ الله زياداً، ما أَجْهَلَهُ، والله لَمَّا قُلْتَ له أخيراً حيث تقول:

* لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي آلِ حَرْبٍ *

شراً من القول الأول، ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه.

هجاء عبد الرحمن لأخيه الحارث حين استعفى من الغزو

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة البحر، فنكص واستعفى، فوجّه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان، فمضى وأبلى وحسن بلاؤه، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث:

قَرِيبَ الْخُصَيْتَيْنِ مِنَ التُّرَابِ ^(١)	/ شَتَيْتُكَ إِذْ رَأَيْتُكَ حَوْتِكَيَّا	٧٦
لُبُرْغُسُوثٍ بِيَعْرَةٍ أَوْ صُوبٍ ^(٢)	كَأَنَّكَ قَمْلَةٌ لَفَحَسَتْ كِشَافاً	١٢
حَبِيبُ السَّنِ مُقْتَبِلُ الشُّبَابِ ^(٣)	كَفَاكَ الْغَزْوُ إِذَا أَحْجَمْتَ عَنْهُ	
وَلَيْتَكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّحَابِ ^(٤)	فَلَيْتَكَ حِيضَةً ذَهَبَتْ ضَلَالاً	

[٢٦٧/١٣] / هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الحنّاط

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: لطم عبد الرحمن بن الحكم مولى لأهل المدينة حنّاطاً، وأخوه مروان يومئذٍ وال لأهل المدينة، فاستعداه الحنّاط عليه، فأجلسه مروان بين يديه وقال له: الطّمه - وهو أخو مروان لأبيه وأمه - فقال الحنّاط: والله ما أردتُ هذا، وإنّما أردتُ أن أعلمه أنّ فوقه سلطاناً ينصرني عليه، وقد وهبتها لك. قال: لستُ أقبلها منك فخذ حقك. فقال: والله لا أطمه، ولكنّي أهبها لك. فقال له مروان: إن كنت ترى أن ذلك يُسخطني فوالله لا أسخط، فخذ حقك. فقال: قد وهبتها لك، ولست والله لأطمه. قال: لستُ والله قابِلُها، فإن وهبتها فهبتها لمن لطمك، أو لله عزّ وعلا. فقال: قد وهبتها لله تعالى. فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان:

كُلُّ ابْنِ أُمِّ زَائِدٍ غَيْرُ نَاقِصٍ	وَأَنْتَ ابْنُ أُمِّ نَاقِصٍ غَيْرُ زَائِدٍ
وَهَبْتُ نَصِييَ مِنْكَ يَا مَرْوُ كُلَّهُ	لَعُمُرٍ وَعُثْمَانَ الطَّوِيلِ وَخَالِدٍ

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى، وأنشأ يقول:

أَيَا عَيْنُ جُودِي بِنَدَمٍ سَرَبَتْ	عَلَى فِتْنَةٍ مِنْ خِيَارِ الْعَرَبِ ^(٥)
وَمَا ضَرَّهَمُ، غَيْرَ حَيْنِ النَّفُوسِ،	أَيُّ أَمِيرٍ قَرِيْشٍ غَلَبَ ^(٦)

(١) الحوتكي: القصير الضاوي، أو الشديد الأكل.

(٢) الكشاف: أن تلقح الناقة حين تنتج أو أن تحمل عليها في كل سنة، وذلك أردأ النتاج. والصواب: جمع صوابة: بيض القمل.

(٣) يعني بذلك عبد الملك بن مروان.

(٤) منقطع السحاب: طرفه الذي ينقطع عنده.

(٥) السرب، بالتحريك: السائل المنسرب. وفي الأصول: «شرب» تحريف.

(٦) الحين: الهلاك، أي ما قدر لهم من ذلك. وفي الأصل: «جين».

فغضب معاوية على عبد الرحمن ثم عفو عنه

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال:

/ عرض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيله، فمر به فرس فقال له: كيف تراه؟ فقال: هذا سابح. ثم [٢٦٨/١٣] عرض عليه آخر فقال: هذا ذو علالة. ثم مر به آخر فقال: وهذا أجش هزيم. فقال له معاوية: قد علمت ما أردت، إنما عرضت بقول النجاشي في:

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة أجش هزيم والرماح دوان^(١)

سليم الشظي عبلى الشوى شنج النسا كسيد الغضى باقى النسلان^(٢)

أخرج عني فلا تساكني في بلد، فلقى عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية، وقال له عبد الرحمن: وحتى متى نستذل ونضام؟ فقال له مروان: هذا عملك بنفسك. فأنشأ يقول:

أنتظر آفاق السماء لنادماً إذا قلت هذا الطرف أجرد سابح

فحتى متى لا نرفع الطرف ذلة وحتى متى تعيا عليك المنادح^(٣)

فدخل مروان على معاوية، فقال له مروان: حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي؟ أما والله إنك لتعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم وآله فينا، ولقل ما بقي من الأجل^(٤). فضحك معاوية وقال: لقد عفوت لك عنه^(٥) يا أبا عبد الملك. والله أعلم بالصواب^(٦).



أحوت

[٢٦٩/١٣]

٧٧
١٢

قولاً لنائل ما تقضين في رجل يهوى هواك وما جتبه اجتب

يومي معي جسيدي والقلب عندكم فما يعيش إذا ما قلبه ذهب^(٧)

الشعر لمسعدة بن البختري، والغناء لعبادل، ثقل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لعريب ثقل أول آخر عن ابن المعتز، ولها فيه أيضاً خفيف رمل عنه.

(١) العلالة: البقية. والأجش: غليظ الصوت. والهزيم: شديد الصوت.

(٢) الشظي: عظم لازق بالركبة أو بالذراع. العبل: الضخم من كل شيء. الشوى: اليدان والرجلان والأطراف وفحف الرأس وما كان غير مقتل. والشنج بكسر الشين: القبض في الجلد. وفرس شنج النسا مدح، لأنه لم تسترخ رجلاه. والنسا بالفتح مقصور: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر، فإذا سمعت الدابة انفلقت فخذها بلحمتين عظيمتين وجري النسا بينهما واستبان. السيد: الذئب. والغضا: ضرب من الشجر. ويقال ذئب الغضا لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد أن يغير، ويزعمون أنه أحبب الشجر ذئاباً.

(٣) هو وسابقه سبق إنشادهما في ص ٢٦٣.

(٤) في حد: «الأمل» بالميم.

(٥) وفي حد: «قد عفوت لك» فقط.

(٦) كذا وردت هذه العبارة.

(٧) في الأصول: «إذا ما قلته».

[٢٧٠/١٣]

/ أخبار مسعدة ونسبه

هو مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة، بن أخي المهلب بن أبي صفرة. وقد مضى نسبه متقدماً في نسب يزيد بن محمد المهلب وابن أبي عيينة وغيرهما. وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأسدي وكان يهواها.

تشبيب مسعدة بنائلة

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة، عن القحذمي قال:

كان مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة، يشب بنائلة بنت عمر بن يزيد الأسدي أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم^(١)، وكان أبوها سيداً شريفاً، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج، وفيها يقول:

أنا نائل إنني سلم
لأهلك فاقبلي سلمي

قال القحذمي: وأُمُّ نائلة هذه عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، وأُمُّها الملاء بنت زُرارة بن أوفى الجرشيّة، وكان أبوها فقيهاً محدثاً من التابعين. وقد شبّ الفرزدق بالملاء وبعاتكة ابنتها.

عاتكة بنت الفرات وما قيل فيها

قال عيسى: فحدثني محمد بن سلام قال: لا أعلم أنّ امرأة شُبَّ بها وبأُمُّها وجدتها غير نائلة. فأما نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة، وأما عاتكة فإنَّ يزيد بن المهلب تزوّجها؛ فقتل عنها يوم العقر، وفيها يقول الفرزدق:

[٢٧١/١٣]

إذا ما المَزُونِيَّاتُ أَصْبَحْنَ حُسْرًا وبَكَّيْنَ أَشْلَاءَ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ^(٢)
فكم طالِبَ بِنْتِ الْمُلَاءِ إِنَّهَا تَذَكَّرَ رِيْعَانَ الثَّيَابِ الْمَزَائِلِ^(٣)

ما قيل في أمها الملاء

وفي الملاء أمُّها يقول الفرزدق:

كم للملاء من طيفٍ يورقني إذا تجرّثم هادي الليل واعتكرا^(٤)

قصة عاتكة بنت الملاء

أخبرني الحرّمي بن العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال:

(١) في «الاشتقاق» ١٢٧: «وأسيد تصغير أسود في لغة تميم، وسائر العرب يقول: أسود. فإذا نسبوا إليه قالوا أسدي، كرهوا كثرة الكسرات، واستقلوا أن يقولوا: أسدي».

(٢) الحسر: كاشفات الوجوه. الأشلاء: الأعضاء، عني بها القتلى.

(٣) المزابل: المفارق.

(٤) تجرّثم: اجتمع. وهادي الليل: أوله. اعتكر: اشتد ظلامه.

خرجت عاتكة بنت الملاء إلى بعض بوادي البصرة فلقيت بدويًا معه سمن فقالت له: أتبيع هذا السمن؟ فقال: نعم. قالت: أرناهُ. ففتح نحياً^(١) فنظرت إلى ما فيه، ثم ناولته إياه وقالت: افتح آخر. ففتح آخر فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه، فلما شغل يديه أمرت جواريتها فجعلن يركلن في أسنّه وجعلت تنادي: يا لثارات ذات النحيين!

قصة ذات النحيين

قال الزبير: تعني ما صنع بذات النحيين في الجاهلية؛ فإن رجلاً يقال له: خوات بن جبير رأى امرأة معها نحياً سمن فقال: أريني هذا. ففتحت له أحد النحيين، فنظر إليه ثم قال: أريني الآخر. ففتحته، ثم دفعه إليها، فلما شغل يديها وقع عليها، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن، فضربت / العرب المثل بها، وقالت: ^{٧٨}_{١٢} «أشغل من ذات النحيين». فأرادت عاتكة بنت الملاء أن هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها، وأنها ثارت للنساء ثارهن من الرجال بما فعلته.

/ ما جرى بين الملاء وعمر بن أبي ربيعة

[٢٧٢/١٣]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هقان عن إسحاق الموصلي عن الزبير والمسيبي^(٢) ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله: أن الملاء بنت زُرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعة يشدهم، فقالت لجارية: من هذا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة، المنتقل من منزله من ذات وداد إلى أخرى، الذي لم يذم على وصل، ولا لقوله فرغ ولا أصل، أما والله لو كنت كعوض من يواصل لما رضيت منه بما ترصنين، وما رأيت أدنا من نساء أهل الحجاز ولا أقرّ منهنّ بخسف، والله لأمة من إمائنا أنف منهنّ! فبلغ ذلك عمر عنها، فراسلها فراسلته، فقال:

حَيِّ الْمَنَازِل قَدْ عَمِرْنَ خَرَابَا	بَيْنَ الْجُرَيْنِ وَبَيْنَ رُكْنِ كُسَابَا ^(٣)
بِالثَّنْيِ مِنْ مَلِكَا غَيْسَرِ رَسْمَهَا	مَرُّ السَّحَابِ الْمُعْقِبَاتِ سَحَابَا ^(٤)
وَذِيُولُ مُعَصِفَةِ الرِّيَّاحِ تَجَرُّهَا	دُقَقَا فَأَصْبَحَتِ الْعِرَاصُ يَبَا ^(٥)
وَلَقَدْ أَرَاهَا مَرَّةً مَأْهُولَةً	حَسَنًا جَنَابُ مَحَلُّهَا مِعْشَابَا ^(٦)
دَارُ التِّي قَالَتْ غَدَاةَ لَقِيْتُهَا	عِنْدَ الْجِمَارِ فَمَا عِيْتُ جَوَابَا
هَذَا الَّذِي بَاعَ الصَّدِيقَ بغيره	وَيُرِيدُ أَنْ أَرْضَى بِذَاكَ ثَوَابَا
/ قُلْتُ اسْمِعِي مَنِّي الْمَقَالَ وَمَنْ يُطِغْ	بِصَدِيقِهِ الْمَتَمَلِّقَ الْكَذَابَا

[٢٧٣/١٣]

(١) النحي، بالكسر: الزق، أو ما كان للسمن خاصة.

(٢) المسيبي في س، ش بدون واو بين العلمين، واعتمدنا ما في حـ.

(٣) عمر: بقي زمانا. الجرين بهيئة التصغير: موضع بين سواج والنير باللباء من أرض نجد. كساب بالضم: موضع، وقال عبد الله بن إبراهيم الجمحي: كساب، بالفتح على وزن قطام: جبل في ديار هذيل قرب الحزم لبني لحيان.

(٤) الثني من كل نهر أو جبل: منعطفه، وملكان بكسر اللام: واد لهذيل على ليلة من مكة.

(٥) دقق التراب بضم ففتح: دقاقة، واحدها دقة بالضم. وفي الأصول: «وقفا» صوابه في «الديوان» ١١٤. العراص جمع عرصة، بالفتح، وهي البقعة الواسعة بين الدور. واليباب: المقفرة. وهذا تصحيح ش، وفي سائر النسخ: «العرائص بابا».

(٦) الجناب: الناحية والفناء.

[وَتَكُنْ لَدَيْهِ حَبَالُهُ أَنْشَوَطَةً
 إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ الْعَتَابَ لِتَعْلَمِي
 أَوْ كَانَ ذَلْسُكَ لِلْبِعَادِ فَإِنَّهُ
 وَأَرَى بِوَجْهِكَ شَرْقُ نُورٍ بَيْنَ
 فِي غَيْرِ شَيْءٍ يَقْطَعُ الْأَسْبَابَا^(١)
 مَا عِنْدَنَا فَلَقَدْ أَطْلَتِ عَتَابَا
 يَكْفِيكَ ضَرْبُكَ دُونَكَ الْجِلْبَابَا
 وَبِسُوجِهِ غَيْرُكَ طَخِيَّةٌ وَضَبَابَا^(٢)

صوت

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلْوَانِ
 وَاعْلَمَا أَنَّ رِيَّةً لَمْ يَزَلْ يَقْدُ
 أَسْعِدَانِي وَأَيَّقِنَا أَنَّ نَحْسَا
 وَلَعْمَرِي لَوْ دُقْتَمَا أَلَمَ الْفُزْ
 كَمْ رَمْتَنِي بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي
 وَارْتِيَا لِي مِنْ رِيْبِ هَذَا الزَّمَانِ
 شَرْقُ بَيْنِ الْأَلْفِ وَالْجِيسِرَانِ
 سَوْفَ يَلْقَاكُمَا فَتَفْتَرِقَانِ
 قَلَّ أَبْكََاكُمَا كَمَا أَبْكَانِي
 مِنْ فِرَاقِ الْأَحْبَابِ وَالْخُلَّانِ
 الشعر لمطيع بن إياس، والغناء لحكيم الوادي، هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي.



مركز تحقيقات مكتبة التراث الوطني

(١) التكملة من «ديوان عمر» ١١٥.

(٢) الطخية بالفتح: الظلام.

/ أخبار مطيع بن إياس ونسبه

[٢٧٤/١٣]

هو مطيع بن إياس الكناني. ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر. والدليل وليث أخوان لأب وأم، أمهما أم^(١) خارجة، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قراد بن ثعلبة بن / معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن^{٤٩} نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهي التي يضرب بها المثل فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة». وقد ولدت^(٢) عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلص من ولادتها كبير أحد منهم كان مقارباً. فمَن ولدت الدليل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، والعنبر وأسيد والهجم، بنو عمرو بن تميم، وخارجة بن يشكر - وبه كانت تكنى - ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزريقا، وهو أبو المصطلق.

نكاح أم خارجة

قال النسابة: بلغ من سرعة نكاحها أن الخاطب كان يأتيها فيقول لها: خطبت، فتقول له: نكح. وزعموا أن بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها عن حية إلى حية، فلقيها راكب فلما تبينته قالت لابنها: هذا خاطب لي لا شك فيه، أفترأه يعجلني أن أنزل عن بعيري^(٣)؟ فجعل ابنها يسبها. / ولا أعلم أنني وجدت نسب مطيع متصلاً إلى كنانة في رواية أحد إلا في حديث أنا ذكرته؛ فإن راويه ذكر أن [٢٧٥/١٣] أبا قرعة الكناني جد مطيع، فلا أعلم أهو جد الأدي فاصل نسبه به، أم هو بعيد منه، فذكرت الخبر على حاله.

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني العمري وأبو فراس عمي جميعاً، عن شراحيل بن فراس، أن أبا قرعة الكناني، واسمه سلمى بن نوفل - قال: وهو جد مطيع بن إياس الشاعر - كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضة^(٤)، فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس، وكان منه وجلاً، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس، فلما انصرف من المجلس دعا حرسياً فقال: امض إلى موضع كذا وكذا من المسجد، فاذع لي سلمى بن نوفل. فمضى فأتاه به، فقال له الزبير: إيهأ أيها الضب. فقال: إني لست بالضب ولكن الضب بالضم^(٥) من صخر. قال: إيهأ أيها الذبيح^(٦). قال: إن أحداً لم يبلغ سنّي وسنك إلا سمي ذيحاً.

(١) أم، تكملة من ش.

(٢) حد: «في عدة».

(٣) ولفظ الميداني: «كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب فتقول: نكح. فيقول: أنزل. فتقول: أنخ. ذكر أنها كانت تسير يوماً وابن لها يقود جملها فرفع لها شخص فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ فقال: أراه خاطباً. فقالت: يا بني تراه يجعلنا أن نحل، ماله غل وآل».

(٤) المقارضة: تبادل الذم أو المدح.

(٥) الضمر: رملة بعينها.

(٦) الذبيح: ذكر الضباع.

قال: إِنَّكَ لَهَا هُنَا يَا عَاضُ بَظَرِ أُمِّهِ. قال: أَعِيذُكَ بِاللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ أَنَّ الشَّيْطَانَ نَطَقَ عَلَى فَيْكَ بِمَا تَنْطَقُ بِهِ الْأُمَّةُ الْفَسَلَةُ، وَإِيْمُ اللَّهِ مَا هَا هُنَا دَادَ أَرِيدُهُ عَلَى الْمَجْلِسِ أَحَدٌ^(١) إِلَّا قَدْ كَانَتْ أُمُّهُ كَذَلِكَ.

والد مطيع بن إياس

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال: كان إياس بن مسلم، أبو مطيع بن إياس شاعراً، وكان قد وفد إلى نصر بن سيار بخراسان فقال فيه:

[٢٧٦/١٣] / إِذَا مَا نَعَالِي مِنْ خُرَاسَانَ أَقْبَلْتُ وَجَاوَزْتُ مِنْهَا مَخْرَمَاتِي مَخْرَمًا^(٢)
ذَكَرْتُ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي وَنَشَرْتُهُ فَإِنْ شِئْتُ فَاجْعَلْنِي لَشُكْرِكَ سُلْمًا

جد مطيع بن إياس

فَأَمَّا نَسَبُ أَبِي قُرْعَةَ هَذَا فَإِنَّهُ سُلَمَى بْنُ نُوْفَلٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ صَخْرٍ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ نُفَاتَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الدَّيْلِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ. ذَكَرَ ذَلِكَ الْمَدَائِنِيُّ. وَكَانَ سُلَمَى بْنُ نُوْفَلٍ جَوَادًا. وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

يُوَدُّ أَقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بَلِ السَّيِّدُ الْمَيْمُونُ سُلَمَى بْنُ نُوْفَلٍ^(٣)

رجع الخبر إلى سياقه نسب مطيع بن إياس وأخباره

١٢

صفة مطيع وذكر نشأته

وهو شاعرٌ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلّو العشرة، مليح النادرة، ماجناً متهماً في دينه بالزندقة، ويكنى أبا سُلَمَى. ومولده ومنشؤه الكوفة، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمدَّ بهم عبدُ الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابنَ الزبير وابن الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوَّج بها، فولد له مطيع.

صلته بالولاة والخلفاء

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ومتصرفاً بعده في دولتهم، ومع أوليائهم وعُمَّالهم وأقاربهم لا يَكُفُّ عند أحدٍ منهم، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فكان معه حتَّى مات، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلا حكايةً بوفوده على سليمان بن علي، وأنه ولَّاه عملاً. وأحسبه مات في تلك الأيام.

[٢٧٧/١٣] / رأي بعض الناس فيه

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال: حدثني محمد بن سعد الكرائي عن العمري عن العُتبي عن أبيه قال: قدم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أر قطُّ أظرفَ لساناً ولا أحلى حديثاً منه، وكان يحدثني عن مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وحماد الراوية، وظرفاء الكوفة، بأشياء من أعاجيبهم وظُرْفهم، فلم يكن يحدثني عن أحدٍ بأحسن مما كان يحدثني عن مطيع بن إياس، فقلت له: كنتُ والله أشتهي أن أرى مُطيعاً، فقال: والله لو رأيته للقيتُ

(١) كذا وردت هذه العبارة وفي حـ «أحدًا».

(٢) عنى بالنعال ذوات النعال، وهي الإبل. أو لعلها: «بغالي». مخرم الجبل والسيل: أنفه. والمخارم: الطرق في غلظ.

(٣) وكذا في «الإصابة» ٣٤٠٧. وفي «الكامل» ٧٤، ٧٥ ليسك: «سليم بن نوفل».

منه بلاءً عظيماً. قال: قلت: وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه؟ قلت: كنت ترى رجلاً يصبر عنه العاقل إذا رآه، ولا يصحبه أحدٌ إلا افتضح به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال: سألت رجلاً من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بن إلياس عنه فقال: لا تُرَدُّ أن تسألني عنه. قلت: ولم ذاك؟ قال: وما سؤالك إياي عن رجل كان إذا حَضَرَ مَلَكُكَ^(١)، وإذا غابَ عنك شاكك، وإذا عُرِفَتْ بصحبته فَضَحَكَ.

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن عمرو قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن محمد جبير، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكم الوادي، أنه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السن، فقال:

إكْلِيلُهُ الْوَانُ	وَوَجْهُهُ الْفَتَانُ
وَحَالُهُ الْفَرِيدُ	لَيْسَ لَهُ الْجِيرَانُ
إِذَا مَشَتْ تَتَأْت	كَأَنَّهُ تَائِبَانُ

/ فطرب حتى زحف عن مجلسه إليّ، وقال: أعذ فديتك بحياتي. فأعدته حتى صجل صوتي^(٢)، فقال لي: [٢٧٨/١٣] ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبدك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إلياس الكناني. فقال: وأين محله؟ قلت: الكوفة. فلأمر أن / يُحْمَلَ إليه على البريد، فحمل إليه، فما أشعر يوماً إلا^١ برسوله قد جاءني، فدخلت إليه ومطيع بن إلياس واقف بين يديه، وفي يد الوليد طاس من ذهب يشرب به، فقال له: غن هذا الصوت يا وادي. فغنيته إياه، فشرب عليه، ثم قال لمطيع: من يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: ادن مني. فدنا منه، فضمه الوليد وقبل فاه وبين عينيه، وقبل مطيع رجله والأرض بين يديه، ثم أدناه منه حتى جلس أقرب المجالس إليه، ثم تم يومه^(٣) فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت. لحن هذا الصوت هزج مطلق في مجرى البصر، والصنعة لحكم. وقد حدثني بخبره هذا مع الوليد جماعة على غير هذه الرواية، ولم يذكروا فيها حضور مطيع.

حدثني به أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال: بلغني عن حكم الوادي، وأخبرني الحسين بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أمه عن حكم الوادي قال:

وفدت على الوليد بن يزيد مع المغنين، فخرج يوماً إلينا وهو راكب على حمار، وعليه دُرَاعَةٌ وشي^(٤)، وبيده عقد جوهر، وبين يديه كيس فيه ألف دينار، فقال: / من غناني فأطربني فله ما علي وما معي. فغنّوه فلم يطرب، فاندفعت وأنا يومئذ أصغرهم سنّاً فغنيت:

إكْلِيلُهُ الْوَانُ	وَوَجْهُهُ الْفَتَانُ
---------------------	-----------------------

(١) كذا في ح وفي سائر النسخ: «ملك».

(٢) صجل صوته: يح.

(٣) في ح: «تم» برسم ميمين.

(٤) ش، عليه يدون واو. والدراعة، كرمانة: جبة مشقوقة المقدم.

وخالها فريدٌ ليس له جيرانُ
إذا مشئت تشئت كأنها ثعبانُ

فرمى إليه بما معه من المال والجوهر، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليّ رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته.

صحبه لجماعة من الزنادقة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: كان مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثي، وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمالٍ ولا ملك، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة.

صلته بعبد الله بن معاوية

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني عليّ بن محمد النوفلي عن أبيه وعمومته، أن مطيع بن إياس وعمارة بن حمزة من بني هاشم، وكان مرميين بالزندقة، نزعا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب لما خرج في آخر دولة^(١) بني أمية، وأول ظهور الدولة العباسية بخراسان، وكان ظهر على نواح من الجبل: منها أصبهان وقم ونهاوند، فكان مطيع وعمارة ينادمانه ولا يفارقانه.

قال النوفلي: فحدثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال:

/ دخل مطيع بن إياس على عبد الله بن معاوية يوماً وغلام واقف على رأسه يذب عنه بمنديل - ولم يكن في ذلك الوقت مذاب، إنما المذاب عباسية - قال: وكان الغلام الذي يذب أمرّد حسن الصورة، يروق عين الناظر، فلما نظر مطيع إلى الغلام كاد عقله يذهب، وجعل يكلم ابن معاوية يلجلج، فقال:

إنّي وما أغفل الحجيحُ له أخشى مطيع الهوى على فرج^(٢)
أخشى عليه مغامساً مرساً ليس بلذي رقبة ولا حرج^(٣)

ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية

/ أخبرني أحمد بن عبيد الله قال: حدثنا عليّ بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي عن عمه عيسى قال:

كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له: قيس بن عيلان العنسي النوفلي [وعيلان] اسم أبيه، وكان شيخاً كبيراً دهرت لا يؤمن بالله، وكان إذا عس لم يبق أحد إلا قتله، فأقبل يوماً فنظر إليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس، قال:

إن قيساً وإن تقّسع شياً لخبيث الهوى على شمطه^(٤)
أجزيا عمارة. فقال:

ابن سبعين منظرأ ومشيياً وابن عشر يعد في سقطة^(٥)

(١) كلمة «دولة» زيادة في ش.

(٢) الحجيح: جماعة الحجاج.

(٣) المغامس: الشديد الشجاع. والمرس: الشديد. الرقة: التحفظ والخشية. والحرج: التهيب. وفي الأصول: «خرج» تحريف.

(٤) الشمط: بياض الرأس يخالطه السواد.

(٥) السقط: الفضيحة.

فأقبل على مطيع فقال: أجز. فقال:

وليه شُرطَةٌ إذا جَنَّه اللي — لُ فَعُوذُوا بالله من شُرطِطه

/ احتجاجه للأبنة

[٢٨١/١٣]

قال النوفلي: وكان مطيع فيما بلغني مأبونا، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله، وقالوا له: أنت في أدبك وشرفك وسؤددك وشرفك تُرمي بهذه الفاحشة القذرة؟ فلو أقصرت عنها! فقال: جربوه أنتم ثم دَعُوا إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه، وقالوا: قَبَحَ الله فعلَكَ وعُدْرَكَ، وما استقبلتنا به.

ما حدث بينه وبين ظبية الوادي

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا حماد عن أخيه عن النضر بن حديد قال: أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال: حدثني مطيع بن إلياس قال:

قال لي حماد عجرد: هل لك في أن أريك خُشَّةَ صديقي^(١)، وهي المعروفة بظبية الوادي؟ قلت: نعم. قال: إنك إن قعدت عنها وخجبت عينك في النظر أفسدتها علي. فقلت: لا والله لا أتكلَّم بكلمة تسوءك، ولا سُرتُك. فمضى وقال: والله لا أتكلَّم، لئن خالفت ما قلتُ لأخرجك. قال: قلت: إن خالفت ما تكره فاصنع بي ما أحببت. قال: امض بنا. فأدخلني على أظرف خلق الله وأحسنهم وجهاً، فلما رأيتها أخذني الزَّمْعُ^(٢) وفطن لي: فقال: اسكن يا ابن الزانية. فسكنت قليلاً، فلحظتني ولحظتها أخرى، فغضب ووضع قُلنسيته عن رأسه، وكانت صلعتة حمراء كأنها استُ قرد، فلما وضعها وجدتُ للكلام موضعاً فقلت:

وَارِ السَّوَاءَ السَّوَاءَ — يَا حَمَادُ عَنْ خُشَّةِ^(٣)
عَنِ الْأَتْرَجَةِ^(٤) الْغَضِّ — وَالتَّفَاحَةِ الْهَشِّهِ

/ إفساد مطيع لها على حماد

[٢٨٢/١٣]

فالتفت إلي، وقال: فعلتها يا ابن الزانية؟ فقالت له: أحسن والله، ما بلغ صفتك بعد^(٥)، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أُمُّك! وثاورته^(٦) وثاورها، فشقت قميصه، وبصقت في وجهه، وقالت له: ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية! وخرجنا وقد لقي كلُّ بلاء، وقال لي: ألم أقل لك يا ابن الزانية: إنك ستفسد علي مجلسي. فأمسكت عن جوابه، وجعل يهيجوني ويسبني، ويشكوني إلى أصحابنا، فقالوا لي: اهجه ودعنا وإياه. فقلت فيه:

هجاؤه حماداً

أَلَا يَظَاهِيَةُ السَّوَادِي وَذَاتَ الْجَسَدِ السَّرَادِ^(٧)

(١) صديقي؛ أي صاحبي. وفي «اللسان»: «خش»: الطيب بالفارسية، عربته العرب وقالوا في المرأة: خُشَّة. قال ابن سيده: «أنشدني بعض من لقيت لمطيع بن إلياس يهجو حماداً الراوية» وأنشد البيهقي التاليين.

(٢) الزمغ: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

(٣) سبق تفسير «الخشة». وفي «اللسان»: «نح السوأة».

(٤) الأترجة: فاكهة حماضها يسكن شهوة النساء، ويجلو اللون والكلف، وقشره في الثياب يمنع السوس. وفي «اللسان»:

عَنِ التَّفَاحَةِ الصَّفَرَا — وَالْأَتْرَجَةِ الْهَشِّهِ

(٥) كذا على الصواب في ح. وفي سائر النسخ: «صنعتك بعد».

(٦) ثاورته. واثبته.

(٧) الراد: مسهل الراد، وهو الرخص اللين.

وزَيْنَ المِصْرَ والِدَارِ وزَيْنَ الجِيَّ والنَّسَادِي
وَذَاتَ المَبِيسِّمِ العَذْبِ وَذَاتَ المِيسِّمِ البَادِي^(١)
أَمَّا بـاللهِ تَسْتَحْيِي سَنَ مَنْ خُلَّةَ حَمَادٍ^(٢)
/ فَحَمَادٌ فَتَنَى لِيَسْ بِبُذِي عَزْزُ فَتَنَ نَادِي^(٣)
وَلَا مَالٍ وَلَا عَزْزٌ^(٤) وَلَا حَظٌّ لِمَرْتَدَادِ
فُتُوْبِي وَأَتَقِي اللهَ وَبُتِّي جَبَلِ جَرَادٍ^(٥)
فَقَدْ مُيزَتْ بِالْحَسَنِ عَنِ الْخَلْقِ بِإِفْرَادِ
وَهَذَا الْيَسْنُ قَدْ حُمِّ فَجُودِي مِنْكَ بِالزَّادِ

٨٣
١٢

/ - في الأول والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الوادي رمل.
قال: فأخذ أصحابنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها، والقوها في الطريق، وخرجت أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم^(٦)، فلما رآها وقراها قال لهم: يا أولاد الزنا، فعلها ابن الزانية، وساعدتموه علي!

جزع حماد من مجاثبه

قال: وأخذها حكم الوادي فغنى فيها، فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكار إلا غنى فيها، ثم غنيت مدة وقدمت^(٧)، فأتاني فما سلم علي حتى قال لي: يا ابن الزانية، ويليك أما رحمتي من قولك لها:

أَمَّا بـاللهِ تَسْتَحْيِي سَنَ مَنْ خُلَّةَ حَمَادٍ

اجتماعهما بصاحبة مطيع وما كان في ذلك

بـالله قتلتي فتلك الله! والله ما كلمتني حتى الساعة. قال: قلت: اللهم أدِم هجرها له وسوء آرائها فيه، وأسفه^(٨) عليها، وأغره بها! فستمني ساعة. قال مطيع: ثم قلت له: قم بنا حتى أمضي بك فأريك أختي. قال مطيع، فمضينا فلما خرجت إلينا دعوت قيمة لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً، وعرفتُها أن الذي معي حماد. فضحكتم ثم أخذت صاحبتني في الغناء، وقد علمت بموضعه وعرفتته، فكان أول صوت غنت:

أَمَّا بـاللهِ تَسْتَحْيِي سَنَ مَنْ خُلَّةَ حَمَادٍ

فقال لها: يا زانية! وأقبل علي فقال لي: وأنت يا زاني يا ابن الزانية. وشاتمته صاحبتني ساعة، ثم قامت فدخلت، وجعل يتغيظ علي فقلت: أنت ترى أنني أمرتها أن تغني بما غنت؟ قال: أرى ذلك وأظنه ظناً، لا والله، ولكني أتيقنه! فحلفت له / بالطلاق على بطلان ظنه، فقالت: وكيف هذا؟ فقلت: أراد أن يفسد هذا المجلس من أفسد ذلك المجلس. فقالت: قد والله فعل. وانصرفنا.

(١) الميسم: أثر الجمال والعتق، ويقال: إنها لوسيمة قسيمة.

(٢) الخلة: بالضم: الصداقة.

(٣) في الأصول: «فينقاد».

(٤) كذا وردت هذه الكلمة.

(٥) بتي: اقطعي. والجراد: جلاء آنية الصفر، كما في «القاموس».

(٦) «اليوم» ساقطة من حد.

(٧) غنيت: أقمت.

(٨) أسفه: أغضبه. وفي «التنزيل»: «فلما أسفونا انتقمنا منهم».

إفساد صديقة يحيى الحارثي عليه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أصحابه قال:

قال يحيى بن زياد الحارثي لمطيع بن إلياس: انطلق بنا إلى فلانة صديقتي؛ فإن بيني وبينها مغاضبة، لتُصلح بيننا، وبش المصلح أنت. فدخل إليها فأقبلا يتعاتبان، ومطيع ساكت، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع: ما يُسكتك، أسكت الله تأمّتك^(١)؟ فقال لها مطيع:

أنت مُعتَلّة عليه وما زل

ل مُهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى ما سمع، وهش له مطيع:

فدعيه وواصلني ابن إلياس

جُعِلَتْ نفسي الغداة فداك

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك يا ابن الزانية! ومطيع يُعَوّث^(٢) حتى ملّ يحيى، والجارية تضحك منهما، ثم تركه وقد سدر^(٣).

عتاب حماد على مطيع

حدثني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال:

مرض حماد عجرد، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إلياس، وكان خاصة به، فكتب إليه حماد:

/ كفاك عيادتي من كان يرجو

ثواب الله في صلة المريض

فإن تُحدث لك الأيام سُقماً

يحول جريضه دون القريض^(٤)

يكن طول التأوه منك عندي

بمنزلة الطنين من البعوض

ما حدث بينهما حين اجتماعهما بصديقتيهما

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه قال: قدّم مطيع بن إلياس من سفر فقدم بالرهاث، فاجتمع هو وحماد عجرد بصديقتيه ظبية الوادي، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة، وكان مطيع قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غثت ظبية الوادي فقالت^(٥):

أظن خليلي غدوة سيسير

ورئي على أن لا يسير قدير

فما فرغت من الصوت حتى غثت صاحبة مطيع:

ما أبالي إذا التوى قريبتهم

ودنونا من حلّ منهم وساروا

فجعل مطيع يضحك وحماد يشتمها.

(١) التامة: الصوت.

(٢) التغويث: أن يقول: واغوثا!

(٣) السادر: المتحير.

(٤) الجريض، يقال جريض بريقه: ابتلعه على هم وحزن. ويقال: «حال الحريض دون القريض» مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق. قاله جوشن بن منقذ الكلابي حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزناً فرق له وقد أشرف فقال: انطق بما أحببت. انظر «القاموس».

(٥) في الأصول: «عتب ظبية الوادي فقال».

نسبة لهذا الصوت

صوت

أُظُنُّ خَلِيلِي غَدَوَةً سَيَسِيرُ وَرَيْسِي عَلَى أَنْ لَا يَسِيرَ قَدِيرُ
عَجِبْتُ لِمَنْ أَمْسَى مَحَبًّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفَنٌ فِي بَيْتِهِ وَسَرِيرُ
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مُجَرَّى الْبِنْصَرِ، وَفِيهِمَا لَحْنٌ يَمَانٍ قَدِيمٌ خَفِيفٌ رَمَلِي بِالْوَسْطَى.

معاتبه عمر بن سعيد له في أمر مكنونة وما قال في ذلك

/ حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجرجاني قال: [٢٨٦/١٣]

كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له: عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ، فَعَاتَبَهُ فِي أَمْرِ قَيْنَةٍ يُقَالُ لَهَا «مَكْنُونَةٌ» كَانَ مَطِيعٌ يَهْوَاهَا حَتَّى اشْتَهَرَ بِهَا، وَقَالَ لَهُ: إِنْ قَوْمُكَ يَشْكُونُكَ وَيَقُولُونَ: إِنَّكَ تَفْضَحُهُمْ بِشَهْرَتِكَ نَفْسَكَ بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ لِحَقَهُمُ الْعَيْبُ وَالْعَارُ مِنْ أَجْلِهَا! فَأَنْشَأَ مَطِيعٌ يَقُولُ:

قَدْ لَامَنِي فِي حَيِّتِي عُمَرُ وَاللَّسُّومُ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ضَجَرُ^(١)
قَالَ أَفِقْ، قُلْتُ لَا، قَالَ بَلَى قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ عَنْكُمَا الْخَبَرُ
قُلْتُ قَدْ شَاعَ فَاغْتَذَارِي مِمَّا لَيْسَ لِي فِيهِ عِنْدَهُمْ عُذْرُ
عَجَزُ لِعَمْرِي وَلَيْسَ يَنْفَعُنِي فَكُفَّ عَنِّي الْعَتَابُ يَا عَمْرُ
وَارْجِعْ إِلَيْهِمْ وَقُلْ لَهُمْ قَدْ أَبَى وَقَالَ لِي لَا أَفِيقُ فَاتَّحَرُوا^(٢)
أَعَشِقُ وَحْدِي فَيُؤْخَذُونَ بِهِ كَالثُّرَى تَغْزُو فَيُقْتَلُ الْخَزْرُ^(٣)

رأى مطيع في النساء

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العبر / الهاشمي قال: حدثني أبي أن مطيع بن إياس مرَّ ببيحي بن زياد، وحماد الراوية وهما يتحدثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالوا: في قَذَفِ الْمُحَصَّنَاتِ. قال: أَوْ فِي الْأَرْضِ مُحَصَّنَةٍ فَتَقْذِفَانِهَا؟

ابتدأه حديثاً مصنوعاً وإحراجاً للعباس بن محمد حين استشهد به

حدثني عيسى بن الحسن الوراق قال: حدثني عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ. وحدثني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني محمد بن هارون قال:

/ أخبرني الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أن المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ النَّاسِ فَحَضَرُوا، وَقَامَتِ الْخُطَبَاءُ فَتَكَلَّمُوا، وَقَالَتِ الشُّعْرَاءُ فَأَكْثَرُوا فِي وَصْفِ الْمَهْدِيِّ وَفَضَائِلِهِ، وَفِيهِمْ مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ، فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ فِي الْخُطْبَاءِ وَإِنْشَادِهِ فِي الشُّعْرَاءِ قَالَ لِلْمَنْصُورِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدَّثْنَا فَلَانٌ عَنْ فَلَانٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأُمُّهُ مِنْ غَيْرِنَا، يَمْلُؤُهَا عَدْلًا كَمَا

(١) الكنه: الوجه والحقيقة.

(٢) يقال انتحروا: تشاحوا عليه فكاد بعضهم ينحر بعضاً من شدة حرصهم.

(٣) الخزر: اسم جبل من الناس خزر العيون ضيقوها.

مُلِثتْ جَوْرًا» وهذا العباس بن محمد أخوك^(١) يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس، فقال له: «أُنشِدُكَ الله هل سمعتَ هذا؟ فقال: نعم. مخافةً من المنصور، فأمر المنصورُ الناسَ بالبيعة للمهدي.

قال: ولَمَّا انقضى المجلس، وكان العباس بن محمد لم يَأْسَ به، قال: أَرَأَيْتُمْ هذا الزنديقَ إِذْ كَذَبَ عَلَى الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ حَتَّى اسْتَشْهَدَنِي عَلَى كِذْبِهِ، فَشَهِدْتُ لَهُ خَوْفًا، وَشَهِدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ عَلَيَّ بِأَنِّي كَاذِبٌ؟! وَبَلَغَ الْخَبْرُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ، وَكَانَ مُطِيعٌ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ يَخْدُمُهُ، فَخَافَهُ، وَطَرَدَهُ عَنْ خِدْمَتِهِ. قال: وَكَانَ جَعْفَرٌ مَاجِنًا، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ مُطِيعٍ هَذَا غَاظَهُ، وَشَقَّتْ عَلَيْهِ الْبَيْعَةُ لِمُحَمَّدٍ، فَأَخْرَجَ أَبْرَهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ كَانَ أَخِي مُحَمَّدٌ هُوَ الْمَهْدِيُّ فَهَذَا الْقَائِمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ.

خشية أبي جعفر على ابنه جعفر من مطيع

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: كَانَ مُطِيعُ بْنُ إِلْيَاسٍ يَخْدُمُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ وَيُنَادِيهِ، فَكَرِهَ أَبُو جَعْفَرٍ ذَلِكَ، لِمَا شُهِرَ بِهِ مُطِيعٌ فِي النَّاسِ وَخَشِيَ أَنْ يُفْسِدَهُ، فَدَعَا بِمُطِيعٍ وَقَالَ لَهُ: عَزَمْتُ عَلَى أَنْ تَفْسِدَ ابْنِي عَلَيَّ وَتَعْلَمَهُ زَنْدَقَتَكَ؟ فَقَالَ: أَعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْ / تَنْظُرَ [٢٨٨/١٣] بِي هَذَا، وَاللَّهِ مَا يَسْمَعُ مِنِّي إِلَّا مَا إِذَا وَعَاهُ جَمَلُهُ وَزِينَتُهُ وَبَكَلُهُ! فَقَالَ: مَا أَرَى ذَلِكَ وَلَا يَسْمَعُ مِنْكَ إِلَّا مَا يَضُرُّهُ وَيُفْرُهُ. فَلَمَّا رَأَى مُطِيعٌ الْحَاحَةَ فِي أَمْرِهِ قَالَ لَهُ: أَتُؤْمِنُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ غَضَبِكَ حَتَّى أَصْدُقَكَ؟ قَالَ: أَنْتَ أَمِنْ. قَالَ: وَأَيُّ مُسْتَصْلَحٍ فِيهِ؟ وَأَيُّ نَهَايَةٍ لَمْ يُلْغَهَا فِي الْفَسَادِ وَالضَّلَالِ؟ قَالَ: وَيَلِكُ، بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيَعِشِقُ امْرَأَةً مِنَ الْجَنِّ وَهُوَ مُجْتَهِدٌ فِي خِطْبَتِهَا، وَجَمَعَ أَصْحَابَ الْعِزَائِمِ عَلَيْهَا، وَهُمْ يَغْرُونَهُ وَيَعْدُونَهُ بِهَا وَيُثْنُونَهُ، فَوَاللَّهِ مَا فِيهِ فَضْلٌ لَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جِدٍّ وَلَا هَزَلٍ وَلَا كُفْرٍ إِيْمَانٍ. فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: وَيَلِكُ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟ قَالَ: الْحَقُّ وَاللَّهُ أَقُولُ. فَسَلَّ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: عُدْ إِلَى صَحْبَتِهِ وَاجْتَهِدْ أَنْ تُزِيلَهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا تَعْلَمْهُ أَنِّي عَلِمْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَجْتَهِدَ فِي أَزَالَتِهِ عَنْهُ.

إصابة جعفر بن المنصور بالصرع

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي الْكَرَّانِيُّ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ قَالَ:

كَانَ مُطِيعُ بْنُ إِلْيَاسٍ مُنْقَطِعًا إِلَى جَعْفَرَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، فَدَخَلَ أَبُوهُ الْمَنْصُورُ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَقَالَ لِمُطِيعٍ: قَدْ أَفْسَدْتَ ابْنِي يَا مُطِيعُ. فَقَالَ لَهُ مُطِيعُ: إِنَّمَّا نَحْنُ رَعِيَّتُكَ فَإِذَا أَمَرْتَنَا بِشَيْءٍ فَعَلْنَا.

قال: وَخَرَجَ جَعْفَرٌ مِنْ دَارِ حَرَمِهِ فَقَالَ / لِأَبِيهِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ دَخَلْتَ دَارِي بِغَيْرِ إِذْنٍ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: ^{٨٦} لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَهَكَ، وَلَعَنَكَ! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْبَهُ بِكَ مِنْكَ بِأَيِّكَ - قال: وَكَانَ خَلِيعًا - فَقَالَ: أَرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْجَنِّ! فَأَصَابَهُ لَمَمٌ، فَكَانَ يُصْرَعُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ وَالرَّبِيعِ وَقَفَّ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا رَبِيعُ، هَذِهِ قُدْرَةُ اللَّهِ.

وقال المدائني في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فَأَصَابَ جَعْفَرًا مِنْ كَثَرَةِ وَلَعِهِ^(٢) بِالْمَرْأَةِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ يَتَعَشَّقُهَا مِنَ الْجِنِّ صَرْعًا، / فَكَانَ يُصْرَعُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ حَتَّى مَاتَ، فَحُزِنَ عَلَيْهِ [٢٨٩/١٣] الْمَنْصُورُ حُزْنًا شَدِيدًا، وَمَشَى فِي جِنَازَتِهِ، فَلَمَّا دُفِنَ وَسُويَ قَبْرُهُ قَالَ لِلرَّبِيعِ: أُنشِدْنِي قَوْلَ مُطِيعِ بْنِ إِلْيَاسِ فِي مَرْتَبَةِ يَحْيَى بْنِ زِيَادٍ. فَأَنْشَدَهُ:

يَا أَهْلِي ابْكُوا لِقَلْبِي الْقَرِيعِ وَلِلدَمْعِ الدَّوَارِفِ الشُّفْعِ^(٣)

(١) في حد: «وقال العباس بن محمد أخوك».

(٢) يقال ولع بالشئ ولعاً وولوعاً بفتح الواو: لهج به واشتد حبه له.

(٣) في حد: «يا أهل بكراً».

راحوا ييحيى ولو تطاوعني الـ أقدار لم يبتكر ولم يرح^(١)
يا خير من يحسن البكاء له الـ يوم ومن كان أمس للمدح

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر.
أخبرني به عمي أيضاً عن الخزاز عن المدائني، فذكر مثله.

شعره في جارية خرجت من قصر الرصافة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني المغيرة بن هشام الربيعي قال: سمعت ابن عائشة يقول:

مر مطيع بن إلياس بالرصافة، فنظر إلى جارية قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسناً، وحواليها وصائف يرفعن أذيالها، فوقف ينظر إليها إلى أن غابت عنه، ثم التفت إلى رجل كان معه وهو يقول:

لما خرجن من الرصا فة كالثمائل الحسان
يحفقن أحور كالغزا ل يمين في جذل العنان^(٢)
قطعن قلبي حسرة وتقشماً بين الأمان
ويلي على تلك الشما ل واللطيف من المعاني
يساطول حر صبايتي بين الغواني والقيان

[٢٩٠/١٣] / بكاء ينته حين عزم على الرحلة إلى السند، وما قال في ذلك

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهوريه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حدثني بعض ولد منصور بن زياد عن أبيه قال: قال محمد بن الفضل بن السكوني:
رحل^(٣) مطيع بن إلياس إلى هشام بن عمرو وهو بالسند مستميحاً له، فلما رآته بنته قد صحح العزم على الرحيل بكت، فقال لها:

اسكتي فد حزرت بالدمع قلبي طالما حزد معكن القلوبا
ودعي أن تقطعي الآن قلبي وثريني في رحلتي تعذيبا
فغسى الله أن يدافع عني رب ما تحذرين حتى أؤبى
ليس شيء يشأوه ذو المعالي يعزير عليه فادعي المجيبا
أنافي قبضة الإله إذا ما كنت بعداً أو كنت منك قريباً^(٤)

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيع بغير رواية، فكان أولها:

/ ولقد قلت لا بنتي وهي تكوي يانسكاب الدموع قلباً كثيباً

٨٧
١٢

وبعده بقية الأبيات.

(١) يبتكر: يخرج بكرة. ويروح: يرجع في الروح.

(٢) الجدل: جمع جدل، وهو الزمام المجدول. والعنان: سير اللجام، عنى بذلك دقة الخصر.

(٣) في الأصول: «دخل».

(٤) البعد، مصدر، أراد به البعيد. وفي الأصول: «بعيداً» ولا يستقيم به الوزن.

شعره في قينة أوما إليها بقبلة فصدته

أخبرني الحسن بن علي الحفاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهويه قال: حدثني علي بن محمد النوفلي، عن صالح الأصم قال:

كان مطيع بن إلياس مع إخوان له على نبذ، وعندهم قينة تغنيهم، فأوما إليها مطيع بقبلة، فقالت له: تُراب! فقال مطيع:

أصوت

[٢٩١/١٣]

إنَّ قلبي قد تصابى	بعد ما كان أنابا
ورماه الحبُّ منه	بسهام فأصابا
قد دهاه شادن يَلد	بس في الجيد سخابا ^(١)
فهو بدر في نقاب	فلذا ألقى النقابا
قلت شمس يوم دجن	حسرت عنها السحابا
ليتني منه على كش	حين قد لانا وطابا ^(٢)
أحضر الناس بما أك	نرفه منه جوابا
فلذا قلت أنلني	قبلة قال تُرابا

لحكم الوادي في هذه الأبيات هزج، بالينصر، من رواية الهشامي.

سرعة بديهته

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنج بن عميرة أن مطيع بن إلياس كان أحضر الناس جواباً ونادرة، وأنه ذات يوم كان جالسا يعدد بطون قريش ويذكر مآثرها ومفاخرها، فقبل له: فأين بنو كنانة؟ قال:

* بفلسطين يسرعون الركوبا *

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

حَلَقُ مَنْ بَنِي كِنَانَةَ حَوْلِي بِفَلَسْطِينَ يُسْرِعُونَ الرُّكُوبَا

/ فضيحتة لأبي دهمان

[٢٩٢/١٣]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُراني عن العُمري عن العتيبي قال:

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يُظهر للناس تألهاً^(٣) ومروءةً وسمناً حسناً، وكان ربما دعا مطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير إليه، ثم قطعاه عنه شغل، فاشتغل وجاء مطيع فلم يجدّه، فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه، فأنشداهم فيه:

(١) الشادن: الظبي الصغير. السخاب: القلادة من القرنفل.

(٢) الكشح: الخاصرة.

(٣) التأله: التنسك والتعبد.

ويلي مَمَّنْ جفاني	وحُبُّه قد يراني ^(١)
وطيفُـه يلقياني	وشخصُـه غير داني
أغرُّ كالبدر يغشى	بحسنه العينان ^(٢)
جاري لا تعدلاني	ففي حُبِّه ودعاني
فربِّ يومٍ قصير	ففي جَوْسِقٍ وجنان
بالراح فيه يُحَيِّا	والقصف والريحان ^(٣)
وعندنا قيتان	وجهاهما حسان
عوداهما غردان	كأثما ينطقان ^(٤)
/ وعندنا صاحبان	للذهر لا يخضعان
فكنس أول حمام	وأول الشمرعان ^(٥)
في فتية غير ميل	عند اختلاف الطعان
من كل خوفٍ مخيف	في السر والإعلان
/ حمال كل عظيم	تضييق عند اليلدان
وإن ألحَّ زمران	لم يستكين للزمران
فزال ذاك جميعاً	وكل شئٍ فنان
من عاذري من خليل	مُوافقي ملدان ^(٦)
مدهان متوان	يكنى أبي دهمان ^(٧)
متى يعسذك لقضاء	فالنجم والفرقدان
وليست يعتسّم إلا	سكران مسع سكران ^(٨)
يسقيه كل غلام	كأنه غصن بان
من خندريس عقار	كخمرة الأرجوان ^(٩)

٨٨
١٢

[٢٩٣/١٣]

قال: فلقبه بعد ذلك أبو دهمان، فقال: عليك لعنة الله فضحتني، وهتفت بي، وأذغت سرّي، لا أكلّمك أبداً، ولا أعاشرك ما بقيت، فما تفرّق بين صديقك وعدوك.

(١) في حد: «عن من» وهو تحريف.

(٢) العشا: ضوء البصر. في الأصول: «يفشى»، تحريف.

(٣) القصف: الجلبة والإعلان باللهو، ويقال إنها مولدة. وقصف علينا بالطعام قصفاً أي تابع، والمقصود هنا اللهو والغناء.

(٤) في الأصول: «عوداهما غير داني»، والوجه ما أثبتنا.

(٥) سرعان القوم، بالتحريك: أوائلهم المستبقون.

(٦) الملدان: عني به اللين الناعم.

(٧) المدهان: المنافق.

(٨) يعتم: يدخل في العتمة، وهي ثلث الليل الأول. وفي الأصول: «يغتم».

(٩) الخندريس: الخمرة القديمة. والعقار: التي تذهب الوعي. والأرجوان: الشديدة الحمرة.

خبر مطيع مع علي بن القاسم

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة، قال: حدثني علي بن عمرو عن عمه علي بن القاسم قال:

كنت ألف مطيع بن إلياس، وكان جاري، وعثقتني في عشرته جماعة، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرته بذلك، فقال: وهل سمعت مني أو رأيت شيئاً يدل على ذلك، أو هل وجدتني أخلاً بالفرائض في صلاة أو صوم؟ فقلت له: والله ما أتهمك ولكنني خبرتك بما قالوا. واستحييت منه. فعجل على السكر ذات يوم في منزله، فتمت عنده ومطّرنا^(١) في جوف الليل وهو معي، فصاح بي مرتين أو ثلاثاً، / فعلمت أنه يريد أن يصطبح، فكسبت أن أجيبه، [٢٩٤/١٣] فلما تبين أني نائم جعل يردد على نفسه بيتاً قاله، وهو قوله:

أصبحتُ جَمَّ بِلَابِلِ الصَّدرِ عَصراً أَكْأَمُهُ إِلَى عَصْرِ^(٢)

فقلت في نفسي: هذا يعمل شعراً في فنّ من الفنون. فأضاف إليه بيتاً ثانياً، وهو قوله:

إِنْ بُحْتُ طُلَّ دَمِي وَإِنْ تُرَكْتُ وَقَدْتُ عَلَيَّ تَوْقَدَ الْجَمْرِ^(٣)

فقلت في نفسي: ظفرت بمطيع. فتنحنحت، فقال لي: أما ترى هذا المطر وطيبه، أقعد بنا حتى نشرب أقداحاً. فاغتنمت ذلك، فلما شربنا أقداحاً قلت له: زعمت أنك زنديق. قال: وما الذي صحّ^(٤) عندك أنني زنديق؟ قلت: قولك: «إِنْ بُحْتُ طُلَّ دَمِي» وأنشدته البيتين، فقال لي: كيف حفظت البيتين ولم تحفظ الثالث؟ فقلت: والله ما سمعت منك ثالثاً. فقال: بلى قد قلت ثالثاً. قلت: فما هو؟ قال:

مَآجِنَاهُ عَلَيَّ أَبِي حَسَنِ عَمْرٍ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ^(٥)

من سرعة يديه

/ وحدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: حدثني ٨٩ / محمد بن عمر العرجاني قال:

جاء مطيع بن إلياس إلى إخوان له وكانوا على شراب، فدخل الغلام يستأذن له، فلما سمع صاحب البيت يذكره خرج مبادراً، فسمعه يقول:

/ أَمْسَيْتُ جَمَّ بِلَابِلِ الصَّدرِ دَهراً أَزْجِيهِ إِلَى دَهْرِ^(٦)

إِنْ فَهْتُ طُلَّ دَمِي وَإِنْ كُتِمْتُ وَقَدْتُ عَلَيَّ تَوْقَدَ الْجَمْرِ

فلما أحس مطيع بأن صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال:

مَآجِنَاهُ عَلَيَّ أَبِي حَسَنِ عَمْرٍ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ

وكان صاحب البيت ينشئ، فأكب على رأسه يقبله ويقول: جزاك الله يا أبا مسلم خيراً!

(١) مطرنا: نزل علينا المطر.

(٢) الجم: الكثير. والبلايل: وساوس الصدر وشدة الهموم.

(٣) طل دمه، بالبناء للمجهول: أبيع، وقيل لم يثار به.

(٤) في الأصول: «صح».

(٥) هذا ما في ش. وفي سائر النسخ: «ما جناه». وأبو حسن: كنية علي بن أبي طالب.

(٦) أزجيه: أسوقه. وقد سبق برواية أخرى.

بنت مطيع بن إلياس، وما رميت به من الزندقة

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب:

أن الرشيد أتني ببنت مطيع بن إلياس في الزنادقة، فقرأت كتابهم واعترفت به، وقالت: هذا دين علمنيه أبي، وثبت منه. فقبل توبتها وردّها إلى أهلها.

عقب مطيع بن إلياس

قال أحمد: ولها نسل بجبل في قرية يقال لها: «الفراشية» قد رأيتهم، ولا عقب لمطيع إلا منهم.

دعوته يحيى بن زياد للشراب

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إلياس نازلاً بكرخ بغداد، وكان بها رجل يقال له: الفهمي، مغنٌ مُحسّن، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعة من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زياد يدعوه بهذه الأبيات. قال:

عندنا الفهمي مسرو رُوزَمَـارُ مُجِـد
ومُعـادٌ وعِـيـادٌ وعُمَـيـرُ وسَعِـيـد
ونَدَامَـيُ يُعَمِّلـونَ الـ قَلـزَ والقَلـزُ شَدِـيـد
بعضهم رِيحانٌ بعض فهُـمُ مِـسْـكٌ وعُـودُ

[٢٩٦/١٣] / قال: فأتاه يحيى، فأقام عنده وشرب معهم، وبلغت الأبيات المهدية، فضحك منها، وقال: تنايك القوم ورب الكعبة.

قال الكراني: القَلزُ: المبادلة^(١).

وجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه، عن إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجريدي. فذكر أن مطيعاً اصطبَحَ يوم عرفة وشرب يومه وليلته، واصطبَحَ يوم الأضحى، وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات:

قد شربنا ليلة الأض حَـيَ وسَقِينَا يَـزِـيـدُ
عندنا الفهمي مسرو رُوزَمَـارُ مُجِـد
وسليمـان فتـانـا فهُـو يُوـيـدِي ويُعِـيـدُ
ومُعـادٌ وعِـيـادٌ وعُمَـيـرُ وسَعِـيـد
ونَدَامَـيُ كُلُّهُم يَفُـ لِـزَ والقَلـزُ شَدِـيـد
بعضهم رِيحانٌ بعض فهُـمُ مِـسْـكٌ وعُـودُ
غالَت الأنحس عنهم وتَلَقَّتْهُمُ سَعِـيـودُ
فتَرَى القوم جُلوساً والخَنـاعِـنُ عَنْهُمُ بَعِـيـدُ
/ ومطِيعُ بـنُ إِيـسـاس فهُـو بِالقَضِـصِ وَلِـيـدُ
وعلى كَرِّ الجديديـ بـنِ وَمَا حَلَّ جَلِـيـدُ

دهوة عوف بن زياد لمطيع وجوابه على ذلك

ووجدت في كتاب يعقب هذا: وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف^(١) بن زياد كتب يوماً إلى مطيع: «أنا اليوم نشيط للشرب، فإن كنت فارغاً فسر إليّ، وإن / كان عندك نبيذ طيب، وغناء جيد جئتكَ». فجاءته رقعته^(٢) [٢٩٧/١٣] وعنده حماد الراوية وحكم الوادي، وقد دَعَوْا غلاماً أمرد، فكتب إليه مطيع:

نَعَمْ لَنَا نَبِيذٌ	وعندنا حماد
وخيرُنا كثيرٌ	والخير مُستزاد
وكُلُّنا من طَرِبٍ	يطيرُ أو يكاد
وعندنا وادئنا	وهو لنا عماد
ولهُوُّنا لذِيذٌ	لهم يُلْهُوهُ العباد
إن تشتهه فسأداً	فعندنا فسأداً
أو تشتهه غلاماً	فعندنا زيارداً
ما إن به التواء	عنا ولا يعاد

قال: فلَمَّا قرأ الرقعة صار إليهم، فأتم به يومه معهم.

مدح مطيع للغمر بن يزيد

أخبرنا محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن عنبسة القرشي الكريزي عن أبيه قال: مدح مطيع بن إلياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها:

لا تَلَحْ قلبك في شقائِه	ودع المتيم في بلائِه ^(٣)
كفِكَف دموعك أن يقض	من بناظر غرق بمائه
ودع النسيب وذكره	فبحسب مثلك من عنائه
كم لذة قد نلتها	ونعيم عيش في بهائه
/ بنواعم شبه الدُمى	والليل في ثني عمائه ^(٤)
وأذكر فتى يمينه	خفف الزمان لدى الثوائه
وإذا أمية حُصِّلَتْ	كان المهذب في انتمائه
وإذا الأمور تفاقمت	عظماً فمصدراً برائه ^(٥)
وإذا أردت مديحه	لم يكد قولك في بنائه ^(٦)

[٢٩٨/١٣]

(١) في حد: «أن عون».

(٢) في الأصول: «رقعة».

(٣) لا تلم: لا تلم.

(٤) ثني عمائه: كناية عن شدة الظلام وازدواجه.

(٥) برائه: برأيه، أي تصدر عن رأيه.

(٦) لم يكد: لم يخب. يقال حفر فأكدى، أي بلغ الصلابة.

ففي وجهه عَلِمُ الهدي والمجدُ في عطفني ردائه
وكلَّأنا البدر المنير مُشَبَّه به في ضيائه^(١)

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنوية، وحركته وَرَفَعَتْ من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه.

استعطافه ليحيى بن زياد

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه، لمطيع بن إياس يستعطف يحيى بن زياد في هجرة^(٢) كانت بينهما

٩١ / وتباعد: ١٢

يا سميَّ النبي الذي خد صمَّ به الله عبده زكريا^(٣)
فدعاه الإله يحيى ولم يَجِدْ عَمِلْ له الله قبل ذاك سميَّا
كن بصبِّ أمسى بحبك برًّا إن يحيى قد كان برًّا تقيًّا

رثاؤه له

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته:

قد مضى يَحْيَى وغودرتُ فردا / وأرى عَيْنِي مُذْ غَابَ يَحْيَى
وسدته الكفُّ مَنِي تَرَابًا وَلَقَدْ أَرْتِي له من وساد
بين جيرانِ أقاموا صُمُوتًا لا يُجِيرُونَ جواب المنادي
أثَّها المزن الذي جاد حَيَّيْ أعشبت منه متسون البوادي
اسقِ قبراً فيه يحيى فإني لك بالشكرِ مُوافٍ مُغَاد^(٤)

[٢٩٩/١٣]

شعره في جوهر حين بيعت

نسخت من نسخة بخط هارون بن محمد بن عبد الملك قال:

لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يُشَبِّب بها قال فيها - وفيه غناء من خفيف الرمل أظنه لحكم -:

صاح غرابُ البين بالبين فكادت أنقصدُ بنصفين
قد صار لي خدنان من بعدهم هم وغسم شمس خمدني سن
أفدي التي لم ألق من بعدها أنسا وكانت قرة العين
أصبحت أشكو فرقة البين لمارات فرفقهم عيني

(١) في الأصول: «بسته في ضيائه».

(٢) الهجرة: الجفوة والهجران.

(٣) في الأصول: «باسم النبي» تحريف.

(٤) النصب، يقال هو نصب عيني، للشيء الظاهر الذي لا يخفى.

(٥) أوفى فلانا حقه: أعطاه إيفاء، كوفاه ووافاه. والمغادي: الذي يغادي، أي يأكو. وفي الأصول: «مغادي» تحريف.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون [بن] طائع قال: حدثني ابن خرداذبة قال: خرج مطيع بن إلياس، ويحيى بن زياد حاجين، فقدما أثقالهما وقال أحدهما للآخر: هل لك في أن نمضي إلى زُرارة فنقصف ليلتنا عنده، ثم نلحق أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبهم حتى انصرف الناس من مكة. قال: فركبا بعيريهما وحلقا رؤسهما ودخلا مع الحجاج المنصرفين. وقال مطيع في ذلك:

الم ترنسي ويحيى قد حججنا / وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي خير وبر / فمال بنا الطريق إلى زُراره
فعاد الناس قد غنموا وحجوا / وأبنا سوقيين من الخساره
وقد روي هذا الخبر لبشار وغيره.

شعره في ريم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إبراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال:

خرج جماعة من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش، فخرج يحيى بن زياد إلى محمد بن العباس وكنت في صحبته، فمضى إلى البصرة، وخرج حماد عجرد إليها معه، وعاد حماد الراوية إلى الكوفة، وأقام مطيع بن إلياس ببغداد وكان يهوى جارية يقال لها: «ريم» لبعض النخاسين وقال فيها:

لولا مكانك في مدينتهم / لظننت في صحتي الألى ظعنوا^(١)
/ أو ظننت ببغداداً بحبكهم / وبغيرها لولاكم الوطن^(٢)
قال: وقال مطيع في صبح اصطبحه معها:

ويوم ببغداد نعلمنا صباحه / على وجه حوراء^(٣) المدامع تطرب
بيت ترى فيه الزجاج كأنه / نجوم الدجى بين الندامى تغلب
يصرف ساقينا ويقطب تارة / فيا طيبها مقطوبة حين يقطب^(٤)
علينا سحيق الزعفران وفوقنا / أكاليل فيها الياسمين المذهب
فما زلت أسقى بين صنح ومزهر / من الراح حتى كادت الشمس تغرب^(٥)

/ وفيها يقول:

أمسى مطيع كلفنا / صبا حزيناً دنفنا^(٦)
حُرٌّ لمن يعشقه / برقه معترفنا

(١) في الأصول: «أظننت في صحتي»، تحريف.

(٢) أوطن المكان: اتخذها وطناً.

(٣) الحور: شدة بياض العين وسواد سوادها. وفي الأصول: «حمر».

(٤) يقطب: يمزج.

(٥) الصنح: آلة باوتار يضرب بها، معرب.

(٦) الدنف: المريض.

يَا رَيْمُ فَاشْفِي كِبْدًا حَرَّى وَقَلْبًا شَغْفًا^(١)
وَنُوْلِيْنِي قَلْبَةً وَاحِدَةً ثُمَّ كَفَى
قال وفيها يقول:

يَا رَيْمُ قَدْ أَنْفَقْتُ رُوحِي فَمَا مِنْهَا مَعِيَ إِلَّا الْقَلِيلُ الْحَقِيرُ
فَأَذْنِبِي إِنْ كُنْتَ لَمْ تُذْنِبِي فِي ذُنُوبًا إِنْ رَأَيْ غُفُورُ
مَاذَا عَلَى أَهْلِكَ لَوْ جُدْتَ لِي وَزُرْتَنِي يَا رَيْمُ فِيمَنْ يَزُورُ
هَلْ لَكَ فِي أَجْرِ تُجَازِي بِهِ فِي عَاشِقٍ يَرْضِيهِ مِنْكَ الْيَسِيرُ
يَقْبَلُ مَا جُدْتَ بِهِ طَائِعًا وَهُوَ إِنْ قَلَّ لَدَيْهِ الْكَثِيرُ
لِعَمْرِي مَنْ أَنْتَ لَهُ صَاحِبٌ مَا غَابَ عَنْهُ فِي الْحَيَاةِ الشُّرُورُ
قال وفيها يقول:

يَا رَيْمُ يَا قَاتِلَتِي إِنْ لَمْ تَجُودِي فَعِدِي^(٢)
يَكْفُتُ بِالْمَطْلِ وَإِخْلَا فِكَ وَعَدِي كَيْدِي
حَالَفَ عَيْنِي سُهْدِي وَمَا بَهَا مِنْ رَمَدٍ^(٣)
يَا لَيْتَنِي فِي الْأَحَدِ أَبْلَيْتُ مَنِّي جَسَدِي
لَمَنْ بِهِ مِنْ شِقْوَتِي أَخَذْتُ حَتْفِي يَدِي

[٣٠٢/١٣] / من شعره في جوهر

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس،
يقوله في جوهر جارية بربر:

يَا أَبَاي وَجْهَكَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ مَا أَبْصِرُ
يَا أَبَاي وَجْهَكَ مِنْ رَائِع يَشْبِهُهُ الْبَدْرُ إِذَا يَزْهَرُ
جَارِيَةٌ أَحْسَنُ مِنْ حَلِيهَا وَالْحَلِي فِيهِ الدَّرُّ وَالْجَوْهَرُ
وَجَرْمُهَا أَطْيَبُ مِنْ طَيِّبِهَا وَالطَّيِّبُ فِيهِ الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ^(٤) /
جَاءَتْ بِهَا بِرَبْرُ مَكْنُونَةٌ يَا حَبَّذَا مَا جَلَبَتْ بِرَبْرُ
كَأَنَّمَا رِيقَتُهَا قَهْوَةٌ صُبَّ عَلَيْهَا بَارِدُ أَسْمَرُ^(٥)

٩٣
١٢

صبت مطيع بأبي العمير

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني منصور بن بشر العمركي عن محمد بن
الزبرقان قال:

(١) الحرى. العطشى.
(٢) في الأصول: «يا قاتلي».
(٣) في الأصول: «حالفت».
(٤) الجرم: الجسم.
(٥) يعني العسل. وفي الأصول: «كأن ريقها».

كان مطيع بن إلياس كثير العبث، فوقف على أبي العمير: رجل من أصحاب المعلّى الخادم، فجعل يعبث به ويمارحه إلى أن قال:

ألا أبلغ لديك أبا العمير أراني الله في استيك نصف أير
فقال له أبو العمير: يا أبا سلمى، لوجدت لأحد بالأير كله لجدت به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بحبك لا نريده كله إلا لك. فأفحمه، ولم يعاود العبث به.
قال: وكان مطيع يرمى بالأبنة.

ما دار بينه وبين صديق له حين سقط له حائط
قال: وسقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصدقائه: أحمد الله على السلامة! قال: أحمد الله أنت الذي لم ترعك هدته، ولم يصيبك غباره، ولم تعدم أجره بنائه.

مدحه جرير بن يزيد

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

[٣٠٣/١٣]

وفد مطيع بن إلياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه بقصيدته:

أمن آل ليلى عزممت الكورا ولم تلق ليلى فتشفي الضميرا
وقد كنت دهرك فيما خلا لليلى وجارات ليلى زعورا
ليالي أنت بها معجب تهيم إليها وتعصي الأميرا
وإذ هي حوراء شبه الغزا لي تبصر في الطرف منها فتورا^(١)
تقول أبتني إذ رأيت حالي وقربت للبين عتسا وكورا^(٢)
إلى من أراك، وقتك الحتو ف نفسي، تجشمت هذا المسيرا
فقلت: إلى البجلي الذي يفتك العناة ويغني الفقيرا^(٣)
أخي العرف أشبه عند الندى وحمل المئين أباه جديرا^(٤)
عشير الندى ليس يرضى الندى يد الدهر بعد جرير عشييرا
إذا استكثرت المجتدون القلي سل للمعتفين استقل الكييرا
إذا عسر الخير في المجتدي من كان لديه عتيدا يسيرا
وليس بمانع ذي حاجة ولا خاذل من أنى مستجييرا
فتنقسي وقتك أبا خالدي إذا ما الكمأة أغاروا الثمورا^(٥)
إلى ابن يزيد أبي خالدي أخي العرف أعملتها عيسجورا^(٦)

[٣٠٤/١٣]

(١) الفتور: الضعف.

(٢) العنس: الناقة الصلبة. والكور: بالضم: الرجل أو هو بأداته.

(٣) العناة: جمع عان، وهو الأسير.

(٤) في الأصول: «إياه جديرا».

(٥) الكمأة: جمع كمي، وهو الرجل الشجاع المدجج بالسلاح. والتمور: جمع نمر، أراد أنهم فاقوا التمور في شجاعتهم.

(٦) العيسجور: الناقة الصلبة والسريعة.

لِنَلْقَى فَوَاضِلَ مَنْ كَفَّه
فَصَادَفْتُ مِنْهُ نَوَالاً غَزِيرَا
فَإِنْ يَكُنِ الشُّكْرُ حُسْنَ الثَّنَا
بِالْعَرَفِ مَنِّي تَجِدُنِي شُكُورَا
بَصِيرَا بِمَسَايِلِ الدُّرُورَا
عُ مِنْ مُخَكِّمِ الشُّعْرِ حَتَّى يَسِيرَا

إجازة جرير له سرّاً

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً، ولم يعلم أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفت خبرك، وإنني متعجل لك ٩٤ جازتك ساعتى هذه، فإذا حضرت غداً فإنني سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء، / وأزودك نفقةً طريقك وأصرفك، لثلاً يبلغ أبا جعفر خبري فيهلكني. فأمر له بمائتي دينار، فلما أصبح أتاه، فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمى، وفي أي شيء أنا حتى ينتجني الشعراء؟ لقد أسأت إليّ لأنني لا أستطيع تبليغك محابك^(١)، ولا آمن سخطك وذمك. فقال له: تسمع ما قلتُ فإنني أقبل ميسورك، وأبسط عُذرك. فاستمع منه كالمتكلف المتكره، فلما فرغ قال لغلامه: يا غلام كم مبلغ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائة درهم. قال: أعطه مائة درهم لنفقة طريقه، ومائة درهم ينصرف بها إلى أهله، واحتبس لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، وأنصرف مطيعاً عنه شاكراً، ولم يعرف أبو جعفر خبره.

بعض ما غنى فيه من شعره

أنشدني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أمه، لمطيع بن إياس، وفيه غناء:
واهأ لشخص رجوت نائله
لأنّ حواشيه لي وأطمعني
حَتَّى أَنشَى لِي بِوَدِّهِ صَلَفَا
حَتَّى إِذَا قَلَّتْ نَلَّتْهُ أَنْصَرَفَا

قال: وأنشدني حماد أيضاً عن أبيه، لمطيع بن إياس، وفيه غناء أيضاً:

خليلي مخلصفٌ أبداً
يعني غداً فغداً
/ وبعد غدٍ وبعد غدٍ
كذا لا ينقضني أبداً
له جمرٌ على كيدي
إذا حركته وقداً
وليس بلائٌ جمرُ الـ
غَضَى أَنْ يُحْرِقَ الْكَبِدَا^(٢)

[٣٠٥/١٣]

وفي هذه الأبيات لعريب هزج.

أطيب الأشياء عند مطيع

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا العنزي عن مسعود بن بشر قال:

قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياس: أيّ الأشياء أطيبُ عندك؟ قال: «صهباء صافية، تمزجها غانية، بماء غادية».

قال: صدقت.

(١) محابك: ما تحب وتتمنى.

(٢) اللابث: المهرقف.

عريدة مطيع على يحيى بن زياد وذمه له ثم استرضاه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو عبد الله التميمي قال: حدثنا أحمد بن عبيد. وأخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العثبي قال:

سكر مطيع بن إياس ليلة، فعربد على يحيى بن زياد عريدة^(١) قبيحة وقال له وقد حلف بالطلاق:

لا تحلفاً بطلاق مَنْ
مهللاً فقد علم الأنا
أمسث حوافرها رقيقه
مُ بأنّها كانت صديقه

فهجر يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً، فكتب إليه مطيع:

إن تصلني فمثلك اليوم يُرجى
ولئن كنت قد هممت بهجري
/ وأحق الرجال أن يغفر الذن
الكريم الذي له الحسب الثا
ولئن كنت لا تصاحب إلا
لا تجذّه وإن جهذت، وأنسى
إنما صاحبي الذي يغفر الذن
/ الذي يحفظ القديسم من العهد
ورعى ما مضى من العهد منه
ليس من يظهر المودة إنك
وصله للصديق يوماً فإن طا

عفوّه الذنب عن أخيه ووصله
للذي قد فعلت إني لأهله
ب لإخوانه الموقر عقله
قب في قومه ومن طاب أصله
صاحباً لا تزل ما عاش نعل^(٢)
بالذي لا يكاد يُوجد مثله
بب ويكفيه من أخيه أقله
عد وإن زل صاحب قل عدله
حين يؤذي من الجهالة جهله^(٣)
وإذا قال خالف القول فعله
ل فيومسان ثم ينبت حبّه

[٣٠٦/١٣]

٩٥
١٢

قال: فصالحه يحيى وعاود عثرته.

نزوله بدير كعب وشعره في جليس ثقل

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو أيوب المدني قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال: حدثني أبي عن رجل من أهل الشام قال:

كنت يوماً نازلاً بدير كعب، قد قدمت من سفر، فإذا أنا برجل قد نزل الدّير معه ثقل^(٤) وآلة وعيبة، فكان قريباً من موضعي، فدعا بطعام فأكل، ودعا الراهب فوهب له دينارين، وإذا بيته وبينه صداقة، فأخرج له شرباً فجلس يشرب ويحدث^(٥) الراهب، وأنا أراهما، إذ دخل الدّير رجل فجلس معهما، فقطع / حديثهما وثقل في مجلسه، [٣٠٧/١٣]

(١) العريدة: أن يؤذي النديم النديم بما يكره.

(٢) زلة النعل: كناية عن الخطأ. وهو من قول النابغة:

ولست بمتبّق أخاً لا تلمسه

(٣) في الأصول: «يؤدي»، بالذال المهملة.

(٤) الثقل، بالتحريك: متاع المسافر وحشمه.

(٥) في الأصول: «ويجذب».

على شعث أي الرجال المهذب

وكان غثَّ الحديث، فأطال. فجاءني بعض غلمانِ الرجلِ النازِلِ فسألته عنه، فقال: هذا مطيعُ بنِ إياس. فلمَّا قام الرجلُ وخرج كتب مطيعٌ على الحائِطِ شيئاً، وجعل يشرب حتى سكر، فلما كان من غدٍ رَحَلَ، فجئت موضِعَه فإذا فيه مكتوب:

طَرِبَةَ مَا طَرِبْتُ فِي دَيْرِ كَعْبٍ كَدْتُ أَقْضِي مِنْ طَرِبَتِي فِيهِ نَحِيْبِي
وَتَذَكَّرْتُ إِخْوَتِي وَنَدَامَا يَ فَهَاجَ الْبِكَاءِ تَذَكُّارُ صَحْبِي^(١)
حِينَ غَابُوا شَتَّى وَأَصْبَحْتُ فَرْدَا وَنَاوَأَيِّنَ شَرْقِ أَرْضِ وَغَرْبِ
وَمُمْ مَا هُمْ، فَحَسِبِي لَا أَبْ غِي بَدِيلًا بِهِمْ لِعَمْرُكَ حَسْبِي
طَلَحَ الْخَيْرِ مِنْهُمْ وَأَبُو الْمُتَد لَذِرْ خُلِّي وَمَالِكَ ذَاكَ تَرَبِّي^(٢)
أَيْهَا الدَّخِلُ الثَّقِيلُ عَلَيْنَا حِينَ طَابَ الْحَدِيثُ لِي وَلِصَحْبِي
خِفْنَا عَنْكَ فَأَنْتَ أَثْقَلُ وَاللُّ سِ عَلَيْنَا مِنْ فَرَمَخِي دَيْرِ كَعْبِ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَخِفُّ وَمِنْهُمْ كَرَحَى الْبَزْرِ رُكِبْتَ فَوْقَ قَلْبِي

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عمر بن محمد قال: حدثنا الحسين^(٣) بن إياس، ويحيى بن زياد، وزاد العمل^(٤) حتى حَلَفَ يحيى بن زياد على بُطْلَانِ شيءٍ كَلَّمَهُ بِهِ مِمَّا دَارَ بَيْنَهُمَا، فقال مطيع:

/ لَا تَحْلِفْ أَبْطَلًا قِي مَن أَمْسَتْ حَوَافِرُهَا رَقِيقَه
هِيَهَاتَ قَدْ عَلِمَ الْأَمِيرُ رُبَّأَنْهَآ كَانَتْ صَدِيقَه

(٣٠٨/١٣)

فَغَضِبَ يحيى وَحَلَفَ أَلَّا يُكَلِّمَ مطيعاً أبداً، وكان لا يكادان يفترقان^(٥) في فَرَحٍ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا شِدَّةٍ وَلَا رَخَاءٍ، فتباعد ما بين يحيى وبينه، وتجاوفاً مدة، فقال مطيعٌ في ذلك، وندم على ما فَرَطَ مِنْهُ إِلَى يحيى؛ فكتب إليه بهذا الشعر، قال:

كُنْتُ وَيْحِي كَيْدَ وَاحِدَةٍ نَرْمِي جَمِيعاً وَتَرَانَا مَعَا
إِنْ غَضَّنِي الذَّهْرُ فَقَدْ عَضَّه يُوجِعُنَا مَا بَعْضُنَا أَوْجَعَا
/ أَوْ نَامَ نَامَتْ أَعْيُنُ أَرْبَعٍ مَنَا وَإِنْ أَهْرَفْ فَلَنْ يَهْجَعَا
يُشْرِنِي الذَّهْرُ إِذَا سَرَّه وَإِنْ رَمَاهُ فَلَنَّا فَجَعَا
حَتَّى إِذَا مَا الشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي لَاحَ وَفِي عَارِضِهِ أَسْرَعَا
سَعَى وَشَاةٌ فَمَشَّوْا بَيْنَنَا وَكَادَ جُلُ الْوَدِّ أَنْ يَقْطَعَا
فَلَمْ أَلَمْ يَحْيَى عَلَى فِعْلِهِ وَلَمْ أَقْلَ مَلٌّ وَلَا ضَيْعَا
لَكِنْ أَعْدَاءُ لَنَا لَمْ يَكُنْ شَيْطَانُهُمْ يَرَى بِنَا مَطْمَعَا

٩٦
١٢

(١) كذا على الصواب في حـ، وفي س: «ندماي» وفي ش: «ندمائي»

(٢) الترب بكسر التاء: ما ولد معك، وأكثر ما يستعمل في المؤنث يقال «هذه ترب فلانة».

(٣) كذا في الأصول. وظاهر أن هناك سقطاً بين السند وأول الخبر.

(٤) تكملة للخبر الذي سبق في ص ٣٠٥. ولعلها: «وزاد في العريضة».

(٥) في حـ: «أن يفترقا».

بيننا كذا غاش على غرة فأوقد الثيران مستجمعاً^(١)
فلم يزل يُوقدُها دائباً حتى إذا ما اضطرمت أفلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني. وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه. قال إسحاق في خبره: «دخل على إخوان يشربون»، وقال الأصمعي:

/ دخل سُرعة بن الزندبور على مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد، وعندهما قينة تغنيهما، فسقوه أقداحاً وكان [٣٠٩/١٣] على الريق، فاشتد ذلك عليه، فقال مطيع للقينة: غني سُرعة. فقالت له: أي شيء تختار؟ فقال: غني:
طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطننا
ففطن مطيع لمعناه، فقال: إيك أكل؟ قال: نعم. فقدم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم. والله أعلم.

قول مطيع لمحمد بن سالم وشعره فيه

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهوريه قال: حدثني محمد بن هارون الأزرق مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال: حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال:

كان مطيع بن إلياس [يهوى] ابن مولى لنا يقال له محمد بن سالم، فأخرجت أباه إلى ضيعة لي بالري لينظر فيها، فأخرجه أبوه معه، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني، فأنشدني لنفسه:

أيا ويح له لا الصبر يملك قلبه فيصبر لَمَّا قيل سار محمد
فلا الحزن يُقنيه ففي الموت راحة فحسبني متى في جهده يتجلد
قد أضحى صريعاً باديات عظامه سوى أن روحاً بينها تتردد
كثيراً يمئني نفسه بلقائه على نأيه والله بالحزن يشهد
يقول لها صبراً عسى اليوم آت بللفك أو جاء بطلعت الغد
وكنت يداً كانت بها الدهر قوتي فأصبحت مُضنى منذ فارقني يدي

في أخبار مطيع التي تقدم ذكرها آنفاً أغان أغفلت عن نسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه:

/ صوت

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطننا
فقوماً اكوياني ولا ترحما من الكي مستحيفاً راصناً^(٢)
/ ومراً على منزل بالغميم فلأني عهدت به شادناً^(٣)
فكور القيام رخيماً الكلا م كان فؤادي به راهناً

(١) في حد: «غاس» بالسين المهملة، وكلاهما تحريف.

(٢) المستحيف: الشديد. والراصن، كذا صحح في «مهلذب الأغاني». ولعله وصف من رصن رصانة. وفي الأصول: «راضياً»، وهو تحريف.

(٣) الشادن: الغزال الصغير.

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار، لعمر بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، والغناء لمعبد، ولحنه ثقيلاً أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمر بن وهب، وفيه لأبي العباس بن حمدون ثاني ثقيلاً مطلق في مجرى البصر، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تشبه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسن صنعة له صدق.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن أبيه، أن غيلان بن خرشة الصبي دخل إلى قوم من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم، حتى غنت القينة:

طبيبي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا

وكان أعرابياً جافياً به لؤثة^(١)، فغضب ووثب وهو يقول: السوط ورب غيلان يداوي ذلك الجوى! وخرج من عندهم.

وهذا الخبر مذكور في أخبار معبد من كتابي هذا وغيره، ولكن ذكره هنا حسن فذكرته.

أوما فيها من الأغاني قول مطيع

[٣١١/١٣]

صوت

أمسيْتُ جَمَّ بِلَابِلِ الصَّدرِ دَمراً أَرْجِيهِ إِلَى دَمَرٍ
إِنْ فَهَتْ طُلَّ دَمِي وَإِنْ كُتِمَتْ وَقَدَّتْ عَلَيَّ تَوَقَّدَ الْجَمَرُ^(٢)

الغناء لحكم الوادي، هزج بالبصر عن حبش الهشامي.

مطيع وجوهر المغنية

أخبرني ابن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال:

دخلت علينا جوهر المغنية جارية برب^(٣)، وكانت محسنة جميلة ظريفة، وعندنا مطيع بن إياس وهو يلعب بالشطرنج، وأقبل عليها بنظره وحديثه، ثم قال:

ولقد قلْتُ مُعلنَاً لَسَعِيدٍ وَجَعْفَرٍ
إِنْ أَتَنَنْتَنِي مَنِيَّتَنِي فَدَمِي عِنْدَ بَرَبٍ^(٤)
قَتَلْتَنِي بِمَنْعِهِ لِي [مِنْ وَضَلِ جَوْهَرِ]

قال: وجوهر تضحك منه.

هجاء مطيع لحماة عجرد

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال:

(١) اللؤثة: الحمق ومس الجنون.

(٢) في جـ: «إني فهمت طل يدي».

(٣) في جـ: «جارية يزيدي».

(٤) في كل الأصول: «إن ابنتي منيتي»، وهو تصحيف.

بلغ مطيع بن إلياس أن حماد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زياد قاله في مُنْقَذِ بن بدر الهلالي، فأجابه مُنْقَذُ عنه بجواب، فاستخفهما [حمّاد] عجرد، وطعن عليهما، فقال فيه مطيع:

[٣١٢/١٣]

/ أيها الشاعرُ الذي عاب يحيى ومُنْقَذُ
أنتَ لو كنتَ شاعراً لم تقل فيهما كذا
لست والله فاعلم من لدي النقدِ جهيذا^(١) /
تعديل الصبر بالرضى شائب الصفو بالقذى^(٢)

٩٨
١٢

مطيع ومكنونة جارية المروانية

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الاحدب قال:

كنت جالساً مع مطيع بن إلياس، فمرت بنا مكنونة جارية المروانية، وكان مطيع وأصحابنا يألّفونها، فلم تسلّم، وعبت بها مطيع بن إلياس فشتّمته، فالتفت إليّ وأنشأ يقول:

فديتُ من مرّ بنا يوماً ولم يتكلم
وكان فيما خلا من كلامه مرسلّم
وإن رآني حيّاً بطرفه وتبسّم
أظنّ - والله أعلم - عليّ في الود ينقّم
فليت شعري ماذا يا ربّ إنك تعلم
وأني في هواها يا لأمي في هواها
واعلم بأنك مهما / إن العلول إذا ما
أولا فما لي أجفسي من غير ذنب وأحرم

[٣١٣/١٣]

مطيع يشبّه بجوهر ثم يهجوها

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان مطيع بن إلياس يألّف جواري بربر، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر، وفيها يقول؛ ولحكم فيه غناء:

خافني الله يا بربر لقد أفسدتِ ذا العسكر^(٤)

(١) الجهيذ: النقاد الخبير.

(٢) في كل الأصول: «من وصفوا لي القذى».

(٣) تجرم عليه: ادعى عليه ذنباً لم يفعله.

(٤) في التفعيلة الأولى من الشطر الأول «خرم».

يفوح المسك والعنبر
ص من يملكها يُحَبَّر^(١)
وعَيْنَا رَشَا أَحْوَز^(٢)

في قياس الدرر المشتهرة
قذفت في كل قلب شرره
كلما قَبَلْتُ فاهَا سَكْرَه
فائز بالجَنَّةِ المختَصِرة

إذا ما أقبلت جوهر
وجوهر دُرَّة الغوَا
لها ثَغَرٌ حَكَى الدرَّ

في هذه الأبيات هزج لحكم الوادي. قال وفيها يقول:
أَنْتِ يَا جَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرَةٌ
أَوْ كَشْمِسٍ أَشْرَقَتْ فِي بَيْتِهَا
وَكَأَنِّي ذَائِقٌ مِنْ فَمِهَا
وَكَأَنِّي حِينَ أَخْلُو مَعَهَا

قال: فجاءها يوماً، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصَّخَّاف يهواها متخل^(٣) معها، فقال مطيع يهجوها:

وعليها قميصُها الأفواف^(٤)
لم يَشْنِهْ ضَعْفٌ وَلَا إِخْطَاف^(٥)
مَا كَذَا يَا فَتَى تُنَاكَ الظَّرَافُ

نَاكَ وَاللَّهِ جَوْهَرُ الصَّخَّافُ
/ شَامَ فِيهَا أَيْرَاءُ لَهُ ذَا ضُلُوع
جَدَّ دَفْعاً فِيهَا فَقَالَتْ تَرْفُقُ

[٣١٤/١٣]

المهدي يسمع شعر مطيع في جوهر فيقول اتجمعوا بينهما

٩٩ / أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هرون بن محمد بن عبد الملك قال، قال محمد بن صالح بن النطاح: أنشد
١٢ المهدي قول مطيع بن إلياس:

لقد أفتنت ذا العسكر
وظبي شادنٍ أحور^(٦)
من يملكها يُحَبَّر^(٧)
لقد فُتَّتِ عَلَى الجَوْهَرِ
أولَى منك بالمِنبَرِ
كِ خَلْعُ ابْنِ أَبِي جَعْفَرِ

خَافِي اللَّهَ يَا بَرَبْرُ
بَرِيحَ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ
وَجَوْهَرِ دُرَّةِ الْغَوَا
أَمَّا وَاللَّهِ يَا جَوْهَرُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا الْمَهْدِيُّ
فَإِنْ شَتَّتِ فَفِي كَفِي

فقال المهدي: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! أجمعوا بين هذين قبل أن نخلعنا هذه القعبة. وجعل يضحك من قول مطيع. ووَجَدْتُ أبياتَ مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهرَ في رواية يحيى بن علي أتم من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأولين:

(١) يحبر: يسر. وفي الأصول: «يجبر».

(٢) الرشا: الظبي إذا قوي ومشى مع أمه. أحور: الحور شدة سواد سواد العين وبياض بياضها.

(٣) متخل: متفرغ.

(٤) الأفواف: الرقيق. وفي حديث عثمان «خرج وعليه حلة أفواف».

(٥) في الأصول: «شام فيها إنزاله» وهو تصحيف. شام: أدخل. والإخطاف: الضمور.

(٦) الظبي الشادن: الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه.

(٧) في الأصول: «يجبر». وانظر ما مضى في الصفحة السابقة.

زعموها قالت وقد غاب فيها
وهو في جارة أستها يتلظى
ناكها ضيفها وقبل فاهها
لم يزل يرهز الشهية حتى
قائماً في قيامه استحصاف
يا فتى هكذا تُنَاك الظُراف^(١)
يا لقومي لقد طغى الأضياف
زال عنها قميصها والعطاف^(٢)
/ وقال هارون بن محمد في خبره:

[٣١٥/١٣]

بيعت جوهر جارية بربر، فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني بالبصرة وأخرجتها، فقال مطيع فيها:

لا تبعدي يا جوهر
ويلي لقد بُعدت ديا
يُشفى بريقته السقا
بيضاءً واضحه الجيب
عنا وإن شط المزار
رُك سُلِمَت تلك الديار
مُ كأن ريقته العُقار^(٣)
من كأن غرته نهار
سد الهاشمية مستعار
القلب قلبي وهو عند

مطيع يهجو كلواذي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال: حدثنا علي بن منصور المؤدب أن صديقاً لمطيع دعاه إلى بستان له بكَلواذي^(٤)، فمضى إليها، فلم يستطيعها، فقال يهجوها:

بلدة تُمطر التراب^(٥) على الشيا
من كما يُمطر السماء الرذا
وإذا ما أعاذ ربي بلاداً
من خراب كعوض ما قد أعاذ
خربت عاجلاً^(٦) ولا أمهلّت يو
ما ولا كان أهلها كلواذي

أثر مطيع وأصحابه في معامل من تجار الكوفة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمر قال:

كان لمطيع بن إلياس معامل من تجار الكوفة، فطالت صحبته إياه وعشرته له / حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك [٣١٦/١٣] الطبقة، وأفسدوا دينه، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون، وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيب ذلك / وخافه، فمرَّ^{١١٢} يوماً بمطيع بن إلياس وهو جالس على باب داره، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: شئتُ صديقاً لي حج، ورجعتُ كما ترى ميتاً من ألم الحرّ والجوع والعطش. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أي شيء عندك؟ فقال له: عندي من الفاكهة كذا، ومن البوارِد والحار كذا، ومن الأُسْربة والثُلج والرياحين كذا، وقد رُش الخيش وفُرغ من الطعام. فقال

(١) في الأصول: «وهي في» وفي س، ب «حارة استها تتلظى» وهو تصحيف.

(٢) يرهز: يحرك. العطاف: الرداء.

(٣) في ح: وب: «ريقها». العقار: الخمر.

(٤) كلواذي: مدينة قرب مدينة السلام.

(٥) في س، ب: «السحاب»، وفي «معجم البلدان»: «التراب»، وهو ما أثبتناه.

(٦) في س، ب، ح: «عاملاً» وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.

له: كيف ترى هذا؟ فقال: هذا والله العيشُ وشبُّه الجنة. قال: أنت الشريك فيه على شريطة إن وقَّيتَ بها وإلا انصرفت. قال: وما هي؟ قال: تشتمُّ الملائكة وتنزل. فنفر التاجر وقال: قَبِّحَ الله عِشْرَتَكُمْ قد فضحتُموني وهتكتُموني. ومضى فلم يبعُدْ حتى لقيه حمادُ عَجَرِدٍ فقال له: ما لي أراك نافراً جزعاً؟ فحدثه حديثه. فقال: أساء مطيعٌ - قبحه الله - وأخطأ، وعندِي والله ضِعْفٌ ما وَصَفَ لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أَجَلٌ^(١)، بي والله إليه أعظمُ فاقة. قال: أنت الشريك فيه على أن تشتمَّ الأنبياءَ فإنهم تَعَبَّدُوا بكلِّ أمرٍ مُعِينٍ متعِبٍ، ولا ذنبَ للملائكة فنشتمهم. فنفر التاجر وقال: أنت أيضاً فقبحَكَ الله، لا أدخلُ! ومضى فاجتاز يحيى بن زيادَ الحارثيَّ فقال له: ما لي أراك يا أبا فلان مُرتاعاً؟ فحدثه بقصته. فقال: قَبِّحَهُمَا الله لقد كَلَّفَاكَ شَطَطاً، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندِي والله أضعافُ ما عندهما، وأنت الشريكُ فيه على خصلةٍ تنفَعُ ولا تضرُّك، وهي خلاف ما كَلَّفَاكَ إِيَّاهُ من الكفر. قال: ما هي؟ قال: تصلي ركعتين تُطِيلُ رُكُوعَهُمَا وسُجُودَهُمَا، وتصليهما وتجلس، ف تأخذ في شأننا، فضجر التاجر [٣١٧/١٣] وتأنَّفَ وقال: هذا شرٌّ من ذاك، أنا تعبٌ مَيِّتٌ، تُكَلِّفُنِي صلاةً طويلةً في غيرِ برٍّ / ولا لإطاعةٍ يكون ثَمُّها أَكَلٌ سُحْتٍ^(٢) وشربٌ خميرٍ وعِشْرَةٌ فَجْرَةٌ وسماعٌ مغنياتٍ قِحَابٍ. وسبه وسبَّههما ومضى مغضباً. فبعث خلفه غلاماً وأمره برده، فردَّه كَرَّهاً، وقال: انزل الآن على ألا تُصَلِّيَ اليومَ بَنَةً. فشمته أيضاً وقال: ولا هذا. فقال: انزل الآن كيف شئتَ وأنت ثَقِيلٌ غيرُ مُسَاعِدٍ. فنزل عنده. ودعا يحيى مطيعاً وحماداً، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قَدَّمَ الطعامَ، فأكلوا وشربوا وصَلَّى التاجر الظهر والعصر، فلما دَبَّتِ الكأسُ فيه قال له مطيع: أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ: تشتمَّ الملائكة أو تنصرف؟ فشمتمهم. فقال له حماد: أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ: تشتمَّ الأنبياءَ أو تنصرف؟ فشمتمهم. فقال له يحيى: أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصَلَّى الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ: تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها با بَنِي الزانية ولا أنصرف. فعمل كلُّ ما أرادوه منه.

رأي المهدي في أخلاق مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن مطيع بن إياس زنديقٌ، وأنه يعاشر ابنه جعفرًا وجماعةً من أهل بيته، ويوشك أن يفسدوا أديانهم ويُنسبوا إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أما الزندقةُ فليس من أهلها، ولكنه خبيثُ الدين فاسقٌ مُسْتَحِلٌّ للمحارم. قال: فأحضره وانهً عن صحبة جعفر وسائر أهله. فأحضره المهدي وقال له: يا خبيثُ يا فاسقُ، قد أفسدت أخِي ومن تصحبه من أهلي، والله لقد بلغني أنهم يتقارعون^(٣) عليك، ولا يَتَمَّ لهم لِي سُرُورٌ إلا بك، فقد / غررتهم وشهرتهم في الناس، ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نُسِبَتْ إليه [٣١٨/١٣] بالزندقة، لقد كان أمر بضرب عنقك. وقال للربيع: اضربه مائتي / سوطٍ واحِسْه. قال: ولم يا سيدي؟ قال: لأنك سَكْبَرٌ خَمِيرٌ^(٤) قد أفسدت أهلي كلَّهم بصحبتك. فقال له: إن أذنتَ وسمعتَ احتججتُ. قال: قل. قال: أنا أمرؤ شاعر، وسوقي إنما تنفق مع الملوك، وقد كسدت عندكم، وأنا في أيامكم مُطَرَّحٌ، وقد رضىتُ فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عَشيرة، وأصفيته على ذلك شكري وشعري، فإن كان ذلك عائباً عندك ثبتُ منه. فأطرق، ثم قال: قد رفع إلي صاحب الخبر أنك تتماجَّنُ على الشُّوَالِ وتضحك منهم. قال: لا، والله ما ذلك من فعلي ولا شأني، ولا جرى مني قط إلا مرة؛ فإن سائلاً أعمى اعترضني - وقد عَبَّرْتُ الجسرَ على بغلتي -

(١) في الأصول: «أشد».

(٢) السحت: ما خبث من المكاسب وحرم فلزم عنه العار.

(٣) التقارع: التهافت. وفي الأصول: «يتقارعون» تحريف.

(٤) الخمير: الدائم الشرب للخمر.

وظنني من الجُنْدِ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح: اللهم سخر الخليفة لأن يُعطيَ الجندَ أرزاقهم، فيشتروا من التجار الأمتعة، ويربّح التجار عليهم فتكثر أموالهم، فتجبَ فيها الزكاة عليهم، فيصدقوا عليّ منها. فتفرت بقلبي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء، فقلت: يا هذا ما رأيتُ أكثرَ فضولاً منك، سلّ الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الخوالاتِ والوسائطَ التي لا يُحتاج إليها، فإن هذه المسائلَ فضول، فضحك الناس منه، ورفّع عليّ في الخبر قولِي له هذا. فضحك المهدي وقال: خلّوه ولا يُضرب ولا يُحبس. فقال له: أدخل عليك لِموْجدة^(١) وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتِي من عَصِيهه^(٢) وأنصرف بلا جائزة؟ قال: لا يجوز هذا، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير، فيتجدد عنده ذنوبه.

تولية مطيع صدقة البصرة

قال: وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ووضعه الحديث لأبيه في أنه المهدي. فقال له: أخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينسأك أمير المؤمنين غداً. فقال له: فأين أقصد؟ قال: / أكتبُ لك إلى سليمان بن علي فيؤتيك [٣١٩/١٣] عملاً ويحسن إليك. قال: قد رضيتُ. فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي، فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هند، فعزله به.

حدثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أن مطيع بن إلياس قدم على سليمان بن علي بالبصرة - ووالها على الصدقة داود بن أبي هند - فعزله وولى عليها مطيعاً.

مطيع يهجو مالك بن أبي سعدة

أخبرني عيسى بن الحسين الوزّاق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال: كان مالك بن أبي سعدة عمّ جابر الشطرنجي جميلَ الوجه حسنَ الجسم، وكان يعاشر حمادَ عجرد ومطيع بن إلياس وشرب معهما فأفسد بينهما وبينه وتباعد. فقال حمادُ عجرد يهجوهُ:

أتوبُ إلى الله من مالِكِ صديقاً ومن صُحبتي مالِكا
فإن كنتُ صاحبُهُ مرةً فقد تبّيتُ ياربُّ من ذلكا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سخّنت عينك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنتُ أقول؟ قال: كنتُ تقول:

نظرةً ما نظرتُها يسوم أبصرْتُ مالِكا
/ في ثيابٍ مُعَصَفَرا تِ على الوجه بارِكا
تركّني ألوط من بعدما كنتُ ناسِكا
نظرةً ما نظرتُها أوردتني المهالِكا

/ مطيع يشكو الفقر أيام المنصور ويمدح أيام بني أمية

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: كان مطيع بن إلياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور، فطالت صحبته له بغير فائدة، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحمادُ

(١) الموجدّة: الغضب. وفي أ، ب: «الموجدّة».

(٢) العصية: الإفك، والبهتان، والنميمة.

عجرد ويحيى بن زياد، فتذاكروا أيام بني أمية وسععتها ونصرتها وكثرة ما أفادوا فيها، وحسن مملكتهم^(١) وطيب دارهم بالشأم، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور، وشدة الحر، وخشونة العيش، وشكو الفقر فأكثرُوا، فقال مطيع بن إلياس: قد قلت في ذلك شعراً فاسمعوا. قالوا: هات. فأنشدهم:

حَبَّذا عِشْنَا السَّذِي زَالِ عِنَّا حَبَّذا ذَاكَ حِينَ لَا حَبَّذَا^(٢) ذَا
أَيِّنْ هَذَا مِنْ ذَاكَ سَقِيًّا لِهَذَا لَكْ وَلَسْنَا نَقُولُ سَقِيًّا لِهَذَا^(٣)
زَادَ هَذَا الزَّمَانُ عُسْرًا وَشُرًّا عِنْدَنَا إِذْ أَحَلَّنَا بَغْدَادًا
بِلَدَةِ تُمْطَرِ التُّرَابِ عَلَى النَّاسِ سَ كَمَا يَمْطَرُ السَّمَاءُ الرِّدَادَا
خَرِبَتْ عَاجِلًا وَأَخْرَبَ ذُو الْعَرِ شَ بِأَعْمَالِ أَهْلِهَا كَلِّوَادِي^(٤)

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال:

لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة، عاشر جماعة من أهلها وأدبائها وشعرائها، فلم يجذهم كما يريد، ولم يستطع عشرتهم واستغلظ طبعهم، وكان هو ومطيع بن إلياس وحماد الراوية ويحيى بن زياد كأنهم نفس واحدة، وكان أشدهم أنساً به مطيع بن إلياس، فقال حماد يتشوقه:

/ لَسْتُ وَاللَّهِ بِنِيسَاسٍ لِمَطِيعٍ بِنِيسَاسٍ
ذَاكَ إِنْسَانٌ لَيْسَ لَهُ فَضْلٌ لَّ عَلَى كُلِّ أَنْسَاسٍ
غُرَسَ اللَّهُ لَهُ فِي كِبْسَدِي أَحْلَى غُرَاسٍ
فَإِذَا مَا الْكَاسُ دَارَتْ وَاحْتِشَاهَا مِنْ أَحْيَاسِي
كَانَ ذِكْرَانَا مُطِيعًا عِنْدَهَا رِيحَانُ كَسَاسِي

[٣٢١/١٣]

مطيع يصف لبالي قضاها في بستان له بالكرخ ويتشوق إلى يحيى بن زياد

حدثنا عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال:

دعا مطيع بن إلياس صديقاً له من أهل بغداد إلى بستان له بالكرخ، يقال له بستان صَبَّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتیان من أهل الكرخ مُردٍ وشَبَّانٍ، ومُغْنِيٍّ ومُغْنِيَّاتٍ، فكتب مطيع إلى يحيى بن زياد الحارثي يخبره بأمره ويتشوقه، قال:

كَمْ لَيْلَةٍ بِالْكَرْخِ قَدْ بَثُّهَا جَذْلَانِ فِي بَسْتَانِ صَبَّاحٍ
فِي مَجْلِسٍ تَنْفَحُ أَرْوَاحُهُ يَا طَيْبَهَا مِنْ رِيحِ أَزْوَاجٍ
يُدِيرُ كَأْسًا فَإِذَا مَا دَنَتْ حُقَّتْ بِأَكْوَابٍ وَأَقْدَاحٍ
فِي فِتْنَةٍ بِيضٍ بِهَالِيلٍ مَا إِنْ لَهُمْ فِي النَّاسِ مِنْ لَاحٍ^(٥) /

١٣
١٢

(١) في س، ب: «مملكتهم» وفي ح: «مملكتهم».

(٢) في س، ب: «ذاك لا حبذا» وفي ح: «ذاك حين لا حبذا» وهو الصحيح.

(٣) في س، ب: «لذا» وفي ح: «لهذا» وهو الصواب.

(٤) كذا: في س، ب، ح. وفي «معجم البلدان»:

خربت عاجلاً ولا أمهلت يو ما ولا كان أهلها كلسوادي

(٥) بهاليل: جمع بهلول وهو الضحك أو السيد الجامع لكل خير. لاج لائم

لَمْ يَهْتَنِي ذَاكَ لَفَقْدِ امْسَرَى أَيْسَضَ مِثْلَ البَدْرِ وَضَاحِ
كَأَنَّمَا يُشْرِقُ مِنْ وَجْهِهِ إِذَا بَدَأَ لِي ضَوْءُ مِضْبَاحِ
قال: فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملوا، ثم انصرفوا.

/روايته شعراً لفتى كوفي

[٣٢٢/١٣]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: قال مطيع بن إلياس:

جلستُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصَّبوة^(١) ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك، فقال:

لَأَحْسَنَ مَنْ يَدِ يَحَارِبُهَا الْقَطَا وَمِنْ جَبَلِي طَيِّ وَوَصِفِكُمْ سَلْعَا^(٢)
تَلَاخُظُ عَيْنِي عَاشِقَيْنِ كِلَاهُمَا لَهُ مُقْلَةٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ تَرَعَى

المهدي يعاتب مطيع بن إلياس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو المضاء قال: عاتب المهدي مطيع بن إلياس في شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عني حقاً فما تُغني المعاذير، وإن كان باطلاً^(٣) فما تضر الأباطيل. فقيل عذره وقال: فإننا ندعك على حملتك ولا نكشفك. والله أعلم.

مطيع وأصحابه يشربون معهم جوهر المغنية

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي قال: اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إلياس ويحيى بن زياد وحكَمُ الوادي يوماً على شراب لهم في بستان بالكوفة، وذلك في زمن الربيع، ودعوا جوهر المغنية، وهي التي يقول فيها مطيع:

أَنْتِ يَا جَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرُهُ فِي قِيَاسِ الدَّرَرِ الْمَشْتَهَرُهُ

فشربوا تحت كُرْمٍ معروشين حتى سَكروا، فقال مطيع في ذلك:

أصوت

[٣٢٣/١٣]

خَرَجْنَا نَمْتَطِي الزَهْرَا وَنَجْعَلُ سَقْفَنَا الشَّجْرَا
وَنَشْرِبُهُنَّ مُجْتَمِعَةً تَخَالُ بِكَاسِهَا شَرَارَا
وَجَوْهَرُ عِنْدَنَا تَحْكِي بِدَارَةِ وَجْهِهَا الْقَمْرَا
يَزِيدُكَ وَجْهَهَا حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرَا
وَجَوْهَرُ قَدَرِ أَيْنَاهَا فَلَمْ نَرْ مِثْلَهَا بَشَرَا

(١) الصبوة: جهلة الفتوة واللهم من الغزل.

(٢) القطا: جمع قطاة وهي طائر في حجم الحمام، وقد يطلق الحمام عليه للمشابهة. سلع: موضع بقرب المدينة، وقيل جبل بالمدينة.

(٣) في ب، ح: «وإن باطلاً».

غنى فيه حكم غناء خفيفاً، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد رُوي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض الشعراء. وهذا أصح. لحنُ حكم في هذا الشعر خفيفٌ رملٍ بالوسطى.

مطيع يهجو أباه

حدثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني حمادٌ عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديد البغض له وكان يهجوّه، فأقبل يوماً من بُغْد، ومطيع يشرب مع إخوان له، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال:

هَذَا إِيَّاسٌ مُقْبِلًا جَاءَتْ بِهِ إِحْدَى الْهَنَاتِ^(١)
هَوَّزَ فُؤُوه وَأَنْفُوه كَلَّمَنَ فِي إِحْدَى الصَّفَاتِ /
وَكُلَّانِ سَعْفَصَ بَطْنُوه وَالثَّغَرَشِينَ قُرَيْشَاتِ^(٢)
لَمَّا رَأَيْتُكَ آتِيَا أَيْقَنْتُ أَنَّكَ شَرُّ آتِ

١٠٤
١٢

مطيع يمدح معن بن زائدة

حدثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها:

أَفْهَلًا وَسَهْلًا بِسَيْدِ الْعَسْرِ ذِي الْفَرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنَّجَبِ
فَتَى نَزَارٍ وَكَهْلَهَا وَأَخْصِي الدَّ جُودِ حَوَى غَايَتِيهِ مِنْ كَثَبِ^(٣)
قِيلَ أَتَاكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ فَقَا لَ النَّاسِ طُرَافِي السَّهْلِ وَالرَّحَبِ
أَبُو الْعُقَيْسَةِ الَّذِي يَلُودُ بِهِ مَسْنِ كَانَ ذَا رَغْبَةٍ وَذَا رَهَبِ
جَاءَ الَّذِي تُفَرِّجُ الْهَمُومَ بِهِ حِينَ يُلْزِ الْوَضِيعُ بِالْحَقَبِ^(٤)
جَاءَ وَجَاءَ الْمَضَاءُ يَقْدُمُهُ رَأَى إِذَا هُمْ غَيْرُ مَوْتَشِبِ^(٥)
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَائِرُهَا أَعَادَهَا عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ^(٦)
يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلا حَطَبِ
إِلَّا بِوَقْعِ الْمُسْذَكَّرَاتِ يُشَبِّهُ مَنَ إِذَا مَا انْتَضَيْنَ بِالشُّهْبِ^(٧)

[٣٢٤/١٣]

(١) الهنات: الشرور والفساد.

(٢) في ب، جد: «سين قريسات». وقد تصرف الشاعر في أخوات أبجد، كما ترى: فقرشيات هي «قرشت».

(٣) في كل الأصول: «حوى عانيه».

(٤) يقرن. الوضين: بطن عريض منسوج من سيور أو شعر. الحقب: الحزام الذي يلي حقو البعير.

(٥) هذه رواية «مذهب الأغاني». وفي الأصول:

جاء وجاء المضاء بقدمومه رأى إذا هم غير مَوْتَشِبِ

مَوْتَشِب: مختلط. يريد أنه غير متردد.

(٦) في كل الأصول: «الحب». وفي س: «أعاده» وفي ب، ج: «أعاده» وهو خطأ.

(٧) المذكرات: جمع مذكر، وهو السيف ذو الماء.

لَمْ أَرِ قَرْنًا لَهُ يُبَارِزُهُ
لَيْتَ بِخَفَّانٍ قَدْ حَمَى أَجْمَأً
شِبْلَاهُ قَدْ أَذْبَابَهُ فَهُمَا
قَدْ وَمَقَا شَكْلَهُ وَسِيرَتَهُ
نَعَم الْفَتَى تُقَرِّن الصَّعَابَ بِهِ
/ وَنَعَم مَا لَيْلَةُ الشَّتَاءِ إِذَا اسْتَدَّ
لَا وَنَعَم عَنْده مَخَالِفَةٌ
يَخْصَرُ مِنْ لَا فَلَا يَهُمُّ بِهَا
تَرَى لَهُ الْحِلْمَ وَالنُّهَى خُلُقًا
سَيْفُ الْإِمَامِ مِنْ ذَاكَ وَذَا إِذَا
ذَا هَوْدَى لَا يُخَافُ نَبَوْتَهَا

إِلَّا أَرَاهُ كَالصَّقَرِ وَالْخَرَبِ^(١)
فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنْزِلِ أَشْبِ^(٢)
شِبْلَاهُ فِي جِدِّهِ وَفِي لَوْبِ^(٣)
وَأَحْكَمًا مِنْهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ^(٤)
عِنْدَ تَجَاوِي الْخَصُومِ لِلرُّكْبِ^(٥)
تُتَبَّحُ كُلُّهُ الْقِرَى فَلَمْ يُجِبْ
مِثْلَ اخْتِلَافِ الصَّعُودِ وَالصَّبِ^(٦)
وَمِنْهُ تُضْحِي نَعَمٌ عَلَى أَرَبِ^(٧)
فِي صَوْلَةٍ مِثْلَ جَاحِمِ اللَّهَبِ
قَلَّ بِنَاءُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
وَدَيْتُهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ^(٨)

[٣٢٥/١٣]

فلما سمعها معن قال له: إن شئت مدحناك كما مدحنا وإن شئت أثبتناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعني:

ثَنَاءٌ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كُنْشٍ
وَلَكِنْ الزَّمَانُ بَرَى عِظَامِي
لِصَاحِبِ فَاقَةٍ وَأَخَى ثَرَاءِ^(٩)
وَمَا مِثْلُ السِّدْرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لَطَفْتَ^(١٠) حتى تخلصت منها، صدقت، لعمري ما مثل الدراهم من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلع عليه وحملته^(١١).

مطيع وصديق له عربي

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المهلب بن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إلياس صديق من / العرب يُجَالِسُهُ، فضرط ذات يوم وهو عنده، فاستحيا وغاب عن المجلس، فتفقده مطيع وعرف سبب غيبته انقطاعه، فكتب إليه وقال:

(١) الخرب: ذكر الخباري، وهي طائر.

(٢) خفان: موضع معروف قرب الكوفة، وهو مأسدة فيه غياض ونزوز. أشب: كثير الشجر.

(٣) في الأصول: «أزبابه»، «شبهاء»، «جدة».

(٤) ومقا: أحبا.

(٥) جثا: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها.

(٦) في الأصل: «لا نعم».

(٧) في ب، س «يحضر هزلاً» وفي ج «يحضر من لا» وما أثبتناه هو الأوفق.

(٨) اليهود: التوبة والرجوع إلى الحق.

(٩) في ب، ج: «لصاحب معن».

(١٠) لطف: رفق.

(١١) حملة: أعطاه دابة تحمله.

أظهرت منك لنا هجراً ومقليةً وغبت عنا ثلاثاً لست تغشانا^(١)
هَوْنٌ عليك فما في الناس ذو إيلٍ إلا وأنيقُـه يشـردُن أحياناً

مجون مطيع وأصحابه في الصلاة

[٣٢٦/١٣] / أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إلياس، فحدثنا عنه قال:

اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن إلياس وجميع أصحابهم، فشربوا أياماً تباعاً، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سُكاري: ويُحكّم! ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي. فقالوا: نعم. فقام مطيع فأذّن وأقام، ثم قالوا: من يتقدم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع لِلْمَغْنِيَّة: تقدّمي فصلي بنا. فتقدّمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيئة بلا سراويل، فلما سجدت بان فرجها، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبّله وقطع صلاته، ثم قال:

ولما بدا فرجها جائئاً كرأس حليقي ولم تعتمد
سجدتُ إليه وقبّلتُـه كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم، وضحكوا وعادوا إلى شربهم.

إعجاب المهدي بتهنئة مطيع

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال:

كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يُوجّه إليه بابنه موسى، فحمّله إليه، فلما قدم عليه قامت الخطباء تهنئته، والشعراء تمدحه، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه، فقام مطيع بن إلياس فقال:

أحمـدُ اللّـه إلـه الـ خلـق ربّ العـالـمـينـا
الـذي جـاء بـمـوسـى سـالـمـاً فـي سـالـمـينـا
الأمير أبـن الأمير أبـ سـن أمير المـؤمـنينـا

فقال المهدي: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، وأمر له بصلة.

مطيع ينصح يحيى بن زياد

[٣٢٧/١٣] / قال أبو الفرج:

ونسخت من كتاب لأبي سعيد السّكري بخطه. قال: حدثني ابن أبي فتن. أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي، وخبر السّكري أتم واللفظ له، قال:

كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبع له قيان، وكان له ابن وضّيء حسن الصورة يقال له الأصبع^(٢)، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجهاً منه، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إلياس وحماد عجرّد وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه

(١) مقلية: بغضاً.

(٢) في الأصل: «الأصبع» في جميع مواضعه من هذا الخبر. والمعروف في أغلبهم «الأصبع» بالفتح المعجمة، وكذا «ذو الإصبع».

ويُطْرِفُونَهُ^(١)، وكلهم كان يعشق ابنه أصبغ، حتى كان يوم نَورُوز^(٢) وعزم أبو الأصبغ على أن يصطحب مع يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال أبو الأصبغ لجواريه: إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم، فأعدّذن له كلّ ما يصلح لمثله. ووجّه بغلمان له ثلاثة في حوائجه، ولم يبق بين يديه أحد، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل، فلما جاءه أستاذن له الغلام، فقال له يحيى: قل له يدخل، وتنتح أنت وأغلق / الباب ولا تدع الأصبغ يخرج إلا بإذني. ففعل الغلام ودخل الأصبغ، فأدّى إليه رسالة أبيه، فلما فرغ راوده^(٣) يحيى عن نفسه، فامتنع، فثاوره^(٤) يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم رالم حلّ تكته، فلم يقدر عليها، فقطعها وناكه، فلما فرغ أخرج من تحت مُصلّاه أربعين ديناراً، فأعطاه إياها، فأخذها، وقال له يحيى: امض فإني بالأثر. فخرج أصبغ من عنده، فوافاه مطيع بن إلياس، فرآه يتبخّر ويتطيّب ويتزيّن، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يجبه، وشمّخ بأنفه، وقطب حاجبيه، وتفخّم؛ فقال له: ويحك مالك؟ نزل عليك / الوحي؟ كلمتك الملائكة؟ بويح لك بالخلافة؟ [٣٢٨/١٣] وهو يومئذ برأسه: لا لا، في كل كلامه، فقال له: كأنك قد نكت أصبغ بن أبي الأصبغ قال: إي والله الساعة نكته، وأنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فأمرأته طالق إن فارقتك أو نقبل متاعك. فأبداه له يحيى حتى قبله، ثم قال له: كيف قدّرت عليه؟ فقال يحيى ما جرى وحده بالحديث، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ، فتبعه مطيع، فقال له: ما تصنع معي والرجل لم يدعك؟ وإنما يريد الخلوة. فقال: أشيعك إلى بابه وتحدث. فمضى معه، فدخل يحيى وردّ الباب في وجه مطيع، فصبر ساعة، ثم دق الباب فاستأذن، فخرج إليه الرسول، وقال له: يقول لك أنا اليوم على شغل لا أنفّرخ معه لك. فتعذّر^(٥). قال: فابعث إليّ بدواة وقرطاس، فكتب إليه مطيع^(٦):

يا أبا الأصبغ لا زلت على	كل حال ناعماً متبعاً
لا تصيّر نسي في الود كمن	قطع التكة قطعاً شنعاً
وأتى ما يشتهي لم يثنيه	خيفة أو حفظ حق ضيعاً
لو ترى الأصبغ ملقى تحته	مستكيناً خجلاً قد خضعاً
ولهُ دفع عليه عجل	شبق شأءك مسا قد صنعاً ^(٦)
فادع بالأصبغ واعلم حاله	شئري أمراً قبيحاً شنعاً

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى: فعلتها يا ابن الزانية؟ قال: لا والله. فضرب بيده إلى تكة ابنه، فرآها مقطوعة، وأيقن يحيى بالفضيحة، فتلّك الغلام، فقال له يحيى: قد كان الذي كان، وسعى بي إليك مطيع ابن الزانية، وهذا ابني وهو والله أفره^(٧) من ابنك، وأنا عربي ابن عربية وأنت نبطيّ ابن نبطيّة، فكأنك ابني عشر مرات / مكان المرة التي [٣٢٩/١٣] نكت ابنك، فتكون قد ربحت الدنانير، وللواحد عشرة. فضحك وضحك الجواري، وسكن غضب أبي الأصبغ، وقال لابنه: هات الدنانير يا ابن الفاعلة. فرمى بها إليه، وقام خجلاً، وقال يحيى: والله لا أدخل مطيع الساعي ابن الزانية. فقال أبو الأصبغ وجواريه: والله ليدخلن، فقد نصحنّا وغششتنا. فأدخلناه وجلس يشرب ومعه يحيى يشتمهم بكل لسان، وهو يضحك، والله أعلم.

(١) يطرفونه: يهدون إليه الطريف.

(٢) نوروز: أول يوم من السنة الشمسية. وعند الفرس عند نزول الشمس أو الحمل.

(٣) ثاوره: واشه.

(٤) تعذر: اعتذر واحتج لنفسه.

(٥) في الأصول: «فكتب إليه الأصبغ».

(٦) شأءك: حزنك. وفي الأصول «شاك».

(٧) الفاره من الناس: المليح الحسن.

مطيع يغلب خمسة ممن يكابدونه

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكُراني عن العُمري عن العتبي قال:

حضر مطيع بن إياس وشُرَاعَةُ بن الزندبود ويحيى بن زياد ووالبة بن الحُبَابِ وعبد الله بن العيَاشِ المنتوف^{١٠٧} وحماد عجرد، مجلساً لأمير من أمراء الكوفة، فتكابدوا جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع / يكابدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما.

وَحَمْسَةٌ قَدْ أَبَانُوا لِي كَيْادَهُمْ وَقَدْ تَلَطَّيْ لِهَسْمٍ مِقْلَى وَطَنْجِيرُ^(١)
لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى لَحْمِي لَمَزَقْه قَسَرْدٌ وَكَلْبٌ وَجِرْزَاؤُهُ وَخَنْزِيرُ^(٢)

احتجاج مطيع لنفسه

أخبرني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال:

دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تَحْتِ^(٣)، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

تعريض حماد بأبنة مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

كان حمادُ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حَلَقِيّاً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، [٣٣٠/١٣] فقليل له: من^(٤) يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيطية. / قال حماد: نعم هذا شعر الحطيطية لما حضر الكوفة وصار بها حَلَقِيّاً. يعرض حماد بأنه كذاب، وأنه حَلَقِي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا بن الأعرابي عن الفضل قال:

جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتكَ خاطباً. قال: لمن؟ قال: لمودتكَ. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبلَ في قولٍ قائلٍ. ويقال إن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة^(٥) كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفها ومأكمتها، فتدحرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنه قالها في امرأة من أبناء الذهاقين^(٦) كان يهواها، وشعره يدل على صحة هذا القول، والقول الأول غلط.

مطيع يشتاق إلى جاريته جودانة

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال:

(١) المقلَى والمقللة: ما يقلى فيه الطعام. الطنجير: وعاء تعمل فيه الحلوى المخبوضة، وهو معرب.

(٢) في الأصول: «جروا»، والصواب ما أثبتناه.

(٣) التخت: وعاء تصان فيه الثياب. وفي الأصول «تحت».

(٤) في كل الأصول: «مرة» وهو تحريف.

(٥) في «معجم البلدان» برسم حلوان: «جودانة».

(٦) الدهقان: رئيس الإقليم، فارسي معرب.

أخبرني مطيع بن إياس الليثي - وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف - أنه كان مع سَلَمَ^(١) بن قتيبة، فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقُدوم عليه في خاصَّته على البريد، قال مطيع: وكانت لي^(٢) جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبها، فأمرني سَلَمَ بالخروج معه، فاضطرت إلى بيع الجارية، فبعْتُها وندمتُ على ذلك بعد خروجي وتمنيت أن أكون أقمْتُ، وتبَّعْتُها نفسي، ونزلنا / حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلِي وعنان دابَّتِي في [٣٣١/١٣] يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى، فتذكرت الجارية واشتقْتُها وقلت:

أسعداني يا نخلتي حُلوان
واعلم ما أن ربي لم يزل يف
ولعمري لو ذقنا ألم الفُر
أسعداني وأيقنا أن نحساً
كم رمتني صروف هذي الليالي
غير أنني لم تلق نفسي كما لا
جارية لي بالرِّي تذهب هُمِي
فجعتني الأيام أغبط ما كنت
وبرغمي أن أصبح لا تراها الـ
إن نكن ودعت فقد تركت بي
كحريق الضرام في قصب الغا
فعليك السلام [منِّي]^(٧) ما سا

وابكي لي من ريب هذا الزمان^(٣)
— رُق بين الألف والجيران
قة قد أبكا كما الذي أبكاني^(٤)
سوف يلقاكما فتفترقان
بفراق الأحباب والخُلان /
قيت من فرقة ابنة الدُهقان
ويُسلي دُورها أحزاني^(٥)
تت بصدع للبين غير مُدان
عين مني وأصبح لا تراني
لهباً فسي الضمير ليس بـوان
ب زفتة ريحان تختلفان^(٦)
غ سلاما عقلي وفاض لساني

١٠٨
١٢

هكذا ذكر أبو الحسن الأسدي في هذا الخبر وهو غلط.

نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال: كانت لي بالرِّي جارية أيام مُقامي بها مع سَلَمَ بن قتيبة، فكنتُ أنسُر بها، وكنتُ أتعشق امرأة من بنات الدُهاقين كنت نازلاً / إلى جنبها في دار لها، فلما خرجنا بعث الجارية وبقيت في نفسي علاقة من المرأة التي كنت أهواها، [٣٣٢/١٣] فلما نزلنا عقبة حُلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت:

أسعداني يا نخلتي حُلوان وارثي لي من ريب هذا الزمان

وذكر الأبيات، فقال لي سَلَمَ: ويلك فيمن هذه الأبيات؟ أفي جاريك؟ فاستحييتُ أن أصدقه فقلت: نعم. فكتب من وقته إلى خليفته أن يتاعها لي، فلم ألبث أن ورد كتابه: إني وجدتها قد تداولها الرجال، فقد عزفت نفسي

(١) في الأصول: «سالم». والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصول: «وكانت له».

(٣) حلوان: حلوان العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.

(٤) في ب، ح: «الفرقة أبكايكما».

(٥) في الأصول: «وتسلي ذنوبها» وهو تحريف.

(٦) زفته: طرده واستخفته. وفي الأصول «رمته».

(٧) تكملة يستقيم بها الوزن.

عنها. فأمر لي بخمسة آلاف درهم، ولا والله ما كان في نفسي منها شيء، ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إلي بمن تداولها، ولم أبال لو ناكها أهل مني كلهم.

أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش قال:

الرشيد يتداوى بالجمار ويقطع إحدى نخلتي حلوان

لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بخلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمَّاراً^(١)، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جُمَّاراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فمَرَّ بقطع إحداهما. فقطعت، فأَتَى الرشيدُ بجمارتها، فأكل منها وراح^(٢). فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقياكما فتفترقان

فاغتم الرشيد، وقال: يعزُّ علي أن أكون نحسكُما، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلتني الدم.

[٣٣٣/١٣] / أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال:

لما خرج المهدي فصار بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغذى ودعا بحسنة فقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع؟ غنيني بحياتي حتى أشربَ ها هنا أقداحاً، فأخذتِ مُحَكَّة كانت في يده وأوقعت على / مُحَدَّة^(٣) وغتته: ^{١٩}/_{١٢} أيا نخلتي وادي بُوانة حبّذا إذا نام حراسُ النخيل جَنَّاكُما

فقال: أحسنت، ولقد هَمَمْتُ بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان - فمَنَعني منهما هذا الصوتُ. وقالت له حسنة: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما. فقال لها: وما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه. فلما بلغت إلى قوله:

أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقياكما فتفترقان

قال: أحسنت والله فيما قلت، إذ نهيتني على هذا، والله لا أقطعهما أبداً، ولأوكلنَّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت. ثم أمر بأن يُفَعَّلَ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

نسبة لهذا الصوت الرخي غنته حسنة

أيا نخلتي وادي بُوانة حبّذا إذا نام حُرَّاسُ النخيل جَنَّاكُما
فطَيِّكُما أربى على النخل بهجةً وزاد على طول الفَتَاءِ فَنَّاكُما^(٤)

(١) الجمار: شحم النخل. وفي ح: «بأكل جمار».

(٢) راح: نشط وارتاح.

(٣) في «معجم البلدان»: «علم، فخذ».

(٤) الفتاء: الشباب.

يقال إن الشعر لعُمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريص ثاني ثقليل بالوسطى عن عمرو بن بانه، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشامي.

[٣٣٤/١٣]

/ المنصور ونخلتا حلوان

أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداها على الطريق، فكانت تُضَيِّقه وتزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأنشد قول مطيع:

واعلم ما بقيت ما أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقا

قال: لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما، وتركهما.

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أن المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان ولهممت أن أمر بقطعهما. فبلغ قوله المنصور، فكتب إليه:

«بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان، ولا فائدة لك في قطعهما، ولا ضرر عليك في بقائهما، فإنا أعيدك بالله أن تكون النحس الذي يلقاها، فتفرق بينهما». يريد قول مطيع.

قول حماد عجرد في نخلتي حلوان

ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد، وفيه غناء قد ذكرته في أخبار حماد:

جعل الله سدرتي قصر شيرين (١)
جئت مستعداً فلم يسعداني (٢)
من فداء لنخلتي حلوان (٣)
ومطيع بكى له النخلتان (٤)

لشاعر آخر فيهما

وأنشدني جحظة ووكيعة عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسمَّه:

أيها العاذلان لا تعذلاني
وابكيالي فإنني مستحق
دعائي من الملام دعائي (٥)
[منكما] بالبكاء أن تسعداني (٦)
من مطيع بنخلتي حلوان
من هواء وأتما تعلمان

/ لأحمد بن إبراهيم فيهما

/ وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة:

وكذاك الزمان ليس (٧)
سلبت كفه الغري أخاه (٨)
وإن ألف يبقى عليه مؤتلفان (٩)
ثم نكس بنخلتي حلوان (١٠)

[٣٣٥/١٣]

١١١
١٢

(١) شيرين: قصر شيرين بين حلوان وهمدان. وفي كل الأصول: «نخلتي قصر شيرين». وما أثبتناه رواية «معجم البلدان».

(٢) في كل الأصول: «مستعدياً»، وهو تحريف.

(٣) [منكما]: زيادة يستقيم بها الوزن ولا يابها المعنى.

(٤) في كل الأصول «ليس بوان» والصواب ما أثبتناه.

(٥) في جميع الأصول: «العزير أخاه» وجاء في «معجم البلدان»: «الغري» وهي من غرى به غراة فهو غرى إذا لاق به ولزمه. والغري: واحد الغريين، وهما بناءان مشهوران كانا بالكوفة.

فَكَأَنَّ الْغُرِّيَّ قَدْ كَانَ فَرْدًا وَكَأَنَّ لَمْ تُجَاوِرِ النَّخْلَتَانِ^(١)

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال:

جلس مطيع بن إلياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فرش خضر، فقال له الطبيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: أشتهي ألا أموت. قال: ومات في علة هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.

قال أبو الفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

صوت

أَمَرْتُ مَدَامَةً صِرْفًا كَأَنَّ صِيَّهَا وَدَجُ^(٢)

كَأَنَّ الْمِسْكَ نَفَحَتْهَا إِذَا بَزَلْتَ لَهَا أَرْجُ^(٣)

فَظَلَّ تَخَالُّهُ مَلَكًا يَصْرِفُهَا وَيَمْتَزِجُ^(٤)

[٣٣٦/١٣] / الغناء لإبراهيم، ثاني ثقل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي. وفيه لحن آخر لابن جامع. وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

صوت

جُدِلْتُ كَجَذْلِ الْخَيْزُرَا ن وَتَيْتُ فَتَشْتِ

وَتَيْقَنْتُ أَنْ الْفُتَا د يُحِبُّهَا فَادَلَّتْ

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقامة.

صوت

أَيُّهَا الْمُبْتَغِي بَلَوِي رَشَادِي أَلْهُ عَنِّي فَمَا عَلَيْكَ فَسَادِي^(٥)

أَنْتَ خَلَوِ مِنَ الَّذِي بِي وَمَا يَد لَمْ مَا بِي إِلَّا الْقَرِيحُ الْفَوَادِ^(٦)

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي.

(١) في كل الأصول: «العزیز مذ»، «يجاوز» وصوابه «الغرى قد»، «تجاوز».

(٢) الودج: عرق في العنق.

(٣) بزل: يقال بزل الخمر وغيرها إذا ثقب إناءها.

(٤) يصرفها: يجعلها صرفاً، أي خالصة. والمعروف في امتزج أنه مطاوع «مزج» ولكن ورد نظيره في شعر أبي محجن الثقفي شاهداً للامتزاج بمعنى جعلها ممزوجة، وهو قوله:

فَقَدْ أَبَاكَرَهَا رِيًّا وَأَشْرَبَهَا صَرْفًا وَأَطْرَبَ أَحْيَانًا وَامْتَزَجَ
وسبق نظيره أيضاً في قول الأقيشر (الأغاني) ١١: ٢٧٣ طبعة الدار:

فَقَدْ أَبَاكَرَهَا صَرْفًا وَأَشْرَبَهَا أَشْفَى بِهَا غَلَشِي صَرْفًا وَامْتَزَجَ

(٥) بلوى: اختبار وتجربة.

(٦) القرية: الجريح. وفي س، ب: «الفراغ الفواد».

قصود

إلا إن أهل الدار قد ودّعوا الداراً وقد كان أهل الدار في الدار أجواراً^(١)
 ييكي على إثر الجميع فلا يرى سوى نفسه فيها من القوم دياراً^(٢)
 الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر ابن المكي أن فيه لابن سريج لحناً من الثقيل الأول
 بالنصر.

انقضت أخبار مطيع والله الحمد.

قصود

فسي انقباض وحشمة فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم
 أرسلت نفسي على سجيتهما وقلت ما قلت غير محتشم /
 الشعر لمحمد بن كناسة الأسدي، والغناء لقلم الصالحية، ثقيل أول بالوسطى. وذكر ابن خرداذبة أن فيه
 لإسماعيل بن صالح لحناً.



مركز تحقيقات تكملة تاریخ ایران اسلامی

(١) الأجوار: جمع جار، كالجيرة والجيران.

(٢) ما بها ديار: أي ما بها أحد.

/ أخبار محمد بن كناسة ونسبه

[٣٣٧/١٣]

هو محمد بن كناسة، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان - واسم صهبان كعب - بن دويبة^(١) بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة؛ ويكنى أبا يحيى. شاعر من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد والمنشأ، قد حمل عنه شيء من الحديث؛ وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله، وكان امرأ صالحاً لا يتصدى لمدح ولا لهجاء؛ وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر.

ما قاله ابن كناسة في إبراهيم بن أدهم

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدثني مصعب الزبيري قال:

قلت لمحمد بن كناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين: أنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتك ما يُغنيك ما دونه الغنى وقد كان يُغنى دون ذاك ابن أدهم

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها وكان لحق الله فيها معظمها

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً فإن قال بذ القائلين وأحكما

فقال محمد بن كناسة: أنا قتلها وقد تركت أجودها. فقال:

أهان الهوى حتى تجنبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

رأي ابن كناسة في حديثه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني علي بن مسرور العتكي^(٢) قال حدثني أبي قال قال ابن

كناسة:

[٣٣٨/١٣] / لقد كنت أتحدث بالحديث فلو لم يجد سامع إلا القطن الذي على وجه أمه في القبر لتعلل عليه حتى يستخرجه ويهديه إلي، وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث فما أفرغ منه حتى أهىء له عذراً.

ابن كناسة يداعب جويرة

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيى بن فرقد قال

سمعت محمد بن كناسة يقول:

كنت في طريق الكوفة، فإذا أنا بجويرة تلعب بالكعب^(٣) كأنها قضيب بان، فقلت لها: أنت أيضاً لو ضعت

لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق. فقالت: ويلي عليك يا شيخ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا

الكلام؟ فكسفت والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت:

(١) كذا ورد في الأصول. ولعلها «رويه» بالراء.

(٢) في ج: «العسكري».

(٣) الكعب: فصوص النرد.

وَأَنِّي لَحُلُوٌّ مَخْبَرِي إِنْ خَبَرْتَنِي وَلَكِنْ يُعْطِينِي وَلَا رَيْسَ بِي شَيْخٌ^(١)
فَقَالَتْ لِي وَهِيَ تَلْعَبُ وَتَبَسُّمَتْ: فَمَا أَصْنَعُ بِكَ أَنَا إِذَا؟ فَقُلْتُ: لَا شَيْءَ. وَانصَرَفَتْ.

تفسير ابن كناسة لبيت فيه ذكر الجوزاء والثريا
أخبرنا ابن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:
سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر^(٢):

إِذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتْ الثَّرِيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظَّنُونَا
فَقَالَ: يَقُولُ إِذَا صَارَتْ الْجَوْزَاءُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تُرَى فِيهِ الثَّرِيَّا خِفْتُ تَفَرُّقَ الْحَيِّ مِنْ مَجْمَعِهِمْ؛ وَالثَّرِيَّا تَطْلُعُ
بِالْغَدَاةِ فِي الصَّيْفِ، وَالْجَوْزَاءُ تَطْلُعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْقَيْظِ.

أخبرني / ابن المرزبان قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني صالح بن أحمد بن عباد قال:

/ تعريض ابن كناسة بامرأته التي كان يبغضها

مر محمد بن كناسة في طريق بغداد، فنظر إلى مصلوب على جذع، وكانت عنده امرأة يبغضها، وقد ثقل عليه
مكانها، فقال يَغْنِيهَا:

أَيَا جَذَعٍ مَصْلُوبٍ أَتَى دُونَ صَلْبِهِ ثَلَاثُونَ حَوْلًا كَامِلًا هَلْ تُبَادِلُ
فَمَا أَنْتَ بِالْحِمْلِ الَّذِي قَدْ حَمَلْتَهُ بِأَضْجَرَ مِنِّي بِالَّذِي أَنَا حَامِلٌ

قول ابن كناسة فيمن يخدم عياله

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد. وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهْرُونِه عن محمد بن
عمران عن عُبَيْدِ بْنِ حَسَنٍ قَالَ:

رَأَى رَجُلٌ مُحَمَّدَ بْنَ كُنَاسَةَ يَحْمِلُ بِيْدَةً بِطْنَ شَاةٍ، فَقَالَ: هَاتِهِ أَحْمِلْهُ عَنْكَ. فَقَالَ: لَا. ثُمَّ قَالَ:
لَا يَنْقُصُ الْكَامِلُ مِنْ كَمَالِهِ مَا جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إِلَى عِيَالِهِ

ابن كناسة بنوه بذكاء جاريته دنانير

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدثني محمد بن علي بن عثمان عن أبيه قال:
كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال لنا: أَعَرَفَكُمُ شَيْئاً مِنْ فِهْمِ دَنَانِيرٍ؟ يَعْنِي جَارِيَتَهُ. قُلْنَا: نَعَمْ. فَكُتِبَ إِلَيْهَا:
«إِنَّكَ أَمَةٌ ضَعِيفَةٌ لِكَعَاءٍ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَعَجِّلِي بِجَوَابِي. وَالسَّلَامُ». فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ: «سَاءَنِي تَهْجِيئُكَ إِيَّايَ عِنْدَ
أَبِي الْحُسَيْنِ^(٣)، وَإِنَّ مِنْ أَعْيَا الْعَمَى الْجَوَابَ عَمَّا لَا جَوَابَ لَهُ. وَالسَّلَامُ».

دنانير ثرثي صديق أبي الحسين

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إلي الزبير بن بكار أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال:

/ جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده، ووجدت جاريته دنانير جالسة، فقالت لي: مالك محزوناً يا (٣٤٠/١٣)
أبا الحسين؟ فَقُلْتُ: رَجَعْتُ مِنْ دَفْنِ أَخِي مِنْ قَرِيْشٍ. فَسَكَنْتُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ:

(١) في الأصول: «تعطيني». والشيخ: الشيخوخة.

(٢) هو خزيمه بن مالك بن نهد، كما في «اللسان» (ردف).

(٣) التهجين: التقييح. وأبو الحسين: كنية علي بن عثمان، راوي الخبر.

بكِتَ على أخٍ لك من قريش فأبكانا بكأوك يا علي
فمات وما خبرناه ولكن طهارة صحبه الخبر الجلي

ابن كناسة يحتفظ بكرامته في إملاقه

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال:

أملق محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره، فقال لهم مجيباً عن ذلك:

تؤنّبني أن صُنْتُ عِرْضِي عِصَابَةً لها بين أطناب اللثام بصيص^(١)
يقولون لو غَمَضْتَ لَزِدْتَ رِفْعَةً فقلت لهم إنني إذن لحريص^(٢)
أتكلّمُ وجهي لا أبالي بآيكم مطامع عنها للكرام محيص^(٣)
معاشي دوين القوت والعرض وافر وبطنّي عن جدوى اللثام خميص^(٤)
سألقي المنايا لم أخالط دنيّة ولم تسربني في المخزيات قُلُوص^(٥)

سرور ابن كناسة بلقاء الأوفياء والكرام

حدثنا الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني إسحاق الموصلي قال:

مركزية كويتية

/ أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال: [٣٤١/١٣]

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكرم
أرسلتُ نفسي على سَجِيَّتِهَا وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمٍ /

١١٣
١٢

قال إسحاق فقلت لابن كناسة: وددت أنه نقص من عمري ستان وأني كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتُهما. حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني محمد بن المقدام العجلي قال:

ابن كناسة يرثي إبراهيم بن أدهم

كانت أم محمد بن كناسة امرأة من بني عجل، وكان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله، فحدثني ابن كناسة أن إبراهيم بن أدهم قدم الكوفة فوجهت أمه إليه بهدية معه، فقبلها ووهب له ثوباً، ثم مات إبراهيم، فرثاه ابن كناسة فقال:

رأيتُك ما يكفيك ما دونه الغنى وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهم^(٥)

(١) في الأصول: «تؤنّبني إن نضب». الأطناب: جمع طنّب، وهو حبل الخباء. بصيص: بريق.

(٢) الحرص: الجشع.

(٣) الجدوى: العطية. خميص: ضامر.

(٤) القلوص من النوق: الشابة.

(٥) في ح: «من دونه الغنى».

وكان يرى الدنيا قليلاً كثيراً
أما الهوى حتى تجنبه الهوى
وللحلم سلطان على الجهل عنده
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً
يرى منكبيناً خاضعاً متواضعاً
على الجدث الغربي من آل وائل
فكان لأمر الله فيهما معظماً
كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما
فما يستطيع الجهل أن يترمرماً^(١)
وإن قال بئذ القائلين وأحكمما
وليئذا إذا لاقى الكتيبة ضيغماً
سلام وبر ما أبر وأكرمما

/ رد ابن كناسة على عتاب صديق

[٣٤٢/١٣]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني زكريا بن مهران قال: عاتب محمد بن كناسة صديق له شريف كان ابن كناسة يزوره ويألفه على تأخره عنه، فقال ابن كناسة:

ضعفت عن الإخوان حتى جفوتهم
ولكن أيامي تخرمن مني
على غير زهد في الوفاء ولا الود
فما أبلغ الحاجات إلا على جهد^(٢)

رأي ابن كناسة في الدنيا

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أنشدني ابن كناسة - قال الضبي: وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها -:

ومن عجب الدنيا ببقائك لليلي
وأني بنسي الأيام إلا وعنده
ومن يأمن الأيام أما انيساعها
إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى
وأنت فيها للبقاء مريد
من الدهر ذنب طارف وتليد
فخطروا أما فجعها فعتيد^(٣)
فإن فطام النفس عنه شديد

ابن كناسة يصف الحيرة وما جاورها

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال قال لي عبيد بن الحسن:

قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع: اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنها حسنة في هذا الوقت. فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق، فلم يزل ينظر إلى البر وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق، فأشأ يقول:

الآن حين تزين الظاهر
بسط الربيع بها الرياض كما
ميتاؤه وبراقه العفر^(٤)
بسطت قطوع اليمنة الخمر^(٥)
يُجْبَى إليها البر والبحر

[٣٤٣/١٣]

(١) ترمم: تحرك للكلام ولم يتكلم. وفي س: «يتززم».

(٢) تخرم: اقتطع. المنة: القوة.

(٣) الانبياع: اللوثوب بعد سكون. وفي الأصول: «اتساعها». والخطر: مصدر خطر الفحل بذنبه يخطر: ضرب به يميناً وشمالاً. العتيد: الحاضر المهيأ.

(٤) الميثاء: الأرض السهلة. براقة: جمع برقاء وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل.

(٥) قطوع اليمنة: بسط اليمن.

وجرى الفرات على مياسرها
ويدا الخورنق في مطالعها
وَجَرَى عَلَى أَيْمَانِهَا الزَّهْرُ /
كَانَتْ مَنَازِلَ لِلْمُلُوكِ وَلَمْ
فَرَدَا يَلُوحُ كَأَنَّهُ الْفَجْرُ^(١)
يُغْلَمُ بِهَا لِمَمْلَكَ قَبْرُ

قال: ثم قال يصف تلك البلاد:

سَقَلْتُ عَنْ بَرْدٍ أَرْضٍ
وَعَلَنْتُ عَنْ حَرٍّ أُخْرَى
زَادَهَا الْبَرْدُ عَذَابَا
تُلْهِبُ النَّارَ التَّهَابَا
مُرَجَّجَتْ حِينَ بَرْدٍ
فَصَفَا الْعَيْشُ وَطَابَا

ابن كناسة ينصح ابنه في اختيار الصديق

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إسحاق بن محمد الأسدي قال حدثني عبد الأعلى بن محمد بن كناسة قال:

رَأَيْتُ أَبِي مَعَ أَحَدَاتٍ لَمْ يَرْضَهُمْ، فَقَالَ لِي:

يُنْيِيكَ عَنْ عَيْبِ الْفَتَى
فَإِذَا تَهَاوَنَ بِالصَّلَاةِ
تَسْرُكُ الصَّلَاةِ أَوْ الْحَدِيثِ
فَمَا لَهُ فِي النَّاسِ دِينُ
وَيُزَنُّ ذُو الْحَدِيثِ الْمَرِيدُ
بِمَا يُزَنُّ بِهِ الْقَرِينُ^(٢)
إِنْ الْعَفِيفُ إِذَا تَكَلَّفَ فِيهِ الْمَرِيدُ هُوَ الظَّنُّ^(٣)

شعر ابن كناسة في رجل يخالف ظاهره باطنه

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة - قال: كان محمد بن كناسة عم أبيه - قال:

/ كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه، وكان يكتب الحديث ويتفقّه ويظهر أدباً ونسكاً،^[٣٤٤/١٣]
وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهره، فما جاءه قال له:

مَا مَن رَوَى أَدَبًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعْلَمُ عَامِلًا
وَيَكْفَ عَنْ دَفْعِ الْهَوَى بِأَدَبٍ^(٤)
مَنْ صَالِحٌ فَيَكُونُ غَيْرَ مُعِيبٍ
أَفْعَالُهُ أَفْعَالُ غَيْرِ مُصِيبٍ

خبر جد ابن كناسة مع امرأة من بني أود

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال:

(١) الخورنق: قصر كان يظهر الحيرة.

(٢) يزَنُّ: يتهم.

(٣) الظنين: المتهم.

(٤) في الأصول: «يامن». وفي حد: «وقع الهوى تأديب».

أتيت امرأة من بني أود تكحلني من رمدي كان أصابني، فكحلني ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك. فاضطجعت، ثم تمثلت قول الشاعر:

أَمْخَتَرِمِي رَيْبَ الْمُنُونِ وَلَمْ أَزُرْ طَيْبَ بَنِي أَوْدٍ عَلَى النَّأْيِ زَيْبًا^(١)

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا والله. فقالت: في والله قيل، وأنا زينب التي عنها، وأنا طيب أود، أتدري من الشاعر؟ قلت: لا. قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

جارية ابن كناسة تقول شعراً فيمن يعرض لها بأنه يهواها

أخبرني عيسى بن الحسين الرزاق قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال:

/ كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشغناء، وكان عفيفاً [٣٤٥/١٣] مزاحاً، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها، فقالت فيه:

١١٥
١٢

لأبي الشغناء حبٌ باطنٌ	ليس فيه نهضةً للمتهم /
يا فؤادي فازدجر عنه ويا	عبث الحب به فاقعد وقم
زارني منه كلامٌ صائبٌ	وسيلات المحبين الكلام
صائدٌ تآمنه غزلانُه	مثل ما تآمن غزلان الحر ^(٢)
صل إن أحييت أن تُعطى المنى	يا أبا الشغناء لله وصم
ثم ميعادك يوم الحشر فربي	جنة الخلد إن الله رجم
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً	يا فعا قد كملت فيه النعم ^(٣)

ابن كناسة يرثي جاريته

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن محمد الأسدي قال حدثني جدي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية ابن كناسة، وكانت أديبة شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

الجمد لله لا شريك له	يا ليت ما كان منك لم يكن
إن يكن القول قل فيك فما	أفحمني غير شدة الحزن

رواية ابن كناسة للحديث

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً، وروى عنه الثقات من المحدثين؛ فممن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مهران الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة بن الزبير، ومسعر بن كدام، وعبد العزيز بن أبي داود، وعمر بن ذر الهمداني^(٤)، وجعفر بن برقان، وسفيان الثوري، وفطر بن خليفة^(٥) ونظراؤهم.

(١) مخترم: من اخترته المنية، إذا أخذته. ريب المنون: حوادث الدهر. وفي الأصول: «أمختري».

(٢) في ب، ج: «صائدة منه».

(٣) يافعا: راقع العشرين.

(٤) ترجم له في تهذيب التهذيب. وفي الأصول: «عمرو»، تحريف.

(٥) في ب، س «قطن» صوابه في حد. وقد ترجم له في تهذيب التهذيب.

[٣٤٦/١٣] / طائفة مما روي من الأحاديث

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن سعد العوفي^(١) قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: قلت: يا رسول الله إن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم. قال: «المرء مع من أحب»^(٢).

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال:

قال رسول الله ﷺ: «خير نساؤها مريم بنت عمران، وخير نساها خديجة». والله أعلم^(٣).
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا ابن كناسة قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زر بن حبيش قال:

كانت في أبي بن كعب شراسة، فقلت له: يا أبا المنذر، اخفض جناحك يرحمك الله، وأخبرنا عن ليلة القدر. فقال: هي ليلة سبع وعشرين. وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحة ما حكته عنه، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلح ما هنا.



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

(١) في س، ب: «محمد بن سعد» فقط.

(٢) في هامش س: وهذا الحديث رواه البخاري مكرراً، وطرقه مختلفة، ولفظ طريق أبي موسى قال: «قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال: المرء مع من أحب».

(٣) في هامش س: وفي البخاري قال - يعني عبد الله بن جعفر - سمعت علياً وذكر الحديث ولفظه «وخير نساها خديجة»، بضمير الغائبة. قال القسطلاني: قال القرطبي: الضمير عائدة على غير المذكور، لكنه يفسره الحال والمشاهدة، يعني به الدنيا. وقال الطيبي: الضمير الأول يعود على الأمة التي كانت فيها مريم، والثاني على هذه الأمة. قال: ولهذا كرر الكلام، تنبيهاً على أن حكم كل واحدة منهما غير حكم الأخرى.

[٣٤٧/١٣]

/ أخبار قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جارية مولدة صفراء حلوة حسنة الغناء والضرب حاذقة، قد أخذت عن إبراهيم وابنه إسحاق، ويحيى المكي، وزبير بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخي أحمد بن عبد الوهاب كاتب صالح بن الرشيد، وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتاً، واشتراها الواصل بعشرة آلاف دينار.

قلم الصالحية وإعجاب الواصل بها

فأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذ أبو الفضل المغني مولى المتوكل على الله، قال حدثني / أحمد بن الحسين بن هشام، قال:

١١٦
١٢

كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدّمات، فغنى بين يدي الواصل لحن لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ قَدْ إِذَا صَادَفْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره. فقال: ويلك! من صالح بن عبد الوهاب هذا؟ فأخبره. قال: أين هو؟ قال: ابعت فأشخصه وأشخص معه جاريته. فقدم على الواصل، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنت، فاستحسن غناها وأمر بابتاعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر. فغضب الواصل من ذلك، وردّ عليه^(١). ثم غنى بعد ذلك زرزور^(٢) الكبير في مجلس الواصل صوتاً، الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب أخي صالح، والغناء لقلم، وهو:

[٣٤٨/١٣]

/ ابِثْ دَارَ الْأَجْبَةِ أَنْ تَبِينَا أَجِدْكَ مَا رَأَيْتَ لَهَا مُعِينَا^(٣)
تَقَطَّعْ نَفْسُهُ مِنْ حَبِّ لَيْلَى نَفُوساً مَا أَثْبَنَ وَلَا جُزِينَا

فسأل: لمن الغناء؟ فقيل: لقلم جارية صالح، فبعث إلى ابن الزيات: أشخص صالحاً ومعه قلم. فلما أشخصهما دخلت على الواصل، فأمرها أن تغني هذا الصوت، فغنت، فقال لها: الصنعة فيه لك؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بارك الله عليك. وبعث إلى صالح فأحضره، فقال^(٤): أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين

(١) كذا، وفي «نهاية الأرب»: «وردها إليه».

(٢) في ب، ح: «زرزور».

(٣) أجذك، أي أجدا منك، أي أحقاً ما تقول.

(٤) جاء في «نهاية الأرب» ج ٥ صفحة ٦٩ ما يأتي: «وبعث إلى صالح فأحضره وقال له: إني قد رغبت في هذه الجارية فاستم في ثمنها سوماً يجوز أن تعطاه. فقال...».

فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإن من حقها عليّ إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه، فبارك الله له فيها. فقال له الواصل: قد قبلتها. وأمر ابن الزيات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار، وسماها احتياطاً، فلم يعطه ابن الزيات المالَ ومطله به، فوجه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك، فغنت الواصل وقد اضطبح صوتاً، فقال لها: بارك الله فيك وفيمن ربك. فقالت: يا سيدي وما نفع من رباني مني إلا التعب والغرم عليّ والخروج مني صفرًا؟ قال: أو لم أمر له بخمسة آلاف دينار؟ قالت: بلى! ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئاً. فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، وخمسة آلاف دينار أخرى معها. قال صالح: فصرت مع الخادم إليه بالكتاب، فقربني وقال: أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت، والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة. فقمتم، ثم تناساني كأنه لم يعرفني، وكتبت أقتضيه، فبعث إليّ: اكتب لي قبضاً^(١) بها وخذها بعد جمعة. فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء، فاستترت وهو في منزله صديق / لي؛ فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى الواصل، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض. ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك فأسألك، هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته. قال صالح^{١١٧}: وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي، وقعدت عن عمل / السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها.

علي بن النجهم يمدح الواصل

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني ابن إسحاق الخراساني. قال: وحدثني محمد بن مخارق قال:

لما بويح الواصل بالخلافة دخل عليه علي بن النجهم فأنشده قوله:

قند فاز ذو الدنيا وذو الدين	بدولة الواصل هارون
وعم بالإحسان من فعله	فالناس في خفض وفي لين
ما أكثر الداعي له بالبقا	وأكثر التآلي بأمين

وأنشده أيضاً قوله فيه:

وثقت بالملك الوا	ثقي بالله الثقوس
ملكك يشقى به الما	ل ولا يشقى الجلبس
أسد تضحك عن شد	اتيه الحرب العوس
أنس السيف به واس	توحش العلق النفيس ^(٢)
يا بني العباس يابى الله إلا أن تسوسوا	

[٣٥٠/١٣] / قال: فوصله الواصل صلة سنية.

(١) القبض: الملك.

(٢) العلق: النفيس من كل شيء، والثوب الكريم.

شراء الواثق لقلم الصالحة

وتغنت قلمٌ جاريةٌ صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، فسمع الواثق الشعَرين والملحنين من غيرها فأراد شراءها، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار.

صوت

وكنْتَ أَعْيَرَ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مِنْ بَكْيِ فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ قَبْلَكَ شَاغِلُهُ
سَقَى جَذْتاً أَعْرَافُ غَمْرَةٍ دُونَهُ بِيْشَةَ دِيْمَاتِ الرِّبْعِ وَوَابِلُهُ^(١)
وَمَا بِيَّ حُبُّ الْأَرْضِ إِلَّا جَوَارُهَا صَدَاهُ وَقَوْلٌ ظَنَّ أَنَّيَ قَائِلُهُ

الشعر للشمر دل بن شريك من قصيدة طويلة مشهورة يرثي بها أخاه، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول بالوسطى، ابتداءه نشيد، ولمقاسه بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج.



مركز توثيق مكتبة التراث العربي

(١) الأعراف: ما ارتفع من الرمل، الواحدة عرفة. وفي بلاد العرب بلدان كثيرة تسمى الأعراف منها أعراف غمرة. غمرة: جبل. بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن. وفي س، ب: «أعراف غمرة». وفي «معجم البلدان»: «ديمات الربيع هواطله».

[٣٥١/١٣]

/ أخبار الشمردل ونسبه

نسبه

الشمردل بن شريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضباري^(١) بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان في أيام جرير والفرزدق.

خروجه وإخوته إلى خراسان وهجاؤه وكيع بن أبي سود لإنفاذهم في وجوه مختلفة أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال:

كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بن تميم في عهد جرير والفرزدق، وقد خرج هو وإخوته حكم وائل وقدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سود، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان، فقال له / الشمردل: إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معاً في وجه واحد، فإننا إذا اجتمعنا تعاوناً وتناصرنا وتناصبنا^(٢). فلم يفعل ما سأله، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها، فقال الشمردل يهجوهم، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم^(٣) بن أذ بن طابخة:

إنني إليك إذا كتبت قصيدة	لم يأتني لجوابها مرجوع
أضيئها الجُشمي فيما بيننا	أم هل إذا وصلت إليك تضيئ
ولقد علمت وأنت عني نازح	فيما أتى كبد الحمار وكيع
وبنو غدانة كان معروفاً لهم	أن يهضموا ويضيئهم يربوع
وعُمارة العبد الميئس إنه	واللؤم في بدن القميص جميع

[٣٥٢/١٣] رثاؤه لأخويه قدامة وائل

قال أبو عبيدة: ولم ينشأ^(٤) أن جاءه نعي أخيه قدامة من فارس؛ قتله جيش لقوهم بها، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام، فقال يرثيها:

أعاذل كم من روعة قد شهدتها	وغصة حزن في فراق أخ جزل ^(٥)
إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت	علي الضحى حتى تنسني أهلي ^(٦)

(١) في س، ب: «ضاري».

(٢) في ح: «تناصبنا».

(٣) في ح: «بني حميس».

(٤) لم ينشأ: لم يلبث.

(٥) الروعة: الفزعة. والجزل: الكريم العطاء، والعازل الأصيل الرأي.

(٦) الحيازيم جمع الحيزوم هو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. أسدفت: أظلمت في لغة

تميم، والشمردل تميمي.

وما أنا إلا مثل من ضربت له
أقول إذا عزيت نفسي بإخوة
أبى الموت إلا فجع كل بني أب
سبيل حبيبي اللذين تبرضا
كان لم نزيوماً ونحن بغبطة
فعينني إن أفضلتما بعد وائل
خليلي من دون الأخلاء أصبحا
فلا يبعدا للذاعين إليهما
فقد عديم الأضياف بعدهما القري
وكانا إذا أيدي الغضاب تحطمت
/ تحاجز أيدي جهل القوم عنهما
كمئأسدي عريسة لهما بها

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره.

رثاؤه أخاه وائلاً أيضاً

قال أبو عبيدة: وقال يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيد شعره:

لعمري لئن غالت أخي دار فرق
وحلت به أثقالها الأرض وانتهى
لقد ضمنت جلد القوي كان يتقى
وصول إذا استغنى وإن كان مقترا
محل لأضياف الشتاء كأنما
رخص نصيح اللحم مغل بينه
وأب إلينا سيفه ورواحله^(٨)
بمشواه منها وفوعف مأكله^(٩)
به جانب الثغر المخوف زلزلته
من المال لم يخف الصديق مسائلته^(١٠)
هم عنده أيتامه وأراملته^(١١) /
إذا بردت عند الصلاء أناملته^(١٢)

(١) الأسى: بالكسر وتضم جمع أسوة. وهو ما يتأسى به الحزين ويتمزى.

(٢) تبرضا دموعي: استنزفاها قليلاً قليلاً.

(٣) المحل: الجذب، وانقطاع المطر. س، ب: «فلا يبعدا للرعاين».

(٤) الوغل: النذل الساقط المقصر في الأشياء.

(٥) الوغر: التوقد من الغيظ. التبل: العداوة.

(٦) تحاجز: تتحاجز. والترع: التسرع.

(٧) المستأسد: الجري، عني به الأسد. والعريسة: مأوى الأسد. وفي الأصل: «كميشا سدي». الحزونة: الأرض الغليظة.

(٨) في «أماله اليزيدي» ٣٢: «وحمائله».

(٩) في «أماله اليزيدي»: «حلت: زينت به موتاهها، من الحلي».

(١٠) المقتتر: القليل المال. أحفاه: برح به في الإلحاح عليه، أو سأله فأكثر عليه الطلب.

(١١) اليزيدي: «مضوم لأضياف الشتاء». والهضوم، والهضام: المنفق لماله.

(١٢) الصلاء: اسم للنار أو للوقود.

- أقولُ وقد رَجَمْتُ عنه فأسرعت
إلى الله أشكوا لا إلى الناس فقدَه
وتحقيق رؤيا في المنام رأيَتها
/ سقى جدثاً أعرافُ غمرة دونه [٣٥٤/١٣]
- بمشوى غريبٍ ليس منا مزاره
إذا ما أتى يومٌ من الدهرِ دونه
سنا صبحٍ إشراقٍ أضاء ومغربٍ
تحيّة من أدّى الرسالة حُبّيت
أبى الصبر أن العين بعدك لم يزل
وكنث أعير الدمع قلبك من بكى
يذكرني هيفُ الجنوب ومُنتهى
وهتافُ فوق الفصون تفجّعت
من الوُزق بالأضياف نواحة الضحى
وسورة أيدي القوم إذ حُلّت الحبا
فعينني إذ أبكا كما الدهرُ فابكيا
/ إذا استعبرت عُودُ النساء وشمّرت [٣٥٥/١٣]
- وأصبح بيت الهجر قد حال دونه
- إليّ بأخبارِ اليقين محاصِلُه^(١)
ولو عة حزن أوجع القلب داخلُه
فكان أخي رُمحاً ترقّضَ عاملُه^(٢)
بيشة ديمّات الربيع ووابلُه^(٣)
بدانٍ ولا ذو الودّ منّا مواصلُه^(٤)
فحيّاك عنا شرقه وأصائلُه^(٥)
من الشمس وافى جنح ليلٍ أوائلُه^(٦)
إليه ولم ترجع بشيء رسائلُه^(٧)
يخالط جفنيها قذى لا يزايلُه^(٨)
فأنت على من مات بعدك شاغلُه
مسير الصبا رُمساً عليه جنادلُه^(٩)
لفقد حمام أفردتها حبالُه
إذا الغرقد التفت عليه غياطلُه^(١٠)
حبا الشيب واستغوى أخا الحلم جاهلُه^(١١)
لمن نصره قد بان منا ونائلُه^(١٢)
مازى يوم ما توارى خلاخلُه^(١٣)
وغال امرأ ما كان يُخشى غوائلُه

(١) الترجيم، من الرّجم، وهو القذف بالغيب والظن. قال زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وفي الأصل: «زمت»، صوابه من «أمالى اليزيدي».

(٢) عامل الرمح: صدره، وهو ما يلي السنان. ترفض: تكسر وتحطم. في الأصول: «ترقص»، صوابه من «أمالى اليزيدي».

(٣) «اليزيدي»: «أكناف غمرة» و «بهضة كتمان المديم».

(٤) «اليزيدي»: «قريباً ولا ذو الودّ منا يواصله» *

(٥) «اليزيدي»: «من الدهر بيننا * فحيّاك منا».

(٦) «اليزيدي»: «وكل سنا برق أضاء».

(٧) «اليزيدي»: «حببت إلينا».

(٨) القذى: ما ترمى به العين من غمص ورمص. «اليزيدي»: «ما يزايله».

(٩) الهيف: ريح حارة تأتي من نحو اليمن. الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الرمس: القبر. الجنادل: الحجارة. وفي «أمالى اليزيدي»: «نسيم الصبا».

(١٠) في «أمالى اليزيدي»: «غياطله: ما اجتمع عليه والتف. والفرقد: شجر».

(١١) الحبا: جمع حبة، وهو الثوب يحتبى به. وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها. ويقال استعوى فلان جماعته، إذا نعى بهم إلى الفتنة، وفي الأصول: «واستغوى»، صوابه بالعين المهملة كما في «أمالى اليزيدي».

(١٢) بان: بعد وانفصل. والنائل: العطاء.

(١٣) استعبرت: جرت عبراتهن. وعود النساء: جمع عائذ، والعائذ: كل أنثى إذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأن ولدها يعوذ بها.

ورثفن به عند الحفيظة فارعوى
إلى ذائد في الحرب لم يك خاملاً
كما ذاد عن عريسة الغيل مخدر
فما كنت ألفي لامرىء عند موطن
وكنت به أغشى القتال فعزني
لعمرك إن الموت من المولع
فما البعد إلا أننا بعد صحبة
سقى الضففات الغيث ما دام ثاوياً
وما بي حب الأرض إلا جوارها
إلى صوته جاراته وحلاته^(١)
إذا عاذ بالسيف المجرد حامله
يخاف الردى ركبائه ورواحله^(٢)
أخاً بأخي، لو كان حياً أبادله
عليه من المقدار من لا أقاتله^(٣)
بمن كان يرجى نفعه ونوافله
كأن لم نُبأيت وائلاً ونقايله^(٤)
بهن وجادت أهل شوك مخايله^(٥)
صداه وقول ظن إنني قاتله

رثاؤه لأخيه حكم

قال أبو عبيدة: ثم قتل أخوه حكم أيضاً في وجهه، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه فقال يرثيه^(٦):

/ يقولون احتسب حكماً وراحوا
وقبل فراقه أيقنت أنني
أخ لي لو دعوت أجاب صوتي
فقد أفنى البكاء عليه دمعي
مضى لسبيله لم يغط ضيماً
قتلنا عنه قاتله وكتنا
قتيلاً ليس مثل أخي إذا ما
وكنت سنان رمحي من قناتي
وكنت بنان كفي من يميني
ببأيض لا أراه ولا يراني
وكل ابنى أب متفارقان^(٧) /
وكنت مجيئه أنى دعائي
ولو أنى الفقيد إذا بكاني^(٨)
ولم ترهب غوائله الأذاني
نصول به لدى الحرب العوان^(٩)
بدا الخففات من هول الجنان^(١٠)
وليس الرمح إلا بالسنان
وكيف صلاحها بعد البنان

(١) الحلات: جمع حلية، وهي الزوجة.

(٢) في الأصول: «فخاف الردى ركبائه ورواحله»، صوابه من «أمالى اليزيدي». المخدر: الأسد في خدره، أي عرينه.

(٣) عزني: غلبني.

(٤) بآيته: بات معه؛ وكذا قايله: نام معه وقت القاتلة، وهي الظهيرة. وفي الأصول: «تبأيت وائلاً وتقاتله»، وعند «اليزيدي»: «ببأيت وائلاً ويقايله»، والوجه ما أثبتنا.

(٥) الضففات: جمع الضفرة، وهي أرض سهلة مستطيلة. وفي الأصول: «الصفقات»، صوابه في «أمالى اليزيدي». وشوك، بالضم: ناحية نجدية قريبة من الحجاز.

(٦) الأبيات في «أمالى اليزيدي» ٤٥ - ٤٦.

(٧) «اليزيدي»: «متفارقان».

(٨) «اليزيدي»: «ولو كنت المصاب».

(٩) العوان من الحروب: التي قوتل فيها مرة بعد مرة.

(١٠) الخففات: جمع خفرة وهي الشديدة الحياء. الجنان: القلب، وفي الأصول: «مذهول» وصححه الشنيطي بما أثبتناه.

وكان يهابُك الأعداءُ فينسا ولا أخشى وراءك من رَماني
فقد أبدوا ضغائنهم وشدوا إليَّ الطَّرفَ واغتمزوا لياني^(١)
فذلك أخٌ نسا عنه غناه ومولِّي لا تصولُ له يدان

ادعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي، قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا:
وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غير جز الحلاقم
/ فقال له الفرزدق: والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت، أو لتتركن لي عرضك. فقال: خذه لا بارك الله لك فيه. فادّعه وجدله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أولها:
تحنُّ بزوراء المدينة ناقتي حين عجلت تبغني البورائم^(٢)

تأويل رؤيا للشمردل ينمي على إثرها أخوه وائل

حدثنا هاشم قال حدثنا غسان عن أبي عبيدة قال:
رأى^(٣) الشمردل فيما يرى النائم كأن سنان رُمحه سقط، فعبره على بعض من يعبر الرؤيا، فأتاه نعي أخيه وائل، فذلك قوله:

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتهما فكان أخى رُمحاً ترفض عامله^(٤)

شعره حين سكر مع نديمين ونسي أحدهما نعله

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الشمردل مغرمًا بالشَّراب، وكان له نديما يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان، أحدهما يقال له دَيْكَل من قومه، والآخر من بني شيبان يقال له قَيْصَة، فاجتمعوا يوماً على جَزورٍ ونحروه وشربوا حتَّى سَكروا، وانصرف قَيْصَة حافياً وترك نعله عندهم، وأنسيها من الشُّكر، فقال الشمردل:

شربتُ ونادمت الملوك فلم أجد على الكأس ندماناً^(٥) لها مثل دَيْكَل
/ أقلِّ مكاساً في جَزور وإن غلت وأسرع إنضاجاً وإنزالَ مِرْجَل^(٦)
تري البازل الكُوماء فوق خُوانه مفصّلة أعضاؤها لم تُفصّل^(٧)

(١) الطرف: الكريم من الخيل. واغتمزوا لياني: استضعفوا اللين مني.

(٢) زوراء: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد. والمعجول: الناقة الشديدة الحزن لفقد ولدها. البور: ولد الناقة، وجلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من أم الفصيل فتدبر. رائم: عاطفة.

(٣) في ج، ب: «رأيت» وهو خطأ.

(٤) ترفض: تكسر. وفي الأصول: «ترقص». وانظر ما سبق من التحقيق في ص ٣٥٣.

(٥) الندمان، بالفتح: النديم.

(٦) المكاس: انتقاص الثمن في البيع واستحطاطه. وفي الأصول: «بكأس» صوابه في ش و «معجم البلدان».

(٧) البازل: الناقة في تاسع سنيها. الكوماء: العظيمة السنام.

سَقِينَاهُ بَعْدَ الرِّيِّ حَتَّى كَانَمَا
عَشِيَّةَ أَنْسَيْنَا قَيْصَةَ نَعْلَهُ
يَرَى حِينَ أَمْسَى أَبْرَقِي ذَاتِ مَاسَلٍ^(١)
فَرَاخَ الْفَتَى الْبَكْرِيَّ غَيْرَ مُنْعَلٍ

هجاؤه هلال بن أحوز حين لم يرض عطاءه

حدثنا هاشم قال: حدثنا دَمَازُ عَنْ أَبِي عبيدة قال:

مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازني واستماحه، فوعده الرقد، ثم رَدَّه زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى ضَجَرَ،
ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرِينَ دِرْهَمًا فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَكَيْلُهُ غَلَّةُ فَرْدَهَا، وَقَالَ يَهْجُوهُ: /

يَقُولُ هَلَالٌ كُلَّمَا جِئْتُ زَائِرًا
أَلَا لِيَتَنِي أَمْسِي وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ
غَدَا نَصْفُ حَوْلٍ مِنْهُ إِنْ قَالَ لِي غَدَا
وَلَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ بَيْنَ غَدَاتِهِ
تَعَوَّضْتُ مِنْ سَاقِي عَشْرِينَ دِرْهَمًا
وَلَوْ قِيلَ مِثْلًا كَنَزِ قَارُونَ عِنْدَهُ
وَمِثْلِكَ مَنَقُوصِ الْيَدَيْنِ رَدْدُتُهُ
وَلَا خَيْرَ عِنْدَ الْمَازَنِيِّ أَعَاوَدُهُ
بَعِيدُ مَنَاطِ الْمَاءِ غُبُرٌ فَدَافِدُهُ^(٢)
وَبَعْدَ غَدٍ مِنْهُ كَحَوْلِ أَرَاوَدِهِ^(٣)
وَيَسْنُ بِرَازِي دَيْلَمِيًّا أَجَالِدَهُ
أَتَانِي بِهَا مِنْ غَلَّةِ الشُّوقِ نَاقِدُهُ^(٤)
وَقِيلَ التَّمَنُّ مَرَعُودَهُ لَا أَعَاوَدُهُ
إِلَّيَّ مَحْتَدٍ قَدْ كَانَ حِينًا يُجَاحِدُهُ^(٥)

/ هجاؤه للضبي حين شمت بمصرع إخوته

حدثنا هاشم قال:

حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلاً من بني ضَبَّةَ كَانَ عَدُوًّا لِلشَّمْرَدِلِ، وَكَانَ نَازِلًا فِي بَنِي دَارِمِ بْنِ مَالِكٍ،
ثُمَّ خَرَجَ فِي الْبُعْثِ الَّذِي بُعِثَ مَعَ وَكَيْعٍ، فَلَمَّا قُتِلَ إِخْوَةُ الشَّمْرَدِلِ وَمَاتُوا، بَلَغَهُ عَنِ الضَّبِيِّ سُرُورٌ بِذَلِكَ، وَشَمَاتَهُ
بِمَصِيبَتِهِ فَقَالَ:

يَأْتِيهَا الْمَبْتَغِي شَتْمِي لِأَشْتُمَهُ
مَا أَرْضَعَتْ مَرْضَعٌ سَخْلًا أَعْتَقَ بِهَا
مَنْ ابْنِ حَنْكَلَةٍ كَانَتْ وَإِنْ عَرِيَتْ
عَوَى لِيَكْسِبَهَا شَرًّا فَقُلْتُ لَهُ
وَمَنْ تَعَرَّضَ شَتْمِي يُلْقَ مَعْطِئُهُ
إِنْ كَانَ أَعْمَى فَأَنْتِي عَنْكَ غَيْرُ عَمٍ^(٦)
فِي النَّاسِ لَا عَرَبٍ مِنْهَا وَلَا عَجَمٍ^(٧)
مُذَالَّةٌ لِقُدُورِ النَّاسِ وَالْحُرَمِ^(٨)
مَنْ يَكْسِبُ الشَّرَّ ثَدْيِي أَمُّهُ يُلَمُّ
مَنْ التُّشُوقُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ اللَّمَمِ^(٩)

(١) الأبرقان: ثنية أبرق، وهو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة. وفي الأصول: «تري حراً في أبرقي أم مرسل»، وأثبتنا ما في «معجم البلدان» (أبرق ذات ماسل).

(٢) المناط: موضع التعليق، والمراد مكان الماء. القفد: الفلاة والمكان الصلب.

(٣) أراوده: أراقه وانتظره.

(٤) تعوض: أخذ العوض.

(٥) في الأصول: «مجاهده».

(٦) كذا جاءت الرواية بالالتفات.

(٧) السخل: المولود، وهو أيضاً الضعيف الرذل.

(٨) الحنكلة: الدميعة السوداء من النساء. عربت المرأة: تحببت إلى زوجها، أو حرصت على اللهو. المذالة: الأمة المهانة.

(٩) المعطس: الأنف. اللمم: الجنون.

متى أجشك وتسمع ما عُنيت به
أولاً فحسبُك رهطاً أن يفيدهم
ليسوا كثعلبة المغبوط جازهم
يُشَبَّهون قريشاً من تكلمهم
إذا غدا المشك يجري في مفارقهم
جزوا النواصي من عجلٍ وقد وطشوا
ويوم أفلتهن الحَوْفَزَانُ وقد
/ إنسي وإن كنت لا أنسى مصائبهم
لا يتعداً فتياً جود ومكرمة
والبعد غالهما عني بمنزلة
وما بناء وإن سَدَّتْ دعائمه
لئن نجوت من الأحداث أو سلمت

(١) تُطَرِّقُ عَلَى قَدَحٍ أَوْ تَرْضَخَ بِالسَّلَامِ
لا يَغْدِرُونَ وَلَا يَوْفُونَ بِالذَّمِّ
(٢) كَأَنَّهُ فِي ذُرَى ثَهْلَانَ أَوْ خَيْمٍ
وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأَمَمِ
(٣) راحوا كأنهم مَرْضَى مِنَ الْكِرَمِ
بِالْخَيْلِ رَهْطٌ أَبِي الصَّهْبَاءِ وَالْحُطَمِ
(٤) شَالَتْ عَلَيْهِ أَكْفُ الْقَوْمِ بِالْجِذَمِ
لَمْ أَدْفَعْ الْمَوْتَ عَنْ زَيْقٍ وَلَا حَكَمِ
(٥) لَدَفَعَ ضَيْمٍ وَقَتَلَ الْجُوعَ وَالْقَرَمِ
فِيهَا تَفَرَّقَ أَحْيَاءٌ وَمُخْتَرَمِ
(٦) إِلَّا سَيَصْبَحُ يَوْمًا خَاوِي الدَّعَمِ
(٧) مِنْهُمْ نَفْسُكَ لَمْ تَسْلَمْ مِنَ الْهَرَمِ

[٣٦٠/١٣]

رثاؤه لعمر بن يزيد الأسدي

حدثنا هاشم قال: حدثنا دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ:

كان عمر بن يزيد الأسدي صديقاً للشمر بن ذر، ومحسناً إليه كثير البر به والرفد له، فأتاه نعيه وهو
بخراسان، فقال يرثيه:

لَيْسَ الصَّبَاحُ وَأَسْلَمَتِهِ لَيْلَةٌ
مِنْ صَوْلَةٍ يَجْتَاحُ أُخْرَى مِثْلَهَا
عَطَّلْنَ أَيْدِيَهُنَّ ثُمَّ تَفَجَّعَتْ
وَحَلِيلَةٌ رَزْنَتْ وَأُخْتُ وَأَبْنَةٌ
لَا يَبْعَدُ ابْنُ يَزِيدَ سِيْدُ قَوْمِهِ

طَالَتْ كَأَنْ نَجُومَهَا لَا تَبْرُحُ
حَتَّى تَرَى السَّدْفَ الْقِيَامُ التُّوْحُ (١٠) /
لَيْلَ التَّمَامِ بِهِنَّ عُبْرَى تَصْدَحُ
كَالْبَدْرِ تَنْظُرُهُ عِيُونَُ لُتْسَحِ
عِنْدَ الْحِفَافِ وَحَاجَةٍ تُسْتَنْجَحُ

١٢٢
١٢

(١) القذع: الخنا والفحش. والسلم: الاستسلام والإذعان.

(٢) ثهلان، وخيم: جبلان.

(٣) من تكلمهم، هي في «الكامل» ٣٥ و «أماشي القالي» (١: ٣٢٨): «في تجلتهم». وفي «الحيوان» (٣: ٩٢): «من تجلتهم». الأنضية: جمع نضى: وهو عظم العنق. الأمام: جمع أمة، وهي القامة.

(٤) الحوفزان: لقب الحارث بن شريك. شالت: ارتفعت. الجذم: السياط.

(٥) زيق بالزاي هو زيق بن بسطام بن قيس الشيباني.

(٦) القرم: شدة شهوة اللحم. في س: «فتا». وفي ب: «فتنا» تحريف.

(٧) مخترم: يقال اخترمته العناية، إذا أخذته.

(٨) سدَّت: صارت سديدة مستقيمة. الدعم: جمع دعمة، وهي الدعامة يعتمد عليها البيت.

(٩) ليس الصباح: دخل فيه. وفي الأصول: «لث».

(١٠) في الأصول: «يحتاج» وهو مقلوب. السدف: الضوء قسبة، والظلام تميمية.

[٣٦١/١٣]

حامسي الحقيقة لا تزال جياذه
للحرب محتسب القتال مشمّر
/ ساد العراق وكان أول وافد
يغطي الغلاء بكل مجد يشتري
تغدو مسؤمة به وتروح^(١)
بالدرع مضطمر الحوامل سُرح^(٢)
تأتي الملوك به المهارى الطلح^(٣)
إن المغالي بالمكارم أربح^(٤)

أرجوزته في وصف الصقر والقنص

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة، وأنشدنا قوله:
قد أغتدي والصبح في حجابيه
وقد بدا أبلق من منجابه
مُعاود قد ذل في إصعابه
وعرف الصوت الذي يدعى به
فقلت للقائص إذ أتى به
ويحك ما أبصر إذ رأى به
قشعاً ترى التبت من جنابه^(٥)
غضبان يوم قنية رمى به
تحت جديد الأرض أو ترابه
إذ لا يزال حربه يشقى به
/ جاد وقد أنشب في إهابه
مثل مُدَى الجزار أو حرابه
عصفرة الفؤاد أو قضابه^(٦)
والليل لم يأو إلى مأبيه
بتوجي صاد في شبابه^(٧)
قد خرق الضفار من جذابه^(٨)
ولمعة الملمع في أثوابه^(٩)
قبل طلوع الآل أو سرابه
من بطن ملحوب إلى لبابه^(١٠)
فانقض كالجلمود إذ علا به
فهو يلقى من أغصابه
من كل شحاج الضحى ضغابه^(١١)
متزع الفؤاد من حجابيه
مخالباً ينشبن في إنشابه
كأنما بالخلق من خضابه
حوى ثمانين على حسابه

[٣٦٢/١٣]

(١) المسؤمة: المعلمة. وتروح: من الرواح.

(٢) مضطمر: ضامر. الحوامل: الأرجل.

(٣) المهارى: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان. الطلح: المتعبة.

(٤) الغلاء: المغالاة.

(٥) الأبلق: الذي فيه سواد وبياض. منجابه، المنجابه: اسم مكان من انجاب بمعنى انكشف. ويقال انجاب عنه الظلام: انشق

التوجي: الصقر المنسوب إلى توج من قرى فارس. وبعض أبيات هذه الأرجوزة في «معجم البلدان» (توج).

(٦) في كل الأصول: «قد حرق الصغار من حذانه».

(٧) الإلماع: الإشارة بالثوب ونحوه. في الأصول: «في ألوانه».

(٨) ملحوب: موضع.

(٩) القشع، بالفتح: بيت من آدم. والتبت، كذا وردت.

(١٠) الشحاج: ذو الصوت الغليظ. والضغاب: المفزع بصوته.

(١١) كذا ورد الشطر.

من خَرِبٍ وَخَزَرٍ يَعْلَى بِهِ^(١) لَفْتِيَّةٌ صَيْدَهُمْ يَدْعَى بِهِ^(٢)
وَأَعَدَّهُمْ لِمَنْزَلٍ يَثَابُ بِهِ يطهى به الخربان أو يشوى به^(٣)
فَقَامَ لِلطَّبِيخِ وَلاَ حَظَّ أَبَاهُ أروع يهتاج إذا هجنأ به

أرجوزته في الذئب الذي قتله بعد أن فتك بفنمه

أخبرنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه:

هَلْ خُبِرَ السُّرْحَانُ إِذْ يَسْتَخِيرُ عَنِّي وَقَدْ نَامَ الصُّحَابُ السُّمُرُ^(٤)
لَمَّا رَأَيْتَ الضَّأْنَ مِنْهُ تَنْفِرُ نهضت وشنان وطار المئزر^(٥)
وَرَاعَ مِنْهَا مَسْرَحَ مَسْتَبِيرٍ^(٦) كأنه إعصار ريح أغبر /
فَلَمَّ أَزَلْ أَطْرُدْهُ وَيَعْكِرُ^(٧) حتى إذا استيقنت ألا أعذر
وَأَنَّ عَقْرَى غَنَمِي سَتَكْثُرُ^(٨) طار بكفي وفؤادي أوجر^(٩)
ثُمَّتْ أَهْوَيْتُ لَهُ لَا أَزْجُرُ سهماً فولّى عنه وهو يعثر
* وَبِثْ لَيْلِي أَمَّا أَكْبُرُ *

١٢٣
١٢

[٣٦٣/١٣] / استجادة الأصمعي أبياناً للشمردل

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال الشمردل بن شريك - وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها، ويقول: إنها لمن ظريف الكلام -:

ثُمَّ أَسْتَقِلَّ مَنَعِمَاتٍ كَالسُّدْمَى شُمُسُ الْعِتَابِ قَلِيلَةُ الْأَحْقَادِ^(١٠)
كُذِّبَ الْمَوَاعِدِ مَا يَزَالُ أَخُو الْهَوَى مِنْهُنَّ بَيْنَ مَوَدَّةٍ وَبِعَادِ^(١١)

(١) الخرب: ذكر الحباري. والخز: الذكر من الأرانب.

(٢) في الأصول: «لقتية».

(٣) الخربان: جمع خرب وهو ذكر الحباري.

(٤) السرحان: الذئب.

(٥) المئزر: الملحفة. وفي الأصول: «طاب المئزر».

(٦) وفي الأصول: «وراح». والمستير: الذاهب العقل. وفي الأصول: «مستبهر». والمستبهر: المتخايل.

(٧) يعكر: يكر وينصرف. في ب، س: «استيقنته لا أعذر».

(٨) العقري: الجرحى.

(٩) الأوجر: الخائف.

(١٠) الدمية: الصورة المنقشة. والشمس، بضمين: جمع شمس بالفتح، وهي النافرة.

(١١) في كل الأصول: «ما يقال».

حتى ينال حبالهن معلقا عقل الشريد وهن غير شراد^(١)
والحب يصلح بعد هجر بيتنا ويهيج معتبة بغير بعاد

صوت

خليلسي لا تستعجلا أن تزودا وإن تجمعما شملني وتنتظرا غدا
وإن تنطرا نسي اليسوم أفض لبانة وتنتوجبا مئاعلي وتحمدا
الشعر للحصين بن الحمام المري، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقل بالبنصر، من روايتها ومن رواية الهشامي.



مركز تحيئة تكملة تاريخ اللغة العربية



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء الثالث عشر

الموضوع	الصفحة
أخبار أبي الطَّمْحَانِ الْقَيْنِي	٥
أخبار الأسود ونسبه	١٣
أخبار أُرْطَاة ونسبه	٢٢
أخبار جعفر بن علبه الحارثي ونسبه	٣٣
أخبار العُجَيْر السَّلُولِي ونسبه	٤١
أخبار خُزَيْمَة بن نهد ونسبه	٥٤
نسب المغيرة بن حَبْناء وأخباره	٥٨
أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه	٧١
أخبار العتابي ونسبه	٧٦
أخبار الأبيرد ونسبه	٨٧
أخبار منصور النمرّي ونسبه	٩٧
نسب عبدالله بن الحجاج وأخباره	١٠٩
أخبار ناهض بن ثومة ونسبه	١٢٠
أخبار المخبل ونسبه	١٣٠
أخبار غيلان ونسبه	١٣٧
أخبار حاجز ونسبه	١٤٣
أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه	١٤٩
أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه	١٥٤
أخبار عبد الرحمن ونسبه	١٧٦
أخبار مسعدة ونسبه	١٨٢
أخبار مطيع بن إياس ونسبه	١٨٥
أخبار محمد بن كناسة ونسبه	٢٢٦
أخبار قلم الصّالحيّة	٢٣٣
أخبار الشمردل ونسبه	٢٣٦
فهرس الموضوعات	٢٤٧

اكتسابُ الأُغنيّ

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ

إعداد

مكتب تحقيق دار أحياء التراث العربي



مركز تحقيق مكتبة قطر

الجزء الرابع عشر

طبعة كاملة وهدية ، مصححة ، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزينة بفراءس شاملة

دار أحياء التراث العربي



بيان

رأت دار الكتب المصرية أن تستعين بنخبة من جهابذة العلماء المتصلعين في فنون العربية وآدابها وتاريخها لإنجاز الكتب التي تقوم بتحقيقها وإخراجها من ذخائر التراث العربي القديم، وعهدت بالجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني إلى العلامة الجليل الأستاذ أحمد زكي صفوت وكيل كلية دار العلوم سابقاً، فقام سيادته بهذا العمل، وبذل أوسع الجهد في تحقيقه ومراجعته على النسخ التي رجعت إليها الدار في تحقيق الأجزاء السابقة، وهي:

أ، ب، ج، س؛ وقد سبق وصفها في مقدمة الجزء الأول.

ط؛ وقد سبق وصفها في مقدمة الجزء الثاني.

ثم حصلت الدار أخيراً على أجزاء متفرقة من هذا الكتاب، من مكتبة ميونيخ وتوبنجن بألمانيا، فقام موظفو قسم حماية التراث بمقابلتها على ما يوافق هذا الجزء منها؛ وبيانها:

١ - جزء مصور في مجلدين، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٥٨ز؛ مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ، برقم ٤٧٠؛ مكتوب بخط نسخ جلي؛ بقلم مسعود بن محمد بن غازي، في السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائه. وجميع الأبيات التي ترد في أول الصفحة وآخرها، وكذلك البيت الأول في كل صوت؛ مكتوبة بالخط الثلث الغليظ؛ وبأول الجزء ثبت بأسماء التراجم التي تبدأ ببقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسدي^(١)؛ وينتهي بأخبار مقتل ابني عبيد الله بن العباس^(٢).

ويقع في ٢٩٠ لوحة، ومسطرته من ١٥ - ١٩ سطراً. وقد أعطى هذا الجزء رمز «مب».

٢ - جزء مصور في مجلد واحد، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٦٤ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ برقم ٤٨٠، وهو بخط مغربي وليس به تاريخ. ويتبدأ ببقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسدي، وينتهي بوقفه قلم عند البيت:

أَبْعَدَ نَدِيمِي اللَّسْذِينَ بِعَاقِلٍ * بِكَيْتُهُمَا حَوْلًا مَدَى أَتَسَوِّجُ

في أثناء خبر قس^(٣) بن ساعدة الإيادي.

وبأوله ثبت بأسماء المترجمين في هذا الجزء، من بقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسدي، إلى أخبار قس بن ساعدة.

(١) طبعة الدار ١٤ : ٢٢٨.

(٢) طبعة بولاق ١٥ : ٤٨.

(٣) طبعة بولاق ١٤ : ٤٣.

ويقع في ١٦٥ لوحة، ومسطرته ١٧ سطراً، وقد أعطي هذا الجزء رمز «مط».

٣- جزء في مجلد واحد، مصوّر بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٠٦٣ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة توينجن، برطم ٧٣٩٧ (أهلوارد)، يبدأ أوله ببقية أخبار عبد الله بن الزبير الأسدي. وبه نقص من آخره عن نسخة «مب» مقداره صفحة. مكتوب بقلم تعليق. ويبدو من بعض التصويبات التي بحواشيه، أنه مقابل على نسخة أخرى؛ ويقع في ٢١٠ لوحة، ومسطرته ٢٤ سطراً. وقد أعطي هذا الجزء رمز «ها».



مركز توثيق مكتبة طهران اسدي

[١/١٤]

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تابع ١٢

/ أخبار الحصين بن الحمام ونسبه

نسبه

هو الحُصَيْن بن الحُمَام بن ربيعة بن مُساب^(١) بن حَرَام بن وائل^(٢) بن سَهْم بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان بن بَغِيض بن الرِّيث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار.

مكائنه في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال:

كان الحصين بن الحمام سيد بني سَهْم بن مُرَّة. وكان خُصَيْلَةُ بن مُرَّة وصِرْمَةُ بن مُرَّة وسَهْم بن مُرَّة أمهم جميعاً حَرْقُفَةُ^(٣) بنت مَغْنَم بن عَوْف بن بَلِي بن عمرو بن / الحاف^(٤) بن قُضَاعَة، فكانوا يداً واحدة على مَنْ سواهم، [٢/١٤] وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم. وكان يقال له: مانع الضِّيم^(٥).

وفود ابنه على معاوية

وحدثني جماعة من أهل العلم أنّ ابنه أتى باب معاوية بن أبي سفيان فقال لآذنه: استأذن لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضيم، فاستأذن له؛ فقال له معاوية: ونحك! لا يكون هذا إلا ابن عُرْوَة بن الْوَرْد العبسي، أو الحصين بن الحُمَام المُرِّي، أدخله. فلما دخل إليه قال له: ابنُ مَنْ أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام؛ فقال: صدقت، ورفع مجلسه وقضى حوائجه.

حرب قومه بني سهم بن مرة مع بني صرمة بن مرة

أخبرني ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان ناس من بطني من قُضَاعَة يقال لهم: بنو سَلَامَان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قُضَاعَة. وبنو سَلَامَان بن

(١) مساب: جاء في «خزانة الأدب» مضبوطاً بالعبارة قال: «مساب بضم الميم وتخفيف السين» وجاء مضبوطاً بالشكل بفتح الميم في كتاب «أشعار الحماسة» شرح التبريزي طبع أوربة ص ١٨٧، ولم يرد في المعجمات اللغوية التي بأيدينا.

(٢) ورد هذا الاسم في الأصول «وائل» بالثاء؛ والتصويب من «تاج العروس» (مستدرک مادة وأل).

(٣) في ب، س: «حرقلة» وفي جـ: «حرقفة» وكذا في «مختار الأغاني» الكبير لابن المكرم صاحب «لسان العرب» (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية) ج ٣ ص ٤٠٣. وفي «أشعار الحماسة» طبع أوربة ص ١٩٠: «حرقفة البلوية» مضبوطاً بهذا الضبط بالشكل - والبلوية نسبة إلى جملها بلي - ولم يرد في المعجمات.

(٤) الحاف: أصله الحافي، وهو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة، كما قالوا العاص بن أمية بن عبد شمس، والعاص بن وائل السهمي، وحذيفة بن اليمان؛ والأصل العاصي واليماني.

(٥) كذا في ب، س، وفي حـ: «وكان حصين ذا رأيهم ورائدهم». قال أبو حاتم قال أبو عبيدة قال أبو عمرو: كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرة، وكان يقال له مانع الضيم.

سعد إخوة عُدرة بن سعد، وكانوا حلفاء لبني صِرْمة بن مُرة ونزولاً فيهم. وكان الحُرقة^(١) وهم بنو حُمَيْس بن ١٢٤ عامر بن جُهينة حلفاء لبني سهم بن مرة، وكانوا قوماً / يرمون بالثُّبيل رميةً سديداً^(٢)، فسُمُوا الحُرقة لشدة قتالهم. وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مرة. وكان في بني صِرْمة يهوديٌّ من أهل تيماء يقال له جُهينة بن أبي حَمَل. [٣/١٤] وكان في بني سهم يهوديٌّ من / أهل وادي القُرَى يقال له غُصَيْن^(٣) بن حَيٍّ، وكانا تاجرَيْن في الخمر^(٤). وكان بنو جَوْشَن - أهل بيت من عبد الله بن عَطْفان - جيراناً لبني صِرْمة، وكان يَتَشَاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلة^(٥) كان يقطع الطريق وحده. وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه، وينشُدونه في كل مجلس وموسم. فجلس ذات يوم أخٌ لذلك المفقود الجَوْشَنِي في بيت غُصَيْن بن حَيٍّ جارِ بني سهم يتاع خمرأ، فبينما هو يشتري^(٦) إذ مَرَّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيْلة، فقال غُصَيْن^(٧) :

تَسْأَلُ عَنْ أَخِيهَا كُلَّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ

فأرسلها مثلاً^(٨)، يعني بجُهينة نفسه. فحفظ الجَوْشَنِي هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نَشَدْتُكَ اللهُ ودينتك هل تعلم لأخي عِلْماً؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثّل:

[٤/١٤] / لَعْمُرُكَ مَا ضَلَلْتُ ضَلالَ ابنِ جَوْشَنٍ حَصاةً بَلِيلِ أَلْقَيْتُ وَسَطَ جَنْدَلٍ

- أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبداً - فلما سمع الجَوْشَنِي ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله. وقال الجَوْشَنِي:

طَعَنْتُ وَقَدْ كَادَ الظَّلَامُ يُجِثُّنِي غُصَيْنُ بْنُ حَيٍّ فِي جِوَارِ بَنِي سَهْمٍ^(٩)

فَأَتَيْ حَصِينَ بْنَ الْحُمَامِ^(١٠) فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ جَارَكَ غُصَيْنًا الْيَهُودِيَّ قَدْ قَتَلَهُ ابْنُ^(١١) جَوْشَنٍ جَارِ بَنِي صِرْمة. فقال حصين:

(١) اختلف اللغويون في ضبطه: ف ضبط بضم فسكون، وبضمين، وبضم ففتح (انظر «تاج العروس»).

(٢) في الأصول «شديداً»، والصواب «سديداً»؛ كما في «مختار الأغاني الكبير» ج ٣ ص ٤٠٣.

(٣) في ب، س «حصين» والصواب غصين كما في ج و «مختار الأغاني الكبير» ج ٣ ص ٤٠٤ و «لسان العرب» مادة جفن، وقد تكرّر هذا الاسم بعد محرفاً.

(٤) كذا في ج. وفي ب، س: «وكان تاجراً في الخمر».

(٥) في ب، س «حصين».

(٦) في ج و «مختار الأغاني». «فبينما هما يشربان».

(٧) في ب، س: «جُهينة» وهو تحريف.

(٨) ورد في «مجمع الأمثال» للميداني (١: ٣٩٤) في شرح هذا المثل ما ملخصه: أن حصين بن سبيع الغطفاني خرج مع الأخنس بن كعب الجهني وتعاقدا على السلب والنهب، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه. وكان من أمرهما أن طلبا رجلاً من لحم ليسلباه، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقدامه طعام وشراب فتزلا به وأكلا وشربا معه. ثم إن الجهني ذهب لبعض شأنه، فرجع فرأى الحصين قد فتك باللحمي. وأراد الحصين بعد ذلك أن يتغفل صاحبه الجهني ليقته، ولكنه فطن لما يراذ به، فبادره بقتله، واحتوى على متاعه ومتاع اللحمي، وانصرف راجعاً إلى قومه، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيع، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين، قال: أنا قتلته. فقالت: كذبت، ما مثلك يقتل مثله، أما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا. ثم قال في ذلك أبياتاً منها:

تَسْأَلُ عَنْ حَصِينَ كُلَّ رَكْبٍ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ

اقرأ هذا الخبر أيضاً وشرح المثل المذكور في «لسان العرب» مادة جفن، وفيه أنه يروى «حفيظة» بالحاء، ويروى «حفيظة» بالجيم.

(٩) في الأصول و «مختار الأغاني»: «طعنت» وهو تصحيف. وأجته: ستره.

(١٠) في الأصول: «فقال له» والتصويب من «مختار الأغاني الكبير».

(١١) في الأصول: «أبو جَوْشَن» والتصحيح عن «مختار الأغاني».

فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة، فأتوا جهينة بن أبي حمّل فقتلوه. فشذّ بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوههم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثة نفر، ففعلوا. فاستعزّ الشّرّ بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهْطِ الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتهم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتهم من جيراننا من قُضاة ثلاثة نفر وقلنا من جيرانكم بني سلامان ثلاثة نفر، وبيننا وبينكم رَحِم مائة قرية، فمروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر جيراننا من قُضاة فيرتحلون عنا جميعاً، ثم هم أعلم. فأبى ذلك بنو صرمة، وقالوا: قد قتلتم جارنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم؛ فإنك^(١) تعلم أنكم أقلّ منا عدداً وأذلّ، وإنما بنا تعزّون وتُمنعون. فنأشدهم الله والرحم فأبوا. وأقبلت الخُضر^(٢) من مُحارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نَهَب / بني سهم إذا انتهبوا [٥/١٤] فَنُصيب منهم. وخَذَلت غطفان كلّها حصيناً، وكرهوا ما كان من منّيه جيرانه من قضاة. وصافهم حصين الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألا يزيدوهم على التَّبل، وهزمهم الحصين، وكفّ يده بعد ما أكثر فيهم القتل. وأبى ذلك البطن^(٣) من قضاة أن يَكفّوا عن القوم حتى ألتخوا فيهم. وكان سنان بن أبي حارثة^(٤) خَذَل الناس عنه لعداوته قضاة، وأحبّ سنان أن يَهَب الحيات من قضاة، وكان عيينة بن حصن وزبان / بن سيار بن عمرو بن جابر ١٢٥/١١ ممن خَذَل عنه أيضاً. فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة، وأجلبت مُحارب بن خَصَفَة معهم. شمره في لوم بني صم على تجردهم لقتاله

فقال الحصين بن الحمام في ذلك من أبيات:

أَلَا تَقْبَلُونَ النَّصْفَ مِنَّا وَأَنْتُمْ	بَنُو عَمْنَا لَا بَلْ هَامَكُمُ الْقَطَرُ ^(٥)
سَنَابِسِي كَمَا تَأْبُونَ حَتَّى تُلِينَكُم	صَفَائِحُ بُضْرَى وَالْأَسِنَّةُ وَالْأَضَرُ ^(٦)
أَيُّوَكُلُ مَوْلَانَا وَمَوْلَى ابْنِ عَمْنَا	مُقِيمٌ وَمَنْصُورٌ كَمَا نُصِرْتَ جَنْرُ ^(٧)
فَتَلِكُ الَّتِي لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّنِي	خَنَعْتُ لَهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبْرِ
فَلَيْتُكُمْ قَدْ حَالَ دُونَ لِقَائِكُم	سِنُونُ ثَمَانٍ بَعْدَهَا حَجَجٌ عَشْرُ ^(٨)
/ أَجْدِي لَا الْقَائِمُ الدَّهْرَ مَرَّةً	عَلَى مَوْطِنِي إِلَّا خَدَوْدُكُمْ صُغُرُ ^(٩)

[٦/١٤]

(١) كذا في ح. وفي ب، س: «فإننا نعلم».

(٢) في الأصول «الحضر» بالحاء؛ وهو تصحيف. والصواب الخضر، وهم بطن من قيس عيلان سموا بذلك لخضرة ألوانهم. وقد رأته بعد في «مختار الأغاني الكبير» ج ٣: ص ٤٠٥ قال: «وأقبلت الحضرة خضر محارب».

(٣) أي بنو حميس بن عامر.

(٤) في الأصول «أبي جارية» وهو تصحيف.

(٥) النصف: الإنصاف كالنصف محرّكة. والهام: جمع هامة، وهي الرأس. يدعو عليهم ألا يمحطوا.

(٦) الصفائح: السيوف العريضة. بصرى: بلد بالشام من أعمال دمشق، وتنسب إليها السيوف البصرية. الأصغر: الكسر والجبس.

(٧) في ب، س «نعيم» وهو تحريف، وتصويبه عن ح و «مختار الأغاني». المولى: الحليف والجار. يعني حلفاءهم من بني حميس. ومولى ابن عمنا: يعني بني سلامان حلفاء بني عمهم صرمة بن مرة. وجسر: هم جسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان. وقد تقدم في القصة: أن محارب بن خصفة أجلبت مع بني صرمة على بني سهم قوم الحصين.

(٨) حجج: جمع حجة بالكسر، وهي السنة.

(٩) تقول العرب: أجدي وأجذك، بالنصب وبكسر الجيم وفتحها. فمن قال: أجذك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجده وحقيقته، ومن فتح =

إذا ما دُعُوا للبغي قاموا وأشرقَتْ وجوههم، والرُّشْدُ وزدَّ له نَفَرٌ^(١)

فَواعَجَبَا حتَّى خُصِيْلَةُ أَصْبَحَتْ مَوَالِي عِزٍّ لَا تَحِلُّ لَهَا الْخُمَرُ!

- قوله: موالِي عِزٍّ، يهزأ بهم. ولا تحلُّ لهم الخمر، أراد فحرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك :-

أَلَمَّْا كَشَفْنَا لَأَمَّةَ الدُّلِّ عَنْكُمُ تَجَرَّدَتْ لَا بِرٍّ جَمِيلٍ وَلَا شُكْرٍ^(٢)

فَلِإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا تَجَزَّ مِنْكُمُ جَوَازِي الْإِلَهِ وَالْخِيَانَةُ وَالْغَدْرُ^(٣)

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفَةَ. وكان رئيس محارب حُمَيْضَةُ بْنُ حَرْمَلَةَ. وَنَكَصَتْ عَنْ حَصِينِ قَبِيلَتَانِ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَخَانَتَاهُ، وَهُمَا عَذْوَانُ وَعَبْدُ عَمْرٍو بَنَا سَهْمٍ، فَسَارَ حَصِينٌ، وَلَيْسَ مَعَهُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ إِلَّا بَنُو وَائِلِ بْنِ سَهْمٍ وَحُلَفَاؤُهُمْ وَهُمْ الْخُرْقَةُ، وَكَانَ فِيهِمُ الْعَدَدُ، فَالْتَقَوْا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ، فَظَفِرَ بِهِمُ الْحَصِينُ وَهَزَمَهُمْ وَقَتْلَ مِنْهُمْ فَأَكْثَرَ. وَقَالَ الْحَصِينُ بْنُ الْحُمَامِ فِي ذَلِكَ:

انتصاره عليهم وشعره في ذلك وفخره بقومه

جَزَى اللَّهُ أَفْنََاءَ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عُقُوقًا وَمَأْتِمًا^(٤)

بَنِي عَمَّنَا الْأَدْنَى مِنْهُمْ وَرَهْطَنَا فَزَارَةَ إِذَا رَامَتْ بَنَا الْحَرْبِ مُعْظَمًا^(٥)

/ وَلَمَّا رَأَيْتَ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلَمًا^(٦)

صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفَا وَمِغْصَمًا

نُقْلَقُ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ بِالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ الْمُقْوَمًا^(٧)

- نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه. ويستنقذون السمهري وهو القنا الصلب، أي نطعنهم فتجرهم الرماح -

لَدُنْ غُدْوَةٍ^(٨) حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ مَا تَرَى مِنَ الْخَيْلِ^(٩) إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا

[٧/١٤]

= الجيم استخلفه بجده وهو بخته. ونصبه على المصدر، كأنه قال: أجدا منك، أو بطرح الباء ومعناه أبجد هذا منك. ولا يستعمل إلا مضافا. وصعر: جمع أصعر، وصف من الصعر بالتحريك وهو ميل الخد؛ يقال: صعر خده، إذا أماله عن النظر إلى الناس تهاونا. (١) النفر: الجماعة يتقدمون في الأمر.

(٢) اللامة: الدرع. يريد لباس الدل. تجرد للأمر: جد فيه، أي جددت في قتالنا.

(٣) الجوازي: الجزاء، جمع جازية، مصدر على فاعلة.

(٤) الأفناء من الناس: الأخلاط، واحدها فنو بالكسر أو فنا كمصا. ودارة موضوع: موضع بين ديار بني مرة وديار بني شيان.

(٥) أي جزى الله بني عمنا معظما أي أمرا معظما.

(٦) اسم كان ضمير اليوم، أي وإن كان اليوم يوما ذا كواكب. ويوم ذو كواكب: ذو شدائد، كأنه أظلم بما فيه من الشدائد حتى رثيت كواكب السماء.

(٧) الجرد: جمع أجرد وجرداء. وفرس أجرد: قصير الشعر رقيقه، وذلك من علامات العتق والكرم. والسمهري: نسبة إلى سمهر، وهو رجل كان يثقف الرماح.

(٨) ورد نصب غدوة بعد لدن وهو نادر، قلدن حيثنذ متقطعة عن الإضافة لفظاً ومعنى، وغدوة بعدها منصوبة على التمييز للدن أو على أنها خبر لكان محذوفة مع اسمها أي لدن كانت الساعة غدوة. ويجوز جر غدوة بالإضافة على الأصل، ورفعها بكان تامة محذوفة.

والغدوة: البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس.

(٩) في الأصول: «من الليل». والتصحيح عن «مختار الأغاني» و«المفضليات» و«متهى الطلب». والخارجي هنا: كل ما فاق جنسه =

[٨/١٤] ١٢٦ ١٢	<p>ومجبوكة كالسيد شقاء صليداً^(١) غباراً فما يجريين إلا تقحماً^(٢) وكان إذا يكسو اجاد وأكرمنا^(٣) ومطرداً من نسج داود مبهماً^(٤) وعذوان سهم ما أذل والأما ولا مرق من خشية الموت سلماً</p>	<p>وأجرّد كالسرحان يضربه الندى يطأن من القتلَى ومن قصد القنا / عليهن فتیان كساهم محرق / صفائح بضري أخلصتها قيوئها جزى الله عنا عبد عمرو ملامه فلسْتُ بمبتاع الحياة بسببة</p>
---------------------	--	---

رثاؤه نعيم بن الحارث

وقال أبو عبيدة:

وقتل في تلك الحرب نعيم بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهل، قتلته بنو صرمة يوم دارة موضوع، وكان واذاً للحصين فقال يرثيه:

<p>وكان القتل للفتيان زينا لقد جئت رزيثه علينا سئلقي من صروف الدهر حيناً^(٥)</p>	<p>قتلنا خمسة ورموا نعيمنا لعمرو الباقيات على نعيم فلا تبعد نعيم فكل حي</p>
--	---

لومه بني حميس حين فارقوا قومه

قال أبو عبيدة:

ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضوا، فليح بهم الحصين بن الحمام فردهم ولا مهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم، وقال في ذلك:

إن أمراً بعدي تبدل نصركم
 بنصر بني ذبيان حقاً لخاسر^(٦)

= ونظائره. والخيل المسومة: التي عليها سمة أي علامة تعرف بها، والمرسلة عليها ركبائها.

(١) السرحان: الذئب، وكذا السيد. والمجبوكة: الفرس الشديد الخلق القوي. والأشق من الحيل: ما يشتق في عدوه ويذهب يميناً وشمالاً كأنه يميل في أحد شقيه، والطويل. يقال: فرس أشق، والأشقى شقاء. وفي ب، س: «نيقا» وهو تحريف، والصلدم: الصلب، والشديد الحافر.

(٢) انقصد الرمح: انكسر نصفين حتى يبين، وكل قطعة قصدة بالكسر والجمع قصد. والخيار من الأرض: ما لان واسترخى وكانت فيه أحجار، وفي ب، س: «جبادا»، وفي ج «شريحاً» وهو تحريف. وتقحم الأمر: رمى بنفسه فيه، وفي «المفضليات» و«منتهى الطلب»: «إلا تجشما».

(٣) محرق: لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة. وإنما سمي بذلك لأنه أول من حرق العرب في ديارهم. فهم يدعون آل محرق؛ وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني تميم.

(٤) في ب، س: «محكمًا». والقيون: جمع قين بالفتح، وهو الحداد. ومطرداً: أي ودرعاً مطرداً (والدرع قد تذكر) واطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً، واطرد الأمر: استقام. والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت، ومبهماً: لا مأتى له ولا ثلم فيه.

(٥) فلا تبعد: فلا تهلك. والحين: الموت.

(٦) في البيت خرم.

أولئك قوم لا يهآنُ ثوبُهُمْ إذا صرَّحت كحلٌ وهب الصنابر^(١)

[٩/١٤] / وقال لهم أيضاً:

ألا أبلغُ لديك أبا حميسٍ وعاقبة الملامسة للملهم^(٢)

فهل لكم إلى مولى نصورٍ وخطبكم من الله العظيم

فلإن دياركم بجنوب بسٍ إلى ثقفٍ إلى ذات العظوم^(٣)

- بس: بناء بنته غطفان شبهوه بالكعبة، وكانوا يحجونه ويعظمونه ويسمونه حرماً، فغزاهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه -

غدتكم في غداة الناس حُجا غداء الجائع الجدع اللثيم^(٤)

فيسرُّوا في البلاد وودَّعونا بقحط الغيث والكلام الوخيم

قوله في بني حميس أيضاً يلومهم ويذكر يده عليهم

قال أبو عبيدة: قال عمرو:

زعموا أن المثلَّم بن رباح قتل رجلاً يقال له حُباشة في جوار الحارث بن ظالم المُرِّي، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارث بن ظالم، فطلب الحصين بدم حُباشة، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانه فقالوا: إنَّا لا نَعْلَمُ^(٥) بالإنيل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم. فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته:

[١٠/١٤] / خليلي لا تستعجلاً أن تزوداً وأن تجمعاً شملتي وتنتظراً غداً

فما لبثت يوماً سائق مغنم ولا سرعة يوماً بسابقة غدا^(٦)

وإن تُنظراني اليوم أقض لبانة وإن تُنظراني اليوم أقض لبانة

لعمرك إنني يوم أغدو بصرمتي تناهي حميس بادئين وعوداً^(٨)

(١) الثوي: الضيف. كحل: السنة المجدة (تصرف ولا تصرف) ويقال: صرحت كحل، إذا لم يكن في السماء غيم. والصنابر: الرياح الباردة.

(٢) ألام: أتى ما يلام عليه.

(٣) في ب، س: «بس» والتصحيح عن حد و «معجم البلدان» في الكلام على «ثقف» ج ٣: ١٩ - قال في «القاموس المحيط»: «بس: بيت لغطفان بناء ظالم بن أسعد لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة، ويسعون بين الصفا والمروة، فذرع البيت وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ورجع إلى قومه وبني بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين فقال: هذان الصفا والمروة، فاجتزءوا به عن الحج. فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه». وثقف وذات العظوم: موضعان.

(٤) في الأصول: «غدتكم في غدا الناس حجنا: غداء» وهو تحريف، وحجا بالضم (وبكسر أيضاً) جمع حاج مثل بازل ويزل. والجدع: السوء الغداء.

(٥) عقل القتيل: دفع دية.

(٦) اللبث بالتحريك: المكث والإبطاء كاللبث بفتح اللام وضمها. ويلاحظ أن هنا إبطاء.

(٧) أنظره: أخره وأمهله. واللبانة: الحاجة.

(٨) الصرمة: القطعة من الإنيل ما بين العشرين إلى الثلاثين؛ وقيل غير ذلك. تناهي: كف، أي كف بنو حميس عن معاونتنا في إيل الدية، أو معناه: تناهي بنو حميس أي نهى بعضهم بعضاً عن معاونتنا في ذلك فكفوا.

وقد ظهرت منهم بوائق جمة^(١) وأفرع مولا هم بنائهم أضعدا^(٢)
وما كان ذنبي فيهم غير أنني بسطت يدا فيهم وأتبعتهما يدا
وأنني أحامي من وراء حريمهم إذا ما المنادي بالمغيرة نذدا^(٣)
/ إذا الفوج لا يحمله إلا محافظ كريم الموحيا ماجد غير أجردا^(٤)
فإن صرحت كحل وهبت عريئة من الريح لم تترك ليذي العرض مرقدا^(٥)
صبرت على وطء الموالي وخطبهم إذا ضن ذو القربى عليهم وأجمدا^(٦)

الحصين والبرج بن الجلاس

أخبرني ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان البرج بن الجلاس الطائي خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب، وفيه يقول البرج بن الجلاس:

[١١/١٤]

/ ونذمان يزيد الكأس طيباً سقيت وقد تغورت النجوم^(٧)
رفعت برأسه فكشفت عنه بمغرة ملامة من يلوم^(٨)
ونشرب ما شربنا ثم نصحو وليس بجانبني خذي كلوم^(٩)
ونجعل عناها لبي جعيل وليس إذا انتشوا فيهم حليم^(١٠)

كانت للبرج أخت يقال لها العفاطة^(١١)، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافتضها، وندم على ما صنع لما أفاق، وقال لقومه: أي رجل أنا فيكم؟ قالوا: فارسنا وأفضلنا وسيّدنا. قال: فإنه إن علم بما صنعت أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبت رأسي فلم تزوني أبداً، فلم يسمع بذلك أحد منهم. ثم إن أمة لبعض طيء وقعت إلى الحصين بن الحمام، فرأت عنده البرج الطائي يوماً وهما يشربان. فلما خرج من عنده قالت للحصين: إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلما أتاك فسكر عندك. فزجرها الحصين وسبها، فأمسكت. ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم، وأتى الصريخ^(١٢) الحصين بن الحمام، فنبع القوم، فأدركهم، فقال للبرج: ما صبك على جيرانك يا برج؟ فقال له: وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منا، وأنشأ يقول:

- (١) بوائق: جمع باقة، وهي الداهية. وأفرع بهم: نزل.
- (٢) بالمغيرة: أي بالخيال المغيرة أي بركابها. ونذد: رفع صوته.
- (٣) العرية: الريح الباردة. والعرض: السعة. والمرفد بفتح الميم وضمتها: المعونة.
- (٤) وطئه: داسه. وخطبهم: حالهم وشأنهم. المجدد: البخيل.
- (٥) تغور النجم وغار: غاب.
- (٦) بمغرة: أي بخمر معرقة؛ يقال: أعرق الشراب: جعل فيه عرقاً من الماء: أي قليلاً.
- (٧) انتشى: سكر.
- (٨) كذا في ب، س، وفي جـ «القفاطة».
- (٩) الصريخ هنا: المستغيث.

[١٢/١٤]

/ أنى لك الحُرقات فيما بيننا / عَنْ بَعِيدٍ مِنْكَ يَا بَنَ حُمَامٍ^(١)
أقبلت تُزجي ناقة متباطئا / عَلَطاً تَزْجِيهَا بِغَيْرِ خُطَامٍ

تزجي : تسوق ، علطاً : لا خطام عليها ولا زمام ، أي أتيت هكذا من العجلة - فأجابه الحصين بن الحمام :

بِرَجٍّ يُؤْتَمِنِي وَيَكْفُرْ نَعْمَتِي / صَمِّي لِمَا قَالَ الْكَفِيلُ صَمَامٍ^(٢)
مَهْلًا أَبَا زَيْدٍ فَإِنَّكَ إِنْ تَشَأْ / أوردك عُرضَ مَنْاهِلِ أَسْدَامٍ^(٣)
أوردك أَقْلَبَةَ إِذَا حَافَلَتْهَا / خَوْضَ الْقَعُودِ خَيْبَةَ الْأَخْصَامِ^(٤)
أقبلتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ بَذْمَةً / عَطُلاً أُسَوِّقُهَا بِغَيْرِ خُطَامٍ^(٥)
فِي إِثْرِ إِخْوَانٍ لَنَا مِنْ طِيءٍ / لِيَسُوا بِأَكْفَاءٍ وَلَا بِكِرَامٍ
لَا تَحْسَبَنَّ أَخَا الْعَفَاطَةِ أَنَّنِي / رَجُلٌ بِخُبْرِكَ لَيْسَ بِالْعَلَامِ^(٦)
فَاسْتَنْزِلُوكَ وَقَدْ بَلَّلْتَ نِطَاقَهَا / عَنْ بَنَاتِ أُمِّكَ وَالذُّيُولِ دَوَامِي^(٧)

/ ثم ناصب الحصين بن الحُمَامِ البرجَ الحربَ ، فقتل من أصحاب البرج عدَّةً وهزم ، سائرهم ، / واستنقذ ما في أيديهم ، وأسر البرج ، ثم عرف له حق نِدَامِهِ وعشرته إياه فمَنَّ عليه وَجَزَّ ناصيته وخلَّى سبيله . فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبَّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال : أَشَعْنَمَ مَا فَعَلْتُ بِأَخْتِي وَفَضَحْتُمُونِي ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم ، فلم يعرف له خبر إلى الآن .
وقال ابن الكلبي : بل شرب الخمر صرفاً حتى قتلته .

غارته على بني عقيل وبني كعب وشعره في ذلك

أخبرني ابن دريد قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عَدِيٍّ ثم أغار على بني عَقِيلٍ وبني كعب فأثخنَ فيهم واستاق نَعَمًا كثيرًا ونساءً ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيّد بني كعب فأطلقها ومَنَّ عليها ، وقال في ذلك :

- (١) أنى لك الحُرقات : أي من أين لك قرابتهم . عن الشيء عنتا : ظهر أمامك وعرض . أي إن ما عنَّ لك في هذا الشأن بعيد وباطل .
- (٢) أئمه تأثيماً : قال له أئمت . الكفيل هنا : الذي لا يثبت على ظهر الدابة (انظر «تاج العروس») ومن أمثال العرب : صمى صمام ، والخطاب للداية . وصمام كقطام : الداية الشديدة . وصمى صمام أي زيدي يا داية .
- (٣) العرض من النهر والبحر : وسطه . مياه أسدام : متغيرة .
- (٤) كذا في الأصول . والأقلبة : جمع قليب وهي البئر . والأخصام : جمع خصم بالضم . وخصم كل شيء : طرفه وجانبه . ولعل صوابه : * أوردك أقلبة إذا ما خلعتها الخ * والمعنى على ذلك : أوردك أقلبة خبيثة الأخصام إذا ما ظننتها سهلة الاستقاء غير شاقة كالمخاضة التي تخوضها القعود بسهولة ، أو لعل صوابه «أوردك أقلبة أجاجاً ماؤها : خوص القعور . . .» وخوص (بالضم) جمع خوصاء ، وبئر خوصاء : بعيدة القعر لا يروي ماؤها الأنعام .
- (٥) بذمة : أي بناقة ذمة أي مفرطة الهزال شبه الهالكة ، فهي مذمومة لأجل ذلك ؛ من قولهم : بئر ذمة أي قليلة الماء مذمومة . العطل في الأصل : المرأة ليس عليها حلي ، يريد أن الناقة ليس عليها زمام ، أو هو «علطاً» كما جاء في بيت البرج بن الجلاس السابق .
- (٦) الخبر : العلم بالشيء . وفي ب ، س : «كالعلام» وهو تحريف .
- (٧) كذا في «مختار الأغاني الكبير» ج ٣ : ص ٤٠٨ وفي الأصول : «من بيت أمك» وهو تصحيف .

فِدَى لَبْنِي عَدِي رَكْضُ سَاقِي
تَرْكُنَا مِنْ نَسَاءِ بَنِي عَقِيلِ
أَرْغِيَانِ الشُّوَيْ وَجَدْتُمُونَا
لَقَدْ عَلِمْتُ هَوَازُنُ أَنْ خِيلِي
عَلَيْهَا كُلُّ أَرْوَغٍ هَبْرِي
/ فَكَّرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى التَّقِينَا
فَأَبْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا
وَأَعْتَقْنَا ابْنَةَ الْعَمْرِيِّ عَمْرُو
وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَعَسٍ مُسْرَاحٍ^(١)
أَيَّامِي تَبْتَغِي عَقْدَ النِّكَاحِ^(٢)
أَمْ أَصْحَابَ الْكَرِيهَةِ وَالنُّطَاحِ^(٣) ؟
غَدَاةُ النَّعْفِ صَادِقَةُ الصَّبَاحِ^(٤)
شَدِيدٌ حَذُّهُ شَاكِي السُّلَاحِ^(٥)
بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا صِبَاحٍ^(٦)
وَبِالْيَبِضِ الْخَرَائِدِ وَاللُّقَاحِ^(٧)
وَقَدْ خُضْنَا عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ

[١٤/١٤]

إدراكه الإسلام وشعره الدال على ذلك

أخبرنا ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أن الحصين بن الحمام أدرك الإسلام. قال: ويدل على ذلك قوله:

وَقَافِيَةٌ غَيْرُ إِنْسِيَّةٍ
شَرُودٌ تَلْمَعُ بِالْخَافِقِينَ
وَحَيْرَانٌ لَا يَهْتَدِي بِالنَّهَارِ
وَدَاعٍ دَعَا دَعْوَةَ الْمُسْتَفِيسِ
وَقَرَضْتُ مِنَ الشَّعْرِ أَمْثَالَهَا^(٨)
إِذَا أَنْشِدْتُ قِيلَ مَسْنِ قَالَهَا^(٩)
مَنْ الظَّلْعُ يَتَّبِعُ ضَلَالَهَا^(١٠)
وَكُنْتُ كَمَنْ كَانَ لَبِي لَهَا
وَبَادَرَتِ النَّفْسُ أَشْغَالَهَا^(١١)
إِذَا الْمَوْتُ كَانَ شَجَاً بِالْحُلُوقِ

(١) النعم: الإبل والشاة، أو خاص بالإبل. وأراح الإبل: ردها إلى المراح (بالضم) أي العاوى.

(٢) أيامى: جمع أيم كسيد، وهي من لا زوج لها بكراً أو ثيباً.

(٣) الشوي: جمع شاة.

(٤) النعف: ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي، وهو هنا موضع بعينه، وصادقة الصباح أي الغارة في الصباح. وكانوا أكثر ما يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح.

(٥) الأروع: من يعجبك بحسنه أو بشجاعته. والهبري: المقدام. وحده: بأسه. وشاكي السلاح: ذو شوكة وحذ في سلاحه.

(٦) بمصقول عوارضها أي بنساء مصقول عوارضها. والعوارض: جمع عارضة، وهي صفحة الخد. وصباح: جمع صبيحة، أي جميلة وضيئة الوجه.

(٧) النهاب: جمع نهب، وهو الغنيمة. والخريد والخريدة والخرود: البكر لم تمس، أو الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة، والجمع خرائد. واللقاح: الإبل، واحدها لقوح كصبور.

(٨) غير إنسية: يعني أنه ألهمه إياها جني. وكانت العرب تزعم أن لبعض الفحول من شعرائهم شياطين يلهمونهم الشعر. ذكر صاحب «جمهرة أشعار العرب» أنه كان لعبيد بن الأبرص صاحب منهم اسمه هيد، وللأعشى صاحب اسمه مسحل، ولامرئ القيس صاحب اسمه لافظ بن لاحظ، وللنابغة الذبياني صاحب اسمه هاذر. . . الخ.

(٩) قافية شرود: سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير. وتلمع: تشرق وأصله تتلمع فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً. والخافقان: المشرق والمغرب.

(١٠) ظلل الرجل كمنع: عرج وغمز في مشيه.

(١١) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

صَبَرْتُ وَلَمْ أَكْ رَعْدِيدَةً / وَلَلصَّبْرُ فِي الرَّوْعِ أَنْجَى لَهَا^(١)
 / وَيَوْمَ تَسْعُرُ فِيهِ الْحَرُوبُ / لَيْسَتْ إِلَى الرَّوْعِ سِرْبَالَهَا^(٢)
 مُضَعَّفَةُ السَّرْدِ عَسَادِيَّةٌ / وَعَضَبَ الْمُضَارِبِ مِفْصَالَهَا^(٣)
 وَمُطَرِّدًا مِّنْ رُّدْنِيَّةٍ / أَدَوْدُ عَنْ السَّوَرِ أِبْطَالَهَا^(٤)
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الثَّقَى / وَنَفْسٌ تُعَالِجُ أَجَالَهَا
 أُمُورٌ مِنَ اللَّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ / مَقَادِيرُ تَنْزُلُ أَنْزَالَهَا^(٥)
 أَعْوَذُ بِرَبِّي مِنَ الْمُخْزِيَا / بِ يَوْمِ تَرَى النَّفْسَ أَعْمَالَهَا
 وَخَفَ الْمَوَازِينُ بِالْكَافِرِينَ / وَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
 وَنَادَى مُنَادٍ بِأَهْلِ الْقُبُورِ / فَهَبُوا لِنُبْرِزَ أَنْقَالَهَا
 / وَسُعِّرَتِ النَّارُ فِيهَا الْعَذَابُ / وَكَانَ السَّلَاسِلُ أَغْلَالَهَا

[١٥/١٤]

١٢٩
١٢

موته وورثاء أخيه إياه

حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

مات حُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ ، فَسَمِعَ صَائِحٌ فِي اللَّيْلِ يَصِيحُ لَا يُعْرِفُ فِي بِلَادِ بَنِي مُرَّةَ :
 أَلَا هَلَكَ الْخُلُو الْحَلَالُ الْحُلَّاحِلُ وَمِنْ عَقْدِهِ حَزْمٌ وَعَزْمٌ وَنَائِلُ^(٦)

- الحلو : الجميل ، والحلال : الذي لبس عليه في ماله عيب^(٧) . والحلاحل : الشريف العاقل - :

وَمَنْ خَطْبُهُ فَضْلٌ إِذَا الْقَوْمُ أَفْجَحُوا / يُصِيبُ مَرَادِي قَوْلِهِ مَنْ يُحَاوِلُ

[١٦/١٤] - / المَرَادِي : جمع مرادة ، وهي صخرة تُرْدَى بِهَا الصَّخُورُ ، أَي تَكْسِرُ - قال : فلما سمع أخوه مُعَيَّةُ بْنُ الْحُمَامِ ذَلِكَ
 قال : هَلَكَ وَاللَّهِ الْحَصِينُ ، ثُمَّ قَالَ يَرِثِيهِ :

إِذَا لَا قِيَتُ جَمْعًا أَوْ فِتَامًا / فَلِئْسِي لَا أَرَى كَأَبِي يَزِيدًا^(٨)
 أَشَدَّ مَهَابَةً وَأَعَزَّ رَكْنًا / وَأَصْلَبَ سَاعَةَ الضَّرَاءِ عُوَادَ
 صَفِيِّي وَابْنُ أُمِّي وَالْمُوَاسِي / إِذَا مَا النَّفْسُ شَارَفَتِ الْوَرِيدًا^(٩)

(١) في جـ «ولا الصبر» وفي بـ ، سـ «والصبر» وهما تحريف . رجل رعديد ورعديدة : جبان يردد عند القتال جبنًا . والروع : الفزع .

(٢) تسعر أصله تتسعر ، أي تتقد . السربال : القميص ، وتطلق على الدرع كما في البيت .

(٣) السرد : نسج الدرع . ومضعفة : مضاعفة . وعادية : قديمة ، نسبة إلى عاد . وعضب المضارب : سيفاً قاطعاً . ومفصال : مبالغة في فاصل أي ماض .

(٤) من ردينية أي من رماح ردينية ، نسبة إلى ردينة زوجة سمهر ، وكانا مثقفين للرماح . ورمح مطرد : الأتاييب والكعوب أي مستقيمها متابعها .

(٥) أنزال جمع نزل كعقن وقفل ، وهو المنزل ، أي تقع مواقعها .

(٦) النائل : النوال والعطاء .

(٧) في بـ ، سـ «عين» وهو تحريف .

(٨) الفثام : الجماعة من الناس .

(٩) الصفي : الحبيب المصافي .

كَأَنَّ مُصَدَّرًا يَجْبُو وَرَائِي إِلَى أَشْبَالِهِ يَبْغِي الْأَسُودَا
 الْمُصَدَّرُ: العظيم الصدر، شبه أخاه بالأسد.

صوت

لَا أَرْقُ اللَّهَ عَيْنِي مَنْ أَرْقَتْ لَهُ وَلَا مَلَأَ مِثْلَ قَلْبِي قَلْبَهُ تَرَحَّحَا
 يَسُرُّنِي سَوْءُ حَالِي^(١) فِي مَسَرَّتِهِ فَكَلَّمَا أَزْدَدَتْ سُقْمًا زَادَنِي فَرَحَا
 الشعر لمحمد بن يسير، والغناء لأحمد بن صدقة، رَمَلٌ بالوسطى.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

/ أخبار محمد بن يسير ونسبه

[١٧/١٤]

نسبه

محمد بن يسير^(١) الرّياشي، يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرّج الرّياشي الأخباري الأديب، ويقال إنه منهم صُلَيْبِيَّة. وبنو رياش يذكرون أنهم من خَنَعَم، ولهم بالبصرة^(٢) خِطَّة وهم معروفون بها، وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين، متقللاً، لم يفارق البصرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُتَنَجِّعاً، ولا تجاوز بلده، وصُحْبَتُهُ طَبَقَتُهُ، وكان ماجناً هَجَّاء خبيثاً.

قصته مع والي البصرة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان طارمة^(٣) قال:

بعث إليّ محمد بن أيّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان - وهو يتولّى البصرة حينئذ - في ليلة صبيحتها يوم سبّ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه / أو أكثر^(٤). فقلت له: أُنِمْتَ وانتبهت أم لم تنم بعد؟ فقال: قد قضيت حاجتي من النوم، وأريد أن أصطبح^(٥) وأبتدىء الساعة بالشرب، وأصلّ ليلتي بيومي^(٦) محتجباً عن الناس، وعندني محمد بن رباح، وقد وجهت إلى إبراهيم بن رياش، وحضرت أنت، فمن ترى أن يكون خامسنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: والله ما عدوت ما في نفسي. فقال لي ابن رباح: اكْتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيب هذا الوقت، وكان يوم غيم، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع؛ فكتب إليه ابن رباح:

(١) ورد اسم هذا الشاعر في نسخ «الأغاني» المطبوعة والمخطوطة. وفي «الأمالي»، وفي «أشعار الحماسة شرح التبريزي» طبع أوربة ومصر «محمد بن بشير»، وهو تصحيف - وقد تكرر هذا الخطأ إلى آخر الترجمة - والتصويب عن «الشعر والشعراء» ص ٥٦٠ طبع أوربة ويؤكد ذلك ما ورد في «القاموس» و«تاج العروس»، مادة يسر: «وأبو جعفر محمد بن يسير البصري شاعر، وهو القائل يرثي نفسه:

كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلَسٍ قَدْ كُنْتُ أَتَيْتُهُ وَأَغْشَاهُ
صَارَ الْيَسِيرِيُّ إِلَى رِيهِ يَمْرَحُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ

وكذا أخوه عليّ شاعر أيضاً ذكرهما الذهبي، وقد جاء هذان البيتان في ترجمته في «الأغاني» - وسيردان عليك بعد - فعلم أنه هو. وقال فيه ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: «وكان في عصر أبي نواس وعمر بعده حيناً» وقد توفي أبو نواس ١٩٨ هـ.

(٢) خطّة: أرض اختطوها واتخذوا فيها مساكن لهم.

(٣) جاء في «تاج العروس» (مستدرك مادة طرم): «الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسي معرب». والظاهر أنه لقب له.

(٤) في الأصول: «أو أكثر».

(٥) اصطبح: شرب الصبوح (كصبور)، وهو شرب الغداة.

(٦) في الأصول: «بنومي» وهو تصحيف.

/ صوت

يَوْمُ سَبَبٍ وَشَبَبٌ وَرَذَاذٌ فعَلَامَ الْجُلُوسِ يَابْنَ يَسِيرٍ^(١)
قَمِ بِنَانَا خِذْ الْمُدَامَةَ مِنْ كَفِّ غَزَالٍ مُضْمَخٍ بِالْعَيْبِرِ^(٢)

- في هذين البيتين لعباس أخى بحرٍ ثقیلٍ أولٌ بالبصرة - وبعث إليه بالرقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب. فقال لهم: بعثتكم لتجيئوني برجل فجتتموني برقعة! فقالوا: لم نلقه، وإنما كتب جوابها في منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجهم. فقرأها فإذا فيها:

[١٩/١٤] / أَجِيءُ عَلَى شَرْطٍ فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فَإِنِّي رَاجِعٌ لَا أَنَاظِرُ
لِيُشْرِخَ لِي الْبِرْدُونُ فِي حَالِ دُلْجَتِي وَأَنْتَ بِدُلْجَاتِي مَعَ الصَّبْحِ خَابِرُ^(٣)
لِأَقْضِي حَاجَاتِي إِلَيْهِ وَأَنْتَنِي إِلَيْكَ، وَحَجَّامٌ إِذَا جُنْتُ حَاضِرُ
فِيَاخِذْ مِنْ شَعْرِي وَيَصْلِحْ لِيخِيتِي وَمَنْ بَعْدُ حَمَامٌ وَطَيْبٌ وَجَامِرُ^(٤)
وَدَسْتِيَجَةً مِنْ طَيْبِ الرَّاحِ ضَخْمَةً يُرَوِّدْنِيهَا طَائِعًا لَا يُعَاسِرُ^(٥)

فقال محمد بن أيوب: ما نقول؟ فقلت: إنك لا تقوى على مطاولته، ولكن أضمن له ما طلب، فكتب إليه: قد أغد لك - وحياتك - كل ما طلبت فلا تبطل؛ فإذا به قد طلع علينا، فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة. فلما أحضرت أمر بمحمد بن يسير فشد بحبل إلى أسطوانة من أساطين المجلس، وجلسنا نأكل بحذائه. فقال لنا: أي شيء يخلصني؟ قلنا: نجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب. فقال: كفوا عن الأكل إذا ولا تستيقظوني به فتشغلوا خاطري، ففعلنا ذلك وتوقفنا، فأنشأ يقول:

[٢٠/١٤] أَيْمَا عَجَبًا مِنْ ذَا التَّسَرِّي فَإِنَّهُ لَهُ نَخْوَةٌ فِي نَفْسِهِ وَتَكَايُرُ^(٦)
/ يُشَارِطُ لَمَّا زَارَ حَتَّى كَانَهُ مُغْنً مُجِيدًا أَوْ غَلَامَ مُؤَاجِرُ^(٧)

(١) شنبذ: كلمة فارسية. جاء في «معجم جونسون» - وهو معجم فارسي عربي إنجليزي - «شنبد = يوم السبت. جنبذ = يتحرك، يحرك. جنبذ = يشب، يقفز، يجري». وجاء في «معجم ستنجاس»: جنبذ = القفز، اللعب، تقرب عقب الرجل من الرأس» ويفهم من ذلك أن هذا اليوم يوم مرح ولعب ونشاط ونحو ذلك. والرداذ: المطر الضعيف.

(٢) المدامة والمدام: الخمر. ومضمخ: مذهب. والعبير: اغتلاط من الطيب.

(٣) البردون من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب. والدلبة: سير السحر.

(٤) جاء في «لسان العرب»: «أجمر الثوب وجمره: بخره بالطيب، والذي يتولى ذلك مجر ومجمر، والجامر: الذي يلي ذلك من غير فعل، إنما هو على النسب.

(٥) في الأصول «طابعاً» وهو تصحيف. والدستيج: آنية تحول باليد وتنقل، فارسي معرب. والراح: الخمر. يرودنيها: رادت الإبل ترود: اختلفت في المرعى مقبلة ومدبرة، وردتها أنا وأردتها؛ أي جعلتها ترعى، فمعنى يرودنيها هنا على التشبيه بذلك أي يجعلني أشتقي منها غادياً راتحاً أي مراراً. ولا يعاسر: لا يشاكس.

(٦) السرو: المروءة في شرف، سرو، ككرم ودعا ورضى فهو سرى، وتسري تسرياً: تكلف السرو. وتكابر وتكبر واستكبر بمعنى.

(٧) في الأصول «يشابط» وهو تحريف. ومؤاجر: جاء في «المصباح المنير»: «قال الأخفش: ومن العرب من يقول آجرته فأنا مؤجر (يسكون الهمز) - في تقدير أفعلت فأنا مفعول - وبعضهم يقول فأنا مؤاجر - في تقدير فاعلته اهـ.

فلولا ذمامٌ كان بيني وبينه للطمِّ بَشَّارٌ قَفَاهُ وَيَاسِرٌ^(١)

فقال محمد: حسبك، لم تُردِّ هذا كله، ثم حلَّه وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا.

فعلة شاة منيع معه وهجاؤه إياها

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان التَّوْفَلِي قال:

كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم، وهو من خَنَعَم وكان من بخلاء الناس، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق^(٢) قلَّعها من داره، فغرس فيه أصلَ رُمانٍ وفَسِيلَةً^(٣) لطيفة، وزرَعَ حَوَالِيَه بَقْلًا، فأفَلَتَتْ شاةٌ لجارٍ له يقال له: مَنِيْع، فأكلت البقل ومَضَغَت الخُوص، ودخلت إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيسَ^(٤) فيها شِعْرُهُ وأشياءٌ من سَمَاعَاتِهِ، فأكلَتْهَا وخرَجَتْ، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة مَنِيْع:

لِي بَسْتَانٌ أُنِيقُ زَاهِرٌ نَاصِرُ الْخُضْرَةِ رِيَّانٌ تَرِفٌ^(٥)

/ رَاسِخُ الْأَغْرَاقِ رِيَّانُ الثُّرَى غَدِيقُ ثُرْبَتِهِ لَيْسَتْ تَجِفُّ^(٦)

لِمَجَارِي الْمَاءِ فِيهِ سُنَنٌ كَيْفَمَا صَرَفْتَهُ فِيهِ انْصَرَفٌ^(٧)

مُشْرِقُ الْأَنْوَارِ مِيَادُ الثُّلَدَى مُثْنٍ فِي كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفٌ^(٨)

/ تَمْلِكُ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَإِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الرِّيحَ وَقِفٌ^(٩)

يَكْتَسِي فِي الشَّرْقِ ثَوْبِي يُمْنَةٌ وَمَعَ اللَّيْلِ عَلَيْهَا يَلْتَجِفُ^(١٠)

يَنْطَوِي اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَإِذَا وَاجَهَ الشَّرْقَ تَجَلَّى وَانْكَشَفَ

صَابِرٌ لَيْسَ يُبَالِي كَثْرَةَ جُزْ بِالْمَنْجَلِ أَوْ مِنْهُ تُتِفَ

كَلِمَا أَلْحَفَ مِنْهُ جَانِبٌ لَمْ يَتَلَبَّثْ مِنْهُ تَعْجِيلُ الْخَلْفِ^(١١)

[٢١/١٤]

١٣١
١٢

(١) الذمام: الحق والحرمة. والمفهوم أنه يعني بشار وياسر خادمين من خدم الوالي أو رجلين من أتباعه. وفي الأصول: «تلطم»؛ وهو تحريف.

(٢) الطابق كهاجر وصاحب والطابق: الأجر الكبير. ويظهر من قوله «قلَّعها من داره» أن البستان كان يدور حول المنزل، وأن ذلك القدر المذكور قدر عرضه.

(٣) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

(٤) القراطيس: جمع قرطاس (وكسر القاف أشهر من ضمها)، وهو ما يكتب فيه.

(٥) أنيق: حسن معجب. وناصر: شديد الخضرة. ويبالغ به في كل لون فيقال: أخضر ناصر، وأحمر ناصر، وأصفر ناصر. ترف: ترف النبات كفرح: تروى، فهو ترف.

(٦) أرض غدقة: في غاية الرِّي، وهي التندبة المبتلة.

(٧) سنن: جمع سنة وهي الطريقة.

(٨) الأنوار: جمع نور (بالفتح): وهو الزهر. ويقال للنبت ندى، لأنه عن ندى المطر نبت.

(٩) آنش الشيء: أحس به.

(١٠) اليمنة: برد يمني، وهو موشى.

(١١) في الأصول «الحق» بدل «الحف»؛ وهو تحريف. والحفه: استأمله. ولم يتلبث: أي لم يتوقف ولم يبطء.

لا ترى للكسف فيه أثراً	فيه بل ينمي على مس الأكف ^(١)
فترى الأطباق لا تمهلـه	صادرات وادرات تختلسف
فيه للخارف من جيرانه	كلما احتاج إليه مخترف ^(٢)
أقحوان وبهار مـونق	وسوى ذلك من كل الطرف ^(٣)
/ وهو زهر للذامى أصلاً	برضا قاطفهم مـا قطف ^(٤)
وهو في الأيدي يحيون به	وعلى الأناف طورا يستشف ^(٥)
أغفـه يارب من واحدة	ثم لا أخفل أنواع الثلف ^(٦)
إكفـه شاة مبيع وخـدها	يوم لا يضح في البيت علف
إكفـه ذات سعال شـهـلة	معت في شر عيش بالخرف ^(٧)
إكفـه يارب وقصاء الطلى	ألحم الكتفين منها بسالكسف ^(٨)
وكلـوح أبدا مفتـرة	لك عن هـثم كيلات رجف ^(٩)
وتشوس الأنف لا يـزقا ولا	أبدا تبصره إلا يكف ^(١٠)
/ لم تزل أظلافها عافية	لم يظلف أهلها منها ظلف ^(١١)

[٢٢/١٤]

[٢٣/١٤]

- (١) نما ينمو نمواً، ونمي ينمي نمياً ونماء: زاد. و «فيه» الثانية حشو.
- (٢) خرف الثمار خرفاً كنصر: جناها، كاخترفها. ومخترف: مجتني. أو هو برفع «كل» وفصلها من «ما»، وكسر الراء من «مخترف».
- (٣) الأقحوان: نبت طيب الريح حواله ورق أبيض ووسطه أصفر. والبهار: نبت أصفر طيب الريح. ومونق: معجب.
- (٤) أصلاً: جمع أصيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب. والتدامي: جمع ندمان، وهو المجالس على الشراب.
- (٥) استشفه: تأمل ما فيه، واستشف ما في الإناء: شرب جميع ما فيه وتقصى شربه. والمعنى على هذا: يتقصى شمه كما يستشف الماء.
- (٦) يقال: ما حفله (كضرب) وما حفل به، وما احتفل به، أي ما بالي.
- (٧) الشهلة: المعجوز. والخرف هنا: الشبص (أردأ التمر).
- (٨) الطلى: الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة. والوقص (بفتح الحين): قصر العنق. وقص (كفرج) فهو أوقص وهي وقصاء. والكتف، بكسر التاء وسكونها مع فتح الكاف وكقرد. ولحمه (كنصر) والحمه: لأمه، يدعو عليها أن يلحم الله كتفها حتى تصيرا كتفاً واحدة.
- (٩) الكالـح: الذي قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاة. واقتـر عن ثغره: أبدى أسنانه. وعن هـثم: أي عن أسنان مكسرة. ورجف: جمع رجوف، من رجف الشيء (كنصر) إذا خفق واضطرب اضطراباً شديداً.
- (١٠) تشوس: وصف، من ناس اللعاب: إذا سال فاضطرب. ويرقا: يجف ويسكن ويقطع، سهلت همزته. يعني أن رغامها (مخاطها) يسيل من منخريها لهزالها. وكف الدمع والماء (كوعد): سال.
- (١١) أظلاف: جمع ظلف (بالكسر)، وهو للشاة كالحافر للفرس والقدم للإنسان. يقال: عفا الشعر والنبت وغيرهما إذا كثر وطال. ولم يظلف؛ اشتق من الظلف؛ يظلف بمعنى يظلم. وقلم الظفر: قطع ما طال منه. وظلف: أصله ظلفاً (يسكون اللام وبالالف، مفعول يظلف) وقف عليه بنقل فتحة الفاء إلى اللام وحذف الألف وسكن الفاء؛ لأن الروي مقيد، متبعاً في ذلك مذهب نحاة الكوفة وبعض نحاة البصرة المعاصرين له. وليبان ذلك نقول: ذكروا أن في الوقف على المتحرك - غير هاء التأنيث - خمسة أوجه: الإسكان والروم والإشمام والتضعيف والنقل، أي إنه يجوز نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى ما قبله بشروط، منها: أن يكون ساكناً وألا تكون الحركة فتحة، كقراءة بعضهم: «وتواصوا بالصبر» بكسر الباء وسكون الراء، فأما الفتحة فقد منع البصريون نقلها إذا كان المنقول عنه غير همزة، فلا يجوز عندهم رأيت بكر (بفتح الكاف وسكون الراء) ولا ضربت الضرب، لما يلزم على النقل =

فتري في كل رجل ويد
تسيف الأرض إذا مرت به
تزهج الطرق على مجتازها
في يديها طرقت ، مشيتها
/ فإذا ما سعلت وأخذت
وأحص الشعر منها ، جلدتها
ذات قرن وهي جماء ، ألا
وإذا تدنوا إلى مستغيب
لا ترى تيساً عليها مقدماً
شوهة الخلقة ، ما أبصرها
ما رأى شاة ولا يعلمها
عجيباً منها ومن تأليفها
لو يُنادون عليها عجيباً

من بقاياهن فوق الأرض خف^(١)
فلها إغصار تُرَب مُتسِف^(٢)
يبد في المشي والخطو القَطِف^(٣)
حلقة القوس ، وفي الرجل خنف^(٤)
جاوب البعر عليها فخصف^(٥)
شنة في جوف غار مُنخسف^(٦)
إن ذا الوصف كوصف مُختلف^(٧)
عافها تنأ إذا ما هو كرف^(٨)
رُميت من كل تيس بالصلف^(٩)
من جميع الناس إلا وحلف^(١٠)
خلفت خلقتها فيما سلف
عجيباً من خلقتها كيف اتلف
كسبوا منها فلوساً ورُغف

[٢٤/١٤]

= حينئذ في المنون من حذف ألف التنوين ، وحمل غير المنون عليه ، وأجاز ذلك الكوفيون . ونقل عن الجرمي - وهو نحوي بصري توفي سنة ٢٢٥ - أنه أجاز . وعن الأخفش - وهو نحوي بصري أيضاً توفي سنة ٢١٥ - أنه أجاز في المنون على لغة من قال رأيت بكر ، وهم ربيعة . فأما الميموز فيجوز نقل حركته وإن كانت فتحة ، فيقال رأيت العجا والردأ في رأيت الخبء والرد . (انظر شرح الأشموني باب الوقف) .

- (١) في الأصول كلها: «جف» بالجيم؛ وهو تصحيف . والخف: ما يلبس في الرجل .
- (٢) في الأصول: «تبدأ» بدل «يبد»: وهو تحريف . و «به» بالخف . ونسفه وانتسفه: قلعه من أصله . والإغصار: الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، أو التي فيها العصار (ككتاب) وهو الغبار الشديد .
- (٣) أرهج: أثار الغبار . والقطف: أصله القطف (يسكون الطاء وكسر الفاء) فوقف عليه بالنقل كما تقدم . يقال: قطفت الدابة كضرب قطفاً ، وكعصر قطفاً وقطوفاً ، وككرم فهي قطوف كصبور ، أي بطيئة متقاربة الخطو .
- (٤) في الأصول: «في يدها طرف من مشيتها: خلقة . . .» وهو تحريف وخطأ ، وقد صححته كما ترى . والطرق: ضعف في ركبتَي البعير ويده ، أو اعوجاج في ساقه ؛ يقال: بعير أطرق وناقة طرقاء ، أي في يديها لين واسترخاء وتكسر وضعف . مشيتها حلقة القوس أي مشيتها معوجة كحلقة القوس غير مستقيمة . والحنف: الاعوجاج في الرجل إلى داخل .
- (٥) في الأصول: «جاوب البحر منها فخصف» وهو خطأ ؛ وقد صححته كما ترى . خصف الورق على بدنه: ألزقه وأطبقه عليه ورقة ورقة ، أي فخصف عليها ، فلصق بجسمها .
- (٦) في الأصول: «وأخفى الشعر»؛ وهو تحريف . يقال: حص شعره وانحص إذا انجرد وتناثر . وذنب أحص: لا شعر عليه . وفي كتب اللغة أن الفعل يتعدى بنفسه بدون الهمز ، يقال: حص الشعر كنصر إذا حلقه . والشنة والثش: القربة الخلق الصغيرة .
- (٧) في الأصول: «وهي حما» وهو تصحيف . جممت الشاة ، إذا لم يكن لها قرن ، فهي جماء .
- (٨) استعسب التيس: هاج واغتم . وعافها: كرهها وأعرض عنها . وكرفها: شمها ؛ يقال كرف الفحل إذا شم طروقه ثم رفع رأسه نحو السماء وكشر حتى تقلص شفتاه .
- (٩) صلفت المرأة كفرح صلفاً: لم تحظ عند زوجها وأبغضها . والصلف أيضاً: الكبر . أي صلف التيس وأدل عليها .
- (١٠) يقال: رجل أشوه وامرأة شوهاء ، إذا كانت قبيحة ، والاسم الشوهة بالضم . ولم ترد كلمة «شوهة» في كتب اللغة وصفاً ، فالتقدير في البيت «شوهة الخلقة صفة ثابتة لها ، أو شوهة خلقتها ليس لها نظير» . أو أنه استعمال الاسم استعمال الوصف مجازاً .

[٢٥/١٤]
١٣٢
١٢

/ لَيْتَهَا قَدْ أَفْلَتْكَ فِي جَفْنَةٍ
فَتَلَقَّ شَفْرَةً مِنْ أَهْلِهِ
أَحْكَمْتَ كَفًّا حَكِيمٍ صُنْعُهَا
أُذِمَّتْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ غَيْرِ مَا
قَابِضُ الرُّونْقِ فِيهَا مَاتِعٌ
لَمَحْنُهَا فَاسْتَخَفَّتْ نَحْوَهَا
فَتَنَاهَتْ بَيْنَ أَضْعَافِ الْمَعَى
أَوْ رَمَتْهَا قَرْحَةً زَادَتْ لَهَا
كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ يَدْنُو يَوْمُهَا
/ بَيْنَمَا ذَاكَ بِهَا إِذْ أَصْبَحَتْ
شَاغِرًا عُرْقُوبُهَا قَدْ أُعْتِبَتْ
وَعَدَا الصَّبِيَّةُ مِنْ جِيرَانِهَا
فَتَرَاهَا بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةً
فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْمَأْوَى بِهَا
ثُمَّ قَالُوا: ذَا جَزَاءٌ لِلَّتِي
لَا تَلُومُونِي، فَلَوْ أَبْصَرْتُ ذَا

مِنْ عَجِينٍ أَوْ دَقِيقٍ مُجْتَرَفٍ^(١)
قَدَرَ الإِصْبَعُ شَيْئًا أَوْ أَشْفَفَ^(٢)
فَأَنْتَ مَجْدُولَةٌ^(٣) فِيهَا رَهْفٌ
أَلَّلَ الْأَقْيَانُ مِنْ حَدِّ الطَّرَفِ^(٤)
يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ مِنْهَا يُسْتَشْفَفُ^(٥)
[عَجَلًا] ثُمَّ أَحَالَتَ تَنْتَشِفُ^(٦)
وَتَبَوَّتْ بَيْنَ أَثْنَاءِ الشَّغْفِ^(٧)
ذَوْبَانًا كُلُّ يَوْمٍ وَتَحَفٌ
أَوْ تُسَرَّى وَارِدَةٌ حَسُوسَ الدَّنْفِ
كَحْمِيَّتِ^(٨) مُفْعَمٍ أَوْ مِثْلِ جُفٍ
بِطْنَةٍ مِنْ بَعْدِ إِدْمَانِ الْهَيْفِ^(٩)
لِيَجْرُوهَا إِلَى مَأْوَى الْجَيْفِ
تَجَرُّفُ الثُّرْبِ بِجَنْبٍ مَنْحَرِفٍ^(١٠)
أَعْمَلُوا الْأَجْرَ فِيهَا وَالْخَزْفَ^(١١)
تَأْكُلُ الْبَسْتَانَ مِنْهَا وَالصُّحُفَ^(١٢)
كَلَّهَ فِيهَا إِذْنَ لَمْ أَنْتَصِفْ

[٢٦/١٤]

(١) في الأصول: «مخترَف» بالخاء، وهو تصحيف والجفنة: القصعة.

(٢) في الأصول: «فتلقت شعرة»؛ وهو تحريف.

(٣) لعل الأصل «مصقولة»؛ إذ المناسب للسكين الصقل لا الجدل. ورهف (ككرم) رهافة ورهفًا بالفتح وبالتحريك: دق ولطف.

(٤) أَلَّلَ الشيء تَأْلِيلًا: حَدَّدَ طَرَفَهُ. وَالْأَقْيَانُ: جَمْعُ قَيْنٍ، وَهُوَ الْحَدَادُ.

(٥) في الأصول «مانع» بالنون وهو تصحيف. والمائع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية في بابه. ورونق السيف: ماؤه وحسنه. وقابض الرونق، أي ما يمسكه ويحفظه. وخطف كسمع وضرب، أو هذه قليلة أو رديئة. واستشفه: رأى ما وراءه.

(٦) لمحتها، أي الشفرة أسند الملح إليها ويريد أصحابها. فاستخفت: يريد فخفت إليها أي أسرعت لذبحها والقضاء عليها. وقد زدت كلمة «عجلاً» ليستقيم الوزن، وأحالت: تحولت، أي هوت عليها تنسفها.

(٧) تناهت: انتهت أي بلغت ووصلت. وأضعاف المعى: أثنائها جمع ضعف بالكسر. وتبوت سهل تبوات، أي حلت وأقامت. والشغف: غلاف القلب أو حبه كالشغاف.

(٨) في الأصول «لحميت» باللام؛ وهو تحريف. والحميت: الزق الذي يجعل فيه السمن. والجف: والشن البالي يقطع من نصفه ويجعل كاللدو.

(٩) في ب، س «شاعراً عرفوا بها» وفي ج شاعراً عرقوبها وهو تحريف. شاعراً عرقوبها أي مرفوعاً، من شجر الكلب برجله كفتح إذا رفعها، والبطنة: عظم البطن. والهيء: ضمير البطن ورقة الخاصة.

(١٠) جرفته كنصر: كسحه.

(١١) الْأَجْرُ: الطوب. والخزف: الطين المعمول آتية قبل أن يطبخ؛ وهو الصلصال، فإذا شوى فهو الفخار.

(١٢) في الأصول: «للذي»؛ وهو تحريف.

شعره إلى امرأته وقد كتبت إليه تعاتبه

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن يسير، وحدثني سوار بن أبي شراة قال^(١) حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

هَوِيَ أَبِي قَيْنَةَ مِنْ قِيَانِ أَبِي هَاشِمٍ بِالْبَصْرَةِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أُمِّي تَعَاتِبُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا:

[٢٧/١٤] / لَا تَذْكُرِي لَوْعَةَ إِثْرِي وَلَا جَزَعًا وَلَا تُقَاسِنَنَّ بَعْدِي الْهَمَّ وَالْهَلْعَا^(٢)
بَلِ انْتَسِي تَجْدِي إِنْ انْتَسَيْتِ أَسَا^(٣) بِمِثْلِ مَا قَدْ فُجِعْتَ الْيَوْمَ قَدْ فُجِعَا^(٤)
مَا تَصْنَعِينَ بَعَيْنٍ عَنْكَ قَدْ طَمَحَتْ إِلَى سَوَاكِ وَقَلْبٍ عَنْكَ قَدْ نَزَعَا^(٥)
إِنْ قُلْتَ قَدْ كُنْتُ فِي خَفْضٍ وَتَكْرِمَةٍ فَقَدْ صَدَقْتَ، وَلَكِنْ ذَاكَ قَدْ نَزَعَا^(٦)
وَأَيُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمِعْتَ بِهِ إِلَّا إِذَا صَارَ فِي غَايَاتِهِ انْقَطَعَا
وَمَنْ يُطِيقُ خَلِيعًا عِنْدَ صَبُوتِهِ أَمْ مَنْ يَقُومُ لِمَسْتَوِرٍ إِذَا خَلَعَا

هجاؤه أبا النجم المغني

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثنا عبد الله بن يسير أن أباه دُعي إلى وليمة وحضرها مغنٌ يقال له أبو النجم، فعَبَثَ بأبي وبأغضه وأساء أدبه، فقال يهجوهُ:

[٢٨/١٤] نَشَتْ بِأَبِي النَّجْمِ الْمَغْنِي سَحَابَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَيْدِي شَايِبُهَا الْقَفْدُ^(١)
/ نَشَا^(٢) تَوَّاهَا بِالنَّحْسِ حَتَّى تَصْرَمَتْ وَغَابَتْ^(٣) فَلَمْ يَطْلُعْ لَهَا كَوْكَبٌ سَعْدُ
سَقَتْهُ فَجَادَتْ فَارْتَوَى مِنْ سِجَالِهَا ذُرَّأُ رَأْسِهِ وَالْوَجْهَ وَالْجِيدَ وَالْخَدَّ^(٤)
فَلَا زَالَ يَسْقِيهِ بِهَا كُلُّ مَجْلَسٍ بِهِ فِتْيَةٌ أَمْثَالُهَا الْهَزْلُ وَالْجِدُّ^(٥)

(١) في الأصول: «سراعة»؛ وهو تصحيف. والتصحيح عن «الأمالي» و«القاموس المحيط». ومن أسمائهم سوار ككتاب وسوار كشذاد.

(٢) في رواية «الأمالي» (ج ١: ص ٢٣): «لا تتبعين لوعة إثري ولا هلعاً بتأكيد الفعل بنون التوكيد الخفيفة. وفي الأصول: «ولا تقاسين» تحريف. والهلع: أفحش الجزع.

(٣) أسا (بالضم والكسر): جمع أسوة (بالضم والكسر أيضاً)، وهي القدوة وما يأتي به الحزين أي يتعزى به. وانتسي به: اقتدى به، وجعله أسوة أي قدوة.

(٤) نزع عن الأمر كضرب نزوعاً: كف وانتهى عنه وأباه.

(٥) الخفض: الدعة. وفي «الأمالي»: «في ود». وفيه أيضاً: «قد منعا».

(٦) نشت، نشى بالشيء: عاوده مرة بعد أخرى، أو هو مسهل عن «نشأت»؛ يقال: نشأت السحابة إذا ارتفعت. وشايب: جمع شويوب كعصفور، وهو الدفعة من المطر. وقفده قفداً كضربه: صفع قفاه بباطن كفه. وفي الأصول: «الفقد»؛ وهو تصحيف.

(٧) في ب وس: «فشانأها»، وهو تحريف. والنوء: سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق. وكانت العرب في الجاهلية تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها أو إلى الطالع، فإذا سقط نجم وطلع آخر قالوا لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا، والدبران، والسمالك.

(٨) في الأصول: «وغياب» وهو تحريف. وفي البيت تهكم به وتعريض لأنه يدعى «أبا النجم».

(٩) سجال: جمع سجل بالفتح، وهو الدلو العظيمة مملوءة.

قصته مع صديق له يدعى داود

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهيويه قال وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

كان لأبي صديق يقال له داود من أسمح الناس وجهاً وأقلهم أدباً، إلا أنه كان وافر المتاع، فكان القيان يواصلنه ويكثرن عنده، ويهدين إليه الفواكه والنبيد والطيب، فيدعو بأبي فيعاشره. فهويته قينةً من قيان البصرة، كانت من أحسن الناس وجهاً، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جداً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره^(٢). فسأل أبي أن يجيها عنه، فقال أبي: اكْتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أجيب عنها:

وابلائي من طول هذا الكتاب	أشيدوني عليه يا أصحابي
أشيدوني على قراءة كتاب	طوئته مثل طول يوم الحساب ^(٣)
/ إن فيه مني البلاء ملق	ولغيري فيه الهوى والتصابي
وله الورود والهوى، وعلينا	فيه للكاتبين رد الجواب
ثم ممن يا سيدي؟ وإلى من؟	من هضم الحشا لعوب كعاب ^(٤)
وإلى من إن قلت فيه يعيب	لم أخط في مقالتي بالصواب ^(٥)
لا يساوي على التأمل والتفد	نيس يوماً في الناس كف تراب

[٢٩/١٤]

شعره في رثاء داود

فقال عبد الله: وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه، فيمشي قدامه، فإن كان في الطريق طين أو بثر أو أذى لقي داود شره وحذره أبي. فمات داود. وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران، فعثر بدكّان^(٦) وتلوث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عتاً، فقال يرثي داود:

أقول والأرض قد غشى وجللها	ثوب الدجى فهو فوق الأرض ممدود ^(٧)
وسد كل فروج الجو منطيقاً	وكل فرج به في الجو مسدود
وفي الوداع وفي الإبداء لي عت	دون المسير وباب الدار مسدود ^(٨)
من لي بداود في ذي الحال يرشدني؟	من لي بدادود؟ لهفي! أين داود؟

(١) أي فلا زال الهزل والجد يسقيانه أمثال هذه السحابة في كل مجلس به فتية.

(٢) في الأصول «فبعثت إلى داود برقعة طويلة جداً يعاتبه فيها ويستجفيه ويستزيره» وكله تحريف. وتستجفيه: تنسبه إلى الجفاء وتعذ جافياً. وتستزيره: تسأله أن يزورها.

(٣) قراءة، سهّل عن قراءة.

(٤) امرأة هضم: لطيفة الكشجين ضامرة البطن. ولعوب: حسنة الدل. وكعاب: كعب ثديها، أي نهد.

(٥) في الأصول: «بعث» «لم أخط» وهو تصحيف وفي ب، س «من مقالتي».

(٦) الدكان: بناء يسطح أعلاه للعود = المصطبة.

(٧) غشاها: غطاها. وجلل المطر الأرض: عمها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطاه.

(٨) الإبداء: الابتداء، بدأ الشيء وأبداه: فعله ابتداء.

لَهْفِي عَلَى رِجْلِهِ أَلَّا أَقْدَمَهَا قُدَّامَ رِجْلِي فَتَلَقَّاهَا الْجَلَامِيدُ
/ إِذَا لَا أَزَالُ إِذَا أَقْبَلْتُ يَنْكَبُشِي حَزَفٌ وَجُرْفٌ وَدُكَّانٌ وَأَخْدُودُ^(١)
فَإِنْ تَكُنْ شَوْكَةً كَانَتْ تَحُلُ بِهِ أَوْ نَكْتَةً فِي سَوَادِ اللَّيْلِ أَوْ عُودُ^(٢)

[٣٠/١٤]

أبيات له في شاة منيع

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال:
هجمت شاة منيع البقال على دار ابن يسير وهو غائب، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة،
فأكلتها كلها، فقال في ذلك:

قُلْ لِبُغَاةِ الْآدَابِ مَا صَنَعْتُ مِنْهَا إِلَيْكُمْ فَلَا تُضِيعُوهَا
وَضُمْنُوهَا صُخْفَ الدَّفَائِرِ بِالْ حَبِيرِ وَحُسْنَ الْخُطُوطِ أَوْعُوهَا^(٣)
فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَلَمْ يَكُنْ عَلَفٌ تُسِغُهُ عِنْدَكُمْ فَيُفِيعُوهَا^(٤)

قوله في يوسف بن جعفر وقد عربد عليه وشجّه

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن شبّال البرّجُمي قال:

/ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ يَعاشرُ يَوْسُفَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ، وَكَانَ يَوْسُفُ أَشَدَّ خُلُقَ اللَّهِ عَرِيدَةً، وَكَانَ يَخَافُ
لِسَانَ ابْنِ يَسِيرٍ فَلَا يُعَرِّدُ عَلَيْهِ. ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمَا ذَاتَ يَوْمٍ كَلَامٌ عَلَى النَّبِيذِ وَلِحَاءِ^(٥)، فَعَرِّدَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ وَشَجَّهُ،
فَقَالَ ابْنُ يَسِيرٍ يَهْجُوهُ:

١٣٤
١٢

لَا تَجْلِسَنَّ مَعَ يَوْسُفٍ فِي مَجْلِسٍ أَبَدًا وَلَمْ تَحْمِلْ دَمَ الْأَخْوَانِ^(٦)
رِيحَانُهُ بَدَمَ الشَّبَابِ مُلَطَّخٌ وَتَحِيَّةُ التَّذَمُّانِ لَطْمُ الْعَيْنِ

[٣١/١٤] شعر له في غلام

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني الحسين بن يحيى المنجم قال حدثني أبو علي بن الخراساني قال:
كان لمحمد بن يسير البصري بابان يدخل من أحدهما وهو الأكبر، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو
الأصغر، وَمَنْ يَسْتَشْرِطُ^(٧) مِنَ الْمُرْدِ. فجاء يوماً غلاماً قد خرجت لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر،
فمرّ من ذلك [الباب]، فجعل يُخاصم لدالته^(٨)، وبلغ ابن يسير فكتب إليه:

(١) الجرف (بالضم وكعنت): ما تجرّفته السيول وأكلته من الأرض. والأخدود: الحفرة المستطيلة في الأرض.

(٢) نكتة، من نكتة أي ألقاه على رأسه.

(٣) أوعى الشيء في الوعاء ووعاه: جمعه فيه.

(٤) في الأصول «يسيفها» وهو تحريف. يقال: ساغ الشراب والطعام: سهل مدخله في الحلق، وأساغ هو الطعام والشراب يسيفه.

(٥) لاحاء لحاء وملاحاة: نازعه وخاصمه.

(٦) في الأصول «ولا تجلسا» ومع الواو لا يستقيم الوزن. ودم الأخوين = العندم = البقم: صبغ أحمر.

(٧) من استشرط المال، أي فسد بعد صلاح. والمرد: جمع أمرد، وهو الشاب لم تنبت لحيته.

(٨) أدل عليه وتدلّل: وثق بمحبته فأفرط عليه. والاسم الدالة.

قُلْ لِمَنْ رَامَ بَجْهًا لِي مَذْخَلَ الظُّبْيِ الْغَرِيرِ
بَعْدَ أَنْ عَلَّقَ قِي خَذْيُهُ مَخْلَاةَ الشَّعِيرِ
لَيْتَهُ يَدْخُلُ إِنْ جَاءَ مِنْ الْبَابِ الْكَبِيرِ

شعر له في عمرو القصافي وقد عان مقنية

وأخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال :
كُنَّا فِي مَجْلِسٍ وَمَعَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ وَعَمْرُو الْقَصَافِيِّ^(١) ، وَعِنْدَنَا مَغْنِيَةُ حَسَنَةُ الْوَجْهِ شَهْلَةٌ^(٢) تَغْنِي غِنَاءَ
حَسَنًا ، فَكُنَّا مَعَهَا فِي أَحْسَنِ يَوْمٍ ، وَكَانَ الْقَصَافِيُّ يَعْينُ^(٣) فِي كُلِّ شَيْءٍ يَسْتَحْسِنُهُ وَيُحِبُّهُ ، فَمَا بَرَحْنَا مِنَ الْمَجْلِسِ
حَتَّى عَانَهَا ، فَانْصَرَفْتُ مَحْمُومَةً شَاكِيَةً الْعَيْنِ . فَقَالَ ابْنُ يَسِيرٍ :

[٣٢/١٤]

/ إِنْ عَمْرًا جَنَى بَعَيْنِيهِ ذَنْبًا قَلَّ مَثِي فِيهِ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ
عَانَ عَيْنًا^(٤) ، فَعَيْنُهُ لِلَّتِي عَا
شَرُّ عَيْنٍ تَعِينُ أَحْسَنَ عَيْنٍ
تَحْمِلُ الْأَرْضُ أَوْ تُظِلُّ السَّمَاءُ^(٥)

استعار حماراً من جاره له فأبى عليه فقال شعراً يشكوه

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثنا القاسم بن الحسن قال : استعار ابن يسير من بعض الهاشميين
من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجة أرادها [فأبى عليه]^(٦) ، فمضى إليها ماشياً ، وكتب إلى عمرو
القصافي - وكان جاراً للهاشمي وصديقاً - يشكوه إليه ويُخبره بخبره :

إِنْ كُنْتُ لَا عَيْرَ لِي يَوْمًا يُلْغَنِي
وَضَنَّ أَهْلُ الْعَوَارِي حِينَ أَسْأَلُهُمْ
فَلِنْ رِجْلِي عِنْدِي - لَا عَدِمْتُهُمَا -
تُبْلَغَانِي حَاجَاتِي وَإِنْ بَعُدَتْ
كَأَنَّ خَلْفِي إِذَا مَا جَدَّ جَدُّهُمَا
حَاجِي وَأَقْضِي عَلَيْهِ حَقَّ إِخْوَانِي^(٧)
مِنْ أَهْلِ وَدِّي وَخُلَصَانِي وَجِيرَانِي^(٨)
رِجْلًا أَخِي ثِقَةً مُذْ كَانَ جَوْلَانِي^(٩)
وَتُذْنِيَانِي مِمَّا لَيْسَ بِالْدَانِي
إِعْصَارَ عَاصِفَةٍ مِمَّا تُثِيرَانِ

(١) القصافي : نسبة إلى بني قصاب ، وهم بطن من العرب .

(٢) الشهلة : النصف العاقلة .

(٣) عانه كباع : أصابه بعينه .

(٤) عيناء : واسعة العين ، قصر للشعر .

(٥) في الأصول : «أو تقل السماء» .

(٦) زيادة يستقيم بها الكلام .

(٧) العير : الحمار ، وغلب على الوحشي . حاج : جمع حاجة .

(٨) العواري : جمع عارية ، وهي ما يستعار ، وفي الجمع والمفرد التخفيف والتشديد . وفلان خلصي ، بالكسر ؛ وهو الخالص المودة ،
وهم خلصاني ، بالضم ، يستوي فيه الواحد والجماعة . وتقول : هؤلاء خلصاني وخلصاني (كظرفاء) .

(٩) في الأصول : «جولان» وهو تحريف . يقال : رجل جولاني (بتشديد الياء) أي عام المنفعة للقريب والبعيد يجول معروفة في كل أحد .

رجلاي لم تَأَلَمَا نَكْبَا كَاتَهُمَا	قَطَا وَقَدَا وَإِدْمَاجَا مَدَا كَانَ ^(١)
/ كَانَ مَا بِهِمَا أَخْطَو إِذَا أَرْتَهَيَا	فِي سِكَّةٍ مِنْ أَيْ ذَاكَ سَمَا كَانَ ^(٢)
/ إِنْ تُبْعَثَا فِي دَهَاسٍ تُبْعَثَا رَهْجَا	أَوْفَى حُزُونٍ ذَكَا فِيهَا شَهَابَانِ ^(٣)
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَا عَمْرُو التَّذِي بِهِمَا	عَنِ الْعَوَارِي وَعَنِ ذَا النَّاسِ أَغْنَانِي

[٣٣/١٤]

١٣٥
١٢

قصة جلة التمر وشعره إلى والي البصرة في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثني محمد بن سعد الكُرَاني قال:

كُنَّا فِي حَلْقَةِ التَّوْزِيِّ^(٤) ، فَلَمَّا تَقَوَّضَتْ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ لِنَفْسِهِ قَوْلَهُ:

جُهْدُ الْمُقِيلِ إِذَا أَعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمُكْتَبِرٌ مِنْ غِنَى سَيَّانٍ فِي الْجُودِ^(٥)
لَا يَغْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ^(٦)

فقلنا له: ما هذا التكاثر؟^(٧) ! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جُلَّةِ^(٨) تَمْرِ كَانَتْ عِنْدَهُ أَكْثَرَهَا وَحَمَلْنَا بِقِيَّتِهَا. فكتب إلى والي البصرة عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ:

يَا أَبَا حَفْصٍ بِحُرْمَتِنَا عَنْ نَفْسٍ أَيْمَنَ تَنْتَهِكُ^(٩)
حُذُنَا نَارًا بِجَلَّتِنَا فِيكَ الْأَوْتَارُ تُدْرِكُ^(١٠)
/ كَهْفٌ كَفِّي حِينَ تَطْرَحُهَا بَيْنَ أَيْدِي الْقَوْمِ تَبْتَرِكُ^(١١)
زَارِنَا زَوْزٌ فَلَا سَلَمُوا وَأَصِيبُوا أَيُّةً سَلَكَوا^(١٢)

[٣٤/١٤]

(١) لم تألما نكباً، أي من نكب، يقال: نكب الحجر رجله أو ظفره نكباً إذا أصابها. قَطَا، في الأصول «فَطَا» وهو تصحيف، والفظ: القطع عرضاً أو عامة. والقَدَا: القطع المستطيل أو الشق طولاً. والمداك، كالمدوك، وزان مبرد: مدق الطيب.

(٢) كذا في الأصول!!

(٣) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب. والرهج: الغبار. والحزون: جمع حزن (بالفتح)، وهو ما غلظ من الأرض. وذكت النار تذكو: اشتد لهيبها. والشهاب: شعلة من نار ساطعة. وفي ب، س: «إن يبعثاني دهاساً يبعثاً» وفي ج: «إن يبعثاني دهات يبعثاً» وهو تحريف.

(٤) التَّوْزِي: نسبة إلى تَوَزَّيَ بِلْدَ بَفَارِسَ؛ وهو عبد الله بن محمد بن هرون التوزي، من أئمة اللغة والنحو بالبصرة، وقرأ على الجرمي كتاب سيبويه، وتوفي سنة ٢٣٨ هـ.

(٥) قبل هذين البيتين في «الشعر والشعراء»:

مَا إِذَا عَلِيٌّ إِذَا ضَيْفَ تَأْوِينِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتَ مَجْهُودِي

(٦) في «الشعر والشعراء»: «نوالاً».

(٧) التكاثر: التظاهر بالكرم وأدعائه.

(٨) الجلة: وعاء من خوص.

(٩) عناء: جشمه العناء وأنعبه، وعناه أيضاً: حبسه حبساً طويلاً. حين تنتهك، أي تنتهك حرمتنا.

(١٠) الأوتار: جمع وتر (بالكسر) وهو النار. تدرك: تدرك.

(١١) الكهف: الملجأ والوزر. وابتركت السحابة: اشتد انهلالها وألحت بالمطر.

(١٢) في الأصول «فلا سلم» والصواب من «الشعر والشعراء». والزور: الزائر.

أكلوا حتى إذا شبعوا أخذوا الفضل الذي تركوا

قال: فبعث إلينا فأحضرنا فأغرمتنا مائة درهم، وأخذ من كل واحدٍ منا جُلَّةَ تمرٍ، ودفع ذلك إليه.

قصته مع أحمد بن يوسف

أخبرني الأخفش قال حدثنا أبو العيْناء قال:

كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شراً، فزجه^(١) أحمد يوماً بحماره تعرضاً لشره وعَبَا به، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له: قُلْ لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس، فضحك أحمد ونزل، فعانقه وصالحه.

قصته مع أبي عمرو المديني وشعره في ذلك

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهرويه قال: حدثني محمد بن عليّ الشامي قال:

طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المديني فراخاً من الحمام الهداء^(٢)، فوعده أن يأخذها له من المُثَنَّى بن زُهَيْر، ثم نَوَّر^(٣) عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دَلَّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه). فقال محمد بن يسير:

يَا رَبُّ رَبِّ الرَّاغِبِينَ عَشِيَّةً بِالْقُومِ بَيْنَ مَنَى وَيَمْنِ ثَبِيرِ^(٤)
/ والواقفين على الجبالِ عَشِيَّةً وَالشَّمْسُ جَانِحَةٌ إِلَى التَّغْوِيرِ^(٥)
حتى إذا طَفَلَ الْعَشِيُّ وَوَجَّهَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَذْنَتْ بِغُورِ^(٦)
رحلوا إلى خَيْفٍ نَوَاحِلَ ضَمَّهَا طُولُ السَّفَارِ وَبُعْدُ كُلِّ مَسِيرِ^(٧)
إِنْعَثَ عَلَى طَيْرِ الْمَدِينِ الَّذِي قَالَ الْمُحَالِ وَجَاءَنِي بَغُورُ^(٨)
إِبْعَثْ عَلَى عَجَلٍ إِلَيْهَا بَعْدَمَا يَأْخُذْنَ زَيْتَهُنَّ فِي التَّحْسِيرِ^(٩)

[٣٥/١٤]

(١) زجه: طعنه بالزج ورماه به. والمعنى هنا صدمه.

(٢) في ب، س «الهندي» وهو تحريف. وفي ج «الهدى» بالفتح مقصورة. والهداء: ضرب من الحمام وهو ما يعرف بالزاجل. الواحد الهادي، جاء في «المخصص» ٨: ١٧٠ «وهن اللاتي يدرين ويرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجتن من البعد؛ من بلاد الروم وعريش بمصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة، وهي محفوظة أنسابهن...».

(٣) نَوَّر عليه: لبس عليه أمره، وأصله أن امرأة كانت تسمى «نورة» بالضم، وكانت ساحرة، ففعل لمن فعل فعلها قد نَوَّر.

(٤) ثَبِير: جبل بمكة.

(٥) جانحة: مائلة. وغَوَّرَت الشمس تغويراً: غارت وغربت.

(٦) طفلت الشمس كنصر: دنت للغروب. وجهت: توجت، أي ولت وذابت. وغارت غياراً وغثوراً: غابت.

(٧) خيف، يريد خيف منى، وهو ناحية منها. والخيف ما انحدر من غلط الجبل وارتفع عن سيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى؛ قال مجنون ليلى:

ولم أر ليلسى بعد موقف سباعة بخيف منى ترمي جمار المحصب

وفي ب، س: «جيف» وهو تصحيف. رحلوا نواحل، أي إبلاً نواحل مهزولة. ورحل البعير: حط عليه الرحل.

(٨) أي ابعت عليها ما يؤذيها ويهلكها.

(٩) التحسير: سقوط ريش الطائر. وانحسرت الطير: خرجت من الريش العتيق إلى الحديث.

في كل ما وَصَفُوا المَراحِلَ وَابْتَدَوْا في المُبْتَدِينَ بهنَّ والتكسير^(١)
 وَمَضَيْنَ عَنْ دُورِ الْخُرَيْبَةِ زُلْفَةً دُونَ الْقُصُورِ وَحَجَرَةِ الْمَاخُورِ^(٢)
 مَعَ كُلِّ رِيحٍ تَغْتَدِي^(٣) بِهَبِوبِهَا فِي الْجَوَّيْنِ شَوَاهِينَ وَصُقُورِ
 / مِنْ كُلِّ أَكْلَفَ بَاتٍ يَذْجُنُ لَيْلُهُ فَعِدَا بَغْدُودَ^(٤) سَاغِبٍ مَطُورِ
 ضَرِمَ يَقْلِبُ طَرْفَهُ مُتَأَسِّيًا^(٥) شَيْئًا فَكُنَّ لَهُ مِنَ التَّقْدِيرِ
 يَأْتِي لَهْنٌ مَيَّامِنًا وَمَيَّاسِرًا صَغَا بِكُلِّ مُزَلَّقٍ مَمْكُورِ^(٦)
 مِنْ طَائِرٍ مُتَحَيِّرٍ عَنْ قَصْدِهِ أَوْ سَاقِطٍ خَلَجَ الْجَنَاحَ كَسِيرِ^(٧)
 لَمْ يَنْجُ مِنْهُ شَرِيدُهُنَّ فَإِنْ نَجَا شَيْءٌ فَصَارَ بِجَانِبَاتِ الدُّورِ^(٨)
 لِمُتَمَرِّينَ عَنِ السَّوَاعِدِ حُسْرٍ عَنْهَا بِكُلِّ رَشِيقَةٍ الثُّوتِيرِ^(٩)
 سُدَّ الْأَكْفُ إِلَى الْمَقَاتِلِ صَيْبٍ سَمَتْ الْحُتُوفِ^(١٠) بِجُؤْجُؤٍ وَنُحُورِ
 / لَيْسَ الَّذِي تُخْطِي يَدَاهُ رَمِيَّةٌ مِنْهُمْ بِمَعْدُودٍ وَلَا مَعْدُورِ^(١١)
 يَتَبَوَّعُونَ وَتَمْتَطِي أَيْدِيهِمْ فِي كُلِّ مُغْطِيَةِ الْجِذَابِ تَنْوَرِ^(١٢)

[٣٦/١٤]
١٣٦
١٢

[٣٧/١٤]

(١) كذا في الأصول ١١ ولعله «التكثير».

(٢) الخريبة: موضع بالبصرة يسمى البصرة الصغرى. والزلفة: الطائفة من أول الليل. وزلف الليل: ساعات من أوله. والمجرة: الناحية؛ يقال: قعد حجرة وحجراً بالفتح، أي ناحية. وفي الأصول «وحمرة» بالميم وهو تحريف. الماخور: مجمع أهل الفسق والفساد، وبيوت الخمارين.

(٣) في الأصول «يعتري» وهو تحريف. والشاهين: من سباع الطير، معرب، والجمع شواهين.

(٤) في الأصول «فعدا بعدوة» وهو تصحيف. والكلفة بالضم: لون بين السواد والحمرة. والدجن بالفتح: إلباس الغيم أقطار السماء، يقال: دجن يومنا كنصر وأدجن إذا أظب فأظلم. والغدوة: البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. والساغب: الجائع. والممطور الذي أصابه المطر.

(٥) ضرم كفرح: اشتد جوعه، وضرم في الطعام: جد في أكله لا يدفع شيئاً منه. وفي الأصول «متناسياً»؛ وهو تحريف، وتأنس البازي نظر رافعا رأسه وطره. وفي الأصول أيضاً: «فكان له»؛ وهو تحريف، والتصحيح عن «الحيوان للجاحظ» (٥: ٢٣٤).

(٦) في الأصول: «يأتي بهن» والتصويب من «الحيوان». وصكه: ضربه شديداً. ويكل مزلق، أي بكل متقار أو مخلب مزلق، من زلق الحديد: أدمن تحديدها. والممكور: المصبوغ بالمكر أي المغرة (بفتح الميم فيهما) وهي حمراء أي كأنه مصبوغ بها. وفي «الحيوان» «مذلق مطرور» وذلق السكين: حدده، والمطرور: المحدد أيضاً.

(٧) خلع كفرح: اشتكى لحمه وعظامه من عمل يعمل، أو من طول مشى وتعب. (٨) في الأصول «شيئاً» وهو تحريف. جانبات: جمع جانب، والجانب: الغريب.

(٩) لمشميرين، أي هذه الشواهين والصقور لصيادين مشمرين؛ وحسر: جمع حاسر؛ يقال: حسره كنصر وضرب إذا كشفه؛ وتر القوس توتيراً: شد وترها. والرشيقي من الغلمان والجواري: الخفيف الحسن القد اللطيفة، وناقة رشيقة: خفيفة سريعة. ويقال للقوس ما أرشقها أي ما أخفها وأسرع سهمها. والرشق محركة: القوس السريعة السهم الرشيقة. وفي «البيان والتبيين» (ج ٣: ص ٣٦): «دقيقة التوتير».

(١٠) في الأصول «الجيوف»، وهو تصحيف. سدد: جمع سديد، وصاب يصيب (كيسوب) صيباً: أصاب، فهو صائب، والجمع صيب. وسهم صيوب كفيور والجمع صيب كعتق. والسمت: الطريق والمذهب والقصد: والجؤجؤ: الصدر.

(١١) الرمية: الصيد الذي ترميه. وفي «الحيوان» و«البيان والتبيين»: «... تشوى...» * فيهم بمعذر؛ يقال: رمى فأشوى: إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل.

(١٢) تبوع: مذ باعه وملاً ما بين خطوه. وفي الأصول: «يتسرعون...» * في كل طائفة الجدار بتور؛ وهو تحريف. والتصحيح عن =

عُطِفَ السَّيَاتِ دَوَائِرَ فِي عِطْفِهَا	تُعْزَى صِنَاعَتُهَا إِلَى عُصْفُورٍ ^(١)
يَنْفُثْنَ عَنْ جَذْبِ الْأُكْفِ نَوَاقِبًا	مُتَشَابِهَاتِ الْقَدِّ وَالتَّدْوِيرِ ^(٢)
تَجْرِي بِهَا مَهْجُ النَّفُوسِ وَإِنَّهَا	لَنَوَاصِلُ ^(٣) سُلَّتْ مِنَ التَّحْيِيرِ
مَا إِنْ تَقْصُرُ عَنْ مَدَى مُتَبَاعِدٍ	فِي الْجَوِّ يَخْشُرُ طَرْفَ كُلِّ بَصِيرٍ ^(٤)
حَتَّى تَرَاهُ مُزْمَلًا بِدِمَائِهِ	فَكَأَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ بِعَيْيرٍ ^(٥)
فَيَظَلُّ يَوْمُهُمْ بَعِيشٍ نَاصِبٍ	نُصِبَ الْمَرَّاجِلُ مُعْجَلِي التَّنْوِيرِ ^(٦)
/ وَيُكُوبُ نَاجِيَهُنَّ بَيْنَ مُضَرَّجٍ	بِذَمٍّ وَمَخْلُوبٍ إِلَى مَنُورٍ ^(٧)
عَارِي الْجَنَاحِ مِنَ الْقَوَادِمِ، وَالْقَرَا	كَاسٍ، عَلَيْهِ مَائِرُ التَّامُورِ ^(٨)
فِيُكُودُهُ مُتَبَهِّنَسٌ فِي مَشِيهِ	خَطِيفِ الْمُبْخَرِ مُتَبَعِ التَّصْدِيرِ ^(٩)
ذُو حُلُكَةِ مَثَلِ الدُّجَى أَوْ غُبَيْتِهِ	شَغِبٌ شَدِيدُ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ ^(١٠)

[٣٨/١٤]

- = «الحيوان». وقوس معطية: لينة ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وتراها. والجذاب: المجاذبة. والتنور: الشديدة الجذب.
- (١) سية القوس: ما عطف من طرفيها. وعطف: جمع عطوف. وقوس عطوف كصبور ومعطفة وعطفي ومعطوفة، أي عطف سيتها عليها عطفاً شديداً. وعطف القوس بالكسر: سيتها. وعصفور: جاء في «الحيوان» ٥: ٢٣٣ «وعصفور القواس: إليه تضاف القسي العصفورية، وقد ذكره ابن يسير حين دعا على حمام بالشواهين والصقور والسنانير والبنادق».
- (٢) في الأصول: «عن حذب» وهو تصحيف. وثواقب: في جـ «ثواقب» بالثاء، وفي ب، س «نواقب» بالنون، وكلاهما صحيح، أي سهاماً ثواقب تنقب الرمية وتنفذ فيها، أو نواقب تنقب الهدف وتخرقه.
- (٣) في ب، س: «لنواضل» وهو تصحيف. ومهج: جمع مهجة، وهي الدم. ونواصل جمع ناصل، وسهم ناصل: ذو نصل، وسهم ناصل أيضاً. سقط منه نصله، ضد. وحبرت الشيء تحبيراً: حسنته، وسهم محبر: حسن البري. وسلت: جمع أسلت، وهو في الأصل: الرجل الذي أوعب جدد أنفه. يريد به هنا السهم الذي أجيد برية وأزيل ما فيه من نتوء.
- (٤) مدى متباعد: أي مدى طائر متباعد. حسر البصر (لازماً) كحلس: كل وانقطع من طول مدى، وحسر العين بعد ما حدثت إليه (متعدياً كنصر): أكلها.
- (٥) زملة: لفة. وتضمخ بالطيب: تلتطخ، والعبير: الزعفران أو أخلاط من الطيب.
- (٦) فيظل يومهم: إسناد مجازي؛ أي فيظلون في يومهم. عيش ناصب: فيه نصب وكد وجهد؛ المراجل: جمع مرجل كمنبر، وهو القدر يطبخ فيها. نصب المراجل: أي قد نصبوا المراجل وأقاموها لطبخ ما صادوه من الطيور، والتنوير: الإنارة، ويريد إيقاد النار.
- (٧) في الأصول «ميسور» وهو تصحيف. ومضرج: ملطخ. خلبه بظفره كضرب ونصر: جرحه أو خدشه أو قطعه. منسور: الشسر: نفث البازي اللحم بمنسره أي بمنقاره، نسر اللحم كضرب ونصر: نثفه.
- (٨) في الأصول: «ما يرى التامور» وهو تحريف. والقوادم: عشر ريشات في مقدم كل جناح. القرا: الظهر. والتامور والتامور: الدم؛ ومار الدم يَمُور: إذا جرى، أي إن القرا، قد كسى بالدم المائر. وفي «الحيوان» «بصائر التامور» وبصائر جمع بصيرة وهي الدفعة من الدم.
- (٩) أخذ يدعو على ما بقي من الحمام أن يقع بين مخالب السنانير. جاء في «الحيوان» «للجاحظ في «وصف السنور بصفة الأسد» ٥: ٢٧١ «قال ابن يسير في صفة السنور فوصفه بصفة الأسد. في دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور:
- وخبثن في مشيه متبهنسن
خطف المبخر كامل التصدير
الخبثن (كقذ عمل): الأسد؛ أراد به السنور، والمتبهنسن: المتبختر، وفي الأصول: «متيقن» وهو تحريف. واده يثوده: عطفه، يعني فيمسكه. والخطف (كتفل وعنتق): الضمر وخفة لحم الجنب، وإخطاف الحشا: انطواؤه، والوصف منه: مخطف الحشا (يفتح الطاء) وأخطف الحشا ومخطوفه، أي ضامره. أما الوصف «بخطف» كما في البيت فلم يرد في كتب اللغة.
- (١٠) الحلكة: شدة السواد. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. والغبئة (والغبئة): لون إلى الغبرة. وشغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح: هيج الشر عليهم، وهو شغب. وفي الأصول «شديد الحد والتيسير» وأراه «والتشهير» لأنه المناسب للجد. وفي «الحيوان»:
- متسريل ثوب الدجى أو غبشة
شيبات على سبي التشهير

فيمرُّ منها في البراري والقُرى
من كل أعْصَل كالسنان هُصور^(١)
في حين تُؤذيها المَبَايْتُ مَوْهِنًا
أو بعد ذلك آخرَ التَّحْيِيرِ^(٢)
يختصُّ كلَّ سليلٍ سابقٍ غَايَةً
مَخْضِ النَّجَارِ مُجَرَّبٍ مَخْبُورِ^(٣)
عَجَلٌ عليه بما دعوتُ له به
أره بذلك عقوبة التَّنْوِيرِ
حتى يقولُ جميعُ مَنْ هو شَامِتٌ
هَذي إجابةُ دعوةِ أبْنِ يَسِيرِ
فَلَا لِفَيْتِكَ عند حَالِي حَسْرَةٌ
وتأثُّفٍ وتَلَهُفٍ وزَفِيرِ
وَلَتَلْفِيَنَّ إِذَا رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا
أيدي المصائب منك غيرَ صَبُورِ

[٣٩/١٤]

قوله في قصر خرب

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال:
خرجنا مع بعض ولد التُّوشَجَانِي^(٤) إلى قصرٍ له في بستانهم بِالْجَعْفَرِيَّةِ^(٥)، ومعنا محمد بن يسير، وكان ذلك
القصر من القصور الموصوفة بالحسن، فإذا هو قد خرب واختلَّ، فقال فيه محمد بن يسير:

ألا يا قصرُ قَصَرَ التُّوشَجَانِي
أرى بك بعد أَهْلِكَ ما شَجَانِي^(٦)
/ فَلَوْ أَغْفَى الْبَلَاءُ دِيَارَ قَوْمِ
لفضلٍ منهم ولعظمِ شَانِ
لَمَا كَانَتْ تُرَى بِكَ بَيِّنَاتِ
تلوح عليك آثارُ الزَّمانِ

١٣٧
١٢

قوله في رثاء نفسه

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال حدَّثنا محمد بن أبي حرب قال أنشدنا يوماً محمد بن يسير في مجلس
أبي محمد الزاهد صاحب الفضائل بن عِيَاض لنفسه قال:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللهُ
وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
وَإِغْفَلْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَضَى
يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عُمُرُهُ
وَعَاشَ فَالْمَوْتُ قُصَارَاهُ^(٧)
/ كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسِ
قَدْ كُنْتُ آتِيَهُ وَأَغْشَاهُ
مُحَمَّدٌ صَارَ إِلَى رَبِّهِ
يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِيَّاهُ

[٤٠/١٤]

قال: فأبكي والله جميع مَنْ حضر.

- (١) ناب أعصل: معوج شديد. وفي ب، س «أعبل» وفي ج «أعصل» وهو تحريف. وهصور: كاسر.
- (٢) الموهن (والوهن): نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.
- (٣) سليل: ولد. والنجار بالكسر والضم: الأصل. والمخض من كل شيء: الخالص. ومخبور: مختبر.
- (٤) نسبة إلى توشجان، وهي مدينة بفارس.
- (٥) الجعفرية: محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد.
- (٦) شجاني: أحزنتي.
- (٧) قصاراه: غايته.

قصته مع داود بن أحمد بن أبي دواد

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمي قالا حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني أبو الشَّيْبَل قال:

كان محمد بن يسير صديقاً لداود^(١) بن أحمد بن أبي دُؤاد كثير الغشيان له ففقداه أهله أياماً وطلبوه منهم يجده، وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتزهدون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل «حُسن» المغنّية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شُجاع صاحب شُرطة «خُمار» التركي. فلما كان بعد أيام جاءه ابن يسير فقال له: إيه^(٢) أيها القاضي، كيف ذلّكت عليّ أهلي؟ قال: كما بَلَغك، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. قال: أو فعلت ذلك أيضاً؟ زدني من برك، هات، أيّش^(٣) قلت؟ فأنشده:

وَمُرْسِلَةٍ تُوجُّهُ كُلَّ يَوْمٍ	إِلَيَّ وَمَا دَعَا لِلصَّبْحِ دَاعِي
تُسَائِلُنِي وَقَدْ فَقَدُوهُ حَتَّى	أَرَادُوا بَعْدَهُ قَسَمَ الْمَتَاعِ
/ إِذَا لَمْ تَلْقَه فِي بَيْتِ «حُسْنِ»	مَقِيمًا لِلشُّرَابِ وَلِلْمَتَاعِ
وَلَمْ يُرَفِّي طَرِيقِي بَنِي سَدُوسٍ	يَخْطُ الْأَرْضَ مِنْهُ بِالْكُرَاعِ ^(٤)
يَذُوقُ ^(٥) حُزُونَهَا بِالْوَجْهِ طَوْرًا	وَطَوْرًا بِالْيَدَيْنِ وَبِالذُّرَاعِ
فَقَدْ أَعْيَاكَ مَطْلَبُهُ وَأَمْسَى	(فَلَا تَغْلَطْ) حَيَّسَ أَبِي شُجَاعِ

[٤١/١٤]

قال: فجعل ابن يسير يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خِلعةً من ثيابه.

أبيات له في الحكم

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثني علي بن القاسم طارئة قال: كنت مع المعتصم لما غزا الروم، فجاء بعض سراياه^(٦) بخبر عمه^(٧)، فركب من فؤره وسار أجداً سير وأنا أسايره، فسمع مُنشدًا يتمثل في عسكره:

(١) لعله «دواد» اسم جده.

(٢) إيه: كلمة استزادة واستنطاق.

(٣) جاء في كتاب «معاني القرآن للفراء» (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية): «ومما كثر في كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا (يشير إلى حذف الألف من بسم الله) قولهم: أيش عندك، فحذفوا إعراب «أي» وإحدى ياءيه، وحذفت الهمزة من «شيء» وكسرت الشين». وجاء في «المصباح المنير» في مادة شيئاً، «وقالوا: أي شيء، ثم خففت الياء وحذفت الهمزة تخفيفاً وجعلوا كلمة واحدة فقيل: أيش، قاله الفارابي» وجاء في «شفاء الغليل» ص ١٥: «أيش: بمعنى أي شيء خفف منه، نص عليه ابن السيد في شرح أدب الكاتب، وصرحوا بأنه سمع من العرب» وفيه أيضاً: «قال السهيلي: وأيش في معنى أي شيء، كما يقال ويلمه في معنى ويل لأمه، على الحذف لكثرة الاستعمال».

أقول: وقد جاء في «الأغاني» (ج ٢: ص ٣٦ من هذه الطبعة) قال مجنون ليلى:

فالت جنت على أيش فقلت لها	الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه	وإنما يصرع المجنون في الحين

(٤) الكراع من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب.

(٥) في الأصول: «يدف» بالفاء، تصحيف.

(٦) سرايا: جمع سرية كقضية، وهي قطعة من الجيش، من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة.

(٧) هو إبراهيم بن المهدي، وخبره هو خروجه على المأمون.

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْشَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا^(١)
لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

فسر بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إلي وقال لي: يا علي أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاهل باسمه ونسبه. وقال: أمر محمود وسير سريع يعقب هذا / الأمر. ثم قال: أنشدني الأبيات، فأنشدته قوله:

مَاذَا يَكْلُفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلَجَا الْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَكَبُ اللَّجَجَا^(٢)
/ كَمْ مِنْ فَتَى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوتُهُ أَلْفِيَّتُهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا^(٣)
لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْشَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَخْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
فَاطْلُبْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا^(٤)
وَلَا يُغَرِّثَنَّكَ صَفْوُ أَنْتِ شَارِبُهُ فَرَبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُتَمَزِّجَا
لَا يُتَبَّجُ النَّاسُ إِلَّا مِنْ لِقَاحِهِمْ يَبْدُو لِقَاحُ الْفَتَى يَوْمًا إِذَا تُنَبَّجَا^(٥)

[٤٢/١٤]

أبيات له في وصيفة بخبرته وطيبته

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن علي وعمي قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الشَّيْبَل قال:

كنا عند قُتَيْم^(٦) بن جعفر بن سليمان ذات يوم ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرايب، فأمر أن تُبَخَّرَ ونُطَيَّبَ^(٧)، فأقبلت وصيفة له حسنة الوجه، فجعلت تبخِّرنا وتغلفنا بغالية^(٨) كانت معه. فلما غلقت ابن يسير وبخَّرتة التفت إلي - وكان إلى جنبي - فأنشدني:

- (١) رتج الباب وأرتجه: أغلقه إغلاقاً وثيقاً. وارتجج: استغلق.
- (٢) الروحات: جمع روحة وهي العرة من الرواح؛ يقال راح رواحاً إذا سار أو عمل في الرواح وهو العشي. والدليج: جمع دلجة بالضم والفتح وهي: السير من أول الليل. وفي «لسان العرب»: «الدلجة بالضم: سير السحر، والدلجة بالفتح: سير الليل كله. ويقال: خرجنا بدلجة ودلجة: إذا خرجوا في آخر الليل». واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.
- (٣) فلج كنصر: ظفر وفاز.
- (٤) في «أشعار الحماسة» «قدّر لرجلك». علا زلقاً: أي مكاناً زلقاً. وفي جـ «على زلقاً» وفي ب، س: «على زلق» وهو تحريف. الغرة: الغفلة، زلج: زل وزلق.
- (٥) يقال: نتجت الناقة (بالبناء للمجهول) إذا ولدت، فإذا وليها الإنسان حتى تضع قيل نتجها نتجاً كضرب. واللقاح: اسم ماء الفحل من الإبل والخيول، وهو في «اللسان» و«القاموس» بالكسر. وفي «النهاية» بالفتح، وفي «المصباح»: والاسم اللقاح بالفتح والكسر.
- (٦) في جـ «قيم» وفي ب، س: «قاسم» تحريف.
- (٧) في الأصول: «يبخرو يطيب» تصحيف.
- (٨) الغالية: أخلط من الطيب وعلف لحيته بالطيب والغالية: السهام المطبوخة.

يا باسطاً كَفَّهُ نَحْوِي يُطَيِّبِي كَفَّاكَ أَطِيبُ يَا جَبِي مِنَ الطَّيِّبِ
/ كَفَّاكَ يَجْرِي مَكَانَ الطَّيِّبِ طَيِّبُهُمَا فَلَا تَزِدْنِي عَلَيْهَا عِنْدَ تَطْيِيبي
يا لائمي في هواها أنتَ لم ترها فأنتَ مُغَرِّى بِتَأْنِيبي وتَعْذِيبي
أُنْظِرْ إِلَى وَجْهَهَا، هَلْ مِثْلُ صُورَتِهَا فِي النَّاسِ وَجْهٌ مُجَلَّى غَيْرُ مُحْجُوبٍ؟
فقلت له: اسكت ويلك! لا، تُصَفِّعُ وَاللهُ وَتُخْرِجُ. فقال: والله لو وثقتُ بأن تُصَفِّعَ جميعاً لأنشدته الأبيات، ولكنني أخشى أن أفرَدَ بالصَّفِّعِ دونك.

أبيات له في أهل الجدل

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ:
كان محمد بن يسير جالساً في حَلَقَتِنَا في مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِنَا حَلَقَةُ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْجَدَلِ يَتَصَايَحُونَ فِي الْمَقَالَاتِ وَالْحُجَجِ فِيهَا، فَقَالَ ابْنُ يَسِيرٍ: اسْمَعُوا مَا قُلْتُ فِي هَؤُلَاءِ، فَأَنشَدَنَا قَوْلَهُ:

يَا سَائِلِي عَنْ مَقَالَةِ الشَّيْعِ وَعَنْ صَنُوفِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ
دَعَّ عَنْكَ ذِكْرَ الْأَهْوَاءِ نَاحِيَةً فَلَيْسَ مِمَّنْ شَهِدْتُ ذُو وَرَعٍ
كُلُّ أَنْاسٍ بَدِئُهُمْ حَسَنٌ ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلشَّمْسِ
أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يَقَالَ لَهُمْ: لَسْتُ بِكَ فِي قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ

قوله في استغناؤه عن تدوين ما يسمعه

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّامِيُّ قَالَ:
كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه؛ من ذلك قوله:
إِذَا مَا غَدَا الطُّلَّابُ لِلْعِلْمِ مَا لَهُمْ مِنْ الْحِفْظِ إِلَّا مَا يُدَوِّنُ فِي الْكُتُبِ
/ غَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ وَجِدُّ عَلَيْهِمْ فَمَجَّبَرْتَنِي أَذْنِي وَدَفَّتْهَا قَلْبِي^(١)

بيتان من الشعر الحكمي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ^(٢) قَالَ:
كان إبراهيم بن رِيَّاحٍ إِذَا حَزَبَهُ^(٣) الْأَمْرَ يَقْطَعُهُ بِمِثْلِ قَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ يَسِيرٍ:

تُخْطِئِي النَّفْسُ مَعَ الْعِيَا ن وَقَدْ تُصِيبُ مَعَ الْمَظَانِّ
كَمْ مِنْ مَضِيئِي فِي الْفَضَا وَمَخْرَجٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ

(١) جاء في «المصباح المنير»: «في المجبرة لغات: أجودها مجبرة بفتح الميم والباء، والثانية مجبرة بضم الباء، مثل مادبة ومأدبة، والثالثة مجبرة بكسر الميم وفتح الباء لأنها آلة».

(٢) المدبر بفتح الباء، والضبط عن كتاب «المشتبه في أسماء الرجال للذهبي» ص ٤٧٢ طبع أوربة.

(٣) حزبه الأمر، نابه واشتد عليه وضغفه.

قوله في نعل خلق له

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال:

مر ابن يسير بأبي عثمان المازني فجلس إليه ساعة، فرأى من في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خلق^(١) وسخة مقطعة، فأخذ ورقة وكتب فيها:

كم أرى ذا تعجب من نعلي	ورضائي منها بلئس البوالي
كل جرءاء قد تكتفيها	من أقطارها بسود الثقال ^(٢)
لا تُداني، وليس تُشبه في الخلد	قبة إن أبرزت، نعال الموالي
/ من يُغال من الرجال بتغل	فيواي إذا بهن يُغالي ^(٣)
لو حسداهن للجمال فإني	في سواهن زيتي وجمالي ^(٤)
في إخواني وفي فائي ورأيي	ولساني ومطقي وفعالي ^(٥)
ما وقاني الحقا ويلغني الحيا	جدة منها فإني لا أبالي

[٤٥/١٤]

قوله وقد أخذ منه قثم بن جعفر ألواح أبئوس بعد أن أسكره

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله^(٦) بن محمد بن يسير قال:

دعا قثم بن جعفر بن سليمان أبي^(٧) فشرّب عنده، فلما [سَكِر]^(٨) سرق منه ألواح أبئوس كانت تكون في كفه، فقال في ذلك:

عَيْنُ بَغْيٍ بَعْبُرَةٍ تَسْفَاحٍ	وأقيمي مآتم الألواح ^(٩)
أَوْحَشْتُ حُجْرَتِي وَرُذْنَايَ مِنْهَا	في بُكُورِي وَعِنْدَ كُلِّ رَوَاحٍ ^(١٠)

(١) في الأصول «خلقة»؛ وهو تحريف. جاء في «لسان العرب»: «شيء خلق: بال، الذكر والأنثى فيه سواء؛ لأنه في الأصل مصدر الأخلق وهو الأملس. يقال: ثوب خلق، وملحفة خلق، ودار خلق، ويقال: جبة خلق بغير هاء، ولا يجوز: جبة خلقة. قال اللحياني: قال الكسائي: لم نسمعهم قالوا: خلقة في شيء من الكلام».

(٢) هكذا ورد البيت في الأصول!!

(٣) في الأصول «يغالي» وهو فعل الشرط، وحذف الياء لا يخل بالوزن، وفيه كف كما في أول الشطر الثاني.

(٤) في الأصول «حدهن» تصحيف. وحذا النعل: قدرها وقطعها. يريد: لو فصلهن واقتناهن للتجمل والزينة.

(٥) في الأصول «في إخوان وفي وفاء» والفعال: اسم الفعل الحسن، والكرم.

(٦) في الأصول «محمد بن عبد الله بن بشير».

(٧) في الأصول «إلي» تحريف.

(٨) تكملة يقتضيها السياق.

(٩) في الأصول «عين بلي» ... «مآتم الأنواح» وهو تحريف.

(١٠) ورد هذا البيت في ب، س هكذا:

أوحشت حجرتي ورد أناتي منها في بكور وعنه كل رواح
وكله تحريف. وفي ج بأقل من هذا التحريف. وقد صححته كما ترى. والحجزة: معقد الإزار. والردن: أصل الكم.

[٤٦/١٤]

واذْكُرِيهَا إِذَا ذَكَرْتَ بِمَا قَدْ
/ أَبْتُوسُ دَهْمَاءُ حَالِكَةُ اللَّوْ
ذَاتُ نَفْعٍ خَفِيفَةُ الْقَذْرِ وَالْمَخْ
وسريعٌ جُفُوفُهَا إِنْ مَحَاها
هي كانت على [عُلُومِي] ^(٥) والآ
كنت أَعْدُو بها على طلب العَدِ
هي كانت غِذاءً زَوْرِي إِذَا زَا

كان فيها من مَرْفَقِي وَصِلَاحِ ^(١)
نَ لُبَابٍ مِنَ اللَّطَافِ الْمِلَاحِ ^(٢)
مِلِ حُلُكُوكَةُ الدُّرَا والنَّوَاحي ^(٣)
عند مُثْلٍ مُسْتَعِجِلُ الْقَوْمِ مَاحِي ^(٤)
دَابِ وَالْفَقْهَ عُدَّتِي وَسِلاحي
سَمِ إِذَا مَا غَدَوْتُ كُلَّ صَبَاحِ
رَ، وَرِيَّ النَّدِيمِ يَوْمَ اصْطَبَاحِي ^(٦)

- يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزواره المأكول والمشروب -

أَبَ عُسْرِي وَغَابَ يُسْرِي وَجُودِي حِينَ غَابَتْ وَغَابَ عُنِّي سَمَاحِي

هجاؤه أحمد بن يوسف

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويه قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ:

كان محمد بن يسير يُعَادِي أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشق جارية سوداء مغنّية، فقال / ابن يسير يهجو: ^{١٤٠}
١٣

أَقُولُ لَمَّا رَأَيْتُهُ كَلَفًا بِكُلِّ سَوْدَاءَ نَزْرَةٍ قَلْبَرَةٍ ^(٧)
أَفْلَ لِعَمْرِي لَمَّا كَلَفْتُ بِهِ عِنْدَ الْخَنَازِيرِ تَنْفُقُ الْعَذْرَةَ ^(٨)

/ أَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويه قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَوَازِلِ قَالَ: عَوْتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ عَلَى حُضُورِ [٤٧/١٤] ^{١٤٠}
١٣

مَا دَخَلَ الْحَمَّامَ مِنْ عِلْمِي فَذَاكَ مَا فَازَ بِهِ سَهْمِي ^(٩)
وَالْعِلْمُ لَا يَنْفَعُنِي جَمْعُهُ إِذَا جَرَى الْوَهْمُ عَلَى فَهْمِي

قوله في ألواح الأبنوس أيضاً

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ:

(١) المرفق من الأمر (كمجلس ومنبر): ما ارتفعت وانتفعت به.

(٢) في الأصول: «وهما»؛ تحريف. والدهماء: السوداء ولباب كل شيء ولبه: خالصة وخياره.

(٣) الحلقة بالضم: شدة السواد، وهو حالك وحلكوك كعصفور.

(٤) في ب، س: «جفونها» وفي ج «خفونها» تحريف.

(٥) زيادة يقتضيها المقام.

(٦) الزور: الزائرون.

(٧) كلفاً: مولعاً، وامرأة نزور ونزرة (بكسر الزاي وسكن هنا للشعر): قليلة الولد أو قليلة اللبن.

(٨) تنفق: تروج. والعذرة: الغائط.

(٩) أي ما دخل معي الحمام من علمي؛ وذلك أن المرأة إذا دخل الحمام تجردت من ثيابه وكتبه وغيرها ولكنه لا يتجرد من علمه، يريد أن علمه محفوظ في صدره.

كان محمد بن يسير يُعاشِر ولدَ جعفر بن سُلَيْمان، فأخذ منه قُتُمُ بن جعفر الواح أَبْنوس كان يكتب فيها بالليل، فقال ابن يسير في ذلك:

أَبَقَتِ الْوَاوحُ إِذْ أُخِذَتْ حُرْقَةٌ فِي الْقَلْبِ تَضْطَرُّ
زَانَهَا فَصَّانٍ مِنْ صَدَفٍ وَاحْمِرَارُ السَّيْرِ^(١) وَالْقَلَمُ
وَتَوَلَّى أَخَذَهَا قُتُمُ لَا تَوَلَّى نَفْعَهَا قُتُمُ

شعره إلى بعض الهاشميين وقد جفاه

أخبرني الأخفش قال: حدَّثنا محمد بن يزيد قال:

كان محمد بن يسير يُعاشِر بعض الهاشميين، ثم جفاه الهاشمي لِمَلَالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله:

قَدْ كُنْتُ مُنْقَبِضاً وَأَنْتَ بَسْطَتْنِي حَتَّى انبَسَطْتُ إِلَيْكَ ثُمَّ قَبَضْتَنِي
أَذْكَرْتَنِي خُلُقَ الثَّفَاقِ وَكَانَ لِي خُلُقاً فَقَدْ أَحْسَنْتَ إِذْ أَذْكَرْتَنِي
لَوْ دَامَ وَذَكَ وَانْبَسَطْتُ إِلَى أَمْرِي فِي الْوَدِّ بَعْدَكَ كُنْتَ أَنْتَ غَرَزْتَنِي
فَهَلُمَّ نَجْتَذِبِ الْكَذَاكَرَ يَشْتَا وَنَعُودَ بَعْدُ كَأَنَّنَا لَمْ نَقْطَنْ^(٢)

[٤٨/١٤] / قوله وقد أفاق من سكر

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدَّثنا الحسن بن عَلِيلٍ العَنَزِي قال: حدَّثنا مسعود بن يسير قال:

شَرِبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ نَبِيذاً مَعَ قَوْمٍ فَاسْكُرُوهُ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَعَثَرَ فِي طَرِيقِهِ وَأَصَابَ وَجْهَهُ آثَارُ؛ فَلَمَّا أَفَاقَ أَنْشَأَ يَقُولُ:

شَارِبْتُ قَوْمًا لَمْ أُطِقْ شُرْبَهُمْ يَفْرَقُ فِي بَخْرِهِمْ بَخْرِي
لَمَّا تَجَارَيْنَا إِلَى غَايَةِ قَصَّرَ عَنْ صَبْرِهِمْ صَبْرِي
خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ مُتَخَنًا^(٣) نَذْفَعُنِي الْجُنْدُ إِلَى الْجُنْدِ
مُقَبِّحَ الْمَشْيِ كَسِيرِ الْخَطَا يَقْصُرُ عِنْدَ الْجِدِّ عَنْ سَيْرِي^(٤)
فَلَسْتُ أَنْسَى مَا تَجَشَّمْتُ^(٥) مِنْ كَذْحٍ وَمِنْ جُرْحٍ وَمِنْ أَثَرِ^(٦)
وَشَقِّ ثَوْبٍ وَتَوَى^(٧) آخِرِ وَسَقَطَةِ بَسَانٍ بِهَا ظَفْرِي

(١) السير: ما قد من الجلد طولاً.

(٢) فطن إليه وله، كفرح ونصر وكرم: فهم.

(٣) اتخنه: أوهنه بالجراحة وأضعفه.

(٤) في الأصول:

«مقبِّح المشي كثير الخطا يقصر عند الجد عن سري»

(٥) في الأصول «ما نحى: من» وهو تحريف والوزن غير مستقيم؛ وقد صححته كما ترى.

(٦) الكدح: كل أثر من خدش أو عض. وقيل: الكدح أكبر من الخدش. والأثر: أثر الجرح يبقى بعد البرء.

(٧) توى كفرح توى: هلك. وفي ب، س «وثور أخيم وفي ب، س «وثور أخيم»

حدثني عمي وجعفة عن أحمد بن الطبيب قال: حدثنا بعض أصحابنا عن مسعود بن يسير، ثم ساق الخبر مثله سواء.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيّن قال:

اجتمع جعفران المونسوس ومحمد بن يسير في بستان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد / ناحية للغائط، ^{١٤١}/_{١٢} ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعفران:

قَدْ قَلْتُ لَا بِنَ يَسِيرُ لَمَّا رَمَى مِنْ عِجَانَةٍ^(١)
/ فِي الْأَرْضِ تَلَّ سَمَادٍ عَلَا عَلَى كُتْبَانَةٍ^(٢)
طَوَى لِصَاحِبِ أَرْضٍ خَرَّتْ فِي بُتْسَانَةٍ

[٤٩/١٤]

قال: فجعل ابن يسير يشتم جعفران ويقول: أي شيء أردت مني يا مجنون يا ابن الزانية حتى صيرتني شهرة^(٣) بشعرك!!

شعره إلى والي البصرة يستسقيه نبذاً

أخبرني جعفة قال: حدثني سوار بن أبي شراة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

كان أبي مشغولاً بالنبذ مشتهراً بالشرب، وما بات قط إلا وهو سكران، وما نَبَذَ قط نبذاً، وإنما كان يشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادٍ^(٤)، ولم تُمكنه معه الحركة إلى قريب من إخوانه ولا بعيد وكاد^(٥) يُجْرُ لَمَّا فَقَدَ النَّبْذَ. فكتب إلى والي البصرة وكان هاشمياً، وهو محمد بن أيوب بن جعفر بن سُلَيْمَانَ قال:

كَمْ فِي عِلَاجِ نَبْذِ الثَّمْرِ لِي تَعَبٌ الطَّبْخُ وَالذَّلْكُ وَالْمِغْصَارُ وَالْعَكْرُ^(٦)
وَأَنْ عَدَلْتُ إِلَى الْمَطْبُوحِ مُعْتَمِداً رَأَيْتُنِي مِنْهُ عِنْدَ النَّاسِ أَشْتَهَرُ^(٧)
نَقَلُ الدُّنَانِ إِلَى الْجِيرَانِ يَفْضَحُنِي وَالْقَذْرُ تَتْرَكُنِي فِي الْقَوْمِ أَعْتَذِرُ
فَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ أَسْتَسْقِي وَأَطْلُبُهُ مِنَ الصَّدِيقِ وَرُسُلِي فِيهِ تَبْتَدِرُ^(٨)
فَمَنْهُمْ بِإِذْلِ سَمْعٍ بِحَاجَتِنَا وَمَنْهُمْ كَاذِبٌ بِالزُّورِ يَعْتَذِرُ
/ فَسَقْنِي رِيَّ أَيْامٍ لَتَمْنَعَنِي عَمَّنْ سِوَاكَ وَتُغْنِنِي فَقَدْ خَسِرُوا
إِنْ كَانَ زَقٌّ فَزِقُّ أَوْ فَوَافِرَةٌ مِنَ الدَّسَاتِيحِ لَا يُزْرِي بِهَا الصَّفَرُ^(٩)

[٥٠/١٤]

(١) العجان: الأست.

(٢) كُتبان: جمع كتيب، وهو التل من الرمل.

(٣) الشهرة: ظهور الشيء في شناعة.

(٤) هادٍ، من الهد وهو الصوت، يقال هذ يهد (مثل فر)، وما سمعنا العام هادة. أي رعداً.

(٥) في الأصول: «وكان».

(٦) المِغْصَار: الذي يجعل فيه الشيء فيعصر. العكر: دردى كل شيء.

(٧) اشتهر: أظهر في شناعة. شهره كمنعه وشهره واشتهره فاشتهر.

(٨) تبتدر: تستبق.

(٩) الصفر: الفراغ والخلو، عنى أنها ممتلئة، وفي ب، س «السفر»، تحريف.

وإن تُكُنْ حاجتي ليست بحاضرة
فاستشقي غيرك أو فاذكُرْ له خَبَري
ليس في البيت من آثارها أثرُ
فإن غتراك حياءً منه^(١) أو حَصْرُ
فلئنسي واقفٌ بالسَّابِ أنتظرُ
لألي نبِيذٌ ولا حُرٌّ فيدعوَنِي
وقد حَمَانِي من تَطْفِيلِي المَطَرُ^(٢)

قال: فضحك لما قرأها، وبعث إليه بزقٌ نبِيذٌ ومائتي درهم، وكتب إليه: اشرب النبِيذَ وأنفق الدراهم إلى أن يُمِسِكَ المطر ويُسَّعَ لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجعلني فَيْئَةً^(٣) لك، والسلام.

صوت

أنت حَدِيثِي في النوم واليقظة
كم واعظٌ فيك لي وواعظية
أنعيتُ مما أُنْذِي بك الحفظُ
الشعر لديك الجنُّ الحَمْصِي. والغناء لعَرِيب، هَزَج، ذكر ذلك ذُكَاءٌ وَجْهُ الرُّزَّةِ وقُمْرِيٌّ جميعاً، والله أعلم.



مركز تحقيقات كتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) في الأصول: «منك» وهو تحريف. والحصر: العي وضيق الصدر.

(٢) طفل: تطفل.

(٣) الفئته بالفتح والكسر: الرجوع: أي فاجعلني مرجعاً لك.

[٥٦/١٤]

/ أخبار ديك الجن ونسبه

نسبه ونبذة في ترجمته

/ ديك الجن لَقَبٌ غَلَبَ عليه^(١)، واسمه عبد السلام بن رَغْبَان^(٢) بن عبد السلام بن حَبِيب بن عبد الله بن ١٤٢/١٧ رَغْبَان بن يزيد^(٣) بن تميم. وكان جَدُّه تميم ممن أنعم الله - عز وجل - عليه بالإسلام من أهل مُؤْتَةَ^(٤) على يَدَي حَبِيب^(٥) بن مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيِّ، وكان شديد التشعب^(٦) والعصية على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم ﷺ، وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً مثلاً قُتِلَ به، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا، إذ جَمَعَنَا^(٧) الدين.

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهب مذهب أبي تمام والشاميّين في شعره. من شعراء الدولة العباسية. وكان من ساكني حِمص، ولم يرح نواحي الشام، ولا وفد إلى العراق ولا إلى غيره مُتَجَعاً بشعره ولا مُتَصَدِّياً لأحد. وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مرثية كثيرة في الحسين بن علي - عليهما السلام -، منها قوله:

يَا عَيْنُ لَا لِلْقَضَا وَلَا الْكُتُبِ بَكَ الرِّزَايَا سِوَى بَكَا الطَّرَبِ

/ وهي مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها. وله عدة أشعار في هذا المعنى، وكانت له جارية يهاها، فاتهما [٥٢/١٤] بغلام له فقتلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مرثيتها.

قصيدته في هجاء ابن عمه

قال أبو الفرج: ونسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي، قال:

كان عمي خليعاً ماجناً معتكفاً^(٨) على القصف واللّهو، مثلاً لما ورث عن آبائه، واكتسب بشعره من أحمد

(١) أصله دويبة توجد في البساتين (انظر «حياة الحيوان الكبرى» للدميري ج ١: ص ٥١٩).

(٢) ترجم له ابن خلكان (ج ١: ٤١٥) وقد جاء فيه: «ومولده سنة ١٦١ هـ وتوفي في أيام المتوكل سنة ٢٣٥ أو سنة ٢٣٦».

(٣) كذا في ج، و «تاريخ ابن عساكر» (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤١ «تاريخ» ج ٢٤ ص ١١٢). وفي ب، س، و «وفيات الأعيان» «زيد».

(٤) مؤتة: قرية من قرى البلقاء بمشارف الشام.

(٥) كان من خواص معاوية وله معه في وقعة صفين آثار شكرها له.

(٦) الشعوبية (بضم الشين): الذين يحتفرون أمر العرب ويصغرون شأنهم ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم، والواحد شعوبي، نسبة إلى شعوب. وشعوب: جمع شعب (بالفتح)؛ وهو ما تشعب من قبائل العرب أو العجم. ولكن الشعوب بلفظ الجمع غلب على العجم ونسبوا إليه فقالوا شعوبي، كما قالوا أنصاري نسبة إلى الأنصار.

(٧) يحتجون بقوله تعالى: «إِنْ أكرمكم عند الله أتقاكم» وقوله: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» ويقولون ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، كلكم لآدم وادم من تراب».

(٨) في ب، س: «منعكفاً» وهو تحريف، يقال: اعتكف وتعكف. قال في «القاموس المحيط»: «ولا تقل انعكف». والقصف: اللّهو =

وجعفر ابني علي الهاشميين، وكان له ابن عم يُكنى أبا الطيب يعظله وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يؤثّره ويركبه من لذّاته وربما هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمُجان وأهل الخلعة، فيستخفّ بهم وبه. فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

مَولَاتُنَا يَا غَلامُ مُبْتَكِرَةٌ فَبَاكِرِ الكَأْسِ لِي بَلَا نَظَرَةٌ^(١)
 غَدَتْ عَلَى اللّهُو والمُجُونِ، عَلَى أَنْ الفَتَاةَ الحَيَّيَّةَ الخَفِرَةَ^(٢)
 لِحُبِّهَا - لَا عَدِثُهَا - حُرَقُ مَطْوِيَّةٌ فِي الحَشَا وَمُنْتَشِرَةٌ^(٣)
 مَا ذُقْتُ مِنْهَا سِوَى مُقْبَلِهَا وَضَمُّ تِلْكَ الفُرُوعِ مَنَحْدِرَةٌ^(٤)
 وَانْتَهَرْتُني فَمِتُّ مِنْ فَرْقٍ يَا حُنْهًا فِي الرِّضَا وَمُنْتَهَرَةٌ^(٥) !
 / ثُمَّ انْتَشَتْ سَورَةُ الخُمَارِ بِنَا خِلَالَ تِلْكَ الغَدَائِرِ الخَمِرَةِ^(٦)
 وَلَيْلِيَةِ أَشْرَفْتُ بِكُلِّكِلِهَا عَلَيَّ كَالطَّلِيسَانِ مُعْتَجِرَةٌ^(٧)
 فَتَفَقْتُ دَنَجُورَهَا إِلَى قَمَرٍ أَثْوَابُهُ بِالْعَفَافِ مُشْتَرَةٌ^(٨)
 عُجْجَ عَبْرَاتِ المُدَامِ نَحْوِي مِنْ عَشْرٍ وَعِشْرِينَ وَأَثْنَيْ عَشَرَ^(٩)
 قَدْ ذُكِرَ النَّاسُ عَنْ قِيَامِهِمْ ذَكَرَى بِعَقْلِي مَا أَصْبَحْتُ نَكْرَةً^(١٠)
 مَعْرِفَتِي بِالصَّوَابِ مَعْرِفَةٌ غَرَاءُ إِمَّا عَرَفْتُمُ النُّكْرَةَ^(١١)
 يَا عَجَبًا مِنْ أَبِي الخَبِيثِ وَمِنْ سُرُوجِهِ فِي البَقَائِرِ الدَّثْرَةَ^(١٢)

[٥٣/١٤]

= واللعب، ويقال إنها مولدة. قال ابن دريد: لا أحسبه عربياً.

(١) باكراً: بكر إليه، يريد: أسرع إليّ بالكأس. النظرة: التأخير في الأمر.

(٢) غدت: في الأصول «عدت» وهو تصحيف، الحية: في الأصول «الحيثة» وهو تحريف. الخفرة: وصف من الخفر بالتحريك وهو شدة الحياء.

(٣) في ب، س: «بجها لاجع منها وبى حرق» وهو تحريف. وفي ج: «يحنها... حرق».

(٤) الفروع: جمع فرع، وهو الشعر التام.

(٥) انتهرة ونهرة: زجره. وفي الأصول «وانتهرتي» ومبهرة؛ وهو تصحيف، والصواب بالنون لأنه في مقابلة «الرضا». والفرق: الخوف والفرع.

(٦) انتشت، في الأصول «انتبت» وهو تصحيف. سورة الخمر: حدثها. وخمار الخمر: ما أصاب الشارب من ألمها وصداعها وأذاها. الغدائر: جمع غديرة، وهي الخصلة من الشعر. الخمر بالتحريك: كل ما وارك من شجر وغيره. ومكان خمر (بفتح فكسر): كثير الخمر (بالتحريك). والغدائر الخمرة على التشبيه بذلك.

(٧) الكلكل: الصدر. وفي ب، س: «بعد كلكلها» وهو خطأ. الطليسان: كساء من أكسية العجم أسود، فارسي معرب. والاعتجار: وليسة كالالتخاف.

(٨) الديجور: الظلام.

(٩) عاجه يعوجه: أماله وعطفه، وأراد بعبرات المدام ما يصب منها في الكأس. وفي الأصول «فحوي» وهو تحريف.

(١٠) قياهم: أي يعثهم يوم القيامة. نكرة: اسم من الإنكار كنفقة من الإنفاق، بمعنى اسم المفعول أي منكرة. وفي ب وس «نفرة» وفي ج «طفرة» وأراه تحريفاً.

(١١) غراء: معروفة مشهورة. إما: أصله إن ما، وما زائدة بعد إن.

(١٢) «من أبي الخبيث» يريد «من أبي الطيب» قلب كنيته إلى الضد تهكماً به وازياعاً عليه. وفي الأصول «سروجه في البقائر» وهو =

[٥٤/١٤]
١٤٣
١٢

[٥٥/١٤]

يَحْمِلُ رَأْسًا تَنْبُو الْمَعَاوِلُ عَنْ / لَوْ الْبَغَالُ الْكُمْتُ ارْتَقَتْ سَنَدًا
صَفَحْتَهُ وَالْجَلَامِدُ الْوَعِرَةَ^(١) فِيهِ لَمَذَتْ قَوَائِمًا خَدِرَةً^(٢)
أَلْفٌ تَسَامَى وَالْفُ مُنْكَدِرَةً^(٣) وَلَا الْمَجَانِيسُ فِيهِ مُغْنِيَةٌ
هَامَةٌ تَلِكُ الصَّفِيحَةُ الْعَجِرَةَ^(٤) أَنْظِرْ إِلَى مَوْضِعِ الْمَقْصُصِ مِنْ أَلِ
فَلَوْ أَخَذْتُمْ لَهَا الْمَطَارِقَ حَرَارِيَّةً صَنْعَةَ الْيَدِ الْخَيْرَةِ^(٥)
كَلِيلَةً وَالْأَدَاةُ مُنْكَسِرَةً^(٦) إِذَا لَرَّاحَتْ أَكْشَفَتْ جِلْتَهُمْ
صَفْوَةٌ عَيْشٍ غَادَرَتْهَا كَدِرَةٌ كَسَمَ طَرَبَاتٍ أَفْسَذَتْهُنَّ وَكَمَ
حَوْتٍ لَهُمْ مِنْ أَنْامِلٍ خَصِرَةٍ^(٧) وَكَمَ إِذَا مَا رَأَوْكَ يَا مَلَكَ أَلِ
قَذْفَةٍ أَمْ شَنْعَاءَ مُشْتَهَرَةٍ وَكَمَ لَهُمْ دَغْوَةٌ عَلَيْكَ وَكَمَ
وَنَالَهَا بِالْمَثَالِبِ الْأَشْرَةَ^(٨) كَرِيمَةٍ لَوْ مُكَّ اسْتَخَفَّ بِهَا
فَقُّوا عَلَى رَحْلِهِ تَرَوْا عَجَبًا قَفُّوا عَلَى رَحْلِهِ تَرَوْا عَجَبًا
نَخْسٍ وَيَا كُلُّ سَاعَةٍ عَسِرَةٍ^(٩) / يَا كُلُّ مَنْيٍ وَكُلُّ طَالَعَةٍ
أَرْضٍ وَفِيهَا أَخْلَاقُكَ الْقَدِرَةَ سَبْحَانَ مَنْ يُنْفِسُكَ السَّمَاءَ عَلَى أَلِ

قصته مع زوجه ورد

قال: وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حنص هويها وتماذى به الأمر حتى غلبت عليه

= تحريف. سروحه، من سرحت الماشية سروحاً، والبيقير والبقيرة: يرد يشق ثم تلقيه المرأة في عنفها من غير كمين ولا جيب، والجمع بقاثر. الدثرة: الوسخة؛ وصف من الدثر (بالتحريك) وهو الوسخ.

(١) تنبو: تكل. المعاول: جمع معول، وهو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر. والجلامد: جمع جلمد كجعفر وهو الصخر كالجلمود. والوعرة (بكسر العين): ضد السهلة كالوعرة (بسكونها).

(٢) في الأصول: «لولا البغال» تحريف. وكلمة «الكمات» ساقطة من ب، س. والكمات: جمع كمت، كسروه على مكبره المتوهم، وصف من الكمته: وهي لون بين السواد والحمرة. والسند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح. وخدرت رجله كقرح: غشيها ثقل وفتور فلم تقو على المشي.

(٣) في الأصول «معنية» وهو تصحيف. والمجانيق: جمع منجنيق (يفتح الميم وتكسر): آلة ترمى بها الحجارة، معربة. ومنكدرة، من انكدرت النجوم أي تناثرت، وانكدر أيضاً: أسرع وانقض. وانكدر عليه القوم: انصبوا.

(٤) في الأصول «الصبيحة» تحريف. والصفيحة: الحجر العريض. والعجرة: الضخمة الصلبة.

(٥) في الأصول «المطارف» بالفاء؛ وهو تصحيف. وحرانية: نسبة إلى حران، وهي مدينة على طريق الموصل والشام والروم، وقرية من قرى حلب، وقرية بغوطة دمشق. وخبر بالشيء: عالم به. مثل خبير وخابر.

(٦) جلتهم: كبارهم.

(٧) خصرة: باردة. وتبرد أطراف المرء عند نزول الموت به.

(٨) المثالب: العيوب جمع مثلبة (يفتح اللام وتضم). وفي ب، س «دنا لها» تحريف. وفي جميع الأصول: «الأشرة» ولعلها محرفة عن «الدفرة» بالذال أو الذال، وصف من الدفر (بالتحريك). والدفر كذلك، وهو التن.

(٩) الرحل: المنزل والمسكن. والبصرة: بلد معروف بالعراق وهو بفتح الباء، وكسرها، ويحرك، وتكسر الناصد.

(١٠) مني: يقال: مناه به يمني منياً، ومناه يمنوه منواً: إذا ابتلاه، ومنى ببيلة: ابتلى بها.

وزهبث به. فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلها برغبته فيها، وأسلمت على يده، فتزوجها، وكان اسمها وزدا؛ ففي ذلك يقول:

انظر إلى شمس القصور وبذرِها وإلى خزامها وبهجة زهرِها^(١)
 لم تبلُ عيُنك أبيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شغْرِها^(٢)
 وزديّة الوجنات يختبر اسمها من ريقها مَنْ لا يُحيط بخبرِها
 وتمايلت فضحكك من أردافِها عجباً ولكئي بكئي لخضرِها
 تنقيك كأس مُدامة من كفِّها وزديّة ومدامة من ثغْرِها

قال: وكان قد أعسر واختلت حاله، فرحل إلى سلمية^(٣) قاصداً لأحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة، وحمل ابن عمه بفضله^(٤) إياه بعد موته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن علي شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ويُعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها:

إن ريب الزمان طال انتكائُه كم رمتني بحادثٍ أحداثُه^(٥)

[٥٦/١٤] / يقول فيها:

ظنني إنس قلبي مقيلاً ضحاًه وفؤادي بريرة وكبائُه^(٦)

وفيه يقول:

خيفة أن يخون عهدي وأن يضحني لغيري حُجُولُه ورعائُه^(٧)

ومدح أحمد بعد هذا؛ وهي طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص؛ وقدّر^(٨) ابن عمه وقت قدومه، / فأرصد له قوماً يُعلمونه بموافاته باب حمص. فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً على تمسكه بهذه المرأة بعدما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقام عليها، ودس الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، وناد باسم وزدا؛ فإذا قال: مَنْ أنت؟ فقل: أنا فلان. فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابته جواب مَنْ لم يعرف من القصة شيئاً. فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا

(١) الخزامي: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة.

(٢) لم تبل: لم تختبر ولم تر. وفي ب، س: «لم تبك» وهو تحريف.

(٣) سلمية: بلدة بالشام من أعمال حمص.

(٤) في ب، س: «على بفضله». بزيادة «على» وهو خطأ.

(٥) انتكائه: انتفاضه.

(٦) البرير: الأول من ثمر الأراك. والكبات: التضييع منه.

(٧) حجول: جمع حجل (بالفتح والكسر) وهو الخلدخال. ورعات: جمع رعة كوردة ورقبة، وهي القرط.

(٨) في ب وس «وفر» وهو تحريف.

فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها، وقال في ذلك:

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَظْفِكَ نَلْتُ
فَالَّذِي مَنِيَّ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
قَالَ ذُو الْجَهْلِ قَدْ حَلُمْتُ وَلَا أَعْرِ
لَا ثَمَّ لَسِي بِجَهْلِهِ وَلَمَّا ذَا
/ سَوْفَ آسَى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَأَبْكِي

[٥٧/١٤]

وقال فيها أيضاً:

لَكَ نَفْسٌ مُوَاتِيَةٌ
أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا تَعُذْ
لَيْسَ بَرَقٌ يَكُونُ أَخَذَ
خُتِّ سِرِّي وَلَمْ أَخُذْ
وَالْمَنَائِيَا مُعَادِيَةٌ^(١)
لِهَوَى الْبَيْضِ ثَانِيَةٌ
لَبَّ مِنْ بَرَقٍ غَانِيَةٌ^(٢)
بِكَ فَمُوتِي عَلَانِيَةٌ

قال: وبلغ السلطان الخبر فطلبه، فخرج إلى دمشق فأقام بها أياماً. وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنه، وتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جانيته^(٣) فقدم حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه فندم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رَمَقَهُ، وقال في نَدَمِهِ على قتلها:

يَا طَلَمَةَ طَلَعَ الْحِمَامُ عَلَيْهَا
رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَّالَمَا
قَدَبَاتٍ مَيِّفِي فِي مَجَالٍ وَشَاحِهَا
فَوَحَقَّ نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ الْحَصَى
مَا كَانَ قَتْلُهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ
لَكِنْ ضَنْتُ عَلَى الْعَيْسُونِ بِحُسْنِهَا
وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى يَدِيهَا
رَوَى الْهَوَى شَفَتِيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا
وَمَدَامَعِي تَجْرِي عَلَى خَدَيْهَا^(٤)
شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا
أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ عَلَيْهَا
وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ إِلَيْهَا^(٥)

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن.

/ أخبرني بها محمد بن زكريا الصخاف قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور قال: [٥٨/١٤]

(١) مواتية: موافقة مطاوعة.

(٢) أخلب: أخدع، من حلبه كتصره: خدعه؛ ويقال: برق خلب (كسكر): أي مطمع مخلف. والغانية: المرأة التي تطلب ولا تطلب، أو الغنية بحسنها عن الزينة.

(٣) في الأصول: «خيانته» تصحيف.

(٤) الشواح: أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها. وفي «تاريخ ابن عساكر» «في مجال خناقها».

(٥) في «وفيات الأعيان وابن عساكر»:

لكن بخلت على سواي بحبها وأنفت من نظر الغلام إليها

كان من غَطَفَانَ رجلٌ يقال له السَّلَيْكُ بن مُجَمِّع، وكان من الفُرْسَان، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم، وكان يهوى / ابنة عمِّ له، وكان خطبها مدةً فمنعها أبوها، ثم زوجه إياها خوفاً منه، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوعٍ إلى عشيرته، فلقبه من بني فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلبه بذخْلِ^(١)، فحلَّقوا^(٢) عليه، وقتلهم وقتل منهم عدداً، وأثنى بالجراح آخرين، وأثنى هو حتى أيقن بالموت. فعاد إليها فقال: ما أسمح بك نفساً لهؤلاء، وإنِّي أُحِبُّ أن أقدمك قبلي. قالت: افعل، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك. فضربها بسيفه حتى قتلها، وأنشأ يقول:

* يا طلعة طلع الحمام عليها *

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن، ثم نزل إليها فتمرغ في دمها وتخصَّب به، ثم تقدَّم فقاتل حتى قُتل. وبلغ قومه خبره، فحملوه وابنة عمِّه فدفنوها. قال: وحفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها. قال: وبلغني أن قومه أدركوه وبه رمق، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات، فنقلوها وحفظوها عنه، وبقي عندهم يوماً ثم مات.

وقال ديك الجن في هذه المقتولة^(٣):

أشفقتُ أن يردَّ الزمانُ بغيره / قمرٌ أنا استخرجته من دججه
أو ابتلى بعد الوصالِ بهجره / فقتله وله عليّ كرامة
لليالي وجلوتيه من خذره / عهدي به ميتاً كالحسن نائم
ملء الحشى وله الفؤادُ بأسره / لو كان يذري الميت ماذا بعده
والحزن يشفعُ عبرتي في نخره / غصصٌ تكادُ تفيظُ منها نفسه
بالحي حلَّ بكى له في قبره / وقال فيها أيضاً:

مُفارق خُلَّةٍ من بعد عهد^(٤) / أساكن حُفرةٍ وقرارٍ لخمد
بحقِّ الوُدِّ كيف ظللتُ بغيري / أجنبي إن قذرت على جوابي
وأحشائي وأضلاعي وكبدي؟ / وابن حللت بعد حلول قلبي
إذا استعبرت^(٥) في الظلمات وحدي / أما والله لو عاينت وجدي

(١) الذحل: الثأر، وفي ب، س «بدم».

(٢) في الأصول: «فحلَّقوا» وأراه محرفاً.

(٣) في «وفيات الأعيان»: «ويروي أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضاً، وصنع فيه أبياتاً وهي... وأورد الأبيات». وفي «ابن عساكر»: «وكان له غلام كالشمس وجارية كالقمر، وكان يهواهما جميعاً، فدخل يوماً منزله، فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله، فشذَّ عليهما فقتلها، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً، ثم قال: يا طلعة طلع الحمام... الأبيات، ثم جلس عند رأس الغلام فبكاها وأنشأ يقول: أشفقت أن يرد الزمان... الأبيات».

(٤) فاظلت نفسه تفيظ: خرجت روحه، مثل فاضت تفيض؛ وكرهها بعضهم، وزعم أبو عبيدة أنها لغة لبعض تميم.

(٥) الخلة: الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع.

(٦) استعبر: جرت عبرته.

وَجَدْتُ نَفْسِي وَعَلَا زَفِيرِي
إِذَا لَعَلِمْتُ أَنِّي عَنْ قَرِيبٍ
وَيَغْلِبُنِي السَّفِيهُ عَلَى بُكَائِي
يَقُولُ قَتَلْتَهَا سَفَهًا وَجَهْلًا
كَصِيَّةِ سَادِ الطُّيُورِ لَهُ انْتِحَابٌ

وقال فيها أيضاً:

مَا لِمَرِيءٍ يَبِيدُ الدَّمْعُ الْخَشُونَ يَدُ
طُوبَى لِأَحْبَابِ أَقْوَامٍ أَصَابَهُمْ
/ وَحَقُّهُمْ إِنَّهُ حَقٌّ أَضْرَبُ بِهِ
يَا دَهْرُ إِنَّكَ مَسْقِيٌّ بِكَاسِهِمْ
/ الْخَلْقُ مَا ضُؤُونَ وَالْأَيَّامُ تَتَّبِعُهُمْ

وقال فيها:

أَمَا أَنْ لِلطَّيِّفِ أَنْ يَأْتِيَا
وَأَنْ يَنْظُرُقَ الْوَطَنَ الدَّائِيَا
وَأَنْ يَخْسِبُ رَيْبَ الزُّمَانِ
وَأَنْ يَتَرَكُمْنِي جَسَداً بِأَلِيَا
سَأَشْكُرُ ذَلِكَ لَنَايَا
وَقَدْ كُنْتُ أَنْشُرُهُ ضَاكِحاً
وَأَنْ يَطْلُقَ الْوَطَنَ الدَّائِيَا
وَأَنْ يَتَرَكُمْنِي جَسَداً بِأَلِيَا
جَمِيلَ الصَّفَاءِ وَلَا قَالِيَا^(٣)
فَقَدْ صِرْتُ أَنْشُرُهُ بِأَكِيَا

وقال أيضاً:

قُلْ لِمَنْ كَانَ^(٤) وَجْهُهُ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ فِي حُسْنِهِ وَبَذَرِ مُنِيرٍ
كُنْتُ زَيْنَ الْأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ
بِأَبِي أَنْتَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَوْتِ
خُتْنِي فِي الْمَغِيبِ وَالْخَوْنُ نُكْرٌ
فَشَفَانِي سَقِيٍّ وَأَسْرَعَ فِي حَزْزِ الثَّرَاقِي قَطْعاً وَحَزْزِ الثُّحُورِ^(٦)
ثُمَّ [قَدْ]^(٥) صِرْتُ زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ
وَتَحْتَ الثَّرَى وَيَوْمَ الثُّشُورِ
وَذِمِيمٍ فِي سَالِفَاتِ الدَّهْورِ

(١) في الأصول «لا ينفذ» وهو تحريف.

(٢) زيادة يستقيم بها الكلام. وقد جاء هذا الشطر في س: «نفنى ولم يبق إلا الواحد الصمد».

(٣) قالياً: مبغضاً كارهاً.

(٤) في ب، ج: «لمن قال».

(٥) زيادة يستقيم بها الشعر. وقد جاء هذا الشطر في س: «ولقد صرت...».

(٦) في الأصول: «فسقاني» وهو تصحيف.

قوله في غلامه الذي يقال له بكر

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال:

كان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حِمَصَ يقال له بكر، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدثان إلى أن غاب القمر:

دَعِ الْبَذْرَ فَلْيَتَغَرَّبْ فَأَنْتَ لَنَا بَذْرُ / إذا ما تجلَّى مِنْ مَحَاسِنِكَ الْفَجْرُ

/ إذا ما انقضى سِخْرُ الَّذِينَ يَبْلِي / فطَرَفَكَ لِي سِخْرٌ وَرِيقُكَ لِي خَمْرُ^(١)

[٦١/١٤]

ولو قيل لي قُمْ فاذْغُ أَحْسَنَ مَنْ تَرَى / لصَحْتُ بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا بَكْرُ يَا بَكْرُ

قال: وكان هذا الغلام يُعْرِفُ بِبَكْرِ بْنِ دَهْمَزْد. قال: وكان شديد التمتع والتصوُّن، فاحتال قومٌ من أهل حِمَصَ

فأخرجوه إلى مُنْتَزَه^(٢) لهم يعرف بميماس، فأسكروه وفَسَقُوا به جميعاً، وبلغ ديك الجن الخبر فقال فيه:قُلْ لِهَضِيمِ الْكَشْحِ مِيَّاسٍ / انْتَقَضَ الْعَهْدُ مِنَ النَّاسِ^(٣)يَا طَلْعَةَ الْآسِ الَّتِي لَمْ تَمِذْ / إِلَّا أَذَلَّتْ قُضْبَ الْآسِ^(٤)وَنَفَقَتْ بِالْكَاسِ وَشَرَّابِهَا / وَخَفْتُ أَمْثَالِكَ فِي الْكَاسِ^(٥)وَحَالَ مِيَّاسٌ وَيَا بَعْدَمَا / بَيْنَ مَغِيثِكَ وَمِيَّاسِ^(٦)تَقْطِيعُ أَنْفَاسِكَ فِي أَثَرِهِمْ / وَمَلَكِهِمْ قَطَّعَ أَنْفَاسِي^(٧)

لَا بَأْسَ مَوْلَايَ، عَلَى أَنْهَا / نَهَيْتُ الْمَكْرُوهَ وَالْبَاسِ

هِيَ اللَّيَالِي وَلَهَا دَوْلَةٌ / وَوَحْشَةٌ مِّنْ بَعْدِ إِيْنَاسِ

بَيْنَا أَنْفَثْتُ وَعَلَّثْتُ بِالْفَتَى / إِذْ قِيلَ حَطَّثْهُ عَلَى الرَّاسِ

/ فَالَهُ وَدَّعْ عَنْكَ أَحَادِيثَهُم / سَبَّحِ الذَّاكِرَ كَالنَّاسِي

[٦٢/١٤]

وقال فيه أيضاً:

يَا بَكْرُ مَا فَعَلْتُ بِكَ الْأَرْطَالَ / يَا ذَاكَرُ مَا فَعَلْتُ بِكَ الْأَيَّامَ^(٨)

(١) بابل: مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر.

(٢) في الأصول «منتزه» وهو تصحيف. جاء في «المصباح المنير» وقال ابن قتيبة: «ذهب بعض أهل العلم في قول الناس: خرجوا

ينتزهون إلى البساتين أنه غلط وهو عندي ليس بغلط؛ لأن البساتين في كل بلد إنما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت، ثم كثر هذا حتى استعملت التزهة في الخضر والجنان».

(٣) هضيم الكشح: ضامر الخصر. ومياس: متبختر.

(٤) الآس: شجر عطر الرائحة. وماد يميد: تحرك وتبختر.

(٥) في الأصول «وحيف» تصحيف.

(٦) كذا في الأصول: ولا معنى له. ولعل صوابه: «...» ويا بعده * بين مغيثك ومعاس ومعاس: جمع ماعس، من معس المرأة:

وطنها. أي حال ابتعادك في هذا المنتزه بين المغِيثين لك وبين الفانكين بك.

(٧) الأثر: إكثار الفعل من ضراب الناقة؛ وقد أثرها كتصر. وملكهم: من ملك المعجين كضرب ملكاً: أنعم عجنه. كملكه وأملكه.

(٨) في جـ، ب: «بل يا دار» ولا يستقيم به الوزن. الأبطال: يعني بها أبطال الخمر. ومن تعبيرهم المألوف في هذا الصدد قولهم في

الشارب: «شرب وطلا». قال أحمد بن يوسف من أبيات:

فَعَيْنُ الرَّايِ أَنْ تَأْتِي بِرَطْلٍ / فَتَشْرِبُ وَتَبْعُو لِي بِرَطْلٍ

١٤٧ / في الدارِ بَعْدَ بَقِيَّةٍ نَسَامُهَا
١٢ إذ ليس فيك بَقِيَّةٌ تُسَامُ (١)
عَرِمَ الزَّمَانُ عَلَى الدَّيَارِ بِرَغْمِهِمْ
وعليك أيضاً لِلزَّمَانِ عُرَامُ (٢)
شَغَلَ الزَّمَانُ كَرَاكَ فِي دِيَوَانِهِ
فَتَفَرَّغَتْ لِدَوَاتِكَ الْأَقْلَامُ (٣)
قال فيه أيضاً:

قُولَا لِكَرِ بْنِ دَهْمَزْدٍ إِذَا اعْتَكَرَتْ
عَسَاكِرُ اللَّيْلِ بَيْنَ الطَّاسِ وَالْجَامِ (٤)
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ الْبَغْيَ مَهْلِكَةٌ
وَالْبَغْيُ وَالْعُجْبُ إِفْسَادٌ لِأَقْوَامِ
قَدْ كُنْتَ تَفَرِّقُ مِنْ سَهْمٍ بَغَانِيَةٍ
فَصِرْتَ غَيْرَ رَمِيمٍ رُقْعَةَ الرَّمِي (٥)
وَكُنْتَ تَفَرِّعُ مِنْ لَفْسٍ وَمِنْ قَبْلِ
فَقَدْ ذَلَّلْتَ لِإِسْرَاجٍ وَالْجَامِ
إِنْ تَذَمَّ فَخَذَاكَ مِنْ رَكْضٍ فَرُبَّمَا
أُفْسِي وَقَلْبِي عَلَيْكَ الْمُوجَعُ الدَّامِي

[٦٣/١٤]

/ أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية، وبها أنشدني قصيدة البُخْتَرِيِّ:

مَلَامَكَ إِنَّهُ عَهْدٌ قَرِيبُ
وَرُزْءٌ مَا انْقَضَتْ مِنْهُ التُّدُوبُ (٦)

وأنشدني لديك الجِنُّ يُعَزِّي جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيَّ:

تَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ لَا تَغْفُلُ
وَالدَّهْرُ لَا يَسْلَمُ مِنْ صَرْفِهِ
يَتَّخِذُ الشُّعْرَى شِعَاراً لَهُ
كَأَنَّهُ بَيْنَ شَنَاظِيرِهَا
وَلَا حَبَابٌ صَلَّتَانَ الشُّرَى
وَلَا لَنَا مِنْ زَمَنِ مَوِئِلُ
أَعْصَمُ فِي الْقُنَّةِ مُسْتَوْعِلُ (٧)
كَأَنَّمَا الْأَفُقُ لَهُ مَنْزِلُ (٨)
بَارِقَةٌ تَكْمُنُ أَوْ تَمْثُلُ (٩)
أَرْقَمُ لَا يَعْرِفُ مَا يَجْهَلُ (١٠)

(١) السوم: عرض السلعة على البيع، واستامه إياها: غالى.

(٢) عرم (كنصر وضرب وعلم وكرم عرامة وعراما): اشتد. وفي الأصول «غرم... عزم... غرام» وهو تصحيف.

(٣) في س «ففرقت» وهو تحريف، وكنى بالدواة والأقلام عما يستقبح ذكره.

(٤) اعتكر الليل: اشتد سواده والتبس، واعتكروا: اختلطوا في الحرب، واعتكر العسكر: رجع بعضهم على بعض فلم يقدر على عدهم. والجام: إناء من فضا.

(٥) تفرق: تفرع. وأراد بسهم الغانية: عينها. غير رميم: غير بال، من رم العظم (كضرب) إذا بلى وربما كان غير ذميم أو «دميم».

(٦) البيت مطلع قصيدة للبختري يرثي غلامه قيصر. ملامك: أي دع ملامك واكفف. وفي «الديوان» «ما عفت منه الندوب» وعفا الأثر: درس وأحى.

(٧) صرف الدهر: حدثانه ونوائبه. والأعصم من الوعول: ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر. والقنة: أعلى الجبل كالقطة. واستوعل الوعل: إذا ذهب في قلة الجبل.

(٨) الشعري: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، وهما شعريان: الشعري العبور، والشعري الغميصاء وفي ب، س «الشعر» وهو تحريف. وأصل الشعر: ما ولى شعر الجسد من الثياب.

(٩) شناظير الجبل: أطرافه وحروفه، الواحد شنظير كخنزير.

(١٠) الحباب: الحية، وهو معطوف على أعصم. والصلتان: الشيطان الحديد الفؤاد من الخيل. والسرى: سير عامة الليل. والأرقم: أنخبث الحيات وأظليها للناس.

نَفْضَاضٌ فَيَفَاءُ يَرَى أَنَّهُ بِالرَّمْلِ غَانٍ وَهُوَ الْمُرْمِلُ^(١)
يَطْلُبُ مِنْ فَاجِئَةٍ مَغْفَلًا وَهُوَ لَمَّا يَطْلُبُ لَا يَغْفِلُ
وَالدَّهْرُ لَا يَسْلَمُ مِنْ صَرْفِهِ مُسَرَّزِلٌ بِالسُّرْدِ مُسْتَبِيلُ^(٢)
/ وَلَا عَقَبَاءُ السَّلَامَى لَهَا^(٣) فِي كُلِّ أَفْقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ
فَتَخَاءُ فِي الْجَوْ خَذَارِيَّةٌ كَالْغَيْمِ وَالْغَيْمُ لَهَا مُثْقِلُ^(٤)
أَمْسُنْ مَنْ كَانَ لَصَرْفِ الرَّدَى أَنْزَلَهَا مِنْ جَوِّهَا مُنْزِلُ
وَالدَّفْرُ لَا يَخْجُبُهُ مَانِعٌ يَحْجُبُهُ الْعَامِلُ وَالْمُنْصِلُ^(٥)
يُضْغِي جَدِيدَاهُ إِلَى حُكْمِهِ وَيَقْعَلُ الدَّهْرُ بِمَا يَقْعَلُ^(٦)
كَأَنَّهُ مِنْ فَرْطِ عِزِّهِ أَشْوَشُ إِذَا قَبِلَ أَوْ أَقْبِلُ^(٧)

[٦٤/١٤]

الأقبل: الذي في عينه قبل، وهو دون الحول.

فِي حَسْبٍ أَوْفَى، لَهُ جَحْفَلُ يَقْدُمُهُ مِنْ رَأْيِهِ جَحْفَلُ^(٨)
بَيْنَا عَلَى ذَلِكَ إِذْ عَرَّشْتُ فِي عَرْشِهِ دَاهِيَةٌ ضَبِيلُ^(٩)
إِنْ يَكُ فِي الْعِزِّ لَهُ مَشَقَصٌ مَاضٍ فَقَدْ تَاحَ لَهُ مَقْتَلُ^(١٠)
/ جَادَ عَلَى قَبْرِكَ مِنْ مَيِّتٍ بِالرُّوحِ رَبِّ لَسْكَ لَا يَبْخَلُ^(١١)
/ وَحَثَّتِ الْمُزْنَ عَلَى قَبْرِهِ بِعَارِضِ نَجْوَتِهِ مَحْفَلُ^(١٢)

[٦٥/١٤]

١٤٨
١٢

(١) خية نفضاض ونفضاضة: لا تستقر في مكان، أو إذا نهشت قتلت من ساعتها. والفيفاء والمغافزة: غان: غني. وفي الأصول: «غان» تصحيف. مرمِل: من أرمل إذا فقد زاده.

(٢) السرد هنا: الدرع المسروقة أي المنسوجة. وسريله: ألبسه السريال، وهو الدرع أو كل ما لبس.

(٣) في «معجم البلدان» السلمي: اسم موضع مضافاً إليه «ذو». والمعروف في كلامهم «عقاب ملاع» (كسحاب وكتاب)، وعقاب عقبة وعبقاة وبعنقاة: ذات مخالب حداد، ويقال: عقاب ملاع بالإضافة، وعقاب ملاع وملوع كصبور على النعت، أي خفيفة الضرب والاختطاف، وملاع قيل هو من نعت العقاب، وقيل اسم هضبة عقبانها أخبث العقبان، وقيل أرض أضيفت إليها عقاب في قولهم: أودت بهم عقاب ملاع، وقيل المغافزة لا نبات بها. والعرب تقول في أمثالها: «أبصر من عقاب ملاع»؛ لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال. والعلق: الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد، يريد به دم الفرائس التي تصرعها العقاب.

(٤) الفتخاء من العقبان: اللينة الجناح. وخذارية: سوداء.

(٥) مانع: أي سيد مسلط مانع لحوزته حام لذاره. وعامل الرمح وعاملته: صدره. والمنصل: السيف.

(٦) الجديدان: الليل والنهار. والضمير في «جديدها» للدهر، وفي «حكمه» لمانع وكذا في «يفعل» الثاني.

(٧) الأشوس: الذي ينظر بمؤخر العين تكبراً أو تنيظاً.

(٨) في ب وس. «في حب» وفي كل الأصول: «فله جحفل»: وهو تحريف.

(٩) عرشت: بنت عريشاً. والضليل: الداهية.

(١٠) المشقص: النصل العريض أو الطويل. وتاح له الشيء: يتيح ويتروح: تهيأ.

(١١) الروح: الرحمة.

(١٢) المزن: السحاب. والعارضي: السحاب الذي يعتري في أفق السماء. والنجوة: ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل. والمحفل: مجتمع الماء حيث يحفل أي يجتمع.

غَيْثٌ تَرَى الْأَرْضَ عَلَى وَبْلِهِ تَضَحُّكَ إِلَّا أَنَّهُ يَهْمِلُ^(١)
يَصِلُ وَالْأَرْضُ تُصَلِّي لَه مِنْ صَلَوَاتٍ مَعَهُ تَسْأَلُ^(٢)
أَنْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ عَبَّاسُهَا إِذَا اسْتَطَارَ الْحَدَثُ الْمُغْضِلُ^(٣)
وَأَنْتَ يَنْبُوعُ أَفَانِيْنِهَا إِذَا هُمْ فِي سَنَةِ أَمَحَلُوا
وَأَنْتَ عَلَامٌ غُيُوبِ الثَّأ يَوْمًا إِذَا نَسَّأَلُ أَوْ نُسَّأَلُ^(٤)
نَحْنُ نُعْزِيكَ وَمَنْكَ الْهُدَى مُسْتَخْرِجُ الثَّوْرِ مُسْتَقْبَلُ^(٥)
نَقُولُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الَّذِي نَأْوِي إِلَيْهِ وَبِهِ نَعْقِلُ
نَحْنُ فِدَاءُ لَكَ مِنْ أُمَّةٍ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ وَالْأَوَّلُ
إِذَا غَفَا عَنْكَ وَأُوذِيَ بِهَا ذَا الدَّهْرِ فَهُوَ الْمُخْسِنُ الْمُجْمِلُ^(٦)

رثاؤه جعفر بن علي الهاشمي

قال أبو المعتصم: ثم مات جعفر بن علي الهاشمي، فرثاه ديك الجن فقال:

على هذه كانت تدور النوائبُ وفي كل جمع للذهابِ مَذهبُ
/ نزلنا على حُكْمِ الزَّمانِ وأمره وهل يقبلُ النِّصْفَ الْأَلَدُ الْمُشَاغِبُ؟^(٧)
وتَضَحُّكَ سِنَّ الْمَرْءِ وَالْقَلْبُ مُوجِعُ ويرضى الفتى عن دَفْره وهو عاتبُ
أَلَا أَيُّهَا^(٨) الرُّكْبَانُ وَالرُّدُّ وَاجِبُ قِفُوا حَدِّثُونَا مَا تَقُولُ النَّوَادِبُ
إِلَى أَيِّ فِتْيَانِ النَّدَى قَصَدَ الرَّدَى وَأَيُّهُمْ نَابَتْ حِمَاهُ النَّوَائِبُ؟
فَيَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ كَمْ رُدَّ رَاغِبُ لِفَقْدِكَ مَلْهُوفاً وَكَمْ جُبَّ غَارِبُ^(٩)
وَيَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ إِنَّ مَنَّا كِبَاً تَسْوٍ بِمَا حَمَلَتْهَا لَنَوَاكِبُ
فِي قَبْرِهِ جُذُ كُلِّ قَبْرِ بِجَوْدِهِ ففِيكَ سَمَاءٌ ثَرَّةٌ وَسَحَابٌ^(١٠)

(١) الوبل: المطر الشديد الضخم القطر. وتضحك: تفتح فيها الزهر، وهملت السماء: دام مطرها في سكون.

(٢) في الأصول «بصلي» وهو تحريف. ويصل: يصوت. وتصلى له، أي تصل لأجله شكراً لله. «معه تسأل» كذا في الأصول، ولعله «دمعه تسأل» أي تسأل انهلاله وانصبابه.

(٣) استطار: انتشر وتفرق.

(٤) في ب، س: «غوب الثناء» وفي جـ «عيوب الثناء» وهو تصحيف: وثنا الحديث والخبر ثنوا: حدث به وأشاعه وأظهره، والاسم منه الثنا. وفي الأصول «إذا نسأل أو تسأل» وهو تصحيف.

(٥) في الأصول: «نحن نجزيك» تحريف، وفي «المثل الثائر» - باب الفرقات ص ٤٦٨: - «والضير» بدل «والنور».

(٦) في طبعة بولاق «عفا». وغفا: نام نومة خفيفة.

(٧) النصف (يفتح النون وضمها وكسرها): الإنصاف. والألد: الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق.

(٨) في الأصول: «إنها»، وهو تصحيف.

(٩) في الأصول: «حب عارب» تصحيف. والغارب: الكاهل.

(١٠) ثرة: غزيرة. والجود: المطر الغزير.

فإنك لو تذرني بما فيك من علأ
أخأ كنت أبكيه دماً وهو نائم
فمات ولا صبري على الأجر واقف
أسمعني لأحظي فيك بالأجر إنك
وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما
يقولون: مقدار على المرء واجب
هو القلب لما حُم يوم ابن أمه
ترشفت أئامي وهن كوالح
ودفعت في صدر الزمان وتخره
وقلت له: خل الجواد لقومه
/ فوالله إخلاصاً من القول صادقاً
لو أن يدي كانت شفاءك أو دمي
/ لسلمت تسليم الرضا وتخذتها
فتى كان مثل السيف من حيث جنته
فتى همة حمد على الدهر رابع
شمائل إن ينهذ فهن مشاهد
بكأك أخ لم تخوه بقرابة
وأظلمت الدنيا التي كنت جاراها
يُرد نيران المصائب أنسي

[٦٧/١٤]

١٤٩
١٢

أبيات له في أهل حمص وقد عزلوا إمام مسجدهم

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر:

إن خطيب أهل حمص كان يصلي على النبي ﷺ على المنبر ثلاث مرات في خطبته، وكان أهل حمص كلهم من اليمن، لم يكن فيهم من مضر إلا ثلاثة أبيات، فتعصبوا على الإمام وعزلوه؛ فقال ديك الجح:

سَمِعُوا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ تَوَالِي
ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى الصَّلَاةِ إِمَامُهُمْ
فَتَفَرَّقُوا شِيعاً وَقَالُوا: لَا لَا
فَتَحَزَّبُوا وَرَمَى الرَّجَالُ رَجَالاً

(١) ذراك: كنفك وظلك.

(٢) كذا في جد. وفي ب، س: «وهل نذ فاردده» وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «لو أن دمي كانت شفاؤك» وهو تحريف. قطعه.

يا آلَ حِمْصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عَارِهَا خِزْيًا يَحِلُّ عَلَيْكُمْ وَوَيْلًا
شَاهَتْ وَجُوهُكُمْ وَجُوهًا طَالَمَا رَغِمَتْ مَعَاطِشُهَا وَسَاءَتْ حَالًا^(١)

[٦٨/١٤]

١ / قصيد

أَيَابُنَّةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَابُنَّةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِسِي لَهُ أَكْبَلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَخُدِي
عَرُوضَهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِيِّ ، والغناء لعلوَيْه ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى .



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

[٦٩/١٤]

/ أخبار قيس بن عاصم ونسبه

نسبه

هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس. واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ويكنى أبا علي. وأمه أم أصغر بنت خليفة بن جرول بن منقر.

بعض صفاته

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات، مظفر في غزواته. أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما. وهو أحد من واد بناته^(١) في الجاهلية، وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي ﷺ، وصحبه في حياته، وعمر بعده زماناً، وروى عنه عدة أحاديث.

واده بناته في الجاهلية

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصبّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

وقد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ، فسأله بعض الأنصار عما يتحدّث به عنه من الموءودات التي وأدهن من بناته؛ فأخبر أنه ما ولد له بنت قط إلا وأدها. ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحذوث والفضيحة في البنات، فما ولد لي بنت قط إلا وأدتها، وما / رجعت منهن موءودة قط إلا بُنيّة لي ولدتها أمها وأنا في سفر، فدفعنها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم؛ وقدّمتُ فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميّناً. ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويقعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرايتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق^(٢) ونظمت عليها ودعاً، والبستها قلادة جزع^(٣)، وجعلت في عنقها مخنقة^(٤) / بلع: فقلت، من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها وكيسها؟^(٥) فبكث ثم قالت: هذه ابنتك، كنت أخبرتك أنني ولدت ولداً ميّناً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت! ما تصنع بي؟ وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت! أمعطني أنت بالتراب؟! أثاركي أنت وحدي ومنصرف عني؟! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريها وانقطع صوتها، فما رجعت أحداً ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبي ﷺ ثم قال: «إن هذه لقسوة،

(١) واد ابنته: دفنها حية.

(٢) الخلوق: ضرب من الطيب.

(٣) الجزع بالفتح (ويكسر): الخرز اليماني الصيني، فيه سواد وبياض، تشبه به الأعين.

(٤) المخنقة: القلادة.

(٥) الكيس: العقل.

(٦) يا أبت: التاء فيه عوض من ياء المتكلم، ويجوز فيها الفتح والكسر، وسمع فيها الضم أيضاً. قال في «التسهيل»: «وجعلها هاء في الخط والوقف جائز»، ورسمت في المصحف بالتاء؛ قال الدماميني: «فرسها بالتاء أولاً».

وإنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ^(١) أو كما قال ﷺ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني عمي أبو فراس محمد بن فراس عن عمر بن أبي بكار عن شيخ من بني تميم عن أبي هريرة:

أن قيس بن عاصم دخل على رسول الله ﷺ وفي حجره بعض بناته يشمها، فقال له: ما هذه السخلة^(٢) تشمها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد ولدت لي بنون ووأدت بنيات ما شممتُ منهن أنثى ولا ذكراً قط. فقال رسول الله ﷺ: «فهل إلا أن يتزعج الله الرحمة من قلبك»^(٣)!

/ سبب وأده لبناته

[٧١/١٤]

قال أحمد بن الهيثم قال عمي فحدثني عبد الله بن الأثيم:

أن سبب وأد قيس بناته أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد فسبى منهم نساء واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأة، خالها قيس بن عاصم، وهي رميم بنت أحمز^(٤) بن جندل السعدي، وأنها أخت قيس. فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يقدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها. فخيرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس فوآد كل بنت، وجعل ذلك سنة في كل بنت تولد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كل سيد يولد له بنت يكدّها خوفاً من الفضيحة.

خبره مع زوجه منقوسة بنت زيد الفوارس

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال:

نزّوج قيس بن عاصم المنقري منقوسة بنت زيد الفوارس الضبي، وأتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام، فقال: فأين أكيلي؟ فلم تعلم ما يريد؛ فأنشأ يقول:

أيا بنة عبد الله وأبنة مالك

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له

/ أخاً طارقاً أو جار بيت فإئني

ويا بنة ذي البرذنين والفرس الورد^(٥)

أكيلاً فإني لست أكله وخدي

أخاف ملامات الأحاديث من بعدي

[٧٢/١٤]

(١) روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم». «إرشاد الساري» للشرح صحيح البخاري (٩: ٢٠).

(٢) السخلة: ولد الشاة.

(٣) روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان! فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»! «إرشاد الساري» (٩: ٢١).

(٤) في الأصول: «بنت أحمز»، وهو تحريف.

(٥) ذو البردين: هو عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعوا عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء، فأخرج بردين وقال: ليقيم أعز العرب فليبسهما، فقام عامر؛ فقال له: أنت أعز العرب؟ قال: نعم؛ لأن العز كله في معد ثم نزار ثم مضر ثم تميم ثم سعد ثم كعب؛ فمن أنكرك ذلك فليناظر، فسكتوا. فقال: هذه قبيلتك، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك؟ فقال: أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، ثم وضع قدمه على الأرض وقال: من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل، فلم يبق إليه أحد؛ فأخذ البردين وانصرف. «تاج العروس» (مادة برد). والفرس الورد: الذي بين الكميت والأشقر.

وَأُنِّي لِعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ وَمَا بِي إِلَّا تَلَكُّ مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ^(١)
 قال: فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكبلاً، وأنشأت تقول له:
 / أَبَى الْمَرْءُ قَيْسٌ أَنْ يَذُوقَ طَعَامَهُ / بغيرِ أَكْبَلٍ إِنَّهُ لَكَسْرِيْمُ^{١٥١}
 فَبُورِئَتْ حَيًّا يَا أَخَا الْجُودِ وَالنَّدَى / وَبُورِئَتْ مَيْتًا قَدْ حَوَتْكَ رُجُومُ^(٢)

آيات للعباس بن مرداس يمدح فيها قيساً ويهجو جويناً الطائي

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ:

جَاوَزَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ مِنْ قُضَاعَةَ قَيْسَ بْنِ عَاصِمٍ، فَأَحْسَنَ جَوَارَهُ وَلَمْ يَرَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا حَتَّى فَارَقَهُ، ثُمَّ نَزَلَ
 عِنْدَ جُوَيْنِ الطَّائِيِّ أَبِي عَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ طَيْءٍ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ
 يَهْجُوهُمْ وَيَمْدَحُ قَيْسًا:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْفَى الْجَوَادُ ابْنَ عَاصِمٍ / وَأَخْصَنَ جَارًا يَوْمَ يَخْدُجُ بَكْرَةَ^(٣)
 أَقَامَ عَسْرِيًّا مُتَدَي الْقَوْمِ عِنْدَهُ / فَلَمْ يَرَ مَسْوَءَاتٍ وَلَمْ يَخْشَ غَدْرَهُ^(٤)
 / أَقَامَ يَسْعِدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ آمِنًا / وَيَأْكُلُ وَنُطَاهَا وَيَرْبِضُ حَجْرَهُ^(٥)
 فَلِإِنَّكَ إِذْ بَادَلْتَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ / جُوَيْنًا لِمُخْتَارِ الْمَنَازِلِ شَرَّهُ^(٦)
 فَاصْبَحَ يَحْسَدُو رَحْلَهُ بِمَفَازَةٍ / وَمَاذَا عَدَا جَارًا كَرِيمًا وَأُسْرَهُ^(٧)
 يَقْلُّ بِأَرْضِ الْغَدْرِ يَأْكُلُ عَهْدَهُ / جُوَيْنٌ وَشَمْخٌ خَارِيْسِينَ بِوَجْرَهُ^(٨)
 يُذِمَّانِ بِالْأَزْوَادِ وَالزَّادُ مُحَرَّمٌ / سَرُوقَانِ مِنْ عِرْقِ شُرُورٍ وَفَجْرَهُ^(٩)

[٧٣/١٤]

- (١) وردت هذه الآيات في «الكامل» للمبرد ١: ٢٧٩ ببعض تغيير في الرواية وكذا في «أشعار الحماسة» ج ٢: ٢٤٤ فانظرها هناك.
 (٢) رجوم: تعني حجارة القبر. والذي في كتب اللغة: «الرجمة بالضم والفتح: القبر، والجمع رجام، ككتاب، وهو الرجم، كسبب، والجمع أرجام، والرجم والرجام: الحجارة المجموعة على القبر، والرجم، كشمس: اسم لما يرجم به الشيء المرجوم والجمع رجوم» وليس فيها «رجوم» بمعنى حجارة القبر.
 (٣) في الأصول: «وأحسن جدًا» وهو تحريف، وأحصنه: منعه وحفظه. وحديج البعير كضرب: شدّ عليه الحديج والأداة ووسقه. والحديج: الحمل، وزنا ومعنى. والبكر: الفتى من الإبل.
 (٤) المتدّي: مجلس القوم ومتحدثهم. وغدره: يجوز أن يكون بالناء وبالهاء.
 (٥) بسعد: أي بني سعد وهم قوم قيس بن عاصم. ويأكل وسطاها، من أمثال العرب: «يرتعي وسطاً ويربض حجرة» والوسط من المرعى: خياره، أي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير، فإذا أصابهم شر اعتزلهم. وربض حجرة أي ناحية. انظر «لسان العرب» (وسط وحجر). ويروى هذا المثل أيضاً: «يأكل خضرة ويربض حجرة» أي يأكل من الروضة ويربض ناحية. انظر «مجمع الأمثال» للميداني ٢: ١٥٠ - وقد ضمن الشاعر البيت المثل فقال: ويأكل وسطاها أي وسطى مأكلاها، ووسطى مؤنث أوسط، وأوسط الشيء ووسطه (بالتحريك): أعدله وخياره، أي يأكل خير مأكلاها وأطيبها.
 (٦) شرة: مفعول مختار، وشرة وشري أيضاً كفضلي مؤنث شر.
 (٧) حدا البعير: ساقه، والمفازة: الفلاة لا ماء بها. وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم.
 (٨) يأكل عهده: يريد «ينكت» من قولهم أكل فلان عمره: أفناه. وشَمْخٌ: اسم رجل. والخارب: اللص، وحجرة: اسم موضع.
 (٩) أذم به: تهاون، والأزواد جمع زاد. المحرم: الحرمة التي لا يحل انتهاكها، والعرق: الأصل. والفجرة: الفجور، ويقال: حلف فلان على فجرة، واشتمل على فجرة: إذا ركب أمراً قبيحاً من يمين كاذبة أو زنا أو كذب، وفي س «من مرق سروق وفخره» وفي ب، ح «من عرق سروق وفخره» وهو تحريف.

حلمه وعفوه عن ابن أخيه وقد قتل ابنه

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِي قال حَدَّثَنِي دَمَاز عن أبي عبيدة قال، قال الأحنف:

/ ما تعلّمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، فقليل له: وكيف ذلك يا أبا بحر؟ فقال: قتل ابن أخ له [٧٤/١٤] ابناً له فأتى بابن أخيه مكتوفاً يقاد إليه، فقال: دَعَرْتُم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بُنَيَّ، نَقَصْتُ عددك، وأوهيت^(١) ركنك، وفَتَّتْ في عضدك، وأشمتْ عدوك، وأسأت بقومك. خَلُّوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، قال: فانصرف القاتل وما حلّ قيس حَبوته^(٢)، ولا تغير وجهه^(٣).

وفود قيس على الرسول عليه السلام

أخبرني عبيد الله الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن ابن جُعْدَبَة وأبي اليقظان قالا: وقد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «هذا سيّد أهل الوَبَر».

/ قصته مع تاجر خمار

[٧٥/١٤]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال:

جاور داري^(٤) كان يَتَجَر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرب قيس ليلة حتى سكر، فربط الداري وأخذ ماله، وشرب من شرابه فازداد سُكْراً، وجعل من السكر يتناول ويَتَوَار^(٥) النجوم لِيَتَلَفَّها وليتناول القمر، وقال:

وتاجر فاجر جاء الإله به كأن عُشُونَه أذُنَابُ أَجْمَالِ^(٦)

ثم قَسَمَ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ في قومه وقال:

(١) وهي الحائط: ضعف وهم بالسقوط، وأوهاء هو. فت في عضده: أضعفه.

(٢) احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، والاسم الحبة (يفتح ويضم).

(٣) الخبر في «أمالي السيد المرتضى» ١: ٧٦. وجاء في «مجمع الأمثال للميداني» ١: ١٤٨ و «العقد الفريد» ١: ١٧٧ «قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلّمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، حضرته يوماً قاعداً بفناء داره، محتبياً بحماثل سيفه يحدثنا، إذ جاءوا بابن له قاتل وابن عم له كتيّف، فقالوا: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حلّ حبوته ولا قطع كلامه، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إلى ابن أخيه وقال له: يا ابن أخي، أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك. ثم قال لابن له آخر: يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القاتل فأعطها مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة لعلها تسلو عنه، ثم أنشأ يقول:

إنني امرؤ لا يتمري خلقي
من منقر من بيت مكرمة
خطباء حين يقوم قائلهم
لا يفتنون لعيب جارهم
دنس يهجنه ولا أفسن
والغصن ينبت حول الغصن
بيض الوجوه مصانع لسن
وهم لحفظ جراره فطن

(٤) داري: من الدارين، وهم بنو الدار بن هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدي، ينتهي نسبهم إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(٥) تاوره متاورة وثواراً: واثبه.

(٦) العثون من اللحية: ما نبت على الذقن وتحتة سفلاً. وأجمال: جمع جمل. جاء في «الكامل» للمبرد ١: ٢٨٠ «قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب إلى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية».

أَلَا أُنَلِّغَا عَنِّْي قُرَيْشًا رَسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهُمْ مُهْدِيَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبَوْتُ بِمَا صَدَّقْتُ فِي الْعَامِ مِنْقَرًا وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسَ طَامِعٍ^(١)
قال: فلما فعل بالداري ما فعل وسكر، جعل ماله نُهْبِي^(٢)، فلم تزل امرأته تُسَكِّنُه حتى نام. فلما أصبح أخبر بما كان منه، فألى ألا يُدْخِلَ الخمرَ بين أضلاعه أبدًا.

[٧٦/١٤] / خدعه الزبرقان بن بدر حتى فرق الصدقات في قومه

أخبرني وكيعٌ قال / حدثنا المدائني قال: ١٥٢
١٢

وَلِي قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَدَقَاتِ بَنِي مُقَاعِسَ وَالْبُطُونِ كُلِّهَا، وَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَدْرٍ قَدْ وَلِي صَدَقَاتِ عَوْفٍ وَالْأَبْنَاءِ^(٣). فَلَمَّا تُوُفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَيْسٍ وَالزُّبَيْرِ صَدَقَاتٍ مِنْ وَلِيِّ صَدَقَتِهِ دَسَّ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ قَانُ مَنْ زَيْنَ لَهُ الْمَنْعَ لَمَّا فِي يَدِهِ وَخَدَعَهُ بِذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ تُوُفِّيَ، فَهَلُمَّ نَجْمَ هَذِهِ الصَّدَقَةِ وَنَجْعَلْهَا فِي قَوْمِنَا؛ فَإِنْ اسْتَقَامَ الْأَمْرُ لِأَبِي بَكْرٍ وَأَدَّتِ الْعَرَبُ إِلَيْهِ الزَّكَاةَ جَمَعْنَا لَهُ الثَّانِيَةَ. فَفَرَّقَ قَيْسُ الْإِبِلَ فِي قَوْمِهِ؛ فَانْطَلَقَ الزُّبَيْرُ قَانُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِسَبْعِمِائَةِ بَعِيرٍ فَأَدَّاهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

وَقَيْسْتُ بِأَذْوَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَفْسِدُ الدِّينَ بِالْغَدْرِ^(٤)
فلما عرف قيسٌ ما كادَه به الزبرقان قال: لو عاهد الزبرقان أمه لَغَدَرَ بها.

أسباب سيادته

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث بن أسامة قال حدثنا المدائني، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ثعلبٌ على ابن الأعرابي قال:

قِيلَ لَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ: بِمَاذَا سُذِّتَ؟ قَالَ: بِبَذْلِ الثَّدْيِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَنَصْرِ الْمَوَالِي^(٥).

[٧٧/١٤] / نصيحته لبنيه

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا العُمري عن الهيثم قال:

كَانَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ يَقُولُ لِبْنِيهِ: إِتَاكُمُ وَالْبَغْيُ؛ فَمَا بَغَى قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا قَلُّوا وَذَلُّوا. فَكَانَ بَعْضُ بَنِيهِ يَلْطِمُهُ^(٦) قَوْمُهُ أَوْ غَيْرُهُمْ فَيَنْهَى إِخْوَتَهُ عَنْ أَنْ يَنْصُرُوهُ.

حديث له مع رسول الله ﷺ في المال

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث عن المدائني عن ابن جُعْدَبَةَ: أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَحَّبَ بِي وَأَدْنَانِي؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَالُ الَّذِي لَا يَكُونُ عَلَيَّ فِيهِ تَبَعَةٌ مَا تَرَى فِي

(١) حياه: أعطاه بلا جزاء ولا من، أو هو عام. والمصدق: أخذ الصدقات، والمتصدق: معطيها. والأطلس هنا: اللص الخبيث.

(٢) النهي: اسم للمنهوب، كالنهيبة بالضم.

(٣) الأبناء، هم خمسة من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم.

(٤) الذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة، وقيل غير ذلك، والجمع أذواد.

(٥) في «أمالي» السيد المرتضى ١: ٧٦ «ونصر الموالي».

(٦) في «أمالي» السيد المرتضى: «يظلمه».

إمساكه لِصَيْفٍ إِنْ طَرَقَنِي، وَعِيَالٍ إِنْ كَثُرُوا عَلَيَّ؟ فَقَالَ: «نِعْمَ الْمَالُ»^(١) - الأربعون، والأكثرُ الستون، وويلٌ لأصحاب المئين - ثلاثاً - إِلَّا مَنْ أَعْطَى مِنْ رِسْلِهَا^(٢) وَأَطْرَقَ^(٣) فَحَلَّهَا، وَأَفْقَرَ ظَهْرَهَا^(٤)، وَمَنَحَ غَزِيرَتَهَا^(٥)، وَأَطْعَمَ النَّازِعَ وَالْمُعْتَرَّ^(٦). فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْرَمَ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ! إِنَّهُ لَا يُحَلُّ بِالْوَادِي الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنْ كَثَرَتِهَا. قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْإِطْرَاقِ؟» قُلْتُ: يَغْدُو النَّاسُ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَأْخُذَ بِرَأْسِ بَعِيرٍ ذَهَبَ بِهِ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْإِفْقَارِ؟» فَقُلْتُ إِنِّي لَأَفْقِرُ النَّابَ^(٧) الْمُدْبِرَةَ وَالضَّرْعَ^(٨) الصَّغِيرَةَ. قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَنِيحَةِ؟»^(٩) قُلْتُ: إِنِّي لَأَمْنَحُ فِي السَّنَةِ الْمِائَةَ. قَالَ: «إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ».

/ خبره مع الحوفزان

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي حَدَّثَنَا أَبُو عَسَّانَ دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ:

قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ هُوَ الَّذِي حَفَزَ الْحَوْفَزَانِ بْنَ شَرِيكَ الشَّيْبَانِي، طَعَنَهُ فِي اسْتِهِ فِي يَوْمِ جَدُودٍ^(١٠).

وكان من حديث ذلك اليوم أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِو الصُّلْبِ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَرَاهِيلَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هَمَّامٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي يَرْبُوعٍ مُوَادَعَةٌ، ثُمَّ هَمَّ بِالْغَدْرِ بِهِمْ، فَجَمَعَ بَنِي شَيْبَانَ^(١١) وَبَنِي ذُهْلٍ وَاللَّهَازِمَ: قَيْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَتَيْمَ اللَّهِ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَغَيْرَهُمْ، ثُمَّ غَزَا بَنِي يَرْبُوعٍ، فَذَنِرَ^(١٢) بِهِ عُتْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ بْنِ شَرِيكَ، فَنَادَى فِي قَوْمِهِ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ^(١٣) فَوَادَعَهُ. وَأَغَارَ الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكَ عَلَى بَنِي مُقَاعِسَ وَإِخْوَتِهِمْ بَنِي رُبَيْعٍ فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ^(١٤)، فَاسْتَصْرَخُوا بَنِي مَنَقَرٍ فَرَكِبُوا حَتَّى / لَحِقُوا بِالْحَارِثِ بْنِ شَرِيكَ وَبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَهُمْ [٧٩/١٤]

(١) أكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم.

(٢) الرسل: اللبن.

(٣) أطرقه فحله: أعاره إياه ليضرب في إبله.

(٤) الظهر: الإبل التي يحمل عليها ويركب. وأفقره بعيره: أعاره إياه يركب ظهره في سفر أو يحمل عليه ثم يرده.

(٥) منح غزيرتها: أعطها من يحلبها ويردها.

(٦) الفانع هنا: الذي يسأل، والمعتز: المتعرض للمعروف من غير أن يسأل.

(٧) الناب: الناقة المسنة. والمدبرة: الهرمة، التي هربت فأدبر خيرها.

(٨) الضرع: الصغير من كل شيء، أو الصغير السن الضعيف الضاوي النحيف. وككتف: الضعيف.

(٩) في ب، س: «المليحة» وهو تحريف.

(١٠) جدود: اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة، فيه الماء الذي يقال له الكلاب، وكان فيه

وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب. اقرأ حديث يوم جدود أيضاً في «العقد الفريد» (٣: ٧٢).

(١١) شيبان: حي من بكر بن واثل، وهما شيبانان: أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن واثل، والآخر

شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة. واللهازم، هم قيس بن ثعلبة بن عكابة، وتيم الله - أو تيم اللات - بن ثعلبة بن عكابة، وعجل بن

لجيم، وعنزة بن أسد بن ربيعة - انظر «العقد الفريد» (٣: ٦٨)، و«لسان العرب». وفي الأصول «واللهازم وقيس بن ثعلبة» بزيادة

الواو وهو خطأ.

(١٢) نذر به كفرح: علمه فحذره. وفي ب، س «عتبة بن الحارث».

(١٣) وذلك أَنَّ الحوفزان لما انتهى إلى جدود منعتهم بنو يربوع أن يردوا الماء - ورئيسهم عتبة بن الحارث بن شهاب - فقاتلوهم، فلم

يكن لبني بكر بهم يد، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم، وعلى أن يخلوهم يردون الماء، فقبلوا ذلك

وأجازوهم، فبلغ ذلك بني سعد، فقال قيس بن عاصم في ذلك: جزي الله يربوعاً. - الآيات الآتية (انظر «العقد الفريد» «يوم جدود»).

(١٤) كذا في الأصل، والظاهر أَنَّ في الكلام نقصاً. وبنو ربيع (كزير) هم بنو ربيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة،

وجاء في «النقائض» ص ١٤٥ طبع أوربة (بعد أن أورد خبر موادعته بني ع) : «فمضى إلى بني سعد فأغار على ربيع بن الحارث =

١٥٣ / قائلون^(١) / في يوم شديد الحر. فما شعر الحوفزان إلا بالأهتـم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر - واسم الأهتم سنان - وهو واقف على رأسه، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتـم: مَنْ أَنْتَ؟ فانتسب له، وقال: هذه منقر قد أتتك. فقال الحوفزان: فأنا الحارث بن شريك! فنادى الأهتـم: يا آل سعد! ونادى الحوفزان: يا آل وائل! وحمل كل واحد منهما على صاحبه، ولحقت بنو منقر، فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه^(٢)، ونادت نساء بني زبيح: يا آل سعد! فاشتد قتال بني منقر لصياحهم، فهزمت بكر بن وائل، وخلوا من^(٣) كان في أيديهم من بني مقاعس، وما كان في أيديهم من أموالهم، وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر؛ فأسر الأهتـم حمران بن عبد عمرو^(٤)، وقصد قيس بن عاصم الحوفزان، ولم يكن له همة غيره، والحارث على فرس له قارج^(٥) يدعى الزيد، وقيس على مهر، فخاف قيس أن يسبقه الحارث، فحفزه بالرمح في استه، فتحفز به الفرس فنجا، فسُمي الحوفزان. وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني زبيح وسبأياهم، وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم.

أبياته التي قالها في يوم جلود

وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات. وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم:

جَزَى اللهُ يَرْبُوعاً بِأَسْوَافِغِهَا^(٦) إِذَا ذُكِرْتُ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا

/ وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ وَسَلَّمْتُمْ وَالْخَيْلُ تَذْمِي نُحُورُهَا^(٧)

سَخَطْتُمْ سَعْدَ وَالرَّيَابُ أَنْوَفَكُمْ كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا^(٨)

وقال سوار^(٩) بن حيّان المنقري:

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْحَوْفَزَانَ بِطُغْنَةٍ سَقَّتْهُ^(١٠) نَجِيعاً مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالاً^(١١)

وَحُمُرَانُ قَسَراً أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا فَعَالَجَ غُلّاً فِي ذِرَاعَيْهِ مُقَفَّلاً

إغارته على اللهازم يوم النجاج وثبتل وما قال ابنه علي في ذلك اليوم

= فأصاب نسوة وهم خلوف وأصاب إبلًا، فإن الصريخ بني سعد، فركب قيس بن عاصم في بني سعد . . .

(١) القائلة: نصف النهار، وقال: نام في القائلة، فهو قائل.

(٢) أبرحه: أشده وأشقّه.

(٣) في الأصول: «ما كان» تحريف.

(٤) في «العقد الفريد»: «حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد». وفي «لسان العرب» مادة (حفز): «حمران بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد».

(٥) قرح الفرس قروحاً: إذا ألقى أقصى أسنانه، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة. والزبد ككتف (كما في «القاموس المحيط»).

(٦) في «النقائض» و «العقد» «سعيها».

(٧) الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته. وفي «معجم البلدان» و «العقد الفريد» و «النقائض»: «قد فضحت أباكم»؛ يعني ما كان منهم من مودة الحوفزان، وقد تقدّم خبرها.

(٨) خطمه: ضرب أنفه، والرياب: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة، وهم ضبة وثور وعكل (كقفل) وتيم وعديّ، والقضيب: الناقة التي لم ترض. والجدير: الزمام.

(٩) كذا في «الأصول» و «أمال» السيد المرتضى ١: ٧٧ و «النقائض». وفي «العقد الفريد»: «سويد».

(١٠) في «العقد الفريد» و «النقائض»: «تمج نجيعاً».

(١١) حفزه بالرمح طعنه. والنجيع من الدم: ما كان إلى السواد، أو من الجوف والأشكال: ما يخلط سواده حمرة.

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضاً على اللهازم، فتبعه بنو كعب بن سعد بالنباج وثبيل^(١)، فتحوف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل، وقد كان يتناجون^(٢) في ذلك، فقام ليلاً فشق مزادهم^(٣)، لئلا يجدوا بدءاً من لقاء العدو، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له، فأغار عليهم، فكان أشهر يوم يوم ثبيل لبني سعد، وظفر قيس بما شاء، وملا يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه علي^(٤) بن قيس بن عاصم:

/ أنا أبى الذي شقَّ المزاد وقد رأى
فصَّبَّحَهُم بالجيش قيسُ بنُ عاصم
بثبيلَ أحياء اللهازم حُضراً
وكان إذا ما أورد الأمر أضدراً^(٥)

قتاله عبد القيس

قال: وأغار قيس أيضاً ببني سعد على عبد القيس، وكان رئيس بني سعد يومئذ سنان بن خالد، وذلك بأرض البحرين، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فعل بهم بالمشقر^(٦) حين أغلق عليهم بابه فامتنعوا، فقال في ذلك سوار بن حيان:

فيا لك من أيام صدقٍ أعدها
كيوم جوائى والنباج وثبيل^(٧)

كان رئيس بني سعد يوم الكلاب الثاني

قال: وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكلاب^(٨) الثاني، فوقع بينه وبين الأهمم اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقاص بن صلاء الحارثي حين أسره عضمه بن أبيير التيمي / ودفعه إلى الأهمم، فرفع قيس قوسه فضرب^{١٥٤}_{١٢} فم الأهمم بها فهتم أسنانه؛ فيومئذ سمي الأهمم.

ما قاله لأولاده حين حضرته الوفاة

أخبرنا هشام بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عيسى بن الحسين الوزاق قال:

(١) في ب وس. «ثبيل» وفي جـ: «ثبيل» تصحيف. والنباج: موضع من البصرة على عشر مراحل. وثبيل: ماء قرب النباج، وبهما يوم من أيام العرب مشهور لتميم على بكر بن وائل كما رأيت.

(٢) يتناجون: يتسارون.

(٣) المزادة: الراوية التي يحمل فيها الماء. قال أبو عبيد: لا تكون إلا من جلدین نغام بجلد ثالث بينهما لتسع، سميت بذلك لمكان الزيادة.

(٤) وبه يكنى «أبا علي». وفي «معجم البلدان»: «قال قرّة بن قيس بن عاصم». وفي «المقد الفريد»: «مرة».

(٥) رواه «معجم البلدان» و «المقد الفريد»:

فصَّبَّحَهُم بالجيش قيسُ بنُ عاصم
سقاَهُم بها الذيفان قيسُ بنُ عاصم
فلَم يَجِدُوا إلا الأسنة مصدراً
وكان إذا ما أورد الأمر أضدراً

والذيفان، بالفتح ويكسر: السم القاتل.

(٦) المشقر: حصن عظيم بالبحرين لعبد قيس، يلي حصناً لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر، وفيه يقول يزيد بن مفرغ الحميري:

* وجاورت عبد القيس أهل المشقر *

وفيه حبس كسرى بني تميم، وقد أوقع بهم فأخذ الأموال وسبى الذراري بمدينة هجر. لأنهم أغاروا على لطيمة (أي عير)، له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير.

(٧) جوائي ويقال له (جوائي وجوائا): حصن لعبد القيس بالبحرين.

(٨) الكلاب: اسم ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة. وللعرب فيه زمان مشهوران: هما الكلاب الأول، والكلاب الثاني.

حدثنا أحمد بن الهيثم بن عدي قال :

[٨٢/١٤] / جَمَعَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَلَدَهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، إِذَا مُتُّ فَسَوِّدُوا كِبَارَكُمْ ، وَلَا تُسَوِّدُوا صِغَارَكُمْ فَيُسَفَّهُ النَّاسُ كِبَارَكُمْ . وَعَلَيْكُمْ بِإِصْلَاحِ الْمَالِ فَإِنَّهُ مَنِيَّةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَيُسْتَفْنَى بِهِ عَنِ اللَّثِيمِ . وَإِذَا مُتُّ فَادْفِنُونِي فِي ثِيَابِي الَّتِي كُنْتُ أَصْلِي فِيهَا وَأَصُومُ . وَإِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهَا آخِرُ^(١) مَكَاسِبِ الْعَبْدِ ؛ وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَسْأَلْ إِلَّا تَرَكَ مَكْسَبَهُ . وَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَأَخْفُوا قَبْرِي عَنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي بَنِي وَائِلٍ ؛ فَقَدْ كَانَ بَيْنَنَا خُمَاشَاتُ^(٢) فِي الْجَاهِلِيَّةِ . ثُمَّ جَمَعَ ثَمَانِينَ سَهْمًا فَرَبَطَهَا بِوَتِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ : اكْسِرُوهَا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ، ثُمَّ قَالَ : فَرَّقُوا . فَفَرَّقُوا ، فَقَالَ : اكْسِرُوهَا سَهْمًا سَهْمًا ، فَكْسِرُوهَا . فَقَالَ : هَكَذَا أَنْتُمْ فِي الْاجْتِمَاعِ وَفِي الْفُرْقَةِ . ثُمَّ قَالَ :

قِي وَأَحْيَا فَمَالَهُ الْمَوْلُودُ	إِنَّمَا الْمَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصُّدُ
مُ إِذَا زَانَهُ عَقَافٌ وَجُودُ	وَتَمَامُ الْفَضْلِ الشَّجَاعَةُ وَالْحِلْدُ
جَمَعْتُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ الْعُهُودُ	وِثْلَاثُونَ يَا بَنِي إِذَا مَا
شَدَّهَا لِلزَّمَانِ قِدْحٌ شَدِيدُ	كَثْلَاثِينَ مِنْ قِدَاحٍ إِذَا مَا
هُمُ أَوْدَى بِجَمْعِهَا التَّبْدِيدُ	لَمْ تَكْثُرْ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ الْأَشْدُ
أَنْ يُرَى مِنْكُمْ لَهُمْ تَسْوِيدُ	وَذَوُو الْحَلِيمِ وَالْأَكَابِرُ أَوْلَى
يَتْلُغُ الْحِنْتَ الْأَصْغَرُ الْمَجْهُودُ ^(٣)	وَعَلَيْكُمْ حِفْظُ الْأَصَاغِرِ حَتَّى

[٨٣/١٤] / رثاء عبدة بن الطبيب له

ثم مات ؛ فقال عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ يَرِثِيهِ :

وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا	عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمَا	نَحِيَّةً مِنْ أَوْلِيَّتِهِ مِنْكَ نَعْمَةً
وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا	فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَكَ وَاحِدٍ

تمثل هشام بن عبد الملك ببيت من أبيات عبدة في رثائه

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال :

لَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ اجْتَمَعَ وَلَدُهُ حَوْلَهُ ، فَبَكَى هِشَامٌ حَتَّى اخْتَلَفَتْ^(٤) أَضْلَاعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَأَنْتَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

(١) جاء في «الكامل» للمبرد : «آخر بقصر الهمة لا غير ، ومن رواه بالمد خطأ . ومعنى آخر : أدنى وأرذل» . وجاء في «لسان العرب» : «وفي الحديث : المسألة آخر كسب المرء ، أي أرذله وأدناه . ويروى بالمد ؛ أي إن السؤال آخر ما يكتسب به المرء عند المعجز عن الكسب» .

(٢) خماشات : جراحات وجنابات .

(٣) بلغ الغلام الحنث : أي الإدراك والبلوغ ، أي بلغ مبلغ الرجال وجرى عليه القلم فكتب عليه الحنث (أي المعصية والإثم) والطاعة .

(٤) اختلقت : اضطربت .

فقال له الوليد: كذبت يا أحوّل يا مشثوم، لسنا كذلك، ولكنّا كما قال الآخر:

إِذَا مُقْرَمٌ مِّنَّا ذَرَا حَلْدُ نَابِهِ تَحْمَطُ فِينَا نَابُ آخَرِ مُقْرَمٍ^(١)

هو وعبد بن الطبيب

أخبرني حبيب بن نصر المَهْلَبِي قال حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثَنَا علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

كان بين قيس بن عاصم وعَبْدَةَ بن الطَّيِّبِ لِحَاءٌ، فهِجَرَهُ قَيْسُ بن عاصم، ثُمَّ حَمَلَ عَبْدَةُ دَمًا فِي قَوْمِهِ، فَخَرَجَ يَسْأَلُ فِيمَا تَحْمَلُهُ، فَجَمَعَ إِبِلًا، وَرَمَزَ بِهِ قَيْسَ بن عاصم وهو يسأل في تمام الدِّية، فَقَالَ: فِيمَ يَسْأَلُ عَبْدَةُ؟ فَأَخْبِرْ؛ فَسَاقَ إِلَيْهِ الدِّيةَ كَامِلَةً / مِنْ مَالِهِ، وَقَالَ: قُولُوا لَهُ لِيَسْتَمْتَعَ^(٢) بِمَا صَارَ إِلَيْهِ، وَلِيَسْتَقِ هَذِهِ / إِلَى الْقَوْمِ. فَقَالَ عَبْدَةُ: [٨٤/١٤] أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يَكُونَ صَلَاحِي إِيَّاهُ بِعَقَبِ هَذَا الْفِعْلِ عَارًا عَلَيَّ لَصَالَحْتُهُ، وَلَكِنِّي أَنْصَرِفُ إِلَى قَوْمِي ثُمَّ أَعُودُ^{١٢} فَاصَالِحُهُ. وَمَضَى بِالْإِبِلِ ثُمَّ عَادَ، فَوَجَدَ قَيْسًا قَدْ مَاتَ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بن عاصمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

الآبيات.

سبب تحريمه الخمر على نفسه

أخبرني محمد بن مَرْزُوق بن أَبِي الْأَزْهَر قال حَدَّثَنَا حَمَّاد بن إِسْحَاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَّثَانِ وَهْشَامُ بن الكلبي عن أشياخهما:

أَنَّ قَيْسَ بن عاصم المِنْقَرِي سَكِرَ مِنَ الْخَمْرِ لَيْلَةً قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، فَغَمَزَ عُكْنَةً^(٣) ابْنَتَهُ - أَوْ قَالَ أُخْتَهُ - فَهَرَبَتْ مِنْهُ. فَلَمَّا صَحَا مِنْهَا، فَقِيلَ لَهُ: أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا صَنَعْتَ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: لَا. فَأَخْبَرُوهُ بِصُنْعِهِ، فَحَرَّمَ الْخَمْرَ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

وَجَدْتُ الْخَمْرَ جَامِحَةً وَفِيهَا	خِصَالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الْكَرِيمَا
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا حَيَاتِي	وَلَا أَدْعُو لَهَا أَبَدًا نَدِيمَا
وَلَا أُعْطِي بِهَا ثَمَنًا حَيَاتِي	وَلَا أَشْفِي بِهَا أَبَدًا سَقِيمَا
فَإِنَّ الْخَمْرَ تَفْضَحُ شَارِبِيهَا	وَتُجْشِمُهُمْ بِهَا أَمْرًا عَظِيمَا ^(٤)
إِذَا دَارَتْ حُمَيَّاها تَعَلَّتْ	طَوَالِغُ تُسْفِهُ الرَّجُلَ الْحَلِيمَا ^(٥)

(١) البيت لأوس بن حجر («اللسان» مادة خمط، وقرم). ومقرم: سيد، وهو في الأصل: البعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة والضراب؛ سمي به السيد الرئيس من الرجال تشبيهاً بالمقرم من الإبل لعظم شأنه وكرمه عندهم. وذرا نابه ذروا: انكسر حذاه أو سقط ووقع. والتخمط: الأخذ والقهر بغلبة. أراد: إذا هلك منا سيد خلفه آخر. وفي ب، س: «تحمط» وهو تصحيف.

(٢) في الأصول: «ليستمتع» وهو تحريف.

(٣) العكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سناً.

(٤) جشم (كسمع) الأمر وتشجمه: تكلفه على مشقة، وأجشمه إياه.

(٥) حمياها: سورتها وشدتها وإسكارها. تعلّى: علا في مهلة.

/ أخبرني محمد بن مَرْيَد عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثَان قال:

قال الزُّبْران: إِنَّ تاجرًا دِيافِيًّا^(١) مَرَّ بِحَمَلِ خَمْرٍ عَلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ فَتَزَلَّ بِهِ، فَقَالَ قَيْسُ: أَصْبَحَنِي قَدَحًا؛ ففعل.
ثم قال له: زدني، فقال له: أَنَا رَجُلٌ تاجرٌ طالِبُ رِيحٍ وَخَيْرٍ، وَلَا أَستطِيعُ أَنْ أُسْقِيكَ بِغَيْرِ ثَمَنِ. فَقَامَ إِلَيْهِ قَيْسٌ فَرَبَطَهُ إِلَى
دَوْحَةٍ فِي دَارِهِ حَتَّى أَصْبَحَ، فَكَلَّمَتْهُ أُخْتُهُ فِي أَمْرِهِ، فَلَطَمَتْهَا وَخَمَشَتْ وَجْهَهَا - وَزَعَمُوا أَنَّهُ أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا - وَجَعَلَ يَقُولُ:

وَتاجرٍ فَاجِرٍ جَاءَ إِلَهُ بِهِ كَأَنَّ لِحَيَّتِهِ أَذْنَابُ أَجْمَالِ

فلما أصبح قال: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِصَبِيغِي؟ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: الَّذِي صَنَعَ هَذَا بِوَجْهِي، أَنْتَ وَاللَّهِ صَنَعْتَهُ، وَأَخْبَرْتَهُ بِمَا
فَعَلْتَ. فَأَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا أَلَّا يَشْرَبَ الْخَمْرَ أَبَدًا. فَهُوَ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

فَوَاللَّهِ لَا أَحْسُو يَدَ الدَّهْرِ خَمْرَةً وَلَا شَرِبَةَ تُزْرِي بِذِي اللَّبِّ وَالْفَخْرِ^(٢)
فَكَيْفَ أَذُوقُ الْخَمْرَ وَالْخَمْرُ لَمْ تَزَلْ بِصَاحِبِهَا حَتَّى تَكْشَعَ فِي الْغَدْرِ^(٣)
وَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بَعْدَ مَا يَكُونُ عَمِيدَ الْقَوْمِ فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ
وَيَبْذُرُهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُثَوِّبُهُمْ وَيَنْصِبُهُمْ مَا نَسَابَهُمْ حَادِثُ الدَّهْرِ
فِي شَارِبِ الصُّهْبَاءِ دَغَهَا لِأَهْلِهَا خُفَاةً وَسَلَّامًا لِلْحَسِيمِ مِنَ الْأَمْرِ
فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي إِذَا مَا شَرِبْتَهَا وَأَكْثَرَتْ مِنْهَا مَا تَرِيشُ وَمَا تَبْرِي^(٤)

[٨٦/١٤] / قصته مع امرأته وقد فارقتَه لإسلامه

أخبرني محمد بن خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْمُبَارَكِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي
المدائني عن مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ قَالَ:

قال الأحنف بن قيس: ذَكَرْتُ بِلَاغَةَ النِّسَاءِ عِنْدَ زِيَادٍ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ أَسْلَمَ وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي
حَنِيفَةَ، فَأَبَى / أَهْلُهَا وَأَبُوهَا أَنْ يُسَلِّمُوا وَخَافُوا إِسْلَامَهَا، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهَا وَأَقْسَمُوا إِنَّهَا إِنْ أَسْلَمَتْ لَمْ يَكُونُوا مَعَهَا فِي
شَيْءٍ مَا بَقِيَ. فَطَالِبْتُ قَيْسًا بِالْفُرْقَةِ، فَفَارَقَهَا، فَلَمَّا احْتَمَلْتُ لِنَلْحَقَ بِأَهْلِهَا قَالَ لَهَا قَيْسٌ: أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ صَحِبْتَنِي
سَارَّةً، وَلَقَدْ فَارَقْتَنِي غَيْرَ عَارَةٍ^(٥)، لَا صُحْبَتُكَ مَمْلُوءَةٌ، وَلَا أَخْلَاقُكَ مَذْمُومَةٌ، وَلَوْلَا مَا اخْتَرْتُ مَا فَرَّقَ بَيْنَنَا إِلَّا
الْمَوْتُ، وَلَكِنْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ أَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ. فَقَالَتْ لَهُ: أَنْبِئْتُ بِحَسْبِكَ وَفَضْلِكَ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِلدَّائِمِ
الْمَحَبَّةِ، الْكَثِيرِ الْمَوَدَّةِ، الْقَلِيلِ اللَّائِمَةِ، الْمُعْجَبِ الْخُلُوةِ، الْبَعِيدِ الثَّبُوتِ. وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي لَا أَسْكُنُ بَعْدَكَ إِلَى زَوْجٍ.
فَقَالَ قَيْسٌ: مَا فَارَقْتُ نَفْسِي شَيْئًا قَطُّ فَتَبِعْتَهُ كَمَا تَبِعْتَهَا.

كَانَ يَكْنَى أَبَا عَلِيٍّ

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني أبو فراس قال:

- (١) دِيافِي: نسبة إلى دِياف، وهي قرية بالشام وأهلها نبط الشام، تنسب إليها الإبل والسيوف، وإذا عَرَّضُوا بِرَجُلٍ أَنَّهُ نَبَطِي نَسَبُوهُ إِلَيْهَا.
- (٢) يَدُ الدَّهْرِ: مَدَّ زَمَانِهِ. وَفِي الْأَصُولِ: «بِذَا الدَّهْرِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.
- (٣) تَكْشَعُ فِي ضِلَالِهِ: تَمَادَى، كَتَشَكَّعَ.
- (٤) رَاشٍ السَّهْمِ يَرِيشُهُ: أَلْزَقَ عَلَيْهِ الرِّيشَ. وَقَوْلُهُمْ: فَلَانٌ لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي، أَيُّ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ.
- (٥) عَارَةٌ بِمَكْرُوهٍ: أَصَابَهُ بِهِ، وَعَرَّه: سَاءَهُ.

كان قيس بن عاصم يُكنى أبا عليٍّ، وكان خاقان بن الأهمّ إذا ذكره قال: بَخْ! مَنْ مِثْلُ أَبِي عَلِيٍّ!
تُطِيفُ بِهِ كَعُتْبُ بْنُ سَعْدٍ كَأَنَّمَا يُطِيفُونَ عُمَّاراً بَيْتَ مُحَرَّمٍ^(١)

[٨٧/١٤]

/ بعض صفات قومه بني منقر

وقال عَلَّانُ بْنُ الْحَسَنِ الشُّعُوبِي: بَنُو مِثْقَرٍ قَوْمٌ غَدَرٌ، يُقَالُ لَهُمْ^(٢) الْكَوَادِنُ، وَيُلَقَّبُونَ أَيْضاً أَعْرَافَ الْبِغَالِ، وَهُمْ أَسْوَأُ خَلْقِ اللَّهِ جَوَاراً، يَسْمُونُ الْغَدَرَ كَيْسَانَ^(٣)، وَفِيهِمْ بَخْلٌ شَدِيدٌ.

وصيته لبنيه بحفظ المال

وأوصى قيس بن عاصم بنيه، فكان أكثر وصيته إياهم أن يحفظوا المالَ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً. وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب:

يَسَا مِثْقَرُ بْنُ عُبَيْدٍ إِنْ لُسُومُكُمْ مِثْقَرُ بْنُ عُبَيْدٍ إِنْ لُسُومُكُمْ
مِثْقَرُ بْنُ عُبَيْدٍ إِنْ لُسُومُكُمْ مِثْقَرُ بْنُ عُبَيْدٍ إِنْ لُسُومُكُمْ
وَالضُّيْفُ حَقٌّ عَلَى مَنْ كَانَ ذَا كَرَمٍ
وَالضُّيْفُ فِي مِثْقَرٍ غَرِيْبٍ مُسْلُوبٍ

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغدر كيسان في قصيدة هجاهم بها:

إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى الْغَدْرِ أَذْنَى مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ
قال: وهذا شائع في جميع بني سعد^(٤)، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر، وبني منقر يتدافعونه إلى بني سنان بن خالد بن منقر، وهو جدُّ قيس بن عاصم.

وفوده على النبي مع عمرو بن الأهمّ وتهاترها أمامه

وحكى ابن الكلبي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا افْتَتَحَ مَكَّةَ قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ، فَكَانَ فِيمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهَمِّ ابْنُ عَمِّهِ، فَلَمَّا صَارَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسَابَّا وَتَهَاتَرَا^(٥)؛ فَقَالَ قَيْسٌ لِعَمْرُو بْنِ الْأَهَمِّ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُمْ مِنَّا، وَإِنَّهُمْ لَمِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهَمِّ: بَلْ هُوَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الرُّومِ وَلَيْسَ مِنَّا. ثُمَّ قَالَ لَهُ:

[٨٨/١٤]

/ ظَلِمْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبْ

الهلّباء يعني استه، يعيره بذلك، وبأن عانته وافية.

إِنْ تُبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلُكُمْ وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبِغْضَاءَ لِلْعَرَبِ

(١) في الأصول: «بيت عرمم» وهو تحريف. وعماراً: أي معتمرين، من العمرة، وهي الحج الأصغر. والفرق بينها وبين الحج أن العمرة الطواف بالبيت الحرام والسعي بين الصفا والمروة فقط، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة، وأن العمرة تكون في السنة كلها، والحج لا يكون إلا في أشهر الحج: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة.

(٢) الكوادر: جمع كودن، وهو البغل والبرذون والفيل، ويشبه به البليد.

(٣) في ب، س: «وكيسان» بالواو؛ وهو خطأ.

(٤) بنو سعد أخو النمر بن تولب. والبيت في «اللسان» (كيس)، وقبله:

إذا كنت في سعد وأمك منهم غريباً فلا يفررك خالك من سعد

(٥) تهاترا: تسابا بالباطل.

سُدْنَا فُسُودَ دُنَا عَوْدٌ وَسُودُ دُكُم مَوْخَرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ^(١)

قال: وإنما نسبه إلى الرُّوم لأنه كان أحمر. فيقال: إن النبي ﷺ نهاه عن هذا القول في قيس، وقال: إن إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما وسلم - كان أحمر. فأجابه قيس بن / عاصم فقال:

مَا فِي بَنِي الْأَهْتَمِ مِنْ طَائِلٍ يُرْجَى وَلَا خَيْرَ لَهُ يُضْلَحُونَ
قُلْ لِبَنِي الْحِيرِيِّ مَخْصُوصَةٌ تُظْهِرُ مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْتُمُونَ
لَوْلَا دِفَاعِي كُنْتُمْ أَغْبَدًا مَسْكَنُهَا الْحِيرَةُ فَالسَّيْلَحُونَ^(٢)
جَاءَتْ بِكُمْ عَفْرَةٌ مِنْ أَرْضِهَا حِيرِيَّةٌ لَيْسَتْ كَمَا تَزْعُمُونَ
فِي ظَاهِرِ الْكَفِّ وَفِي بَطْنِهَا وَشَمٌ^(٣) مِنَ الدَّاءِ الَّذِي تَكْتُمُونَ

ارتداده

وذكر علان أن قيساً ارتدَّ بعد النبي ﷺ عن الإسلام، وآمن بسجّاح، وكان مؤذنها، وقال في ذلك:

أَصْحَبْتُ نَيْئِنَا أَتْنَى نُطِيفُ بِهَا وَأَصْبَحْتُ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ذُكْرَانَا

قال: ثم لما تزوجت سجّاح بمُسْلِمَةٍ الْكَذَّابِ الْحَنْفِيِّ وآمنت به آمن به قيسٌ معها. فلما غزا خالد بن الوليد البعامة وقتل الله مُسْلِمَةَ أَخَذَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَسِيرًا، فَادَّعَى عِنْدَهُ أَنَّ مُسْلِمَةَ أَخَذَ ابْنًا لَهُ، فَجَاءَ يَطْلُبُهُ. فَأَحْلَفَهُ خَالِدٌ عَلَى ذَلِكَ، فَحَلَفَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، وَنَجَا مِنْهُ بِذَلِكَ.

[٨٩/١٤] / قصته مع عبادة بن مرثد

قال: ومما يُعَيَّرُونَ بِهِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ مَرْثَدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ أَسَرَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَسَبَى أُمَّهُ وَأَخْتَيْهِ يَوْمَ ابْرَقِ الْكَبْرِيتِ^(٤)، ثُمَّ مَنَّ عَلَيْهِمْ فَأَطْلَقَهُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، فَلَمْ يُثْبِتْهُ قَيْسٌ وَلَمْ يَشْكُرْهُ عَلَى فِعْلِهِ بِقَوْلٍ يَبْلُغُهُ. فَقَالَ عُبَادَةُ فِي ذَلِكَ:

عَلَى ابْرَقِ الْكَبْرِيتِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَسَرْتُ وَأَطْرَفُ الْقَنَاقِصَ دُحْمَرُ^(٥)
مَتَى يَغْلِقُ السَّعْدِيُّ مِنْكَ بِذِمَّةٍ تَجِدُهُ إِذَا يَلْقَى وَشِمْتُهُ الْغَدْرُ

قال: وكان قيس بن عاصم يسمّى في الجاهلية الْكُودَنَ.

قصته مع زيد الخيل

وكان زيد الخيل الطائي خرج عن قومه وجاور بني منقر، فأغار عليهم بنو عجل وزيد فيهم، فأعانهم وقاتل بني عجل قتالاً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، حتى انهزم عجل؛ فكفر قيس فعله وقال: ما هزمهم غيري. فقال زيد

(١) العجب: أصل الذنب ومؤخر كل شيء.

(٢) السيلحون: بلد قرب الحيرة بين الكوفة والقادسية.

(٣) في «معجم البلدان»: «وشم».

(٤) أبرق الكبريت: موضع كان به يوم من أيام العرب.

(٥) قصد: قطع، جمع قصدة كقطعة.

الخيّل يعيّره ويكذّبه في قصيدة طويلة :

ولستُ بوقّافٍ إذا الخيلُ أجمحتُ ولستُ بكذابٍ كقيس بن عاصم^(١)

إسلامه

ومما روى قيس بن عاصم عن النبي ﷺ: حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال: حدّثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدّثنا وكيع قال: حدّثنا سُفيان الثوري عن الأغر المنقري عن خليفه بن حصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جدّه أنّه أسلم على عهد النبي ﷺ، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسدر.

[٩٠/١٤]

/ حديثه مع رسول الله ﷺ

وحدّثنا حامد قال حدّثنا أبو خيثمة قال حدّثنا جرير عن المغيرة عن أبيه شعبة عن التّوّم قال: سألتُ قيس بن عاصم رسول الله ﷺ عن الحلف، فقال: «لا حلف»^(٢) في الإسلام، ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية.

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا ابن عائشة قال: حدّثني رجلٌ من الرّباب قال: ذكر رجلٌ قيس بن عاصم عند النبي ﷺ فقال: لقد هممتُ أن آتيه فأفعل به وأصنع به، كأنه توعدّه. فقال / له ١٥٨ / ١٢ النبي ﷺ «إذا تحوّل سعدٌ دونك بكرّاكرها»^(٣).

قال: ولما مات قيس رثاه مرداس^(٤) بن عبدة بن مُتبه فقال:

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٌ منكم ولكنّه بئسَ قومٌ تهذّما

[٩١/١٤]

أصوت

خُذْ مِنَ الْعَيْشِ مَا كَفَى	وَمِنَ الدُّهْرِ مَا صَفَا
حَسِّنَ الْغَدْرُ فِي الْأَنَا	مِ كَمَا اسْتَفْصَحَ السُّوفا
صِلْ أَخَا الْوَضْلِ إِنَّهُ	لَيْسَ بِالْهَجْرِ مِنْ خَفَا
عَيْنُ مَنْ لَا يُرِيدُ وَضْ	لَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا ^(٥)

الشعر لمحمد بن حازم الباهلي، والغناء لابن القصار الطنبوري، رملٌ بالنصير. أخبرني بذلك جحظة.

(١) أحجم عنه: كف، كأحجم، وفي الأصول «أجمحت» وهو تحريف - انظر هذا الخبر في «الأغاني» ١٦: ٥٦ ساسي - .
(٢) جاء في «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج ١: ص ٢٤٩: «لا حلف في الإسلام: أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق. فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقنال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام»، وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه ﷺ: «وأيا حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة» يزيد: من المعاقدة على الخير ونصرة الحق. وبذلك يجتمع الحديثان. وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما يخالف حكم الإسلام. وقيل: المحالفة كانت قبل الفتح، وقوله «لا حلف في الإسلام» قاله زمن الفتح فكان ناسخاً.

(٣) كراكر: جمع كركرة، بكسر الكافين؛ وهي الجماعة من الناس.

(٤) تقدم أن هذا الشعر لعبد بن الطيب.

(٥) في ب: «من حفا». وفي س: «من جفا».

[٩٢/١٤]

/ أخبار محمد بن حازم ونسبه

نسبه وشيء من أخباره

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة. أخبرني بذلك ابن عمّار أبو العباس عن محمد بن داود بن الجراح عن حسن بن فهم.

وهو من شعراء الدولة العباسية، شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس، فاطرح، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتصل^(١) بواحد منهم، فيكون له نباهة طبقة. وكان ساقط الهمة، متقللاً جداً، يرضيه اليسير، ولا يتصدى لمدح ولا طلب.

قصته مع الطاهري

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال:

سمعت محمد بن حازم الباهلي في منزلنا يقول: بعث إليّ فلان الطاهري - وكنت قد هجوته فأفرطت^(٢) - بألف دينار وثياب، وقال: أما ما قد مضى فلا سبيل إلى رده، ولكن أحب ألا تزيد عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار^(٣) والثياب، وكتبْتُ:

لا البسُ النعماءَ من رجلٍ البسُّه عاراً على الذَّهْرِ

[٩٣/١٤] / خبره مع أحمد بن سعيد بن سالم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا أبو علي - وسقط اسمه من كتابي - قال قرأتُ في كتاب عَمِّي: قال لي محمد بن حازم الباهلي: مر بي أحمد بن سعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلم عليّ سلاماً أرضاه، فكتبْتُ رُقعةً وأتبعته بها، وهي:

وياهليّ من بني وائلٍ أفادَ مالاً بعد إفلاسٍ
قَطَّبَ في وجهي خوفَ القرى تقطيبَ ضرغامٍ لبدى الباسِ
وأظهرَ التَّيَّةَ فتأيَّهتُهُ تيةَ أمرىءٍ لم يشنقَ بالناسِ^(٤)
أعرَّته إغراضٌ مُستَكِيرٍ في موكبٍ مرَّ بكئُاسٍ

(١) في الأصول: «واتصل» وهو خطأ.

(٢) كذا في ج. وفي ب، س «فأفرطني» وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «بالألف الدرهم» وهو لا يلائم ما قبله، والأظهر أنه «بألف الدينار» لأن قائله وهو محمد بن حازم بصري - مولده ومنشؤه البصرة كما تقدم - والبصريون إذا أرادوا تعريف العدد المضاف عرفوا المضاف إليه. والكوفيون هم الذين يجيزون تعريف المتضايين. قال الزمخشري: وذلك بمعزل عند أصحابنا - أي البصريين - عن القياس واستعمال القصحاء.

(٤) في الأصول: «بالباس».

خبره مع سعد بن مسعود

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو علي قال:

لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلت له: يا أبا جعفر، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم^(١) - وهو أبو إسحاق / بن سعد، وكان يكتب للثو شجاني - فأنشدني:

١٥٩
١٢

رَاجَعَ بِالْعُتْبَى فَاغْتَبَيْتُهُ وَرُبِمَا اغْتَبَيْتَكَ الْمُذْنِبُ^(٢)
وإن في الدهر، على صرْفه بين الصديقين، لمُستَعْتَبُ^(٣)

/ قصيدته في مديح الشباب وذم الشيب

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري وابن الوشاء جميعاً قالا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال:

قال ابن الأعرابي: أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذم الشيب:

لا حين صَبِرَ فَخَلَ الدَّمْعُ يَنْهَمِلُ فَقَدْ الشَّبَابُ يَوْمَ الْمَرَّةِ مُتَّصِلُ
سَقِيّاً وَرَغِيّاً لَأَيَّامِ الشَّبَابِ وَإِنْ لَمْ يَتَّقَ مِنْهُ لَهُ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ
جَرَّ الزَّمَانَ ذُبُولاً فِي مَفَارِقِهِ وَلِلزَّمَانِ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلَلُ
وَرُبِمَا جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا مَرَحاً وَبَيْنَ بُرْدَتَيْهِ غُضُنٌ نَاعِمٌ خَصِلُ^(٤)
يُضْيِي الْغَوَانِي وَيَزْهَاهُ بِشَرَّتِهِ شَرُّ الشَّبَابِ وَثُوبٌ حَالِكٌ رَجُلُ^(٥)
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مِنَ الشَّبَابِ يَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عَيْباً عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّبَابِ شَفِيعاً إِثْمُهَا الرَّجُلُ^(٦)
بَانَ الشَّبَابُ وَوَلَّى عَنْكَ بَاطِلُهُ فَلَيْسَ يَخُسُّنُ مِنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلُ
أَمَّا الْغَوَانِي فَقَدْ أَعْرَضْنَ عَنْكَ قَلَى وَكَانَ إِعْرَاضُهُنَّ الدُّنْىَ وَالْخَجَلُ
أَعْرَضْتَكَ الْهَجْرَ مَا لَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ فَلَا وَصَالَ وَلَا عَهْدٌ وَلَا رُسُلُ^(٧)
لَيْتَ الْمَنَايَا أَصَابَتْني بِأَسْهُمِهَا فَكُنَّ يَتَكَيَّنَ عَهْدِي قَبْلَ اكْتِهَالِ^(٨)

(١) في الأصول بعد هذه الكلمة: «والرادي علي». ولا أرى لها معنى ولا موضعاً في الكلام.

(٢) العتبى: الرضا، أعتبه: أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته.

(٣) مستعتب: استرضاء، تقول: استعتبت فاعتبني أي استرضيته فأرضاني وكان الأولى أن يقول: «لمستعتباً» بالنصب لأنه اسم «إن»، ولكن على النصب يكون في البيت إقواء أو يخرج الرفع على أن اسم «إن» ضمير الشأن وجملة «في الدهر لمستعتب» خبرها.

(٤) خصل: ند، يترشش نداء.

(٥) شرة الشباب: نشاطه. وشرخ الشباب: أوله. يزهاه: يستخفه ويحمله على الزهو وهو الكبر والتيه والعظمة. وثوب حالك: يريد به شعر الشباب. وشعر رجل: بين السبوة والجعودة.

(٦) في ب، س: «عيب عند عائبه» وهو تحريف.

(٧) في ب، س: «أعرتك»؛ وهو تصحيف.

(٨) في الأصول: «تكيين» تصحيف.

[٩٥/١٤] / عهد الشباب لقد أبقيت لي حزنًا / ماجد ذكرك إلا جدلي نكل^(١)
 إن الشباب إذا ما حل رائدُهُ / في منهل راد يقفوا إنسره أجل^(٢)
 بكاؤه الشيب أيضاً

قال ابن الوشاء خاصة: وما أساء^(٣) ولا قصر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

أبكي الشباب لئذمان وغانية / وللمغاني وللأطلال والكُثب^(٤)
 وللصريح وللأجام في غلس / وللقنا الثمر والهندية القضب^(٥)
 وللخيال الذي قد كان يطرُقني / وللذامسى وللذات والطرب^(٦)
 يا صاحباً لم يدع فقدي له جلدًا / أضيئت بعدك إن الدهر ذو عقب^(٧)
 وقد أكون، وشعباناً معاً، رجلاً / يوم الكريهة فرجاً عن الكرب^(٨)

هجاؤه ابن حميد

أخبرني ابن عمار عن العنزي قال:

كان محمد بن حازم الباهلي مدح بعض بني حميد فلم يثبته، وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعاً، منه قوله:

[٩٦/١٤] / عدوأك المكارم والكرام / وحلك دون خلتيك اللثام^(٩)
 ونفسك نفس كلب عند زور / وعقبى زائر الكلب التدام^(١٠)
 تهر على الجليس بلا احترام / لتخشمه إذا حصر الطعام^(١١)
 / إذا ما كانت الهمم المعالي / فهتمك ما يكون به الملام

١٦٠
١٢

- (١) في الأصول: «نكل» بالنون وهو تصحيف.
- (٢) المرائد: المرسل في طلب الكلا. ورايت الدابة ترود: رعت.
- (٣) في الأصول: «ولا قصد» وهو تحريف. وقوله «عن الأولى» أي عن القصيدة الأولى السابقة.
- (٤) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل.
- (٥) الصريح: المستغيث. والآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الكثير الملفف، أي وللصيد والقتل. والغلس: ظلمة آخر الليل، والقنا: الرماح. والهندية: أي السيوف الهندية. والقضب: القاطعة.
- (٦) عدد في الأبيات الثلاثة الأسباب التي من أجلها يبكي الشباب، وهي مظاهر الحياة والنشاط والقوة والمتعة.
- (٧) عقب: جمع عقبة بالضم، وهي النوبة.
- (٨) الكريهة: الحرب أو الشدة في الحرب، والنازلة.
- (٩) الخلعة: الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع.
- (١٠) الزور: الزائر. الالتدام في الأصل: ضرب النساء صدورهن وجوههن في النياحة.
- (١١) هزير الكلب: صوته، وهو دون النباح. والحشمة بالكسر والضم: أن يجلس إليك الرجل فتؤذيه وتسمعه ما يكره، حشمة كضرب ونصر وأحشمة. وحشمة وأحشمة أيضاً: أخجله؛ يقال للمنقبض عن الطعام: ما الذي حشمتك أو أحشمتك، من الحشمة بالكسر وهي الاستحياء والانتقاض؛ وحشمة وأحشمة كذلك: أغضبه. وفي ج «لتجشمه» بالجيم وهو خطأ، ويصح أن يكون «لتحشمه» بالحاء، يقال حمشه وأحشمه إذا أغضبه.

قُبُحْتَ وَلَا سَقَاكَ اللَّهُ غِيثاً وَجَانِبَكَ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ

هجاؤه ابن حميد أيضاً

قال: فبعث إليه ابن حُمَيْدٍ بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكَفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه:

مَوْضِعُ أَسْرَارِكَ الْمُرِيبُ وَحَشَوُ أَثَوَائِكَ الْغُيُوبُ
وَتَمَنَعُ الضَّيْفَ فَضْلَ زَادٍ وَرَخْلُكَ الْوَاسِعُ الْخَصِيبُ^(١)
يَا جَامِعاً مَانِعاً بِخَيْلٍ لَيْسَ لَهُ فِي الْعُلَا نَصِيبُ
إِبَالُشَا يُسْتَمَالُ مِثْلِي؟ كَلَّا! وَمَنْ عِنْدَهُ الْغُيُوبُ^(٢)
/ لَا أَرْتَدِي حُلَّةً لِمَنْ بِوَجْهِهِ مِنْ يَدِي بُدُوبُ^(٣)
وَيَيْنُ جَنِيهِ لِي كُلُّومٌ دَامِيَةٌ مَا لَهَا طَيِّبُ
مَا كُنْتُ فِي مَوْضِعِ الْهَدَايَا مِنْكَ، وَلَا شَعْبُنَا قَسْرِيْبُ
أَنْتِي وَقَدْ نَشْتِ الْمَكَارِي عَنْ سِمَةٍ شَانَهَا عَجِيبُ^(٤)
وَسَارَ بِالذَّمِّ فِيكَ شِغْرِي وَقِيلَ لِي مُحْسِنٌ مُصِيبُ
مَالُكَ مَا الْيَتِيمِ عِنْدِي وَلَا أَرَى أَكْلَاسَهُ يَطْلِيْبُ
حَسْبُكَ مِنْ مُوجِرٍ بَلِيغٍ يَبْلُغُ مَا يَبْلُغُ الْخَطِيبُ

[٩٧/١٤]

خانه محمد بن حميد فهجاه

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدَّثني علي بن الحسين الشيباني قال:

بعث الحسن بن سَهْلٍ محمد بن حُمَيْدٍ فِي وَجْهَةٍ، وأمره بجباية مالٍ، وبَحَرْبِ قَوْمٍ مِنَ الشُّرَاةِ^(٥)، فخان فِي الْمَالِ وَهَرَبَ مِنَ الْحَرْبِ، فَقَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِي:

تَشَبَّهَ بِالسَّاسِدِ الثَّلَسُ فَغَادَرَهُ مُعْتَقاً يُجَنِّسُ^(٦)
وَحَاوَلَ مَا لَيْسَ فِي طَبْعِهِ فَأَسْلَمَهُ النَّابُ وَالْمِخْلَبُ
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ أَبَاطِيلُهُ وَحَاصَ فَأَخْرَزَهُ الْمَهْرَبُ^(٧)

(١) الفضل: البقية. والرحل هنا: منزل الرجل ومسكنه وبيته.

(٢) الرشوة، مثلثة الراء: الجعل، والجمع رشاء، بالكسر والضم.

(٣) الندبة كشجرة: أثر الجرح الباقي على الجلد، والجمع ندب كشجر، وجمع الجمع أنداب وندوب، وقيل: الندب واحد والجمع أنداب وندوب.

(٤) نشت: سمع لها صوت عند الكي.

(٥) الشراة: الخوارج.

(٦) أعنق الكلب: جعل في عنقه قلادة وفي جد «مفتقاً» وهو تحريف، وجنبه كنصر: قاده إلى جنبه.

(٧) حاص: حاد وعدل.

[٩٨/١٤]

/ وكان مَضِيًّا على غَذْرِهِ
أَيُّابُ بْنُ حُمَيْدٍ كَفَرَتْ النَّعِيْبُ
وَمَتَّكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى عَلَى مُنْعِمٍ
فَأَصْبَحْتَ بِالْبَغْيِ مُسْتَبْدَلًا

قال: وقال فيه لما شخص إلى حيث وجهه الحسن بن سهل:

إذا استقلَّكَ بِكَ الرُّكَّابُ
زَالَتْ سِرَاعًا وَزُلْتَ يَجْرِي
بَحِيثٌ لَا يُرْتَجَى إِيَابُ
فَقَبِّلْ مَعْرُوفَكَ امْتِنَانُ
/ وَخَيْرُ أَخْلَاقِكَ اللَّوَاتِي
فَحِيثُ لَا ذَرَّتِ السَّحَابُ
بَيْنَكَ الظَّنِّي وَالْفَرَابُ
وَحَيْثُ لَا يِلْغُ الْكِتَابُ
وَدُونَ مَعْرُوفِكَ الْعَذَابُ
تَعَافِ أَمْثَالَهَا الْكَلَابُ

١٦١
١٢

ردّه على من عابه بقصر شعره

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني أبي قال: قال يحيى بن أكنم لمحمد بن حازم الباهلي: ما نَعِيبُ شَعْرَكَ إِلَّا أَنْتَ لَا تَطِيلُ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَبَى لِي أَنْ أَطِيلَ الشَّعْرَ قَصْدِي
وَإِجْازِي بِمُخْتَصَرٍ قَرِيبِ
فَأَبْعَثُهُنَّ أَرْبَعَةً وَخَمْسًا
/ خَوَالِدٌ مَا حَدَا لَيْلٌ نَهَارًا
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُ بِهِنَّ قَوْمًا
وَهُنَّ إِذَا أَفْسَمْتُ مُسَافِرَاتِ
إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ
حَدَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ
مُتَقَفَّةً بِالْفَظَائِ عَذَابِ^(١)
وَمَا حَسُنَ الصَّبَا بِأَخِي الشَّبَابِ
كَأَطْوَاكِ الْحَمَائِمَ فِي الرُّقَابِ
تَهَادَتْهَا الرُّوَاةُ مَعَ الرُّكَّابِ

[٩٩/١٤]

خبره مع أبي ذؤيب

حدّثني حبيب بن نصر المهلب قال: حدّثنا علي بن محمد بن سليمان التّوفلي قال:

كان بالأهواز^(٤) رجلٌ يعرف بأبي ذؤيب من التّثّار، وكان مقصّد الشعراء وأهل الأدب، فقصدته محمد بن

(١) مضيا: مبالغة في ماض.

(٢) وسوس المذهب الرجل: كلمه كلاماً خفياً، أي ناجاك مذهبك الخبيث الدنيء فسوّ لك أن تفعل ما فعلت.

(٣) أي فأبعثهن أربعة أبيات وخمسة أبيات. وقد أنث العدد الأول وذكر الثاني، وهو جائز. وذلك أنه إذا حذف المعدود مع قصده في المعنى، فالفصيح أن يكون كما لو ذكر؛ تقول: صمت خمسة تريد أياماً، وسهرت خمسا تريد ليالي. ويجوز أن تحذف التاء من المذكر كحديث: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال».

(٤) الأهواز: إقليم في الجنوب الغربي من فارس.

حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَدَّةٌ^(١)، وهَيْئَةُ رَثَّةٍ، ولم يعرفه نَفْسُهُ، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو ذؤيب يتكلم متحققاً بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم - وقد دخل عليه يوماً - عن بيت من شعر الطَّرِمَاحِ جَهِلهُ، فردَّ عليه جواباً مُحَالاً^(٢) كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مُغَضَباً. فلَمَّا خرج قيل له: ماذا صنعتَ بِنَفْسِكَ وفتحتَ عليها من الشرِّ؟ أتدري لمن تعرَّضتَ؟ قال: وَمَنْ ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهلي، أخبت الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لَحِقَهُ، فحلف له أنه لم يَعْرِفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يَقْبَلُ له رِفْداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا:

وَزَرَى عَلَيَّ وَقَالَ غَيْرَ صَوَابٍ	أَخْطَا وَرَدُّ عَلَيَّ غَيْرَ جَوَابِي
فِيمَا كَرِهْتُ بِظَنِّهِ الْمُرْتَابِ	وَسَكَنْتُ مِنْ عَجَبٍ لَذَاكَ فِرَازِنِي
لَمْ يَذَرِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ثِيَابِي	وَقَضَى عَلَيَّ بظَاهِرٍ مِنْ كُنْهِي
وَتَجَلَّدَ لِمَصِيصَةِ وَعِقَابِ	/ مِنْ عَقْبَةٍ وَتَكَرُّمٍ وَتَعَمُّلِ
عُوداً لِبَعْضِ صَفَائِحِ الْأَقْتَابِ ^(٣)	وَإِذَا الزَّمَانُ جَنَى عَلَيَّ وَجَدْتَنِي
أَنْسِي بِحَيْثُ أَحَبَّ مِنْ آدَابِ	وَلَمَّا سَأَلْتُ لِيُخَيِّرَنَّكَ عَالِمٌ
قَفَّرَ أَمْجَالَ ثَعَالٍ وَذُئَابِ ^(٤)	وَإِذَا نَبَا بِي مَنْزِلُ خَلِيَّتِهِ
فَإِذَا افْتَرَقْتُ قَعَدْتُ عَنْ أَصْحَابِي	وَأَكُونُ مُشْتَرِكَ الْغَنَى مُتَبَدِّلاً ^(٥)
لَمَّا تُسَبِّحُ وَخَافَ مَضَى عِتَابِي ^(٦)	لَكِنَّهُ رَجَعْتُ عَلَيْهِ نَدَامَةً
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْكَرِيمِ بِنَابِ	فَأَقْلَبْتُ لَمَّا أَقْرَبَ بَذْبِهِ

[١٠٠/١٤]

ترضاه صديق له فقال شعراً

أخبرني حبيب بن نصر قال: حَدَّثَنَا النوفلي قال:

كان سعد بن مسعود القطراني^(٧): أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم الباهلي، فسأله حاجة فردَّه عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضاه، فردَّها وكتب إليه:

يَحَارُ فِيهِ الْحَوْلُ الْقَلْبُ ^(٨)	/ مُتَسَبِّحُ الصَّدْرِ مُطِيقٌ لَمَّا
وَرَبَّمَا أَعْتَبَكَ الْمُذْنِبُ	رَاجِعَ بِالْعُتْبَى فَأَعْتَبْتُهُ

١١٢
١٢

(١) أي رث اللبسة.

(٢) المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه؛ يقال: أحال الكلام إحالة إذا أفسده.

(٣) الأقتاب: جمع قتب كجبل، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير. وصفائح الأقتاب: الواحها.

(٤) نبا به منزله: لم يوافق.

(٥) في الأصول «متبدلاً». وقد سبقه إلى هذا المعنى جرير فقال:

وإنسي لعف الفقر مشترك الغنى

سريع إذا لم أرض دارى احتاليا

(٦) مض عتابي: أي حرقته وإيلامه.

(٧) قطربل: قرية شمالي بغداد تنسب إليها الخمر، وفي جـ «القطري».

(٨) في ب، س: «منطبق». وفي جـ «مطبق» وهو تحريف.

[١٤/١٠١] أَجَلٌ وَفِي الدَّهْرِ - عَلَى أَنَّهُ / سَقِيًّا وَرَغِيًّا لَزِمَانٍ مَضَى
 قَدْ جَاءَنِي مِنْكَ مُوَيْلٌ فَلَمْ
 أَخْذِي مَالًا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي
 آيَيْتُ أَنْ أَشْرِبَ عِنْدَ الرِّضَا
 أَعَزَّنِي الْيَاسَ وَأَغْنَى فَمَا
 قَارُونَ عِنْدِي فِي الْغِنَى مُغْدِمٌ
 فَأَيُّ هَاتَيْنِ تَرَانِي بِهَا
 مُوَكَّلٌ بِالْيَمِينِ - مُسْتَعْتَبٌ
 عَنِّي، وَسَهْمُ الشَّامِتِ الْأَخِيْبُ
 أَغْرَضُ لَهُ وَالْحُرُّ لَا يَكْذِبُ^(١)
 أَوْدَعْتِيهِ مَرْكَبٌ يَضْعُبُ
 وَالسُّخْطُ إِلَّا مَشْرَبًا يَغْدُبُ
 أَرْجُو سَوَى اللَّهِ وَلَا أَهْرُبُ^(٢)
 وَهَمَّتِي مَا فَوْقَهَا مَذْهَبٌ
 أَصْبُو إِلَى مَالِكَ أَوْ أَرْغَبُ؟

خبره مع أحمد بن يحيى

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ وَعِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ
 الثُّوَشْجَانِيُّ قَالَ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: آخِرُ مَا فَارَقْتُ عَلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ حَازِمٍ أَنَّهُ
 قَالَ: لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا بَيْعُ السَّنَانِيرِ. فَقُلْتُ لَهُ: سَخِنْتَ^(٣) عَيْنُكَ! أَيْشِ^(٤) لَكَ فِي بَيْعِ السَّنَانِيرِ مِنَ
 اللَّذَاتِ؟ قَالَ: يُعْجِبُنِي أَنْ تَجِئَنِي الْعَجُوزُ الرَّغْنَاءُ تَخَاصِمُنِي وَتَقُولُ: هَذَا سِتُّورِي سُرِقَ مِنِّي، وَأُخَاصِمُهَا وَأَشْتُمُهَا
 وَتَشْتَمُنِي، وَأَغِظُهَا وَأَبَاغُضُهَا؛ ثُمَّ أَشْدُنِي.

وَصَلَّ خُمْرًا بِخُمَارٍ / وَخُذْ بِحَظِّكَ مِنْهَا
 وَصَلَّ خُمَارًا بِخُمُرٍ^(٥) / زَادَ إِلَى حَيْثُ تَدْرِي
 قَالَ: قُلْتُ: إِلَى أَيْنَ وَيَحْكُ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ يَا أَحْمَقَ.

[١٤/١٠٢] رَدَّهَ عَلَى كِتَابِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي نَهْيِكَ

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبِهِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ
 قَالَ:

كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي نَهْيِكَ أَنَسًا بِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيِّ يَدْعُوهُ وَيُعَاشِرُهُ مُدَّةً. فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْتَزِيرُهُ
 وَيُعَاتِبُهُ عِتَابًا أَغْضَبَهُ؛ وَبَلَغَهُ أَنَّهُ غَضِبَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

مَا مُسْتَزِيرُكَ فِي وَدِّ رَأْيٍ خَلَّالًا / فِي مَوْضِعِ الْأَنْسِ أَهْلًا مِنْكَ^(٦) لِلْغَضَبِ

(١) فِي ب، س: «ذُو مَوَيْلٍ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَمَوَيْلٌ: تَصْغِيرُ مَالٍ.

(٢) فِي الْأَصُولِ: «أَعَزَّنِي الْيَاسَ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ. وَكَانَ الْأَنْسَبُ بِهِ أَنْ يَقُولَ: «وَلَا أَرْهَبُ».

(٣) يَقُولُونَ فِي شَتْمِ الْمَرْءِ وَالِدَعَاءِ عَلَيْهِ: «سَخِنْتَ عَلَيْهِ» أَيْ مِنْ حَرَارَةِ الْبُكَاءِ، وَ«أَسَخَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ» أَيْ أَبْكَاهُ، وَهُوَ نَقِيضُ قَوْلِهِمْ فِي
 الدَّعَاءِ لَهُ: «قَرَّتْ عَلَيْهِ» أَيْ بَرَدَتْ وَانْقَطَعَ بِكَاءُهَا، أَوْ رَأَتْ مَا كَانَتْ مَشْتَوِّقَةً إِلَيْهِ، «أَقَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ».

(٤) فِي الْأَصُولِ: «أَيْشِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) خُمَارُ الْخُمْرِ: مَا خَالَطَ مِنْ سَكْرِهَا.

(٦) فِي الْأَصُولِ: «عَنْكَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

قد كنت تُوجبُ لي حقًا وتُعرفُ لي
ثم انحرفتُ إلى الأخرى فإخشمَني
وإن أدنى الذي عندي مُسامحةٌ
فأخترُ فعندي منِ ثنتين واحدةٌ
فإن تُجددَ كما قد كنتَ^(٣) تفعلهُ
قدري وتَحَفَظُ مِنِّي حُرمةَ الأدبِ
ما كان منك بلا جُرمٍ ولا سَبَبٍ^(١)
في حاجتي بعد أن أَعذرتُ في الطلبِ^(٢)
عُذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللعبِ
.....

خبره مع الحسن بن سهل

حدثني محمد بن يونس الأنباري المعروف بمحصنة قال: حدثني ميمون بن هارون قال:

قال محمد بن حازم الباهلي: عرضتُ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سهل، فأتيتُهُ، وقد كنتُ قلتُ في السفينة شعراً، فلما دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له، فعرفني، فقال: / ما قلتُ فيه شيئاً؟ فقال ^{١١٣}/_{١٢} له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة؛ فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

[١٠٣/١٤]

/ وقالوا لو مدحت فتى كريماً
بَلَوْتُ الناسَ مُذْ خمسين عاماً
فما أحدٌ يُعَدُّ ليومٍ خيرٍ
ويعجبني الفتى وأظنَّ خيراً
تَقِيلُ بعضهم بعضاً فاضْحَوْا
فطاف الناسُ بالحسن بن سهلٍ
وقالوا سَيِّدٌ يُعْطِي جزيلاً
فقلتُ مضى بَدَمُ القومِ شغري
وما خَبَرْتُ رَجْمَهُ ظُنُونِي
فجئتُ ولأُمورٍ مُبْشِراتٍ
فإن يَكُ ما تَنْشُرُ عنه حقاً
فقلتُ وكيف لي بفتى كريمٍ؟
وَحَبُّكَ بِالْمُجَرَّبِ مِنْ عَلِيمٍ
ولا أحدٌ يعود ولا حميمٍ^(٤)
فأكشف منه عن رجلٍ لثيمٍ
بني أبوين قَدْ آوَى^(٥) من أدِيمٍ
طَوَّافُهُمْ بِزَمْزَمٍ وَالْحَطِيمِ^(٦)
ويكشف كُرْبَةَ الرجلِ الكَظِيمِ^(٧)
وقد يُؤْتِي البَريءُ من السَّقِيمِ
بأشْفَى من مَعَايِنَةِ الحَلِيمِ^(٨)
ولن يخْفَى الأغرُّ من البَهِيمِ^(٩)
رجعت بأهبة الرجلِ المُقِيمِ

(١) أخشمني: أغضبني.

(٢) أعذر: أبدى عذراً وبالغ فيه.

(٣) الشطر الثاني من هذا البيت ساقط. في الأصول. وهذه الأبيات كتبت في النسخة المخطوطة شطراً تحت شطر.

(٤) يلاحظ أن في البيت إقواء.

(٥) في الأصول: «فذا» وهو تصحيف. وتقول: أشبه.

(٦) زمزم: بئر عند الكعبة. والحطيم: حجر الكعبة (بكسر الحاء) أو جداره، أو ما بين الركن وزمزم.

(٧) الكظيم: المكروب.

(٨) كلام مرجم: أي عن غير يقين.

(٩) الأغر: ذو الغرة، وهي بياض في الجبهة. والبهيم: الأسود.

وإن يَكْ غيرُ ذاكَ حَمِدْتُ رَبِّي وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمٍ^(١)
ومما الآمالُ تَغْطِفُنْسي عليه ولكنَّ الكريمَ أخو الكريم

قال: فلما أنشدته هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! والله لو كان نظيرك لما جاز أن تخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعد، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشبه مثله. قال: فأفعل، وأنزلني عنده / [١٠٤/١٤] ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخاله إليه بغير مدح، فأدخلت إليه. فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فاستعفيت فلم يُعفني، وقال: قد قنعنا منك بهذا القدر إذا لم تُدخلنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إياه؛ فضحك وقال: ويحك! مالك وللناس تُعْثِمُهم بالهجاء؟ حَسْبُكَ الآن من هذا التَمَطُّ وأبقى عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قُبِلْتُ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديت إليه هديةً قبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبْتُ القومَ للحَسَنِ بنِ سَهْلٍ فعَوَضَنِي الجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ
وقال دَعِ الهِجَاءَ وَقُلْ جَمِلاً فَإِنَّ القَصْدَ أَقْرَبُ لِلثَّوَابِ^(٢)
فقلت له: بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَلْيَتَّهَمُوا بِمُنْقَطَعِ الثَّوَابِ^(٣)
ولولا نعمةُ الحَسَنِ بنِ سَهْلٍ عَلَيَّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العَذَابِ^(٤)
بِشَعْرِ يَغْجَبُ الشُّعْرَاءُ مِنْهُ يُشَبِّهُ بِالهِجَاءِ وبالعِتَابِ
أَكِيدُهُمْ مُكَايَدَةَ الأَعْيَادِ وَأَخْلِلُهُمْ مُخَاتَلَةَ الذُّنَابِ^(٥)
بَلَوْتُ خِيَارَهُمْ فَلَوْتُ قَوْمًا كَهَوْلُهُمْ أَخَسُّ مِنَ الثَّوَابِ
/ وما مُسِخُوا كِلَابًا غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ القَوْمَ أَشْبَاهَ الكِلَابِ

قال: فضحك وقال: ويحك! الساعة ابتدأت بهجتهم وما أفلتوا منك بعد. فقلت: هذه بُغْيَةٌ طَفَحَتْ على قلبي، وأنا كافٍ عنهم ما أبقي الله الأمير.

[١٠٥/١٤] / شعره في صديق تغير عليه

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال:

كان لمحمد بن حازم الباهلي صديق على طول الأيام، فنال مرتبة من السلطان وعلاً قَدْرُهُ، فجفا محمداً وتغير له؛ فقال في ذلك محمد بن حازم:

وَضَلُّ المُلُوكِ إِلَى التَّعَالِي وَوَقَا المُلُوكِ مِنَ المَحَالِ

(١) في الأصول: «جهدت» وهو تصحيف. وفيها أيضاً «حليم» وهو تصحيف.

(٢) القصد: استقامة الطريق.

(٣) بمنقطع التراب: أي بالمكان الثاني الموحش الذي انقطع وطء تراه واجتيازه، أو القبر.

(٤) في الأصول: «سوم العذاب» تحريف.

(٥) ختله كضرب ونصر: خلدعه.

مَالِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُمْ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلسَّرْجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرَر فِي قَلْبِكَ ذَاكَ أَخُو ضَلَالٍ^(١)
أَوْ كَانَ ذَا نُسُوكٍ وَدِير مِنْ قَلْبِكَ ذَاكَ مِنَ الثُّقَالِ^(٢)
أَوْ كَانَ فِي وَسْطٍ مِنْ أَل أَمْرَيْنِ قَلْبَكَ يُرِيغُ مَالِي^(٣)
فِيمَنْ لِي ذَا - ثِكَلْتُكَ أَثْمَكَ - تَبْتَغِي رُتَبَ الْمَعَالِي؟

خبره مع إبراهيم بن المهدي

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُويه قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ:

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ قَدْ نَسَكَ وَتَرَكَ شُرْبَ النَّبِيذِ، فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، فَحَادَثَهُ وَنَاشَدَهُ
وَأَكَلَ مَعَهُ لَمَّا حَضَرَ الطَّعَامُ، ثُمَّ جَلَسُوا لِلشَّرَابِ؛ فَسَأَلَهُ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَشْرِبَ، فَأَبَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَبْعَدَ خَمْسِينَ أَصْبُو؟ وَالشَّيْبُ لِلْجَهْلِ خَرْبُ
سِنْ وَشَيْبُ وَجَهْلُ! أَمْرٌ لَعَمْرُكَ صَغْبُ
يَا بَنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا أَيْسَامٌ عُودِي رَطْبُ!
/ وَشَيْبُ رَأْسِي قَلِيلُ وَمَنْهَلُ الْحُبِّ عَذْبُ
وَإِذْ سِهَامِي صِيَابُ وَتَضِلُّ سَيْفِي عَضْبُ^(٤)
وَإِذْ شِفَاءُ الْغَوَانِي مِنِّْي حَدِيثُ وَقُرْبُ
فَالآنَ لَمَّا رَأَى بِي أَل عُذَالُ لِي مَا أَحْبُّوا
وَأَقْصَرَ الْجَهْلُ مِنِّْي وَسَاعِدَ الشَّيْبُ لُبُ
وَأَتَسَرَ الرُّشْدُ مِنِّْي قَوْمٌ أَعَابَ وَأَصْبُو
أَلَيْتُ أَشْرَبُ كَأَسَا مَا حَجَّ لِلَّهِ رَكْبُ

خبره مع النوشجاني

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويه قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ:

وَعَدَ النُّوشْجَانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ شَيْئًا سَأَلَهُ إِيَّاهُ ثُمَّ مَطَّلَهُ، وَعَاتَبَهُ فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِذَلِكَ، وَاقْتَضَاهُ^(٥)، فَأَقَامَ عَلَى
مَطَّلِهِ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

أَبَا بَشِيرٍ تَطَاوَلَ بِي الْعِتَابُ وَطَالَ بِي التَّرْدُّدُ وَالطَّلَابُ

(١) أي إن كان الرجل ذا أدب.

(٢) النسك مثلثة وبضمين: العبادة.

(٣) في الأصول 'يريع' وهو تصحيف ويريع: يريد ويطلب.

(٤) صياب: جمع صائب كصاحبه وصحاب. وصائب، يجوز أن يكون من صاب السهم يصوب، أو صاب يصيب، لغة في أصاب.

(٥) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى.

ولم أترك من الأعذار شيئاً / سألتك حاجة فطويت كشحاً
 على رَغَمٍ، وللدهر انقلاباً^(١) / سُمْنِي السَدْنِيَّةَ مُسْتَحْفَا
 كما خُزِمْتُ بِأَنْفِهَا الصُّعَابُ^(٢) / كَأَنَّكَ [كُنْتَ^(٣)] تَطْلُبُنِي بِشَارٍ
 وفي هذا لك الْعَجَبُ الْعُجَابُ / فَإِنَّ تَكُ حَاجَتِي غَلَبَتْ وَأَعِيَتْ
 فمعدورٌ، وقد وَجَبَ الثَّوَابُ^(٤) / وَإِنْ يَكُ وَقْتُهَا شَيْبُ الْغُرَابِ
 فلا قُضِيَتْ ولا شَابَ الْغُرَابُ / رَجَوْتُكَ حِينَ قِيلَ لِي أَبْنُ كِسْرَى
 وإِنَّكَ سِرٌّ مُلْكُهُمُ اللَّبَابُ / فَقَدْ عَجَّلْتَ لِي مِنْ ذَاكَ وَغَدَاً
 وأقربُ من تَنَاولِهِ السَّحَابُ / وَكُلُّ سَوْفٍ يُنْشَرُّ غَيْرَ شَكٍّ
 وَيَحْمِلُهُ لِطَيْئِهِ^(٥) الْكِتَابُ

١٦٥
١٢

[١٠٧/١٤]

خبره مع بعض ولد سعيد بن سالم

أخبرني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السري قال:

قصّد محمد بن حازم بعض ولد سعيد بن سالم وقد ولي عملاً، واسترفده^(٦)؛ فأطال مُدَّتَهُ ولم يُعْطِهِ شيئاً؛

وانصرف عنه وقال:

إِلْدُنِّيَا أَعِدُّكَ يَا بَنَ عَمِّي / فَأَغْلَمَ أَمَ أَعِدُّكَ لِلْحَسَابِ
 إِلَى كَمَ لَا أَرَاكَ تُنِيسَلُ حَتَّى / أَهْزُكَ أَقْدَرِثْتُ مِنَ الْعَتَابِ
 وَمَا تَنْفُكَ مِنْ جَنْعٍ وَوَضِعٍ / كَأَنَّكَ لَسْتَ تُورِقُنُ بِالْإِيَابِ
 فَشَرُّكَ عَنْ صَدِيقِكَ غَيْرُنَاءٍ / وَخَيْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ التَّرَابِ
 أَتَيْتُكَ زَائِراً فَأَتَيْتُكَ كَلْباً / فَحَظُّنِي مِنْ إِخَائِكَ لِلْكَلَابِ
 فَبَسْ أَخُو الْعَشِيرَةِ مَا عَلِمْنَا / وَأَخْبْتُ صَاحِبَ لِأَخِي اغْتِرَابِ
 أَيْزَحَلُ عَنْكَ ضَيْفُكَ غَيْرَ رَاضٍ / وَرَجُلُكَ وَاسِعُ خِصْبِ الْجَنَابِ
 فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ كَرَمٍ بَعِيداً / وَمِنْ ضِدِّ الْمَكَارِمِ فِي اللَّبَابِ
 وَمَا بِي حَاجَةٌ لَجَدَاكَ لَكِنْ / أَرُدُّكَ عَنْ قَبِيحِكَ لِلصَّوَابِ^(٧)

(١) الكشف: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف. وطوى كشحه عنه: أعرض عنه وقطعه. وطوى كشحه على الأمر: أضمره وستره.

(٢) سامه الذل: كلفه إياه وأراد به عليه. وأنف: جمع أنف. والصعاب: جمع صعب، وهو من الإيل ضدّ الذلول.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) أعياء الأمر وأعياء عليه: عجز عنه.

(٥) في الأصول «لطيئها» وهو تحريف. يقال: مضى لطيئه، أي لوجهه الذي يريده. ولنيته التي انتواها.

(٦) استرفده: طلب رفته، أي صلته وعطاءه.

(٧) الجدا والجدوى: العطية.

/ تمثل المتوكل بشعره حينما غاضبته قبيحة

حدثني عمي قال: حدثني يزيد بن محمد المهلهبي قال:

كنا عند المتوكل يوماً وقد غاضبته قبيحة، فخرج إلينا فقال: مَنْ يُنْشِدُنِي مِنْكُمْ شعراً في معنى غَضَبِ قبيحة علي، وحاجتي أن أخضع لها حتى ترضى؟ فقلت له: لقد أحسن محمد بن حازم الباهلي يا أمير المؤمنين حيث يقول:

صفحت برغمي عنك صفح ضرورة
خضعت وما دئبي إن الحب عزني^(٢)
وما زال بي فقر إليك مُنازع
إلى الله أشكو أن ودي مُحَصَّل
إليك وفي قلبي ندوب من العقب^(١)
فاغضيت صفحاً عن معالجة الحب
يُذلل مني كل مُنتزع صعب
وقلبي جميعاً عند مُقتسيم القلب^(٣)
والغناء للبيدة الطنبورية رمل بالوسطى - قال: أحسنت وحياتي يا يزيدا وأمر بأن يُغنى فيه، وأمر لي بالف دينار.

هجاؤه بني نمير

حدثني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهبويه قال: حدثنا علي بن خالد البرمكي قال:

سافر محمد بن حازم الباهلي سافراً، فمرّ بقوم من بني نمير، فسألوا منه بغيراً له عليه ثقله^(٤)؛ فقال يهجوهم:

/ نُمير: أجنباً حيث يختلف القنسا
ومنع قرى الأضياف من غير علة
وبغياً على الجار الغريب إذا طراً
/ على أنكم ترضون بالذل صاحباً
أما وأبي إننا لنغفوا وإننا
نكيد العدا بالحلم من غير ذلة
نقى الضيم عنا أنفس مضرية
وإننا لمن قيس بن عيلان في التي
ولؤماً وبُخلاً عند زادٍ ومزود^(٥) ؟
ولا عَدم، إلا حذارِ التعمود
عليكم وختل الرّاكب المُتقرّد^(٦)
وتغطون من لا حاكم الضيم عن يد^(٧)
على ذاك أحياناً نجور ونعتدي
ونغشى السّوقى بالصّدق لا بالتسوّد
صراخ وطعن الباسل المُتقرّد^(٨)
هي الغاية القُصوى بعزّ وسودد

[١٠٩/١٤]

(١) في جـ «يدوب من العقب» وهو تحريف.

(٢) عزني: غلبني.

(٣) محصل: مجمع ثابت.

(٤) في الأصول: «فسلوا عليه بغيراً...» وسلاوا: استلوا. والنقل: متاع المسافرين.

(٥) المزود: وعاء الزاد.

(٦) طراً على القوم: أتاهم من غير أن يعلموا. وفي الأصول «طراً إليكم». والختل: الخدع.

(٧) لاجأه: نازعه. وعن يد: عن ذلة.

(٨) في الأصول: «صراخ بالخاء المعجمة» وهو تصحيف.

وإن لنا بالثُّرَكِ قَبْرًا مُبَارَكًا وبالصَّيْنِ قَبْرًا عِزَّ كُلِّ مُوَحِّدٍ^(١)
 وما نأبنا صَرْفُ الزَّمانِ بِسَيِّدٍ بِكَيْنَا عَلَيْهِ أَوْ يُؤَافِي بِسَيِّدٍ^(٢)
 ولو أن قوماً يَسْلُمُونَ مِنَ الرَّدَى سَلِمْنَا وَلَكِنَّ الْمَنَايَا بِمَرْصَدٍ^(٣)
 أبى الله أن يَهْدِي نُمَيْرًا لِرُشْدِهَا ولا يَرْشُدُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِمُرْشِدٍ

هجاؤه عاملاً لمحمد بن حامد على الأهواز

حدثني الحسن بن عليّ قال: حدثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَدِ الْبَخْتِكَانِ^(٤) من الأهوازيين. أن محمد بن حامد ولي بعض كُور الأهواز في أيام المأمون، وأن محمد بن / حازم الباهليّ قديم عليه زائراً ومدّحه، فوصله وأحسن إليه، وكتب له إلى تُشْتَرِ^(٥) بِحِنْطَةٍ وشعير، فمضى بكتابه، وأخذ ما كُتِبَ له به، وتزوَّج هناك امرأة من الدَّهَاقِينِ^(٦)، فزَرَعَ الْحِنْطَةَ والشَّعِيرَ فِي ضَيْعَتِهَا؛ وولّى محمد بن حامد رجلاً من أهل الكوفة الْخَرَّاجَ بِشُتْرٍ، فوكل بِغَلَّةِ محمد بن حازم، وطالبه بالخراج فأذاه، فقال يهجوّه:

زَرَعْنَا فَلَمَّا سَلَّمَ اللَّهُ زَرَعَنَا وأوفى عليه مِنْجَلٌ بِحَصَادٍ^(٧)
 بُلَيْنَا بِكُوفِيٍّ حَلِيفٍ مَجَاعَةٍ أَضَرَّ عَلَيْنَا مِنْ دَبَّاءٍ وَجَرَادٍ^(٨)
 أَتَى مُسْتَعِيدًا مَا يُكَذِّبُ دُونَهُ وَلَجَّ بِالرَّغَامِ لَهُ وَبِعَادٍ^(٩)
 فَطَوَّرَ بِالْحَاجِ عَلِيٍّ وَغُلْظَتِيهِ وَطَوَّرَ بِخَبْطِ دَائِمٍ وَفَسَادٍ
 وَلَوْ لَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَعْنَى ابْنَ حَامِدٍ لَرَحَّلْتُهُ عَنْ تُشْتَرٍ بِسَوَادٍ
 فَكُفُّوا الْأَذَى عَنْ جَارِكُمْ وَتَعَلَّمُوا بِأَنِّي لَكُمْ فِي الْعَالَمِينَ مُنَادِي

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية، وقال له: عَرَضْتَنِي لِمَا أَكْرَهَ، واحتمل خراج محمد بن حازم.

(١) في الأصول «وإننا» تحريف. يفتخر في هذا البيت بمآثر قتيبة بن مسلم الباهلي - وهو باهلي مثله - ويتمدح بفتوحه التي كان فيها عز الإسلام والمسلمين. وذلك أن الحجاج ولاه خراسان فغزا بلاد ما وراء النهر، وافتتح بخارى وسمرقند وخوارزم؛ ووصل في فتوحه إلى كشغر من بلاد الصين، وقتل سنة ٩٦ هـ.

(٢) في الأصول: «وما فاتنا» وهو تحريف، وفي ج «فينا عليها» وفي ب، س «يثبنا عليها» وهو تحريف.

(٣) أخذته من قول عديّ: «وإن المنايا للرجال بمرصد». رصده كنصر: قعد له على طريقه. والمرصد والمرصاد: الطريق.

(٤) البختكان: هو والد بزرجمهر الوزير العادل لأنوشروان ملك الفرس. وقد اشتهر هذا الوزير برجاسة عقله وحكمته، وأثر عنه كثير من الحكم البليغة، وأحضر جملة كتب من الهند، وترجمها إلى اللسان البهلوي، وعمر طويلاً، وتوفي زمن هرمز الثالث بن أنوشروان بين سنة ٥٨٠، وسنة ٥٩٠ م. انظر «قاموس الأعلام» لشمس الدين سامي.

(٥) تستر: مدينة كبيرة بالأهواز.

(٦) الدهاقين: جمع دهقان بالكسر والضم: وهو زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم.

(٧) أوفى عليه: أشرف.

(٨) الدبّا: أصغر الجراد والتنمل.

(٩) ما يكذب دونه، أي ما يشي عن الزرع حتى يستولي على حصة الخراج منه؛ من قولهم: حمل عليه فما كذب (بالتشديد): أي ما اتنى وما جبن وما رجع.

وصفه للشيب

أخبرني محمد بن الحسين بن الكندي المؤدّب قال: حدّثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول:

/ قال هذا الباهليّ محمد بن حازم في وصف الشيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهليّ: تعني قوله:

كفأك بالشيب ذنباً عند غانية وبالشباب شفيعاً أيها الرجلُ

فقال: إيّاه عنيّت. فقال له الباهليّ: ما سمعت لأحد من المُحدّثين أحسن منه.

خبره مع محمد بن زبيدة

حدّثني عمّي قال: حدّثنا حسين بن فهم قال: حدّثني أبي قال:

دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو / أمير، فدعاه إلى أن يشرب معه، فامتنع وقال:

أبعد خمسين أصبرو والشيب للجهل حُرْبُ

سِرٌّ وشيب وجهل! أمراً لَعَنَ رُكَّ صَغْبُ

يأبى الإمام فهلاً إمام عُوردي رَطْبُ!

وشيب رأسي قليل ومنه لُ الحُب عَذْبُ

وإذ شفاء الغواني مئسي حديث وشربُ

الآن حين رأى بي عَمِي وَأَذَلِي مَا أَحْبُّوا!

آليت أشرب كأساً ما حيج لُله رُكْبُ

قال: فأعطاه محمد بن زبيدة ووصله.

[١١٢/١٤]

/ أخبار ابن القصار ونسبه

نسبه

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرْد الخِيار^(١)، سليمان بن عليّ: وذكره جحظة في كتاب الطُّنْبُورِيِّين^(٢)، فتَّلَه^(٣) في نفسه وأخلاقه ومدَحَ صَنَعَتَهُ، وقال: مما أَحَسَّنَ فيه قوله:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ لَاحٍ فِي فَخْمَةِ الدُّجَى فَأَذْكُرُنِي الْأَجَابَ وَالْمَنْزَلَ الرَّخْبَا
قال: وهذا خفيف رمل مطلق. ومما أحسن فيه أيضاً:

تَعَالَى نُجْدُ عَهْدِ الصَّبَا وَتَضَفُّحُ لِلْحُبِّ عَمَّا مَضَى
وهو خفيف رمل مطلق أيضاً:

ثلبة جحظة وتنادر عليه

وذكر أنه كان مع أبيه قَصَّاراً^(٤)، وتعلَّم الغِنَاءَ فَبَرَعَ فِيهِ. ومن طَيَّبَ ما ثَلَبَهُ به جَحْظَةُ وتَنَادَرَ عَلَيْهِ^(٥) به - وأراها مصنوعة - أنه مرَّ / يوماً على أبيه، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز^(٦) نبذ، وجوامرجة^(٧) مذبوحة مسمومة^(٨)، فقال: الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكلُ لحم الجواميريات، ويشربُ نبذ القاطرميزات^(٩).

وحدَّث عن بعض جيرانه أنَّ ابن القَصَّارِ غَتَّى لَهُ يوماً بحبلي ودَلَّوْ، وأنَّ إسماعيل بن المتوكل وَهَبَ لَهُ مائتي أُتْرُجَةٍ^(١٠) كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، وأنه يَحْمَلُ بلبكيذة^(١١) إلى دار السلطان، وله فيه خُبْرٌ وجِبْنٌ فيأكله،

(١) كذا في الأصول، ويؤيد هذا ما ورد في «معجم البلدان» (في «ناحية» ج ٤: ٧٢٧ طبع أوربة): «قرأت بخط بعض الفضلاء الأئمة وهو أبو الفضل العباس بن علي المعروف بابن برد الخيار» بالراء أيضاً. وجاء في «معجم الأدباء» (ج ١: ص ٢٦٩ طبع هندية في ترجمة إبراهيم بن عباس الصولي): «واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن برد الخباز» بالزاي.

(٢) أي الضارين بالطنبور، وهو من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة أوتار. فارسيّ معرَّب.

(٣) في الأصول «قبله» وهو تصحيف: يقال: تل فلاناً بتلة سوء (بكسر التاء): أي رماه بأمر قبيح.

(٤) القصار والمقصّر: محور الثياب وميضها؛ لأنه يدقها بالقصرة وهي القطعة من الخشب. وحرفته القصارة بالكسر.

(٥) ثلَبه: عابه. وجاء في «أساس البلاغة» «وفلان يتنادر علينا»، ومعناه يحدثنا بالنوادر والملح، وفي الأصول: «وتبادر» وهو تصحيف.

(٦) كلمة فارسية، جاء في «شفاء العليل» ص ١٦٥: «قطرميز: قلة كبيرة من الزجاج معروفة؛ وقال الشاعر:

أَنَا لَا أُرْتَوِي بِطَاسٍ وَكَاسٍ فَاسْقِنِيهَا بِالسِّزْقِ وَالْقَطْرَمِيزِ

وكذلك جاء في «معجم دوزي»: «قطرميز: إناء زجاجي برقبة قصيرة وفوهة واسعة». أقول: ومن البيت المذكور يرى أن الطاء ساكنة والراء محركة.

(٧) هكذا في الأصول. وفي الفارسية: «الجوجة: الفروجة». وأكبر ظني أن تلك الكلمة هي المرادة؛ بدليل قوله «مذبوحة مسمومة».

(٨) سمط: نفث شعرها بالماء الحار.

(٩) في ح: «لحم الجوانيرات... نبذ القاطرطيرات».

(١٠) الأترج: فارسية وعربية «متك» كفلس انظر كتب اللغة.

(١١) المفهوم من السياق أن تلك الكلمة معناها: حقيقة كان يضع فيها حاجاته. ولعلها كانت من جلد النمر. فالظاهر أن صوابها «بلنكيبة».

ويحمل في البلبكيذ ما يُوضَع بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. وأكثر من ثَلَب الرجل مما لا فائدة فيه. ولو أراد قائل [أن] ^(١) يقول فيه ما لا يتعد من هذه الأخلاق لَوَجَد مقالاً واسعاً، ولكنه مما يقُبَح ذكره، سيما وقد لَقِيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

[١١٤/١٤]

/ كان مفضلاً بحضرة السلطان

أخبرنا ذُكَاء وجه الرُّزَّة قال: كنا نجتمع مع جماعة في الطَّنْثُورِيِّين، ونشاهدهم في دُور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضل من المسرور وعمر المَيْدَانِي وابن القَصَّار.

خبره مع زوج البلوري

وحدثني قُمْرِيَّة الْبَكْتُمُورِيَّة قالت: كنت لرجلٍ من الكُتَّاب يُعْرَفُ بِالْبُلُورِيِّ، وكان شيخاً، وكانت سِتِّي ^(٢) التي رَبَّنِي مولاتِه ^(٣)، وكانت مُغْنِيَّة شَجِيَّة الصَّوْتِ حَسَنَةَ الْغِنَاء، وكانت تَعَشَّقُ ابن القَصَّار، وكانت علامةً مصيره إليها أن يجتاز في دِجْلَةٍ وهو يُغَنِّي، فَإِنْ قَدَرْتُ على لِقائه أوصَلتهُ إليها، وإلاّ مضى. فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلة مُقْمِرَةٍ وهو يُغَنِّي خَفِيفَ رَمَلٍ قال:

١٣٨
١٢

/ أنا في يُمْنَى يَدَيْهَا وهي في يُمْنَى يَدَيْهِ
إِنَّ هَذَا لَقَضَاءٌ فِيهِ جَوْرٌ يَا أُخْيَّة
وَيُعْتَى فِي آخِرِهِ رَدَهُ:

* وَيَلِي (٤) وَيَلِي يَا أَبِيَّة *

وكانت سِتِّي واقفةً بين يَدَيِّ مولاهَا، فما ملكَتْ نَفْسَهَا أَنْ صَاحَتْ: أحسنت / والله يا رجل! فَتَفَضَّلْ وأَعِدْ، ففعل [١١٥/١٤] وشَرِبَ رَطلاً وانصرف، وعَلِمَ أنه لا يَقْدِرُ على الوصول إليها. وكان مولاهَا يعرف الخبر، فتغافلَ عنها لِمَوْضِعِهَا من قلبه؛ فلا أذكرُ أَنِّي سمعت قطُّ أحسنَ من غنائه.

صوت

باح بالوجودِ قلبُك المُشْتَهَامُ وجرت في عِظَامِكَ الْأَسْقَامُ
يوم لا يملك البكاءُ أخو الشُّوْ قِ فَيُشْفَى ولا يُرَدُّ سَلَامُ
لم يقع إليّ قائلُ هذا الشعر. والغناء لمعبد الْبَيْطُونِيِّ ثاني ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ عن أحمد بن المَكِّي.

(١) زيادة يقتضيها المقام.

(٢) في «القاموس»: «وستي للمرأة أي يا ست جهاتي، أو لحن والصواب سيدتي». وفي «شرح القاموس»: «قوله: والصواب سيدتي: ويحتمل أن الأصل سيدتي فحذف بعض حروف الكلمة، وله نظائر، قاله الشهاب القاسمي. ونقل شيخنا عن السيد عيسى الصفوي ما نصه: ينبغي ألا يقيد بالنداء لأنه قد لا يكون نداء. قال: والظاهر أن الحذف سماعي، وأن النداء على التمثيل لا أنه قيد كما توهموه أهد. ويروي المعري في «رسالة الغفران»:

سست إن أعياك أمـري فأحمليني زقـوتـه

(٣) في جـ محل هذه الكلمة «له».

(٤) في الأصول «ويلي ويلي» ولا يستقيم به الوزن.

[١١٦/١٤]

/ أخبار معبد

نسبه

كَانَ مَعْبُدُ الْيَقْطِينِيِّ غَلاماً مُوَلَّدَاً خِلَاسِيًّا^(١) مِنْ مُوَلَّدِي الْمَدِينَةِ، اشْتَرَاهُ بَعْضُ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ. وَقَدْ شَدَا^(٢) بِالْمَدِينَةِ، وَأَخَذَ الْغِنَاءَ عَنْ^(٣) جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَعَنْ جَمَاعَةٍ^(٤) أُخْرَى مِنْ عَلِيَّةِ الْمُغَنِّينَ بِالْعِرَاقِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، مِثْلَ إِسْحَاقَ وَابْنِ جَامِعٍ وَطَبَقْتَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمَا ذِكْرُ بَطِيبِ الْمَسْمُوعِ، وَلَا خَدَمَ أَحَدًا مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَّا الرَّشِيدَ، وَمَاتَ فِي أَيَّامِهِ، وَكَانَ أَكْثَرُ انْقِطَاعِهِ إِلَى الْبِرَامِكَةِ.

خبره مع غلام من المدينة

أَخْبَرَنِي عَمِّي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْبُدُ الصَّغِيرُ الْمُغَنِّيَ مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ قَالَ:

كُنْتُ مَنقُطَعًا إِلَى الْبِرَامِكَةِ، أَخَذَ مِنْهُمْ وَأَلَّازِمَهُمْ. فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَنْزِلِي إِذَا بِأَبِي يُدْعَى، فَخَرَجَ غَلامِي ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ: عَلَى الْبَابِ فَتَى ظَاهِرُ الْمَرْوَةِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ؛ فَأَذِنْتُ لَهُ. فَدَخَلَ عَلَيَّ شَابٌ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْهُ، وَلَا أَنْظَفَ ثَوْبًا، وَلَا أَجْمَلَ زِيًّا مِنْهُ، مِنْ رَجُلٍ دَنِبَ عَلَيْهِ أَثَارُ السَّقَمِ ظَاهِرَةٌ، فَقَالَ لِي: إِنِّي أَرْجُو^(٥) لُقَاكَ مِنْذُ مُدَّةٍ فَلَا أَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَإِنْ لِي حَاجَةٌ. قُلْتُ: مَا هِيَ؟ فَأَخْرَجَ ثَلَاثِينَ دِينَارًا فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبَلَهَا وَتَصْنَعَ فِي بَيْتَيْنِ قَلْتُهُمَا لِحَنًا تُغَنِّيَنِي بِهِ. فَقُلْتُ: هَاتِيهِمَا، فَأَنْشِدُهُمَا، وَقَالَ:

[١١٧/١٤]

/ صوت

وَاللَّهِ يَا طَرْفِي الْجَانِي عَلَى بَدَنِي
أَوْ لَا بُوحَنَّ حَتَّى يَخْجُبُوا سَكْنِي
لَتُطْفَنَنَّ بِدَمْعِي لَوْعَةَ الْحَزَنِ
فَلَا أَرَاهُ وَلَوْ أُدْرِجْتُ فِي كَفْنِي^(٥)

- والغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى - قال: فصنعت فيهما لحنًا ثم غنيت إياه؛ فأغمي عليه حتى ظننته قد مات. ثم أفاق فقال: أعذ فديتك! فناشدته الله في نفسه وقلت: أخشى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشقى من ذلك. وما زال يخضع لي ويتضرع حتى أعدته، فصعق صعقة أشد من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاظت. / فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه، وقلت: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني؛ فقد

(١) الحلاسي: الولد بين أبيوين أبيض وأسود.

(٢) في الأصول «شدا» وهو تصحيف.

(٣) في الأصول: «من جماعة».

(٤) في ج: «أخاف» وهو خطأ.

(٥) سكاني: محبوبي الذي أسكن إليه.

قضيت حاجتك، وبلغت وطراً^(١) مما أردته، ولست أحب أن أشرك في دمك. فقال: يا هذا! لا حاجة لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وما هن؟ قلت: أولها أن تُقيم عندي وتحرم بطعامي، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشد قلبك وتُسكن ما بك، والثالثة أن تُحدثني بقصتك. فقال: أفعل ما تريد. فأخذت الدنانير، ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة مُعذر^(٢)، ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغثيته بشعر غيره في معناه، وهو يشرب ويبكي. ثم قال: الشرط أعزك الله، فغثيته، فجعل يبكي أحراً بكاءً وينشج^(٣) أشد نشيج / ويتحب. فلما رأيت ما به قد خفت عما كان يلحقه، ورأيت النبيذ قد شد من قلبه، كررت [١١٨/١٤] عليه صوته مراراً، ثم قلت: حدثني حديثك. فقال: أنا رجل من أهل المدينة خرجت مُتَنَزِّهاً في ظاهرها وقد سال العقيق^(٤)، في فتية من أقراني وأخذاني^(٥)، فبصُرنا بقيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسن حجرة^(٦) مئاً، وبصُرْتُ فيهن فتاة كأنها قضيب قد طله الندي، تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس من يُلاحظهما. فأطلنا وأطلن، حتى تفرق الناس، وانصرفنا وانصرفنا، وقد أبقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندمائه^(٧). فعُدْتُ إلى منزلي وأنا وقيد^(٨). وخرجت من الغد إلى العقيق، وليس به أحد، فلم أر لها ولا لصواحبها أثراً. ثم جعلت أتبعها في طُرُق المدينة وأسواقها؛ فكانت الأرض أضمرت، فلم أحسن لها بعين ولا أثر، وسقمت حتى أيس مني أهلي. ودخلت ظثري^(٩) فاستعلمتني حالي، وضممت لي حالها والسعي فيما أحبه منها؛ فأخبرتها بقصتي، فقالت: لا بأس عليك! هذه أيام الربيع، وهي سنة خضب وأنواء، وليس يبعدُ عنك المطر، وهذا العقيق، فتخرج حينئذ وأخرج معك؛ فإن النسوة سيجن. فإذا فعلن ورأيتهن تبعتهن حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها. فكانت نفسي مطمئنة إلى ذلك، ووثقت به وسكنت إليه؛ ففويت وطمعت وتراجعت نفسي، وجاء مطر بعقب ذلك، فأسال الوادي، وخرج الناس وخرجت مع إخواني إليه، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه، فما كنا والنسوة إلا كفرسي رهان. وأومات إلى ظثري فجلست حجرة مئاً ومنهن، وأقبلت على إخواني فقلت: لقد أحسن القائل حيث قال:

/ رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَقْصَدَ^(١٠) الْقَلْبَ وَانْتَشَتْ / وقد غادرت جرحاً به نُؤدوياً [١١٩/١٤]

فأقبلت على صواحبها فقالت: أحسن والله القائل، وأحسن من أجابه حيث يقول:

بِأَمْثَلِ مَا تَشْكُو، فَصَبِرَ أَلْعُنَا / نَرَى فَرَجاً يَشْفِي السَّقَامَ قَرِيباً

فأمسكت عن الجواب خوفاً من أن يظهر مني ما يفضخني وإياها، وعرفت ما أرادت. ثم تفرق الناس وانصرفنا، وتبعته ظثري حتى عرفت منزلها، وصارت إلي فأخذت بيدي ومضيت إليها. فلم تزل تلطف حتى

(١) في الأصول: «نظراً» وهو تحريف، والوطر: الحاجة.

(٢) أعذر: أبدي عذراً، وثبت له عذر.

(٣) نشج الباكي كضرب نشيجاً: وهو مثل بكاء الصبي إذا ضرب فلم يخرج بكاءه وردد صوته في صدره.

(٤) العقيق: موضع بالمدينة مما يلي الحرة إلى متهى البقيع.

(٥) أخذان: جمع خدان بالكسر، وهو الصديق.

(٦) حجرة: ناحية.

(٧) اندمل الجرح: برى.

(٨) وقيد: صريع.

(٩) الظثر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

(١٠) أقصده: طعنه فلم يخطئه.

وصلت إليها. فتلاقينا وتداورنا على حالٍ مُخالسةٍ ومُراقبةٍ. وشاع حديثي وحديثها، وظهر ما بيني وبينها، فحجبها أهلها، وتشدد عليها أبوها. / فما زلتُ أجتهد في لقائهما فلا أقدر عليه. وشكوتُ إلى أبي - لشدة ما نالني - حالي، وسألته خُطبتُها لي. فمضى أبي ومشيخةً أهلي إلى أبيها فخطبوها. فقال: لو كان بداً بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما التمس، ولكنه قد فضحها، فلم أكن لأحقق قولَ الناس فيها بتزويجه إياها؛ فانصرفتُ على يأس منها ومن نفسي. قال معبد: فسألته أن ينزل، فحبرني^(١) وصارت بيننا عشرة. ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب فأتيته؛ فكان أولَ صوتٍ غنّيته صوتي في شعر الفتى، فطرب عليه طرباً شديداً، وقال: ويحك! إن لهذا الصوت حديثاً، فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأحضر من وقته، واستعاده الحديث، فأعاده عليه. فقال: هي في ذمتي حتى أزوجه إياها، فطابت نفسه، وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح. وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدثه الحديث، فعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعاً، فأحضرنا، وأمر بأن أغنّيه الصوت / فغنّيته، وشرب عليه، وسمع حديث الفتى، فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرُّجل وابنته وجميع أهله إلى حضرة، فلم يمضِ إلا مسافة الطريق حتى أحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل، وخطب إليه الجارية للفتى، وأقسم عليه ألا يخالف أمره، فأجابه وزوجه إياها، وحمل إليه الرشيد ألفَ دينارٍ لجهازها، وألفَ دينارٍ لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألفَ دينارٍ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألفَ دينارٍ. وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى.

صوت

هل نفسُك المستهامة السدِمة سَاليمة مرةً ومُغتزِمة^(٢)

عن ذكر خُودٍ قضى لها المَلِكُ الخ خالِقُ الأُتُكُنْها ظُلُمة^(٣)

الشعر لابن أبي الزوائد، والغناء لحكم رملٌ بالوُسْطَى عن الهشامي.

(١) في الأصول: «فخبرني» تصحيف. وحبرني الأمر (كنصر) وأحبرني: سرنى.

(٢) في الأصول: «ومغتزمة». والسدمة: وصف من السدم: وهو الهم، وقيل: غيظ مع حزن.

(٣) الخود: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة. والظلمة (بضمه وبضمين) والظلام والظلام والحد.

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

[١٢١/١٤]

نسبه

اسمه سُلَيْمَانُ بْنُ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ بْنِ مَعْبِدِ بْنِ أُيُوبَ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَوْفِ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ عُصَيَّةَ بْنِ نَضْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورٍ. ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعرٌ مُقِلٌّ، من مُحَضَّرِمي الدَّوْلَتَيْنِ، وكان يؤمُّ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

شعره في جارية كان يتمشقها

أخبرني بذلك محمد بن خَلَفٍ وَكَيْعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، وَأَخْبَرَنِي وَكَيْعٌ قَالَ: حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ:

كَانَ ابْنُ أَبِي الزَّوَادِ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةً سَوْدَاءَ مَوْلَاةَ الصُّهَيْبِيِّينَ^(١)، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا وَهِيَ فِي النَّخْلِ بِحَاجِزَةٍ. فَلَمَّا حَانَ الْجَدَادُ قَالَ:

حُجَّيْجُ أَمْسَى جَدَادُ حَاجِزَةٍ فليْتَ أَنَّ الْجَدَادَ لَمْ يَحِنِ^(٢)
وَشَتَّ يَتْنٌ وَكُنْتُ لِي سَكْنًا فِيمَا مَضَى كَانَ لَيْسَ بِالسَّكَنِ^(٣)
/ قَدْ كَانَ لِي مِنْكَ مَا أُسْرُبُهُ وليْتَ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنِ^(٤)
/ نَعِفْتُ فِي لَهْوِنَا وَيَجْمَعُنَا الـ مَجْلِسُ بَيْنِ الْعَرِيشِ وَالْجُرْنِ^(٥)
يُعْجِبُنَا اللَّهْوُ وَالْحَدِيثُ وَلَا نَخْلِطُ فِي لَهْوِنَا هَنَاءَ بَهْنِ^(٦)
لَوْ قَذَرْتُ الْحِمَارَ مِنْكَشَفًا لَمْ أَرَهَا بَعْدَهَا وَلَمْ تَرْنِي^(٧)

فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُمَحِيُّ: إِنَّ الشُّعْرَاءَ يَذْكُرُونَ فِي شِعْرِهِمْ أَنَّهُمْ رَحَلُوا الْإِبِلَ وَالنَّجَابَ، وَأَنْتَ تَذْكُرُ أَنَّكَ رَحَلْتَ جِمَارًا. فَقَالَ: مَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي شَيْءٌ أَرْحَلُهُ غَيْرَهُ. قَالَ: وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا:

(١) نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي، وهو من النمر بن قاسط، سبته الروم وهو غلام صغير، فنشأ بالروم، ثم ابتاعته كلب منهم وقدمت به مكة، فاشتراه منهم عبد الله بن جدعان وأعتقه. وقد أسلم وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة سنة ٢٨ هـ ودفن بالقيع.

(٢) جد النخل كنصر جداً وجداداً، كسحاب وكتاب: صرمة وقطعة. وأمسى هنا تامة. والمفهوم من السياق أنه ينادي معشوقته فيقول: يا حبيج حان قطع وحاجة اسم البقعة التي كان فيها النخل.

(٣) شت كضرب: فرق. والبين هنا: البعد والفراق.

(٤) في ب، س: «وكان ما كان».

(٥) الجرن كقفل، والجرين: موضع تجفيف التمر وهوله كالبيدر للحنطة. وجمع جرين: أجرة وجرن كعنق.

(٦) الهن: كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة.

(٧) رحل البعير كمنع: حط عليه الرحل.

يَا لَيْتَ أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَلْحَقُوا رِيَمَ الصُّهَيْبِيِّنَ ذَاكَ الْأَجَمُ^(١)
وَكُنَّ مِنْهُمْ فَتَزَوَّجَتْهُ أَوْ كُنْتُ مِنْ بَعْضِ رِجَالِ الْعَجَمِ

هجاءه لأبي عبيدة بن عبد الله

أخبرني وكيع قال: حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ:

كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ صَدِيقًا لِابْنِ أَبِي الزَّوَائِدِ، ثُمَّ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهُمَا لِشَيْءٍ بَلَغَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَنْهُ، فَهَجَرَهُ مِنْ أَجْلِهِ، فَهَجَاهُ؛ فَقَالَ:

قَطَعَ الصَّفَاءَ - وَلَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِذَاكَ - أَبُو عُبَيْدَةَ
لَا تَحْسِبَنَّكَ عَاقِلًا فَلَأَنْتَ أَحْمَقُ مِنْ حُمَيْدَةَ^(٢)

حميدة: امرأة كانت بالمدينة رعاء يُضْرَبُ بها المَثَلُ في الحمق.

[١٢٣/١٤] / شعره في قِيَانِ حَمَادِ بْنِ عِمْرَانَ

حَدَّثَنِي عَمِّي وَوَكِيعٌ قَالَا: حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ عَنْ أَبِي غَسَّانَ دِمَازٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ:

دَخَلَ ابْنُ أَبِي الزَّوَائِدِ إِلَى حَمَادِ بْنِ عِمْرَانَ الطَّلَبَجِيِّ، وَكَانَ يُلقَّبُ بِعُطْعُطٍ، وَكَانَ لَهُ قِيَانٌ يَسْمَعُهُنَّ النَّاسُ عِنْدَهُ، فَرَأَاهُنَّ ابْنُ أَبِي الزَّوَائِدِ فَقَالَ فِيهِنَّ:

أَقُولُ وَقَدْ صُفِّتِ الْبُطْرُوتِيُّ: أَلْبَيْطُ رَادْخُلْنِي عُطْعُطُ؟
فَلِنِّي امْرُؤٌ لَا أَحِبُّ الزَّوَا لَا يَسْتَقِرُّنِي الْبَرْبَطُ^(٣)
وَلَوْ بَعْضُهُنَّ ابْتَغَى صَبُوتِي لَخَالَطَ هَامَتَهَا الْمَخْبَطُ^(٤)
لَبِئْسَ فِعَالٌ امْرِئٌ قَدْ قَرَا وَهَمَّتْ عَوَارِضُهُ تَشْمَطُ^(٥)
وَمَا كُنْتُ مَفْتَرِشًا جَارَتِي وَسَيِّدُهُانَا نَأْمُ يَفْطَرُ
أُفْرِغْ فِي جَارَتِي نُطْفَةً حَرَامًا كَمَا يُفْرِغُ الْمُسْعَطُ^(٦)

هجاءه لامراته الأنصارية

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق قال: حَدَّثَنِي أَبُو هَفَّانَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ:

حَدَّثَنِي الْمُسَيَّبِيُّ:

(١) ريم: مخفف رثم، وهو الظبي الخالص البياض، أجم: ليس له قرنان.

(٢) في ج: «من عبيدة» وهو خطأ.

(٣) البربط: المود؛ معرب.

(٤) المخيط كمنبر: العصا يخبط بها الورق.

(٥) في الأصول، «لبئس فعل من قد قرى» وهو تحريف لا يستقيم به الوزن. وقرا: مسهل عن «قرأ» أي الذي قد قرأ القرآن، وقد كان يؤم الناس في مسجد رسول الله ﷺ كما ذكر في أول الترجمة، والشمط بالتحريك: بياض الرأس يخالط سواده. والعارضة: صفحة الخد.

(٦) المسعط (بضم الميم والعين وكنبر): ما يجعل فيه السموط ويصطبغ فيه الأنف.

أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأة أنصارية، فطال لبثها عنده حتى ملها وأبغضها، فقال يهجوها:

[١٢٤/١٤]

لَمْ تَظْفَرِي بِنَفْسِي وَلَا بِجَمَالِ^(١)

شَوْهَاءُ كَالسُّغْلَاءِ بَيْنَ سَعَالِي^(٢)

مُنِّي وَلَا ضُمَّتْ عَلَيْكَ حَبَالِي

لَا تُقَرِّنَنَّ بِذِيئَةٍ بَعِيَالِ

فِيهَا وَقَدْ أَرْهَفْتُهِ بِصِقَالِ

وَهَنَّاكَ تَضَعُوبُ حِيلَةٍ الْمُحْتَالِ

قَدْ بُرِدْتُ لِلصُّومِ أَوْ بَوَقَالِ^(٣)

وَجِرّاً أَشَقَّ كِمَرَكُنِ الْغَسَالِ^(٤)

بِتَحَامُلِي عَنْهُ وَلَا إِدْخَالِ

فَوَجَدْتُ أَخْبَثَ مَسْلَحٍ وَمَبَالِ

/ يَا زَمَلْ أَنْتِ الْغُولُ بَيْنَ رِمَالِ

يَا زَمَلْ لَوْ خُذْتُ أَتُكَ سَلْفَعُ

مَا جَاءَ يَطْلُبُكَ الرَّسُولُ بِخُطْبَةٍ

وَلَقَدْ نَهَى عَنْكَ النَّصِيحُ وَقَالَ لِي:

لَمَّا هَزَزْتُ مُهَيَّيْدِي وَقَذَفْتُهُ

/ رَجَعَ الْمُهَيَّيْتُ مَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ

وَكَأَنَّمَا أَوْلَجْتُهُ فِي قُلَّةٍ

وَرَأَيْتُ وَجْهًا كَأَسْفَا مُتَغَيَّرًا

مَا كَانَ أَيْرُ الْفِيلِ بِالْبَغِ قَفِيرِهِ

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَبَالَهَا بِسُلَاحِهَا

قال: وقال لها وقد فخرت:

عَمَّنْ عَهَذْتُ بِهِ مِنَ الْأَحْرَارِ^(٥)

عَنْ بَاوَصٍ صَرَفَ مَقْحَمٍ مَغْيَارِ^(٦)

ظَنَّا فَكَانَ بَنَا عَلَى إِضْرَارِ

عَنِّي مَقَالَةٌ عَالِمٍ مِفْخَارِ

وَأَبْوَةٌ لَيْسَتْ عَلَيَّ بَعَارِ^(٧)

وَالْعَمُّ بَعْدُ رَبِيعَةٌ بَنُ نَزَارِ^(٨)

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَعَانِي وَكَرَارِ^(٩)

هَلَّا سَأَلْتِ مَنَّا زِلَالَ بَغْرَارِ

أَيَّنْ أَتَاؤًا وَنَحَاظًا صَرَفَ النَّوَى

/ كَرِهَ الْمُقَامَ وَظَنَّ بِي وَبِأَهْلِيهَا

عُدِّي رِجَالُكَ وَاسْمِعِي يَا هَذِهِ

سَاعِدُ سَادَاتٍ لَنَا وَمَكَارِمًا

قَيْنَسُ وَخِنْدِفُ وَالْدَائِي كِلَاهُمَا

مَنْ مِثْلُ فَارِسِنَا دُرَيْدٍ فَارِسًا

(١) في الأصول: «بيقا» وهو تحريف.

(٢) والسلفع: الصخابة البذيئة السيئة الخلق، والسعلاة: أخبث الغيلان.

(٣) البوقال: كوز بلا عروة «القاموس».

(٤) والمركن: الآنية التي تغسل فيها الثياب.

(٥) في الأصول «بغزار». وغرار: جبل بتهامة.

(٦) انتأى: نأى وبعد، والنوى: البعد. في جـ: «ملحم» وفي ب، س: «مفحم» وأراه «مفحم» بالقاف، وتقحيم النفس في الشيء:

إدخالها فيه من غير روية.

(٧) في س: «ساعده». وفي ب «ساعد سوادات» وفي جـ: «ساعده سوادات»، وكله تحريف.

(٨) قيس، هو قيس بن الياس وهو عيلان بن مضر بن نزار. وخندف هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة زوجة

الياس بن مضر بن نزار.

(٩) دريد: هو دريد بن الصمة فارس العرب، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن

عيلان. وكرار: مصدر، كاره مكاراة وكراراً.

وبنو زياد من لقومك مثلهم
والحي من سعد ذؤابة قومهم
والمانعون من العدو ذمارهم
والناكحون بنات كل متوج
وبنو سليم نكل من عاداهم
ليسوا بأنكاس إذا حاستهم الـ

أو مثل عترة الهزبر الضاري^(١)
والفخر منهم والسنام الواري^(٢)
والمذركون عدوهم بالشار
يوم الوغى غضباً بلا إمهار
وحيا العفاة ومعقل الفرار^(٣)
موت العداة وصمموا لمغار^(٤)

[١٢٦/١٤] / قدومه بغداد وتشوقه إلى المدينة وشعره

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال:

كان ابن أبي الزوائد وفد إلى بغداد في أيام المهدي، فاستوخمها، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً:

يأبن يحيى ماذا بدالك ماذا
فالبراغيث قد تشور منها
فتحك الجلود طوراً فتذمي
فسقى الله طيبة الويل سخا
بلدة لا ترى بها العين يوماً
أو فتى ماجناً يرى اللهنو والبأ
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا

أمقام أم قد عزممت الخياد^(٥)
سامر ما نلود منها ملاًذا^(٦)
ونحك الجلود طوراً فتذمي
وسقى الكرخ والصرة الرذاذا^(٧)
شارباً للنبيذ أو نبأذا^(٨)
طل مجداً أو صاحباً لواءذا^(٩)
شاعراً قال في الروي على ذا

- (١) هو زياد بن الربيع من بني عيسى بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان. وعترة الفوارس من بني عيس. والهزبر: الأسد.
- (٢) سعد: هم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عيلان بن مضر، أو هم بنو سعد بن بكر بن هوزان. وذؤابة كل شيء: أعلاه. الواري: الشحم السمين.
- (٣) بنو سليم: هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة. والشكل: الموت والهلاك. في ج، ب، س: «فكل»؛ وهو تحريف. والحياء: الخصب والمطر. والعفاة: جمع عاف، وهو كل طالب فضل أو رزق.
- (٤) أنكاس: جمع نكس بالكسر، وهو الضعيف والمقصر عن غاية النجدة والكرم. وحاسي: مفاعلة من الحسو، والمغار: الإغارة.
- (٥) كذا في الأصول والذي في «لسان العرب» و«تاج العروس»: الخواذ والمخاوذة: الفراق. وجاء أيضاً في «القاموس»: الحواذ بالحاء: البعد.
- (٦) تشور: ثار وهاج، وسمر كنصر: لم ينم.
- (٧) طيبة: المدينة المنورة. جاء في «النهاية لابن الأثير»: «وفي الحديث أنه ﷺ أمر أن تسمى المدينة طيبة وطابة، وهما من الطيب لأن المدينة كان اسمها يثرب، والثرب: الفساد، فنهى أن تسمى به وسماها طيبة وطابة وهما تأنيث طيب وطاب بمعنى الطيب، وقيل هو من الطيب بمعنى الطاهر لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه». والويل: المطر الشديد الضخم القطر. والكرخ: محلة ببغداد. والصرة: نهر ببغداد. والرذاذ: المطر الضعيف.
- (٨) نبذ نبيذاً: اتخذ، والنباذ: بائع النبيذ، كالخمار بائع الخمر.
- (٩) يحتمل أن يكون «صاحباً» من الصخب وهو كثرة اللفظ والجلبة. ولواذ مبالغة في لاند، من لاذ به أي لجأ إليه وعاد به.

قالها شاعرٌ لَوْ أَنَّ القوافي كُنَّ صَخْرًا أَطَارَهُنْ جُذَاذَا^(١)

[١٢٧/١٤]

/ شعره حين شرب خمرًا

قال الزبير: - وأنشدني له أبو غسان محمد بن يحيى، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز / يقال لأحدهما أبو الجواب، والآخر أبو أيوب، فسقياه نبيذاً على أنه طَرِي لا يُسْكِر، فأسكره؛ فقال:

سَقَانِي شَرِبَةً فَسَكِرْتُ مِنْهَا أَبُو الْجَوَابِ صَاحِبِي الْخَيْثُ
وَعَاوَنَهُ أَبُو أَيُّوبَ فِيهَا وَمِنْ عَادَاتِهِ الْخُلُقُ الْخَيْثُ
فَلَمَّا أَنْ تَمَشَّتُ فِي عِظَامِي وَهَمْتُ وَتَنَبَّيْتُ مِنْهَا تَرِيثُ^(٢)
عَلِمْتُ بِأَنْتِي قَدْ جِئْتُ أَمْرًا تَسُوءُ بِهِ الْمَقَالَةُ وَالْحَدِيثُ
فَدَعَهُمْ - لَا أَبَالِكَ - وَاجْتَنَبَهُمْ فَإِنَّ خَلِيطَهُمْ لَهُوَ اللَّوِيثُ^(٣)

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين:

كَالشَّمْسِ فِي شَرْقِهَا إِذَا سَفَرْتُ عَنْهَا وَمِثْلُ الْمَهَاةِ مُلْتَمِثَةٌ^(٤)
مَا صَوَّرَ اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا فِي سَائِرِ النَّاسِ مِثْلَهَا نَسَمَةٌ
كُلُّ بِلَادِ الْإِلَهِ جِئْتُ فَمَا أَبْصَرْتُ شَبَهَا لَهَا - وَقَدْ عَلِمْتُ -
أَنْفَى^(٥) مِنَ الْعَالَمِينَ تُشَبِّهُهَا عَابِسَةٌ هَكَذَا وَمُبْتَسِمَةٌ
فَتَانَةُ الْمُفْلَتِينَ مُخْطَفَةٌ أَلْ أَحْشَاءُ مِنْهَا الْبَنَانُ كَالْعَنَمَةِ^(٦)
إِذَا تَعَاطَتْ شَيْئًا لَتَأْخُذْهُ قُلْتُ غَزَالٌ يَغْطُرُ إِلَى بَرَمَةٍ^(٧)
/ يَا طِيبَ فِيهَا وَطِيبَ قُبُلَتِهَا وَالْقُرْبُ مِنْهَا فِي اللَّيْلَةِ الشَّجْمَةِ^(٨)
إِنَّ مِنَ اللَّذَّةِ التِّي بَقِيَتْ غُشْيَانُكَ الْخَوْذَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ
لَا تَهْجُرِ الْخَوْذَ إِنْ تَغَالِ بِهَا بَعْدَ سُكُوءٍ، وَقَبْلَ ذَاكَ فَمَةِ^(٩)

[١٢٨/١٤]

(١) الجذاذ: قطع ما كسر، القطعة جذاذة. وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ هو مثل الحطام والرفات، ومن قرأها جذاذاً بالكسر فهو جمع جذيد مثل خفيف وخفاف.

(٢) راث يريث: أبطأ.

(٣) الخليط: المخالط، واللويث، الذي في كتب اللغة: الألوث: الأحمق، فالوصف على أفعل، وقد صاغه الشاعر على فاعل، أو هو بمعنى ملوث ملطخ، فاعل بمعنى اسم المفعول.

(٤) سفرت المرأة: كشفت عن وجهها. والمهابة: البقرة الوحشية.

(٥) في س: «أنفى العالمين» وهو تحريف.

(٦) إخطاف الحشا: انطاؤه وضمه. والنعنم: شجر له ثمر أحمر تشبه به بنان الجواري.

(٧) في س: «تعاطت شيء» وهو تحريف، والمطو: تناول ورفع الرأس واليدين. والبرمة: واحدة البرم، وهو ثمر الطلح أو ثمر الأراك.

(٨) الشبمة: الباردة.

(٩) غالى به: اشتراه بثمان غال. ومه: كف. والمعنى: إن تغال بالحبيبة فلا تهجرها بعد سلوها إليك، وكف عن هجرها قبل السلو - وذاك أولى بك - أي لا تهجرها ولا تقطع وصلها سالية لك أو غير سالية.

آتِي مُعِدًّا لَهَا الْكَلَامَ فَمَا أَنْطِقُ مِنْ هِيئةٍ وَلَا كَلَمَةٍ
أَحِبُّ وَاللَّهِ أَنْ أَزُورَكُمْ وَخِدِي كَذَا أَوْ أَزُورَكُمْ بِلَمَةٍ^(١)
هَذَا الْجَمَالُ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ سُبْحَانَ ذِي الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ
مَنْ أَبْصَرَتْ عَيْنُهُ لَهَا شَبَهًا حَلَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَالثَّقَمَةُ^(٢)

بصوت

يَا هِنْدُ يَا هِنْدُ نَوَّلِي رَجُلًا وَكَيْفَ تَنْوِيلُ مَنْ سَفَكَتِ دَمَةً
أَوْ تُذْبِرِي نَفْسَهُ فَقَدْ هَلَكَتْ أَوْ تَرْحَمِيهِ فَمِثْلُكُمْ رَحْمَةً

أمر المنصور بزواج بني عبد مناف بالمنافيات

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن جعفر بن قادم^(٣) مولى بني هاشم قال: حدثني عمي أحمد بن جعفر عن ابن ذأب قال:

[١٢٩/١٤] / خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السُّغْلَاءِ^(٤) ومعنا مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّوْفَلِيُّ^(٥) وثابت والزبير ابنا خُبَيْبِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنُ أَبِي الزَّوَائِدِ السَّعْدِيِّ وَابْنُ أَبِي ذَنْبٍ مُتَنَزِّهِينَ إِلَى الْعَقِيقِ، وَقَدْ سَأَلَ يَوْمَئِذٍ، إِذَا أَنَا آتٍ وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَسَأَلْنَاهُ عَنِ الْخَبْرِ بِالْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: وَرَدَّ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ أَنْ لَا تَتَزَوَّجَ مَنَافِيَةً^(٦) إِلَّا مَنَافِيًّا. قَالَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ^(٧): إِذْنِ وَاللَّهِ لَا يَخْطُبُ قُرَشِيٌّ إِلَّا مَنْ لَا يُحِبُّهَا، وَلَا يَرْغَبُ فِيْمَنْ لَا يَرْغَبُ فِيهَا مِمَّنْ لَا فَضْلَ لَهُ عَلَيْهَا، وَكَانَ غَيْرَ حَسَنِ الرَّأْيِ فِي بَنِي هَاشِمٍ. وَتَكَلَّمَ ابْنَا خُبَيْبٍ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ نَسَبَنَا مِنْ بَنِي^{١٧٤} / عَبْدِ مَنَافٍ قَدْ طَالَ، فَأَدَالْنَا^(٨) اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ: فَغَضِبَ مُضْعَبُ النَّوْفَلِيُّ وَكَانَ أَحْوَلَ فَازْدَادَتْ عَيْنَاهُ انْقِلَابًا، فَقَالَ: أَمَا أَنْتَ يَا بَنِي أَبِي ذَنْبٍ فَوَاللَّهِ مَا شَرَّفَتْكَ جَاهِلِيَّةٌ وَلَا رَفَعَكَ إِسْلَامٌ، فَيَقَعُ فِي بَالِ أَحَدٍ أَنْكَ عُثَيْتَ بِمَا جَرَى. وَأَمَا أَنْتُمَا يَا بَنِي خُبَيْبٍ فَبُغْضُكُمَا لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَالِدٌ مَوْرُوثٌ، وَلَا يَزَالُ يَتَجَدَّدُ كُلَّمَا ذَكَرْتُمْ قَتْلَ الزُّبَيْرِ^(٩)، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ طَيْفَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ: أَمَا إِحْدَاهُمَا فَمِنْ صَفِيَّةٍ، وَهِيَ الطَّيْنَةُ الْأَبْطَحِيَّةُ السَّنِيَّةُ، تَنْزَعَانِ إِلَيْهَا إِذَا نَافَرْتُمَا^(١٠)، وَتَفْخَرَانِ بِهَا إِذَا افْتَخَرْتُمَا، وَالْأُخْرَى الطَّيْنَةُ الْعَوَامِيَّةُ الَّتِي تَعْرِفَانَهَا، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، وَلَكِنْ صَفِيَّةٌ تَحْجُزُنِي، فَأَحْسِنَا

(١) اللمة: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(٢) النعمة بفتح النون وكسر القاف، كالنقمة بكسر النون وفتحها مع سكون القاف.

(٣) في ب، س: «قاضم».

(٤) ساقطة من جـ.

(٥) النوفلي: نسبة إلى نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

(٦) منافية: نسبة إلى عبد مناف المذكور، وهو الجد الثالث للنبي ﷺ.

(٧) كذا في ب، س، ويؤيده ما ورد بعد. وفي جـ: «أبي الزوائد».

(٨) أداله الله من عدوه: نصره عليه.

(٩) قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع في وقعة الجمل، وأتى علياً بسيفه فقال علي: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، لكنه الجبن ومصارع السوء، وقاتل ابن صفية في النار والخبر مشهور.

(١٠) هي السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وأم الزبير بن العوام، والأبطحية: نسبة إلى الأبطح وهو أبطح مكة: مسيل واديتها والمنافرة: المفارقة والمحكمة في الحساب.

الشُّكْرَ لِمَنْ رَفَعَكُمَا، وَلَا تَمِيلَا عَلَيْهِ بَمَنْ / وَضَعَكُمَا. فَقَالَا لَهُ: مَهْلًا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ يُمْنَا فِي الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِنْ [١٣٠/١٤] قَدِيمِكَ، وَلَحَظْنَا فِيهِ بِالزُّبَيْرِ أَفْضَلُ مِنْ حَظُّكَ. فَقَالَ مُضَعَبٌ: وَاللَّهِ مَا تَفْخَرَانِ فِي نَسَبِكُمَا إِلَّا بِعَمَّتِي، وَلَا تَفْضُلَانِ فِي دِينِكُمَا إِلَّا بِابْنِ عَمِّي ﷺ؛ فَمَفَاخِرُهُ لِي دُونَكُمَا. ثُمَّ تَفَرَّقُوا؛ فَقَالَ ابْنُ أَبِي الزَّوَائِدِ:

لَعَمْرُكُمَا يَا بَنَيَّ خَبِيبِ بْنِ ثَابِتٍ	تَجَاوَزْتُمَا فِي الْفَخْرِ جَهْلًا مَذَاكُمَا
وَانْكُرْتُمَا فَضْلَ الَّذِينَ بِفَضْلِهِمْ	سَمَتْ بَيْنَ أَيْدِي الْأَكْرَمِينَ يَدَاكُمَا
فإِنكُمَا لَمْ تَعْرِفَا إِذْ سَمَوْتُمَا	إِلَى الْعِزِّ مِنْ آلِ النَّبِيِّ أَبَاكُمَا
وَلَمْ تَعْرِفَا الْفَضْلَ الَّذِي قَدْ فَخَرْتُمَا	فَلَيْسَ مِنَ الْعَوَامِ حَقًّا أَنْكُمَا
فَلَوْلَا الْكِرَامُ الْغُرُّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	- فَلَا تَجْهَلَا - لَمْ تَدْفَعَا مَنْ رَمَاكُمَا

صوت

مُحِبُّ صَدِّ الْقُوءِ	فَلَيْسَ لِلنَّاسِ ضَبْحُ
يُقَلِّبُهُ عَلَى مَضَضٍ	مَوَاعِدُ مَا لَهُمُ أَنْجَحُ
لَهُ فِي عَيْنِهِ غَرْبٌ	وَفِي أَحْشَائِهِ جُرْحٌ ^(١)
صَحَا عَنْهُ الَّذِي يَرْجُو	زِيَارَتَهُ وَمَا يَضْحُو

الشعر لأبي الأسد، والغناء لعلوية، هَزَجٌ بِالْوُسْطَى وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى.

[١٣١/١٤]

/ أخبار أبي الأسد ونسبه

نسبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الوزّاق عن عيسى بن إسماعيل تينة^(١) عن القَحْذَمِيِّ، نُبَاتَةُ بن عبد الله الحِمَّانِي^(٢). وذكر أبو هَفَّانَ المِهْزَمِي^(٣) أنه من بني شَيْبَانَ. وهو شاعر مطبوع متوسط الشعر، من شعراء الدولة العباسية من أهل الدِّينُورِ^(٤). وكان طبيباً^(٥) مليح النّوادر مزاحاً خبيث الهجاء، وكان صديقاً لعلّويه المَغْنِي الأعرس، يُنادمه ويواصل عِشرته ويصلُّه علّويه بالأكابر، ويُعرّضُه للمنافع، وله صنعة في كثير من شعره.

شعره في جارية ترقبها فأخلفت

فأخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد الأبرزاري^(٦) قال:

كان أبو الأسد الشاعر صديقاً لعلّويه، وكان كثيراً ما يغني في شعره. فدعانا علّويه ليلة، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعَاذٍ - وكانت تأخذ عنه الغناء - أن تزوره تلك الليلة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكان علّويه يهيمُ بها، فانتظرناها حتى أيسنا منها احتباساً. فقال علّويه لأبي الأسد: قل في هذا شعراً؛ فقال:

١٣١ / محبٌ صدّ ألفه / فليس للئله صُبْحُ [١٣٢/١٤]

صحبا عنه الذي يرجو / زيارته وما يصحرو

قال: فصنع علّويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهور في أيدي الناس، وغنّانا فيه؛ فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا. وصنع في تلك الليلة بحضرتنا فيه الرَّمْلَ في شعر أبي وَجْزَةَ السَّعْدِي:

فتكُنْني بغير ذنبٍ قُتُولُ / وَحَلالٌ لها دَمِي المَطْلُولُ
ما على قاتلٍ أصابَ قَتِيلًا / بدلالٍ ومُفْلَتَيْنِ سَيِّلُ

طلب من موسى بن الضحّاك غلاماً فشاطره غلامانه

أخبرني الحسن بن عليّ الحُفَّاف قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو هَفَّان قال:

كتب أبو الأسد وهو من بني حِمَّان إلى موسى بن الضحّاك:

لِمَوْسَى أَغْبُدْ وَأَنَا أَخُوهُ / وصاحبُه، ومالي غيرُ عَبدٍ

(١) تينة: لقب عيسى (كما في «القاموس المحيطة»).

(٢) الحِمَّاني: نسبة إلى حمان: وهو حي من تميم، أحد حيي بني سعد بن زيد مناة.

(٣) نسبة إلى مهزم كمنبر، ومن أسمائهم أيضاً مهزم كمعظم.

(٤) دينور: مدينة من أعمال الجبل بفارس.

(٥) الطب: الحاذق الماهر. وفي الأصول «طيباً» وهو تحريف.

(٦) الأبرزاري: نسبة إلى أبرز وهو قرية بنيسابور.

فلو شاء الإله وشاء موسى لَأَنَسَ جَانِبِي فَرَجٌ بِسَعْدٍ

قال: و «فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبي الأسد، و «سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد، وقاسمه بعده بقيّة غلمان، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم.

سبب هجاء أحمد بن أبي دواد

أخبرني محمد الخزاعي قال: حدّثني العباس بن ميمون طائع قال:
هجا أبو الأسد أحمد بن أبي دواد فقال:

أنت امرؤ غتّ الصنعة رثها / وإذا نضرت إلى صنيعك لم تجذ
تُعَمَّاك لا تَعْدُوكَ إِلَّا فِي امْرِيءٍ / فاسلّم بغير سلامة تُرْجَى لها
لا تُخِشِنُ الثَّقَمَى إِلَى امْثَالِي / إِلَّا لِسَدِّكَ خَلَّةَ الْأَنْدَالِ^(٢)
فِي مَسْكَ^(١) مِثْلِكَ مِنْ ذَوِي الْأَشْكَالِ

[١٣٣/١٤]

قال: فأدّى إليه سلامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد، فبعث إليه يبرّد واستكفّه^(٣)، وبعث بآبن عائشة إلى مظالم ماسبذان^(٤)، وقال له: قد شريكته في التوبيخ لنا فشريكتناك في الصّفقة^(٥)، فإن كنتما صادقين في دَعْوَاكما كنتما من الأندال، وإن كنتما كاذبين فقد جريتما بالقبيح حسناً.

سبب الهجاء

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن الحرّون قال:

كان سبّب هجاء أبي الأسد أحمد بن أبي دواد أنّه مدّحه فلم يثبه، ووعدّه بالثواب ومطلّه؛ فكتب إليه:

لَيْتَكَ إِذْ تُبَيِّنِي بِوَاحِدَةٍ / تُقْنِعُنِي مِنْكَ آخِرَ الْأَبَدِ
تَخْلِفُ إِلَّا تَبَرَّنِي أَبَدًا / فَإِنْ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَيْدِي
إِشْفِ فُسَّادِي مِثِّي فَإِنْ بِهِ / مِثِّي جُرْحًا نَكَّأْتُهُ بِيَدِي^(٦)
إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَأَرْزُ بِهِ / فِي نَاطِرِي حَيَّةٍ عَلَى رَصَدِ^(٧)
قَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَمَا أَقْدَرُ أَنْ / أَرْضَى بِمَا قَدْ رَضِيتُ مِنْ أَحَدٍ
فَكَيْفَ أَخْطَأْتُ لَا أَصِيبُ وَلَا / نَهَضْتُ مِنْ عَثْرَةٍ إِلَى سَدَدِ^(٨)

(١) المسك: الجلد.

(٢) الخلّة هنا: الحاجة والفقر.

(٣) استكفّه: طلب إليه أن يكف عنه.

(٤) ماسبذان: كورة ببلاد فارس.

(٥) في ب، س: «الصنعة» وهو تحريف.

(٦) نكأ القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فندبت.

(٧) الرصد والمرصد: موضع الرصد. ومرصد الحية: مكمنها.

(٨) السدد والسداد: الاستقامة.

لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد / كَذَّبْتَنِي بِالْمَطَالِ لَمْ أُعِدْ
صَبَرْتُ لِمَا أَسَأْتَ بِي، فإذا / عُدْتُ إِلَى مِثْلِهَا فَعُدْ
فإِنِّي أَهْلُ ذَاكَ فِي طَمَعِي / وَفِي خَطَائِي سِيْلُ مُعْتَمِدٍ^(١)
أُبْعِدَنِي اللَّهَ حِينَ يَحْمِلُنِي / حَرْصِي عَلَى مِثْلِ ذَا مِنَ الْأَوْدِ^(٢)
الآنَ أَيْقَنْتُ بَعْدَ فِعْلِكَ بِي / أَنِّي عَبِيدٌ لِأَعْبِدِ قُفُودِ^(٣)
فَصِرْتُ مِنْ سُوءِ مَا رُمِيتُ بِهِ / أَكْنَى أَبَا الْكَلْبِ لَا أَبَا الْأَسَدِ

مدحه الفيض بن صالح

أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي^(٤) الوراق قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي قال:

كان أبو الأسد الشاعر - واسمه نُبَاتَه بن عبد الله الحِثْنَانِي - منقطعاً إلى الفيض بن صالح وزير المهدي، وفيه يقول:

ولائمةٍ لأمثلك يا فيض في الندي / فقلتُ لها لن يقدح اللوم في البحر
أرادتُ لِنْتَهَى الْفَيْضِ عَنْ عَادَةِ النَّدَى / وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْثِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ؟
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بِلَدَةٍ / مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
كَأَنَّ وَفُودَ الْفَيْضِ لَمَّا تَحَمَّلُوا / إِلَى الْفَيْضِ لَاقَوْا عِنْدَهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

وكان أبو الأسد قبله منقطعاً إلى أبي دُلف مُدَّة، فلما قَدِمَ عليه علي بن جبلة العكوك غلب عليه، وسقطت منزلة أبي الأسد عنده، فانقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول:

أَتَيْتُ الْفَيْضَ مُشْتَكِيًا زَمَانِي / فَأَعْدَانِي^(٥) عَلَيْهِ جُودُ فَيْضِ
وفاضيتُ كُفَّهُ بِالْبَذْلِ مِنْهُ / كَمَا كَفَّ ابْنُ عَيْسَى ذَاتُ غَيْضِ^(٦)
مدحه حمدون بن إسماعيل وهجاؤه علي بن المنجم

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني ابن مَهْرُويه قال: حدثني علي بن الحسن بن الأعرابي قال:

سأل أبو الأسد بعضَ الكُتَّابِ، وهو علي بن يحيى المنجم، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. وبلغ حمدون بن إسماعيل الخبر، فسأل له فيها مبتدأً ونَجَزَها وأنفَذَها إليه. فقال أبو الأسد يهجو الرجل الذي كان سألَه

(١) في الأصول: «فاني» وفي خطاي» وهو تحريف، والخطاء والخطأ: ضد الصواب. وهو هنا بمعنى إخطاء.

(٢) الأود: الأعوجاج.

(٣) فقد جمع أقفد: وهو المسترخي العنق أو الغليظه. وفي الأصول «فقد» وهو تصحيف.

(٤) المروزي: نسبة إلى مرو، وهي بلد بفارس، وكانت قسبة خراسان، نسبة على غير قياس، وينسب إليها أيضاً فيقال مروي بسكون الراء وفتحها.

(٥) أعداء عليه: نصره وأعاناه وقواه.

(٦) غاض الماء غيضاً: قل ونقص.

الحاجة، ويمدح حمدون بن إسماعيل:

	قَبْلَ الْيَسَارِ وَأَنْتُمْ فِي النَّبَايِينِ ^(١)	صُنْعُ مِنَ اللَّهِ! أَتَيْ كُنْتُ أَغْرِفَكُمْ
	تَمْشُونَ فِي الْقَزِّ وَالْقُوهِيِّ وَاللَّيْنِ ^(٢)	فَمَا مَضَتْ سَنَةٌ حَتَّى رَأَيْتُكُمْ
	يَصْنَعْنَ تَحْتَ الدَّوَالِي بِالْوَرَاثِينِ ^(٣)	وَفِي الْمَشَارِيقِ مَا زَالَتْ نَسَاؤُكُمْ
[١٣٦/١٤]	طَرَائِفُ الْخَزْمِ مِنْ دُكْنٍ وَطَارُونِي ^(٤)	/ فَصَرَنْ يَرْفُلْنَ فِي وَشِي الْعِرَاقِ وَفِي
	وَحَمْلُهُنَّ كَشُوثًا فِي الشَّقَايِينِ ^(٥)	أُنْسِينَ قَطَعَ الْحُلَاوَى مِنْ مَعَادِنِهَا
	نَحْنُ الشَّهَارِيحُ أَوْلَادُ الدِّهَاقِينِ ^(٦)	حَتَّى إِذَا أَيْسَرُوا قَالُوا - وَقَدْ كَذَبُوا - :
	وَأَيُّرُ بَغْلٍ مُشْطٌ فِي أَسْتِ شِيرِينَ ^(٧)	فِي أَسْتِ أُمِّ سَاسَانَ أَيْرَى إِنْ أَقْرَبَكُمْ
[١٣٧/١٤]	لَقَالَ مِنْ فَخْرِهِ إِنِّي أَبْنُ شُوَيْبِينَ ^(٨)	/ لَوْ سِيلَ أَوْضَعُهُمْ قَدْرًا وَأَنْذَلَهُمْ

(١) التبايين: جمع تباين كرماني، وهو سراويل صغار مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين.

(٢) القز: الحرير. والقوهي: ضرب من الثياب بيض، نسبة إلى قوهستان (بضم القاف وكسر الهاء) وهي كروة بين نيسابور وهراة، ومدينة بكرمان. واللين أي لين العيش وخفضه ونعومته، واللين أيضاً اسم قرية بمرو، وقرية بين الموصل ونصيبين، ولعلها كانت مشهورة بضرب من الثياب ينسب إليها فيقال الليني، كالقوهي المنسوب إلى قوهستان، وعليه يكون صواب الكلمة «والليني».

(٣) المشاريق: جمع مشراق كمحراق، أو مشريق كمنديل، وهو موضع القعود في الشمس بالشتاء كالمشرقة مثلثة الرءاء. والدوالي جمع دالية، وهي الدولاب يستقى عليه، والناعورة. والوراشين: جمع ورشان محرقة، وهو طائر شبه الحمامة. ومن أمثال أهل العراق: «بعملة الورشان، تأكل الرطب المشان» - وفي «الصحيح»: تأكل رطب المشان بالإضافة، قال: ولا تقل الرطب المسان - والمشان (كغراب وكتاب) من أطيب الرطب. يضرب لمن يظهر شيئاً والمراد منه شيء آخر.

(٤) رفلت: جرت ذيلها وتبخرت أو خطرت بيدها. والوشي: نقش الثوب. والخز: الحرير، وفي الأصول «طوائف» وهو تحريف. ودكن: جمع أدكن ودكناء. والدكنة: لون إلى السواد. والطاروني: ضرب من الطرون (بالضم) وهو الخز. وفي الأصول «وطارون» وهو تحريف.

(٥) في الأصول «الحلاني» ولم أعثر عليه، وأرى صوابه «الحلاوي» وهي: نبتة زهرتها صفراء ولها شوك كثير وورق صغير مستدير، والجمع الحلاوي أيضاً والحلاويات، وروى عن الأصمعي في باب فعال (بالضم والقصر) خزامى ورخامى وحلاوى، كلهن نبت. ومن معادنها: من منابتها، والكشوث (بالفتح وضم): نبات أصفر يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، ويجعل في النبيذ، وفي الأصول «كثوثاً» وهو تحريف، ويقال في مولد الأمثال لمن كان ذليلاً: «هو كشوث الشجر»؛ قال الشاعر:

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيماً ولا ظليل ولا ثمراً

(انظر «اللسان» و«مجمع الأمثال» للميداني في المثل: «أذل من فقع بقرقرة»)، والشقبان بالضم: شباك يسويها الحشاشون (الذين يقطعون الحشيش) من الليف والخوص، تجعل لها عرى واسعة يتقلدها الحشاش فيضع فيها الحشيش. ويقال فيه «شكبان» أيضاً.

(٦) الشهاريح: وجوه القوم وأعيانهم، جمع شهريح، وأصلها بالفارسية جهره ومعناها: الوجه. والدهاقين: جمع دهقان بالكسر والضم، وهو رئيس الإقليم، معرب.

(٧) ساسان، هو ساسان الأكبر أبو أردشير بابل رأس الدولة الساسانية التي حكمت فارس من سنة ٢٠٢ م إلى سنة ٦٣٦ م، وكان آخر أكاسرتها يزدجرد الثالث الذي فتح العرب في عهده بلاد فارس. وشيرين، زوجة برويز ملك الفرس الذي حكم من سنة ٥٩١ إلى سنة ٦٢٧ م وكانت زوجته المحبوبة المقربة إليه، وكان حبه لها مضرب الأمثال في الوفاء والإخلاص، ومادة دسمة لأدباء الفرس وشعرائهم الروائيين، وشط وأشط: إذا أنعظ حتى يصير متاعه كالشطاط (والشطاط ككتاب: خشبة محددة الطرف تدخل عروتي الجوالقين لتجمع بينهما عند حملهما على البعير). وفي الأصول: «مشط» وهو تصحيف.

(٨) سال يسأل كخاف يخاف لغة في سأل. وشووين: هو بهرام جوبين، وكان صاحب الجيش لدى هرمز بن أنوشروان العادل، وقد سعى بينهما سعاة السوء حتى أفسدوا ذات بينهما، واعتدى هرمز على قائده وظل يوبخه ويستهزئ به حتى اضطره إلى الخروج عليه. وقد جرت بين جوبين وبين هرمز ثم ابنه خسرو بهرام جوبين انتهى إلى التراجع وقام هناك.

١٧٧ ١٢	/ وقال أقطعني كسرى وورثني فمن يُفَاخِرُنِي أم مَنْ يُنَاوِينِي ^(١)
	من ذا يُخَبِّرُ كسرى وهو في سقر دعوى التَّيْبِطِ وهم يَبْضُ الشَّيَاطِينِ ^(٢)
	وأنهم زعموا أن قد ولدتهُم كما ادَّعى الضَّبُّ إني نُظْفَةُ الثُّونِ ^(٣)
	فكان يَنْحَزُّ جَوْفَ النارِ واحدةً تَفْرِي وتَصْدَعُ خوفاً قلبَ قارون ^(٤)
	أما تراهم وقد حَطُّوا بِرَادِعَهُمْ عن أُنْتَهُمْ وأَسْتَبْدُوا بِالْبَرَادِيزِ ^(٥)
١٣٨/١٤	/ وأفرجوا عن مَشارَاتِ البَقُولِ إلى دُورِ المُلُوكِ وأَبْوَابِ السَّلاطِينِ ^(٦)
	تَغْلِي على العُربِ مِنْ غَيْظٍ مَرَّاجِلُهُمْ عداوةً لِرَسُولِ اللَّهِ في الدُّيْنِ
	فقل لهم وهم أهلٌ لَتَزْنِيَةٍ شَرِّ الخَلِيقَةِ يَسَا بُخْرَ العَنَانِينِ ^(٧)
	ما النَّاسُ إِلَّا نَزَارٌ في أرومتها وهاشمٌ سُرْجُهَا الشُّمُّ العَرَانِينِ ^(٨)
	والْحَيُّ مِنْ سَلَفِي فَحُطَّانٌ إِنَّهُمْ يُزْرُونَ بِالتَّيْبِطِ اللَّكْنِ المَلَاعِينِ ^(٩)
	فما على ظهرها خَلَقٌ له حَسَبٌ مما يُنَاسِبُ كِسْرَى غيرُ حَمْدُون
	قَرَمٌ عليه شَهْنَشَاهِيَّةٌ وَتَبَا يُثِيكَ عن كَسْرَوِي الجَدُّ مَيْمُونِ ^(١٠)
	وإنْ شَكَّكَتَ ففِي الإِيوَانِ ضُبُورُتُهُ فأَنْظُرْ إلى حَسَبِ بَادٍ ومَخْزُون

- (١) أقطعها قطيعة من الأرض: أعطاه إياها يملكها ويستبد بها ويفرد. يناويني مهمل يناوئني، أي يعادي.
- (٢) في الأصول «سفر» وهو تصحيف وسقر: جهنم. والتبيط والتبيط: الأنباط: جبل ينزلون بالبطائح بين العرافين. ويبيض الشياطين، يعني أولادهم وسلالتهم.
- (٣) الضب: دويبة من الحشرات تشبه الورل. قال عبد اللطيف البغدادي: «الورل والضب والحرياء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة في الخلق». والنون: الحوت، ومن أمثال العرب: «حتى يؤلف بين الضب والنون» وهما لا يألفان أبداً؛ إذ أن مسكن الأول الرمال، ومقر الثاني المياه. وهمزة «إن» مكسورة لأنه ضمن «ادعى» معنى قال، أو التقدير: كما ادعى الضب قاتلاً إني.
- (٤) قارون: كان من قوم موسى، وهو ابن عمه وابن خالته؛ وفيه يقول الله تعالى: «وآتينا من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة» ونحزه: ضربه ودفعه ونخسه ودقه، ونحزه في صدره: ضربه بجمع كفه، تفري: تشق، وكذا تصدع. وفي ب، س «ينحر» وفيهما أيضاً «يفري ويصدع» وهو تصحيف.
- (٥) البرادع: جمع بردعة. وهي بالدال وبالذال، والأثن (يسكون التاء ويضمها) جمع أتان وهي الحمارة. والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب.
- (٦) أفرجوا عن المكان: تركوه. مشارات المزرعة: مجاري مائها وسواقيها، جمع مشاركة. أو هو «مشاركة» بمعنى مبايعة.
- (٧) في ب، س «التربية». وفي ج «التربية». تصحيف، والتربية: القذف. وبخر: جمع أبخر وصف من البخر بالتحريك، وهو التتن في الفم وغيره. والعثانين: جمع عثنون كعصفور: وهو اللحية أو ما نبت على الذقن وتحت سفلًا. ويريد بها هنا الأفواه.
- (٨) الأرومة (بفتح الهمزة وتضم): الأصل. وسرج: جمع سراج. والشم: جمع أشم وصف من الشمم بالتحريك: وهو ارتفاع قسبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها. والعرائين: جمع عرينين بالكسر وهو الأنف. وشم العرائين: كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنف.
- (٩) قحطان: هو أصل عرب اليمن ومنه تناسلوا. قوله: سلفي قحطان لأن مرجع العرب القحطانية إلى قبيلتين: حمير بن سبأ، وكهلان بن سبأ. واللكن: جمع الكن وصف من اللكنة بالضم، وهي عجمة في اللسان وعي.
- (١٠) القرم: السيد. وشهنشاهية: نسبة إلى شهنشاه، وشاه بالفارسية: معناه الملك، وشهنشاه: معناه ملك الملوك، قال الأعشى: * وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه * وأصله شاهان شاه، حذف منه الألفان فبقى شهنشاه ونبا سهل نبا، وهو الخبر.

/ عتابه لأبي دلف لحجبه إياه

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر.

أن أبا الأسد زار أبا دلف في الكرج^(١)، فحجب عنه أياماً، فقال يعاتبه وكتب بها إليه:

ليست شعري أضاعت الأرض عني أم يَفْجُجُ أنا الغداة طَرِيدُ^(٢) ؟
 أم أنا قانعٌ بأدنى معاشٍ هَمَّتْني القُوتُ والقليلُ الزَّهيدُ
 مقولتي قاطعٌ وسيفي حُسامٌ ويدي حُرَّةٌ وقلبي شديداً
 ربُّ بابٍ أعزَّ من بابك اليو مَ عليه عَسَاكِرُ وجُنودُ
 قد ولجناه داخلين غُدُوًّا ورَوَّاحاً وأنت عنه مَلُودُ^(٣)
 فاكفُفِ اليومَ من حجابك إذ لس ستَ أميراً ولا خميساً تَقُودُ^(٤)
 واغترِبْ في فدافد الصدِّ إذ لس ستَ أسيراً ولا عليّ قُودُ^(٥)
 لا يُقيمُ العزيزُ في بلد الهُو ن ولا يُكَبِّتُ الأريبُ الجَلِيدُ^(٦)

/ شعره في صديقه بسطام

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هَفَّانَ لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان بَرًّا به - قال: وهذا من جيد شعره، وقد سرق البُخْترِيُّ معناه منه في شعر مدح به علي بن يحيى^(٧) المنجم -:

اغْدُو على مالِ بسطامٍ فأنهَبُهُ كما أشاء فلا تُنْثَى إليَّ يدي
 حتى كأني بسطامٌ بما احتكمت فيه يداي وبسطامٍ أبو الأسد

رثاؤه إبراهيم الموصلي

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أبو هَفَّانَ، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثنا أبو هَفَّانَ قال: حدثني أبو دِعامَةَ قال:

لَمَّا مات إبراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد - وكان صديقه - ألا تَرثيه؟ فقال يرثيه:

(١) الكرج: مدينة بفارس بين همذان وأصبهان؛ وأول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وجعلها وطنه، وإليها قصده الشعراء وذكروها في أشعارهم. وفي الأصول «إلى الكرج».

(٢) الفج: الطريق الواسع بين جبليين.

(٣) مذود: مدفوع مطرود.

(٤) الخميس: الجيش، لأنه خمس فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميرة والساقة.

(٥) في الأصول «واعترف» وهو تحريف. وفدافد: جمع فدافد كجعفر، وهي الفلاة. وفي ج «فدافي» وهو تحريف.

(٦) في الأصول «يكسب» وهو تحريف، وكبته كضرب: أذله.

(٧) في الأصول «علي بن صالح يحيى المنجم». وأكبر ظني أن الناسخ أقحم كلمة «صالح» في الكلام إقحاماً. وقد تقدم في «الأغاني» أنه من رجال السند، وورد في «ديوان البخري» مدائح فيه. وورد في «تاريخ بغداد» ١٢: ١٢٢ «علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، كان راوية للأخبار والأشعار، شاعراً محسناً، أخذ عن إسحاق الموصلي الأدب وصنعة الغناء، ونادم المتوكل وكان من خاصة ندمائه عنده وعند من بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، وتوفي آخر أيام المعتمد».

١٧٨ ١٢	/ تَوَلَّى الْمُؤَصِّلِيُّ فَقَدْ تَوَلَّتْ وَأَيْ مَلَا حَاجَةً يَفْتَقِي سَتَبْكِيهِ الْمَزَاهِرُ وَالْمَلَاهِي وَتَبْكِيهِ الْغَوِيَّةُ إِذْ تَوَلَّى	بَشَاشَاتِ الْمَزَاهِرِ وَالْقِيَانِ ^(١) حَيَاةَ الْمُؤَصِّلِيِّ عَلَى الزَّمَانِ ^(٢) وَيُسْعِدُهُنَّ عَاتِقَةُ الدُّنَانِ ^(٣) وَلَا تَبْكِيهِ تَالِيَةُ الْقُرَّانِ ^(٤)
-----------	---	---

[١٤١/١٤] / فقيل له: وَيَحْكُ فَضَحْتَهُ وَقَدْ كَانَ صَدِيقَكَ. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أما من يعقل فلا. وبأي شيء كنت أذكره وأرثيه به؟ أبا لفقه أم بالزُّهْد أم بالقراءة؟ وهل يُرْتَى إِلَّا بهذا وشبهه!

هجاؤه شاهين ابن أخي أبي دلف

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن علي بن يحيى، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطوسي قال:

كنت مقيماً بالجبيل^(٥) فمر بي أبو الأسد الشاعر الشَّيبَانِي، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال: صادفتُ شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف، فما احتبسني ولا برّني ولا عرض عليّ المُقَام عنده، وقد حضرني فيه أبيات فأكتبها، ثم أنشدني:

إِنِّي مَرَرْتُ بِشَاهِينَ وَقَدْ نَفَحَتْ فَمَا وَقَى عَرَضَهُ مَنِّي بِكُنُوتِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنُ الدَّائِيَاتِ غَيْرَهُ فَرُبَّمَا غَابَ بَعْلٌ عَنْ حَلِيلَتِهِ وَمَا تَحَرَّكَ أَيْرُفَا مَتَلَا شَبَقَا	رِيحُ الْعَشِيِّ وَبَرْدُ الثَّلْجِ يُؤْذِنِي ^(٦) لَا بَلَّ وَلَا حَسَبٍ دَانٍ وَلَا دِينَ عَنْ طَبْعِ آبَائِهِ الثُّمِّ الْعَرَانِينَ ^(٧) فَنَاكَهَا بَعْضُ سُؤَاسِ الْبِرَازِينَ ^(٨) إِلَّا تَحَرَّكَ عَرْقٌ فِي أَسْتِ شَاهِينَ ^(٩)
--	--

[١٤٢/١٤] / ثم قال: لَأَمْرُقَتَهُ كُلُّ مُمَرِّقٍ، وَلَأَصِيرَنَّ إِلَى أَبِي دُلْفَ فَلَأُنْشِدَنَّهُ. ومضى من فَوْزِهِ يَرِيدُ أَبَا دُلْفَ، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ، فشَقَّ عليه وَغَمَّهُ. وأتاه أبو الأسد فدخل عليه، فسأله عن قصته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هَبْهَ لِي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبشار كان عَرَضَ له فقال:

(١) المزاهر: جمع مزهر كمنبر، وهو العود يضرب به.

(٢) في الأصول «فلاحة» وهو تحريف.

(٣) خمر معتقة وعتيق وعتيقة وعاتق: لم يفض أحد ختامها أو قديمة حبست زماناً في ظرفها.

(٤) الغوية: المرأة الفضالة. والقران: مسهل القرآن.

(٥) بلاد الجبل: بأرض فارس.

(٦) في الأصول «لنفحت» واللفح لكل حار من الرياح، والنفح لكل بارد.

(٧) الدائيات: جمع داية، جاء في «اللسان»: الداية: العائر حكاه ابن جني، قال: كلاهما عربي فصيح وأنشد للفرزدق:

رَبِيسَةَ دَائِسَاتٍ ثَلَاثَ رَبِينَهَا يَلْقَمْنَهَا مِنْ كُلِّ سَخْنٍ وَمِبْرَدٍ

(٨) البعل: الزوج. والحليلة: الزوجة.

(٩) الشبق: شدة الغلظة وطلب النكاح.

ومما تحركك أنيرُ فأمثلاً شَبَقاً إلا تحركك عِرْقُ في أسْت

ثم قال: في أسْت من؟ ومرَّ به تسنيم بن الحواري^(١) فسَلَّم عليه، فقال: في أسْت تسنيم والله. فقال له: أيُّ شيء ويلك؟ فقال: لا تَسَلْ. فقال: قد سمعتُ ما أكره، فاذا كر لي سَبَّه. فأنشده البيت، فقال: ويلك! أيُّ شيء حَمَلَك على هذا؟ قال: سَلَامُكَ عليّ. لا سَلَّمَ الله عليك ولا عليّ إن سَلَّمْتَ عليك بعدها، ويَشَار يضحك. وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار^(٢).

قصيدة

وقد جُمع معه كل ما يُغنى في هذه القصيدة:

أَجِدُّكَ إِنْ تُعَمِّ نَاثَ أَنْتَ جَارِعُ قَدْ اقْتَرَبْتَ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَائِي^(٣) ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَمِنْ حَزَنٍ أَنْ شَاقَ قَلْبُكَ رَابِعُ
/ بَكَتْ عَيْنٌ مَنْ أَبْكَكَ لَيْسَ لَكَ الْبُكَى وَلَا تَتَخَالَجُكَ الْأُمُورُ النَّوَازِعُ^(٤)
فَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرَّكَ ثَالِثُ الْأَكْلُ سِرٌّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَانِعُ
/ وَكَيْفَ يَشِيْعُ السَّرُّ مِثْلِي وَدُونَهُ حِجَابٌ وَمَنْ فَوْقَ الْحِجَابِ الْأَضَالِعُ^(٥)
كَأَنَّ فُؤَادِي بَيْنَ شَقِيَيْنِ مِنْ عَصَا حِذَارٌ وَقُوعِ الْيَتِيمِ وَالْبَيْنِ وَاقِعُ
وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً بِأَهْلِي، يَتْنُ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ؟
فَقُلْتُ لَهَا بِاللَّهِ يَذْرِي مُسَافِرُ إِذَا أَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا اللَّهُ صَانِعُ؟
فَشَدَّتْ عَلَى فِيهَا اللَّثَامَ وَأَعْرَضَتْ وَأَقْبَلَنَ بِالْكُحْلِ السَّحِيقِ الْمَدَامِعُ^(٥)

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ. الشعر لِقَيْسِ بْنِ الْحُدَّادِيَّةِ، والغناء لإِسْحَاقَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْأَبْيَاتِ خَفِيفٌ رَمَلٍ بِالْوُسْطَى، وَفِي الثَّالِثِ وَمَا بَعْدَهُ أَرْبَعَةٌ.

(١) سموا: الحواري بفتح أوله وثنائه وفي آخره ياء مشدودة، والحواري بضم أوله وبواو مشدودة مفتوحة وراء مفتوحة، انظر «تاج العروس».

(٢) انظر الجزء الثالث ١٧٣ طبع دار الكتب، وفي تلك الرواية: ما قام أير حمار

(٣) في الأصول «من ثاني» وفي ب، س، «رائع» وهو تحريف.

(٤) تخالجه الهموم: نازعته؛ يقال: تخالجه الهموم: إذا كان له هم في ناحية وهم في ناحية كأنه يجذب إليه. والنوازع: التي تنزع النفوس من صدورها.

(٥) السحيق: المسحوق. وأقبلن بإثبات النون، على لغة طيء وأزد شنوءة أو «سيرة» بعد في القصيدة «وأمعن».

[١٤٤/١٤]

٢
١٣

/ أخبار قيس بن الحِدادية ونسبه

هو قيس بن مُنْقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر^(١) بن صالح بن حَبَشِيَّة^(٢) بن سُلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيْقِيَاء^(٣) بن عامر / وهو ماء السماء بن حارثة الغَطْرِيف^(٤) بن أُمْرِيء القيس البَطْرِيق^(٥) بن ثعلبة بن مازن بن الأزْد، وهو «رداء»^(٦)، ويقال: «رديني»، وقد مضى نسبه متقدماً؛ والحِدادية أمه، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حِداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكاً شجاعاً صُغْلوكاً خليعاً، خلعتُه خُزاعة بُسُوق عكاظ، وأشهدت على أنفُسها بخلعها إياه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرها أحدٌ عليه.

أغار على بني قميير وقتل ابن عس وقال شعراً

قال أبو الفرج: نسختُ خبره من كتاب أبي عمرو الشَّيباني: لَمَّا خَلَعْتُ خُزَاعَةَ بن عمرو - وهو مُزَيْقِيَاء بن

(١) في ب وس «ضياطر» وقد تكرر فيهما، والصواب في ج. جاء في «كتاب الاشتقاق» لابن دريد طبع أوربة ص ٢٧٦: «رجال خُزاعة ويطونها... ومنهم بنو ضاطر، والضاطر اشتقاقه من قوم ضياطر. وهو الضخم الذي لا منفعة فيه ولا غناء، والجمع ضياطر وضيطرون» وجاء في ص ٢٧٧: «ومن بني ضاطر: قيس بن عمرو بن منقذ (بتقديم عمرو على منقذ) الشاعر الذي يقال له ابن الحدادية، جاهلي، وبنو حداد من بني كنانة» - وقد ضبط فيه بالشكل بضم الحاء وفتح الدال مخففة..

وجاء في كتاب «مختلف القبائل ومؤلفها» لأبي جعفر محمد بن حبيب طبع أوربة ص ٣٥: «وفي كنانة بن خزيمه: حداد بن مالك بن كنانة مضبوطاً بالشكل بضم الحاء.

(٢) حبشية: جاء في «القاموس»: «وحبشية بن سلول بالضم» أي بضم الحاء، وفي «تاج العروس»: «وضبطه بعضهم بفتح الحاء وسكون الموحدة، نقله الحافظ» وجاء في كتاب «مختلف القبائل ومؤلفها» ص ٤: «في خُزاعة: حبشية (بفتح الحاء والباء) بن سلول بن كعب... وفي «مزينة»: حبشية (بضم الحاء وسكون الباء) بن كعب بن عبد بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو وهو مزينة».

(٣) كان من ملوك اليمن، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب، فإذا أمسى خلعهما ومزقهما، وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما غيره، وهو جد الأنصار، ولذلك فخر أوس بن الصامت (أخو عبادة بن الصامت) بقوله:

أنسا ابن مزريقا عمرو، وجدتي: أبوه عامر ماء السماء

ولقب أبوه عامر بماء السماء لجوده وكثرة نفعه فشبه بالغيث، وأما المنذر بن ماء السماء اللحمي أحد ملوك الحيرة فإن أباه امرؤ القيس عمرو بن عدي، وماء السماء أمه وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط، وإنما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها - انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢: ١٤٨ ترجمة المهلب بن أبي صفرة.

(٤) الغطريف: السيد الشريف السحي السري.

(٥) البطريق: الرجل الوضي المختال المزهو، والبطريق بلغة الروم: القائد الحاذق بالحرب وأمورها، ويقال: إن البطريق عربي وافق المعجمي، وهو لغة أهل الحجاز، وقال أمية بن أبي الصلت:

من كل بطريق لبسط حريق نقى الوجه واضح

(٦) كذا في الأصول. وفي «طرفة الأصحاب» ص ٢٠: «ابن درة» ويقال: دراء.

عامر، وهو ماء السماء بن الحارث - قيس بن الحداية، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعياً قوم منهم يقال لهم: بنو قُمَيْر بن حبشية بن سُلُول، فجمع لهم قيس شُذَّاذاً^(١) من العرب وفُتَّاكاً من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش، واستاق أموالهم، فلحقه رجل من قومه كان سيّداً، وكان ضلّعه^(٢) مع قيس فيما جرى عليه من الخلع، يقال له ابن محرق، فأقسم عليه أن يرد ما أستاقه، فقال: أما ما كان لي ولقومي فقد أبررتُ قَسَمَكَ فيه، وأما ما اعتورتَه^(٣) أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه، فردّ سهمه وسهم عشيرته، وقال في ذلك:

/ فاقسم لولا أسهم ابن محرق
مع الله ما أكثرت عدّ الأقارب^(٤)
/ تركت ابن عُش يرفعون برأسه
ينوء بساق كعبها غير راتب^(٥)
وأنهاهم خلعي على غير ميرة
من اللحم حتى غيَّبوا في الغوايب^(٦)

وقال أبو عمرو: أغار أبو بردة بن هلال بن غُويمر، أخو بني مالك بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن أمية القيس على هوازن في بلادها، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأنهزم بنو عامر^(٧) وبني نصر، وقتل أبو بردة قيس بن زهير أخا خدّاش بن زهير الشاعر، وسبى نسوة من بني عامر: منهن صخرة بنت أسماء بن الضريبة النصري، وامرأتين منهم يقال لهما: بَيْقَر ورِيّا، ثم انصرفوا راجعين، فلما انتهوا إلى هرشي^(٨) خنقت صخرة نفسها فماتت، وقسم أبو بردة السبي والنعم والأموال في كلّ من كان معه، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرقه فيهم.

ثم أغارت هوازن على بني ليث، فأصابوا حياً منهم يقال لهم: بنو الملوحة بن يغمر بن عوف، ورعاء لبني ضاطر بني حبشية، فقتلوا منهم رجلاً وسبوا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك مالك بن عوف النصري^(٩):

/ نحن جلبنا الخيل من بطن لية
وجلدان جرداً مُنَعَلاتٍ ووُقَحَا^(١٠)

- (١) الشذاذ: الذين ليسوا في حيزهم ومنازلهم.
(٢) ضلّعه: ضلّعه معه بفتح الضاد، أي ميلك وهواك.
(٣) اعتوروا الشيء وتعاوروه: تداولوه.
(٤) لولا أسهم: أي لولا أن أسهم بتقدير أن كقولهم:
أنت المبارك والميمون سيرته
لولا تقوّم درء القوم لاختلفوا
وأسهم له: أعطاه سهماً والمعنى: لولا أن ابن محرق جعل لله سهماً في هؤلاء القوم أي لولا أنه أقسم عليّ بالله أن أرد إليهم ما غنمته منهم، ما أكثرت عدّ الأقارب: أي لقلت عدد أقاربي فلم أبق على هؤلاء الذين نالوني بالأذى منهم.
(٥) غير راتب: أي غير منتصب.
(٦) نهى من اللحم كفرح وأنهى: شبع منه واكتفى. الميرة: الطعام يمتاره الإنسان أي يجلبه، وفي جـ «وأنهاهم خلعي غير ميرة» بإسقاط «على» وفي ب، س «على غير مرة عن».
(٧) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.
(٨) هرشي: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة.
(٩) كان قائد المشركين في غزوة حنين.
(١٠) لية: من نواحي الطائف، مر به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف وأمر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف. جلدان: ويروى بالذال وبالذال، موضع قرب الطائف بين لية وسبل، يسكنه بنو نصر بن معاوية بن هوازن، جرداً جمع أجرد: وهو القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم، وفرس منعل: شديد الحافر، ووقح الحافر: صلب فهو واقح والجمع وقح، ووقاح كسحاب، والجمع وقح كسحب أي صلب باق على الحجارة. وفي البيت خرم.

فأصبحن قد جاوزن مَرًّا وَجُحْفَةً
وَجَاوَزْنَ مِنْ أَكْنَافِ نَخْلَةٍ أَبْطَحًا^(١)
تَلْقَطُنَ ضَيْطَارِي خُزَاعَةَ بَعْدَ مَا
أَبْرَنَ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيمِ الْمَلَوَّحًا^(٢)
قَتَلْنَاهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا شَرِيدَهُمْ
نِسَاءً وَأَيْتَامًا وَرَجُلًا مُسَدِّحًا^(٣)
فَلِإِنَّكَ لَوْ طَالَعْتَهُمْ لَحَسِبْتَهُمْ
بِمَنْعَرَجِ الصَّفَرَاءِ عِشْرًا مُذْبِحًا^(٤)

أغار على هوازن وقتل أبو زيد وعروة وقال شعراً

فلما صنعت هوازنُ ببني ضاطر ما صنعتُ، جمع قيس بنُ الحِدادية قومه، فأغار على جُموع^(٥) هوازن، فأصاب سبيًا ومالًا، وقتل يومئذٍ من بني قشير: أبا زيد وعروة وعامراً ومروحاً، وأصاب أبياتاً من كلاب خلوفاً^(٦)، واستاق أموالهم وسبيًا، ثم انصرف وهو يقول.

نحن جَلَبْنَا الْخَيْلَ قُبَاً بَطُونُهَا / نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ قُبَاً بَطُونُهَا [١٤٨/١٤]
بِكُلِّ خُزَاعِي إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ
تَسْرِبَلٌ فِيهَا بُرْدَةٌ وَتَوْشَحًا
قَرَعْنَا قَشِيرًا فِي الْمَحَلِّ عَشِيَّةً
فَلَمْ يَجِدُوا فِي وَاسِعِ الْأَرْضِ مَسْرَحًا
وَأَبْنَاءُ بَنِي الْقُومِ تُحْدِي، وَنِسْوَةٌ
وَعُرْوَةٌ أَقْصَدْنَا^(٨) بِهَا وَمُرَوَّحًا
غَدَاةً سَقَيْنَا أَرْضَهُمْ مِنْ دِمَائِهِمْ
يَبْكِينَ شُلُوعًا أَوْ أُسِيرًا مُجَرَّحًا^(٩)
وَرُغْنَا كِلَابًا قَبْلَ ذَلِكَ بِغَارَةٍ
وَأَبْنَاءُ بَنِي الْقُومِ تُحْدِي، وَنِسْوَةٌ
لَقَدْ عَلِمْتُ أَفْنَاءَ بَكْرِ بْنِ عَامِرٍ
فَسَقْنَا جِلَادًا فِي الْمَبَارِكِ قُرْحًا^(١١)
بِأَنَّا نَذُودُ الْكَاشِحَ الْمَتْرَحِزِحًا^(١٢)

(١) بطن مر، ويقال له: مر الظهران: موضع بينه وبين مكة خمسة أميال، والجحفة: على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، ونخلة الشامية واليمانية: واديان على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر، والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٢) الضيطار: الضخم اللثيم الذي لا غناء عنده، أبارهم: أهلكتهم، الغميم: موضع بين مكة والمدينة قرب المدينة بين رابغ والجحفة.

(٣) السدح: ذبحك الشيء وبسطكه على الأرض، أو هو الصرع بطحا على الوجه أو إلقاء على الظهر كالتسديد.

(٤) طالعه طلوعاً ومطالعة: اطلع عليه، الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، والعتر والعنبرة كذبح وذبيحة: الرجبية، وهي شاة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب يتقربون بها إلى الهتهم ويصب دماها على رأسها، وفي ب، س «عنز».

(٥) في الأصول «مصنوع» وهو تحريف.

(٦) الخلوف: الحي إذا خرج الرجال وبقي النساء.

(٧) القلب كسبب: دقة الخصر وضمور البطن، قب بطن الفرس يقب كبعض فهو أقب وهي قباء والجمع قب بالضم، الثوب تشبة الدعاء، جنح جمع جانحة: أي مائلة إليه مقبلة عليه. وفي البيت خرم.

(٨) أقصدته: طعته فلم يخطئه.

(٩) تحدى: تساق. والشلو: كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية.

(١٠) بادم: أي بسبايا من النساء آدم، جمع آدماء، وصف من الأدمة بالضم وهي في الناس: السمرة، وضحا: أي بيضاً جمع واضحة، صرن آدماء لشدة ما قاسين من ذل السبي والغلبة.

(١١) رعنًا: أفزعنا، والجلاد من الإبل: الغزيرات اللبن، أو التي لا لبن لها ولا نتاج، والقرح والقوارح: جمع قارح وهي الناقة أول ما تحمل.

(١٢) الأفناء: الأخلاط، والكاشح: مضمهر العداوة، والمترحزح: المتباعد، يريد المتباعد عن محبتنا المتجافي عن مودتنا.

وَأَنَا بِلا مَهْرٍ سَوَى الْبَيْضِ وَالْقَنَّا نَصِيبَ بَأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ مَنَكْحَا

شعره في حرب خزاعة وعامر بن الظرب

وقال أبو عمرو: وزعموا أن قيس بن عيلان رَغِبَتْ في البيت، وخزاعة يومئذٍ تليه، وطمِعُوا أن يترعوه منهم، فساروا ومعهم قبائلٌ من العَرَبِ ورأسوا عليهم / عامر بن الظرب / العَدَوَانِي، فساروا إلى مَكَّةَ في جمعٍ لَهُام^(١)، [١٤٩/١٤] فخرجت إليهم خُزَاعَةُ فاقتتلوا، فَهَزِمَتْ قيس، ونجا عامرٌ على فرس له جَوَاد^(٢). فقال قيس بن الحُدَّادِية في ذلك: ١٣

لَقَدْ سُمِتَ نَفْسَكَ يَا بَنَ الظَّرِبِ وَجَسْمَتَهُمْ مَنْزِلًا قَدْ صَعُبَ^(٣)
وَحَمَلْتَهُمْ مَرْكَبًا بِأَهْظَا مِنْ الْعِيبِ إِذْ سُقْتَهُمْ لِلشَّغَبِ^(٤)
بِحَرْبِ خُزَاعَةِ أَهْلِ الْعُلَا وَأَهْلِ الثَّنَاءِ وَأَهْلِ الْحَسَبِ
هَمَّ الْمَانِعِ الْبَيْتِ وَالذَائِدُونَ عَنْ الْحُرُمَاتِ جَمِيعَ الْعَرَبِ
نَقَّوْا جُرْهُمًا وَنَقَّوْا بَعْدَهُمْ كِنَانَةَ غَضَبٍ بَيِّضِ الْقُضْبِ^(٥)
وَسُفِرَ الرِّمَاحُ وَجُرِدَ الْجِيَادُ عَلَيْهَا فَوَارِسُ صَدَقٍ نُجُبِ
وَهُمْ الْحَقُّوْا أَسَدًا عَنُودَ بِأَحْيَاءِ طَيِّ وَحَازُوا السَّلْبِ^(٦)
خُزَاعَةُ قُرُومِي فَإِنْ أَفْتَخِرْ بِهِمْ يَزُكُّ مُعْتَصِرِي وَالنَّسَبِ^(٧)
هَمَّ الرَّأْسِ وَالنَّاسِ مِنْ بَعْدِهِمْ ذُنَابِي، وَمَا الرَّأْسُ مِثْلُ الذَّنْبِ^(٨)
يُوَاسِي لَدَى الْمَحَلِّ مَوْلَاهُمْ وَتَكْشِفُ عَنْهُ غُموْمَ الْكُورِ^(٩)
فَجَارُهُمْ أَمِنْ دَمَرِهِ بِهِمْ إِنْ يُضَامَّ وَأَنْ يُغْتَصَبِ
يَلْبَثُونَ فِي الْحَرْبِ خَوْفَ الْهَجَاءِ وَيَتَرُونَ أَعْدَاءَهُمْ بِالْحَرْبِ^(١٠)
/ وَلَوْلَمْ يَنْجُكَ مِنْ كَيْدِهِمْ أَمِينَ الْقُصُوصِ شَدِيدُ الْعَصَبِ^(١١)
لَزَرْتَ الْمَنَاسِيَا، فَلَا تَكْفُرْنَ جَوَادَكَ نُعْمَاهُ يَا بَنَ الظَّرِبِ
فَإِنْ يَلْتَقِوْكَ يَزُكُّ الْحِمَا م أَوْ تَنْجُ ثَانِيَةً بِالْهَرَبِ

(١) لهام: كثير عظيم.

(٢) فرس جواد: رائع.

(٣) يريد لقد سمت نفسك خسفاً، أي أوليتها إياه.

(٤) بهظه الأمر: غلبه وثقل عليه.

(٥) في جد: «تبيد القضب» وفي ب وس «بييد».

(٦) عنوة: قهراً، والسلب: ما يسلب.

(٧) زكايزكو: نما، ويقال: رجل كريم المعتصر: جواد عند المسألة كريم.

(٨) الذنابي: الذنب.

(٩) المحل: الجذب، والمولى: الجار والحليف.

(١٠) في جد، ب: «يكبون».

(١١) القصوص: جمع قص، وهو ملتقى كل عظيمين، والأمين: القوي.

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بين التوليد.

شعر لابن الأحب في غارة هوازن على خزاعة

وقال أبو عمرو: أغارت هوازن على خزاعة وهم بالمحصّب^(١) من منى، فأوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العنقاء، ويقوم من بني ضاطر، فقتلوا منهم عبداً وعوفاً وأقرب وغبشان، فقال ابن الأحب العذواني يفخر بذلك:

غداة التقينا بالمحصّب من منى فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائم
تركنا بها عوفاً وعبداً وأقرباً وغبشان سُوراً للُسور القشاعم^(٢)

أجاب قيس على ابن الأحب وغيره بأنه فخر بيوم لم يكن لهم

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيره أن فخر بيوم ليس لقومه:

فخرت بيوم لم يكن لك فخره أحاديث طسم إنما أنت حالس^(٣)
تفاخر قوماً أطردتكم رماحهم أكعب بن عمرو: هل يُجاب البهائم^(٤)
فلو شهدت أم الصيّن حملنا ورخصهم لأبيض منها المقام
غداة تسوليتهم وأدبر جمعكم وأبنا بأشراككم كأننا ضراغم^(٥)

[١٥١/١٤] مدح أسد بن كرز لحمايته له، وقال شعراً في ذلك

قال أبو عمرو: وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز، فأواهم وأحسن إليهم قيس وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة/ وفي فراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز:

لا تعذليّ سلمى اليوم وانتظري أن يجمع الله شملًا طالما افترقا
إن شئت الدهر شملًا بين جيرتكم فطال في نعمة يا سلمى ما أنفقا
وقد حللنا بقسريّ أخي ثقي كالبدريّ جلّو دجى الظلماء والأفقا
لا يجبر الناس شيئاً هاضه أسد يوماً ولا يرتقون الدهر ما فتقا^(٦)
كم من ثناء عظيم قد تداركه وقد تفاقم فيه الأمر وانخرقا

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حماد الراوية لخالد القسري^(٧) في أيام ولايته، وأنشده إياها فوصله، والتوليد بين فيها جدّاً.

(١) المحصّب: موضع رمي الجمار بمنى.

(٢) السور: البقية والفضلة، والقشاعم: جمع قشعم كجعفر، وهو من السور: المسن الضخم.

(٣) طسم: قبيلة من عاد انقرضوا. ومن أمثال العرب: «أحاديث طسم وأحلامها» يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له.

(٤) أطرده: صيره طريداً.

(٥) ضراغم: جمع ضرغم كجعفر وهو الأسد.

(٦) هاض الشيء: كسره.

(٧) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، ولاء الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩، وولي العراقين في عهد =

شعره في غارة ضريس على بني ضاطر

وقال أبو عمرو: غزا الضريس القشيري بني ضاطر في جماعة من قومه، فثبتوا^(١) له وقاتلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفر بشيء من أموالهم، فقال قيس بن الحداية في ذلك:

فَدَيْ لِبْنِي قَيْسٍ وَأَفْنَاءِ مَالِكِ لَدَى الشُّنْعِ مِنْ رَجُلِي إِلَى الْفَرْقِ صَاعِدَا^(٢)
غَدَاةً أَتَى قَوْمَ الضَّرِيسِ كَأَنَّهُمْ قَطَا الْكُذْرَ مِنْ وَدَّانٍ أَصْبَحَ وَارِدَا^(٣)
/ فَلَمْ أَرِ جَمْعاً كَانَ أَكْرَمَ غَالِباً وَأَحْمَى غَلَاماً يَوْمَ ذَلِكَ أَطْرَدَا^(٤)
رَمِينَاهُمْ بِالْحُؤِّ وَالْكُمْتِ وَالْقَنَّا وَبِيضٍ خِفَافٍ يَخْتَلِيَنِ السَّوَاعِدَا^(٥)

[١٥٢/١٤]

مدحه بني عدي بن عمرو من خزاعة

قال أبو عمرو: ولما خلعت خزاعة قيساً، تحوّل عن قومه، ونزل عند بطن من خزاعة، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد، فأووه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم:

جَزَى اللَّهُ خَيْراً عَنْ خَلِيعٍ مَطَرْدٍ رَجَالاً حَمَوَهُ آلَ عَمْرٍو بْنِ خَالِدٍ
فَلَيْسَ كَمَنْ يَغْزُو الصَّدِيقَ بَنُو كِه وَهَمُّهُ فِي الْغَزْوِ كَسْبُ الْمَزَاوِدِ^(٦)
عَلَيْكُمْ بِعَرَصَاتِ الدِّيارِ فَلِإِنِّي سَوَاكُمُ عَدِيدٌ حِينَ تُبْلَى مَشَاهِدِي^(٧)
أَلَا وَذُتُّمْ حَتَّى إِذَا مَا أَمِثُّمُ تَعَاوَزْتُمْ سَجْعاً كَسَجْعِ الْهَدَاهِدِ^(٨)
تَجَنَّى عَلَيَّ الْمَازِنَانِ كِلَاهِمَا فَلَا أَنَا بِالْمَغْصِي وَلَا بِالْمَسَاعِدِ^(٩)
وَقَدْ حَدِثْتُ عَمْرٍو عَلَيَّ بِعَزِّهَا وَأَبْنَائُهَا مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ مَاجِدِ^(١٠)
/ مَصَالِيْتُ يَوْمَ الرُّوعِ كَسَبُهُمُ الْعُلَا عِظَامُ مَقِيلِ الْهَامِ شُعْرُ السَّوَاعِدِ^(١١)

[١٥٣/١٤]

= هشام بن عبد الملك، وتوفي سنة ١٢٦ هـ.

(١) في الأصول «فثبتوا» وهو تحريف.

(٢) في الأصول «وأقباء» وفي س «إلى الفراق» وهو تحريف. والشع: أحد سبور النعل. والفرق: موضع المفرق من الرأس أي وسطه الذي يفرق فيه الشعر.

(٣) الكدر: موضع قرب المدينة؛ والكدري: ضرب من القطا. وودان: قرية بين مكة والمدينة قرية من الجحفة.

(٤) كذا في الأصول وفي البيت سناد التأسيس، وهو عيب من عيوب القافية، ولعلها «طاردا».

(٥) الحو جمع أحوى وحواء وصف من الحوة: وهي حمرة إلى السواد، والكمت من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، وصف من الكمنة، وهي لون بين السواد والحمرة، وجمعه كمت. يختلن السواعد: يقطعن ويذهبن بسواعد المضروبين بها.

(٦) فليس كمن يغزو: أي فليس هذا الحي كمن يغزو. والتوك بالفتح والضم: الحمق، والمزاود: جمع مزود كمنبر، وهو وعاء الزاد.

(٧) يخاطب في هذا البيت وما بعده قومه. والعرة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع عرصات بفتح الراء، وسكنت في البيت للضرورة. عديد: معدود. تبلى: تختبر. مشاهد جمع مشهد، أي شهودي القتال وخوضي غماره، وفي الأصول «ببلى مساهد» وهو تحريف.

(٨) لاوذ: استتر، وتعاوروه: تناولوه، وسجعت الحمامة: طرّبت في صوتها ووالته على طريق واحد.

(٩) في جـ «تحنى» أي عطف، وفي ب، وس «تجنى»، وتجنى عليه: ادعى ذنباً لم يفعل.

(١٠) حذب عليه كفرج: عطف. والأروع: من يعجبك بحسنه وجهاره منظره أو بشجاعته.

(١١) مصاليت: جمع مصلات، وهو الماضي في الأمور. الهام: الرؤوس، جمع هامة، ومقيل الهامة: مستقر الرأس أي العنق، يقول: =

أولئك إخواني وجلّ عشيرتي وثروتهم والنصر غير المحارِد^(١)
مدحه عدي بن نوفل

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، والحرمي بن أبي العلاء قالاً: حدّثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني عمي أنّ خُزاعةً أغارت على اليمامة^(٢)، فلم يظفروا منها بشيء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم لبيتاعهم قومهم، فغدّوا جميعاً إلى الخُلصاء^(٣)، وفيهم قيس بن الحُدّادية، فأخرجوهم وحملوهم، وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمرّ بهم عدي^(٤) بن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم واعتقهم، فقال قيس يمدحه:

١٣ / دعوت عديّاً والكُبولُ تكُنِي
ألا يا عديّ يا عديّ بن نوفل^(٥)
دعوت عديّاً والمنيا شوارِعُ
ألا يا عديّ للأسير المكبَل^(٦)
فما البحر يجري بالسّفين إذا غدا
بأجود سَيِّئاً منه في كل محفِل^(٧)
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما
أصابهم منّا حريقُ المحلّل^(٨)
وأنبعت بين المشعرين سقايةً
لحجاج بيت الله أكرم منهل^(٩)
[١٥٤/١٤] / هجرة خزاعة لجذب أصابهم وشعر له في ذلك

قال أبو عمرو: وكان قيس بن الحُدّادية يهودي أمّ مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجذبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدّم قبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نَعْم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحُدّادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور:

أجِدُّكَ إنْ نَعْمُ نأت أنست جازعُ
قد اقتربست لو أن ذلك نافعُ
نوالاً، ولكن كلُّ من ضنّ مانع
قد اقتربست لو أن في قرب دارها
وقد جاورتنا في شهور كثيرة
فإن تلقين نعمى مُديت فحيها
وسل كيف تُرعى بالمغيب الودائع^(٩)

= إنهم غلاظ الأعناق وهو كناية عن قوة البأس. شعر: جمع أشعر، وهو كثير الشعر طويله.

(١) الثروة: كثرة العدد بين الناس. والمال غير المحارِد، أي غير المنقطع، وأصله من حارَدَت الإبل حراداً: انقطعت ألبانها أو قلت.

(٢) اليمامة: صقع شرقي الحجاز ويعد من نجد.

(٣) في ب، س «الحلقاء» وفي ج «الخلقاء» وهو تحريف. والخلصاء: بلد بالدهناء، والدهناء: من ديار بني تميم بنجد.

(٤) هو عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة.

(٥) الكبول: جمع كبَل بالفتح، وهو أعظم ما يكون من الأقياد. وكبه: قلبه وصرعه.

(٦) شوارع: جمع شارعة، أي مسددة، من شرعت الرماح أي تسدّت.

(٧) السيب: العطاء.

(٨) المحلل: أي من حلل إحراقنا في الأشهر الحرم.

(٩) فإن تلقين: مؤكد بنون التوكيد الخفيفة. وفي الأصول «فإن تلقين»

- وظئني بها حفظاً لغيري، ورعيةً
وقلت لها في السر بيني وبينها
فقلت: لقاء بعد حول وحجة
وقد يلقي بعد الشتات أولو النوى
وما إن خذولٌ نازعت حبل حابل
/ بأحسن منها ذات يوم لقيتها
رأيت لها ناراً تشب، ودونها
فقلت لأصحابي: اصطلوا النار إنها
فيالك من حادٍ حبوت مقيدا
أعظاً أرادت أن تخب حمالها
فما نطفة بالطود أو بضربة
يطيف بها حرانٌ صادٍ ولا يرى
بأطيب من فيها إذا جثت طارقاً
/ وحسبك من ناي ثلاثة أشهر
لما استرعيت، والظن بالغيب واسع^(١)
على عجل: أيان من سار راجع؟
وشحط النوى إلا لذي العهد قاطع^(٢)
ويسترجع الحي السحاب اللوامع^(٣)
لتنجوا إلا استسلمت وهي ظالع^(٤)
لها نظراً نحوي كذي البث خاشع^(٥)
طويل القرا من رأس ذروة فارغ^(٦)
قريب، فقالوا: بل مكانك نافع^(٧)
وأنحى على عرينين أنفك جادع^(٨)
لتفجع بالإظعان من أنت فاجع^(٩)
بقية سيلٍ أحرزتها الوقائع^(١٠)
إليها سيلاً غير أن سيطالع^(١١)
من الليل واخضلت عليك المضاجع^(١٢)
ومن حزن أن زاد شوقك رابع^[١٥٥/١٤]
[١٥٦/١٤]

(١) في الأصول «حفظ بعيني» وهو تحريف، والرعية: اسم من الرعاية.

(٢) الحجة: السنة. والشحط: البعد.

(٣) النوى: البعد. يسترجع الحي، أي يرجعهم ويردهم.

(٤) الخذول من الظباء والبقرة: التي تخذل صواحبتها وتتخلف عن القطيع وتنفرد مع ولدها؛ ويقال هو مقلوب لأنها هي المتروكة. ظلع كمنع: غمز في مشيه.

(٥) البث: أشد الحزن. وفي جـ «نجوى كذا الشب خاشع» وهو تحريف.

(٦) تشب: توقد. القرا: الظهر. ذروة: اسم جبل. الفارغ: العالي.

(٧) اصطلوا النار: يريد جدوا في السير لتصطلي النار إنها قريب، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع، أو تأويله: في مكان قريب.

(٨) في الأصول «فمالك» ولعله محرف. وأنحى: في الأصول «والحي» وهو تحريف. والمعنى: فقالوا عجباً لك! إنك تسير سيراً بطيئاً كحبو الصبي مقيداً، وقد جدع عرينين أنفك أي ليس لديك العدة الكافية للحاق بها فكيف تدركها؟ أو لعله يدعو علي فأمد القافلة بالأسر وجدع الأنف لأنه لم يلب طلبته.

(٩) في جـ «أعظي» وفي ب، س «أعظا» وهو تصحيف، خبت: أسرعت، وقد أخبها صاحبها. ظعن كمنع: سار، وأظعته إظعاناً: سيره. من أنت فاجع: أي أصحابك، والمعنى: أرادت أن تخب جمالها غيظاً لك فيحملك ذلك. على أن تشق على أصحابك وتجهدهم في السير، ويصح أن يكون «بالأظعان» بفتح الهمزة، جمع ظعينة: وهي المرأة ما دامت في الهودج، أي لتفجع أصحابك بهذه الظعائن المرتحلة - وفيهن محبوبته نعم - فتكدهم في السير لإدراكها.

(١٠) النطفة: الماء الصافي قل أو كثر، والجمع نطاف. والطود: الجبل. وضربة: بئر، وفي الأصول «صرية» وهو تصحيف، والوقائع جمع وقعة، وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.

(١١) أطاف به: ألم به وقاربه. حران صاد: عطشان. طالع: اطلع عليه أي أشرف.

(١٢) الطارق: الآتي ليلاً. أخضلت: نديت.

سعى بينهم واشٍ بأفلاق برمّة
بكت من حديث بئّه وأشاعه
/ بكت عين من أبكاك لا يعرف البكا
فلا ينعمن سرّي وسرك ثالث
وكيف يشيع السرّ منّي ودونّه
وحبّ لهذا الرّبع يمضي أمامه
لهوت به حتى إذا خفت أهله
نزعته فما سرّي لأول سائل
وقد يحمد الله العزاء من الفتى
ألا قد يسألني ذو الهوى عن حبيبه
/ وما راعني إلا المنادي ألا اظعنوا
فجئت كأنني مستضيف وسائل
فقلت: ترحل ما بنا كبر حاجة
فما زلت تحت الشتر حتى كأنني
فهزت إليّ الرأس مني تعجبا
فأيّهما ما أتبعن فلأنسي
لتنفّج بالأظعان من هو جازع^(١)
ورصفه واشٍ من القوم راصع^(٢)
ولا تتخالجك الأمور النوازع^(٣)
ألا كل سرّ جاوز اثنين شائع
حجاب ومن دون الحجاب الأضالع
قليل القلب مني جليل ورايع^(٤)
ويبين مني للحيب المخادع
وذو السر ما لم يحفظ السرّ ماذع^(٥)
وقد يجمع الأمر الشيت الجوامع
فيسألني، وقد تُردي المطي المطامع
ولا الرواعي غدوة والقعاقع^(٦)
لأخبرها كل الذي أنا صانع
إليك ولا منّا لفقر راقع
من الحرّ ذو طمرين في البحر كارع^(٧)
وعُضض مما قد فعلت الأصابع
حزين على إثر الذي أنا وادع^(٨)

٧/١٣

[١٥٧/١٤]

- (١) برمّة: عرض من أعراض المدينة قرب «بلا ك» بين خيبر ووادي القرى، وهي عيون ونخل لقريش. وأفلاق جمع فلق كسبب، وهو المظمن من الأرض بين ربوتين، وقد ورد جمعه في كتب اللغة على فلقان بالضم، وفي الأصول «لنّفج» وهو تصحيف.
(٢) بث الخبر: نشره، ورصف الشيء كقتل: ضمّ بعضه إلى بعضه ونظمه (وقد ضعف الفعل هنا) ورصعه بالرمح: طعنه طعناً شديداً غيب السنان كله فيه، ورصع الشيء: عقده عقداً مثلاً متداخلاً كمعقد التهمة ونحوها.
(٣) تقدم هذا البيت في أبيات الصوت، وصدره: «بكت عين من أبكاك ليس لك البكا» وروى هنا في الأصول «بكت عين من أبكاك، لا يعرف البكا» ولعل صوابه «لا يعدم البكا» أي لازمه وصاحبه، وهي جملة دعائية ثانية، دعا على الواشي في الجملة الأولى بأن تبكي عينه، وفي الثانية بأن يلازمه البكا.
(٤) الربيع: المنزل. في الأصول «قليل» مكان «جليل»، ولعل الصواب ما أثبتنا.
(٥) في ج «وادع» وفي ب وس «وازع» وأرى صوابه «ماذع» جاء في كتب اللغة: المذاع كشداد: من لا وفاء له ولا يحفظ أحداً بالغيب ومن لا يكتنم السر.
(٦) رغت الناقة رغاء: صوتت فهي راغية والجمع الرواعي، وفي الأصول «الرواعي» وهو تصحيف، والقعاقع: تنابع أصوات الرعد في شدة، جمع قعقة، والمراد هنا أصوات تقويض الأخبية وما إلى ذلك تأهباً للرحيل. وقد قالوا: قعقت عمدهم وتقعقت، أي ارتحلوا، أو هو «القعاقع» بالضم، رجل قعاقع: كثير الصوت.
(٧) الطمر: الثوب الخلق. كرع في الماء كمنع وسمع: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء، وكل خائض ماء كارع، شرب أو لم يشرب.
(٨) يستشهد بهذا البيت على استعمال وادع بمعنى تارك، اسم فاعل من ودع بمعنى ترك، ورد في «لسان العرب»: «ولا يقولون ودعتك ولا وذرتك استغنوا عنهما بتركك والمصدر فيهما تركا، ولا يقال ودعا ولا وذرا وحكاها بعضهم، ولا وادع، وقد جاء في بيت =

بكى من فراق الحي قيس بن مُنْقِذ
 بأربعة تنهل لما تقدّمث
 وما خلّت بين الحي حتى رأيتهم
 / كأن فؤادي بين شقيين من عصاً
 يحسّ بهم جاد سريع نجاؤه
 فقلت لها يا نعم حُلّي محلنا
 فقالت وعيناها تفيضان عبّرة
 فقلت لها تالله يدري مسافر
 فشذت على فيها اللثام وأعرضت
 وإنني لعهد الودة راع، وإنني
 وإذراء عيني مثله الدمع شائع^(١)
 بهم طرّق شتى وهنّ جوامع^(٢)
 بينونة السفلى وهبت سوافع^(٣)
 حذار وقوع اليين واليين واقع
 ومُعري عن الساقين والثوب واسع^(٤)
 فإن الهوى يا نعم والعيش جامع^(٥)
 بأهلي بين لي متى أنت راجع؟
 إذا أضمرته الأرض ما الله صانع
 وأمعن بالكحل السحيق المدامع^(٦)
 بوصلك ما لم يطوني الموت طامع

قال أبو عمرو: فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حُلّي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

شعره في مشوقته نعم

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضاً يذكر بين الحي وتفرقهم ويُنسب بنعم:

سقى الله أطلالاً بنعم ترادفت
 فإن كانت الأيام يا أم مالك
 فلا يأمّن بعدي امرؤ فجّع لذة
 بهن النوى حتى حلّسن المطالبا^(٧)
 تسليكم عني وتُرضي الأعادي
 من العيش أو فجّع الخطوب العوافيا^(٨)

= أنشده الفارسي في البصريات:

«فأيهما ما أتبعن فإنني حزين على ترك الذي أنا وادع»

وهكذا روى الشطر الأول في نسخة ج، وفي ب، س «فأيهما منها أتبع».

(١) هذا البيت من قول حبيته بدليل «إذراء عيني مثله» والظاهر أنه قد سقط قبله من الرواية بيت أو أكثر، أذرت العين الدمع إذراء: صيته.

(٢) بأربعة، أي بأربع أعين وهي عيناه وعيناها. وانهلّت العين: سالت بالدمع.

(٣) البين: الفراق. وبينونة: موضع بين عمان والبحرين، وهما بينونتان: بينونة الدنيا وبينونة القصى، وكلتاها في شق بني سعد بين عمان وبيرين، وفي الأصول «وهن» ومكان «وهبت» وهو تحريف. السوافع: لوافح السموم، سفعته الشمس والسموم: لفحته لفحاً يسيراً فقيرت لون بشرته وسودته.

(٤) النجا: السرعة في السير.

(٥) في ج «خلي» وهو تصحيف.

(٦) أمعن الماء: سال وجري.

(٧) المطالي: الأرض السهلة اللينة تثبت العضاء، واحداً مطلقاً على وزن مفعال. وهي مؤنثة لا غير. أطلالاً جمع طلل، وطلل كل شيء شخصه. ترادفت: تتابع على الرحلة.

(٨) العوافي: جمع عافية وهي الطامسة.

طوارق هم يحتضرن وساديا ^(١)	/ وبذلت من جدواك يا أم مالك	١٣
أساقي الكماة الدارعين العواليا ^(٢)	/ وأصبحت بعد الأنس لابس جبة	[١٥٩/١٤]
ويوم مع البيض الأوانس لاهيا	فيوماي يوم في الحديد مسربلا	
ولا مستريحافي الحياة فقاضيا ^(٣)	فلا مدركاً حظاً لدى أم مالك	
صروف الليالي فابعثالي ناعيا	خليلي إن دارت على أم مالك	
ولا لبقاء تنظران بقائيا	ولا تتركاني لا لخير معجل	
أشاب قذالي واستهام فؤاديا ^(٤)	وإن الذي أملت من أم مالك	
بذبح ولم أسمع ليّين مناديا ^(٥)	فليت المنايا صبحتني غديّة	
إلى آل نعيم منظرًا متنايا ^(٦)	نظرت ودوني يذبل وعماية	
وما حملتني وانقطاع رجائيا	شكوت إلى الرحمن بعد مزارها	
لحتف بذات الرقمتين يرى ليا ^(٧)	وقلت ولم أملك أعمر بن عامر	
بأسفل وادي الدوح أن لا تلاقيا ^(٨)	وقد أيقنت نفسي عشية فارقوا	
فشان المنايا القاضيات وشانها ^(٩)	إذا ما طواك الدهر يا أم مالك	
[١٦٠/١٤] / أراد قوم من مزينة أسره فقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز		

قال أبو عمرو: وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون.

قال أبو عمرو: وكان من خبر مقتل قيس بن الحُدّادية أنه لقي جمعا من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرة، فقالوا له: استأسر، فقال: وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جرباء جذماء^(١٠) ما أعطيتموها، فقالوا له: استأسر لا أم لك^(١١) فقال: نفسي عليّ أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قتل. وهو يرتجز ويقول:

- (١) الجدوى: العلية، وفي الأصول «يحضرون» وهو خطأ صوابه ما أثبتنا لأن مرجع الضمير غير عاقل.
- (٢) الجبة: الدرع. والكماة: جمع كمي: وهو الشجاع المتكفي في سلاحه أي المتغطي المستتر بالدرع والبيضة. ورجل دارع: عليه درع. والعوالي جمع عالية، وهي أعلى الرمح ورأسه.
- (٣) قاضياً: ميتاً، من قضى، أي مات.
- (٤) القذال: جماع مؤخر الرأس، واستهام فؤاده: أذهبه.
- (٥) غدية مثل عشية: لغة في غدوة، كضحية لغة في ضحوة، والجمع غدايا كعشية وعشايا. والبين: الفراق.
- (٦) يذبل وعماية: جبلان في بلاد نجد.
- (٧) الرقمتان: روضتان إحداهما قريب من البصرة، والأخرى بنجد. وفي جـ «أبزي ليا» وهو تحريف.
- (٨) في ب، س «وادي الروح» وهو تحريف.
- (٩) في الأصول «القاضيات» وهو تصحيف.
- (١٠) الجذماء. المقطوعة اليد.
- (١١) يقول الرجل للرجل: «لا أم لك» وهو شتم وسب، ومعناه ليس لك أم حرة، وذلك أن بني الإمام عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببني الحرائر. وقيل: معناه أنت لقط لا تعرف لك أم، وبمعنى وضع موضع الملح بمعنى التعجب منه.

أنا الذي تَخَلَّعَ مواليةً وكلُّهم بعد الصَّفَاءِ قالية^(١)
 وكلُّهم يُقْسَمُ لا يبالية^(٢) أنا إذا الموت ينوب غاليه
 مختلطٌ أسفلهُ بعاليه قد يعلم الفتيان أني صاليه
 * إذا الحديد رفعت عواليه *

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظلّ وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتل.

الهجاء

[١٦١/١٤]

شعر لابن قنبر في التشبيب

صَرَفْتَنِي ثَمَّ لَا كَلَمَتَنِي أَبَدًا إن كنت خَشْتُكَ في حال من الحال^(٣)
 ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جَرَرْتُ خَطَرَةً مِنْهُ عَلَى بَالِي^(٤)
 فسَوْغِنِي الْمُنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَا وَأَمْسِكِي الْبَذْلَ مَا أَطْلَعْتَ آمَالِي^(٥)
 أو عَجِّلِي تَلْفِي إِنْ كُنْتَ قَاتِلَتِي أو نَوِّلِينِي بِإِحْسَانٍ وَإِجْمَالٍ

الشعر لابن قنبر، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

(١) قاله: مبغضه.

(٢) في ب، س «لا يباليه»، يقال لا يباليه ولا يباليه به، والغالي في أمر: المبالغ فيه.

(٣) في الأصول «إن كنت جئتكَ»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيرد في الترجمة.

(٤) اجترمت: أجرمت وأذنب، وفي ب، ج «خطرة مني».

(٥) في الأصول: «أعيش به» وهو تحريف.

/ أخبار ابن قنبر ونسبه

[١٦٢/١٤]

نسبه

٩
١٣

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية، وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدة، ثم غلبه مسلم.

هجاؤه مسلم بن الوليد

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطه: حدّثني الحسن بن سعيد قال: حدّثني منصور بن جهور قال: لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه، فجاء مسلماً ابن عم له فقال: أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثت عليك لسانك ثم أمسكت عنه، فإما أن قاذعته، وإما أن سالمته؛ فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجّد^(١) فيه، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غَلَبَ ابْنُ قُنْبَرٍ وَاللَّيْمُ مَغْلَبٌ لَمَّا اتَّقَيْنَتْ هَجَاءُ بَدْعَاءُ^(٢)

ما زال يقذف بالهجاء ولذيعه حتى اتقوه بدعوة الآباء

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا، فأمسك عني لسانك وتعرف خبره بعد، قال: فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أبو مَهْرُويَه قال: حدّثني محمد بن عبد الله العبدي القسري قال: رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرصافة^(٣) / في يوم الجمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته:

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنت ممن يقدح النار فاقدح^(٤)

وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله:

قد كدت تهوي وما قوسي بموترة فكيف ظنك بي والقوس في الوتر^(٥)

فوثب مسلم وتواخزا^(٦) وتوآبا حتى حجز الناس بينهما ففترقا، فقال رجل لمسلم - وكان يتعصب له -: ويحك! أعجزت عن الرجل حتى واثبته؟ قال: أنا وإياه لكما قال الشاعر:

(١) التهجد: صلاة الليل.

(٢) المغلب: المحكوم له بالغلبة.

(٣) يعني رصافة بغداد، وهي في الجانب الشرقي.

(٤) في الأصول: «إذا النار» ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) أوتر القوس: جعل لها وترًا.

(٦) تواخزا: تطاعنا طعنًا غير نافذ، وقيل فيه غير ذلك. وفي الأصول: «وتواخزا» بالذال؛ وهو تصحيف.

* هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أبصر *

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدة، ثم غلبه مسلم بعد ذلك، فمن مُناقضتهما قولُ ابنِ قنبر:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ لِمُسْلِمٍ إِلَيَّ نِزَاعاً فِي الْهَجَاءِ وَمَا يَدْرِي^(١)
وَاللَّهِ مَا قِيسَتْ عَلَيَّ جُدُودُهُ لَدَيَّ مَفْخَرٌ فِي النَّاسِ قَوْساً وَلَا شَعْرِي^(٢)

ولا بن قنبر قوله:

كَيْفَ أَهْجَوُكَ يَا لَيْثِيَّ بِشَعْرِي أَنْتَ عِنْدِي فَاعْلَمْ هِجَاءَ هِجَائِي
يَا دَعِيَّ الْأَنْصَارِ بَلْ عَبْدَهَا النَّذ لَ تَعْرِضْتَ لِي لَذَّكَ الشَّقَاءِ

/ أنشد المأمون بيتين له وأمر ابن محرز بتلحينها.

[١٦٤/١٤]

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ^(٣) عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَرَّزٍ الْمَدِينِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ فِي يَوْمِ نَوْبَتِي وَهُوَ يَنْشُدُ:

الموت

فَمَا أَقْصَرَ اسْمَ الْحَبِّ يَا وَيْحَ ذِي الْحَبِّ وَأَعْظَمَ بِلَوَاهِ عَلَى الْعَاشِقِ الصَّبِّ
يَمُرُّ بِهِ لَفْظُ اللَّسَانِ مَشْمُوراً وَيَغْرِقُ مَنْ سَاقَاهُ فِي لُجَجِ الْكَرْبِ

فلما بصر بي قال: تعال يا حسين، فجلست، فأنشدني البيتين، ثم أعادهما عليّ حتى حفظتهما، ثم قال: إصنع فيهما لحنًا، فإن أجدت سررتك، فخلوت وصنعتُ فيهما لحني المشهور، وعُدْتُ فغنيته إياه، فقال: أحسنت، وشرب عليه بقيّة يومه، وأمر لي بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر.

شعره في النسب

أخبرني محمد بن الأزهر قال: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: أَنْشَدَنِي ابْنُ قَنْبَرٍ

لنفسه:

وَيَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ وَأَمْتَعَا وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
ظَبِيٍّ أَغْرُتْ فِي وَجْهِهِ سُرُجًا تُعْشِي الْعَيُونَ إِذَا مَا نَوْرُهُ سَطَعَا^(٤)
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي أَثْوَابِهِ بَزَعَتْ حُسْنًا، أَوِ الْبَدْرُ فِي أُرْدَانِهِ طَلَعَا^(٥)
فَقَدْ نَسِيتُ الْكَرَى مَنْ طُولَ مَا عَطَلْتُ مِنْهُ الْجَفُونَ وَطَارَتْ مَهْجَتِي قَطَعَا

(١) نزاع إليه نزاعاً: اشتاق، كنازع.

(٢) عليّ: على جدودي وأصولي. قوساً: مقدار قوس.

(٣) في الأصول: «حبر» بالحاء المهملة؛ والتصويب عن «الأغاني» ج ١٣: ٢٧٧ سطر ١٤.

(٤) سرجاً: جمع سراج. تعشى العيون: أعشاه فعمشى (كفرج) عشا، والعشا سوء البصر، وفي الأصول «يفشي».

(٥) أردان: جمع ردن بالضم، وهو أصل الكم.

[١٦٥/١٤] / قصته مع جوار تعرضن له

قال ابن سلام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوار من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المربد وقصر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

* ويلني على من أطار النوم وامتنع *

فقلت: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السمج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبني ويلهون بي حتى أخرجتني من ثيابي، فرجعت عارياً إلى منزلي. قال: وكان حسن اللباس.

حفظ علي بن محمد التوفلي من شعره

أخبرني محمد بن الحسين الكندي مؤدبي قال: حدثني علي بن محمد التوفلي قال: حدثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبر على عمي - وكان صديقاً له - فبش به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك. فأنشده:

وحق الذي في القلب منك فإنه عظيم لقد حصنت سرك في صدري

ولكنما أفشاه دمع، وربما أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري

فهب لي ذنوب الدمع، إني أظنه بما منه يبدو إنما يتغني ضري

ولو يتغني نفعي لخلّى ضمائري يرد على أسرار مكنونها ستري

فقال لي: يا بني اكتبها واحفظها، ففعلت وحفظتها يومئذ وأنا غلام.

رواية محمد بن سلام لشعره واعتراضه عليه

أخبرني اليزيدي قال: أخبرني عمي عن ابن سلام، وأخبرني به أحمد عن ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه قوله:

صرمتني ثم لا كلمتني أبداً إن كنت ختلك في حال من الحال

ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرث خطرة منه على بالي

[١٦٦/١٤] / قال: فقلت له وأنا أضحك: يا هذا لقد بالغت في اليمين. فقال: هي عندي كذاك، وإن لم تكن عندك كما هي عندي.

قال اليزيدي: قال عمي وهو الذي يقول (وفيه غناء):

صوت

كملت لو أن ذا كمالا

كائن في فضله مثلاً

لم تجد من نفسها بدلاً

/ ليس فيها ما يقال له

كل جزء من محاسنها

لو تمت في ملاحيتها

فيه لحن لابن القصار رمل.

شعر منسوب إليه أو للعتابي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مَهْرُويَه قال: قال لي إبراهيم بن المدبّر: أتعرف الذي يقول^(١):

إن كنت لا ترهبُ ذمّي لما تعرف من صفحي عن الجاهل
فاخشَ سُكُوتِي فطناً مُنصِتاً فيك لتحسين خنا القائل^(٢)
مقاله السوء إلى أهلها أسهل من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحق وبالباطل

/ فقلت: هذه للعتابي، فقال: ما أنشدتها إلا لابن قنبر، فقلت له: من شاء منهما فليقلها، فإنّه سرقه من قول [١٦٧/١٤] عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

وإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما سكّت له حتى يلجّ ويستشري^(٣)

ذم كل قرشي لم يتخلق بأخلاق قريش

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهْرُويَه قال: حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال: أطمع رجل من ولد عبد الله بن كُرَيْز صديقاً له ضيعة، فمكثت في يده مدة، ثم مات الكُرَيْزِي، فطالب ابنه الرجل بالضيعة، فمنعه إياها، فاقتصما إلى عبيد الله بن الحسن، ف قيل له: ألا تستحي! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أن تنقض مكرمة لأبيك، فقال له ابن الكُرَيْزِي: وكان ساقطاً -: الشيخ أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعز من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم أردد علي قريش أخطارها^(٤)، ثم أقبل علينا فقال: لله درّ الحكم بن قنبر حيث يقول:

إذا القُرَشِي لم يُشبه قريشاً بفعلهم الذي بذّ الفعّالا
فجرمِي له خلُق جميل لدى الأقوام أحسن منه حالاً^(٥)

تمثل الرشيد بشعره للعباس بن محمد

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدثنا الحسن بن عَلِيل العنزي قال: حدثنا مسعود بن بشر قال: شكّا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرقيّ / هجاه فقال له: قد سمعت ما كان مدحك به، وعرفت ثوابك إياه، [١٦٨/١٤] وما قال في ذمك بعد ذلك، فما وجدته ظلمك به، والله درّ ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحق وبالباطل

(١) أورد صاحب «زهر الآداب» ج ٢: ص ١١٠ ثمانية أبيات منها الأربعة المذكورة هنا، ونسبها لمحمد بن حازم الباهلي.

(٢) الخنا من الكلام: أفحشه، وفي جـ «حنى» وفي ب، س «جنى» وهو تصحيف، ورواية «زهر الآداب»:

فاخشَ سُكُوتِي إذ أنا منصت فيك لمسموع خنا القائل

(٣) في جـ، ب، س «يلج ويستشري». والتصويب عن «مختار الأغاني الكبير» ٣: ٤١٣، استشرى الفرس في سيره: لج ومضى وجد فيه بلا فتور ولا انكسار، ومن هذا يقال للرجل إذا لجّ في الأمر: قد شرى فيه كفرح واستشرى.

(٤) أخطارها: أقدارها.

(٥) جرمي: نسبة إلى جرم بن زبان، بطن من قضاة.

وبعد، فقد اشتريتُ عِرْضَكَ منه، وأمرتهُ بأن لا يعودَ لذكِّكَ تعريضاً ولا تصريحاً.

شعره في مرض موته

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدَّثنا محمد بن سلام قال: مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطيب يعالجه، فقال فيه:

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتوني بخصيبٍ
ليس والله خصيبٌ للذي بي بطيبٍ
إنما يعرف دائي من به مثل الذي بي

١٢
١٣

قال: وكان خصيب عالماً بمرضه، فنظر إلى مائه فقال: زعم جالينوس أن صاحب هذه العلة إذا صار ماؤه هكذا لم يعيش، فقليل له: إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوج مني إليه في هذا الوقت. قال: ومات من علته.

صوت

شعر للأسود بن عمارة

خليلسي من سعد ألمّا فسلمّا على مريم، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما
الشعر للأسود بن عمارة النوفلي، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى.

/ أخبار الأسود ونسبه

[١٦٩/١٤]

نسبه وأخباره

هو - فيما أخبرني به الحرَمي بن أبي العلاء والطوسي، عن الزبير بن بكار، عن عمه - الأسود بن عمار بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان الأسود شاعراً أيضاً.

قال الزبير - فيما حدثنا به شيخنا^(١) المذكوران عنه -: وحدثني عمي قال: كان عمار بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمار شاعراً، وهو الذي يقول:

نص

شعره في معشوقته هند

أدلاً لا أم هند تهجُرُ جِداً ^(٢)	تلك هند تصدُّ للين صدًا
أم أرادت قتلي ضراراً وعمداً ^(٣)	أم لتتكأ به قروح فؤادي
صرت ممناً ألقى عظاماً وجلداً	قد براني وشفني السوجد حتى
قل لهند عني إذا جئت هنداً	أيها الناصح الأمين رسولا
غير من بذاك نصحاً ووداً	علم الله أن قد أوتيت مني
منك إلا نأيت وازددت بعداً	ما تقربت بالصفاء لأدنو

الغناء لعباد خفيف رمل بالنصر في مجراها عن إسحاق، وفي كتاب حكم: الغناء له خفيف رمل، وفي كتاب يونس: فيه لحن ليونس غير مجنس، وفيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقل أول:

/ ولايته بيت المال

[١٧٠/١٤]

قال الزبير: قال عمي ومن لا يعلم: يروى هذا الشعر لعمار بن الوليد النوفلي، قال: وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة، وهو القائل:

على مريم، لا يبعد الله مريماً	خليلي من سعد المفا سلماً
فهل من نوال قبل ذاك فنعلماً	وقولا لها هذا الفراق عزمته

(١) في ب؛ س «شيخنا المذكور عن عمه».

(٢) كذا في ب، س. والذي في ج: «أم هجر هند أجدا».

(٣) نكا القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

شعره في محمد بن عبد الله بن كثير

قال : وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت :

ذكرناك شُرطياً فأصبحت قاضياً وصرت أميراً، أبشري قحطانُ
/ أرى نَزَواتٍ بينهما نفاوت وللدهر أحداث وذا حَدَثانُ^(١)
أقيمي بني عمرو بن عوف أو أريعي لكل أناس دولة وزمان^(٢)

١٣
١٣

قال : وإنما خاطب بني عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيري كان تزوج إليهم، وإنما قال : «أبشري قحطان» لأن كثير بن الصلب من كندة حليف لقريش.

قصته مع محبوبته مريم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال : كان أبي يتعشق جارية مولّدة مغنية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غيبة إلى الشام، ثم قدّم فنزل في طرف المدينة، وحمل متاعه على حمّالين، وأقبل يريد منزله، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم، فبينما هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها^(٣)، وعيناها تدمعان، فساء لها وساءلته، فقال للمعجوز: ما هذه المصيبة التي أصبت بها؟ قالت: لم أصب بشيء إلا مبيعي مريم، قال: وممنّ بعثها؟ قالت: من رجل من أهل / العراق، وهو على الخروج، وإنما ذهبتُ بها حتى ودّعتُ أهلها، فهي تبكي من أجل ذلك، وأنا أبكي من أجل فراقها، قال: الساعة تخرج؟ قالت: نعم الساعة تخرج، فبقي^(٤) متبلداً حائراً، ثم أرسل عينيه يبكي، وودّع مريم وانصرف، وقال قصيدته التي أولها:

خليلي من سعد الُمّافسلما على مريم، لا يُبعد الله مريمًا
وقولاً لها هذا الفسراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال : وهي طويلة؛ وقد غنى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زيانياً^(٥). هكذا قال ابن عمار في خبره.

قصته في بيتين من شعره

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدّثني ابن مهرويه قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي، عن عبد الله بن محمد البواب قال : سألت الخيزران^(٦) موسى الهادي أن يولي خاله الغطريف اليمّ، فوعدها بذلك ودافعها^(٧) به، ثم كتب إلى يوماً رُقعةً تتنجزه فيها أمره، فوجه إليها برسولها يقول :

(١) نزوات: جمع نزوة من نزايتزو نزوا إذا وثب، قال ابن الأثير: وقد يكون في الأجسام والمعاني، وحدّثنا الدهر وأحداثه: حوادثه ونوبه.
(٢) ربع كمنع: انتظر وتخبس.

(٣) قارعتها، أي قارة المدينة، وقارة الطريق: أعلاه.

(٤) في الأصول «متلبداً» وهو تحريف.

(٥) نسبة إلى الزيانب، وهي اسم لسبعة أصوات ليونس الكاتب، والشعر فيها كلها لابن ربيعة المدني في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (انظر أخبار يونس الكاتب في الجزء الرابع من «الأغاني» ص ٤٠٢ طبع دار الكتب).

(٦) الخيزران: أم موسى الهادي الخليفة العباسي.

(٧) ويقال: دافع فلان فلاناً في حاجته إذا مطلقه فيها فلم يقضها له وفي الأصول: «ودفعها».

خيريه بين اليمن وطلاق ابنته، أو مقامي عليها ولا أوليه اليمن، فأيهما فأختار فعلته، فدخل الرسول إليها - ولم يكن فهم عنه ما قال - فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك: ولاية اليمن، فغضب وطلق ابنته وولاه اليمن، ودخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصباح / من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم تختز ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيره، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلّى وقال له: أقم على رأس كل رجل بحضرتي من الثدّماء رجلاً بسيف، فمن لم يطلق أمراًته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، ولم يبرح من حضرته أحد إلا وقد طلق أمراًته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إليّ فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطيلسانه يراوح^(١) بين رجله، فخطر ببالي:

خليلي من سعدٍ إلّما فسلمّا على مريم، لا يُعيد الله مريمّا
وقولاً لها: هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

/ فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعاني تُحسن الشعر ^{١٣} وتفسده، وإنما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي إياه، ثم عرفته خبر الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: «هذا أحقّ منزل يتّرك»^(٢).

شعره في تولية أبي جعفر المدينة

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت على شرطة المدينة، ثم ولى القضاء، ثم ولّاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي، فقال الأسود بن عمارة:

/ ذكرك شُرطياً، فأصبحت قاضياً فصرت أميراً، أبشري قحطان^(٣)
أرى نَزَواتٍ بينهما تَفَاوُتُ وللدهر أحداث وذا حَدَثَانُ
أرى حَدَثاً مِيطَانُ منقَطِعٌ لهُ ومنقطع من بعده وِرْقَانُ^(٤)
أقيمي بني عمرو بن عوف أو أربعي لكل أناس دولّة وزمان

صوت

شعر لعلي بن الخليل

هل لدهر قد مضى من معادٍ. أو لهم داخل من نَفَادٍ

(١) في س «يروح»؛ وهو تحريف. والمراوحة بين الرجلين: أن يقوم على كل مرة.

(٢) في ب، وس «يتزل»؛ وهو تحريف.

(٣) في جـ «خفرتك» وفي ب وس «جفوتك». ولعل صوابه ما أثبتنا. وقد ذكر البيت قريباً وروايته «ذكرناك».

(٤) ميطان: من جبال المدينة، ضبطه صاحب «القاموس» فقال: كميزان، وكذا ضبط في «اللسان» بكسر الميم، وفي «معجم البلدان» بفتح أوله، وفي ب، س «ميطان» بالياء وهو تصحيف. ورقان: جبل أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة، ونسبه «معجم البلدان» إلى نوفل بن عمارة بن الوليد قال:

أرى حَدَثاً مِيطَانُ منقلع به ومنقطع من دونه ورقان

أذكر ثني عيشة قد تولت هاتفات نخن في بطن وادي^(١)
 هجن لي شوقاً والهجن ناراً للهوى في مستقر الفؤاد
 بأن أحبابي وغودرت فرداً نضب ما سر عيون الأعادي
 الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة.



مركز تحقيقات کتب و اسناد

/ أخبار علي بن الخليل

[١٧٤/١٤]

نسبه وأخباره

هو رجل من أهل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه، فأنهم بالزندقة، وأخذ مع صالح ثم أطلق لما انكشف أمره.

كان مولى لمعن بن زائدة الشيباني

قال محمد بن داود بن الجراح: حدثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافقة^(١) للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، في يده قصة^(٢)، فلما رآه أمر بأخذ قصته^(٣)، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة^(٤) لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشد [فيها]^(٥) قصيدته:

يا خير من وخذت بأرجله نُجِبْتُ الرُّكَّابَ بِمَهْمَةٍ جَلَسِ^(٥)

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه.

/ حبسه الرشيد مع صالح بن عبد القدوس ثم مدحه فأطلقه

[١٧٥/١٤]

/ أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة - وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر - فأنشده علي بن الخليل:

يا خير من وخذت بأرجله نُجِبْتُ تَخُبُّ بِمَهْمَةٍ جَلَسِ^(٦)

تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمَتِهَا طَيَّ التُّجَارَ عَمَائِمَ الْيُرْسِ^(٧)

لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ إِذْ طَلَعَتْ كَسَفَتْ بِوَجْهِكَ طَلْعَةَ الشَّمْسِ^(٨)

(١) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقعة وهما على ضفة الفرات، من أعمال الجزيرة، بناه المنصور سنة ١٥٥ هـ على بناء مدينة بغداد ورتب به جنوداً من أهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدي وهو ولي عهده ثم بنى الرشيد قصور هذا البلد.

(٢) في «أمالى السيد المرتضى» ١: ١٠١ «قصيدة».

(٣) في «أمالى المرتضى» «أنا أحسن قراءة لها من غيري».

(٤) عن ج.

(٥) في جـ «وخذت بأرجله» في ب، س: «وخزت بأرجله» وهو تحريف. ووخد البعير كوعد وخدا: أسرع ووسع الخطو، أو رمى بقوائمه كمشي النعام، وأرجل جمع رحل، وهو مركب للبعير. نجب جمع نجيب، والنجيب من الإبل: القوي الخفيف السريع. والمهمة: المفازة البعيدة. والجلس: الغليظ من الأرض.

(٦) في جـ «وجدت»، ويقال: خبت الناقة خبا وخبياً: أسرع.

(٧) السباسب: جمع سبب وهي المفازة. والبرس بالكسر والضم: القطن.

(٨) في «أمالى السيد المرتضى» «سجدت لوجهك».

خير البرية أنت كلهم / وكذاك لن تنفك خيرهم
 القمه ما هرون ضمن ملك / ملك عليه لرؤيه نعم
 تحكسي خلافتيه بيهجتها / من عترة طابت أرومتهم
 نطقي إذا احتضرت مجالسهم / إنني إليك لجأت من هرب
 / واختبرت حكمك لا أجاوزه / لما استخرت الله في مهل
 كم قد قطعت إليك مذرعاً / إن حاجني من حاجس جزع
 ما ذاك إلا أنني رجس / بقر أو انس لا أقرون لهسا
 رذع العيبر على تراثها / وأشاهد الفتيان بينهم
 للماء في حافاتها حبب / واللئس يعلم في بقيته

[١٧٦/١٤]

(١) الألق: الفرح والسرور.

(٢) عترة الرجل: نسله ورهطه الأذنون. وفي «أمالى المرتضى» من عصبة. والأرومة وتضم: الأصل.

(٣) اللبس: الالتباس والاشتبا.

(٤) الرمس: القبر، والثرى: التراب.

(٥) العنس: الناقة الصلبة.

(٦) في س «كم قطعت». وأدرع: لبس الدرع، والمعنى: لباساً الليل كأنه درع. والبهيم: الأسود. والنقس: الممداد.

(٧) نجل: جمع، نجلاء وصف من النجل بالتحريك، وهو سعة العين. لعس جمع لعساء: وصف من اللعس، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء؛ وقيل: هو سواد في حمرة.

(٨) العيبر: أخلاط من الطيب. والردع: أثر الطيب في الجسد. والتراثب: ما ولى الترقوتين، واحدها تربية. الخلس: النظر خلصة. وفي «أمالى المرتضى»: «يقتلن بالتطويل والحبس».

(٩) الورس: صبيغ أصفر، وفي «أمالى المرتضى»:

صهباء مثل مجاجة الورس

وأجاذب الفتيان بينهم

(١٠) الحبيب: التفاحات والفقايع التي تطفو فوق الخمر كأنها القوارير.

(١١) بقية الله: طاعته وانتظار ثوابه. وفي «أمالى المرتضى» «في بريته».

[١٧٧/١٤]

/ فاطلقه للرشيدي، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله:

والشيخ لا يتترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رقبته

وقال: إنما زعمت ألا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً.

شعره في يعقوب بن داود وابن علانة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافية بن يزيد يصحب ابن علانة^(١)، فأدخله على المهدي، فاستقضاه معه بعسكر المهدي وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله^(٢) كذلك، أدخله إلى المهدي ليعرض عليه، فغلب عليه، علي بن الخليل في ذلك:

[١٧٨/١٤]

عجباً لتصريف الأمر / مسرة وكراهية^(٣)/ رثت ليعقوب بن داود / ود جبال معاوية^(٤)وعدت علي ابن علانة الـ / قاضي بوائق عافية^(٥)

أدخلته فعلا عليه / ك كذاك شوم الناصية

وأخذت حتفك جاهداً / يمينك المتراخية^(٦)

يعقوب ينظر في الأمور / وأنت تنظر ناحية

ولاية ابن الجهم السوس لإنشاده شعره

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فراس

(١) عافية بن يزيد الأودي، ومحمد بن عبد الله بن علانة الكلبي، استقضاهما المهدي سنة ١٦١ كانا يقضيان في عسكره، وقد شرك بينهما في القضاء فكانا يقضيان جميعاً في المسجد الجامع في الرصافة، هذا في أدناه، وذاك في أقصاه، وكان عافية أكثرهما دخولاً على المهدي (تاريخ بغداد: ١٢: ٣٠٧).

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالي الأشعرين، كان كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة، فلما ولي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة، وسلم إليه الدواوين، وكان من أبرع الكتاب وأوسعهم حذقاً وعلماً وخبرة، ثم إن الربيع بن يونس ما زال يسعى به إلى المهدي حتى عزله عن الوزارة، وأفرده في «ديوان الرسائل»، واستوزر يعقوب بن داود سنة ١٦٣ ثم عزل أبا عبيد الله عن «ديوان الرسائل» سنة ١٦٧ ورتب في الربيع بن يونس، ومات أبو عبيد الله سنة ١٧٠ هـ، وكان يعقوب بن داود من الموالي أيضاً وقد فوض المهدي إليه الأمور كلها وسلم إليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار بن برد يهجو:

بني أمية هبوا طال نومكم / إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا / خليفة الله بين الزرق والعود

ثم إن الساعين ما زالوا يسعون بيعقوب إلى المهدي حتى نكبه وحبه، فلم يزل كذلك أيام المهدي ومدة الهادي حتى أخرجه الرشيد، ومات سنة ١٨٧ - أقرأ أخبار الأول في «تاريخ الطبري» ٩: ٣٣٩ و ١٠: ٩ و «الفخري» ص ١٦٣. وأخبار الثاني في «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢: ٣٣١ و «الفخري».

(٣) في «وفيات الأعيان»: فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي من جملة أبيات:

قل للوزير أبي عبيد / سد الله هل من باقيه

ثم أورد البيت السادس فالرابع فالخامس مما ورد هنا.

(٤) في الأصول «دب» وهو تصحيف. ومعاوية: اسم الوزير أبي عبيد الله.

(٥) بوائق جمع بائقة، وهي الداهية.

(٦) في الأصول «ضيفك» وهو تخريف؛ والتصويب من «وفيات الأعيان».

الدَّهْلِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ الْبَرْمَكِيُّ: قَالَ لِي الْمَأْمُونُ يَوْمًا: يَا مُحَمَّدُ: أَنْشِدْنِي بَيْتًا مِنَ الْمَدِيحِ جَيِّدًا فَاخِرًا عَرَبِيًّا لِمَحَدَّثٍ حَتَّى أَوْلِيكَ كُورَةً تَخْتَارُهَا. قَالَ قُلْتُ: قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْخَلِيلِ:

فَمَعَ السَّمَاءِ فَرَوْعٌ نَبَعْتُهُمْ وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْغَرَسِ^(١)
مَتَهَلَّلِينَ عَلَى أَسْرَتِهِمْ وَلَدَى الْهَيْجَاجِ مَصَاغِبُ شُنُفْسِ^(٢)

[١٧٩/١٤] / فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، وَقَدْ وَلَيْتَكَ الدِّينَوْرَ، فَأَنْشِدْنِي بَيْتَ هَجَاءٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ حَتَّى أَوْلِيكَ كُورَةً أُخْرَى، فَقُلْتُ: قَوْلُ الَّذِي يَقُولُ:

قُبُحْتُ مَنَاطِرَهُمْ فَحِينَ خَبَرْتَهُمْ حُسْنُتُ مَنَاطِرَهُمْ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ^(٣)
فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنْتَ، قَدْ وَلَيْتَكَ هَمْدَانَ، فَأَنْشِدْنِي مَرثِيَةً عَلَى هَذَا حَتَّى أَزِيدَكَ كُورَةً أُخْرَى، فَقُلْتُ: قَوْلُ الَّذِي يَقُولُ:

أَرَادُوا لِيُخَفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ
فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنْتَ، قَدْ وَلَيْتَكَ نَهَاوَنْدَ، فَأَنْشِدْنِي بَيْتًا مِنَ الْغَزْلِ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ حَتَّى أَوْلِيكَ كُورَةً أُخْرَى، فَقُلْتُ: قَوْلُ الَّذِي يَقُولُ:

تَعَالَى نَجْدُ دَارِ السَّعْيِ^(٤) بَيْنَنَا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومٌ
فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنْتَ، قَدْ جَعَلْتَ الْخِيَارَ إِلَيْكَ فَانْحَرْتُ، فَانْحَرْتُ الشُّوسُ مِنْ كُورِ الْأَهْوَازِ، فَوَلَانِي ذَلِكَ أَجْمَعُ، وَوَجَّهْتُ إِلَى السُّوسِ بَعْضَ أَهْلِي.

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ الثَّوْرِيِّ قَالَ: نَزَلَ أَبُو دُلَامَةَ بِدِهْقَانَ^(٥) يُكْنَى أَبَا بَشَرٍ، فَسَقَاهُ شَرَابًا أَعْجَبَهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

سَقَانِي أَبُو بَشَرٍ مِنَ الرَّاحِ شَرِبَةً لَهَا لَذَّةٌ مَا ذُقْنَا لَشَرَابٍ
وَمَا طَبَخُوهَا غَيْرَ أَنَّ غَلَامَهُمْ سَعَى فِي نَوَاحِي كَرْمِهَا بِشَهَابٍ^(٦)

قَالَ: فَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ الْخَلِيلِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ: أَحْرَقَهُ الْعَبْدُ أَحْرَقَهُ اللَّهُ.

[١٨٠/١٤] / تَهْنِئَةُ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدَ بِمَوْلُودِهِ

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَمِّي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ

(١) النَّبْعَةُ: وَاحِدَةُ النَّبْعِ، وَهُوَ شَجَرٌ لِلْقَسِيِّ وَالسَّهَامِ. وَالْحَضِيضُ: الْقَرَارُ فِي الْأَرْضِ.
(٢) تَهَلَّلَ الْوَجْهَ: تَلَالَأَ. وَمَصَاعِبُ: جَمْعُ مَصْعَبٍ (بِضْمِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ)، وَهُوَ الْفَحْلُ الَّذِي لَمْ يَمْسَسْهُ حَيْلٌ وَلَمْ يَرْكَبْ. وَرَجُلٌ مَصْعَبٌ: مَسْوَدٌ. وَشُمُسٌ: جَمْعُ شُمُوسٍ كَصَبُورٍ مِنْ شَمْسِ الْفَرَسِ: إِذَا مَنَعَ ظَهْرَهُ. «وَمَتَهَلَّلِينَ» وَ«مَصَاعِبُ شَمْسٍ» نَعُوتٌ لَعْتَرَةٍ فِي قَوْلِهِ «مَنْ عَتَرَهُ طَابَتْ أَرْوَمَتُهُمْ». وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَتِهِ السَّيْنِيَّةِ السَّابِقَةِ، وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ ضَمَّنَ أَبْيَانِهَا فِي «أَمَالِي الْمُرْتَضَى»، وَأَوَّلُهُ: «فَوْقَ النُّجُومِ».

(٣) هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي يَلِيهِ لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيِّ.

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ: وَلَعَلَهُ «الْوَصْلُ» أَوْ «الْعَهْدُ» كَمَا يَرُشِدُ إِلَيْهِ مَا يَأْتِي بَعْدَ مِنْ قَوْلِهِ: «عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ».

(٥) الدِّهْقَانُ: رَئِيسُ الْإِقْلِيمِ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ.

(٦) الشَّهَابُ: شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ سَاطِعَةٌ، شَبَّهَ بِهِ الْخَمْرَ.

الضبي عن علي بن يزيد قال، ولد ليزيد^(١) بن مزيد ابن، فأتاه علي بن الخليل فقال: اسمع أيها الأمير تهنتاً بالفارس الوارد، فتبسم وقال: هات، فأنشده:

يزيدُ يابن الصَّيد من وائلٍ / ياخير من أنجب^(٢)ه والد
جاءت به غراء ميمونة / عليه من مغن ومن وائل
والله يُقيقه لنا سيّدا / حتّى نراه قد علا منبرا
وسدّ ثغراً فكفى شره / كما كفّنا ذاك أباه
أهل الرياسات وأهل المعال^(٣) / ليهنك الفارس ليث النزال
والسعد يدو في طلوع الهلال / سيمّا تبشير وسيمّا جلال^(٤)
مدافعاً عنا صُروف اللّيل / وفاض في سُواله بالنوال
وقارّع الأبطال تحت العوال^(٥) / فيحتذي أفعالهم عن مثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار.

/ المهدي يذكره بشعره في الخمر

[١٨١/١٤]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني ابن الأعرابي المنجّم الشيباني، عن علي بن عمرو الأنصاري، قال: دخل علي بن الخليل على المهدي فقال له: يا علي، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبّت منها، قال: فأين قولك؟

أولعت نفسي بلذتها / ما ترى عن ذاك إقصارا
وأين قولك؟

إذا ما كنت شاربها فسرّاً / ودع قول العواذل واللّواحي^(٦)
قال: هذا شيء قلته في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك:
على اللذات والراح السلام / تقضى العهد وانقطع الدّمّام
مضى عهد الصّبا وخرجت منه / كما من غمده خرج الحسام
وقرّث على المشيب فليس متي / وصال الغانيات ولا المُدام^(٧)

(١) ابن أخي معن بن زائدة الشيباني. وكان يزيد بن مزيد أميراً شجاعاً، وكان والياً لأرمينية ثم عزله عنها الرشيد سنة ١٧٢، ثم ولاء إياها وضم إليه أذربيجان سنة ١٨٣، وتولى محاربة الوليد بن طريف الشيباني الخارجي وقتله سنة ١٧٩، وتوفي سنة ١٨٥ هـ (وفيات الأعيان ٢: ٢٨٣).

(٢) الصيد: جمع أصيد، وهو الملك، ورافع رأسه كبيراً، والأسد.

(٣) الذي في كتب اللغة: أنجب الرجل والمرأة إذا ولدا ولداً نجيباً أي كريماً، ولم يرد فيها أنجب متعدداً.

(٤) السيمّا: العلامة.

(٥) الثغر: موضع المخافة من البلدان. والعوال: رؤوس الرماح.

(٦) اللواحي: جمع لاحية: وهي اللائمة.

(٧) وقر ككرم ووعد: رزن.

وَوَلَّى اللّهُوَ وَالْقَيْنَاتُ عَنِّي كَمَا وَلَّى عَنِ الصَّبْحِ الظَّلَامُ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ فَعِنْدِي لَصَّرَفِ الدَّهْرِ مَحْمُودٌ وَذَامٌ^(١)

مدحه معن بن زائدة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون، عن علي بن عبيدة الشيباني، [١٨٢/١٤] قال: دخل علي بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة / فحادثه وناشده، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ قال: إذا نشط الأمير، فأتيًا بالطعام، فأكلًا، ثم قال: هل لك في الشراب؟ قال: إن سقيتني ما أريد شربت، وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأتي بشراب عتيق، فلما شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول:

يَا صَاحٍ قَدْ أَنْعَمْتَ إِصْبَاحِي بِيَارِدِ السَّلْسَالِ وَالرَّاحِ^(٢)
قَدْ دَارَتْ الْكَأْسُ بِرُقْرَاقَةٍ حَيَاةِ أَبْسَدَانٍ وَأَرْوَاحِ^(٣)
تَجْرِي عَلَى أَغْيَدِ ذِي رَوْنَقٍ مَهْدَبِ الْأَخْلَاقِ جَعْجَاجِ^(٤)
لَيْسَ بِفَحَّاشٍ عَلَى صَاحِبٍ وَلَا عَلَى السَّرَاحِ بِفَضَّاحِ
تَسْرَهُ الْكَأْسُ إِذَا أَقْبَلَتْ بِرِيحِ أُتْرُجٍ وَتُقَاحِ^(٥)
/ يَسْعَى بِهَا أَزْهَرُ فَيُفْزِطِقُ مَقْلَدِ الْجِيدِ بِأَوْضَاحِ^(٦)
كَأَنَّهَا الزَّهْرَةُ فِي كَفِّهِ أَوْ شُعْلَةٌ فِي ضَوْءِ مَصْبَاحِ

١٨
١٣

هجاؤه لدهقان

حدثنا علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدهاقين يعاشره ويبرّه، فغاب عنه مدة طويلة / وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة، وقويت حاله، فأدعى أنه من بني تميم، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له، ولقيه فلم يسلم عليه، فقال يهجو:

يَرُوحُ بِنِسْبَةِ الْمَوْلَى وَيَصْبِحُ يَدَّعِي الْعَرَبَا
فَلَا هَذَا وَلَا هَذَا كَإِذَا طَلَبَا
أَتَيْنَاهُ بِشَبْطٍ وَطٍ تَرَى فِي ظَهْرِهِ حَذْبَا^(٧)

(١) أشطره: أي أشطر الدهر. والمعنى أنه اختبر حالات الدهر: خيره وشره فعرف ما فيه، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر. والذام: الذم.

(٢) خمر سلسال: لينة.

(٣) كل شيء له بصيص وتلألؤ فهو رُقراق، وأراد بالرقراقة هنا الخمر.

(٤) غيد كفرح فهو أغيد: مالت عنقه ولانت أعطافه، والجحجج والجحجج: السيد.

(٥) في الأصول: «فسره» وهو تحريف.

(٦) القرطقي (بضم القاف وفتح الطاء وقد تضم): لباس من ملابس العجم يشبه القباء، معرب كرتة. والأوضاح: جمع وضع كسبب، وهو حلّي من الفضة.

(٧) الشبوط بالفتح يضم: سمك دقيق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس.

فقال: أما لبخلك من طعام يُذهب السَّغْباً^(١)
فصد لأخيك يَرْزُوعاً^(٢) وضَبّاً^(٣) واترك اللعِباً^(٤)
فَرَشْتُ له قَرِيح المسك والنَّسْرِينَ^(٥) والغَرِباً^(٦)
فأَمَسَكَ أنْفَه عنها وقام مولياً هَرِباً^(٧)
يَشْمُ الثَّيِّبَ والْقَيْصُومَ^(٨) م كي يستوجب النسباً^(٩)
وقام إليه ساقينها بكأسٍ تَنْظِمُ الحَيَا^(١٠)
معقبة مروقة^(١١) تسلي هم من شرباً
فآلى لا يُسْلِسُهَا وقال أصبب لنا حلباً^(١٢)
/ وقد أبصرته دهرأ طويلاً يشتهي الأدباً
فصار تشبهاً بالقو م جلفاً جافياً جشياً^(١٣)
إذا ذكر البرير بكى وأبدى الشوق والطرباً^(١٤)
وليس ضميره فسي القو م إلا التَّيْنَنَ والعنباً
جحدت أباك نسبته وأرجسو أن تفيده أباً

[١٨٤/١٤]

قال علي بن سليمان: وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعلي بن الخليل في هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعلي، قال:

يأتيها الراغب عن أصله ما كنت في موضع تهجين^(٩)
متى تمررت وكنت أمراً من الموالى صالح الدين
لو كنت إذ صرت إلى دعوة فزت من القوم بتمكين^(١٠)
لَكَفَّ من وجدي، ولكنني أراك بين الضَّبِّ والثَّوْن^(١١)

(١) السَّغْب: الجوع.

(٢) اليربوع: دوية نحو الفأر لكن ذنبه وأذناه أطول من ذنب وأذني الفأر، ورجلاه أطول من يديه. والضب: دوية من تشبه التماسح الصغير وذنبها كذنبه وتلون كالحرباء.

(٣) القرية: الخالص، كالقراح. والنسر: ورد، فارسي معرب. والغرب: ضرب من الشجر.

(٤) القيصوم: من نبات البادية.

(٥) هذا البيت في الأصول مقدم على سابقه، وهو خطأ. يدل على ذلك سياق المعنى.

(٦) آلى: أقسم. وتسلسل الماء في الحلق: جرى، وسلسله: صب فيه. والحلب: اللبن المحلوب. وفي الأصول «زقاً أصبب لنا حياً» وهو تحريف.

(٧) الجلف: الجافي، والجشب: المخشن الغليظ.

(٨) البرير: ثمر الأراك.

(٩) التهجين: التقييح.

(١٠) الدعوة في النسب «بالكسر»: أن يتنسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.

(١١) الوجد: الحزن.

فلسو تراه صارفاً أنفه
من ربح خيري ونسرين^(١)
لقلت: جلف من بني دارم
حن إلى الشيخ يترين^(٢)
دغموص رمل زل عن صخرة
يعاف أرواح البساتين^(٣)
/ تنبو عن الناعم أعطافه
والخز والسنجاب واللين^(٤)

١٩
١٣

[١٨٥/١٤] شعره في تعلق أحد أولاد المنصور بجارية

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً، قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان علي بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعُتْبة مَولَاة المهدي، فمرت به عُتْبة في موكبها والجارية معها، فوقف على سلمته، وسألت عن خبره، فلم يوقها حق الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما أنصرف أقبل عليه علي بن الخليل، فقال له:

راقب بطرفك من تخا
ف إذا نظرت إلى الخليل
فإذا أمنت لحاظهم
فعليك بالنظر الجميل^(٥)
إن العيون تذلّ بالنظر المليح على الدخيل^(٦)
إما على حب شديد
إد أو على بغض أصيل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كان علي بن الخليل يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبة بن الحُباب يدعوه، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه، ويصف له طيب مجلسه وغناء حصّله وغلاماً دعاه، فكتب إليه علي بن الخليل:

أما ولحاظ جارية
تذيب حُشاشة المُهَج^(٧)
وسحر جفونها المُنْضِية
ك بين الفُتْر والدَّعَج^(٨)
/ مليحة كل شيء ما
خلا من خُلُقها السَّجج
وحُرْمَة دُك المبرزو
ل والصهباء منه تَجِي^(٩)

[١٨٦/١٤]

(١) الخيري بالكسر: المنشور الأصفر.

(٢) بيرين: رمل لا تدرك أطرافه، من أصقاع البحرين.

(٣) الدغموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء. وسباق البيت يدل على أنه يريد به دويبة صحراوية لا مائية. يعاف: يكره. أرواح: جمع ربح.

(٤) في جـ «تنبو عن الفاقم» وهو تحريف. والسنجاب: حيوان شعره في غاية النعومة، يتخذ من جلده الفراء، يلبسه المتعمون. انظر «حياة الحيوان الكبرى» للدميري.

(٥) لحاظهم، أي لحاظ من تخافهم، واللحاظ بالكسر: مصدر لاحظه أي راعاه. واللحاظ بالفتح: مؤخر العين مما يلي الصدغ.

(٦) في جـ «تذل» وفي جـ، ب، س «الرحيل» وهو تحريف.

(٧) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.

(٨) الدعج: سواد العين مع سعتها، وأراد بالفتور هنا: الفتور قال الشاعر:

وقاصرة الطوف مكفوحة
بفتور الجفون وخفون النظر

(٩) بزل الخمر: ثقب إنياءها، ويقال للحديدة التي تفتح منزل الدن: ال ومنزل لأنه يفتح بها، وفي ب، س «المبدول»، والصهباء: =

كَأَنَّ مَجِيئَهَا فِي الْكَأِ سَ حِينَ تُصَابُ مِنْ وَدَجٍ^(١)
 لَوْ أَنْعَجَ الْأَنْعَامُ إِلَى بِشَاشَةِ مَجْلِسٍ بِوَجْجٍ
 وَكُنْتَ بِجَانِبِ جَذْبٍ لَكَانَ إِلَيْكَ مُنْعَرَجِي

وصار إليه في إثر الرقعة.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

/ أخبار محمد الرّف (١)

نسبه وبعض أخباره

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم، كوفي الأصل والمولد والمنشأ؛ والرّف: لقب غلب عليه، وكان مغنياً ضارباً طبّيب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذاً للغناء، وأصحبهم أداء له، وأذكاهم، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم الموصلي وأبنة إسحاق، فكانا يرفعان منه، ويقدمانه ويجتلبان له الرّفد والصلوات من الخلفاء، وكانت فيه عريضة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرة فأمر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين.

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل.

أخبرني ابن جعفر جحظة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد: ٢٠
١٣

صوت

مركزية تكملة لعلوم

أدعاؤه غناء لابن جامع

جَسورٌ على هجري، جبانٌ على وصلي

مقدمٌ رَجُلٌ في الوصال مؤخّر

/ يهَمُّ بنا حتى إذا قلتُ قد دنا

يزيد امتناعاً كلما زدت صبوّة

[١٨٨/١٤]

فأحسن فيه ما شاء وأجمل، فغمزت عليه محمداً الرّف، وفطن لما أردت، واستحسنه الرشيد، وشرب عليه، واستعاده مرتين أو ثلاثاً، ثم قمت للصلاة وغمزت الرّف وجاءني، وأومأت إلى مخارق وعلويّه وعقيد فجاءوني، فأمرته بإعادة الصوت، فأعاده وأدّاه كأنه لم يزل يرويه، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم، ثم عدت إلى المجلس، فلما انتهى الدّور إليّ بدأت فغنيته قبل كلّ شيء غنيته، فنظر إليّ ابن جامع محدداً نظره، وأقبل عليّ الرشيد فقال: أكنت تروي هذا الصوت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب والله، ما أخذه إلا مني

(١) في الأصول «الرّف» بالراء، وورد في الجزء الخامس من «الأغاني» في نسب إبراهيم الموصلي وأخباره «محمد الرّف» بالزاي، وقد يرجع هذا أن الرّف والزيف معناه الإسراع، وهو الملاثم لما عرف عنه من أنه كان أسرع خلق الله أخذاً للغناء وانظر «الأغاني» ج ١ ح ٢ من صفحة ٣٠٦ طبع دار الكتب المصرية.

(٢) في ج «كذوب غدا يبيع الوعد بالمطل».

(٣) ساقطة من نسخة ج.

(٤) ثني عطفه: لوى عنقه معرضاً. وفي الأصول «عطفاً» وفي ج «وحاديبي» وهو تصحيف.

الساعة. فقلت: هذا صوت أرويه قديماً، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني، وأقبلت عليه، فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال، ما سَمِع منه قبل ذلك الوقت، فأقبل عليّ فقال: بحياتي اصدقني عن القصة، فصدَّقته، فجعل يضحك ويصفق ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزَّفِّ.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أول بالبصر، والصنعة لابن جامع من رواية الهشامي وغيره.

قوة حفظه وبراعته في الغناء

قال أبو الفرج: وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية، فقال فيه قال: محمد الزَّفِّ أروى خلق الله للغناء، وأسرعهم أخذاً لما سمعه منه، ليست عليه في ذلك كلفة، وإنما يسمع الصوت مرة واحدة / وقد أخذه، وكنا معه في بلاء إذا حضر، فكان من غنى منا صوتاً فسأله عدو له أو صديق أن [١٨٩/١٤] يلقيه عليه، فبخل ومنعه إياه، سأل محمداً الزَّفِّ أن يأخذه، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله، فكان أبي يبرّه ويصله ويُجديه^(١) من كل جائزة وفائدة تصل إليه، فكان غناؤه عنده حمى مصوناً لا يقربه، ولم يكن طيب المسموع، ولكته كان أطيب الناس نادراً، وأملحهم مجلساً، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنيين لبخله، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه، وأصغى^(٢) سمعه إليه، حتى يحكيه، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ويرفد،

غناء لابن جامع بحضرة الرشيد

فغنى يوماً بحضرة الرشيد:

صوت

أرسلت تُقرئ ^(٣) السلام الرِّبابُ	في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ
فيه: لو زُرْتنا لزرنّاكِ ليلاً	بِمَنى حيث تستقلّ الركاب ^(٤)
فأجبتُ الرِّباب: قد زرت لكن	لي منكم دون الحجاب حجاب
/ إنما دهرك العتاب وذمي	ليس يُبقي على المحبّ عتابُ

٢١
١٣

ولحنه من الثقيل الأول، فأحسن فيه ما شاء، ونظرتُ إلى الزَّفِّ فغمزته وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت له: أي شيء عملت؟ فقال: قد فرغت لك منه، قلت: هاته، فردّه عليّ ثلاث مرات، وأخذته وعدت إلى مجلسي، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً، فقاما، وتبعهما فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألتهما عنه، فعرفاني أنهما قد أخذهما، فلما بلغ / الدّور إليّ كان الصوت أول شيء غنيته، [١٩٠/١٤] فحدّد الرشيد نظره إليّ، ومات ابن جامع وسقط^(٥) في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه

(١) أجده: أعطاه الجدوى وهي العطية.

(٢) أصغى: أمال.

(٣) في جـ «أقرنا».

(٤) استقلوا: مضوا وارتحلوا.

(٥) سقط في يده وأسقط «مضمومتين»: تحير.

قديمًا، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غثيَّاه. فغثيَّاه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إليّ، فغمزته بعيني أنه صدق، وجدّ الرشيد في العبث به بقية يومه، ثم سألتني بعد ذلك عن الخير، فصدّفته عنه وعن الزّفّ، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزّفّ، قال حماد: وللزّفّ صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني:

صوت

لمن الظعائن سيرُهنّ تزحُفُ عَوْمُ السّفِينِ إذا تَقادَفَ مجذَفُ^(١)
مرّت بذِي حُسْمٍ كأنّ حُمولَها نخل ييثربَ طَلْعُها متزحُفُ^(٢)
فلئن أصابني الحروب لربّما أدعى إذا مُنِع الرّدافُ فأردفُ^(٣)
فأثير غاراتٍ وأشهد مَشْهدًا قلبُ الجبان به يطيش فيرجُفُ

قال: ومن مشهور صنّعه في هذه الطريقة:

صوت

[١٩١/١٤]

إذا شئت غثني بأجرعٍ يشبه أو النخل من تثليثٍ أو من يَلْمَلَمًا^(٤)
مطوّقةً طسوقاً وليس بحليّة ولا ضرب صوّاعٍ بكفّيه درهما
تُبْكِي على فرخٍ لها ثم تغتدي مدلّهة تبغي له الدهرَ مَطْعَمًا^(٥)
تؤمل منه مؤنساً لأنفرادها وتبكي عليه إن زَقَا أو ترنما^(٦)

ومن صنّعه في هذه الطريقة:

صوت

يا زائرَنا من الخيام حيّاكم الله بالسّلام
يَحزُنني أن أطمعُماني ولَم تَنالاً سوى الكلام

(١) تزحف: من تزحف الصبي على الأرض أو على بطنه، قبل أن يمشي. والسفين: جمع سفينة، ومجداف السفينة رمجداؤها بالذال وبالذال: لغتان فصيحتان. وفي جـ «يحذف».

(٢) ذو حسم: موضع بالبادية، وجاء في شعر المهلهل:

أليائنا بسذي حسم أنيري إذا أنست انقضيت فلا تحوري

والحمول: الهودج، أو الإبل عليها الهودج، واحدها حمل بالكسر ويفتح، يثرب: المدينة المنورة.

(٣) أردفه معه: أركبه؛ وردفه بالكسر وأردفه: ركب خلفه.

(٤) يشبه: من عمل مكة مما يلي اليمن، وهي من مكة على خمس مراحل، بها من النخل شيء كثير. وفي جـ، وب «شيبة».

والأجرع: جمع جرع بالتحريك، وهو الرملة الطيبة المنبتة السهلة المستوية. تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. يللمم: موضع

على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن.

(٥) المدلّه: الساهي القلب، الذاهب العقل.

(٦) زقا الطائر يزقو: صاح.

بُورِكَ هَارُونُ مِنْ إِمَامٍ بطاعة الله ذي اعتصام
له إلى ذي الجلال قُربى ليس لعدل ولا إمام

وله في هذه الطريقة :

صوت

$\frac{٢٢}{١٣}$

/ بان الحبيبُ فلاحَ الشَّيْبُ في راسي ويكُ منفرداً وحدي بِوَسْوَاسِ
ماذا لقيتُ فدتكِ النفسُ بعدكم من التبرم بالدينا وبالناس
لو كان شيء يسلي النفسَ عن شجن سلّت فؤادي عنكم لذة الكاس^(١)

صوت

[١٩٢/١٤]

شعر لأبي الشبل البرجمي

بأبي ريمَ رَمَى قلد جسي بألحاظِ مِراضِ^(٢)
وحَمَى عيني أن تلد تَدَّ طيبَ الإغتماضِ
كلّما رُمّت انبساطاً كفّ بَسْطِي بانقباضِ
أو تعالَى أملِي في سه رَمَاهُ انخفاضِ
فمتى يتصفّ المظ لُوم والظالم قاضي

الشعر لأبي الشبل البرجمي، والغناء لعُثْث الأسود، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، وفيه لكثير رمل، ولُبْنان خفيف رمل.

(١) الشجن: الهم والحزن.

(٢) الرثم: الطبي الخالص البياض.

[١٩٣/١٤]

/ أخبار أبي الشَّبل ونسبه

نسبه

أبو الشَّبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتآدب بالبصرة.

مَجُونُهُ وَاتِّصَالُهُ بِالْمَتَوَكَّلِ

أخبرني بذلك الحسن بن علي، عن ابن مَهْرُويه، عن علي بن الحسن الأعرابي.

وقدِمَ إلى سُرٍّ مَن رأى في أيام المتوكل ومدحه، وكان طَبَّاً^(١) نادراً، كثير الغزل ماجناً، فنَفَقَ^(٢) عند المتوكل بإيثاره العَبَثَ، وَخَدَمَهُ، وَخُصَّ بِهِ، فَأَثَرَى وَأَفَادَ، فذكر لي عمِّي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان عن أبيه أنه لما مدحه بقوله:

أَقْبَلِي فَالْخَيْرُ مُقْبِلٌ وَاتَّرَكِي قَوْلَ الْمَعْلُلِ
وَتَقْسِي بِالْأَجْحِ إِذَا صُرْتَ وَجْهَ الْمَسْوُكُلِ
مَلِكٌ يُنْصِفُ يَا ظَلَا لِمَتِّي فِيكَ وَيَعْدُلُ
فَهُوَ الْغَايَةُ وَالْمُنَا قَوْلُ يَرْجُوهُ الْمُؤْمَلُ

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فأنصرف بثلاثين ألف درهم.

الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالبنصر.

أخبرني يحيى بن علي، عن أبي أيوب المديني، عن أحمد بن المكي قال: غنيتُ المتوكل صوتاً شعره لأبي الشَّبل الْبُرْجُمِي وهو:

أَقْبَلِي فَالْخَيْرُ مُقْبِلٌ وَدَعِي قَوْلَ الْمَعْلُلِ

[١٩٤/١٤] / فأمر لي^(٣) بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلغك الهَيْئَةَ، فسأل عنها الفتح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

وحدَّثني الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله.

دَعَتْهُ جَارِيَتُهُ فَقَالَ شِعْراً

حدَّثني الحسن بن علي قال: حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدَّثني أبو الشَّبل عاصم بن وهب الشاعر، وهو القائل:

أَقْبَلِي فَالْخَيْرُ مُقْبِلٌ وَدَعِي قَوْلَ الْمَعْلُلِ

(١) في الأصول «طياً» وهو تحريف.

(٢) نفق: راج.

(٣) في س «فأمر له» وهو تحريف.

/ قال: كانت لي جارية اسمها سُكَّر، فدخلت يوماً منزلي ولبست ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيتُ إليها، فقالت: أقم ٢٣/١٣ اليوم في دعوتي أنا، فأقمتُ وقلت:

أنا في دعوة سَكَّر والهوى ليس بمنكسر
كيف صبري عن غزال وجهه دلو مقير^(١)

فلما سمعت الأول ضحكك وسرت، فلما أنشدتها البيت الثاني قامت إليّ تضربني^(٢) وتقول لي: هذا البيت الأخير الذي فيه «دلو» لمالك^(٣)، لولا الفضول؛ فما زالت - يعلم الله - تضربني حتى غشي عليّ.

مدحه مالك بن طوق ثم دمه

وذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسديّ حدثه قال: مدح أبو الشبل مالك بن طوق بمدح عجيب، وقدّر منه ألف درهم، فبعث إليه صرةً مختومة فيها مائة دينار، فظنّها دراهم، فردّها وكتب معها قوله:

فليت الذي جادت به كفّ مالك ومالك مدسوسان في أسْت أم مالك
فكان إلى يوم القيامة في أسْتها فأيسرُ مفقود وأيسرُ هالك

/ وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره، فأحضر، فقال له: يا هذا ظلمتنا واعتديت [١٩٥/١٤] علينا، فقال: قد قدّرتُ عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم، فقال: افتحها، ففتحتها فإذا فيها مائة دينار، فقال: أقلني أيها الأمير. قال: قد أقلتك، ولك^(٤) عندي كلّ ما تحب أبداً ما بقيتُ وقصدتني.

رثاؤه لطبيب

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهبويه قال: قال لي أبو الشبل البرّجمي: كان في جيرانني طبيب أحقّ، فمات فرثيته فقلت:

قد بكاه بول المريسض بدمع وإكيف فوق مقلتيه ذروف^(٥)
ثم شقت جيوبهن القوارب رُ عليه ونُخن نوح اللّهيْف^(٦)
يا كساد الخيار شنبَر والأقد راص طرّاً ويا كساد السّفوف
كنتَ تمشي مع القويّ فإن جا ضعيف لم تكثرث بالضعيف
لهف نفسي على صنوف رَقاعا ب تولّت منه وعقلي سخيْف^(٧)

(١) مقير: مطلي بالفار أو الفير: وهو الزفت.

(٢) في الأصول «لتضربني».

(٣) كذا في الأصول.

(٤) في الأصول: «ولكن»؛ وهو تحريف.

(٥) وكف الدمع: سال. وذرف الدمع: سال أيضاً. والذي في كتب اللغة: «دمع ذريف أي مذرّوف، قال الشاعر: ما بال عيني دمعها ذريف».

(٦) اللهيْف: الملهوف.

(٧) الرقاعة: الحمق. وفي س «رفاعات» وهو نصحيف.

عبثه بخالد بن الوليد

حدثنا الحسن قال: حدثنا ابن مهبويه قال: حدثنا أبو الشبل قال: إن^(١) خالد بن يزيد بن هبيرة كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لهب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبت بهما كثيراً ويشتماني، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يستقي نبيذاً، فإذا قميصه قد أنشق، فقلت فيه:

قالت له لهب يوماً وجادلها بالشعر في باب فعلان ومفعول
أما القميص فقد أودى الزمان به فليت شعري ما حال السراويل؟

[١٩٦/١٤] / فبلغ الشعرُ أبا الجهم أحمد بن يوسف فقال:

حال السراويل حالٌ غيرُ صالحة تحكي طرائقه نسج الغرابيل
وتحت حفرة قوراء واسعة تسيل فيها ميازيب الأحاليل^(٢)

^{٢٤}/_{١٣} قال أبو الشبل: وكانت أم خالد هذا ضراطة، تضطرب على صوت العيدان وغيرها / في الإيقاع، فقلت فيه:

في الحي من لا عديمٌ خلته فتى إذا ما قطعته وصلاً^(٣)
له عجوز بالحبق أبصر من أبصرته ضارباً ومرتجلاً^(٤)
نادمتها مرةً وكنت فتى مازلت أهوى وأشتهي النزلاً
حتى إذا ما أمالها سكر يبعث في قلبها لها مثلاً
انكأَت يسرةً وقد حرقَتْ أشراجها كي تقوم الرملاً^(٥)
فلم تزل بأستها تطارحني اسمع إلى من يسومني العللاً^(٦)

عرض شعره على المازني فذمه

حدثني الحسن قال: حدثنا ابن مهبويه قال: حدثني أبو الشبل قال: لما عرض لي الشعرُ أتيت جارا لي نحويًا، وأنا يومئذ حديث السن - أظنه قال إنه المازني - فقلت له: إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر، فكره أن يُظهره حتى تسمعه. قال: ها، / وكنت قد قلت شعراً ليس بجيد، إنما هو قول مبتدئ، فأنشدته إياه، فقال: من العاض بظُر أمه القائل لهذا؟ فقمتم خجلاً، فقلت لأبي الشبل: فأني شيء قلت له أنت؟ قال: قلت في نفسي: أعضك الله بظُر أمك وبهضك^(٧).

(١) في جـ «حدثنا خالد بن يزيد بن هبيرة، وكان».

(٢) قوراء: واسعة. الأحاليل: جمع إحليل بالكسر، وهو مخرج البول من ذكر الإنسان.

(٣) الخلّة: الصداقة المختصة لا خلل فيها.

(٤) الحبق: الضراط.

(٥) حرق الشيء: حك بعضه ببعض، وفي ب، س «حرفت» وهو تصحيف. أشراج: جمع شرج، جاء في «اللسان»: الشرج كشمس ومنيب والأول أفصح: أعلى ثقب الاست. وفي «القاموس»: الشرج كسبب: فرج المرأة.

(٦) في س «استها» وفي ب «استهام» وهو تحريف وفي جـ، ب، س «يزل» بطارحني» وهو تصحيف.

(٧) في جـ «ونهضتك»، وفي س «وبهضتك» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا، يقال: بهضني الأمر وأبهضني، أي فدحني، وبالطاء أكثر.

بعض نوادره

أخبرني عمي عن محمد بن المَرْزُبان بن الفيرزان قال: كنت أرى أبا الشبل كثيراً عند أبي، وكان إذا حضر أضحك الثُّكَلَى بنوادره، فقال له أبي يوماً: حَدَّثْنَا ببعضِ نوادرِكَ وطرائفِكَ؟ قال: نعم، من طرائفِ أموري أَنَّ أبنِي زَنَى بجارية سِنْدِيَّة لبعض جبراني، فحَبِلْتُ وولَدْتُ، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً، فقال: يا أبت، الصبيُّ واللهِ أبنِي، فساومتُ به، فقبل لي: خمسون ديناراً، فقلت له: ويلَكَ! كنت تخبرني الخبر وهي حُبلى فأشتريتها بعشرين ديناراً، ونربح الفضل بين الثَّمَنَيْنِ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيِّ حتى أَشترَيْتُهُ من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانياً فولدت له ابناً آخر، فجاءني يسألني أن أبتاعه، فقلت له: عليك لعنة الله، ما يملكك أن تُحِلَّ هذه؟ فقال: يا أبت لا أَسْتَحِبُّ العَزْلَ^(١)، وأقبل على جماعة عندي يعجبهم مني، ويقول: شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحلّه! فقلت له: يابن الزانية، تستحل الزنا وتتحرج من العزل! فضحكنا منه.

خبره مع خمار يهودي

وقلت له: وأي شيء أيضاً؟ قال: دخلت أنا ومحمود الوراق إلى حانة يهوديٍّ خَمَّار، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً، فظننَاهُ خمرأ بنتَ عشر، قد أنصَجَهَا الهَجِير^(٢)، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا، فقلت له: أشرب معنا، قال: لا أَسْتَحِلُّ / شَرِبَ الخمر، فقال لي محمود: وَنَحْكُ! رأيت أعجب ممَّا نحن فيه. يهوديٌّ يتحرَّج من [١٩٨/١٤] شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أَجَلْ، والله لا نُفْلِحُ أبداً، ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سَكِرْنَا، وقمنا في الليل فنكنا بنته وأمراته وأخته، وسرقنا ثيابه، وخربنا في نقيرات^(٣) نبيذ له وأنصرفنا.

هجاؤه هبة الله بن إبراهيم

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: أخبرنا عون بن محمد الكِنْدِي، قال: وقعت لأبي الشبل البُرْجُمِي إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديِّ حاجة فلم يقضها فهجاه، فقال:

صَلَفٌ تَنَدَّقُ مِنْهُ الرِّقْبَةُ وَمَسَاوِلُ لَمْ تُطْفِئْهَا الْكَتَبَةُ

/ كُلَّمَا بَادَرَهُ رَكْبٌ بِمَا يَشْتَهِيهِ مِنْهُ نَادَى يَا أَبَةَ^(٤)

لَيْتَهُ كَانَ أَلْتَوَى الْفَرْجُ بِهِ لَمْ يَزِدْ فِي هَاشِمٍ هَذَا هِبَةُ

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمي بدراناً، وكان غالباً على أمره.

حدَّثني الصُّولي قال: حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال: قال رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس يكتب، فأنشأ يقول:

يَنْظُمُ اللَّوْلُوَ الْمَثُورَ مَنْطِقَهُ وَيَنْظُمُ الدَّرُّ بِالْأَقْلَامِ فِي الْكُتُبِ

(١) هو من عزل المجامع عن المرأة عزلاً، إذا قارب الإنزال تنزع وأمني خارج الفرج.

(٢) الهجع: نصف النهار عند اشتداد الحر.

(٣) في ب، س «نفارات» وفي ج «بغارات» وهو تحريف والصواب؛ ما أثبتنا جاء في كتب اللغة: «والنقير أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء فيصير نبيذاً مسكراً» ثم جمع نقير على نقيرات على تقدير أنه مؤنث معنى، إذ هو في معنى باطية.

(٤) نادى يا أبة: يريد نادى غلامه «بدراناً» مستعيناً به على قضاء حاجة ذلك الركب، إذ كان غلامه صاحب أمره ومسيطر عليه كأنه أبوه.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الشَّيْبَلِ الْبَرْجَمِيُّ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ، وَكَانَ إِلَيَّ مُحَسِّنًا، وَعَلَيَّ مُفْضِلًا، / فَجَرَى ذِكْرُ الْبَرَامِكَةِ، فَوَصَفَهُمُ النَّاسُ بِالْجُودِ، وَقَالُوا فِي كَرَمِهِمْ وَجَوَائِزِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ فَأَكْثَرُوا، فَقُمْتُ فِي وَسْطِ الْمَجْلِسِ، فَقُلْتُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ، إِنِّي قَدْ حَكَمْتُ فِي هَذَا الْخُطْبِ حَكْمًا نَظَّمْتُهُ فِي بَيْتِي شَعْرٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرِدَّهُ عَلَيَّ، وَإِنَّمَا جَعَلْتُهُ شَعْرًا لِيَدُورَ وَيَبْقَى، فَيَأْذَنُ الْوَزِيرُ فِي إِنْشَادِهِمَا قَالَ: قُلْ، فَرُبُّ صَوَابٍ قَدْ قَلَّتْ، فَقُلْتُ:

رَأَيْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ سُودَدًا وَأَكْرَمَ مِنْ فَضْلِ وَيْحَى بْنِ خَالِدٍ
أَوْلَيْتُكَ جَادُوا وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ وَقَدْ جَادَا وَالذَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَظَهَرَ السُّرُورُ فِيهِ، وَقَالَ: أَفَرَطْتَ أبا الشَّيْبَلُ، وَلَا كُلَّ هَذَا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا حَابَيْتُكَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ، وَلَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا، وَاتَّبَعْنِي الْقَوْمُ فِي وَصْفِهِ وَتَقْرِيطِهِ، فَمَا خَرَجْتَ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَّا وَعَلَيَّ الْخَلْعُ، وَتَحْتِي دَابَّةٌ^(١) بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ، وَبَيْنَ يَدَيَّ خَمْسَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ.

قصته مع جاريتين

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الشَّيْبَلِ الشَّاعِرُ قَالَ: كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي النَّخَاسِينِ^(٢) كَانَتَا تَقُولَانِ الشَّعْرَ، فَأَتَيْتُ إِحْدَاهُمَا فَتَحَدَّثْتُ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَنْشَدْتُهَا بَيْتًا لِأَبِي الْمُسْتَهْلِ شَاعِرٍ مِنْصُورٍ بِنِ الْمَهْدِيِّ فِي الْمَعْتَصِمِ:

أَقَامَ الْإِمَامُ مَنْارَ الْهُدَى وَأَحْرَسَ نَاقُوسَ عَمُورِيَّةٍ^(٣)

[٢٠٠/١٤] / ثُمَّ قُلْتُ لَهَا: أَجِيزِي؟ فَقَالَتْ:

كَسَانِي الْمَيْلُكَ جَلَابِيَّةً ثِيَابُ عَلاهَا بِسَمُورِيَّةٍ^(٤)

ثُمَّ دَعَتْ بِطَعَامٍ فَأَكَلْنَا، وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا، فَمَضَيْتُ إِلَى الْأُخْرَى، فَقَالَتْ: مَنْ أَيْنَ يَا أبا الشَّيْبَلِ؟ فَقُلْتُ: مِنْ عِنْدِ فُلَانَةٍ، قَالَتْ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبْدَأُ بِهَا - وَصَدَقْتُ، كَانَتْ أَجْمَلَهُمَا فَكُنْتُ أَبْدَأُ بِهَا - ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا الطَّعَامُ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا حِيلَةَ لِي فِي أَنْ تَأْكُلَهُ، لَعَلَّمَنِي بِأَنْ تَلْكَ لَا تَدْعُكَ تَنْصَرِفُ أَوْ تَأْكُلُ. فَقُلْتُ: أَجَلْ. قَالَتْ: فَهَلْ لَكَ فِي الشَّرَابِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَحْضَرْتُهُ وَأَخَذْنَا فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَالَتْ: فَأَخْبِرْنِي مَا دَارَ بَيْنَكُمَا؟ فَأَخْبَرْتُهَا، فَقَالَتْ: هَذِهِ الْمُسْكِينَةُ كَانَتْ تَجِدُ الْبَرْدَ، وَيَبِيتُهَا أَيْضًا هَذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ يَحْتَاجُ إِلَى سَمُورِيَّةٍ، أَفَلَا قَالَتْ:

فَأَضْحَى بِهِ الدِّينَ مُسْتَبْشِرًا وَأَضْحَتْ زِنَادُهُمَا وَارِيَّةً^(٥)

فَقُلْتُ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ مِنْهَا فِي شِعْرِهَا، وَأَنْتَ وَاللَّهِ فِي شَعْرِكَ فَوْقَ أَهْلِ عَصْرِكَ. وَاللَّهِ أَعْلَمُ.

(١) تَطْلُقُ الدَّابَّةُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى.

(٢) النَّخَاسُ: بَيْاعُ الرِّقِيقِ.

(٣) عَمُورِيَّةٌ: بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ (الْأَنْاضُولِ) فَتَحَهَا الْمَعْتَصِمُ سَنَةَ ٢٢٣ هـ.

(٤) سَمُورِيَّةٌ: نِسْبَةٌ إِلَى سَمُورٍ (وَيَا نَسَبُ هُنَا مُخَفَّفَةٌ) وَسَمُورٌ: دَابَّةٌ تَتَخَذُ مِنْ جِلْدِهَا فِرَاءً غَالِيَةً الْأَثْمَانِ.

(٥) وَرَى الزُّنْدُ كَوْعَى وَوَلَى: خَرَجَتْ نَارُهُ.

شعره في الشيب

٢٦
١٣

/ أخبرنا الحسن قال: حدثنا ابن مهبويه قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه:

عَذِيرِي مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ يَرْغَبُنْ عَنْ وَصْلِي^(١)
رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسَنِي أَتَهْلَةً الْكَهْلِ
فَأَعْرَضُنْ وَقَدْ كَسَنَ إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّبْلِ
تَسَاعَيْنَ فَرَقْعَنَ الْكُؤَى بِالْأَعْيُنِ التُّجَلِ^(٢)

/ قال: وهذا سرقه من قول العُثْبِيِّ:

رَأَيْتُ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِمَقَرِّي
وَكُنْ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي
فَأَعْرَضُنْ عَنِّي بِالْخُدُودِ الْنَوَاضِرِ
سَعَيْنَ فَرَقْعَنَ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ^(٣)

خبره مع حاتم بن الفرج

حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهبويه قال: حدثني أبو الشبل قال: كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني، وكان أهتم، قال أبو الشبل: وأنا أهتم؛ وهكذا كان أبي وأهل بيتي، لا تكاد تبقى في أفواههم حاكّة^(٤)، فقال أبو عمر أحمد بن المنجّم:

لِحَاتِمٍ فِي بُخْلِهِ فِطْنَةٌ أَدَقُّ حَسْبًا مِنْ خُطَا النَّمْلِ
قَدْ جَعَلَ الْهُتْمَانُ ضَيْقًا لَهُ فَصَارَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْأَكْلِ^(٥)
لَيْسَ عَلَى خَيْرِ أَمْرٍ ضَيْعَةٌ أَكَلَهُ عُضْمُ أَبُو الشَّبْلِ^(٦)
مَا قَدَرُ مَا يَحْمِلُهُ كُفٌّ إِلَى فَمٍ مِنْ سِنِّهِ عُطْلٍ^(٧)
فَحَاتِمُ الْجُودِ أَخُو طِيءٍ مَضَى وَهَذَا حَاتِمُ الْبَخْلِ

شعره في جارية سوداء يحبها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيّن قال: كانت لأبي الشبل البرجومي جارية سوداء،

(١) العذير: العاذر.

(٢) الكؤى: جمع كؤة بالفتح وبضم، وهي الخرق في الحائط.

(٣) المحاجر: جمع محجر كمجلس ومنبر وهو من العين ما دار بها وبدا من البرقع.

(٤) الحاكّة: السن.

(٥) هتمان: جمع أهتم - ولم يرد في كتب اللغة - وقد جاء فعلاً في كلام العرب جمعاً لأفعل كأسود وسودان وأبيض وبيضان وأحمر وحرمان. وضيف هنا للجمع، جاء في كتب اللغة: «الضيف للواحد والجميع، وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيّفان، وهي ضيف وضيفة» وقد ورد في «القرآن الكريم» للجمع، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وقال: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾.

وقد سقطت كلمة «له» من ج، وفيها أيضاً «في أمر» وهو تحريف.

(٦) عصم: سمت العرب عاصماً وعصماً.

(٧) استفهام يراد به النفي، أي لا قدر له.

وكان يحبها حباً شديداً، فعوتب فيها، فقال:

[٢٠٢/١٤] / غدت بطول الملام عاذلة
تلمؤني في السواد والدّعج^(١)
ويحك كيف السلو عن غرر
مفترقات الأرجاء، كالسبج^(٢)
يحملن بين الأفخاذ أسنمة
تحرق أوبارها من الوهج^(٣)
لا عذب الله مسلماً بهم
غيري ولا حان منهم فرجي^(٤)
فلئنني بالسواد مبتهج
وكنت بالبيض غير مبتهج

هجاؤه جارية لهاشمة النحوي

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطيّب قال: حدّثني أبو هريرة البصري النحويّ الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعايب قينة لهاشم النحوي يقال لها خنساء، وكانت تقول الشعر، فعيب بها يوماً فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت شعري، بأي شيء تدلّ؟ أنا والله أشعر منك، لئن شئت لأهجونك حتى أفضحك، فأقبل عليها وقال:

حسناء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مجير
ناهت بأشعارها علينا كأنما ناكها جرير

قال: فخرجت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه.

شعره في ذم المطر

قال عمي: قال أحمد بن الطيّب: حدّثني أبو هريرة هذا قال: حدّثني أبو الشبل أنها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان / مولاها غائبا فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطر متعها من الوفاء بالموعد، قال: فقلت أذم المطر:

[٢٠٣/١٤] / دع المواعيد لا تعرض لوجهتها
إن المواعيد والأعياد قد مئيت
إن المواعيد والأعياد قد مئيت
منه بأنك ما يؤمّي به بشر^(٥)
أما الثياب فلا يغررك إن غسلت
صحو شديد ولا شمس ولا قمر
وفي الشخوص له نوؤ وبارقة
وإن هممت بأن تدعسو مغثية^(٦)
وإن هممت بأن تدعسو مغثية
فالنيت لا شك مقرون به السحر

(١) في الأصول «عذرت»، وهو تحريف لا يستقيم به الوزن والمعنى. ولعل صوابه ما أثبتنا. والدّعج: سواد العين مع سعتها.

(٢) الأرجاء: النواحي. مفترقات الأرجاء: أي لكل منهن ناحية من الحسن خاصة. السبج: خرز أسود، معرب.

(٣) الوهج: اتقاد النار.

(٤) يلاحظ أنه استعمل هنا ضمير جماعة الذكور موضع ضمير جماعة الإناث.

(٥) مئيت: ابتليت.

(٦) شخص شخصاً: خرج من موضع إلى غيره. تبيت عن حاجته: حيسه عنها. والفالج: الشلل. والذكر: يعني القوي الشديد، من قولهم: مطر ذكر أي شديد وابل، وقول ذكر أي صلب متين، وشعر ذكر أي فحل.

هجاؤه مولى عبد الله بن يحيى

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجمي سألها إياها، فأخبرها نسيم، فشكاه إلى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاماً له آخر فقضاها بين يديه، فقال أبو الشبل يهجو نسيماً:

قل لنسيم أنت في صورة	خُلِقْتَ من كلبٍ وخنزيرٍ
رَعَيْتَ دهرًا بعد أعفاجها	في سَلَحٍ مخمورٍ ومخمورة ^(١)
حتى بدا رأسك من صدعها	زانية بالفسق مشهورة ^(٢)
لا تقرب الماء إذا أُجْنِبَتْ	ولا تَرَى أن تقرب الثَّورَ ^(٣)
تري نبات الشعر حول أستها	درايسزينا حول مقصورة ^(٤)

/ هجاؤه محمد بن حماد

حدّثني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدّثني ابن مهبويه قال: كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه، فقال أبو الشبل فيه:

لا بن حماد أباد	عندنا ليست بدون
عنده جاريفة تشد	يفي من الداء الدفين
ولهاف في رأس مولا	ها أكاليل قُـسـرون
ذات صدع حاتمى الـ	فعل في كين مكين ^(٥)
لا يرى منزع الذي يحـ	وي ولسو أم البنين

شعره في كبش كسر قنديلته

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطيب قال: حدّثني أبو هريرة النحوي قال: كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للأضحى، فجعل يعلفه ويسمّنه، فأقلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه، وسراج وقارورة للزيت، فنطحه فكسره، وانصب الزيت على ثيابه وكتفيه وفراشه، فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل الأضحى، وقال يرثي سراجَه:

يا عين بكّي لفقد مشرّجة	كانت عمود الضياء والنور ^(٦)
كانت إذا ما الظلام البسني	من جنّـدس الليل ثوب ديجور ^(٧)

(١) الأعفاج: الأمعاء.

(٢) الصدع: الشق، أراد به فرجها. وفي الأصول «من صدغها» وهو تصحيف.

(٣) أُجْنِبَتْ: من الجنابة أي كانت جنباً. والنورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويضاف إليه أخلاط ويخلق به شعر العانة.

(٤) الدرايزين: قوائم مصفوفة تعمل من خشب أو حديد تحاط بها السلالم وغيرها. فارسية، وهي الجلفق (كجعفر).

(٥) صدع: أراد به الفرج كما تقدم، وفي س «صدغ» وهو تصحيف.

(٦) في ب، س «يا عين أبكي» وهو تحريف.

(٧) الحنّـدس: والديجور: الظلمة. وفي ج «إذا أمال الظلام» وهو تحريف.

شَقَّتْ بَنِيرَانَهَا غِيَاظَ لَه	شَقًّا دَعَا اللَّيْلَ بِالدَّيَّاجِيرِ ^(١)
صِينِيَةِ الصَّيْنِ حِينَ أَبْدَعَهَا	مَصْوِّرَ الْحَسَنِ بِالتَّصَاوِيرِ
/ وَقَبْلَ ذَا بَدْعَةٍ أَنْيَحَ لَهَا	مِنْ قَبْلِ الدَّهْرِ قَرْنٌ يَغْفُورُ ^(٢)
وَصَكَّهَا صَكَّةً فَمَا لَبِثَتْ	أَنْ وَزَدَتْ عَسْكَرَ الْمَكَّاسِيرِ ^(٣)
وَأَنْ تَوَلَّيْتُ فَقَذَلَهَا تَرْكَتْ	ذِكْرًا سَيِّئًا عَلَى الْأَعَاصِيرِ ^(٤)
مَنْ ذَا رَأَيْتَ الزَّمَانَ يَأْسَرَهُ	فَلَمْ يَشُبْ يُسْرَهُ بِتَعْسِيرِ ^(٥)
وَمَنْ أَبَاحَ الزَّمَانُ صَفْوَتَهُ	فَلَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ بِتَكْصِيرِ
مُسْرِجَتِي لَوْ فَدَيْتَ مَا بَخَلْتُ	عَنْكَ يَدُ الْعُجُودِ بِالدَّنَانِيرِ
لَيْسَ لَنَا فِيكَ مَا نَقْدُرُهُ	لَكِنَّمَا الْأَمْرُ بِالْمَقَادِيرِ
مُسْرِجَتِي كَمْ كَشَفْتِ مِنْ ظُلْمٍ	جَلَّيْتُ ظُلْمَاءَهَا بِتَنْوِيرِ
وَكَمْ غَزَالَ عَلَى يَدَيْكَ نَجَا	مَنْ دَقَّ خُصْيِيهِ بِالطَّوَامِيرِ ^(٦)
مَنْ لِي إِذَا مَا النَّدِيمُ دَبَّ إِلَيَّ	النَّدِيمَانِ فِي ظُلْمَةِ الدَّيَّاجِيرِ
وَقَامَ هَذَا يُؤَسُّوسَ ذَاكَ، وَذَا	يُغْنِقُ هَذَا بِغَيْرِ تَقْدِيرِ ^(٧)
وَأَزْدَوَجَ الْقَوْمُ فِي الظُّلَامِ فَمَا	تَسْمَعُ إِلَّا السَّرَّشَاءَ فِي الْبِيرِ ^(٨)
فَمَا يُصَلُّونَ عِنْدَ خَلُوتِهِمْ	إِلَّا صَلَاةً بِغَيْرِ تَطْهِيرِ
/ أَوْحَشَتِ الدَّارُ مِنْ ضِيَانِكَ وَال	بَيْتَ إِلَى مَطْبَخٍ وَتَنُورِ ^(٩)
إِلَى الرُّوَاقِينَ فَالْمَجَالِسُ فَال	مِرْبَدُ مَذْغِبَتِ غَيْرُ مَعْمُورِ ^(١٠)

[٢٠٥/١٤]
٢٨
١٣

[٢٠٦/١٤]

(١) غيطة الليل: التجاج سواده والتباس ظلامه وتراكمه.

(٢) اليعفور: ظبي بلون التراب، يعني قرن كبش شبيه باليعفور.

(٣) صكها: ضربها ضرباً شديداً. المكاسير جمع مكسور، وفي جـ «المساكين» وهو تحريف، يعني: نطحها بقرنه فما لبثت أن صارت في عداد الأشياء المكسورة المهشمة.

(٤) العصر: الدهر، وجمعه أعصار.

(٥) يأسره: لاينه.

(٦) الطومار والطامور: الصحيفة.

(٧) البوس: التقبيل، فارسي معرب باسه ييوسه: وفي جـ «يعنف» وهو تحريف. وفي كتب اللغة: «عانقه: جعل يديه على عنقه وضمه إلى نفسه» وهذا هو المعنى المراد في البيت، وليس فيها بهذا المعنى إلا صيغة «عانق» وقد استعمل الشاعر أعنى بمعنى عانق.

(٨) الرشاء: الحبل، وقد كنى بذلك عما يستقبح ذكره.

(٩) التنور: الكانون يخبز فيه. وهذا البيت في جـ هكذا:

قد أوحشت من ضيائك الدار والبيت إلى مطبخ وتنور

وهو غير مستقيم الوزن.

(١٠) الرواق ككتاب وغراب: سقف في مقدم البيت. والمريد: محبس الإبل، من يد الإبل كنصر ريداً: حبسها.

قلبي حزين عليك إذ بخلت	عليك بالدمع عينُ تنمير ^(١)
إن كان أودي بك الزمان فقد	أبقيت منك الحديد في الدُّور
دع ذكرها واهجُ قرنَ ناطحها	وأسرُد أحاديثه بتفسير ^(٢)
كان حديثي أني اشتريتُ فما اشد	تريت كَبْشاً سليلَ خنزير
فلم أزل بالثَّوى أسمَّنه	والتبن والقَت والأثاجير ^(٣)
أبرُد الماء في القلال له	وأنقي فيه كلَّ محذور ^(٤)
تخدُّمه طولَ كلِّ ليلتها	خدمةً عبدٍ بالذل مأسور
وهي من الثَّيب ما تكلمني الـ	فصيح إلا من بعد تفكير
شمس كأن الظلام ألَّسها	ثوباً من الزفت أو من القير ^(٥)
/ من جلدها خفُّها وبرقعها	حوراء في غير خلقة الحور ^(٦)
فلم يزل يغتذي السرور، وما الـ	محزون في عيشة كمسرور ^(٧)
حتى عدا طوره، وحُقَّ لمن	يكفُر نَعَمِي بِقُرْبِ تغيير
فمذَّقرنيه نحو مسرجة	تُعذُّ في صون كلِّ مذكور
شدَّ عليها بقرن ذي حَنِي	مع دَلْلُظِّ ساح مشهور
وليس يقوى برؤفه جَبَلٌ	صلدٌ من الشَّمخ المذاكير ^(٨)
فكيف تقوى عليه مسرجة	أرقُّ من جواهر القوارير
/ تكسرت كسرة لها المـ	وما صحيح الهوى كمكسور ^(٩)

[٢٠٧/١٤]

٢٩
١٣

(١) الظاهر أن «تنمير» اسم امرأته.

(٢) كلمة «ناطحها» ساقطة من جـ. وفيها أيضاً «وأيسر أحاديثه» وهو تحريف.

(٣) القَت: الرطبة من علف الدواب. والشجير: ثقل كل شيء يعصر، وقد جمعه الشاعر على أثاجير، والظاهر أنه جمع جمع لأثجرة، وأثجرة جمع ثجير.

(٤) القلال: جمع قلة مثل برمة وبرام، وربما قيل: قلل مثل غرفة وغرف.

(٥) استطرد في هذا البيت وما بعده إلى وصف خادمته فقال: إنها كالشمس، يريد في جمالها وإن كانت سوداء. والقير والقار: الزفت، وفي جـ «ثوباً من الوقت» وهو تحريف.

(٦) الحور: شدة سواد العين في شدة بياضها في شدة بياض الجسد، ولا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بياض لون الجسد، ولذا قال: غير خلقة الحور.

(٧) في جـ «فلم يزل يفتد» وهو تحريف.

(٨) الروق: القرن. والصلد: الصلب. والشامخ: المرتفع الشاهق. مذاكير: جمع ذكر على غير قياس، وقد وصفوا بهذا اللفظ يريدون الدلالة على قوة الموصوف وشدة، فقالوا: رجل ذكر أي قوي شجاع. ومطر ذكر أي شديد وابل، وقول ذكر أي رصين، وشعر ذكر أي فحل، وقال الشاعر:

يبرِّح بالذكر الضابط

ما أنت والسير في متلف

أي بالجمل القوي الشديد.

(٩) في جـ: «ولا تكسرت».

فأدركنه شعوبٌ فأنشعبت	بالرُّوع والشَّلُو غير مقتور ^(١)
أديل منه فأدركنه يدٌ	من المنايا بحد مطرور ^(٢)
يلتهب الموت في ظباه كما	تلهب النار في المساعير ^(٣)
/ ومزقته المدي فماتركت	كف القسراً منه غير تعسير ^(٤)
وأغتاله بعد كسرهما قدز	صيره نهزة السنانيير ^(٥)
فمزقت لحمه برائثها	وبذرته أشد تبذير ^(٦)
واختلسته الحداة خلساً مع الـ	غربان لم تزد جز لتكبير ^(٧)
وصار حظ الكلاب أعظمه	تهشم أنحاء بتكسير ^(٨)
كم كاسر نحوه وكاسرة	سلاحها في شفا المناقير ^(٩)
وخامع نحوه وخامعة	سلاحها في شبا الأظافر ^(١٠)
قد جعلت حول شلوه عرساً	بلا أفتقار إلى مزامير
ولا مغنٍ سوى همهاها	إذا تمطت لوارد العير ^(١١)
يا كبش ذق إذ كسرت مسرجتي	لمدية الموت كأس تنحير ^(١٢)
بغيت ظلماً والبغي مصرع من	بغى على أهله بتغيير
أضحيت ما أظن صاحبها	في قسمه لحمها بمساجور

[٢٠٩/١٤] / سرق منه قرطاس فرثاه

أخبرني الحسن بن عليّ الشيباني قال: دخلت على أبي الشبل يوماً فوجدت تحت مخدته ثلث قرطاس،

- (١) شعوب: المنية. وقتر الشيء: ضم بعضه إلى بعض. والرُّوع: القلب. والشَّلُو: الجسد.
- (٢) أداله الله من عدوه: جعل له الغلبة عليه. والطر: تحديد السكين. والتقدير: بحد سكين مطرور.
- (٣) الظبي جمع ظبة، وهي حد السنان ونحوه، استعمل الجمع هنا في موضع المفرد. والمساعير مع مسعار، والمسعار والمسعر: ما سحر به أي أوقد به النار.
- (٤) قراء قرى: أضافه. والتعسير: التضيق، والمراد به هنا القليل، أي أن القرى لم يبق لنا من لحمه إلا اليسير.
- (٥) النهزة: الفرصة. والسنانيير: جمع سنور.
- (٦) برائن: جمع برثن كبير، وهو الكف مع الأصابع.
- (٧) الخلس: الاختلاس.
- (٨) في جد «يهشم الحاهاء» وفي ب، س «يهشم الحاهاء» وهو تحريف.
- (٩) الشفا: حرف كل شيء.
- (١٠) جمع في مشيته كمنع: حرج. والشبا: جمع شباة، وهي حد كل شيء. والأظافر: جمع أظفور لغة في الظفر.
- (١١) همهام: جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر وكل صوت معه بحج. لوارد العير: أي للغير الواردة، والعير: الإبل يحمل الميرة.
- (١٢) نحره نحرأ: ذبحه، وقد ضعفه الشاعر فقال: «تنحير» للشعر.

فسرقته منه ولم يعلم بي، فلما كان بعد أيام جاءني فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلث القرطاس.

فَكَرَّ تَعْتَرِي وَحَزَنٌ طَوِيلٌ وَسَقِيمٌ أَنْحَى عَلَيْهِ الثُّخُولُ
لَيْسَ يَكِي رَسْمًا وَلَا طَلًّا مَحَّ كَمَا تُثَدِّبُ الرُّبَا وَالطُّلُولُ^(١)؛
إِنَّمَا حَزَنُهُ عَلَى ثُلُثٍ كَا نَ لِحَاجَاتِهِ فَعَالَتْهُ غُولُ^(٢)
كَانَ لِلسَّرِّ وَالْأَمَانَةِ وَالْكَتْ مَانُ إِنْ بَاحَ بِالْحَدِيثِ الرُّسُولُ
كَانَ مِثْلَ الْوَكِيلِ فِي كُلِّ سَوْقٍ إِنْ تَلَكَّأَ أَوْ مَلَّ يَوْمًا وَكَيْلُ
كَانَ لِلَّهِمْ إِنْ تَرَكَمَ فِي الصَّد رَ فَلَمْ يُشَفَّ مِنْ عَلِيلٍ غَلِيلُ^(٣)
لَمْ يَكُنْ يَبْتَغِي الْحِجَابَ مِنَ الْحُجَابِ إِنْ قِيلَ لَيْسَ فِيهَا دُخُولُ^(٤)
إِنْ شَكَا حَاجِبًا تَشَدَّدَ فِي الْإِذْ نَ فَلِلْحَاجِبِ الشَّقِيُّ الْعَوِيلُ^(٥)
يُرفَعُ الْخَيْرُ عَنْهُ وَالرِّزْقُ وَالْكَسْ سَوْءٌ فَهُوَ الْمَطْرُودُ وَهُوَ الذَّلِيلُ^(٦)
كَانَ يُنْتَى فِي جَيْبِ كُلِّ فَتَاةٍ دُونَهَا خَنْدَقٌ وَسُورٌ طَوِيلُ^(٧)
يَقِفُ النَّاسُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدُ خَلَّاهُ الْقَصْرَ غَادَةً عُطْبُولُ^(٨)
فَإِذَا أَبْرَزَتْهُ بَاحٌ بِهِ فِي الْ قَصْرِ مَسْكٌ وَعَنْبَرٌ مَعْلُولُ^(٩)
/ وَلَهُ الْحَبُّ وَالْكَرَامَةُ مَمْنٌ بِبَاتِ صَبَا وَالشَّمِّ وَالتَّقْبِيلُ^(١٠)
لَيْسَ كَالْكَاتِبِ الَّذِي بِأَبِي الْخَطَّابِ يُكْنَى قَدْ شَابَهُ التَّطْفِيلُ^(١١)
ذَا كَرِيمٌ يُذْعَى، وَهَذَا طِفْلِي وَهَذَا وَذَا جَمِيعًا دَلِيلُ^(١٢)
ذَاكَ بِالْبُشْرِ وَالْجَمَاعَةِ يُلْقَى وَلِهَذَا الْحِجَابُ وَالتَّنْكِيلُ^(١٣)

(١) محنت الدار: عفت.

(٢) غالته غول: أهلكته هلكة.

(٣) الغليل: حرارة الجوف.

(٤) في جـ «لا يبتغي الحجاب» ولا يستقيم به الوزن.

(٥) إن شكَا حَاجِبًا، أي إن شكوت فيه حَاجِبًا.

(٦) في الأصول: «الحبر عنه والورق» وهو تحريف.

(٧) في س «حبيب» وهو تصحيف.

(٨) المعطول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

(٩) معلول: مضاعف، من العلل كسبب وهو الشرب بعد الشرب تبعاً، وقد عله كضرب ونصر فهو معلول، ومنه قول كعب بن زهير:

* كأنه منهل بالراح معلول *

وفي حديث علي رضي الله عنه: من جزيل عطائك المعلول. وفي جـ «فإذا بررت» وهو تحريف.

(١٠) في جـ «والستم»، وفي بـ، س «واللثم».

(١١) في الأصول: «لأبي الخطاب» وهو تحريف. ويقال: طفل تطفيلًا وتطفل تطفلاً.

(١٢) في ب وس «ذليل»، وهو تصحيف، يعني أن كليهما دليل يتقدم لقضاء حاجة صاحبه، لكنهما يفترقان في مظهرهما، فهذا كريم وهذا طفيلي.

(١٣) في س «والجماعة»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في جـ وبـ.

لم يفد وفدّه الزمان على الأمل سن منه عطف ولا تنويل
 كان مع ذا عدل الشهادة مقبو لا إذا عزّ شاهداً تعدّيل
 وإذا ما ألتوى الهوى بالأليف سن فلم يزع واصلاً موصول^(١)
 فهو الحاكم الذي قولّه يد سن الأليفين جائز مقبول
 فلتسن شئت الزمان به شمد ل دواتي وحان منه رحيل^(٢)
 لقد يماً ما شئت الين والأل فة من صاحب، فصبر جميل^(٣)
 لا تلمني على البكاء عليه إن فقد الخليل خطب جليل

قال: فرددته عليه، وكان أنهم به أبا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة، فقال لي: ويلك، نُجيت^(٤) ووقع أبو الخطاب بلا ذنب، ولو عرفت أنك صاحبها لكان هذا لك، ولكنك قد سلمت.



مركز تحقيقات کتبیه و اسنادی

(١) في الأصول: «فاصلاً»، وهو تحريف، أي فلم يزع محباً حبيب.

(٢) في ب، س «دواتي»، وهو تحريف.

(٣) البين هنا: الوصل.

(٤) في ج «ويلك جيت»، وهو تحريف.

/ أخبار عثث

[٢١١/١٤]

نسبه

كان عَثْثُ أَسْوَدَ مَمْلُوكًا لِمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ، ظَهَرَ لَهُ مِنْهُ طَبِيعٌ وَحُسْنُ أَخْذٍ وَأَدَاءٌ، فَعَلَّمَهُ الْغَنَاءَ، وَخَرَّجَهُ وَأَدَّبَهُ، فَبَرَعَ فِي صِنَاعَتِهِ، وَيَكْنَى أَبَا دُلَيْجَةَ وَكَانَ مَأْبُونًا؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَثْثُ الْأَسْوَدُ، قَالَ: مُخَارِقُ كَنَانِي بِأَبِي دُلَيْجَةَ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنْ أَوَّلَ صَوْتٍ سَمِعْنِي أَغْنِيَهُ:

أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ تَوْصِي بِأَرْمَلَةٍ أُمٍّ مِنْ لَأَشْعَثَ ذِي طَمْرَيْنٍ مِمَّحَالٍ^(١)

فَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا دُلَيْجَةَ، فَقَبَلْتُهَا وَقَبَلْتُ يَدَهُ، وَقُلْتُ: أَنَا يَا سَيِّدِي أَبَا الْمُهْنَاءِ؛ أَتَشْرَفُ بِهَذِهِ الْكُنْيَةِ إِذَا كَانَتْ نِحْلَةً^(٢) مِنْكَ. قَالَ مَيْمُونٌ: وَكَانَ مُخَارِقُ يَشْتَهِي غَنَاءَهُ وَيَحْزَنُهُ إِذَا سَمِعَهُ.

مَا وَقَعَ لَهُ فِي مَجْلِسِ غَنَاءٍ

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بِخَطِّهِ، حَدَّثَنِي يَعْنِي ابْنَ حَمْدُونَ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا مُجْتَمِعِينَ فِي مَنْزِلِ أَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ، وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى الصُّبُوحِ وَمَعَنَا جَعْفَرُ بْنُ الْمَأْمُونِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبُرِ، وَحَضَرْتُ عَرِيبَ وَشَارِيَةَ وَجَوَارِيَهُمَا، وَنَحْنُ فِي أَتَمِّ سُرُورٍ، فَغَنَّتْ بِدَعَا جَارِيَةِ عَرِيبَ:

أَعَاذَلْتِي أَكْثَرَتْ جَهْلًا مِنَ الْعَذْلِ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ مِنْ مَلَامِي وَفِي عَذْلِي

/ وَالصَّنْعَةُ لِعَرِيبٍ؛ وَغَنَّتْ عِرْفَانَ:

[٢١٢/١٤]

إِذَا رَامَ قَلْبِي هَجَرَ مَا حَالَ دُونَهُ شَفِيعَانِ مِنْ قَلْبِي لَهَا جَدِيلَانِ

وَالْغَنَاءُ لَشَارِيَةَ، وَكَانَ أَهْلُ الظَّرْفِ وَالْمَتَعَانُونَ^(٣) فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ صَنَفَيْنِ: عَرَبِيَّةٌ وَشَارِيَّةٌ^(٤)، / فَمَالَ كُلُّ حَزْبٍ إِلَى ٣١/١٣
مَنْ يَتَعَصَّبُ لَهُ مِنْهُمَا مِنَ الْإِسْتِحْسَانِ وَالطَّرِبِ وَالْإِقْتِرَاحِ، وَعَرِيبٌ وَشَارِيَةُ سَاكِتَتَانِ لَا تَنْتَظِقَانِ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ جَوَارِيهِمَا تَغْنِي صِنْعَةً سِتْهَا لَا تَتَجَاوَزُهَا، حَتَّى غَنَّتْ عِرْفَانَ:

بِأَبِي مَنْ زَارَنِي فِي مَنَامِي فَدَنَا مَنِّي وَفِيهِ نِفَارٌ

فَأَحْسَنْتُ مَا شَاءَتْ، وَشَرَبْنَا جَمِيعًا، فَلَمَّا أَمْسَكْتُ قَالَتْ عَرِيبُ لَشَارِيَةَ: يَا أُخْتِي لِمَنْ هَذَا اللَّحْنُ؟ قَالَتْ: لِي، كُنْتُ صَنَعْتُهُ فِي حَيَاةِ سَيِّدِي، تَعْنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ، وَغَنِّيَتْهُ إِيَّاهُ فَاسْتَحْسَنَهُ، وَعَرَضَهُ عَلَى إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ فَاسْتَحْسَنُوهُ،

(١) الْبَيْتُ لِأَوْسٍ. وَفِي ب «أَمْ لَأَشْعَثَ»، وَفِي س «لَمْ تَوْصِي أَمْ لَأَشْعَثَ» وَفِيهِ تَحْرِيفٌ وَسَقَطٌ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ ج. وَالْأَشْعَثُ: الْمَغْبِرُ، الرَّاسُ. وَالطَّمْرُ: الثَّوْبُ الْخَلْقُ. مِمَّحَالٌ: مِنَ الْمَحَلِّ، وَهُوَ الْجَدْبُ.

(٢) النِّحْلَةُ: الْعَطِيَّةُ.

(٣) فِي ج: «وَالْمَتَعَانُونَ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) فِي الْأَصُولِ: «وَشَرِيَّةٌ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

فَأَسْكَنْتُ^(١) عَرِيبٌ، ثُمَّ قَالَتْ لِأَبِي عَيْسَى: أَحَبُّ يَا بَنِيَّ^(٢) - فَدَيْتُكَ - أَنْ تَبْعَثَ إِلَى عَثْعَثَ فَتَجِئَنِي بِهِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ، فَحَضَرَ وَجَلَسَ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ وَشَرِبَ وَغَنَى، قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا دَلِيجَةَ أَوْ تَذَكَّرْ صَوْتَ زَبِيرِ بْنِ دَحْمَانَ عِنْدِي وَأَنْتَ حَاضِرٌ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَطْرَحَهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: وَهَلْ تَنْسَى الْعَذْرَاءَ أَبَا عُدْرَهَا^(٣)، نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَذَاكِرُهُ حَتَّى كَأَنَّا أَمْسَ [٢١٣/١٤] أَفْتَرَقْنَا عَنْهُ. قَالَتْ: فَغَنَتْ، فَاَنْدَفَعَ فَغَنَى الصَّوْتَ الَّذِي أَدْعَتْهُ شَارِيَةَ حَتَّى اسْتَوْفَاهُ / وَتَضَاحَكْتُ عَرِيبٌ، ثُمَّ قَالَتْ لَجَوَارِيهَا: خُذُوا فِي الْحَقِّ، وَدَعُونَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَغَنُوا الْغَنَاءَ الْقَدِيمَ. فَغَنَّتْ بِدَعَا وَسَائِرِ جَوَارِي عَرِيبٍ، وَخَجَلَتْ شَارِيَةَ وَأَطْرَقَتْ وَظَهَرَ الْانْكَسَارُ فِيهَا، وَلَمْ تَتَنَفَّعْ هِيَ يَوْمَئِذٍ بِنَفْسِهَا، وَلَا أَحَدٌ مِنْ جَوَارِيهَا وَلَا مَتَعَصِبِيهَا أَيْضاً بِأَنْفُسِهِمْ.

غنائوه في مجلس المتوكل

قال: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمْدُونَ قَالَ: قَالَ لِي عَثْعَثُ الْأَسْوَدُ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمُتَوَكِّلِ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ وَأَبْنُ الْمَارْقِيِّ يَغْنِيهِ قَوْلُهُ:

أَقَاتَلْتَنِي بِالْجَيِّدِ وَالْقَدِّ وَالْخَدِّ وَيَالِلَوْنِ فِي وَجْهِ أَرْقٍ مِنَ الْوَرْدِ

وهو على البركة جالس، قد طرب واستعاده الصوت مراراً وأقبل عليه، فجلست ساعة ثم قمت لأبول، فصنعت هزجاً في شعر البحري الذي يصف فيه البركة:

صوت

إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءً رَكِبْتَ فِيهَا
وإن عَلَتْهَا الصَّبَا أَبَدْتَ لَهَا حُبَّكَ مِثْلَ الْجَوَاشِنِ مُصْقُولًا حَوَاشِيَهَا^(٤)
وَزَادَهَا زِينَةً مِنْ بَعْدِ زِينَتِهَا أَنْ اسْمَهُ يَوْمَ يُدْعَى مِنْ أَسْمَائِهَا

فَمَا سَكَتَ ابْنُ الْمَارْقِيِّ سَكُوتًا مُسْتَوْجِبًا حَتَّى أُنْدَفَعْتُ أَغْنَى هَذَا الصَّوْتَ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي، أَعِذْ، فَأَعْدْتُ، فَشَرِبَ قَدْحًا، وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعِيدُّنِي وَيَشْرِبُ حَتَّى انْكَأ، ثُمَّ قَالَ لِلْفَتْح: بِحَيَاتِي أَدْفَعُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخِلْعَةً تَامَةً وَأَحْمِلْهُ عَلَى شَهْرِي^(٥) فَأَرِهْ بِسَرِّجِهِ وَلِجَامِهِ، فَانْصَرَفْتُ بِذَلِكَ أَجْمَعُ.

/ نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

[٢١٤/١٤]

صوت

أَعَاذِلْتَنِي أَكْثَرَتْ جَهْلًا مِنَ الْعَذْلِ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ مِنْ مَلَامِي وَلَا عَذْلِي

(١) يقال: تَكَلَّمَ ثُمَّ سَكَتَ بِغَيْرِ أَلْفٍ، فَإِذَا انْقَطَعَ كَلَامُهُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ قِيلَ اسْكُتَ.

(٢) هكذا في جـ. وفي ب، س: «بأبي فديتك».

(٣) العذرة بالضم: البكارة، وهو أبو عذرها وأبو عذرتها: إذا كان قد افترضها.

(٤) الصبا: الريح تهب من مطلع الشمس. والحبك: التكرار الذي يبدو على الماء إذا مرت به الريح. والجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع.

(٥) الشهيرة: ضرب من البراذين. الفاره: الجيد السير.

٣٢
١٣

/ نَأَيْتَ فَلَمْ يُحْدِثْ لِي النَّاسُ سَلْوَةً ولم أَلِفْ طول [النأي] (١) عن خُلة يُسْلِي
عَرُوضَهُ مِنَ الطَّوِيلِ، الشعرَ لَجَمِيلٍ، والغناءَ لَعَرِيبٍ، ثَقِيلَ أَوَّلِ بالبَنْصَرِ، ومنها:

صوت

إِذَا رَامَ قَلْبِي هَجِيرَهَا حَسَالَ دُونَهُ شَفِيعَانِ مِنْ قَلْبِي لَهَا جَدِلَانِ
إِذَا قُلْتُ لَا، قَالَا بَلَى، ثُمَّ أَصْبَحَا جَمِيعاً عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَرِيَانِ
عَرُوضَهُ مِنَ الطَّوِيلِ، وَالنَّاسُ يَنْسُبُونَ هَذَا الشَّعْرَ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ، وَلَيْسَ لَهُ.

الشعر لعلي بن عمرو الأنصاري، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بسرَّ مَنْ رَأَى كَالْمَنْقَطَعِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، وَالْغِنَاءَ لَشَارِيَّةٍ، ثَقِيلَ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى، وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ صِنْعَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَنَحَلَهَا إِيَّاهُ، وَفِيهِ لَعَرِيبٌ خَفِيفٌ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ.

ومنها:

صوت

بَابِي مِنْ زَارَنِي فِي مَنَامِي فَدَنِيَا مَنِّي وَفِيهِ نِفَارُ
لَيْلَةً بَعْدَ طُلُوعِ الثُّرَيَّا وَلِبَالِي الصَّيْفِ بَثْرَ قِصَارِ
قُلْتُ هُلْكَسِي أَمْ صِلَاحِي فَعَطَفَا دُونَ هَذَا مِنْكَ فِيهِ الدَّمَارُ
فَدَنِيَا مَنِّي وَأَعْطَى وَأَرْضَى وَشَفَى شُقْمِي وَلَدَّ الْمَزَارُ

/ لَمْ يَقَعْ إِلَيْنَا لِمَنِ الشَّعْرُ، وَالْغِنَاءُ لَزَبِيرِ بْنِ دَحْمَانَ، ثَقِيلَ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى، وَهُوَ مِنْ جَيْدِ صِنْعَتِهِ وَصُدُورِ أَغَانِيهِ. [٢١٥/١٤]

خُناؤُهُ فِي شَعْرٍ

أَخْبَرَنِي ابْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ طَيِّفُورٍ قَالَ: كَتَبَ صَدِيقٌ لِأَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ الْكَاتِبِ فِي يَوْمٍ دَجَنٍ: «يَوْمُنَا يَوْمٌ ظَرِيفُ النَّوَاةِ، رَفِيقُ الْحَوَاشِي، قَدْ رَعَدَتْ سَمَاوُهُ وَبَرَقَتْ، وَحَنَّتْ وَأَرْجَحَنْتَ (٢)، وَأَنْتَ قَطْبُ السَّرُورِ، وَنِظَامُ الْأُمُورِ، فَلَا تُفَرِّدُنَا مِنْكَ فَنَقِلَ، وَلَا تَنْفَرُدْنَا عَنَّْا فَنَذَلْ، فَإِنَّ الْمَرْءَ بِأَخِيهِ كَثِيرٌ، وَبِمَسَاعِدَتِهِ جَدِيرٌ». قَالَ: فَصَارَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ إِلَى الرَّجُلِ، وَحَضَرَهُمْ عَثَعْتُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَقَالَ أَحْمَدُ:

صوت

أَرَى غَيْمًا يُولُفُهُ جَنُوبُ وَأَحْسِبُهُ سَيَاتِينَا بِهِطَلِ
فَمِنْ الرَّأْيِ أَنْ تَأْتِي بِرِطَلِ فَتَشْرِبَهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطَلِ

(١) هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهَا سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصُولِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ «نَأَيْتَ» فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ. وَفِي ب، س: «طَوَلَا». الْخَلَّةُ: الْخَلِيلَةُ.

(٢) أَرْجَحَنَ السَّحَابَ: مَالَ مِنْ ثَقْلِهِ.

وتسقيه ندامانا جميعاً
 فينصرفون عنه بغير عقل
 فيوم الغيم يوم الغم^(١) إن لم
 تبادر بالمُدّامة كلّ شغل
 ولا تُكْرِه محرّمها عليها
 فلأني لا أراه لها بأهل
 قال: وغنى فيه عثت اللحن المشهور الذي يغنى به اليوم.

/ صوت

[٢١٦/١٤]

تري الجنّد والأعراب يغشون بابَه
 كما وردت ماء الكلاب هوامل^(٢)
 إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحباً
 لجؤوا الدار حتى يقتل الجوع قاتله
^{٣٣}/_{١٣} عروضة من الطويل. الهوامل: التي لا رعاء لها، ولجؤا: أدخلوا، يقال: ولج يلج ولجاً. وقوله: / «حتى يقتل الجوع قاتله»: أي يطعمكم فيذهب جوعكم، جعل الشبع قاتلاً للجوع.
 الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.



مركز تحفة تكملة تكملة تكملة

(١) في الأصول: «الغيم» وهو تحريف.

(٢) هوامل: جمع هامل، وهي المسيبة لا راعي لها. والكلاب: يوم من أيام العرب المشهورة.

[٢١٧/١٤]

/ أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه

نسبه

عبد الله بن الزبير بن الأشم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنْقِذ بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان^(١) بن أسد بن خزيمة.

أخبرني بذلك أحمد عن الخزاز عن ابن الأعرابي؛ وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأموية، وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب والثُصرة على عدوهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً فمَنَّ عليه ووصله وأحسن إليه، فمدحه وأكثر، وأنقطع إليه، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب، ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ويكنى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعني نفسه:

فقال: ما فعلت أبا كثير أصبح الودَّ أم أخلفت بعدي؟^(٢)

وهو أحد الهجائين للناس، المرهوب شرهم.

خبره مع عبد الرحمن بن أم الحكم

قال ابن الأعرابي: كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشيم، من رَهْط عبد الله بن الزبير ذنية^(٣)، فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافداً إلى معاوية، ومعه ابن الزبير ورفيқан / له من بني [٢١٨/١٤] أسد، يقال لأحدهما أكل^(٤) بن ربيعة من بني جذيمة^(٥) بن مالك بن نصر بن قُعين، وعدي بن الحرث أحد بني العِدان^(٦) من بني نصر، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزبير: خذ من بني عمك ديتين لقتيلك، فأبى ابن

(١) في الأصول «داود» وهو تحريف، والتصويب عن «العقد الفريد» ٢: ٤٧.

(٢) سيرد هذا البيت بعد، وآخره: «أم أخلفت عهدي».

(٣) ذنية: لَحَا.

(٤) كذا في الأصول: «أكل»، ولعله «أكيل» كزبير أو «أكتل» كأحمد، وقد سمت بهما العرب، جاء في «تاج العروس» مستدرك مادة أكل: «وكزبير أكيل أبو حكيم مؤذن مسجد إبراهيم النخعي، وموسى بن أكيل روى عنه إسماعيل بن أبان الوراق» وجاء في «تاج العروس»: «أكتل: لص من لصوص البادية، قال الشاعر:

إن بهما أكتل أو رزاما خويرين ينفقان الهاما

وأكتل بن الشماخ العكلي، شهد الجسر مع أبي عبيدة، محدث حدث عنه الشعبي».

(٥) في الأصول: «خزيمة» وهو تحريف.

(٦) في ب، س «العدان» وهو تحريف وصوابه «العدان» وفي «تاج العروس» مستدرك مادة عدن: والعدان: قبيلة من بني أسد، وقد جاء في قصيدة لزهير بن أبي سلمى في مدح سنان بن أبي حارثة المري:

فلست بتسارك ذكرى سليمى وتشيني بأخت بني العدان

انظر «شرح ديوان زهير لأبي العباس ثعلب» ص ٣٠٥ طبع دار الكتب.

الزبير، وكان أبْن أم الحكم يميل إلى أهل القتال، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فَيَاض، فخالف أبْن الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية، فعاذ به، فأعاده وقام بأمره، وأمره^(١) يزيد بأن يهجو أبْن أم الحكم، وكان يزيد يُبغضه ويتقصه ويعيبه، فقال فيه أبْن الزبير قصيدةً أولها قوله:

أَبَى اللَّيْلُ بِالْمَرَّانِ أَنْ يَتَصَرَّمَا كَأَنِّي أَسُومُ الْعَيْنَ نَوْعاً مُحَرَّمَا^(٢)
 / وَرُدُّهُ بِشَيْئِهِ كَأَنْ نَجُومَهُ صَوَارُ تَنَاهَى مِنْ إِرَانٍ فَقُومَا^(٣)
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي أَمُصُّ بَنَاتِ الدَّرِّ ثُدِيّاً مُصَرَّمَا^(٤)
 وَمَسُوقٌ نَسَاءً يَسْلُبُونَ ثِيَابَهَا يُهَادُونَهَا هَمْدَانٌ رِقّاً وَخَشَعَمَا^(٥)
 عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَا لَوْثِيَّ بْنَ غَالِبٍ تُجَيِّبُونَ مَنْ أَجْرَى عَلَيَّ وَالْجَمَا^(٦)
 وَهَاتُوا فَقُصُّوا آيَةً تَقْرَأُ وَنَهَا أَحَلَّتْ بِلَادِي أَنْ تَبَاحَ وَتُظْلَمَا
 وَإِلَّا فَأَقْصَى اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَوَلَّى كَثِيرَ اللُّؤْمِ مَنْ كَانَ الْأَمَا^(٧)
 وَقَدْ شَهِدْتُنَا مِنْ ثَقِيفٍ رَضَاعَةً وَغَيَّبَ عَنْهَا الْحَوْمَ قُؤَامٌ زَمَزَمَا^(٨)
 / بَنُو هَاشِمٍ لَوْ صَادَفُوكَ تَجُدُّهَا مَجَجْتَ وَلَمْ تَمْلِكْ حَيَازِيْمَكَ الدَّمَا^(٩)
 سَتَعْلَمُ إِنْ زَلَّكَ بِكَ النُّعْلُ زَلَّةً وَكَلَّ أَمْرِيءَ لَاقِيِ الَّذِي كَانَ قَدَّمَا

[٢١٩/١٤]

[٢٢٠/١٤]

٣٤
١٣

- (١) في ب، س «وأمر».
- (٢) مران: موضع على ليلتين من مكة على طريق البصرة. يتصرم: ينقضي. أسوم: أكلف.
- (٣) ثيا الحبل: طرفاه. الصوار ككتاب وغراب: القطيع من البقر. تناهى الشيء: بلغ نهايته. الإران: النشاط. فقوما: جاء في كتب اللغة: قامت به دابته: إذا كلت وأعيت فوقفت ولم تسر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين، ولعل «قوم» في البيت من ذاك، فهي مضعف قام بهذا المعنى، والتضعيف للتكثير كما في طَوْفَ وَجَوْلَ وَمَوْتَ وَحَوْمَ...
- (٤) الدر: اللبن. ويقال: ناقة مصرمة، وذلك أن يقطع ضرعها فلا يخرج اللبن، وهو أقوى لها، أو أن يصيب ضرعها شيء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبداً. ثدياً: بدل من بنات الدر، أي أمص بنات الدر ثدياً مصراً منها.
- (٥) في ب وس «تهب دونها» وفي ج «تهبدونها» بوصل الكلمتين ولعل الصواب ما أثبتنا. يهادونها أي يهدونها. الرق: العبودية. همدان وخشم: قبيلتان كبيرتان من عرب اليمن من بني كهلان. والمعنى: يهدونهن رقيقات إلى همدان وخشم.
- (٦) لؤي بن غالب: يعني معاوية وعشيرته، فهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو قريش. أجرى أي أجرى الخيل للغارة عليّ.
- (٧) فأقصى أي أبعد. وفي الأصول «فأقصى» وهو تصحيف.
- (٨) قوام أي القائمون على زمزم، المتولون سقاية الحاج منها، وزمزم: بئر بمكة أنبع الله عينها لإسماعيل وأمه هاجر حين أسكنهما إبراهيم مكة، ثم طمت تلك البئر وما زالت مطمومة إلى زمن عبد المطلب بن هاشم، فأناته آت وهو نائم بالحجر فأمره بحفرها فحفرها وأقام سقاية زمزم للحاج، وكانت السقاية في الجاهلية بيد ابنه أبي طالب، ثم سلمها إلى أخيه العباس.
- يقول: إن لنا رضاعة في ثقيف - وقد كان والد عبد الرحمن المذكور من ثقيف كما سيأتي بعد - أي أنه يجمعني وإياك أخوة رضاعة وصلة ماسة كان جديراً بك أن تقدّرها وترعاها، ثم عطف فقال: وقد نفى الدنس والنقص عن تلك الرضاعة أشرف بني هاشم القائمون على زمزم.
- (٩) تجدها: تقطعها. صادفه: وجده ولقيه، مججت: من مَجَّ الشراب من فيه: رماه. حيازيم: جمع حيزوم: وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام. يقول: إن بني هاشم لو وجدوك تقطع هذه العلاقة التي تربطني بك، أي لو وجدوك تعدو عليّ ولا ترعى حتى صلتني بك لأراقوا دمك ولم تشدد حيازيمك حيالهم.

بأنك قد ماطلت أنياب حية
وكم من عدو قد أراد مساءتي
وانتم بني حام بن نوح أرى لكم
فلان قلت خالي من قريش فلم أجد
صغيراً أضغاف في خرقه فأمضه
رأى جلدة من آل حام متينة
وكتتم سقيطاً في ثقيف، مكانكم
تزجي بعينها شجاعاً وأرقماً^(١)
بغيب ولو لاقته لتندماً
شفهاً كأذناب المشاجر ورماً^(٢)
من الناس شراً من أيك والاماً^(٣)
مريته حتى إذ أهتم وأفطماً^(٤)
ورأساً كأمثال الجريب مؤوماً^(٥)
بني العبد، لا توفي دماؤكمودماً^(٦)

/ شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة

[٢٢١/١٤]

قال ابن الأعرابي: ثم عزل ابن أم الحكم عن الكوفة، ووليها عبيد الله^(٧) بن زياد، فقال ابن الزبير:
أبلغ عبيد الله عني فلانني
على قفرة إذ هابه الوفد كلهم
وكان يماري من يزيد بوقعة
فتقصيه من ميراث حرب ورفعته
وأصبح لما أسلمته جبالهم
رميث ابن عوذ إذ بدت لي مقاتلة^(٨)
ولم أك أشوي القرن حين أناضله^(٩)
فما زال حتى استدرجته حباله^(١٠)
وأل إلى ما ورثته أوائله^(١١)
ككلب القطار حل عنه جلاجله

ونسخت من كتاب جذي لأمي يحيى بن محمد بن ثوبة، قال يحيى بن حازم وحدثنا علي بن صالح صاحب
المصلى عن القاسم بن معدان: أن عبد الرحمن بن أم الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسدي لما بلغه أنه

(١) عني بالحية نفسه، تزجي: تسوق. والشجاع كغراب وكتاب: الحية أو الذكر منها، وجمعه شجاعان بالكسر والضم. والأرقم: أخبث
الحيات، أو ما فيه سواد وبياض، أو ذكر الحيات. يقول: ستعلم عندئذ أنك قد تعرضت لمعاداة رجل مرهوب جانبه، مخشي
بأسه، كالحية، له نصراء يؤازرونه من عشيرته أمثال الشجاعان والأراقم.

(٢) المشاجر: جمع مشجر (بكسر الميم وفتحها)، وهو عود اليهودج. ورّم: جمع ورامة.

(٣) أبوه هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفي.

(٤) ضفا: صاح وضج. أمضه: ألمه وشق عليه. أهتم، أي أهم آله وذويه، أي بلغ مبلغاً جعلهم يهتمون له ويتعلقون به. أفطم: حان أن
يفطم، وفي جـ «حتى إذا لهم أفطم» وهو تحريف.

(٥) الجريب: مكبال قدر أربعة أقدرة. المؤوم: العظيم الرأس أو المشوه.

(٦) السقيط: الأحق ناقص العقل. وجاء في «مستدرک» (سقط) في «تاج العروس»: وقوم سقاط بالكسر جمع ساقط كنائم ونيام
وسقيط وسقاط كطويل وطوال.

(٧) ولي معاوية عبد الرحمن الكوفة بعد عزل الضحاك بن قيس سنة ٥٨ هـ ثم عزله عنها سنة ٥٩ هـ واستعمل عليها النعمان بن بشير
الأنصاري، ومات معاوية سنة ٦٠ وولى ابنه يزيد الخلافة، وبقي النعمان والياً على الكوفة، فلما كاتب أهلها الحسين رضي الله عنه
ليبايعوه بالخلافة وبعث إليهم مسلم بن عقيل، بعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد وكان على البصرة فولاه الكوفة مع البصرة.

(٨) من أسمائهم «عوذ» والمفهوم هنا أن «ابن عوذ» كنية عبد الرحمن.

(٩) في ب وس «أنوي القرن حتى»، وهو تحريف.

(١٠) في ب، س «من يريد»، وهو تصحيف صوابه «من يزيد» وهو يزيد بن معاوية.

(١١) في جـ «فتقصيه ميراث»، وهو تحريف.

هجاه، فهَدَم داره، فأَتى معاوية فشكاه إليه، فقال له: كم كانت قيمة دارك؟ فاستشهد أسماء بن خارجة، وقال له: [٢٢٢/١٤] سَلَّه عنها؛ فسأله؛ فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها، / ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج^(١)، فأمر له معاوية باللف^(٢) درهم، قال: وإنما شهد له أسماء كذلك ليُرفده^(٣) عند معاوية، ولم تكن داره إلا خصاص قَصَب.

وكان عبد الرحمن بن أم الحَكَمَ لما وَلِيَ الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركته يسأل إلحافاً، وينفق إسرافاً، وكان محمقاً^(٤)، ولأه معاوية خاله عدة أعمال، فذمه أهلها وتظلموا منه، فعزله وأطرحه^(٥)، وقال له: يا بُني، قد جَهِدْتُ أن أنفِّقك^(٦) وأنت تزدد كساداً.

[٢٢٣/١٤] / وقالت له أخته أم الحَكَمَ بنت أبي سفيان بن حرب: يا أخي، زَوِّج أبنِي بعض بناتِكَ؛ فقال: ليس لهن بكفء؛ فقالت له: زَوِّجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أُخْتِي، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حيثُ يشتبه الزَّيْبُ، وقد كثر الآن الزَّيْبُ^(٧) عندنا، فلن نزوِّج إلا كُفْتاً.

خبره مع عمرو بن عثمان بن عفان

حدَّثنا الحسن بن الطَّيِّب البَلْخِي قال: حدَّثني أبو غَسَّان قال: بلغني أن أول من أخذ بعينه^(٨) في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتاه عبد الله بن الزَّيْبِر الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثاً، فدعا وكيله وقال: اقْتَرِضْ لَنَا مالاً؛ فقال: هيهات! / ما يعطينا التجار شيئاً. قال: فَأَرَبْهُمْ^(٩) ما شاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم، وثانياً عشرة آلاف، فوجَّه بها إليه مع تحت^(١٠) ثياب، فقال عبد الله بن الزَّيْبِر في ذلك:

(١) الساج: خشب يجلب من الهند، أسود رزين يشبه الأبنوس، وهو أقل سواداً منه، ولا تكاد الأرض تبليه.
(٢) هكذا في الأصول. وهو غير ظاهر؛ وقد تكررت هذه القصة في آخر الترجمة، وفيها: «... أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة ففعلت ... وأمر معاوية له بها».
(٣) الإرفاد: الإعانة.

(٤) أي ينسب إلى الحمق. وفي ب، س «وكان مخفاً» وهو تحريف، والتصويب عن ط.
(٥) جاء في «تاريخ الطبري» ٦: ١٧٤ «استعمله معاوية على الكوفة فأساء السيرة فيهم فطردوه، فلحق بمعاوية وهو خاله، فقال له: أوليك خيراً منها، مصر، فولاه فتوجه إليها، وبلغ معاوية بن حديج الخبر، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر فقال: ارجع إلى خالك فلمعري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة، فرجع إلى معاوية، وأقبل معاوية بن حديج وافداً، وكان إذا جاء صريت له قباب الرياح، فدخل على معاوية وعنده أم الحَكَمَ، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بنح، هذا معاوية بن حديج، قالت: لا مرحباً به «نسمع بالمعيدي خير من أن تراه» فقال: على رسلك يا أم الحَكَمَ، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي أبنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، ما كان الله ليبريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً بظأطى منه، وإن كره ذلك الجالس، فالتفت إليها معاوية فقال: كفى».

(٦) جهد كمنع: جد. ونفق السلعة: روجها.
(٧) تقدَّم أن أبا عبد الرحمن من ثقيف، وكانت ثقيف تنزل بالطائف، وفي الطائف تكثر البساتين وكروم العنب، ولذا كان الزَّيْبِر فيها كثيراً، وقد ذكروا أن الحجاج الثقفي كان أول أمره يبيع الزَّيْبِر بالطائف. يقول: حسبنا ما كان من مصاهرة أبي سفيان ثقيفاً، ولسنا نرغب بعد في مصاهرتهم.

(٨) العينة: الربا.

(٩) في جـ: «فأربحوها» وهو تحريف.

(١٠) التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تُمنن وإن هي جَلَّتْ^(١)
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زَلَّتْ
راى خلّتي من حيث يخفى مكانها فكانت قَدَى عينه حتى تجلّت^(٢)

/ مدحه أسماء بن خارجة

[٢٢٤/١٤]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال: حدّثني أحمد بن عرفة المؤدّب قال: أخبرني أبو المصباح^(٣)
عادية بن المصباح السلولي قال: أخبرني أبي قال: كان عبد الله بن الزبير الأسدي قد مدح أسماء^(٤) بن خارجة
الفزاري فقال:

صوت

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت نائلة^(٥)
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليثق الله سائله
فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه، فغضب وقال يهجو:

بنت لكم هنداً بتلذيع بظورها دكاكين من حصص عليها المجالس^(٦)
فوالله لولا زهر هند يظورها لعُدّ أبوها في اللثام العوايس^(٧)

/ قبل ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذر من فعله بضيقه شكاه، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة^(٨) في كل [٢٢٥/١٤]
سنة، واقتطعه جنتيه، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله. وكان أسماء يقول لبيه: والله ما رأيت قط جصاً في بناء ولا
غيره إلا ذكرت بظُر أمكم هند فحجلت.

حبسه ابن أم الحكم وشعره

(١) جاء في «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣: ١٤٧ طبع النهضة أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي، وأن عمراً المذكور في
البيت هو عمرو بن مسعدة، قال: «وكان بين عمرو بن مسعدة وبين إبراهيم بن العباس الصولي مودة، فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب
البطالة في بعض الأوقات، فبعث له عمرو مالاً، فكتب إليه إبراهيم الأبيات.

(٢) الخلة: الحاجة والفقر. والقذى: ما يقع في العين.

(٣) في الأصول: «أبو المصباح» وهو مصحف وصوابه «أبو المصباح» وهو من كنى العرب، كنى بها أعشى همدان الشاعر الأموي.

(٤) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري.

(٥) تهلل وجهه: تلالأ. نائله: أخذه. ويرى «أنت سائله» أي سائله إياه. والمعروف والمشهور أن البيت الأول لزهير بن أبي سلمى في
مدح حصن بن حذيفة بن بدر جد أسماء من قصيدته التي مطلعها:

صحبا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعزى أفراس الصبا ورواحله

وأن البيت الثاني لأبي تمام في مدح المعتصم من قصيدته التي مطلعها:

أجل أيها الربيع الذي خف أهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

(٦) كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر... يريد أن
هنداً بزواجها من بشر أخي الخليفة عبد الملك بن مروان رفعت من قدر أهلها وهيأت لهم مجالس الشرف والرفعة.

(٧) رهزها: حركتها عند الجماع. وفي جد «زهد» وهو تحريف. وفي هذا البيت إقواء.

(٨) الوظيفة: ما يقدر من رزق.

أخبرني عمي عن ابن مهُرُويَّة، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابي قال: حبس ابنُ أُمِّ الحَكَم عبدَ الله بنَ الزَّبير وهو أمير في جناية وضَعَهَا عليه، وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إِيَّاه، فاستغاث بأسماء بنِ خارقة، فلم يزل يَلطُف في أمره، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابنِ أُمِّ الحَكَم في أمره حتى يخلِّصَه، فأطلق^(١) شفاعته، وكساه أسماءً ووصله وجعل له ولعياله جِراية^(٢) دائمةً من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزَّبير، يقول فيها:

ألم تر أن الجُودَ أرسَلَ فانتَقى
تخيَّر أسماءَ بنَ حصنٍ فبطنت
ولا مجدداً إلا مجدداً أسماءَ فوقه
/ ومحتملٍ ضغننا لأسماءَ لو جرى
عَوَى يستجيشُ النابحاتِ وإنما
وأفصرَ عن مجرةِ أسماءَ سعيه
وفضَّل أسماءَ بنَ حصنٍ عليهم
فَمَن مثْلُ أسماءَ بنِ حصنٍ إذا غدت
/ وكنت إذا لاقيت منهم حَطيطةً
تَضَيِّقُه غَمانُ يَرجسونَ سَيِّبه
/ فتى لا يزال الدهر ما عاش مُخَصِّباً
فأصبح: ما في الأرض خلقٌ علمته

[٢٢٦/١٤]

٣٦
١٣

[٢٢٧/١٤]

(١) أي قبل شفاعته إطلاقاً لم يقيداً بقيد ولم يعتل فيها باستثناء.

(٢) الجراية: الجاري من الوظائف.

(٣) انتقى: اختار. اتلى: أقم.

(٤) في س: «أسماء بن حفص» وهو تحريف.

(٥) في ب وس «ضغنا» وهو تحريف. والسجل: الجري. أبجل: جمع أبجل، وهو عرق في باطن الذراع. والمعنى: لو جرى بشوطين من جري أسماء، لأعيا وأنهر.

(٦) يستجيش النابحات: أي يستمد الكلاب النابحات. الصفا: جمع صفاة، وهي الحجر الصلد الضخم. والمعنى أنه لا ينال منه ولا يؤثر فيه إلا كما يؤثر العاض على الصم الصلاب، وهو كقول الأعشى:

كناطح صخرة يرمأ ليوهها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٧) حسيراً: كليلاً.

(٨) النائل: العطاء.

(٩) غدت: بكرت. والشايب: جمع شوبوب، وهو الدفعة من المطر.

(١٠) أبو حسان: كنية أسماء. أصائل: جمع أصيل، وهو العشي. تندى أصائله، أي يندى في الأصائل. والحطيطة: البخس.

(١١) أصله تنضيقه أي تنزل عليه ضيفاً. والسيب: العطاء. الأحوش: جماعة الجش، وفي ب، س: «أجوشة». والمقاول: جمع مقول، وهو الملك من ملوك حمير، أو هو دون الملك الأعلى.

(١٢) الراحلة: المركب من الإبل ذكراً أو أنثى. وخدي البعير خدياً وخدياناً: أسرع وزج بقوائمه. وفي ج: «بالمومات» بناء مفتوحة، وفي ب وس: «بالموتان» وهو تحريف. والمومة: المقازة.

(١٣) طاله: فاقه في الطول.

تراه إذا ما جئته متهللاً
تري الجنّد والأعراب يغشّون بابه
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحباً
تسرى البازل البُخْتِيّ فوق خوانه
إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي
تراهم كثيراً حين يغشّون بابه
كأنك تعطيه الذي أنت سائله
كما وردت ماء الكلاب نواهلّه
لجؤ الباب حتى يقتل الجوع قاتله
مقطّعة أعضاؤه ومفاصله^(١)
تحلب كفاه الندى وأنامله
فتسترهم جذرائه ومنازلّه

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

شعره بين يدي عبيد الله بن زياد

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا العباس بن ميمون طائع قال: حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عباس، وقال ابن الأعرابي أيضاً: دخل عبد الله بن الزبير على عبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشام، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

حُتّ قُلُوصِي وَهَنًا بَعْدَ هَذَا تَهَا
حُتّ إِلَى خَيْرٍ مِّنْ حُتِّ الْمُطَيِّ لَه
تَذَكَّرْتُ بِقُرَى الْبَلَقَاءِ نَائِلَه
وَالله مَا كَانَ بِي لَوْلَا زيارَتَه
حُتّ لَتَرْجِعْنِي خَلْفِي فَقُلْتُ لَهَا
لَا يَحْسِبُ الشَّرَّ جَاراً لَا يَفَارِقَه
مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ عَلِمْنَاهُ وَأَكْرَمَه
فَهَيَّجْتُ مَغْرَمًا صَبًّا عَلَى الطَّرَبِ^(٢)
كَالْبَدْرِ بَيْنَ أَبِي سَفِيَّانٍ وَالْعُتْبِ
لَقَدْ تَذَكَّرْتُه مِنْ نَازِحٍ عَزَبِ^(٣)
وَأَنْ أَلَا قِيَّ أَبَا حَسَّانٍ مِنْ أَرْبِ
هَذَا أَمَامَكَ فَالْقَيْهَ فَتَى الْعَرَبِ
وَلَا يَعَاقِبُ عِنْدَ الْحِلْمِ بِالْغَضَبِ
كَانَتْ دِمَاؤُهُمْ تُشْفَى مِنَ الْكَلْبِ^(٤)

[٢٢٨/١٤]

قال ابن الأعرابي: كانت العرب تقول: من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه إلى أن يسقى من دم ملك، فيقول: إنه من أولاد الملوك.

(١) البازل: الجمل في تاسع سنه. البختي: من الجمال: طوال الأعناق. والخوان كغراب وكتاب: ما يؤكل عليه الطعام.
(٢) القلوص من الإبل: الشابة. الوهن: نحو من نصف الليل أو ما بعد ساعة منه. الهدأة والهدوء: السكون عن الحركات، ويقال: أنا أنا بعد هدأة من الليل أي حين هذا الليل.
(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق. نازح: بعيد، عزب: بعيد أيضاً؛ وقالوا: رجل عزب: للذي يعزب في الأرض.
(٤) في جد: «أشفي».

بقية أخبار عبد الله بن الزبير

معاونة ابن زياد على قتل هانيء بن عروة

أخبرني أحمد^(١) بن عيسى العجلي بالكوفة قال: حدثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال: حدثنا مضر بن مراحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الحارث بن محمد قال: حدثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابن الأعرابي في روايته عن المفضل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين، أن المختار بن أبي عبيد^(٢) خطب الناس يوماً على المنبر فقال: [لَتَنْزِلَنَّ نار / من السماء، تسوقها ريح حالكة / دهماء، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء] وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة، يعدونه في قتل الحسين عليه السلام، لما كان من معاونته عبيد الله بن زياد على هانيء بن عروة المرادي حتى قتل، وحركته في نضرتة على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال:

أيركب أسماء الهماليج آمننا وقد طلبته مذجج بقتيل^(٣)

يعني بالقتيل هانيء بن عروة المرادي، وكان المختار يحتال ويدبر في قتله من غير أن يغضب قيساً فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أوقد سجع بي أبو إسحاق! لا قرار على زار من الأسد^(٤)، وهرب إلى الشام، فأمر المختار بطلبه ففاته، فأمر بهدم داره، فما تقدم عليها مضري [بنته]^(٥) لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس، فتولت ربيعة واليمن هدمها، وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار، فقال في ذلك عبد الله بن الزبير:

تأوب عين ابن الزبير سهودها	وولّى على ما قد عراها هجودها ^(٦)
كأن سواد العين أبطن نحلة	وعاودها مما تذكر عيذها ^(٧)
مخصرة من نحل جيحان صعبة	لوى بجناحيها وليد يصيدها ^(٨)

(١) كذا في ط: ومط؛ وفي باقي الأصول «محمد».

(٢) انظر «الكامل» للمبرد ٢: ١٦٧.

(٣) الهماليج: جمع هملاج، والهملاج من البراذين: الحسن السير. وبنو مراد: قبيلة هانيء بن عروة بطن من مذحج، فهم بنو مراد بن مالك بن مذحج بن أدد . . . من بني كهلان.

(٤) أخذه من قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر من قصيدته المشهورة:

أنبت أن أبا قابوس أوعدني ولا تسرار على زار من الأسد

(٥) زيادة عن ط، مط.

(٦) تأوبها سهودها، أي راجعها وعاودها. والهجود: النوم، وعلى هنا بمعنى اللام.

(٧) تذكر، أي تتذكر. والعيد: ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن.

(٨) في جـ وبـ وسـ «محضرة» وهو تصحيف، كشح مخصر: دقيق، ورجل مخصر: ضامر الخصر. جيحان: نهر بالمصيصة في الشام. والوليد: الصبي.

[٢٣٠/١٤]

/ من الليل وهناً، أو شظيئةً مُنبِل
 إذا طُرفت أذرت دموعاً كأنها
 وبك كأن الصدر فيه ذبالة
 فقلت أنا جني النفس بيني وبينها
 فلا تجزعي مما ألمّ فلانني
 أتانني وعُرضُ الشام بيني وبينها
 بأن أبا حسان تهديم داره
 جزت مُضراً عني الجوازي بفعلها
 فما خيركم؟ لا سيّداً تنصرونه
 / أخذلانه في كل يوم كرهية
 لائمكم الويلات أنى أتيتكم
 فيا ليتكم من بعد خذلانكم له
 ألم تغضبوا تبكاً لكم إذ سَطَّتْ بكم
 تركتكم أبا حسان تهديم داره
 يهدمها العجلي فيكم بشرطة
 أذاعت به الأرواح يُذري حصيدها^(١)
 نثيرُ جُمانٍ بأن عنها فريدها^(٢)
 شبا حرّها القنديل، ذاك وقودها^(٣)
 كذاك الليالي نحسها وسعودها
 أرى سنةً لم يبق إلا شريدها^(٤)
 أحاديثُ والأنباء يئمي بعيدها^(٥)
 لكيّزُ سعت فُتاقها وعبيدها^(٦)
 ولا أصبحت إلا بشرّ جدودها^(٧)
 ولا خائفاً إن جاء يوماً طريدها^(٨)
 ومسألة ما إن ينادى وليدها^(٩)
 جماعات أقوام كثير عديدها
 جوارٍ على الأعناق منها عقودها
 مجوسُ القرى في داركم ويهودها^(١٠)
 مشجدة أبوائها وحديدها
 كما نب في شبل الثيوس عثودها^(١١)

[٢٣١/١٤]

- (١) من الليل وهناً: متعلق بقوله: وعادوها، أو شظية: عطف على نحلة. والشظية: كل فلقة من شيء. أذاع بالشيء: ذهب به. والأرواح: جمع ريح. ذرته الريح وأذرت: أطارته.
- (٢) طرفت عينه: أصيبت بشيء قدمعت. وفي ب، س «طرفت» وهو تصحيف، أذرت العين الدمع: صبته. نثير: منشور. وفي ب وس «نفير» وهو تحريف. الجمان: اللؤلؤ. الفريد والفريدة: الجوهرة النفيسة.
- (٣) الذبالة: الفتيلة، شبا النار شبوا: أوقدها كشيئها. والمعنى: زاد القنديل في حرّها بما يمدّها به من الزيت. وفي الأصول: «سنا» وهو تصحيف. ذكت النار: اشتدّ لهبها.
- (٤) السنة: العام، والجذب، والقحط.
- (٥) ينمي: ينتشر ويرتفع.
- (٦) لكيّز: قبيلة من ربيعة، وهو لكيّز بن أفضى بن عبد القيس. وفي ب، س «وعتيدها» وهو تصحيف.
- (٧) يقال: جزتك عني الجوازي، أي جزتك جوازي أفعالك، والجوازي: جمع جازية، وهي الجزاء، مصدر على فاعلة. جدود: جمع جد بالفتح، وهو الحظ، يدعو عليها بنحس الجدّ وتمس الحظ.
- (٨) ولا خائفاً، أي ولا تؤمنون الطريد إن جاء يوماً خائفاً.
- (٩) أخذلانه... أي أذهبكُم خذلانه، أو أترونها خذلانه؟ ومسألة، أي وفي كل مسألة، يقال في المثل: هم في أمر لا ينادى وليده، قال ابن سيده: أصله كأن شدة أصابتهم حتى كانت الأم تنسي وليدها فلا تناديه ولا تذكره مما هي فيه، ثم صار مثلاً لكل شدة، وقيل: أصله من الغارة، أي تذهل الأم عن ابنها أن تناديه وتضمه، ولكنها تهرب عنه، وقيل: هو أمر جليل شديد لا ينادى فيه الوليد ولكن تنادى فيه الجلة، وقيل يقال في الخير والشر، أي اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجراً.
- (١٠) نباً لكم، أي ألزمكم الله هلاكاً وخسراناً.
- (١١) نب الثيس: صاح عند الهياج. العتود من أولاد المعز: ما رعى وقوى وأتى عليه حول. وكتب أمام البيت في نسخة ط ما نصه: يريد عمرو بن سعيد بن العاص كان والي العراق وهدم دار أسماء.

لعمري لقد لفَّ اليهوديُّ ثوبَه
على غَدرةِ شنعاءٍ باقٍ نَشِيدُهَا^(١)
فلو كان من قحطانَ أسماءُ شَمَّرت
كتائبُ من قحطانَ صُغُرُ خَدودُهَا^(٢)
/ ففي رجبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعده
تزورُكم حُمُرُ المنايا وسودُهَا
ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دِينُهم
كتائبُ فيها جَبْرَيْلُ يقودُهَا
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يموت
ففي النارِ سُقِياءُ هناك صَدِيدُهَا

٣٨
١٣

[٢٣٢/١٤] / وقال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدَّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة، وقتل عمرو^(٣) بن سعيد، وكان أسماء أمويّ الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرَّقها، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

* تأوَّب عين ابن الزبير سهودها *

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصح عندني من الأول، لأن الحسن بن علي حدَّثني قال: حدَّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدَّثنا الزبير بن بكار قال: حدَّثني عمي مصعب قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسدي، فقال له: إيه يابن الزبير، أنت القاتل:

إلى رَجَبِ السَّبعينَ أو ذاك قبلَه
تصبِّحكم حُمُرُ المنايا وسودُهَا^(٤)
ثمانون ألفاً نصرُ مروانَ دِينُهم
كتائبُ فيها جَبْرَيْلُ يقودُهَا

[٢٣٣/١٤] / فقال: أنا القاتل لذلك، وإن الحقيين ليأبى العذرة^(٥)، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع؛ فقال: أما إني ما أصنع بك إلا خيراً، أحسن إليك قوم فأحببتهم^(٦) وواليتهم ومدحتهم، ثم أمر له بجائزة وكسوة،

(١) النشيد: الصوت.

(٢) صعر خدودها، أي قد أمالت خدودها كثيراً. وفي ب، جد «صغر» وهو تحريف.

(٣) هو عمرو والأشدق بن سعيد بن العاص، وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني، وأنحاز الضحاك بن قيس الفهري عن مروان بن الحكم واستمال الناس ودعا إلى ابن الزبير، ألتقي مروان وعمرو بن سعيد فقال عمرو لمروان: هل لك فيما أقوله لك، فهو خير لي ولك؟ قال: وما هو؟ قال: أدعو الناس إليك وأخذها لك على أن تكون لي من بعدك، فقال مروان: لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية، فرضي الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعته مروان فأجابوا، وباع مروان بعده لخالد بن يزيد، ولعمرو بن سعيد بعد خالد، ثم مات مروان وخلفه أبوه عبد الملك، ولما أعزَّم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير بنفسه قال له عمرو: إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه، فرجع إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمرأ على أنه الخليفة بعده ففتح له، ثم إن عبد الملك أحتال له حتى قتله سنة ٦٩ هـ.

(٤) إلى رجب السبعين، أي إلى رجب السنة السبعين.

(٥) في س «وإن الحقيين ليأبى العذرة» وفي ب «وإن الحمير ليأبى العذرة» وهو تحريف. ومن أمثال العرب: أبى الحقيين العذرة، والحقيين: المحقون أي المحبوس. والعذرة: العذر، وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقامهم لبناً، وعندهم لبن قد حقنوه (حبسوه) في وطب، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال: أبى الحقيين العذرة، أي قبول العذر، أي أن هذا اللبن يحقن بكذبكم، يضرب مثلاً للرجل يعتذر ولا عذر له.

(٦) في ط «فأحببتهم».

ورده إلى منزله مكرماً، فكان ابنُ الزبير بعد ذلك يمدحه ويثني بذكره، فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابنُ الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس، فعرف ابنُ الزبير خبره - وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير - فاستقبله بوجهه وقال له:

أبا مطر شلّست يمينُ تفرّعت^(١) بسيفك رأس ابنِ الحواريِّ مصعب^(٢)

فقال له ابنُ ظبيان: فكيف النجاة من ذلك؟ قال: لا نجاة، هيهات! «سَبَقَ السيفُ العَدْلَ»^(٣)، قال: فكان ابنُ ظبيان بعد قتله مصعباً لا يَنْتَفِعُ بنفسه في نوم ولا يَقْظَة، / كان يهولُ عليه^(٤) في منامه فلا ينام، حتى كَلَّ جسمُه ونَهَكَ، [٢٣٤/١٤] فلم يزل كذلك حتى مات.

شعره عند عبيد الله بن زياد

وقال ابن الأعرابي: لما قدم ابنُ الزبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانتته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدراار عطائه، فأوصله إليه، ثم أستاذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولّها:

أَصْرَمُ بِلَيْلى حَدِثْ أُمَ تَجُؤِبُ أم الجبل منها واهن متقضب^(٤)

أم السود من ليلي كمهدي مكانه ولكن ليلي تستزيد وتعتب^(٥)

غنى في هذين البيتين حنين ثاني ثقيل عن الهشامي.

ألم تعلمي يا ليل أني لئن هضوم وأني عنبس حين أغضب^(٦)

/ وأني متى أنفق من المال طارفاً فإنني أرجو أن يؤوب المشوب^(٧)

٣٩
١٣

(١) تفرّعت: علت. وفي ب، س، ج: «تفرّعت» والتصويب عن ط، مط. الحواري: الناصر أو ناصر الأنبياء: وهو هنا الزبير بن العوام، قال عليه السلام: «الزبير ابن عمي وحواري من أمتي» أي خاصتي من أصحابي وناصري، وقال أيضاً: «إن لكل نبي حواريًا، وحواري الزبير بن العوام».

(٢) أول من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وكان له ابنان يقال لأحدهما: سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل، فوجه ابنه في طلبها، فتفرقا؛ فوجدها سعد فردّها، ومضى سعيد في طلبها، فلقيه الحرث بن كعب، وكان على الغلام بردان، فسأله الحرث إياهما، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال: أسعد أم سعيد؟ فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حجج، فوافى عكاظ، فلقي بها الحرث بن كعب، ورأى عليه بردي ابنه سعيد ففرهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى عليّ فقتلته وأخذت برديه هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعطيني أنظر إليه فإني أظنه صارماً، فأعطاه الحرث سيفه، فلما أخذه هزه وقال: الحديث ذو شجون أي ذو طرق جمع شجن كشمس ثم ضربه به حتى قتله، فقليل له: يا ضبة، أفني الشهر الحرام! فقال: سبق السيف العذل، أي اللوم.

(٣) هول عليه: أفزعه.

(٤) الصرم: القطيعة. واهن: ضعيف. منقضب: منقطع.

(٥) في ب، س، ج: «المهدي»؛ وقد أخذنا برواية ط، مط.

(٦) الهضوم: المنفق لماله. والعنيس: الأسد.

(٧) الطارف: المستحدث. ثاب وثوب: رجع.

- أَنَّ تَلَفَ الْمَالُ الثَّلَادُ بِحَقِّهِ / تَشْمَسُ لَيْلَى عَنْ كَلَامِي وَتَقْطِبُ^(١)
 / عَشِيَّةٌ قَالَتْ وَالرَّكَابُ مُنَاخَةٌ / بِأَكْوَارِهَا مَشْدُودَةٌ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟^(٢)
 أَفِي كُلِّ مَصْرِ نَازِحٍ لَكَ حَاجَةٌ / كَذَلِكَ مَا أَمَرُ الْفَتَى الْمُشْعَبُ^(٣)
 فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ تُلَبُّكَ نَاقَتِي / وَتَقْسِمُ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ^(٤)
 دَعِينِي مَا لِلْمَوْتِ عَنِّي دَافِعٌ / وَلَا لِلذِّئْلِ وَلَى مِنَ الْعَيْشِ مَطْلَبٌ
 إِلَيْكَ عِيْدُ اللَّهِ تَهْوِي رَكَابُنَا / تَعْسَفُ مَجْهُولَ الْفَلَاةِ وَتَدَابُ^(٥)
 وَقَدْ ضَمَرْتُ حَتَّى كَأَنَّ عِيُونَهَا / نِطَافُ فَلَائِةٍ مَاؤُهَا مُتَصِيبٌ^(٦)
 فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَشْتَكِي الْأَيْنَ إِنَّهُ / أَمَامِكَ قَرْمٌ مِنْ أَمِيَّةٍ مُضْعَبٌ^(٧)
 إِذَا ذَكَرُوا فَضْلَ أَمْرِي كَانَ قَبْلَهُ / فَفَضْلُ عِيْدِ اللَّهِ أَثَرِي وَأَطِيبٌ^(٨)
 وَأَنْتَ لَوْ يُشْفِي بِكَ الْقَرْحُ لَمْ يُعَدْ / وَأَنْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ نَابٌ وَمِخْلَبٌ^(٩)
 تَصَافِي عِيْدُ اللَّهِ وَالْمَجْدُ صَفْوَةُ الدِّ / حَلِيفِينَ مَا أَرَسَى ثِيْبِرٌ وَيَثْرِبُ^(١٠)
 وَأَنْتَ إِلَى الْخَيْرَاتِ أَوَّلُ سَابِقٍ / فَأَبْشِرْ، فَقَدْ أَدْرَكْتَ مَا كُنْتَ تَطْلُبُ
 / أَعْنِي بِسَجَلٍ مِنْ سِجَالِكَ نَافِعٍ / فَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَدْ سَرَى لَكَ مِحْلَبٌ^(١١)
 فَإِنَّكَ لَوْ إِيَّاي تَطْلُبُ حَاجَةً / جَرَى لَكَ أَهْلٌ فِي الْمَقَالِ وَمَرْحَبٌ^(١٢)

[٢٣٥/١٤]

[٢٣٦/١٤]

قال: فقال له عبيد الله - وقد ضحك من هذا البيت الأخير -: فإنني لا أطلب إليك حاجة، كم السجل الذي يرويك؟
 قال: نوالك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

شعره في صديقه

- (١) التلاد: المال القديم. تشمس: أي تنفر وتعرض، من شمس الفرس، أي شرد، ومنه المتشمس، وهو الشديد القوي الذي يمنع ما وراء ظهره؟ والبخيل الذي لا ينال منه خير. قطب كضرب: زوى ما بين عينيه وعبس وكلح.
 (٢) الأكوار: جمع كور بالضم، وهو الرجل بأداته.
 (٣) نازح: بعيد. المشعب: المتفرق. و «ما» زائدة.
 (٤) في جد «واقسم».
 (٥) هوي كرمي: أسرع في السير. تعسف، أي تتعسف؛ تعسف الطريق: سار فيه على غير هداية. والفلاة: الصحراء. تداب: نجذ وتتعب.
 (٦) نطاف: جمع نطفة بالضم، وهي الماء الصافي قل أو كثير.
 (٧) الأين: الإعياء. القرم من الرجال: السيد المعظم، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة. ورجل مصعب: مسود، وأصله بمعنى القرم، أي الفحل الذي لم يمسه جبل ولم يركب.
 (٨) أثري: أفعل، من الثروة، أي أكثر.
 (٩) القرخ بالفتح وبضم: عض السلاح ونحوه مما يخرج بالبدن، أو بالفتح: الآثار، وبالضم: الألم؛ أراد به ما ينوبه من صروف الدهر.
 (١٠) رسا وأرسي: ثبت. ثبير: جبل بظاهر مكة. يثرب: مدينة الرسول ﷺ.
 (١١) السجل: الدلو العظيمة مملوءة.
 (١٢) لو إياي، أي لو إياي تقصد، جرى لك... أي لقلت لك أهلاً وسهلاً ومرحبا. وقوله: «المقال»، ساقط من مط.

قال ابن الأعرابي: كان نعيم بن دُجانة بن شَداد بن حُذيفة بن بكر بن قيس بن مُنقذ بن طريف صديقاً لعبيد الله بن الزبير، ثم تغيّر عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك:

ألا طرقت رُويمةً بعد هذو تخطى هول أنمارٍ وأنيد^(١)
تجوس رحالنا حتى اتتنا طروقاً بين أعرابٍ وجند^(٢)
فقلت: ما فعلت أبا كثيرٍ أصحّ الودّ أم أخلفت عهدي؟
كأنّ المسك ضمّ على الخزامي إلى أحشائها وقضيب رند^(٣)
ألا من مبلغ عنسي نعيمًا فسوف^(٤) يجرب الإخوان بعدي
رايتك كالشموس تُرى قريباً وتمنع مسح ناصيةٍ وخد
/ فلاني إن أقع بك لا أهمل كوقع السيف ذي الأثر الفرند^(٥)
فأؤلى ثم أؤلى ثم أؤلى فهل للذرّ يخلب من مردّ؟^(٦)

[٢٣٧/١٤]

رثاؤه لصديقه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تينة، وأخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل عن المدائني عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: كان عبد الله بن الزبير صديقاً لعمر بن الزبير بن العوام، فلما أقامه أخوه^(٧) ليقتص^(٨) منه بالغ كل ذي حقدٍ عليه في ذلك، وتدسّس فيه من يتقرّب إلى أخيه، وكان أخوه / لا يسأل من أدعى عليه شيئاً بيّنة، ولا يطالبه بحجة، وإنما يقبل قوله ثم يدخله إليه السجن ليقتص^(٩) منه، فكانوا يضربونه والقيح ينتضح من ظهره وأكتافه على الأرض لشدة ما يمرّ به، ثم يضرب وهو على تلك الحال، ثم أمر بأن يرسل عليه الجعلان^(١٠)، فكانت تدبّ عليه فتقّب لحمه، - وهو مقيد مغلول^(١١) - يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن يتسخر به وهو يبكي فقال له: مالك؟ أमत عمرو؟ قال: نعم، قال: أبعد الله، وشرب اللبن، ثم قال: لا تغسلوه ولا تكفّنوه، وادفّنوه في مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه ويؤثّب أخاه بفعله، وكان له صديقاً وخلاً ونديماً:

[٢٣٨/١٤]

/ أيا راكباً إمّا عرّضت فبلّغن كبير بني العوام إن قيل من تعني^(١٢)

(١) الهدء: أول الليل إلى ثلثه. تخطى: أصله تتخطى. أنمار وأسد أي رجال شجعان كالأنمار والأسود.

(٢) أتاناً طروقاً: إذا جاء بليل.

(٣) الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة. الرند: شجر طيب الرائحة.

(٤) في جد: «فكيف».

(٥) همل عن الأمر: فزع وجبن وولى عنه ونكص، والأثر بالفتح والكسر. فرند السيف، وهو جوهره وماؤه الذي يجري فيه وطرائقه.

(٦) الدر: اللبن، وفي جد وب وس «يجلب» وهو تصحيف.

(٧) أي عبد الله بن الزبير.

(٨) في جد وب. س «ليقبض» وهو تصحيف.

(٩) الجعلان: جمع جعل كعمر، وهو دويبة سوداء أكبر من الخنفساء.

(١٠) مغلول: مقيد بالغل وهو القيد.

(١١) مخرضت: أبيت العروض (بفتح العين) وهي مكة والمدينة. تعني: تقصد. وفي ب وس: «تغني» وهو تصحيف.

ستعلم - إن جالت بك الحرب جولة
فأصبحت الأرحام حين وليتها
عقدتكم لعمرو عقدة وغدرتكم
وكبائسه حولا يجود بنفسه
فما قال عمرو إذ يجود بنفسه
تحدث من لا قيت أنك عائد
/ جعلتكم لضرب الظهر منه عصيتكم
تعدر منه الآن لما قتلت
فلم أر وقد أكان للغدر عاقدا
وكنت كذات الفسق لم تدبر ما حوت
جزى الله عني خالدا شر ما جرى
قتلتكم أخاكم بالسياط سفاهة
فلو أنكم أجهزتم إذ قتلتم

[٢٣٩/١٤]

- (١) الفوق بالضم: موضع الوتر من السهم؛ وفوق السهم: جعل له فوقاً. تغني: تنفع، يقال: ما يغني عنك هذا: ما يجزي عنك، وما ينفعك، وفي جـ وب «تغني» بالعين وهو صحيح، جاء في «اللسان»: «قال أبو تراب: يقال: ما أعني شيئاً وما أغني شيئاً بمعنى واحد، وفي «المصباح المنير»: «وحكى الأزهري ما أغنى فلان شيئاً بالعين والعين أي لم ينفع في مهم ولم يكف مؤنة». وأسهم: مبتدأ ومن: اسم استفهام مضاف إليه، وجملة تغني خبره.
- (٢) أكراش: جمع كرش كحمل وكشف. والدمن: السرقة المتلبدة والبعير.
- (٣) الدجن: إلياس الغيم الأرض.
- (٤) ناء به الحمل: أثقله وأماله. حلق بفتح الحاء وكسرها: جمع حلقة بسكون اللام وفتحها. «اللبن» بالفتح: الضرب الشديد، وفي «معاهد التنصيص» «اللبن» وهو الفراق.
- (٥) قضى تحبه: مات، وأصله الوفاء بالنذر.
- (٦) كان عبد الله بن الزبير يدعى «العائذ» لأنه عاذ بالبيت الحرام، ففي ذلك يقول ابن قيس الرقيات بذكر مصعباً: بلد تأسن الحمامة فيه حيث عاذ الخليفة المظلوم «الكامل» للمبرد ٢: ٥٩٧ طبع أوربا.
- (٧) تراوحه: تتعاقب عليه. والأصحب: السوط، نسبة إلى ذي أصبح ملك من ملوك حمير.
- (٨) المعذر: الذي يتكلف العذر وهو لا عذر له. تفاوت الشيطان: تباعد ما بينهما. والأرجاء: النواحي. والقليب: البئر. الشطن كسب: الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به، وسكنت الطاء. هنا للشعر.
- (٩) في جـ وب وس «موق» وهو تحريف، وصوابه عن ط: أي غير موافق، أفرد موف مراعاة للفظ «وفد». وأسناه: رفعه.
- (١٠) ما حوت: أي من المكاسب والمنافع، وفي ط، مط: «ما حلت» ولعله «ما جنت».
- (١١) «الخدن: الصديق. وخالد وعروة: أخوا عبد الله بن الزبير، وقد استعمل عبد الله أخاه خالداً على اليمن، وكان عروة من كبار فقهاء المدينة، وكان عمرو قد خالف أخاه عبد الله فقاتله، ثم أنه في جوار عبيدة أخيه، قال له عبيدة: امض معي إليه وأنت في جوار، فإن أمنتك وإلا رددتك إلى مأمرك، فذهب معه فلم يجز عبد الله أمانه، واقتص منه حتى مات. انظر «المعارف» لابن قتيبة ص ١١٣ طبع أروبة.
- (١٢) «الأفن» ويحرك: ضعف العقل والرأي.

وإنني لأرجو أن أرى فيك ما ترى به من عقاب الله ما دونه يُغني^(١)
 قطعت من الأرحام ما كان واشجاً على الشيب، وأبتعت المخافة بالأمن^(٢)
 / وأصبحت تسعى قاسطاً بكتيبة / تهدم ما حول الحطيم ولا تبني^(٣)
 فلا تجز عن من سئة قد سنتها فما للدماء الدهر تهرق من حفن

[٢٤٠/١٤]

رثاؤه يعقوب بن طلحة

أخبرني عمي قال: حدثني الخراز عن المدائني قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحرة^(٤)، وكان يعقوب ابن خالة يزيد [بن معاوية]^(٥) فقال يزيد: يا عجباً قاتلني كل أحد حتى ابن خالتي! قال: وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكروّس، فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه:

لعمرك ما هذا بعيش فيتنغي لعمري لقد جاء الكروّس كاظماً / نعى أسرة يعقوب منهم فأقفرث وكلهم غيت إذا قحط الوري
 هنىء ولا موت يسريع سريع على أمر سؤء حين شاع فظيع
 منازلهم من رومة فيبيع^(٦) ويعقوب منهم للأنام ربيع^(٧)
 وقال ابن الأعرابي: كان على ابن الزبير دين لجماعة، فلأزموه ومنعوه التصرف في حوائجه، وألح عليه غريم له من بني نهشل يقال له: ذئب، فقال ابن الزبير:

/ أحابس كيد الفيل عن بطن مكة / وأنت على ما شئت جم الفواضل^(٨)
 أرخني من اللائي إذا حل على دينهم يمشون في الدارات مشي الأرامل^(٩)
 إذا دخلوا قالوا: السلام عليكم / وغير السلام بالسلام يحاول^(١٠)

[٢٤١/١٤]

(١) ما دونه يغني، أي ما قليله يجزىء ويكفي في الانتقام منك.

(٢) واشجاً: متداخلاً متشابكاً.

(٣) قاسطاً: ظالماً جائراً. الحطيم: حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام.

(٤) كان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد بن معاوية وخلعوه وحسروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم، فوجه إليهم يزيد مسلم بن عقبة المري في جيش، فقمع فقتلهم، وأحمد ثورتهم، وكانت هذه الواقعة تسمى «وقعة الحرة»؛ لأن مسلماً حاصر المدينة من جهة الحرة - موضع بظاهر المدينة - وكانت في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ.

(٥) عن ط.

(٦) رومة: أرض بالمدينة فيها بئر رومة التي ابتاعها عثمان رضي الله عنه وتصدق بها، وفي الأصول «دومة» وهو تحريف. والبيع: مقبرة أهل المدينة.

(٧) في هذا البيت إقواء.

(٨) كيد الفيل: أي كيد أصحاب الفيل، يشير إلى وقعة الفيل، وما كان من أبرهة الأشرم ملك اليمن حين خرج بجيشه إلى مكة على الأفيال ليهدم الكعبة فجعل الله كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل... والفواضل: الأيادي الجسيمة.

(٩) هذا البيت شاهد على استعمال اللائي بمعنى الذين، كقول الشاعر:

فما أبأؤنا بأمن منه علينا اللاء قد مهدوا الحجورا

وهو قليل، قال ابن مالك «واللاء كالذين نزرا وقعا». والدارة: العرصة وهي ساحة الدار.

(١٠) أي يبني من وراء التحية مأرباً له. وفي هذا البيت وتاليه إقواء.

إِلَيْنُ إِذَا اشْتَدَّ الْغَرِيمُ وَالتَّوَي
إِذَا اسْتَدَّ حَتَّى يُدْرِكَ الدِّينَ قَابِلُ^(١)
عرضت على «زَيْد» ليأخذ بعض ما
يحاوله قبل اشتغال الشواغل^(٢)
تشاءب حتى قلت: داسع نفسه
وأخرج أنياباً له كالْمَعَاوِلِ^(٣)

دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم

وقال ابن الأعرابي: استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أم الحكم، فأجاراه وقاما بأمره، ودخل مع مروان إلى المدينة، وقال في ذلك:

[٢٤٢/١٤] / أَجِدِّي إِلَى مَرْوَانَ عَذْوًا فَقَلْصِي
وَالْأَفْرُوحِي وَاغْتِدِي لِابْنِ عَامِرٍ^(٤)
إِلَى نَفَرٍ حَوْلَ النَّبِيِّ يَبُوتُهُمْ
مَكَارِيمٌ لِلْعَافِي رِقَاقُ الْمَآزِرِ^(٥)
لَهُمْ سُورَةٌ فِي الْمَجْدِ قَدْ عَلِمْتُ لَهُمْ
تُذْبِذُ بِأَعِ الْمَتَعِبِ الْمُتْقَاصِرِ^(٦)
لَهُمْ عَامِرُ الْبَطْحَاءِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
وَرُومَةٌ تَسْقَى بِالْجَمَالِ الْقِيَاسِرِ^(٧)

حبسه زفر فقال شعراً

وقال ابن الأعرابي: عرض قوم من أهل المدراء^(٨) لابن الزبير الأسدي في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقرقيسياء^(٩)، فاستعدوا^(١٠) عليه زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ^(١١) وقالوا: إنه أموي الهوى، وكانت قيس يومئذ زُبَيْرِيَّةً، وقرقيسياء وما والاها في يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياماً وقيده، وكان معه رفيق من بني أمية يقال له: / أبو الحذراء، فرحل وتركه في حبسه أياماً، ثم تكلمت فيه جماعة من مُضَرٍّ، فأطلق، فقال في ذلك:

- (١) الغريم: الدائن. وفي الأصول «والتوي إذا اشتد» وهو تصحيف، إذ أنه ليس بمستساغ أن يذكر كلمة «اشتد» مرتين في بيت واحد، والصواب «والتوي إذا استد» واستد: استقام، وهو المقابل لكلمة «التوي». قابل: أي العام القابل. وفي الأصول: «قابل».
- (٢) كذا في الأصول ولعله يريد «ذنباً» المشار إليه قبل في قوله «يقال له ذنب».
- (٣) داسع: فاعل من الدسع؛ وهو الدفع، دسعه كدفعه وزناً ومعنى، ودسع البعير بجرفته: دفعها حتى أخرجها من جوفه إلى فيه وأفاضها.
- (٤) أجذ السير: أسرع فيه. وقلصت الناقة: شممت واستمرت في مضيتها.
- (٥) مكاريم: جمع مكرم، علي جد قوله تعالى: «ولو ألقى معاذيره». العافي: كل طالب فضل أو رزق، والمآزر: جمع مئزر بالكسر: وهو الملحفة، ورقاق المآزر كناية عن النعيم والترف.
- (٦) السورة من المجد: أثره وعلامته وارتفاعه. ذبذبه: حركه، فتذبذب؛ تحرك واضطرب. المتقاصر: المقصر العاجز.
- (٧) البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وفي الأصول «ردمة» وهو تحريف. والقيصري من الإبل: الضخم الشديد القوي، وجمعه: قياسر وقياصرة.
- (٨) أهل المدراء: أهل الحضر.
- (٩) بلد على الفرات.
- (١٠) استعداه عليه: استنصره.

(١١) ما مات معاوية بن يزيد اختلف الناس بالشام، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير الأنصاري وكان على حمص فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلبي فدعا إلى ابن الزبير أيضاً... ودعا مروان بن الحكم إلى نفسه، ثم التقى الزبيريون، وعليهم الضحاك بن قيس الفهدي في مرج راهط بغوطة دمشق، فقتل الضحاك وانهزم جيشه، واستقام الأمر لمروان، وفر يومئذ زفر، وفي ذلك يقول:

فلم نر مني زلة قبل هذه فراري وتركني صاحبي من ورائي

أَغَادِ أَبَوَ الْحَذْرَاءِ أَمْ مَتْرُوحٌ؟ كَذَاكَ التَّوَى مِمَّا تُجِدُّ وَتَمْرَحُ^(١)
 لِعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ بِلَادُ عَرِيضَةٍ لِي الرُّوحُ فِيهَا عَنْكَ وَالْمَتْسَرِّحُ^(٢)
 وَلَكِنَّهُ يَدْنُو الْبَغِيضُ وَيَبْعِدُ الدَّ حَيِّبٌ وَيَنَأَى فِي الْمَزَارِ وَيَنْزَحُ^(٣)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى أُمَّ وَاصِلٍ كُبُولُ أَعْضُوهَا بِسَاقِي تَجْرَحُ^(٤)
 إِذَا مَا صَرَفْتُ الْكَعْبَ صَاحَتْ كَانَهَا صَرِيفُ خَطَاطِيفٍ بِدَلْوَيْنِ تَمْتَحُ^(٥)
 تُبْقِي أَبَاهَا فِي الرِّفَاقِ وَتَنْشِي وَأَلْوَى بِهِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ تَمْسَحُ^(٦)
 أَمْرَتِجِلْ وَفَدُ الْعِرَاقِ وَغُودِرَتْ تَحْنُ بِأَبْوَابِ الْمَدِينَةِ صَيْدَحُ^(٧)
 فَإِنَّكَ لَا تَدْرِيْنَ فِيمَا أَصَابَنِي أَرِيْثُكَ أَمْ تَعَجِّلُ سَيْرَكَ أَنْجَحُ^(٨)
 أَظُنُّ أَبَوَ الْحَذْرَاءِ سَجَنِي تَجَارَةً تَرْجَى وَمَا كُلَّ التَّجَارَةِ تُرْبِحُ!

خبره مع الحجاج

أخبرني محمد بنُ عمرانَ الصَّيرَفِيُّ قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ / الْأَسَدِيُّ ٤٢/١٣ قال: لما قدم الحجاج الكوفةَ والياً عليها صعد المنبرَ، فخطبهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، إن الشيطان / قد باض وفرخ في صدوركم، ودب ودرج في حُجُوركم، فأنتم له دين، وهو [٢٤٤/١٤] لكم قرين، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ثم حنَّهم على اللِّحَاقِ بِالْمَهْلَبِ^(٩) بن أبي صُفْرَةَ، وأقسم ألا يجد منهم أحداً أسَمُهُ في جريدة المهلب بعد ثلاثة بالكوفة إلا قتله، فجاء عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيَةَ الْبَزْجُمِي فَقَالَ: أَيُّهَا الأمير، إني شيخ لا فضل فيّ، ولي ابنٌ شابٌّ جَلْدٌ، فاقبله بدلاً مِنِّي، فقال له عَنَسَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: أَيُّهَا الأمير، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول، وفرسَه وكسرَ ضلعين من أضلَاعِهِ، وهو يقول:

* أَيْنَ تَرَكْتَ ضَابِتًا يَا نَعْلُ^(١٠) *

- (١) تروح: سار في الرواح، وهو العشي.
- (٢) الروح: الراحة. والمتسرح: انفراج الضيق والغم.
- (٣) نزح كمنع وضرب: بعد.
- (٤) كبول: جمع كبل بالفتح والكسر، وهو القيد الضخم.
- (٥) صرفت: رددت، أي حركت. صاحت أي صوّتت الكبول. صرفت البكرة صريفاً. صوّتت عند الاستقاء. والخطاطيف: جمع خطاف كرمّان، وهو حديدة حجناء في جانبي البكرة فيها المحور. منح الماء كمنع: نزع.
- (٦) ألوى به: ذهب به. التمسح: التمساح.
- (٧) صيدح: اسم ناقة ذي الرمة، وفيها يقول: «فقلت لصيدح انتجعي بلالاً» والظاهر أنه اسم ناقته هو أيضاً.
- (٨) الريث: الإبطاء.
- (٩) وكان على قتال الخوارج الأزارقة، وذلك أن الخوارج كانوا قد مضوا إلى مكة سنة ٦٤ هـ ليمنعوا الحرم من جيش يزيد، وناصروا ابن الزبير وقتلوا معه، ثم ناظروه فلم يرقهم ما سمعوا منه، ففترقوا عنه، وصارت طائفة كبيرة منهم إلى البصرة، وبايعوا نافع بن الأزرق الحنفي، وسموه أمير المؤمنين، وخرج بهم إلى الأهواز - وهي كورة كبيرة في الجنوب الغربي من فارس - فغلبوا عليها وعلى ما وراءها من أرض فارس وكرمان، ونسبوا إليه فليل لهم: الأزارقة.
- (١٠) كان من قصة عمير بن ضابئة أن أباه ضابئة بن الحرث البرجمي استعار من قوم من الأنصار كلباً يدعى قرحان يصيد الطباء، فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون واستعانوا عليه بقومه، فكاثروه، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار، وكان =

[٢٤٥/١٤] / فقال له الحجاج: فهلاً يومئذ بعثت بديلاً، يا حَرْسِي^(١)! اضرب عنقه، وسمع الحجاج ضَوْضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتنصر^(٢) عميراً فيما ذكّرت، فقال: أتخفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولّوا هاربين، فأزدحم الناس على الجسر للمعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم^(٣)، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

أقول لإبراهيمَ لمّا لقيته أرى الأمرَ أمسى واهياً متشعباً^(٤)
تخيرُ فلماً أن تزور ابنَ ضابئ عميراً وإمّا أن تزور المهلباً
هما خُطتَا خَنفٍ نجاؤك منهما ركوبُك حَوْلِيَا من الثلج أشهباً^(٥)
/ فأضحى ولو كانت خراسانُ دونَه رأها مكان الشوقِ أو هي أقرباً^(٦) [٢٤٦/١٤]

= فحاشاً، فهجاهم ورمى أمهم به، فقال من أبيات:

وأمكم لا تركوها وكنكم فإن عقوق الوالدات كيبر
فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه فعزّه وجبه، فاضطغن على عثمان لما فعل به، فلما دعى به ليؤدب شد سكيناً في ساقه ليقتل بها عثمان، فغثر عليه فأحسن أدبه، وما زال في الحبس حتى مات فيه، وقد قال في ذلك أبياتاً منها:
هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلاله
انظر «تاريخ الطبري» ٥: ١٣٧ و «الكامل» للمبرد ١: ١٨٥.

ونعتل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبه بهذا الرجل لطول لحيته، فكان أعداؤه وشاتموا يسمونه نعتلاً لذلك، وفي حديث عائشة: اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً تعني عثمان، وكان هذا منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة.

(١) الحرسى: واحد حرس السلطان وهم الحرّاس.

(٢) في الأصول ما عدا ط، «لتبصر»؛ وهو تصحيف.

(٣) وفي «الكامل» ١: ١٨٣ «فقال الحجاج: ردوه، فلما رد قال له: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلاً يوم الدار! إن في قتلك أيها الشيخ لصلاً للمسلمين، يا حرسى اضرب عنقه، فجعل الزجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده» وفي «الكامل» أيضاً ٢: ٢١٣ «ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجلتكم ثلاثاً وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتله، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذوا سيوفكما عصياً، فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابه فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا أنفع لكم مني، وأشدّ بني تميم أيداً، وأجمعهم سلاحاً، وأربطهم جاشاً، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جلساءه، فقال الحجاج: إن عذرک لواضح، وإن ضعفك لين، ولكني أكره أن يجترى بك الناس عليّ، وبعد فانت ابن ضابئ صاحب عثمان، ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم لينع بزاده وسلاحه الخ.

(٤) يخاطب إبراهيم بن عامر الأسدي أحد بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان قد لقي ابن الزبير في السوق فسأله عن الخبر، فقال ابن الزبير هذه الأبيات.

وفي رواية «الكامل» ٢: ٦٨٦.

«أقول لعبد الله يوم لقيته أرى الأمرَ أمسى منتصباً متشعباً»
أنصبه الأمر: أعياء وأتعبه.

(٥) الخسف: الدل. الحولي: ما أتى عليه حول. أشهب: أشد شهباً، والشهب: بياض يصدعه سواد في خلاله. والثلج شف ولكنه عند تراكمه يرى خلاله ظل من السواد، واستعماله أفعل التفضيل من اللون شاهد على جوازه عند الكوفيين، وعليه درج المتنبي في قوله يخاطب الشيب:

ابعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم

(٦) جاء في تعليق الأخفش على «الكامل» ١: ١٨٣: «دونه: الهاء عائدة على المهلب» فمعناه: فأضحى ولو كانت خراسان قرية من موضع غزوه، وجاء في «تفسير المبرد» لهذا البيت في «الكامل» ١: ١٨٥ «وقوله: فأضحى ولو كانت خراسان دونه: يعني دون السفر رأها مكان السوق للخوف والطاعة» فمعنى دون السفر: قرية من موضع سفره، قال المبرصفي في «رغبة الأمل» ٤: ٩٠ «وقد سلف عن الأخفش أن الهاء من دونه عائدة على المهلب، وهو أجود. مكان السوق: يريد سوق حكمة (كرقة) وهو موضع بنواحي الكوفة، نسبت إلى حكمة بن حذيفة بن بدر. أو هي أقربا: أو بمعنى بل، وأقرب ظرف متعلق بخبر هي، وقيل: مفعول ثان، وهي توكيد للأول، أي رأها مكان السوق أو رأها هي أقرب.

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي بن عثام الكلابي قال: دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلم يأذن له، وقال له: ألم تُسقط السماء علينا وتمننا قَطَرها في مديحك لأسماء بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدتها، فأنشده:

إذا مات أبْنُ خَارجةَ بنِ حصين فلا مَطَرُثَ على الأرضِ السماءُ
ولا رجَعَ الوُفودُ بغُنىمِ جيشٍ ولا حَمَلَتْ على الطُّهرِ النساءُ
ليومٍ منك خيرٌ من أناسٍ كثيرٍ حَوَلَهُم نَعَمٌ وشاءُ
فُبورِكَ في بنيك وفي أبيهم إذا ذُكروا ونحن لك الفداء

فالتفت إليه مصعب وقال له: اذهب إلى أسماء، فمالك عندنا شيء، فإنصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوضه حتى أرضاه، ثم عوضه مصعب بعد ذلك، وخُصَّ به، وسمع مديحه، وأحسن عليه ثوابه.

مدحه لبشر بن مروان

قال ابن الأعرابي: لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسدي وبره وخصه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أمية، فقال يمدحه:

[٢٤٧/١٤]

/ أَلَمْ تَرَنِي^(١) والحمد لله أنسي
رعى مارعى مروان مني قبله
ففي كل عام عاشه الدهر صالحاً
إذا ما أبو مروان خلّى مكانه
/ ولا يهنئ الناس الولادة بينهم
فليس البُحور بالتي تخبرونني
برئت وداواني بمغروفه بشرُ
قصحت^(٢) له مني النصيحة والشكر
عليّ لرب العالمين له^(٣) نذرُ
فلا تهنأ الدنيا ولا يُرسل القطرُ
ولا يبق فوق الأرض من أهلها شفر^(٤)
ولكن أبو مروان بشر هو البحرُ

٤٣
١٣

وقال فيه أيضاً فذكر أمه قُطبة بنت بشر بن مالك مُلاعب الأسة:

جاءت به عَجْزٌ مقابلةً ما هن من جَرمٍ ومن عُكَلٍ^(٥)
يا بشرُ يا بن الجعفرية ما خلّق الإلهُ يدُيك للبُخل

(١) رواية ط، مط «ألم ترين».

(٢) في ط، مط «فحقت».

(٣) في ط، مط «به».

(٤) في جـ وب «فوق الدهر» وفي ب «سفر» وفي س «ولم يبق» وهو تحريف يقال: هنأني الأمر وهنأ لي يهنأ ويهنئ ويهنؤ: سرنى، شفر: أحد، يقال: ما بالدار شفر بالفتح والضم: أي أحد.

(٥) عجز: جمع عجوز. المقابل: الكريم النسب من كلا طرفيه أبيه وأمه. جرم: بطنان من عرب اليمن، بطن في قضاة وهي بنو جرم بن زبان (كشاد) وبطن في طيء وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيء، وعكل: قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غباوة ويستحق: عكلي.

أنت ابن سادات لأجمعهم وفي بطن مكنة عزة الأصل
بحر من الأعياص جُذِن به في مغرس للجود والفضل^(١)
متهلل تَنَدَى يسداه إذا ضنَّ السحاب بوابل سَجَل^(٢)

[٢٤٨/١٤] / خروجه مع الحجاج

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنَا الكُرَانِي قال: حَدَّثَنَا العمري، عن الهيثم [بن عدي]^(٣) عن عبد الله بن عياش قال: أخبرني مشيخة من بني أسد أن ابن الزبير الأسدي لما قفل من قتال الأزارقة صُوبَ^(٤) بعث إلى الرِّي، قال: فكنتُ فيه، وخرج الحجاج إلى القنطرة يعني قنطرة الكوفة التي بُزْبَارَة^(٥) ليعرض الجيش، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو؟ فمر به ابنُ الزبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول:

تَخَيَّرُ فإِذَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيءٍ عُمَيْرًا، وإِذَا أَنْ تَزُورَ المَهْلَبَا
قال: بلى، أنا الذي أقول:

ألم تر أني قد أخذتُ جَعِيلَةً وكنتُ كَمَنْ قَادَ الجَنِيبَ فأسَمَحَا^(٦)
فقال له الحجاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقدتُ الأعداء يامِي فاعْلَمِي بكلِّ شَرِي نَارًا فَلَمْ أَرِ مَجْمَحَا^(٧)

[٢٤٩/١٤] / فقال له الحجاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يَعدَمُ الدَّاعِي إلى الخير تَابِعَا ولا يَعدَمُ الدَّاعِي إلى الشرِّ مَجْدَحَا^(٨)

فقال له الحجاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بَعَثِكَ، فمضى إلى بعثه فمات بالري.

(١) الأعياص من قریش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم أربعة: العاص، وأبو العاص والعيص، وأبو العيص؛ وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

(٢) في الأصول عدا ط «كما» ضن وهو تحريف. تهلل الوجه: تلالأ، بوابل سَجَل، أي ذي سَجَل، سَجَلت الماء سَجَلًا: صببته صبا متصلاً. وفي ب، ج؛ «بيدي نداء».

(٣) عن ط، مط.

(٤) صوب، أي أرسل، من صويت الفرس: إذا أرسلته في الجري. والري: مدينة بفارس.

(٥) جاء في «معجم البلدان» «بزارا: موضع، أظنه من نواحي الكوفة»؛ وقد ذكر غير مضبوط وفي آخره ألف.

(٦) الجميلة: ما جعل لك على عملك، وجنبه كنصره: قاده إلى جنبه، فهو جنيب، وفي مط «الحبيب» وهو تصحيف. وأسمحت الدابة: لانت وانقادت بعد استصعاب.

يذكره الحجاج بأنه القاتل: تخير... الأبيات أي أنه لا مناص لك من إحدى اثنتين: إما أن تقاتل مع المهلب، وإما أن تقتل كابين ضابيء - وفيها يقول:

فَمَا إِنْ أَرَى الحَجَّاجَ يَغْمِدُ سِيفَهُ يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى يَتْرَكَ الطِّفْلَ أَشْيَا
فيجيبه بقوله أنا الذي أقول... أي أنني نفذت ما أمرتنا به فأخذت جعيلتي (أي عطائي) وسرت لقتال الأزارقة مع المهلب، وكان الحجاج قد توعدهم في خطبته بقوله: «وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيائكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه».

(٧) الشري: الطريق والناحية. مجمحا يريد مفراً ومهرباً من لقائهم. وفي ج «مجحاً» وهو تحريف.

(٨) جَدَح السويق وغيره: لته. والمجدح: ما يجده به، وهو خشبة في رأسها خشبتان معترضتان، والمعنى: لا يعدم محرماً ومجيباً له.

مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي قال: [لما] ^(١) ولي عبد الرحمن ابن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزبير، فلم يُثبه، وكان قدم في هيئة رثة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر، فقال ابن الزبير فيه:

تبَقَّلْتُ لِمَا أَنْتَ بِلَادُكُمْ وفي مصرنا أنت الهمام القَلَمَسُ ^(٢)
الَسْتُ بِيَغْلَ أَمَّهُ عَرِيَّة أبوك حمار أدبرُ الظهر يُنَخَسُ ^(٣)

قال: وكان بنو أمية إذا رأوا عبد الرحمن يلقبونه البغل، وغلبت عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً، يظنه يعرض به.

شعره في مقتل عبد الله بن الزبير

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُراني عن العُمري عن العُتبي قال: لما قُتل عبد الله بن الزبير صلب الحَجَّاج ^(٤) جسده، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه، فقام عبد الله بن الزبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلم ولا تقل إلا خيراً، وتوخَّ الحقَّ فيما تقول، فأنشأ يقول:

/ مشى ابن الزبير القَهْقَرَى فتقدمت أمية حتى أحرزوا القَصَبَاتِ
وجنت المَجْلِي يابن مروان سابقاً أمام قريش تنفض العُذْرَاتِ ^(٥)
فلا زلت سباقاً إلى كل غايبة من المجد نجاء من الغَمَرَاتِ ^(٦)

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عينا بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب يعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المَحِل ^(٧) في وفي الحَجَّاج التي قلتها: فأنشده:

شعره في المحل وفي الحجاج

كَأَنِّي بَعْدَ اللَّهِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وفيه سنان زاعبي محارب ^(٨)

(١) عن ط ومط.

(٢) القلمس: البحر، والرجل البخير المعطاء، والسيد العظيم، والرجل الداهية المنكر البعيد الغور. تبقل: خرج يطلب البقل.

(٣) أدبر: وصف من الدبر بالتحريك وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة.

(٤) في ط ومط: «جسمه».

(٥) في الأصل: «المعالي»، وإنما هو «المجلى»: السابق من الخيل. والعذرة: الناصية، وقيل هي الخصلة من الشعر، وعرف الفرس وناصيته.

(٦) الغمرات: جمع غمرة: وهي الشدة، ومن أمثالهم «غمرات ثم ينجلين». وفي ب، س «إلى المجد» وهو تحريف والتصويب عن ط، مط.

(٧) كان عبد الله بن الزبير يدعى المحل، لإحلاله القتال في الحرم، وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير:

ألا من القلب معنى غزل بذكر المحلة أخت المحسل
- «الكامل» للمبرد ٢: ٥٩٨ طبع أوروبا.

(٨) يقال للقتيل: ركب رده: إذا خر لوجهه على دمه. زاعبي: في ط، ج، وفي ب «زاغبي» وهو تصحيف، وزاعب بلد أو رجل ومنه الرماح الزاغبية أو هي التي إذا هزت كأن كعوبها يجري بعضها في بعض. وحرب السنان: حدده.

وقد فرّ عنه الملحّدون وحلّقث به ويمن آساه عَنقَاءُ مُغْرِبٍ^(١)
 تولّوا فخلّوه فشالَ بشلّوه طويل من الأجداع عارٍ مشدّبٍ^(٢)
 بكفّي غلام من ثقيفٍ نمت به قريش وذو المجد التليد مُعَتَّبٍ

[٢٥١/١٤] / فقال له عبدُ الملك: لا تقل غلام، ولكن هُمام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ والله أعلم.

هجاؤه عبد الله بن الزبير

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد قال: قتل ابنُ الزبير من شيعة بني أمية قوماً بلغه أنهم يتجسّسون لعبد الملك، فقال فيه عبد الله بنُ الزبير في ذلك يهجوهُ ويعيّره بفعله:

أيها العائد في مكّة كم من دمٍ أهرقته في غير دم
 أيّد عائذة معصمة ويد تقتل من حلّ الحرّ!

مدحه بشر بن مروان

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه، والكتاب بخط النضر بن حديد^(٣) من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره، قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشرٌ خلّعها عليه، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه، فجفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه، وجعل يتأمل من حوَالَيْهِ من بني أمية، ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيتهم، فقال له بشر، إن نظرك يابنُ الزبير ليدلّ أن وراءه قولاً؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

كأن بنّي أمية حول بشر نجومٌ وسَطَها قمر منير
 هو الفرع المقدّم من قريش إذا أخذت ما أخذها الأمور
 لقد عمت نوافله فأضحى غنيّاً من نوافلسه الفقير^(٤)
 جبرت مهيضنا وعذلت فينا فعاش البائس الكلّ الكسير^(٥)
 فأنت الغيثُ قد علمت قريش لنساء، والواكفُ الجونُ المطير^(٦)

[٢٥٢/١٤] / قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه، فقال ابنُ الزبير:

ليُشرِ بن مروان على الناس نعمة تروح وتغدو لا يطاق ثوابها

(١) يقال: عتقاء مغرب ومغربة على الوصف وعتقاء مغرب بالإضافة، وهي التي أغربت في البلاد فئات ولم تحسن ولم تر.

(٢) الشلو: الجسد. شال به: رفعه، أي أنه صلب على جذع طويل. والتشذيب: إصلاح الجذع.

(٣) في ط، مط «حبيب».

(٤) النوافل: جمع نافلة، وهي العطية.

(٥) هاض العظم: كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجر فهو مهيض. الكل: من كان عيلاً وثقلاً على صاحبه. وفي ب، جد «الفقير».

(٦) وكف الماء: سال. الجون: يطلق على الأسود والأبيض، وهو هنا الأسود أي السحاب الكثيف المتراكم.

به آمن الله النفوس من الردى
دمغت ذوي الأضغسان يا بشر عنوة
/ وكنت لنا كهفاً وحصناً ومعقلاً
وكم لك يا بشر بن مروان من يد
وطئت لنا دين النبي محمد
وسدت أبن مروان قريشاً وغيرها
رأيت لنا وأصطنعت أيادياً
وكانت بحال لا يقر ذبابها^(١)
بسيفك حتى ذل منها صعايبها^(٢)
إذا الفتنة الصماء طارت عقابها^(٣)
مهذبة بيضاء راس ظرايبها^(٤)
بحلمك إذ هرت سفاهاً كلابها^(٥)
إذا السنة الشهباء قل سحابها^(٦)
إلينا ونار الحرب ذاك شهابها^(٧)

شعره لبشر بن مروان

قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزبير إلى بشر بن مروان متعرضاً له ويُسَمِّعُه^(٨) بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك / وهل أبقي أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من وذك [٢٥٣/١٤] شيئاً؟ لقد نزحت فيه بحرك يابن الزبير؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي آيات كثيرة، وكنت لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجل، وأملّي فيه أعظم، وإن كان قولّي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب. فقال: هات، فقال:

تداركني بشر بن مروان بعدما
غيات الضعاف المرملين وعصمة الـ
قريع قريش والهام الذي له
وقيس بن عيلان وخندف كلها
تعاوت إلى شلوي الذئب العواسل^(٩)
يتامى ومن تأوي إليه العباهل^(١٠)
أقرت بنو قحطان طراً ووائل^(١١)
أقرت وجس الأرض طراً وخايل^(١٢)

(١) في جـ «لا تغو ذبابها». وفي ب وس «لا تفر ذبابها» وهو تحريف. والتصويب عن ط والذباب: الشر، أي لا يسكن شرها، والذباب أيضاً: المجنون، أي لا يهدأ اضطرابها.

(٢) دمغت: علوت وقهرت.

(٣) في س «وكنت لها». الكهف: الملجأ وكذا المعقل. الفتنة الصماء: هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتنتهيها في ذهابها، لأن الأصم لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عما يفعله. وقيل: هي كالحية الصماء التي لا تقبل الرقي. وفي ج وب وس «الفتنة» وهو تحريف.

(٤) ظراب: جمع ظرب ككتف، وهو الجبل المنبسط.

(٥) وطدت: ثبت. هرّ الكلب هريراً، وهو صوته دون نباحه.

(٦) سنة شهباء: إذا كانت مجدبة بيضاء من الجذب لا يرى فيها خضرة؛ وقيل الشهباء التي ليس فيها مطر.

(٧) الثأى كالثرى: الإفساد. ذكت النار: اشتد لهيبها. والشهاب: شعلة من نار ساطعة.

(٨) كذا في ج، ط، مط. والذي في ب، س: «شيئاً».

(٩) الشلو: الجسد. والعواسل: جمع عاسل، غسل الذئب كضرب: اضطرب في عدوه وهز رأسه.

(١٠) أرمل: نفذ زاده. العباهلة: هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه (بالبناء للمجهول) وقد جاء هنا العباهل بغير تاء، وفي كتاب رسول الله ﷺ «إلى الأقبال العباهلة» وواحد العباهلة عبهل كجعفر والتاء لتأكيد الجمع، كقشعم وقشاعة، ويجوز أن يكون الأصل عباهل جمع عبهول أو عباهل فحذفت الياء وعوض منها الهاء، والأول أشبه.

(١١) القريع: السيد.

(١٢) الخايل: الجن، جاء في «لسان العرب»: الخيل بالتحريك: الجن وهم الخايل، وقيل الخايل: الجن، والخيل، اسم الجمع كالقعد =

يداك أبْن مروان يَدْ تَقْتُل العدا وفي يدك الأخرى غِيَاثٌ^(١) ونائل
 إِذَا امْطَرْتُنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةٌ رَوَيْنَا بِمَا جَادَتْ عَلَيْنَا^(٢) الْأَنَامِلُ
 / فَلَا زِلْتَ يَا بَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ سَيِّدًا يَهْلُ عَلَيْنَا مِنْكَ طَلٌّ وَوَابِلُ
 فَأَنْتَ الْمُصْقَى يَا بْنَ مَرْوَانَ وَالَّذِي تَوَافَتْ إِلَيْهِ بِالْعَطَاءِ الْقِبَائِلُ
 يَرْجُونَ فَضْلَ اللَّهِ عِنْدَ دَعَائِكُمْ إِذَا جَمَعْتَكُمْ وَالْحَجِيجَ الْمَنَازِلُ
 وَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ طَاشَتْ حُلُومُنَا وَكَنَّا فَرَاشًا أَحْرَقَتْهَا الشَّعَائِلُ

[٢٥٤/١٤]

شعره في أمير المؤمنين

فأمر له بجائزة وكساه خلعة، وقال له: إني أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين، فتهباً لذلك يأبى الزبير، قال: أنا فاعل أيها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدت عليه ولقيته^(٣) إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال:

أقول: أمير المؤمنين عَصَمْتَنَا ببشر من الدهر الكثير الزَّلَازِلِ^(٤)
 وَأَطْفَاتُ عَنَانٍ كُلِّ مَنْسَافِقٍ بِأَيْضِ بُهْلُولٍ طَوِيلِ الْحَمَائِلِ^(٥)
 نَمَثُهُ قُرُومٌ مِنْ أَمِيَةٍ لِلْعَلَا إِذَا أَفْتَخَرَ الْأَقْوَامَ وَشَطَّ الْمَحَافِلِ^(٦)
 هُوَ الْقَائِدُ الْمَيْمُونُ وَالْعِصْمَةُ الَّتِي أَتَى حَقُّهَا فِينَا عَلَى كُلِّ بَاطِلٍ
 أَقَامَ لَنَا الدِّينَ الْقَوِيمَ بِحِلْمِهِ وَرَأَى لَهُ فَضْلٌ عَلَى كُلِّ قَائِلٍ
 أَخَوَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِهِ نُجَادٌ وَتُسْقَى صَوْبٌ أَسْحَمَ هَاطِلِ^(٧)
 / إِذَا مَا سَأَلْنَا رِفْدَهُ هَطَلَتْ لَنَا سَحَابَةٌ كَفَيْهِ بِجَوْدٍ وَوَابِلِ^(٨)
 حَلِيمٌ عَلَى الْجُهَالِ مِنَّا وَرَحْمَةٌ عَلَى كُلِّ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ

٤٣
١٣

[٢٥٥/١٤] / فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا والله الشعر، وهذه القدرة عليه! فقال له حَجَّارُ بْنُ أَبِجَرَ الْعَجَلِي، وكان من أشرف أهل الكوفة، وكان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلح الله الأمير أشعرُ الناس وأحضرهم قولاً إذا أراد،

= والروح: اسمان لجمع قاعد ورائح، وقيل: هو جمع، وفي ط، ب، س «وحابل» وفي ج «وحامل» وهو تحريف.

(١) كذا في ب وس والذي في ج، ط، مط «عقاب».

(٢) كذا في ط، مط والذي في ب، س، ج «عليه».

(٣) في س، ب «والقيته» وهو تحريف.

(٤) الزلازل: البلايا والشدائد.

(٥) إذا قالت العرب: فلان أبيض، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب، وهو كثير في شعرهم، لا يريدون به بياض اللون، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض. والبهلول: السيد الجامع لكل خير. الحمائل جمع حمالة بالكسر، وهي علاقة السيف. وطويل الحمائل كناية عن أنه طويل القامة.

(٦) يقال: نماه جده: إذا رفع إليه نسبه، ومنه قوله: «نماني إلى العياء كل سبيد» وقروم جمع قرم بالفتح: وهو السيد.

(٧) الصوب: المطر، أسحم: أي سحاب أسحم: وهو الأسود المتكاثف.

(٨) الجود: المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه، جمع جائد.

فقال محمد بن عمير بن عطار - وكان عدواً لحجار - أيها الأمير، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول:

شعر الفرزدق في بشر بن مروان

لبشر بن مروان على كل حالة
قريع قريش والذي باع ماله
ينافس بشر في السماحة والتدي
فكم جبرث كفاك يا بشر من فتى
وصيرت ذا فقر غنياً، ومثرياً
من الدهر فضل في الرخاء وفي الجهد
ليكيب حمداً حين لا أحد يجدي^(١)
ليحرز غايات المكّارم بالحمد
ضريك، وكم عيئت قوماً على عمد^(٢)
فقيراً، وكلاً قد حذوت بلا وعد^(٣)

خبره مع حجار بن أبجر

فقال بشر: من يقول هذا؟ قال: الفرزدق، وكان بشر مغضباً عليه، فقال: إبعث إليه فأحضره، فقال له: هو غائب بالبصرة، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتي، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق، فتهياً للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة، فأقام وأتظر قدومه، فقال عبد الله بن الزبير لمحمد بن عمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر:

[٢٥٦/١٤]

/ بني دارم هل تعرفون محمداً
وساميتهم قوماً كراماً بمجدكم
فأصلك دهمان بن نصر فردهم
فإن تميمأ لست منهم ولا لهم
ولولا أبو مروان لأقيت وإبلاً
أحين علاك الشيب أصبحت عاهراً
تركت شراب المسلمين ودينهم
نيتان من شرب المدامة كالذي
بـدعوته فيكم إذا الأمر حققاً^(٤)
وجاء سكتاً آخر القوم مخففاً^(٥)
ولا تك وغداً في تميم معلقاً
أخأ يابن دهمان فلا تك أحققاً
من السوط ينسبك الرحيق المعتقاً^(٦)
وقلت أسقني الصهباء صرفاً مروقاً^(٧)
وصاحبت وغداً من فزارة أزرقاً^(٨)
أتيح له جبل فأضحى مخففاً

فقال بشر: أقسمت عليك إلا كففت، فقال: أفعل أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذت

(١) أجدى: أعطى.

(٢) كلمة «كفاك» ساقطة من ج، ب، س وقد أثبتناها عن ط، مط. والضريك: الفقير السيء الحال. عيلهم: أهملهم.

(٣) حذوت: قدّرت.

(٤) دارم بن مالك بن حنظلة: بطن من تميم. ومحمد: هو محمد بن عطار بن حاجب بن زرارة التميمي سيد تميم الكوفة. والدعوة في النسب بالكسر: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.

(٥) السكيت: الذي يجيء آخر حلبة الخيل.

(٦) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول «وانلاً»؛ وهو تصحيف.

(٧) الصهباء: الحمر. والصرف: الخالص، ذكر الوصف حملاً على المعنى، أي شراباً صرفاً مروقاً. والرحيق: الخمر أو أطيبها.

(٨) أزرق، أي أزرق العين، أي شبيه بالروم، وكان العرب يكرهون الروم وهم زرق العيون، فكانت الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب، وكذا قالوا في صفة العدو. أزرق العين.

حُضْنَيْهِ^(١) بالحق، وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير - وكان عدوه - وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمت حجاراً بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوّه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعر العرب؟ / قال: بلى، ولكن محمداً ظلمني وتعرض لي، ولم أكن لأحلم عنه إذ فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً، فقال:

سليل النصارى سُدت عَجلاً ولم تكن / ولكنهم كانوا لثاماً فُسدتهم
لذلك أهلاً أن تسود بني عَجَل^(٢) / وكيف بعجلٍ إن دنا الفِضْحُ واغتدت
ومثلُك من ساد اللثام بلا عَقْل / وعندك قيس النصارى وصلبها
عليك بئو عجل ومرجلُكم يغلي^(٣) / وعانية صهباء مثلُ جنى النحل^(٤)

٤٧
١٣

قال: فلما بلغ حجاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حجاراً؟ فقال: لا والله أعز الله الأمير، ما هجوته، لكنّه كذب عليّ، فأتاه ناس من بني عجل وتهذوه بالقتل، فقال فيهم:

تهددني عجلٌ، وما خلّت أني / خلاة لعجلٍ والصليب لها بعل^(٥)
وما خلّتي والدهر فيه عجائب / أعمّر حتى قد تهددني عجلٌ
وتوعدني بالقتل منهم عصائب / وليس لهم في العز فرع ولا أصل
وعجلٌ أسود في الرخاء، ثعالب / إذا التقت الأبطال واختلف النبل
فإن تلقنا عجل^(٦) هناك فما لنا / ولا لهم م الموت منجى ولا وغل^(٧)

[٢٥٨/١٤] / منعه عبد الرحمن الخروج إلى الشام

وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزبير الخروج إلى الشام، وأراد حبسه، لجأ إلى سويد بن منجوف، واستجار به، فأخرجه مع بني شيبان في بلادهم، وأجازه^(٨) عمل ابن أم الحكم، فقال يمدحه:

أليس ورائي إن بلاداً تجهمت / سويد بن منجوف وبكر بن وائل^(٩)
حصون براها الله لم يُر مثلاًها / طوال أعاليها شسداد الأسافل

(١) الحُضْن: الجنب.

(٢) بنو عجل: قبيلة من ربيعة، وهو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. وفي أ، ج، ب، س «ومن يكن * كذلك أهل»، وما أثبتناه عن ط، مط.

(٣) الفصح: عيد للنصارى.

(٤) صهباء: ذات صهوة بالضم: وهي حمرة أو شقرة.

(٥) الخلي: الرطب من النبات واحده خلا، وقيل: الخلاة كل بقلة قلعتها، والبعل من النخل: ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء.

(٦) في ط، مط «يوماً».

(٧) في ب، س «والموت» وهو تحريف، التصويب عن ج، ط، مط. أي من الموت. والوعل: الملجأ.

(٨) أي يسر له أن يجتاز حدود ولايته.

(٩) تجهمه وتجهم له: استقبله بوجه كربه، وقوله: «وبكر بن وائل» لأن بني شيبان من بكر.

هُمْ أَصْبَحُوا كَنْزِي الَّذِي لَسْتُ تَارِكاً وَتَبْلِي التِّي^(١) أَعَدْتُهَا لِلْمُنَاضِلِ

حاجب بشر قال شعراً

وقال أيضاً في هذا الكتاب: جاء عبد الله بن الزبير يوماً إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبه، وجاء حجار بن أبجر فأذن له، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً، فدخل إليه، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

السم تر أن الله أعطى فحَصَّنَا بأبيض قَرَمٍ من أمية أزهرًا^(٢)
 طلوع ثنايا المجد، سام بطرفه إذا سُئل المعروف ليس بأوعرا^(٣)
 فلولاً أبو مروان بشرٌ لقد غدت ركابي في قيف من الأرض أغبرا^(٤)
 سراعاً إلى عبد العزيز دوايباً تَخْلُلُ زيتونا بمصر وعَرَءرا^(٥)
 وحاربته في الإسلام بكر بن وائل كحرب كليب أو أمر وأمقرا^(٦)
 / إذا قادت الإسلام بكر بن وائل فهب ذاك ديناً قد تغير مهترا^(٧)
 بأي بلاء أم بأي نصيحة تُقَدِّمُ حَجَّاراً أمامي ابنَ أبجرا
 وما زلتُ مذفارقُ عثمان صَاديّاً ومروانٌ مُلتاحاً عن الماء أزورا^(٨)
 ألا ليتني قُدمتُ والله قبلَهُم وأن أخي مروان كان المؤخرًا^(٩)
 بهم جمع الشمل الشئت، وأصلح الـ إله، وداوى الصَّدْعَ حتَّى تجبرا
 قضى الله: لا ينفك منهم خليفة كريم يسوس الناس يركب منبرا

[٢٥٩/١٤]

/ فاعتذر إليه بشرٌ ووصله وحمله، وأنكر على حاجبه ما تشكاه، وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخص أهله وأولياته. ١٣

شعر لأبيه

وقال النضر في كتابه هذا: كان الزبير بن الأشيم - أبو عبد الله بن الزبير^(١٠) - شاعراً، وكان لعبد الله بن الزبير

(١) كذا في ط، مط، وفي باقي الأصول: «الذي».

(٢) في ب، س: «أخصنا»، والتصويب عن ط، مط.

(٣) ثنايا: جمع ثنية، وهو الطريق في الجبل.

(٤) القيف: المفازة كالغفافة والغفقاء.

(٥) هو عبد العزيز بن مروان أخو بشر، وكان والياً على مصر. والععر: شجر السرو.

(٦) بكر بن وائل: تقدم أن حجار بن أبجر من بني عجل وهم من بكر بن وائل. وكليب: هو كليب بن ربيعة الذي قتله جساس بن مرة، ونسبت بقتله حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب. وأمقر: أمر، وفي ط، مط «وأسفرا».

(٧) هب: عد، أهر الرجل وأهر بالبناء للمجهول: ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن فهو مهتر، ورجل مهتر: مخطيء في كلامه، والمعنى: فعده ديناً فاسداً غير قويم.

(٨) الصادي: العطشان. الملتاح: المتغير. أزور: مائل، من الزور بالتحريك، وهو الميل. وعن الماء متعلق به.

(٩) كذا في ط، مط والذي في باقي الأصول: «فيا ليتني».

(١٠) في ج، د، ب، وس «أبو عبد الله محمد بن الزبير» بزيادة كلمة «محمد» وهو خطأ. والتصحيح عن ط، مط.

ابن يقال له الزبير شاعر، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الذي يقول:

ألا يا لقومي للرقاد المورق
وهم الفتى بالأمر من دون نيله
ويوم بصحراء البديدين قلاته
/ وذلك عيش قد مضى كان بعده
وغير ما استكثرت يا أم وأصل
فراق حبيب أو تغير حالة
على أنسي جلد صبور مرزاً
[٢٦٠/١٤]

وللربيع - بعد الغبطة - المتفرق^(١)
مراتب صعبات على كسل مُرتقي
بمنزلة الثعمان وأبن محرق
أمور أشابت كل شأن ومفرق^(٢)
حوادث إلا تكسر العظم تعرق^(٣)
من الدهر أورايم لشخصي مفوق
وهل تترك الأيام شيئاً لمشفق؟

شعر لابنه

وأما ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري:

قالت عبيدة مؤهناً
هل تبلغن بك المني
بدر له الشيم الكرا
والجوع يقتله التريدي
فهنالك يخمد الووري
قال: وهو القائل في بعض بني عمه:

أين أغترأك الهمة أينة^(٤)
ما كنت تأمل في عيينة
ثم كاملات فاعتلينة
منه إذا قحط تريته
أخلاق غيركم اشتكينه

ومولى كداء البطن أو فوق دائه
تلممت أرجو أن يثوب فيزعوي
يزيد موالى الصديق خيراً وينقص^(٥)
به الحلم حتى أستيأس المترص^(٦)

[٢٦١/١٤] هروبه إلى معاوية

وقال النضر في كتابه هذا: لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية، أحرق عبد الرحمن دراه، فتظلم منه وقال: أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ قال: هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية

(١) أي وللربيع المتفرق بعد الغبطة، فصل بين الموصوف والوصف بمعمول الوصف، وهو جائز قال تعالى: ﴿ذلك حشر علينا يسيراً﴾. والغبطة: حسن الحال والمسرة.

(٢) الشأن: موصل قبائل الرأس.

(٣) عرق العظم كنصر: أكل ما عليه من اللحم.

(٤) الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.

(٥) المولى: ابن العم. يقول: إن موالى الصديق يزيدون خيراً وهو ينقص.

(٦) تلممت في الأمر: تمكث وانتظر كتريص. يثوب: يرجع. واستيأس: يئس.

للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آبه^(١) لنفقتة على داره ومبلغها، ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة، ففعلت، فقال معاوية: إن داراً اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه، ثم قال لهم: أيّ الشيخين عندكم أكذب؟ والله إني لأعرف داره، وما هي إلا خصاص قصب، ولكنهم يقولون فنسمع، ويخادعوننا فننخدع، فجعلوا يعجبون منه.

مدحه إبراهيم بن الأشتر

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي قال: أتى عبد الله / بن الزبير إبراهيم بن الأشتر النخعي فقال له: إني قد مدحتك بأبيات فأسمعهم، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعها مني وترى رأيك، فقال: هات إذاً، فأنشده قوله:

الله أعطاك المهابة والثقي
وأقر عينك يوم وقعة خازر
/ إني مدحتك إذ نبأ بي منزلي
وعرفت أنك لا تخيب مذحتي
وأحل بيتك في العديد الأكثر
والخيل تعثر بالقنا المتكسر^(٢)
وذممت إخوان الغنى من مغش
فهلهم نحوي من يمينك نفحة
فقال: كم ترجو أن أعطيك؟ فقال: ألف درهم أصليح بها أمر نفسي وعيالي، فأمر له بعشرين ألف درهم.

صوت

ما هاج شوقك من بكاء حمامة
تدعو أخا فرخين صادف ضارباً
تدعو إلى فن الأراك حماما^(٣)
ذاً مخليين من الضفور قطاما^(٤)
إلا تذكرك الأوانس بغدما
قطع المطي سباسباً وهياما^(٥)

الشعر لثابت قطنة؛ وقيل إنه لكعب الأشقري، والصحيح أنه لثابت، والغناء ليحيى المكي، خفيف ثقیل أول بالبنصر، من رواية ابنه والهشامي أيضاً.

(١) أي لم أحفل.

(٢) في الأصول «جازر» وهو تصحيف، وفي جـ «المتكسر» وهو تحريف، وخازر: نهر بين إربل والموصل، وكانت عنده رقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر، وكان قد خرج مع المختار بن أبي عبيد الثقفي للطلب بدم الحسين رضي الله عنه، وقتل يومئذ ابن زياد سنة ٦٦ هـ.

(٣) الفتن: الغصن وفي أ، ط، مط، «على» والذي أثبتناه عن ب، س، جـ.

(٤) صقر قطام بفتح القاف وقطامي بفتحها وضمها: لحم.

(٥) سباسب: جمع سبب كجعفر، وهي الفلاة.

[٢٦٣/١٤]

/ أخبار ثابت قطننة

نسبه

هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، ويكنى أبا العلاء، أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك^(١)، وقيل: بل هو مولى لهم، ولقب قطننة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطننة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد^(٢) بن المهلب، وكان يوليّه أعمالاً من أعمال الثغور، فيُحمد فيها مكانه لكفايته^(٣) وشجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان ثابت قطننة قد ولي عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذر عليه وحصر، فقال: «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا»، وبعد عي بيانا، وأنتم إلى أمير فقال، أحوج منكم إلى أمير قوال:

وإلا أكن فيكم خطيباً فإتني
بستقي إذا جدّ الرغى لخطيب
فبلغت كلماته خالد بن صفوان - ويقال الأخف بن قيس - فقال: والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه، ولو أن كلاماً استخفني، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف.

[٢٦٤/١٤] / صلاته الجمعة بالناس

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دعلج بن / علي، قال: كان يزيد بن المهلب تقدّم^(٤) إلى ثابت قطننة^(٥) في أن يصلي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يُطق الكلام، قال حاجب الفيل يهجو:

[أبا العلاء لقد لقيت معضلة
أما القرآن فلم تخلق لمحكمه
يوم العروبة من كرب وتخنيق^(٦)
ولم تسدّد من الدنيا لتوفيق^(٧)

(١) في ج، ب، س «العتيك» وهو تحريف. والعتيك كأمير: فخذ من الأزدي، وهو العتيك بن الأزدي.

(٢) ولي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبي صفرة سنة ٧٢ في خلافة عبد الملك بن مروان، وعزل عنها سنة ٨٦، ولما ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ ولاء أمر العراق، ثم ولاء خراسان سنة ٩٧.

(٣) في أ، ب، س: «لكتابته».

(٤) تقدّم إليه في كذا: أمره به.

(٥) في ط، ب «ثابت بن قطننة»، وهو تحريف.

(٦) ما بين مريعين ساقط من ط، مط؛ وقد أثبتناه عن ج، ب، س. ويوم العروبة: يوم الجمعة.

(٧) القرآن: مسهل عن القرآن.

لَمَّا رَمَتْكَ عَيُونُ النَّاسِ هَيْبَتَهُمْ فَكَدَّتْ تَشْرِقَ لَمَّا قَمَتْ بِالرُّيْقِ
تَلَوِي اللِّسَانِ وَقَدْ رُمْتَ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلَقٌ مِنْ شَاهِقِ الثِّيقِ^(١)

خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَاحِ قَالَ: كَانَ سَبَبُ هَجَاءِ حَاجِبِ بْنِ ذُبْيَانَ الْمَازَنِيِّ - وَهُوَ حَاجِبُ الْفِيلِ، وَالْفِيلُ لَقَبُ لِقَبِهِ بِهِ ثَابِتُ قَطْنَةَ وَكَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ - أَنْ حَاجِبًا دَخَلَ عَلَى يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَدَهُ:

إِلَيْكَ امْتَطَيْتُ الْعَيْسَ تَسْعِينَ لَيْلَةً أَرْجِي نَدَى كَفِّكَ يَا بَنَ الْمُهَلَّبِ^(٢)
[وَأَنْتَ امْرُؤٌ جَادَتْ سَمَاءُ يَمِينِهِ عَلَى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ]^(٣)
فَجَذَلِي بِطَرْفِ أَعُوجِي مَشْهَرٍ سَلِيمِ الشُّطَا عَنَلِ الْقَوَائِمِ سَلْهَبِ^(٤)
/ مَبُوحِ طَمُوحِ الطَّرْفِ يَسْتَنُّ مِرْجَمِ أَمْرَ كَلَامِ الرَّشَاءِ الْمَشْدَبِ^(٥)
طَوَى الضُّمْرُ مِنْهُ الْبَطْنُ حَتَّى كَأَنَّهُ عَقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ كَبْكَبِ^(٦)
تُبَادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَرُخَيْنِ أَقْوَا مِنَ الزَّادِ فِي قَفَرٍ مِنَ الْأَرْضِ مَجْدِبِ^(٧)
فَلَمَّا رَأَتْ صَيْدًا تَدَلَّتْ كَأَنَّهَا دَلَاةٌ تَهَاوَى مَرْقَبًا بَعْدَ مَرْقَبِ^(٨)
فَشَكَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ مِنْ ذَنْبٍ قَفَرَةٍ طَوِيلِ الْقَرَا عَارِي الْعِظَامِ مَعْصَبِ^(٩)
وَسَابِغَةٍ قَدْ أَتَقَّنَ الْقَيْنُ صَنْعَهَا وَأَسْمَرَ خَطَطِي طَوِيلِ مُحَرَّبِ^(١٠)
وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ مَتَى يَلْقَى الضَّرِيَّةَ يَقْضِبِ^(١١)
وَقُلْ لِي إِذَا مَا شِئْتَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَقْدَّمَ أَوْ أَرَكَبَ حَوْمَةَ الْمَوْتِ أَرَكَبِ

[٢٦٥/١٤]

- (١) النبق: أرفع موضع في الجبل.
- (٢) العيس: الإبل الأبيض يخالط بياضها شقرة.
- (٣) سقط هذا البيت من ط، مط.
- (٤) الطرف: الكريم من الخيل. أعوجي: نسبة إلى أعوج، وأعوج: فرس كريم سابق كان لبني هلال، ركب صغيراً فأعوجت قوائمه، وإليه تنسب الخيل الكرام، فيقال: الخيل الأعوجية. مشهر ومشهور: معروف المكان المذكور. والشطا: عظم لاصق بالركبة. عيل: ضخم؛ والسلب من الخيل: ما عظم وطال عظامه. وفي ط، مط، جـ «منهب» والمنهب: الفائق في العدو.
- (٥) فرس مَبُوح: يسبح بيديه في سيره. استن الفرس في المضمار: إذا جرى في نشاطه على سنته في جهة واحدة. وفي ب، س «يستر» وهو تحريف. وفرس مرجم: يرمم الأرض بحوافره. أمر الحبل إمراراً: أحكم قتله. الرشاء: الحبل.
- (٦) كبكب: جبل بعرفات، شماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس الجبل.
- (٧) جنح الليل: أي في جنح الليل وهو الطائفة منه. أقوى: افتقر (واستغنى أيضاً، ضد).
- (٨) الدلاة: الدلو. تهاوى: تساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب.
- (٩) سواد القلب: حبه. القرا: الظهر. المعصب: الجائع. وفي ط، جـ «من ذنب» وهو تحريف.
- (١٠) وسابغة: معطوف على «طرف» أي بدع سابغة وهي الثامة الطويلة. القين: الحداد. وفي جـ «قد أيقن صنعها» وفيه تصحيف وسقط. والأسمر: الرمح. والخطي: نسبة إلى الخط، مرفأ السفن بالبحرين، وكانت تباع به الرماح. حرب السنان: حدده. وفي ط، جـ، س، مط «مجرّب».
- (١١) أبيض، أي وسيف أبيض. والشهاب: شعلة من نار ساطعة. والضريبة: ما يضرب، يقضب: يقطع.

فلاني أمرؤ من عُصْبَةٍ مازِنِيَّةٍ نَمَانِي أَبْ ضَخْمٍ كَرِيمٍ المَرْكَبِ
قال: فأمر له يزيدُ بِدِرْعٍ وسيفٍ ورُمحٍ وفرسٍ، وقال له: قد عرفتَ ما شرطتَ لنا على نفسك؟ فقال: أصلح
الله [٢٦٦/١٤] الأمير، حجتِي بينة، وهي قول الله عز وجل: / «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ.
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»^(١). فقال [له] ^(٢) ثابت قطنة: ما أعجب ما وفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة! مدحت
الأمير بيتين، وسألتَه حوائجك في عشرة أبيات، وختمتَ شعركَ بيتَ تَفَخَّرَ عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردتَ
حدثَ عما شرطتَ له على نفسك فأكذبتَها كأنك كنتَ تخدعه، فقال له يزيد: مَهْ يا ثابت، فإنَّا لا نُخدَع، ولكننا
نتخدَع، وسوَّغَه ^(٣) ما أعطاه، وأمر له بألفي درهم. ولجَّ حاجبٌ يهجو ثابتاً فقال فيه:

لا يعرفُ الناسُ مِنْهُ غيرَ قُطْنَتِهِ وما سِواها من الأنسابِ مَجْهُولُ

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلب، وعنده ثابتٌ قطنة وكعب الأشقرِيّ - وكانا لا يفارقان
الملك - فوقف بين يديه فقال له: تكلم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أنشده / أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ
فتسأل حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أظن في وصفك موقِفٌ حقك، ولكنَّ المجتهد محسن، فلا
تهجني بمنعِي الإنشاد، وتأذن لي فيه، فإذا سمعتَ فجدِّك أوسعُ من مسألتي. فقال له يزيد: هات، فما زلتَ مُجيداً
محسناً مجيلاً. فأنشده:

كم من كميٍّ في الهِياجِ تركته بهوي لِقَبِّهِ مُجَدَّلاً مقتولاً ^(٣)
جللتَ مفرِّقَ رأسه ذارونق غضبَ المهزَّةِ صارماً مصقولاً ^(٤)
قُذتَ الجِيادَ وأنتَ غرِّ يافع حتى أكتهلتَ ولم تزل مأمولاً
كم قد حرَّبتَ وقد جَبَّرتَ معاشرا وكم امتننتَ وكم شفَّيتَ غليلاً ^(٥)

[٢٦٧/١٤] فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيماً
أسأله الأميرُ أعزَّه الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقلْ يُفْعَلْ، فلستَ بما تصير إليه أغبَطَ منا، قال: تحمِلني
وتُخِدمني ^(٦) وتجزلَ جائزتي، فأمر له بخمسة تخوتٍ ^(٧) ثيابٍ وغلّامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة
آلاف درهم، فقال حاجب:

شِمَ الْغَيْثَ وانظُرْ وََيْكَ أينَ تبَعَجَتْ كُلاهَ تَجِدْها في يَدِ أبسنِ المهلب ^(٨)

(١) عن ط، مط.

(٢) سوَّغَه ما أعطاه: تركه له خالصاً.

(٣) الكمي: الشجاع المتكفي في سلاحه، المتغطي به. جدَّله: صرعه.

(٤) جللت... أي علوته بسيف ذي رونق قاطع.

(٥) حربه بحربه حرباً، كطلبه يطلبه طلباً: أخذ ماله وتركه بلا شيء.

(٦) أخدمه: أعطاه خادماً يخدمه.

(٧) تخوت: جمع تخت، وهو وعاء تصان فيه الثياب.

(٨) شام البرق: نظر إليه أين يمطر. ويك: وي اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف للخطاب أو أصله ويلك وحذفت اللام لكثرة الاستعمال. تبجع السحاب بالمطر: انفرج عن الويل الشديد، وكلية السحاب: أسفله، والجمع كلي.

يداه يَدْ يُخْزِي بِهَا اللَّهُ مَنْ عَصَى وفي يَدِهِ الْآخِرَى حَيَاةُ الْمَعْصَبِ^(١)
قال: فحسده ثابتٌ قُطْنَةُ وقال: والله لو على قدرِ شِعْرِكَ أعطاك لما خرجتَ بملءِ كَفْكَ نَوَى، ولكنك أعطاك على قدره، وقام مغضباً، وقال لحاجِبِ يزيدَ بنِ المهَلَّبِ: إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطية لمثل هذا، وإلّا فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذ:

أحاجِبُ لولا أن أضلّك زَيْفُ وأنتَ مطبوعٌ على اللؤم والكفر^(٢)
وأني لو أكثرْتُ فيك مقصّرُ رميتُك رمياً لا يبيدُ يدُ الدهر^(٣)
فقل لي ولا تكذبْ فإنني عالمُ بمثلِكَ هل في مازنٍ لك من ظَهْرٍ؟^(٤)
/ فإنك منهم غيرَ شكٍ ولم يكن أبوك من الغُرِّ الجحّاجِحةِ الزُّهر^(٥)
أبوك دِيافِيٍّ وأثك حُرّةُ ولكنّها لا شكَّ وافيةُ البَطْرِ^(٦)
فلمست بهاجِ ابنَ ذُبْيَانٍ إنني سأكرّمُ نفسي عن سبَابِ ذوي الهُجَرِ^(٧)

[٢٦٨/١٤]

هجاء حاجب له

فقال حاجب: والله لا أرضى بهجاء ثابتٍ وحدّه، ولا بهجاء الأزدي كلّها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طراً؛ فقال يهجوهم:

دُعُونِي وقحطاناً وقولوا لثابتٍ تنحّ ولا تقربْ مُصَاوِلَةَ البُزْلِ^(٨)
فللَزَّيْجِ خيرٌ حين تُنسب والبدأ من أبناء قحطان العفاشلة الغُرْلِ^(٩)
أناسٌ إذا الهيجاء شبّت رأيتهُم أدلّ على وطءِ الهَوَانِ من التَّغْلِ^(١٠)
نساؤُهُم فوضى لمن كان عاهراً وجيرانُهُم نهَبُ الفَوَارِسِ والرَّجْلِ

شعره عن نفسه

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: وحدّثني دِعْبِلُ قال: بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال:

- (١) المعصب: الذي عصته السنون أي أكلت ماله، والذي يتعصب بالخرق من الجوع.
- (٢) في ط «زيفة» وما أثبتناه عن باقي الأصول.
- (٣) يد الدهر: مد زمانه.
- (٤) من ظهر: أي من أنصار وقوة. وفي جـ «فإنك عالم» وهو تحريف.
- (٥) الجحجج كجعفر: السيد كالجحجج. والجمع جحاجج وجحاججة.
- (٦) دياف: من قرى الشام، وقيل من قرى الجزيرة، وأهلها بيط، وإذا عرضوا برجل أنه تبطي نسبوه إليها. وفي ب وس «ديابي» وهو تحريف.
- (٧) الهجر: القبيح من الكلام.
- (٨) البزل جمع بازل: وهو الرجل الكامل في تجربته.
- (٩) العفاشلة جمع عفش كجعفر: وهو الثقليل الوخم. وفي ط، مط، جـ؛ «التنايلة»؛ والتنبيل: الرجل القصير. والغرل: جمع أغرل، وهو الذي لم يختن.
- (١٠) الهيجاء: الحرب.

/ لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قَطْنَتِهِ وَمَا سَوَاهَا مِنَ الْأَنْسَابِ مَجْهُولُ

وقال: هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال: اشهدوا أنني قائله، فقالوا: [٢٦٩/١٤] ويحك ما أردت [إلا] (١) أن تهجو / نفسك به، ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا. فقال: لا بد من أن يقع على خاطر غيري، فأكون قد سبقته إليه، فقالوا له: أما هذا فشر قد تعجّلت، ولعلّه لا يقع لغيرك، فلمّا هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يردّ على حاجب:

هَيْهَاتَ ذَلِكَ بَيْتٌ قَدْ سُبِقَتْ بِهِ فَاطْلُبْ لَهُ ثَانِيًا يَا حَاجِبَ الْفِيلِ

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدّب قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزِيّ قال: حدّثنا قُتَيْبُ بن المحرز الباهليّ عن أبي عبيدة قال: كان ثابت قطنة قد جالس قومًا من الشُّرَاة (٢) وقومًا من المرجثة (٣) كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان، فمال إلى قول المرجثة وأحبّه، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها في الإرجاء:

[٢٧٠/١٤] / يَا هِنْدُ إِنِّي أَظُنُّ الْعَيْشَ قَدْ نَفِدا وَلَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا مُذْبِرًا نَكِدا (٤)

إِنِّي رَهِيْنَةٌ يَوْمٍ لَسْتُ سَابِقَهُ إِلَّا يَكُنْ يَوْمُنَا هَذَا فَقَدْ أَفِدا (٥)

بَايَعْتُ رَبِّي بِيَمَاءٍ إِنْ وَفِيتُ بِهِ جَاوَرْتُ قَتْلَى كِرَامًا جَاوَرُوا أَحَدًا (٦)

يَا هِنْدُ فَاسْتَمْعِي لِي إِنْ سِيرْتَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَمْ نَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا

نُرجِي الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً وَنَصْدُقُ الْقَوْلَ فِيمَنْ جَارَ أَوْ عِنْدَا (٧)

الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلِّهِمْ وَالْمُشْرِكُونَ أَشْتَوَا دِينَهُمْ قَدَدَا (٨)

(١) سقطت هذه الكلمة من جميع الأصول. وسياق الكلام يقتضيها.

(٢) يسمي الخوارج أنفسهم «الشُّرَاة»، جمع شار كقاض وقضاة، من شرى كرمى بمعنى باع، لقولهم: شربنا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها ووهبناها، أخذ من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ أو من شرى بمعنى اشترى لقولهم: شربنا الآخرة بالدنيا أي اشتريناها.

(٣) المرجثة: فرقة من الفرق الإسلامية؛ والإرجاء على معنيين: أحدهما التأخير، من أرجأه إذا أخره، وترك الهمز لغة فيه، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي أهله وأخوه، والثاني: إعطاء الرجاء، وعلى هذا فهو من أرجى أي بعث فيه الرجاء، أما إطلاق اسم المرجثة على هذه الجماعة بالمعنى الأول فلأنهم كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان؛ وأما بالمعنى الثاني فلأنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا، وقد غلت طائفة من المرجثة فقالوا: «إن الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل، وليّ الله، من أهل الجنة».

وقيل: إن أول من قال بالإرجاء الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار، إلا أنه ما أصر العمل عن الإيمان كما قالت المرجثة، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر، إذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان حتى يزول الإيمان بزوالها - انظر «الملل والنحل» للشهرستاني ١: ١٤٤، و«الفرق بين الفرق» للبغدادى ص ١٩٠.

(٤) نفد: فني.

(٥) أفد: دنا وأزف.

(٦) أحد: جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أحد المشهورة.

(٧) عند عن الطريق عنوداً: مال.

(٨) في ب، س «استووا في دينهم». واشتوا: فرقوا. وقددا، أي فرقاً مختلفة أهواؤها جمع قدة بالكسر.

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً
لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا
من يتق الله في الدنيا فإن له
وما قضى الله من أمر فليس له
كل الخوارج مخط في مقالته
أما علي وعثمان فإنهما
وكان بينهما شغب وقد شهدا
يُجزى علي وعثمان بسغيرهما
الله يعلم ما إذا يحضران به
م الناس شركاً إذا ما وخذوا الصمداً^(١)
سفك الدماء طريقاً واحداً جديداً^(٢)
أجر التقى إذا وقى الحساب غدا
رد، وما يقض من شيء يكن رشداً
ولو تعبد فيما قال وأجتهدا
عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
شق العصا، ويعين الله ما شهدا^(٣)
ولست أدري بحق أية ورذا
وكل عبد سيلقى الله منفردا

/ قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب بخط المُرهبى الكوفي في شعر ثابت قطنه، قال: لما ولي سعيد بن عبد [٢٧١/١٤] العزيز^(٤) بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نعيم، جلس يعرض الناس وعنده حميد الرؤاسي وعبادة المحاربي، فلما دُعِيَ بثابت قطنه تقدم، وكان تائم السلاح، جواد الفرس، فارساً من الفرسان، فسأله عنه، فقليل: هذا ثابت قطنه، وهو أحد فرسان الثغور، فأمضاه وأجاز على اسمه، فلما انصرف ^{٥٣}/_{١٣} قال له حميد وعبادة: هذا أصلحك الله الذي يقول:

إننا لضرابون في حمس الوغى رأس الخليفة إن أراد صدودا^(٥)

فقال سعيد: علي به، فردّوه وهو يريد قتله، فلما أتاه قال له: أنت القائل:

* إننا لضرابون في حمس الوغى *

قال: نعم، أنا القائل:

إننا لضرابون في حمس الوغى رأس المتوَجَّح إن أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفساداً وكرراً عُدودا

فقال له سعيد: أولى لك، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك، قال: وبلغ ثابتاً ما قاله حميد وعبادة، فأتاه عبادة معتذراً، فقال [له]^(٦): قد قبلت عذرك، ولم يأت حميد، فقال ثابت يهجو:

وما كان الجُنيد ولا أخوه حميد من رءوس في المعالي

(١) بالغ أحداً، أي بالغ من أحد.

(٢) طريق جدد: مستو.

(٣) في ب، س: الشغب. وهو تهيج الشر. وفي أ، ج، ط، مط: «الشعب». والشعب: الصدع والتفرق. ويقال: شقوا عصا المسلمين: أي شقوا اجتماعهم واتلافهم.

(٤) في ب، س «العزيز».

(٥) حمس الأمر كفرح حمساً: اشتد.

(٦) عن «ط» وسقطت من جميع الأصول.

[٢٧٢/١٤] / فإن يك دغفل أمسى رهيناً / وزيد والمقيم إلى زوال^(١)
 فعندكم أبى بشر فأسأله / بمرو الرؤد يصدق في المقال^(٢)
 ويخبر أنه عبد زنيـم / لئيم الجد من عم وخال^(٣)

قال: واجتاز ثابت قطنه في بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمد بن مالك بن بدر^(٤) الهمداني ثم الخيواني^(٥)، وكان يُغمز في نسبه، وخطب إلى قوم من كندة فردوه، فعرف خبر ثابت في نزوله، فلم يُكرمه، ولا أمر له يقرى، ولا تفقده بتزل^(٦) ولا غيره، فلما رحل عنه قال يهجو ويغزوه برّد من خطب إليه:

[٢٧٣/١٤] / لو أنّ بكلاً هم قومـه / وكان أبوه أبا العاقب^(٧)
 لأكرمنا إذ مررنا به / كرامة ذي الحسب الشاقب
 ولكن خيوان هم قومـه / فبئس هم القوم للصاحب^(٨)
 وأنت سنيـد بهم ملصق / كما ألصقت رقة الشاعب^(٩)
 وحسبك حسبك عند الثا / بأفعال كندة من عائب^(١٠)
 خطبت فجازوك لما خطبت / جزاء يسار من الكاعب^(١١)

(١) في جـ «دعبلاً» وفي ب، س، ط، مط «دعبل» وهو تحريف صوابه «دغفل»، وهو دغفل بن حنظلة النسابة من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، كان أعلم أهل زمانه بالأنساب، ومن أمثالهم: أنسب من دغفل، وقد وفد على معاوية، وقتلته الأزارقة، وله حديث طويل مع معاوية حين قدم عليه مع وفد العراق - اقرأه في «ذيل الأمالي» ص ٢٦، ج ٢: ٢٠٣، و «مجمع الأمثال» ج ١: ص ١٣ في المثل: «إن البلاء موكل بالمنطق»، وفي «العقد الفريد» ٢: ٥٥، و «المعارف» لابن قتيبة: ٢٣٢ و «بلوغ الأرب» ٣: ١٩٨. وزيد: هو زيد بن الكيس النمري من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، كان نسابة، قال أبو عبيدة: إنه ممن يقارب دغفلاً في العلم بالأنساب من العرب، وفيه وفي دغفل يقول مسكين بن عامر:

فحكم دغفلاً وارحل إليه / ولا تدع المطي مسن الكلال
 أو ابن الكيس النمري زيدا / ولو أمسى بمنخرق الشمال

- «تاج العروس» «كيس»، و «بلوغ الأرب» ٣: ٢٠٢.

(٢) مرو الرؤد: مدينة بخراسان، مات بها المهلب بن أبي صفرة.

(٣) الزنيـم: الدعوى. والئيم: المعروف بلومه وشبهه.

(٤) كذا في ب، س، جـ، والذي في ط، مط: «يزيد».

(٥) في ب، س «الحراني» وهو تحريف التصويب عن ط، جـ، مط. نسبة إلى خيوان بن نوف (كشمس) بن همدان.

(٦) النزول كمنق وفقل: ما همى للمضيف أن يتزل عليه.

(٧) بكيل: حي من همدان، هم بثو بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان: والعاقب: الذي يخلف السيد.

(٨) في جـ، ب، س «حيوان» وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبتنا. ورواية ط، مط:

* فبئس آخر القوم والصاحب *

(٩) السنيـد: الدعوى، شعب صدع الإناء كمنع: أصلحه ولأمله.

(١٠) الثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء يقال فلان حسن الثا، وقبيح الثا، وفي جـ وب س: «الشبا»، وفي ط، مط: «الشتا» وهو تحريف.

(١١) من أمثالهم: لقي ما لاقى يسار الكواعب، والكاعب: الجارية التي كعب ثديها أي نهذاً، ويسار: عبد أسود دميم، وكان يقال له يسار الكواعب لأن النساء إذا رأينه ضحككن منه لقبحه، فكان يظن أنهن يضحكن من إعجابهن به، حتى نظرت إليه امرأة مولاه فضحكت فظن أنها خضعت له، فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الإبل: قد والله عشقتني مولاتي فلازورنها الليلة، ولم يكن يفارق الإبل، فقال له صاحبه: يا يسار، اشرب لبن العشار، وكل لحم الحوار، (بالضم وقد يكسر: ولد الناقة إلى أن يفصل =

[٢٧٤/١٤]

/ كَذِبْتَ فَرِيقَتَ عَقْدَ النِّكَاحِ لِمَثُكَ بِالنَّسَبِ الْكَاذِبِ^(١)فَلَا تَخْطِبُنْ بَعْدَهَا حُرَّةً فَتُتْنَى بِوَسْمٍ عَلَى الشَّارِبِ^(٢)

هجاؤه لقتيبة بن مسلم

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر، فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه، وغيرهم بهزيمة انهزموها عن التُّرك، فقال:

تَوَافَتْ تَمِيمٌ فِي الطَّمَانِ وَعَرَدَتْ بُهَيْلَةُ لَمَّا عَايَنْتُ مَعِشَرًا غُلْبًا^(٣)كُمَاةٌ كُفَاةٌ يَرْهَبُ النَّاسُ حَدَّهْمَ إِذَا مَا مَشَوْا فِي الْحَرْبِ تَحْسِبُهُمْ نُكْبًا^(٤)

تُسَامُونَ كَعْبًا فِي الْعُلَا وَكِلَابَهَا وَهِيَاتَ أَنْ تَلْقَوْا كِلَابًا وَلَا كَعْبًا

قال: فأفشى عليه راويته ما قاله، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات:

يَا لَيْتَ لِي بِأَخِي نَضْرٍ أَخَا ثَقِيٍّ لَا أَرْهَبُ الشَّرَّ مِنْهُ غَابَ أَمَ شَهْدًا

/ أَصْبَحْتُ مِنْكَ عَلَى سَبَابٍ مَهْلِكَةٍ وَزَلَّةٍ خَائِفًا مِنْكَ الرَّدَى أَبْدَا^(٥)

مَا كُنْتُ إِلَّا كَذِيبَ الشُّوْرِ عَارِضُهُ أَخُوهُ يَدْمِي فَقَرَى جِلْدَهُ قِدَا

/ أَوْ كَابْنَ آدَمَ خَلَّى عَنْ أَخِيهِ وَقَدْ أَذْمَى حَشَاءُ وَلَسِمَ يَسِطُ إِلَيْهِ يَدَا^(٦)

أَهْمُ بِالصَّرْفِ أَحْيَانًا فَيَمْنَعُنِي حَبِيبًا رِبْعِيَّةً وَالْعَقْدَ الَّذِي عَقَدَا

٥٤
١٣

[٢٧٥/١٤]

= عن أمه وإياك وبنات الأحرار، فقال له: يا صاحب، أنا يسار الكواعب، والله ما رأيتني حرة إلا عشقتني، فلما أمسى قال لصاحبه: احفظ عليّ الإبل حتى أنصرف وأعود إليك، فنهاه فلم يته، حتى دخل على امرأة مولاها يرادها عن نفسها، فقالت له: مكانك، فإن للحرائر طيباً أشمك إياه، فقال: هاتيه، فأتته بطيب وموسى قاطعة، فأشمته الطيب ثم انحنت بالموسى على أنفه فقطعت، وقيل: وضعت تحته بخوراً وقطعت مذاكيره، فصاح، فقالت: صبراً على مجامر الكرام، ثم خرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل - انظر «شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون» لابن نباتة المصري ص ٢٧٠.

وفي «مجمع الأمثال» للميداني ٢: ٢٤٨ أنه كان لمولى يسار بنت، فمرت يوماً بإبله وهي ترتع في روض معشب، فجاء يساء بعلبة لبن فسقاها، وكان أفحج الرجلين، فنظرت إلى فحجه فتبسمت ثم شربت وجزته خيراً، فانطلق فرحاً حتى أتى عبداً كان يراعيه، وقص عليه القصة وقال: دخلت إليّ دخلة لا أخيبها (يقول: ضحكت ضحكة) ثم قام إلى عليّة فملاها وأتى بها ابنة مولاها... فوضعت البخور تحته وتطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت مذاكيره وقطعتها بالموسى، قال الفرزدق يخاطب جريراً:

وإنسي لأخشى إن خطبت إليهم عليك الذي لاقي يسار الكواعب

(١) المثل: التوسل بقرابة.

(٢) تننى: ترد. والوسم: أثر الكي.

(٣) كذا في ج، ط، مط. وعردت: هربت. وبهيلة: تصغير باهلة: قوم قتيبة تصغير ترخيم؛ ويؤيد ذلك قوله: «فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه». غلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقة.

(٤) نكبا: جمع نكباء وهي كل ريح من الرياح الأربع، انحرقت ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال وتحبس القطر، والنكب من الرياح أربع: نكباء الصبا والجنوب، ونكباء الصبا والشمال، ونكباء الشمال والديبور، ونكباء الجنوب والديبور.

(٥) رواية ط، مط:

* وزلة خائفاً من شرها أبداً *

(٦) يشير إلى ابني آدم قابيل وهابيل، إذ قربا قرباناً إلى الله وهو زرع لقابيل وكبش لهابيل، فتقبل من هابيل، فنزلت نار من السماء فأكلت قربانه ولم يتقبل من قابيل، فغضب وقتل أخاه.

رثاؤه المفضل بن المهلب

ونسخت منه أيضاً قال: لما قتل المفضل^(١) بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يعزونها، فأنشدوها:

يا هند كيف ينصب بات ييكيني / كان ليلى والأصداء هاجدة
عائري في سواد الليل يؤذيني / لقا حتى الدهر من قوسي وعذري
لبل السليم، وأعياء من يُداويني / إذا ذكرت أبا غسان أرقني
شبي وقاسيت أمر الغلظ واللين / كان المفضل عزاً في ذوي يمن
هم إذا عرس السارون يُشجيني / ما زلت بعدك في همّ تجيش به
وعصمة وثمالا للمساكين / إني تذكرت قتلى لو شهدتهم
نفسى وفي نصب قد كاد يُليني / لا خير في العيش إن لم أجن بعدهم
في حومة الموت لم يصلوا بها دوني /

[٢٧٦/١٤]

فقلت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيت الحق، وما من المروية^(١١) بُدّ، وكم من ميتة ميّت أشرف من حياة حيّ، وليست المصيبة في قتل ممن استشهد ذائباً عن دينه، مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته، وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملاً، يقال: إنه ما عزّي يومئذ بأحسن من كلامها.

رده على ابن الكواء

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: كان ابن الكواء^(١٢) الشكريّ مع الشراة والمهلب يحاربهم، وكان

(١) بعد هزيمة يزيد بن المهلب وقتله - كما سيأتي بعد - اجتمع آل المهلب بالبصرة وأمروا عليهم المفضل بن المهلب، وخرجوا إلى كرمان، وبكرمان فلول كثيرة، وبعث مسلمة بن عبد الملك في طلبهم، وقد اجتمعت الفلول إلى المفضل بفارس، فأدركهم في عقبة واشتد قتالهم إياه، فقتل المفضل وجماعة من خواصه، وقتل آل المهلب عن آخرهم إلا أبا عبيدة بن المهلب وعثمان بن المفضل، فإنهما نجوا فلحقا برتبيل ملك الترك.

(٢) النصب بالفتح والضم وبضمّتين: الداء والبلاء. والعائر: كل ما أعل العين، والرمد، والقذى كالموار.

(٣) الأصداء: جمع صدى، وهو الصوت. والهجود: النوم. والسليم: الملدوغ. أعياء: أعجز.

(٤) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول:

* قاسيت منه أمر الغلظ واللين *

وعذري: من عذر الدار: طمس آثارها، والمعنى: هذني وهذمني، وفي جد «وعذري» وهو تصحيف. والغلظ بفتح اللام وخفف هنا بتسكينها للشعر.

(٥) عرس القوم: نزلوا في آخر الليل للاستراحة. سري: سار ليلاً، شجاء وأشجاء: أحزنه.

(٦) الشمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه. وفي ط، مط: «في المساكين».

(٧) جاشت النفس: ارتفعت من حزن أو فزع. وفي ب، س، ج، ط، مط: «كاد يسليني».

(٨) في ب، س: «تذكرت فعلي» وهو تحريف. وصلى النار وبها: قاسى حرها.

(٩) تبيء: أباء القاتل بالقتيل: قتله.

(١٠) في ب، س (المرزنة).

(١١) في جميع الأصول «ابن الكوفي» وهو تحريف، وهو عبد الله بن الكواء. لما رجع الإمام علي من صفين إلى الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضللاً، ونزلوا حروراء بظاهر الكوفة في اثني عشر ألفاً، وأمروا على القتال شيث بن ربعي التميمي، وعلى

بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلب وعَمَّ الأزد بالهجاء، فقالت لثابت: أجبه [فقال له ثابت] ^(١):

[٢٧٧/١٤]

/ كلُّ القبائل من بكرٍ نعدُّهم
أثرى لجيمٍ وأثرى الحصن إذ قعدت
نَحَاكُمُ عن حياضِ المجدِ والذُّكُمُ
أنتم تحلُّون من بكرٍ إذا نُسبوا
نُبِحت أن بني الكَوَّاء قد نبحوا
يَكوي الأبيجر عبد الله شيخكم
واليشكُريون منهم الأمُّ العَرَب ^(٢)
يشكر أئمه المَعْرورة النَّسَب ^(٣)
فما لكم في بني البرشاء من نسب ^(٤)
مثل القُرَاد حَوَالِي عُكوة الذَّنَب ^(٥)
فعل الكلاب تتلى اللَّيْث في الأشب ^(٦)
ونحن بُرى الذي يكوي من الكَلَب ^(٧)

كتابه إلى يزيد بن المهلب

ونسخت من كتابه أيضاً قال: كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرضه:

[٢٧٨/١٤]

٥٥
١٣

إن امرأً حذبت ربيعةً حولَه
لضعيفٍ ما ضمت جوائح صدره
أيزيدكن في الحرب إذ هيَّجتها
/ شاورت أكرم من تناول ماجد
/ ما كان في أبويك قاذح هُجْنة
فرايت هَمَّك في الهموم بعيدا
فيكون زندك في الزناد صلودا ^(٨)
كأبيك لا رَعِشاً ولا رَغْدِيداً ^(٩)
رأس المتسوّج إن أراد صددوا
في كل معركة فوارس صيدا ^(١٠)
كانوا ليومك بالعراق شهودا
يأليت أنسرتك الذين تغيَّروا

= الصلاة عبد الله بن الكَوَّاء اليشكري.

(١) تكلمة من ط، مط، مب.

(٢) بكر: هم بكر بن وائل، ومنهم بنو يشكر بن بكر. وفي س «اليشكرين»؛ وهو تحريف، وفي ب، س «نعددهم».

(٣) لجيم: هو لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والحصن: هو ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وفي بعض الأصول: «فقدت» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا كما في ط، مط، مب، ها.

(٤) في ب، س، ج «حياض الوجد» وهو تحريف، والبرشاء: لقب أم ذهل وشيبان وقيس بني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، لقيت بذلك لبرش أصابها (والبرش: البرص).

(٥) العكوة بالضم ويفتح: أصل الذنب.

(٦) في ج، ط «قد ضبحوا». الأشب: شدة التفاف الشجر وكثرته حتى لا مجاز فيه.

(٧) الأبيجر: مصغر الأبيجر، وهو العظيم البطن.

(٨) الكنود: المرتقى الصعب.

(٩) ما ضمت جوائح صدره: كناية عن القلب.

(١٠) الرعش والرعيد: الجبان.

(١١) الهجنة كون أحد الزندين وأدياً والآخر صالداً. وصلد الزند: صوّت ولم يور، فهو صالداً وصلود.

(١٢) المعجاج: الغبار، كفره كضرب كفر بالفتح: ستره وغطاه. الثرى: الأرض. صيد: جمع أصيد وهو رافع رأسه كبراً.

وترى مواطنهم إذا اختلف القنا والمشرفيّة يلتظيّن وقوداً^(١)
فقال يزيد لما قرأ كتابه^(٢) : إن ثابتاً لغافل عما نحن فيه، ولعمري لأطيعته، وسيرى ما يكون، فاكثبوا إليه بذلك.

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال: أنشد مسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب قولَ ثابت قطنة:

يا ليت أشرتكَ الذين تغيّوا كانوا ليومك يا يزيد شهودا
فقال مسلمة: وأنا والله لو ددت أنهم كانوا شهداء يومئذ، فسقيتهم بكأسه، قال: فكان مسلمةُ أحدَ من أجاب شعراً بكلام منشور فقلّبه.

خطب امرأة، فدفعه عنها جوير بن سعيد

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال: حدّثني محمد القحذمي عن سليمان بن ناصح الأسدي قال: خطب / ثابت قطنة امرأة كان يميل إليها، فجعل السفير بينه وبينها جُوَيْر بن سعيد المحدث، فاندس فخطبها لنفسه، فتزوجها ودفع عنها ثابتاً، فقال ثابت حين بان له الأمر^(٣) :

أفشى عليّ مقالاً ما قلتهَا وسعى بأمرٍ كان غيرَ سديد
إنّي دعوت الله حين ظلمتني ربي وليس لمن دعا ببعيد
أن لا تزال متيماً بخريدة تسبي الرجال بمقلتين وجيد^(٤)
حتى إذا وجب الصداق تلبّست لك جلد أغصّف بارز بصعيد^(٥)
تدعو عليك الحاربات مُيرة^(٦) فتري الطلاق وأنت غيرُ حميد

قال: فلقي جُوَيْرُ كلَّ ما دعا عليه ثابت به، ولحقه من المرأة كلُّ شرٍّ وضُرٍّ حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها منه.

رثاؤه يزيد بن المهلب

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العقر^(٧)، فلما خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل، قال ثابتُ قطنة يرثيه:

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه وتابِعوك وساروا

(١) القنا: الرماح. والمشرفية: السيوف نسبة إلى مشارف الشام. التظنت وتلظت: تلهبت وتوقدت.

(٢) في ب، س: «الكتاب».

(٣) كذا في ط، مط. وفي باقي الأصول «فحين بان الأمر قال».

(٤) تيمم الحب: عبده وذلك، والخريدة: البكر التي لم تمس.

(٥) في ب وس: «تلبعت». والأغصّف: الكلب.

(٦) مبرة: غالبية قاهرة. وفي ب، س «بنكية».

(٧) العقر: موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة، كانت فيه القعة بين مسلمة بن عبد الملك وبين يزيد بن المهلب، وفيه قتل يزيد.

حتى إذا حَمَسَ الوَغَى وجعلتهم
نصبَ الأسنة أسلموك وطاروا^(١)
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن
عاراً عليك، وبعضُ قتلٍ عار^(٢)

/ هجاؤه لربيعة

[٢٨٠/١٤]

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب المرهبي قال: كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأرد، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر، فشغبت عليه حتى أرضاها فيه، فقال ثابت قطنه يهجوهم:

عصافير تنزرو في الفساد، وفي الوغى
إذا راعها رَوْحُ جَمَامِيحٍ بَرَوَقِ^(٣)

٥٦
١٣

/ الجماميح: ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً، وواحدة جماح، فإذا دُقَّ تطاير. وبروق: نبت ضعيف.

أحلّم عن ذِبان بكر بن وائل
ويعلق من نفسي الأذى كلَّ مَعْلِقِ^(٤)

وأنكلتُ عنكم فيكم كلَّ مُلَصِّقِ^(٥)
الم أكَ قد قلدتكم طوقَ خِزْيَةِ

لعمرك ما استخلفتُ بكرةً لِيَشْفَبُوا
عليّ، وما في حلفكم من مُعْلِقِ^(٦)

ضممتُكم ضمّاً إليّ وأنتم
شَتَاتُ كَفَقَعِ القاعة المتفرِّقِ^(٧)

فأنتم على الأدنى أسودُ خَفِيَّةِ
وأنتم على الأعداء خِزَانُ سَمْلِقِ^(٨)

/ شعره لما منعه قتيبة بن مسلم

[٢٨١/١٤]

أخبرني محمد بنُ خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري قال: قال القحذمي: دخل ثابت قطنه على بعض أمراء خراسان - أظنه قتيبة^(٩) بن مسلم - فمدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سأله هذا أو أكثر منه لم يردني^(١٠) عنه، وأنشأ يقول:

أبا خالدٍ لم يَتَّقَ بعدك سُوقَةً
ولا مَلِكٌ مِمَّنْ يُعِينُ على الرُّفْدِ^(١١)

(١) أسلموك: خذلوك.

(٢) في «وفيات الأعيان»، و«مغني اللبيب» ١: ٢٤ «ورب قتل عار» وهو على تقدير «هو عار».

(٣) نزا: وثب. والروع: الفزع.

(٤) الذِبان: الذباب، وفي جـ «دبان» وفي بـ وس «ديان» وهو تصحيف، وفي سـ «من نفس الأذى»، وفي جـ، بـ، سـ «وتعلق» وهو تصحيف.

(٥) أي كل ملصق فيكم، وأنكلت الحجر عن مكانه: دفعته عنه.

(٦) من معلق، أي من شيء يتعلق به ويعتمد عليه.

(٧) شتات، أي ذوو شتات وهو الفرقة، ومن أمثال العرب: أذل من فقع بفرقر، والفقع بالفتح ويكسر: البيضاء الرخوة من الكمأة، والجمع فقعة كقردة. والقاع والقاعة والفرقر: أرض مطمئنة سهلة مستوية، وذلك لأن الفقعة لا تمتنع على من اجتناها، أو لأنها توطأ بالأرجل لأنها لا أصول لها ولا أغصان.

(٨) في جـ «أسود خيفة» وفي بـ وس «أسود مخيفة» والتصويب عن ط، مط. وخفية هي أجمة في سواد الكوفة تنسب إليها الأسود، فيقال أسود خفية. والسملق: الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر بها، وخزان: جمع خرز بضم ففتح وهو ذكر الأرناب، وهي معروفة بالجين.

(٩) ولأه الخجاج خراسان بعد يزيد بن المهلب سنة ٨٦، وقتل سنة ٩٦.

(١٠) كذا في ب، س، جـ، والذي في ط، مط «لما ردني».

(١١) أبو خالد: كنية يزيد بن المهلب، والرفد: العطاء.

ولا فاعلٌ يرجو المقلون فضله ولا فائلٌ ينكا العدو على حقد^(١)
لو أن المنايا سامحت ذا حفيظة لأكرمته أو عجن عنه على عمد^(٢)

شعره في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: عتب ثابت قطنة على قومه من الأزدي في حال استنصر عليها بعضهم^(٣) فلم ينصره فقال في ذلك:

تعففت عن شتم العشيرة إنني وجدت أبي قد عف^(٤) عن شتمها قبلي
حليماً إذا ما ألحلم كان مروءة وأجهل أحياناً إذا ألتمسوا جهلي

خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد

أخبرني عمي قال: حدثني العنزي عن مسعود بن بشر قال: كان ثابت قطنة بخراسان، فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدة، ثم كتب إلى عبد الملك: «إن خراج خراسان لا يفي بمطبخي»، وكان أمية يحقق، فرفع ثابت قطنة إلى البريد^(٥) رقعة وقال: أوصل هذه معك، فلما أتى عبد الملك [٢٨٢/١٤] أوصل إليه كتاب أمية، ثم نثل^(٦) كنيته بين يديه فقرأ ما فيها، حتى أنتهى إلى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خراسان.

صوت

طربت وهاج لي ذاك أذكراً بكش وقد أطلت به الحصار^(٧)
وكنست ألد بعض العيش حتى كبرت وصار لي همي شمارا
رايت الغانيات كرهن وصلي وأبدن الصريمة لي جهارا^(٨)

الشعر لكعب الأشقري، ويقال إنه لثابت قطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهذلي، ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقفا النجار.

(١) ينكا العدو: يهزمه.

(٢) عاج عنه: رجع وأنصرف.

(٣) كذا في ط، مط، والذي في ج، ب، س: «استنصروا به فيها فلم ينصروهم».

(٤) كذا في ط، مط وفي باقي الأصول «كف».

(٥) البريد: الرسول.

(٦) نثل الكنانة كضرب: استخرج نبلها فثرها.

(٧) كش: قرية من قرى أصبهان بفارس، وأعاد عليها الضمير في «به» مذكراً باعتبار البلد أو المكان.

(٨) الصريمة: القطيعة.

/ أخبار كعب الأشقر ونسبه

نسبه وبعض أخباره

هو كعب بن معدان الأشقر، والأشقر^(١) : قبيلة من الأزد، وأمه من عبد القيس، شاعر / فارس خطيب^{٥٧}/_{١٣} معدود في الشجعان، من أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة، وأوفده المهلب إلى الحجاج، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا [أبي قال حدثنا]^(٢) وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن قتادة قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، والأخطل، وكعب الأشقر.

أخبرني وكيع قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا [أبي قال: حدثنا]^(٢) وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن المتلمس قال: قلت للفرزدق: يا أبا فراس، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب؟ فقال الفرزدق: إي والذي خلق الشعر»^(٣).

شعره للحجاج من وقعة الأزارقة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، وأخبرني عمي، قال: حدثنا الكُراني قال: حدثنا العُمري عن العُثبي - واللفظ له وخبره أنتم - قال: أوفد المهلب بن أبي صفرة كعباً الأشقر ومعه مرة بن التليد^(٤) الأزدي إلى الحجاج بخير وقعة كانت له مع الأزارقة، فلما قدما عليه ودخلا داره بدر كعب بن معدان فأنشد الحجاج قوله:

[٢٨٤/١٤]

/ يا حفص إني عداني عنكم السَّفرُ
وقد سهرت فأذَى عيني السَّهرُ^(٥)
عُلقت يا كعبُ بعد الشَّيب غانيةً
والشَّيب فيه عن الأهواء مزدجرُ^(٦)
أُمِّكِ أنتَ منها بالذي عهدت
أم حبلها إذ نأتكَ اليومَ منبترُ^(٧)
ذكرتُ خُوداً بأعلى الطَّفِّ منزلها
في غُرفةٍ دونها الأبوابُ والحجرُ^(٨)

(١) الأشافر: جمع أشقر: وهم بنو عائذ بن دوس.

(٢) تكملة عن ط، مط.

(٣) رواية ط، مط: «فقال كعب: إي والذي خلق الشعر».

(٤) في ب، «التليه» وهو تحريف وصوابه كما في ط، مط، ج.

(٥) عداه من الأمر: صرفه وشغله.

(٦) علق امرأة: أحبها.

(٧) يقال نأه ونأى عنه، أي بعد. منبتر: منقطع.

(٨) الخود: الحسنات الخلق الشابة أو الناعمة. والطف: موضع قرب الكوفة.

وقد تركت بشطّ الزَّابِيَيْنِ لَهَا داراً بها يَسْعَدُ الْبَادُونَ وَالْحَضَرُ^(١)
واختبرت داراً بها قومُ أُسْرٍ بِهِمْ ما زال فيهم لمن تَخْتَارُهُمْ خَيْرُ
أبا سعيدٍ فإني سرْتُ متجعاً وطالبُ الْخَيْرِ مُرْتَادٌ وَمُنْتَظَرُ^(٢)
لولا المهْلَبُ ما زُرْنَا بلادَهُمْ ما دامت الأرضُ فيها الماءُ والشجرُ
وما من الناس من حيٍّ علمتهمُ إلَّا يُرى فيهم من سَيِّكُم أُنْرُ^(٣)

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة في الخبر، فتركت ذكرها لطولها^(٤)، يقول فيها:

فما يجاوز بابَ الجسر من أحدٍ قد عَصَتِ الحربُ أهلَ المِصرِ فأنْجَحُوا^(٥)
كنا نهوّن قبل اليوم^(٦) شأنهمُ حتى تفاقم أمرٌ كان يُحتَقَرُ
لما وهَّنا وقد حلُّوا بساحتنا وأستفَرَّ الناسُ تاراتٍ فما نَقَرُوا^(٧)
نادى أمرؤ لا خلافاً في عشيرته عنه وليس به عن مثلها قَصَرُ

[٢٨٥/١٤] حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهْلَبِ في بلدٍ بلد، فقال:

خَبُّوا كِمِينَهُمْ بالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا بكَازَرُونَ فَمَا عَزَّوْا وَمَا نَصَرُوا^(٨)
باتت كتائبنا تَرْدِي مَسْوْمَةً حولَ المهْلَبِ حتى نورَ القمرِ^(٩)
هناك ولَّوا خَزَايَا بعد ما هَزَمُوا وحال دُونَهُمُ الْأَنْهَارُ وَالْجُدُرُ^(١٠)
تأبى علينا حزازاتُ النفوس فما بُقي عليهم ولا يُيقون إن قَدَرُوا

فضحك الحجاج وقال له: إنك لمنصف يا كعب، ثم قال الحجاج: أخطيب أنت أم شاعر؟ فقال: شاعر وخطيب. فقال له: / كيف كانت حالكم مع عدوكم؟ قال: كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم، فعفوهم تأنس منهم، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم، قال: فكيف كان بنو المهلب؟ قال: حماة للحريم^(١١) نهاراً، وفرسان بالليل أيقاظاً، قال: فأين السماع من العيان؟ قال: السماع دون العيان، قال: صفهم رجلاً رجلاً، قال: المغيرة فارسهم وسيدهم،

(١) الزابيان: نهران أسفل الفرات بين الموصل وتكريت.

(٢) أبو سعيد: كنية المهلب. وانتجع: طلب الكلأ في موضعه، وانتجعه، أناه طالباً معروفاً.

(٣) السيب: المعطاء.

(٤) أوردها الطبري في «تاريخه»، وعدتها ثلاثة وثمانون بيتاً.

(٥) في ب، س «فأنجحروا» وهو تصحيف.

(٦) ح ب، س «قبل الموت».

(٧) وهنا: ضعفنا. استفتر القوم فنفروا معه، أي استنجدهم واستنصرهم فنصروه.

(٨) رواية الطبري «عبوا جنودهم» وكازرون: مدينة بفارس بين البحرين وشيراز.

(٩) ردى الفرس كرمي: عدا فرجم الأرض بحوافره. والكنية: جماعة من الخيل إذا أغارت، من المائة إلى الألف، الخيل المسومة: المرسله وعليها ركباتها، أو المعلمة التي عليها السومة وهي العلامة.

(١٠) في ط، مط «هناك ولوا جراحاً بعد ما هزموا» وفي ب، س «هناك ولوا جراحاً بعد ما هربوا».

(١١) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول «للغريب».

نار ذاكية، وصعدة^(١) عالية، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، ليث غاب، وبحر جُم العُباب^(٢)، وجوادهم قبيصة، ليث المغار، وحامي الذمار^(٣)، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مُدرك، فكيف لا يفر من الموت الحاضر، والأسد المخادر^(٤)، وعبد الملك سمّ نافع، وسيف قاطع، وحبيب / الموت الدُعا^(٥)، إنما هو طُود شامخ، وفخر [٢٨٦/١٤] باذخ^(٦)، وأبو عينة البطل الهمام، والسيف الحسام، وكفاك بالمفضل نجدة، ليث هذار، وبخر موار^(٧)، ومحمد ليث غاب، وحسام ضراب، قال: فأتيهم أفضل؟ قال: هم كالحلقة المفرغة لا يُعرف طرفاها، قال: فكيف جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال، أدركوا ما رجّوا، وأمنوا ممّا خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النفل^(٨)، قال: فكيف رضاهم عن المهلب؟ قال: أحسن رضا، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد، ولا يعدم منهم برّ الولد؟ قال: فكيف فاتكم قطري؟^(٩) قال: كدناه فتحول عن منزله وظن أنه قد كادنا، قال: فهلاً تبعتموه! قال: حال الليل بيننا وبينه، فكان التحرز^(١٠) - إلى أن يقع العيان، ويعلم امرؤ ما يصنع - أحزم، وكان الحدّ عندنا أثر من النفل، فقال له المهلب: كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة^(١١) آلاف أخرى.

شعره في المهلب وولده

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني أبو عمرو بُنْدَار الكرجي قال: حدّثنا أبو غسان التميمي عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبّهوني مرّة بالأسد، ومرّة بالبازي، ومرّة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقر في المهلب وولده!

[٢٨٧/١٤]

/ بَرَاكَ اللهُ حِينَ بَرَاكَ بِخُرَا
وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَاراً غَزَارَا
بنوك السابقون إلى المعالي
إذا ما أعظم الناس الخطار^(١٢)
كَأَنَّهُمْ نَجُومٌ حَوْلَ بَذَر
دَرَارِي تَكْمَلُ فَاَسْتَدَارَا^(١٣)

(١) ذكت النار: اشتد لهيها، والصعدة: القناة المستوية ثبت كذلك.

(٢) في ب، س «جم عباب».

(٣) الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٤) أسد خادر: مقيم في عرينه داخل في الخدر.

(٥) يقال: موت ذعاف وذؤاف وزعاف وزؤاف: شديد سريع.

(٦) الطود: الجبل، والباذخ: العالي.

(٧) مار: ماج واضطرب.

(٨) النفل: الغنيمة والهبة.

(٩) هو قطري بن الفجاءة المازني، ولاء الخوارج الأزارقة عليهم، وباعوه بعد قتل أميرهم الزبير بن علي السيلطي، ودار بينه وبين

المهلب قتال عنيف، ولما دبت عقارب الخلاف بين الأزارقة خلعوا قطرياً، وولوا عبد ربه الصغير، فانفصل إلى عبد ربه أكثر من

الشطر، وارتحل قطري ومن معه إلى طبرستان، فوجه إليه الحجاج جيشاً عليه سفيان بن الأبرد فقاتلوه وتفرق عنه أصحابه وقتل

سنة ٧٨ هـ.

(١٠) في ب وس «المتحري» وفي ج «المتحرر» والتصويب عن ط، مط. والعيان. المشاهدة.

(١١) في ط، مط، ما، مب: «بعشرين ألف درهم».

(١٢) الخطار: المراهنة.

(١٣) في ب، س «حول بحر» والتصويب عن ط، مط. وكوكب دري: مضيء؛ والجمع دراري وتقدير البيت: كأنهم نجوم دراري؟ حول

بدر تكمل فاستدار.

ملوك ينزلون بكل ثغر
إذا ما الهام يوم الرزق طارا^(١)
رزان في الأمور ترى عليهم
من الشيخ الشمائل والنجارا^(٢)
نجوم يهتدى بهم إذا ما
أخو الظلماء في الغمرات حارا^(٣)

وهذه الأبيات من القصيدة التي أولها:

* طربت وهاج لي ذاك أذكارا *

التي فيها الغناء.

تهاجيه وزيا الأعمج

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدثنا غسان بن ذكوان الأهوازي قال: ذكر العنبي أن زياداً الأعمج هاجى كعباً الأشقرى، واتصل الهجاء بينهما، ثم غلبه زياد، وكان سبب ذلك أن شراً وقع بين الأزدي وبين عبد القيس، وحرّباً سكنها المهلب وأصلح بينهم، وتحمل ما أحدثه كل فريق على الآخر، وأدى دياته، فقال كعب يهجو عبد القيس:

إني وإن كنت فرع الأزدي قد علموا / [٢٨٨/١٤]
أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي
فهم أبو مالك بالمجد شرفني / ٥٩
ودنس العبد عبد القيس سربالي / ١٣

قال: فبلغ قوله زياداً الأعمج فغضب وقال: يا عجباً للعبد بن العبد بن الحيتان والسرطان^(٤)، يقول هذا في عبد القيس، وهو يعلم موضعي فيهم والله لأدعته وقومه غرضاً لكل لسان، ثم قال يهجو:

نبئت أشقر تهجونا فقلت لهم
ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لا يكثررون وإن طالت حياتهم
ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة
كالفقع بالقاع لا أصل ولا ورق^(٥)
إن الأشاقر قد أضحوا بمنزلة
لو يرهنون بنعلي عبدنا غلقوا^(٦)
قال: وقال فيه أيضاً:

هل تسمع الأزدي ما يقال لها
في ساحة الدار أم بها صمم؟
اختتن القوم بعد ما هرموا
واستعربوا ضلّة وهم عجم^(٧)

(١) الهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(٢) رزان: جمع رزين. الشمائل: جمع شمال بالكسر، وهو الطبع. والنجار: الأصل والحسب.

(٣) كذا في جميع الأصول. والذي في ابن أبي الحديد: «أخو الغمرات في الظلماء» والغمرات الشدائد.

(٤) السرطان: دابة تسمى عقرب الماء.

(٥) رواية «العقد الفريد»:

وهم من الحسب الزاكي بمنزلة - كطحلب الماء لا أصل ولا ورق

(٦) غلق الرهن كفرح: استحققه المرتهن إذا لم يفك في الوقت المشروط.

(٧) الضلة: الحيرة.

قال: فشكاه كعبٌ إلى المهلب وأنشده هذين البيتين، وقال: والله ما عني بهما غيرك، ولقد عمّ بالهجاء قومك، فقال المهلب: أنت أسمعنا هذا وأطلقت لسانه فينا به، وقد كنت غنياً عن هجاء عبد القيس وفيهم مثلُ زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأت، ثم دعا بزياد فعاتبه، فقال: أيها الأمير، اسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنتُ ظلمتُ فانتصر، وإلا فالحجة عليه، ولا حجة على امرئ انتصر لنفسه وحسبه وعشيرته، وأنشده قولَ كعب فيهم:

[٢٨٩/١٤]

/ لعلَّ عُيَيْدَ القيسِ تحسب أنها / كتغلب في يوم الحفيظة أو بكر^(١)
يضع عبد القيس في الناس منصب / دنياً وأحساباً جبرن على كسر
إذا شاع أمرُ الناس وأنشقت العصا / فإن لكيراً لا تريش ولا تيري^(٢)

فقال المهلب: قد قلت له أيضاً، قال: لا والله ما انتصرت، ولولاك ما قصرت وأني انتصار في قولي له^(٣):
يأيها الجاهل الجاري ليدركني / أقصر فإنك إن أدركت مصروع
يا كعب لا تك كالعنز التي بحثت / عن حنظلها وجناب الأرض مربوع
وقولي^(٣):

لئن نصبت لي الرزقين مُعترضاً / لأرميئك رمياً غير ترفيع
إن المأثر والأحساب أورثني / منها المجاجيع ذكراً غير موضوع

هجاءه عبد القيس

يعني مَجَاعَة بن مرة الحنفي، ومَجَاعَة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما المهلب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافأ، ومما هجا كعب الأشقر عبد القيس به قوله:

ثوى عامين في الجيف اللواتي / مطرحة على سباب الفصيل^(٤)
أحب إلي من ظل وكبر / لعبد القيس في أصل الفصيل^(٥)
إذا نار الفسأء بهم تغلوا / ألم تربع على الدمن المثل
تظل لها ضبابات علينا / موانع من مبيت أو مقييل

[٢٩٠/١٤]

/ هجاءه ربيعة واليمن

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعة واليمن متحالفة، فكان / المهلب وابنه يزيد يُنزِلان هاتين القبيلتين في محلتها، فقال كعب الأشقر ليزيد:
لا ترجون هنائاً لصالحة / وأجعلهم وهداداً أسوة الحمر^(٦)

(١) الحفيظة والحفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب.

(٢) هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس. راث السهم يريشه: ركب عليه الريش.

(٣) ساقطة من ج وط، مط.

(٤) ثوى: أقام. ومطرحة، أي هي مطروحة، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٥) الكن: الستر. والفصيل: جمع فسيلة: وهي النخلة الصغيرة.

(٦) هنائي: نسبة إلى هناء، وهم بنو هناء بن عمرو بن الغوث بن طيء. وهداد: حي من اليمن.

حَيَّانٍ مَالِهِمَا فِي الْأَزْدِ مَأْتِرَةٌ غَيْرُ النَّوَكَةِ وَالْإِفْرَاطِ فِي الْهَذَرِ^(١)
 واجْعَلْ لَكَيْزاً وَرَاءَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَهْلَ الْفُسَاءِ وَأَهْلَ الثَّنِ وَالْقَذَرِ
 قَوْمٌ عَلَيْنَا ضَبَابٌ مِنْ فُسَائِهِمْ حَتَّى تَرَانَا لَهُ مِيداً مِنَ الشُّكْرِ^(٢)
 أَبْلَغُ يَزِيدَ بَأْنَا لَيْسَ يَنْفَعُنَا عَيْشٌ رَغِيدٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْعِطْرِ
 حَتَّى تُحِلَّ لَكَيْزاً فَوْقَ مَذْرَجَةٍ مِنَ الرِّيَّاحِ عَلَى الْأَحْيَاءِ مِنْ مُضَرٍ^(٣)
 لِيَأْخُذُوا لِنَزَارِ حَظَّ سُبُتْهَا كَمَا أَخَذْنَا بِحَظِّ الْحِلْفِ وَالصَّهْرِ

شعره في المهلب أمام رسول الحجاج

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: كَتَبَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَأْمُرُهُ بِمَنَاجَزَةِ الْأَزَارِقَةِ وَيَسْتَبْطِئَةَ وَيَضْعُفُهُ، وَيَعْجِزُهُ فِي تَأْخِيرِهِ أَمْرَهُمْ وَمَطَاوَلَتِهِمْ^(٤)، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِرَسُولِهِ: قُلْ لَهُ: إِنَّمَا الْبَلَاءُ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَى مَنْ يَمْلِكُهُ لَا إِلَى مَنْ يَعْرِفُهُ، فَإِنْ كُنْتَ نَصَبْتَنِي لِحَرْبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى [٢٩١/١٤] أَنْ أَدْبِرَهَا كَمَا أَرَى، فَإِنْ أَمَكَّنْتَنِي الْفُرْصَةَ انْتَهَزْتُهَا، وَإِنْ لَمْ تُنَكِّنِي / [تَوَقَّفْتَ]^(٥)، فَأَنَا أَدْبِرُ ذَلِكَ بِمَا يُصْلِحُهُ، وَإِنْ أَرَدْتَ مِنِّي أَنْ أَعْمَلَ [وَأَنَا حَاضِرًا]^(٥) بِرَأْيِكَ وَأَنْتَ غَائِبٌ، فَإِنْ كَانَ صَوَاباً فَلَكَ، وَإِنْ كَانَ خَطأً فَعَلَيْ، فَايْثُ مِنْ رَأَيْتُ مَكَانِي، وَكَتَبَ مِنْ قَوْرِهِ بِذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: لَا تُعَارِضِ الْمُهَلَّبَ فِيمَا يَرَاهُ وَلَا تُعْجِزْهُ، وَدَعُهُ يَدْبِرُ أَمْرَهُ، وَقَامَ الْأَشْقَرِيُّ إِلَى الْمُهَلَّبِ فَأَنْشَدَهُ بِحُضْرَةِ رَسُولِ الْحَجَّاجِ:

إِنْ ابْنَ يَوْسُفَ غَرَّهُ مِنْ عَزْوَكَمْ خَفَضَ الْمَقَامَ بِجَانِبِ الْأَمْصَارِ
 لَوْ شَاهَدَ الصَّفْقَيْنِ حِينَ تَلَاقِيَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيَّةُ الْأَقْطَارِ
 مِنْ أَرْضِ سَابُورِ الْجُنُودِ، وَخَيْلِنَا مِثْلُ الْقِدَاحِ بَرِيَّتْهَا بِشِفَارِ^(٦)
 مِنْ كُلِّ خَنْذِيدٍ يُرَى بَلْبَانِهِ وَقَعُ الطُّبَاةُ مَعَ الْقَنَا الْخَطَارِ^(٧)
 وَرَأَى مَعَاوِدَةَ الرَّبَاعِ غَنِيمَةً أَزْمَانَ كَانَ مُحَالَفَ الْإِقْتَارِ
 فَدَعِ الْحُرُوبَ لِشِبْهَاتِهَا وَشَبَابِهَا وَعَلَيْكَ كُلَّ خَرِيدَةٍ مِعْطَارِ^(٨)

فَبَلَغَتْ أَبْيَاتُهُ الْحَجَّاجَ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَأْمُرُهُ بِإِشْخَاصِ كَعْبِ الْأَشْقَرِيِّ إِلَيْهِ، فَأَعْلَمَ الْمُهَلَّبُ كَعْباً بِذَلِكَ، وَأَوْفَدَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ [مَنْ تَحْتَ لَيْلَتِهِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَوْهِيهِ مِنْهُ، فَقَدَّمَ كَعْبَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ]^(٩)، وَاسْتَنْشَدَهُ

- (١) المأثرة بفتح الثاء وضمها: المكرمة المتوارثة، والنواكة: الحماقة والهذر: سقط الكلام.
- (٢) الميّد: ما يصيب الإنسان من الدوار من السكر أو الغثيان أو ركوب البحر. وقد ماد فهو مائد من قوم ميدي كسكري.
- (٣) لكيز: من عبد القيس، من سلالة ربيعة بن نزار أخي مضر بن نزار. المدرجة: الطريق يدرج فيها أي يمشي.
- (٤) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول: «ومطالبتهم».
- (٥) ما بين القوسين ساقط من ب، س، ج، وقد أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.
- (٦) سابور: كورة بفارس.
- (٧) اللبان: الصدر أو وسطه. والطبابة: جمع ظبة، وهي حد السيف. ورمح خطار: ذو اهتزاز شديد.
- (٨) امرأة معطار: اعتادت أن تتعهد نفسها بالطيب وتكثر منه.
- (٩) هذه التكملة ساقطة من ب، س، ج. وقد أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.

فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجاج، وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه ويُعرض عما بلغه من شعره، فلما وصل إليه ودخل عليه قال: إيه يا كعب.

* ورأى معاودة الرباع غنيمته *

/ فقال له: أيها الأمير، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها، وما يُوردناه المهلب من [٢٩٢/١٤] خطرهما، أن أنجو منها وأكون حجاجاً أو حائكاً، فقال له الحجاج: أولى لك، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعتك ما أسمع، فالحق بصاحبك، وردّه من وقته.

هروبه إلى عمان

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر بن حديد: لما عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم، مدحه كعب الأشقر بن نسيه، ونال من يزيد وثلبه، ثم بلغته / ولاية يزيد على خراسان، فهرب إلى عمان على ٦١/١٣ طريق الطبسين وقال:

وإني تارك مَرُوءاً ورائي^(١) إلى الطبسين معتماً عُمَانَا

لأوي معقلاً فيها وجِزْراً^(٢) فكنا أهل ثروتها زماناً^(٣)

فأقام بعمان مدة ثم اجتواها^(٤)، وساءت حاله بها، فكتب إلى المهلب معتذراً:

بئس التبذل من مَرُوءٍ وساكنها^(٥) أرضُ عمانَ وشكْنَى تحت أطواد^(٦)

يُضحي السحابُ مطيراً دونَ مُنصفها^(٧) كأن أجبالها علّتِ بفرصاد^(٨)

يا لهف نفسي على أمرٍ خطلت به^(٩) وما شقيتُ به غمري وأحقادي^(١٠)

أفنيتُ خمسين عاماً في مديحكُم^(١١) ثم أغتررتُ بقول الظالم العادي

/ أبلغ يزيدَ قرينَ الجنود مألُكة^(١٢) بأن كعباً أسيرُ بين أصفاد^(١٣)

فإن عفوت^(١٤) فيبُتُ الجود بيتُكم^(١٥) والدهرُ طُورَان من غيٍّ وإرشاد

وإن منتتَ بصفحٍ أو سمحتَ به^(١٦) نزعْتُ نحوكَ أطنابي وأوتادي^(١٧)

[٢٩٣/١٤]

(١) كذا في ب، س، ج وفي ط، مط «أمامي». ومرو: هي مرو الشاهجان قصبة خراسان وأشهر مدنها. والطيسان: طيس العناب، والأخرى طيس التمر، والعرب تسميها باب خراسان لأنهم لما قصدوا فتح خراسان في خلافة عثمان كانت أول فتوحهم. واعتماد: اختار.

(٢) الثروة: كثرة العدد من الناس والمال.

(٣) اجتواها، كرهها.

(٤) السكنى: الإقامة. والطود: الجبل.

(٥) المنصف من الطريق ومن كل شيء: وسطه. علّت: سقيت مرة بعد مرة. والفرصاد: صبغ أحمر.

(٦) غطل كفرح فهو غطل، أي أحرق عجل. والغمر: الحقد والغل.

(٧) المألُكة بضم اللام وتفتح: الرسالة. والأصفاد: جمع صفت كسبب، وهو القيد. وفي ب، س «أميراً» والتصويب عن ط، مط، ميب، ها.

(٨) في ب، س، مط «عفوت».

(٩) الأطناب: جمع طناب كعنتق، وهو حبل طويل يشد به الخباء.

وذكر المدائني أن يزيد بن المهلب حبسه ودمس إليه ابن أخ له فقتله.

شعره في مقتل بني الأهم

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب النضر أيضاً أن الحجاج كتب إلى يزيد بن المهلب يأمره بقتل بني الأهم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهم أصحاب مقال وليسوا بأصحاب فعال، فلا تُقدّر أن تُحدث فيهم ضرراً، وفي قتلهم عاروسية؛ [واستوهبهم منه^(١)]، فتغافل عنهم، ثم أنضموا إلى المفضل بن المهلب، فكتب إليه الحجاج يأمره بقتلهم، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه، فأعفاهم^(٢)، ثم ولي قتيبة بن مسلم، فخرجوا إليه وألتقوا معه، وذكروا بني المهلب فعابوهم، فقبلهم^(٣) قتيبة وأحتوى عليهم، فكانوا يُغرون الجند عليه ويحملونهم على سوء الطاعة، فكتب يشكوهم إلى الحجاج، فكتب إليه يأمره بقتلهم، فقتلهم جميعاً، فقال كعب الأشقر في ذلك:

قل للأهاتم من يعود بفضله بعد المفضل والأغر يزيد
رداً صحائف ختفكم بمعاذير رجعت أشائم طيركم بسعود
/ ردّاً على الحجاج فيكم أمره فجزيتم إحسانه بجحود
فاليوم فاعتبروا فعال^(٤) أخيكم إن القياس لجاهل ورشيد

[٢٩٤/١٤]

شعره في عمرو بن عمير

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: ولّي يزيد بن المهلب رجلاً من اليحمّد^(٥) يقال له عمرو بن عمير الزمّ، فلقبه كعب الأشقر فقال له: أنت شيخ من الأزديك الزمّ. ويولي ربيعة الأعمال السنية، وأنشده:

لقد فازت ربيعة بالمعالي وفاز اليحمدي بعهد زمّ
فإن تك راضياً منهم بهذا فزادك رثا غمّاً بغمّ
إذا الأزدي وضّح عارضاه وكانت أمه من حيّ جزم^(٦)
فتمّ حماقة لا شك فيها مقابلة فمن خال وعم^(٧)

فردّ اليحمدي عهد يزيد عليه، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أجمعت^(٨) به [المثونة]^(٩) قال لكعب:

/ لو كنت خليتي يا كعب متكباً في دور زمّ لما أقفرت من علف

٦٢
١٣

(١) تكلمة عن ط، مط، مب، ها.

(٢) كذا في ب، س، جـ والذي في ط، مط «فعا عنهم».

(٣) في جـ «فقتلهم» وفي ب، س «فغلبهم»، والتصويب عن ط، مط. واحتوى عليهم: جمعهم.

(٤) في ب، س، جـ «فراق» وما أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.

(٥) يحمّد: أبو بطن من الأزدي، والزم: بلد يشط جيحون.

(٦) الوضع كسبب: الشيب، أتى بالفعل منه مضعفاً لتكثير المعنى. والعارضان: جانبا الوجه.

(٧) من قولهم، رجل مقابل: أي كريم من كلا طرفيه أبيه وأمه، والحماقة المقابلة التي يقابل أحد طرفيها الآخر، أي حماقة من طرفي الأب والأم.

(٨) أجمعت به المثونة: دنت منه.

(٩) عن ط، مط، مب، ها.

ومن نيلٍ ومن لحمٍ أُعْلٍ به لكنَّ شِعْرَكَ أَمْرُكَانَ مِنْ حِرْفِي
إِنَّ الشَّقِيَّ بِمَسْرُومٍ أَقَامَ بِهَا يُقَارِعُ الشُّوقَ مِنْ بَيْعٍ وَمِنْ حَلْفٍ^(١)

/ أخبرني^(٢) أبو الحسن الأسدي قال: حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: قال كعب الأشقرى يهجو زياداً [٢٩٥/١٤] الأعجم:

وأقْلَفَ صُلًى بَعْدَ مَا نَاكَ أُمَّه يَرَى ذَاكَ فِي دِينِ الْمَجُوسِ حَلَالاً^(٣)
فقال [له]^(٤) زياد: يَا بَنَ النَّمَامَةِ أَهِي أَخْبِرْتُكَ أَنِّي أَقْلَفُ؟ فغلبه زياد.
والقصيدة التي أولها:

* طَرِبْتُ وَهَاجَ لِي ذَاكَ اذْكَارَا *

شعر له فيه غناء

وفيه الغناء المذكور بذكره خبرُ كعبِ الأشقرى، يمدح بها المهلب بن أبي صفرة ويذكر قتاله الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة^(٥) التي فيها الغناء:

غَرَضُنْ بِمَجْلِسِي وَكَرْهُنْ وَصِلِي أَوْ أَنَّ كُيُوتَ مِنْ شَمَطٍ عِذَارَا^(٦)
زَرَيْنَ عَلَيَّ حِينَ بَدَأَ مَشِييِي وَصَارَتْ سَاحَتِي لِلْهَمِّ دَارَا^(٧)
أَتَانِي وَالْحَدِيثُ لَهُ نَمَاءٌ مَقَالَةُ جَائِرٍ أَحْفَى وَجَارَا^(٨)
سَلُوا أَهْلَ الْأَبَاطِحِ مِنْ قَرِيشٍ عَنِ الْعَزِّ الْمُؤَبَّدِ أَيْنَ صَارَا^(٩)
وَمَنْ يَحْمِي الثُّغُورَ إِذَا اسْتَحَرَّتْ حُرُوبٌ لَا يَتَوَنُّ لَهَا غِرَارَا^(١٠)
لِقَوْمِي الْأَزْدِ فِي الْغَمَرَاتِ أَمْضَى وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَعَزُّ جَارَا
/ هُمْ قَادُوا الْجِيَادَ عَلَى وَجَّاهَا مِنَ الْأَمْصَارِ يَقْذِفْنَ الْمِهَارَا^(١١)
بِكُلِّ مَفَازَةٍ وَبِكُلِّ سَهْبٍ بَسَابِيسَ لَا يَرَوْنَ لَهَا مَنَارَا^(١٢)

[٢٩٦/١٤]

(١) في ط، مط، مب، ها «سلف».

(٢) كذا في ب، س، جـ والذي في ط، مط، مب، ها: «حدثني».

(٣) الأقف: من لم يختن.

(٤) عن ط، مط، مب، ها.

(٥) كذا في جميع الأصول. ويلاحظ أن المذكور في الصوت ثلاثة أبيات لا أربعة.

(٦) غرضن بمجلسي أي مللته وضجرن منه. والشمط: بياض الرأس يخالط سواده. والعذار: جانباً للحية.

(٧) زرى عليه: عابه.

(٨) رواية ط، مط، مب، ها «مقالة قائل...».

(٩) المؤيد: المخلد.

(١٠) لا يتوانون لها: لا يتوانون ولا يفترقون عنها. غراراً: غافلين، جمع غارٍ، وهو الغافل، كقيام جمع قائم.

(١١) الوجى: الحفا. المهار جمع مهر: وهو ولد الفرس.

(١٢) المفازة والسهب: الفلاة. والبسابيس: جمع بسب كجعفر، وهي الفلاة. مناراً، أي علماً يهدي إلى الطريق.

إلى كرمَانٍ يحملن المنايا
بكلّ ثنية يوقدن ناراً^(١)
شواذب لم يصبن الثار حتى
رددناها مكلمةً مراراً^(٢)
ويشجرن العوالي الشمر حتى
تُرى فيها عن الأسل ازوراراً^(٣)
غداة تركن مصرع عبد ربّ
يُثرن عليه من رهج عصاراً^(٤)
ويوم الزحف بالأهواز ظلّنا
نروّي منهم الأسل الجراراً^(٥)
فقرت أعينُ كانت حديثاً
ولم يك نومها إلا غراراً^(٦)
صنائعنا السوابغ والمذاكي
ومن بالمصر يحتلب العشاراً^(٧)
/ فهنّ يحن كلّ حمى عزيز
ويحمين الحقائق والذماراً^(٨)
طولاتُ المُتون يُصنّ إلا
إذا سار المهلب حيث سارا
فلولا الشيخ بالمضرين ينفي
عدوهم لقد تركوا الدياراً^(٩)
ولكن قارع الأبطال حتى
أصابوا الأمن وأجنبوا الفراراً^(١٠)
إذا وهنوا وحلّ بهم عظيم
يَدُقّ العظم كان لهم جباراً
ومُبهمّة يحيد الناس عنها
تُشب الموت شدّ لها إزاراً
شهاب تنجلي الظلماء عنه
يُرى في كلّ مبهمّة مناراً
/ بل الرحمن جارك إذ وهّأ
يدفعك عن محارمنا اختياراً
براك الله حين براك بخراً
وفجر منك أنهاراً غزاراً

[٢٩٧/١٤]

٦٣
١٣

وقد مضت هذه الأبيات متقدمة فيما سلف من أخبار كعب وشعره.

شعره في المهلب وولده

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال: حدّثني العُمري عن العُتيّ قال: قال عبد الملك بن

- (١) كرمَان: بلد بفارس. والثنية: الطريق في الجبل.
- (٢) خيول شواذب، أي ضوامر، جمع شاذب، مكلمة: مجرّحة.
- (٣) السمر والأسل: الرماح. والعوالي: جمع عالية، وهي القناة المستقيمة. وأزورّ عنه: انحرف ومال.
- (٤) ولي عبد ربه الصغير أمر الأزارقة بعد خلع قطريّ، ونشبت الحرب بينه وبين المهلب فأجلت الواقعة عنه قتلاً، وبذا خمدت حروب الأزارقة. والرهج ويحرك: الغبار. والعصار: الغبار الشديد.
- (٥) الحرار: جمع حرّان، وهو العطشان.
- (٦) كذا في جميع الأصول. ورواية ابن أبي الحديد «حزينا» وحزين كقتيل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.
- (٧) صنائع: جمع صنيع، وهي المعروف والإحسان. السوابغ: جمع سابعة، وهي الدرع الثامة الطويلة. والمذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والعشار: جمع عشاء، وهي من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر، أو هي من الإبل كالنساء من النساء.
- (٨) فهنّ، أي السوابغ والمذاكي. وفي ط، مط م، ها: «بهن نبيح». والذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.
- (٩) المصران: الكوفة والبصرة. تركوا الديار: أي ترك الديار أهلها.
- (١٠) في ج، ط، مط: «واجتلبوا». وفي ها: «واجتلوا القرارا».

مروان: يا معشر الشعراء، تشبهونا بالأسد الأبحر، والجبل الوعر، والمِلح الأجاج؟ ألا قلت كما قال كعب الأشقر في المهلب وولده:

لقد خاب أقوامٌ سرّوا ظلمَ الدّجى يؤمّون من نال الغنى بعد شيبه
يؤمّون من نال الغنى بعد شيبه / فقل للجّيم يا بكر بن وائل
فقل للجّيم يا بكر بن وائل فلو كنتم حيّا صميماً نفّيتُم
فلو كنتم حيّا صميماً نفّيتُم ولكنكم يا آل بكر بن وائل
ولكنكم يا آل بكر بن وائل هو المانع الكلب الثّباح وضيفه

[٢٩٨/١٤]

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك

قال: وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا^(٤) تباعد وعداوة، وكانت أمه سوداء فقال يهجو:

إن السواد الذي سُزِلت تعرفه ميراث جدك عن آبائه الثوب^(٥)
أشبهت خالك خال اللوم مؤتسياً بهذيبه سالكا في شر أسلوب^(٦)

مقتله

قال المدائني في خبره: وكان ابن أخيه كعب هذا عدواً له يسعى عليه، فلما سأل مجزأة بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلّاه، دس إليه زياد بن المهلب ابن أخيه الشاعر، وجعل له مالاً على قتله، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك في فتنة يزيد بن المهلب وهو بعمان يومئذ، وكان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله أبته، فلما قُتل يزيد بن المهلب فرّق مسلمة بن عبد الملك أعماله على^(٧) عمّال شتى فولّي البصرة وعمان عبد الرحمن بن سليمان الكلبي، فاستخلف عبد الرحمن على عمان محمد بن جابر الراسبي، فأخذ أخو كعب الباقي ابن أخيه الذي / قتل كعباً، فقدمه إلى محمد بن جابر، وطلب القود^(٨) منه بكعب، فقبل له: قُتل أخوك بالأمس، وتقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وأنقضى، فبقى فرداً كقرن الأعضب^(٩)! فقال: نعم إن أخي كعباً كان سيّدنا وعظيمنا وجّهنا، فقتله هذا، وليس فيه خير، ولا في بقائه عز، ولا هو خلف من كعب فأنّا أقتله به، فلا خير في بقائه بعد كعب، فقدمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم.

[٢٩٩/١٤]

(١) يلحى: يلوم. زرى عليه: عابه.

(٢) الصغر والصغار: الذل.

(٣) خميص الحشا: ضامر البطن.

(٤) الإشارة إلى ابن أخيه الذي قتله.

(٥) النوب: سكان بلاد النوبة جنوبي مصر، واحده نوبي.

(٦) اتسّى به: جعله أسوة وقدوة. والأسلوب: الطريق.

(٧) في ط، مط: «عماله على أعمال».

(٨) القود: القصاص وقتل القاتل بدل القتيل.

(٩) الأعضب: المكسور أحد قرنيه.

مدحه لقتيبة بن مسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم قال: حدّثنا العُمري، عن الهيثم بن عدي ولقيط وغيرهما، قالوا: حاصر يزيد بن المهلب مدينة خوارزم في أيام ولايته، فلم يقدر على فتحها، واستصعب عليه، ثم عزّل وولّي قتيبة بن مسلم، فزحف إليها، فحاصرها^(١) ففتحها، فقال كعب الأشقر يمدحه ويهجو يزيد بن المهلب بقوله:

٦٤ / رمتك فيل بما فيها وما ظلمت
١٣ من بعد ما رامها الفجفاجة الصلِفُ^(٢)
قيس صريح وبعض الناس يجمعهم
قُرى وريف ومنسوب ومقترف^(٣)
منهم شناس ومرداذاء نعرفه
وفسخراء، قبور حشوها القلف
لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا
فهم ثقال على أكتافها عُنْفُ

[٣٠٠/١٤] قال: الفيل الذي ذكره هو حصن خوارزم يقال له الكهنندر، والكهنندر: الحصن العتيق، والفجفاجة: الكثير الكلام. وشناس: اسم أبي صفرة، فغيره، وتسمى ظالمًا، ومرداذاء: أبو أبي صفرة، وسمّوه بسراق^(٤) لما تعرّبوا، وفسخراء: جدّه، وهم قوم من الخوز^(٥) من أهل عُمان، نزلوا الأزْد، ثم ادّعوا أنّهم صليبة صرحاء منهم،



لأسماء رسم أصبح اليوم دارسًا
وقفت به يوماً إلى الليل حابسًا
فجئنا بهيت لا نرى غير منزل
قليل به الآثار إلا الروامسًا^(٦)
يدورون بي في ظل كل كنيسة
فينسونني قومي وأهوى الكنائسًا

البيت الأول من الشعر للعبّاس بن مرداس الشلّمي، وبيت العبّاس مصراعهُ الثاني:

* توهمت منه رخرحان فراكسا^(٧) *

وغيره يزيد بن معاوية فقال [مكان]^(٨) هذا المصراع:

* وقفت به يوماً إلى الليل حابسًا *

والبيت الثاني للعبّاس بن مرداس، والثالث ليزيد بن معاوية، ذكر بعض الرواة أنه قاله على هذا الترتيب وأمر بديحا

(١) كان ذلك سنة ٩٣ هـ.

(٢) كانت مدينة ولاية خوارزم يقال لها «فيل» قديماً، ثم سميت المتصورة. ويعني بالفجفاجة الصاف يديه.

(٣) في جميع الأصول «صريح قيس» والتنصوب عن «تاريخ الطبري» ٨: ٨٤ وذلك أن قتيبة بن مسلم باهلي، وباهلة: من قبائل قيس عيلان. يقول: إن نسب قتيبة صريح، ويعرض بال المهلب بقوله «وبعض الناس». ومنسوب، أي معروف النسب خالصه، يعني قتيبة. ومقترف: قرفه بسوء: رماه به.

(٤) في ب، س «بشيراً» والتنصوب عن ط، مط، جد، مب، ها.

(٥) الخوز: جبل من الناس، أعجمي معرب.

(٦) هيت: بلدة على الفرات. الروامس: الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار.

(٧) رخرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات. وراكس: واد.

(٨) الزيادة من نسخة ها، جد.

أن يغني فيه، ففعل؛ ولم يأت ذلك من جهة يوثق بها، والصحيح أن الغناء لمالك، خفيف ثقیل بالينصر عن الهشامي ويحيى المكي، وهذا صوت زعموا أن مالكا صنعه على لحن سمعه من الرهبان.

/ أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أحمد المكي، عن أبيه، عن سباط، أن مالكا دخل [٣٠١/١٤] مع الوليد بن يزيد ديرا، فسمع لحناً من بعض الرهبان، فاستحسنه، فصنع عليه.

* ليس رسم على الدفين بيالي *

فلما غناه الوليد قال له: الأول أحسن فعد إليه. اللحن الثاني الذي لمالك، ثقیل بالينصر عن الهشامي وعمرو، وأوله:

دَرَّ دَرُّ الشَّبابِ والشَّعْرِ الْأَسَدِ	وَدِ والضامرات تحت الرحال ^(١)
والخناذيد كالقداح من الشو	حط يحملن شكة الأبطال ^(٢)



مركز تحيية تكملة تاريخ الإسلام

(١) يقولون لمن يمدح ويتعجب من عمله: لله دره: أي لله عمله، وربما استعملوه من غير أن يقولوا: لله، فيقولون: در در فلان؛ فإذا شتموه وذموا عمله قالوا لا در دره، أي لا زكا عمله ولا كثر خيره.

(٢) الخناذيد: جياد الخيل أو طوائفها جمع خنذيد بالكسر. وفي ب، س «والخفايد» وهو تحريف. والشوحط: شجر تتخذ منه القسي. والشكة: السلاح.

/ أخبار العباس بن مرداس ونسبه

[٣٠٢/١٤]

نسبه

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنى أبا الهيثم، وإياه يعني أخوه سُراقَة بقوله يرثيه:

أَعَيْنَ أَلَا أَبْكِي أَبَا الْهَيْثَمِ وَأَذْرِي الدَّمْعَ وَلَا تَسَامِي^(١)

وهي أبيات تُذكر في أخباره، وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديداً العارضة^(٢) والبيان، سيداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك / الجاهلية والإسلام، ووفد إلى النبي ﷺ، فلما أعطى المؤلفَ قلوبهم فَضَّلَ عليه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع؛ والله أعلم.

خبره مع صنم كان لهم

أخبرني محمد بن جرير الطبري قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ قَبِيصَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْخَزَاعِيِّ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ لِأَبِي صَنْمٍ اسْمُهُ ضِمَارٌ^(٣)، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَانِي بِهِ وَبِعَادَتِهِ وَالْقِيَامَ عَلَيْهِ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الصَنْمِ فَجَعَلْتُهُ فِي بَيْتٍ، وَجَعَلْتُ آتِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَرَّةً، فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ صَوْتاً فِي جَوْفِ اللَّيْلِ رَاعِنِي، فَوَثَبْتُ إِلَى ضِمَارٍ، فَإِذَا الصَّوْتُ فِي جَوْفِهِ يَقُولُ:

هَلَكَ الْأَنْيَسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ / قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا [٣٠٣/١٤]

بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَرِيشٍ مَهْتَدِي / إِنْ السَّيْفُ وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهَدَى

قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ / أَوْدَى الضُّمَارُ وَكَانَ يَبْعُدُ مَرَّةً

قال: فَكْتَمْتُ النَّاسَ ذَلِكَ، فَلَمْ أَحْدِثْ بِهِ أَحَدًا حَتَّى أَنْقَضَتْ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي إِبِلِي فِي طَرَفِ الْعَقِيقِ وَأَنَا نَائِمٌ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا شَدِيدًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَى حِيَالِي^(٤) بَعِمَامَةٍ يَقُولُ: إِنْ النُّورَ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَلَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ، مَعَ صَاحِبِ النَّاقَةِ الْعَضْبَاءِ^(٥)، فِي دِيَارِ بَنِي أَخِي الْعَنْقَاءِ^(٦)، فَأَجَابَهُ طَائِفٌ عَنْ شِمَالِهِ

(١) في جـ «أعين لا أبكي على الهيثم» وهو تحريف. والتصويب عما ورد بآخر الترجمة.

(٢) العارضة: القدرة على الكلام؛ والرأي الجيد.

(٣) ضمار: صنم عبدة العباس بن مرداس ورهطه. وفي ب، س جـ «ضماد»، وهو تصحيف. والتصويب عن ها.

(٤) يقال: وقف حياله وبحياله: بإزائه.

(٥) العضباء: اسم ناقة النبي ﷺ.

(٦) العنقاء: لقب ثعلبة بن عمرو مزريقاه بن عامر ماء السماء، قال حسان:

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً.

لا أَبْصِرُهُ فَقَالَ: بَشَّرَ الْجَنِّ وَأَجْنَسَهَا، أَنْ وَضَعْتَ الْمَطْيَ أَحْلَاسَهَا^(١)، وَكَفَّتْ^(٢) السَّمَاءُ أَحْرَاسَهَا، وَأَنْ يُغْصَّ السَّوْقُ أَنْفَاسَهَا^(٣)، قَالَ: فَوُثِّبْتُ مَذْعُوراً وَعَرَفْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا / رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مُصْطَفَى، فَرَكِبْتُ فَرْسِي وَسَرْتُ حَتَّى [٣٠٤/١٤] انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَبَايَعْتَهُ وَأَسْلَمْتُ، وَانْصَرَفْتُ إِلَى ضِمَارٍ فَأَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ.

خروجه إلى النبي ﷺ وإسلامه

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العباس بن مرداس حبيبة بنت الضحّاك بن سُفْيَانَ السُّلَمِي أَحَدِ بَنِي رِغْلٍ^(٤) بن مالك، فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبي ﷺ، فبات بها، فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: من سألك عني فحدثه أنني لحقتُ بيثرب، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتياً محمداً وكائناً معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيراً لم أسبق إليه، وإن كان شراً نصرته^(٥) لختولته، على أنني قد رأيت الفضل البيّن وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته، وأتباعه ومبايعته، وإيثار أمره على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله واضحة، وأعلام ما يجيء به من الحق نيرة، ولا أرى أحداً من العرب ينصب^(٦) له إلا أعطى عليه الظفر والعلو، وأراني قد أَلْقَيْتُ عَلَيَّ مَحَبَّةً لَهُ، وأنا باذل نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض، قال: ثم سار نحو النبي ﷺ، وانتهى الراعي نحو إبله، فأتى أمرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبي ﷺ، فقامت فقوضت بيتها، ولحقت بأهلها، فذلك حيث يقول عباس بن مرداس، حين أحرق ضمّاراً ولحق بالنبي ﷺ:

٦٦
١٣

/ لَعَمْرِي إِنِّي يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِداً ضِمَاراً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُشَارِكاً

وتركي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له، ما أولئك؟^(٧)

[٣٠٥/١٤]

/ كتارك سهل الأرض، والحزن يتغي ليْسُلك في غيب الأمور المسالك

فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ وَخَالَفْتُ مَنْ أَمْسَى يَرِيدُ الْمَمَالِكَا

وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِداً وَتَابَعْتُ بَيْنَ الْأَخْشِينِ الْمَبَارِكَا^(٨)

= والأوس والخزرج: ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء ومن بطون الخزرج بنو عدي بن النجار أخوال رسول الله ﷺ، تزوج منهم جده هاشم سلمى بنت عمرو والنجارية أم عبد المطلب.

(١) أحلاس: جمع جلس بالكسر، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة.

(٢) في ب، س «ووكفت» وهو تحريف.

(٣) في الأصول «أن بعض» ولعل صوابه ما أثبتنا، أي وبشر الجن بأن يغص... وبشر هنا بمعنى أنذر، ويغص أنفاسها: يصيبها بغصة، والسوق: الدفع الشديد. والمعنى: لم يعد لها سلطان، وكانت العرب تعتقد أن الجن تأتي بخبر السماء فتلقيه في جوف الأصنام. وجاء في رواية الروض الأنف: «عن عباس بن مرداس أنه كان في لقاح له نصف النهار، فاطلعت عليه نعمة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض، فقال لي: يا عباس ألم تر أن السماء كفت أحراسها، وأن الحرب جرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذي نزل عليه البر والتقى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصواء. قال: فخرجت مرعوباً قد راعني ما رأيت، وسعيت حتى جئت وثناً لي يقال له الضمار كنا نعبد ونكلم من جوفه...». والقصواء: التي قطع طرف أذنها، وهو لقب ناقة رسول الله ﷺ، ولم تكن ناقته قصواء، وإنما كان هذا لقباً لها، وقيل: كانت مقطوعة الأذن.

(٤) رعل: قبيلة من سليم.

(٥) في ج، ب «بصرته» وفي س «أبصرته» والصواب عن «ها» وهو تحريف.

(٦) نصب له: عاداه.

(٧) تركي، معطوف على أجعل المنزل منزلة المصدر، أي يوم جعلني ضمّاراً مشاركاً وتركياً. ما أولئك: استفهام للتعظيم والتهويل.

(٨) الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر. وفي ج «الأحسين» وهو تصحيف.

نبيّ أنا بعد عيسى بناطق
أميناً على الفرقان أول شافع
تلافى عُرا الإسلام بعد انفصامها
رأيتك يا خير البرية كلها
سبقتهُم بالمجد والجود والعلا
فأنت المصطفى من قريش إذا سمث
من الحق فيه الفصل منه كذلك
وأخر مبعوث يجيب الملائكا
فأحكمها حتى أقام المناسكا
توسّطت في القربى من المجد مالكا^(١)
وبالغاية القصوى تقوت السنايبكا^(٢)
غلاصمها تبغي القروم الفواركا^(٣)

قال: فقدم عباس على رسول الله ﷺ المدينة حيث أراد المسير إلى مكة عام الفتح، فواعد رسول الله ﷺ قديداً^(٤)،
[٣٠٦/١٤] وقال: القنى / أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله ﷺ قديداً وهو ذاهب، لقيه عباس في ألف من بني سليم،
ففي ذلك يقول عباس بن مرداس:

بلّغ عبادة الله أن محمداً
دعا قومه واستنصر الله ربّه
عشيرة واعدنا قديداً محمداً
حلفت يميناً بركة لمحمد
سرايا يراها الله وهو أميرهم
على الخيل مشدوداً علينا دُرُوعنا
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم
رسول الإله راشد أين يَمما^(٥)
فأصبح قد وافى الإله وأنعمنا^(٦)
يؤم بنا أمراً من الله مُحكمنا
فأوفيته ألفاً من الخيل مُعلمنا
يؤم بها في الذين من كان أظلمنا^(٧)
وخيلاً كدفاع الأتي عرمرما^(٨)
وحتى صبحنا الخيل أهل يَلَمَلما^(٩)

وهي قصيدة طويلة.

- (١) يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.
(٢) السنايب: جمع سنبك كقنفذ، وهو طرف الحافر. والمعنى: لا تبلغنها سنايبك الخيول المتسابقة إليها.
(٣) غلاصم: جمع غلصمة، وهي أصل اللسان أو الجماعة أو السادة. والقروم: جمع قرم بالفتح، وهو السيد، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة والضراب. والفوارك: جمع فارك، من فرك الرجل امرأته فركاً: أبغضها، يعني أنهم ليسوا ممن تلهيهم النساء عن عظام الأمور، ومن ذلك قول الأخطل:
قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم
وقد تمثل به عبد الملك بن مروان حين تهيأ لقتال ابن الأشعث. وفي وصف القروم بالفوارك ملامة ظاهرة.
(٤) قديد: موضع قرب مكة.
(٥) في هذا البيت خرم. ويمم: طلب. وفي «الروض الأنف» ج ٢ ص ٢٦٨ «من مبلغ الأقوام».
(٦) وافى الله حقّه ووفاه: آداه، ويقال: فعل كذا وأنعم: أي زاد.
(٧) يراها الله، أي بعين رعايته. وأظلم هنا بمعنى ظالم.
(٨) في الأصول: «عليها» وهو تحريف، والخيل: الفرسان. وفي «السيرة» «ورجلاً» وهم الرجالة أي المشاة. وسيل أتى: وفي ب، س: «اللواتي» وهو تحريف. والتصويب عن ها، و «السيرة النبوية». والدفاع: كثرة الماء وشدته وتدافع جريه. وجيش عرمرم: كثير شديد.
(٩) كذا في الأصول. وفي «الروض الأنف»: «صبحنا الجمع». يللمم: ميقات اليمن، جبل على مرحلتين من مكة. وفي ب، س: «يلمما» وهو تحريف.

زوجته توثبه على إسلامه

قال: ولما عَرَفَ راعي العباس بن مرداس زوجته بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامه قَوَّضَتْ يبتها، وارتحلت إلى قومها، وقالت توثبه:

ألم ينه عباس بن مرداس أني	رأيت الوري مخصوصةً بالفجائع
/ أتاهم من الأنصار كل سَمِيذِع	من القوم يَحْمِي قومه في الوقائع ^(١)
بكل شديد الوقع عَضْب، يقوده	إلى الموت هَامُ الْمُقْرِبَاتِ البرائع ^(٢)
لعمري لئن تابعت دين محمد	وفارقت إخوان الصفا والصنائع ^(٣)
لبذلت لك النفس ذلاً بعزة	غداة أختلف المُرَهَقَاتِ القواطع ^(٤)
وقوم هم الرأس المقدم في الوغى	وأهل الحجا فينا وأهل الدسائع ^(٥)
سيوفهم عزّ الدليل وخيلهم	سِهَامُ الأعادي في الأمور الفظائع

[٣٠٧/١٤]

شعره لرسول الله حين فضل غيره عليه في الغنائم وخبر ذلك

/ فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا محمد بن فليح عن $\frac{17}{13}$ موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال: حدثنا داود بن عمرو الضبي قال: حدثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق، وحدثني محمد بن جرير قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - وقد دخل حديث بعضهم في حديث بعض - أن رسول الله ﷺ قَسَمَ غَنَائِمَ هَوَازَنَ، فأكثر العطايا لأهل مكة، وأجزال القسَم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوى كثيراً من القسَم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضل فيها عيينة والأقرع على العباس، فجاءه العباس فأنشده:

[٣٠٨/١٤]

/ وكانت نهاباً تلافيتها	بكرّي على المهر في الأجرع ^(٦)
وإيقاظي الحي أن يرقدوا	إذا هجع القوم لم أهجع
فأصبَح نهبِي ونهبُ العبيد	بدين عيينة والأقرع ^(٧)
وقد كنتُ في الحرب ذا تُذَرِّ	فلم أعط شيئاً ولم أمتع ^(٨)

(١) السميذع: السيد الكريم والشجاع.

(٢) المقربات: جمع مقربة، وهي الفرس التي تدني وتقرب وتكرم، ولا تترك أن ترود لئلا يقرعها فحل لئيم، أو هي التي ضمرت للركوب. البرائع: جمع بريعة، وهي المرأة الفاتكة في الجمال والعقل؛ جعلها هنا وصفاً للأفراس.

(٣) الصنائع: جمع صنعة، وهي الإحسان.

(٤) المرهقات: السيوف المرققة.

(٥) الدسائع: جمع دسعة، وهي العطية.

(٦) في ب، س «كانت رزايا» والتصويب عن ج، ها. والنهَاب: الغنائم.

(٧) العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس. وفي الأصول «عينية» وهو تصحيف.

(٨) رجل ذو تدراً وتدرأة: مدافع ذو عز ومنعة.

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمع

وما كنت دون أمرىءٍ منهما ومن تضع اليوم لا يُرفع

فبلغ قوله رسول الله ﷺ، فدعاه فقال له: أنت القاتل: «أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرك بأيهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله ﷺ: اقطعوا عني لسانه، وأمر بأن يُعطوه من الشاء^(١) والنعم ما يرضيه لئيمسك، فأعطي، قال: فوجدت^(٢) الأنصار في أنفسهم، وقالوا: نحن أصحاب موطن^(٣) وشدة، فأثر قومه علينا، وقسم قسماً لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولهم رسول الله ﷺ أناهم في منزلهم فجمعهم، وقال: [٣٠٩/١٤] من كان ها هنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله، فحمد الله وأثنى عليه / ثم قال: يا معشر الأنصار، قد بلغتنى مقالة قلتموها، وموجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم قليلاً فكثركم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عيينة أنه قال: ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها؟ قالوا: بلى. قال: أفلا تجيبون يا معشر الأنصار؟ قالوا: الله ولرسوله علينا المن والفضل، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات، فأخرجنا الله بك إلى النور، وجئتنا يا رسول الله ونحن على شفا حفرة من النار، فأنقذنا الله، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلة قليلون فأعزنا / الله بك، فرضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. فقال ﷺ: أما والله لو شتتم لأجبتوني بغير هذا، فقلتم: جئتنا طريداً فأويناك، ومخذولاً فنصرناك، وعائلاً فأغنيك، ومكذباً فصدقناك، وقيلنا منك ما ردّه عليك الناس، لقد صدقتم. فقال الأنصار: لله ولرسوله علينا المن والفضل، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم، وبكى رسول الله ﷺ، وقال: يا معشر الأنصار وجدتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرت بها ناساً أتألفهم على الإسلام ليسلموا، ووكلتكم إلى الإسلام، أو لا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والابل، وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم؟ والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس شعباً^(٤) وسلك الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ أمراً من الأنصار، ثم بكى القوم ثانية حتى أخضلوا^(٥) لحاهم، وقالوا: رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حظاً وقسماً، وتفرق القوم راضين، وكانوا بما قال لهم رسول الله ﷺ أشدّ أغتباطاً من المال.

[٣١٠/١٤] / وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر: أعطى رسول الله ﷺ جماعة من أشراف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الإسلام، فأعطى كل رجل من هؤلاء النفر - وهم: أبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحرث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس - مائة من الإبل، وأعطى كل واحد من

(١) في ب، س، ج: «من النساء»؛ وهو تحريف والتصويب عن ها.

(٢) وجد عليه يجد: غضب.

(٣) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب.

(٤) الشعب: الطريق في الجبل.

(٥) أخضله: بله.

مَخْرَمَة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقل، وأعطى العباس بن مرداس أبا عر، فتسخطها وقال الأبيات المذكورة، فأعطاه حتى رضي.

كتب عبد الملك كتاباً فيه شعر لابن الزبير يتوعدّه ورده على ذلك

حدّثنا وكيع قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثنا عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعدّه فيه وكتب فيه:

إِنِّي لَعِنْدَ الْحَرْبِ تَحْمِلُ شِكَّتِي إِلَى الرَّؤُفِ جَرْدَاءِ السَّيَّالَةِ ضَامِرٌ^(١)

والشعر للعباس بن مرداس. فقال ابن الزبير: أبا الشعر يقوى عليّ؟ والله لا أجيبه إلّا بشعر هذا الرجل؛ فكتب إليه:

إِذَا فُرسَ الْعَوَالِي لَمْ يَخَالِجْ هُمُومِي غَيْرَ نَصْرٍ وَأَقْتِرَابِ^(٢)

/ وَإِنَّا وَالسَّوَابِحَ يَوْمَ جُمُعَ وَمَا يَتْلُو الرُّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ^(٣)

هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قِسْيٍ وَحَكَّتْ بَرْكُهَا بَيْنِي رِثَابِ^(٤)

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العباس برسول الله ﷺ ونصره له، وفيها يقول:

بِذِي لَجِبَ رُسُولُ اللَّهِ فِيهِ كَتِيبُهُ تَعَرَّضُ لِلضَّرَابِ^(٥)

وَلَوْ أَدْرَكَنَ صِرْمَ بَنِي هَلَالٍ لَأَمْ نَسَاؤُهُمْ وَالتَّقَعَّ كَابِي^(٦)

خبر قتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة: وكان هُرَيْمُ بنُ مرداس مجاوراً في خُزَاعَةَ في جِوَارِ رجلٍ منهم يقال له / عامر، فقتله رجل من ٦٩/١٣ خُزَاعَةَ يقال له خُوَيْلِدٌ، وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره، فقال:

إِذَا كَانَ بَاغٍ مِنْكَ نَالَ ظُلَامَةً فَإِنْ شَفَاءَ الْبَغْيِ سَيْفُكَ فَافْصِلْ

وَنَبِّتْ أَنْ قَدْ عَوَّضُوكَ أَبَاعِراً وَذَلِكَ لِلجِيرَانِ غَزْلٌ بِمَغْزَلِ

فخذها فليست للغزير بنصرة وفيها متاعٌ لامرئٍ متدلّل

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه عليّ عليه السلام إلى البيعة، وتحدّث الناس أنّه

وعده أن يولّيه الشام إذا بايعه. قال: فلما / بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأر [٣١٢/١٤]

(١) الشكة: السلاح. والسيالة: واحدة السبال، وهو شجر سبط الأغصان له شوك أبيض وأراد بها المتن - على التشبيه - وفي الأصول: «السيالة» بالباء.

(٢) فرسه فرساً: دقه وكسره. والعوالي: جمع عالية، وهي رأس الرمح.

(٣) السوابح: جمع سابح، وهو من الخيل ما يمدّ يديه في الجري سبحاً. وفي جـ، ب، س «يوم بدر» والتصويب عن هاو «السيرة النبوية» لابن هشام، وقد قال العباس هذا الشعر يوم حنين. وجمع: المزدلفة.

(٤) في جـ، ب، س «يوم بني قسي». وقسي هو ثقيف. والبرك: كل كل البعير و صدره الذي يدوك به الشيء تحته، ويقال في صفة الجرب وشدة وطأتها: «حكّت بركها بهم».

(٥) بذى لجب، أي بجيش ذي لجب، واللجب: الجلبة والصياح. وفي الأصول: «كمارضة تعرض للصواب» والتصويب عن «السيرة النبوية».

(٦) الصرم: الفرقة من الناس ليسوا بالكثير. والتقع: الغبار. والكابي: المرتفع الضخم.

بهريم، ثم إن أبا حُلَيْسِ النَّصْرِيِّ لقي خويلاً قَاتِلَ هُرَيْمٍ فَقَتَلَهُ، فقال بنو نصر: بُوُ^(١) بدم فلان النصري - رجل كانت خزاعة قتلته - فقال أبو الحليس: لا، بل هو بُوُ بدم هُرَيْمِ بن مرداس، وبلغ العباس، فقال يمدحه بقوله:

أتاني من الأنباء أنَّ أبْنَ مالِكٍ كفى ثائراً من قومه مَن تَغَيَّبَا^(٢)
 [ويَلْقَاكَ ما بين الخَميسِ خُوَيْلِدُ أرى عَجَباً بل قتلته كان أعجبا]^(٣)
 فِدَى لَكَ أُمِّي إِذْ ظَفِرَتْ بِقَتْلِهِ وأقسم أبغي عنك أمّاً ولا أبَا^(٤)
 فمَثْلُكَ أَدَى نُصْرَةَ القومِ عَنَوَةً ومثْلُكَ أعياذ السلاح المجربا

خروجه لحرب بني نصر

قال أبو عبيدة: أغارت بنو نصر^(٥) بن معاوية على ناحية من أرض بني سليم، فبلغ ذلك العباس بن مرداس، فخرج إليهم في جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثرَ فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سليم، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم، وأخذت بنو نصر فرساً للعباس عائرة^(٦) يقال لها زِرَّة^(٧)، فانطلق بها عطية^(٨) بن سُفْيَانَ النَّصْرِيِّ - وهو يومئذ رئيس القوم - فقال في ذلك العباس:

أبى قومنا إلا الفرارَ ومن تكن هوازنُ مولاه من الناس يُظَلِّمُ^(٩)
 / أغار علينا جمعهم بين ظالم وبين أبني عمِّ كاذبِ الوُدِّ أيُّهم^(١٠)
 كلاب وما تفعل كلابٌ فإِنَّهَما وكعب سراة البيت ما لم تهْدَمُ^(١١)
 فإن كان هذا صُنْعُكُمْ فتجرّدوا لألفين منّا حاسرٍ ومُلاَمُ^(١٢)
 وحربٍ إذا المرء السَّمين تمرّستُ بأعطافه بالسيف لم يترمرم^(١٣)
 ولم أحتسب سُفْيَانَ حتى لقيته على ماقطٍ إذ بيننا عطر منشم^(١٤)

[٣١٣/١٤]

(١) أي خويلد بُوُ. يقال: باء دمه بدمه بوءاً وبواء: عدله.

(٢) ثائراً، أي أخذ بالثار.

(٣) تكملة عن «ها».

(٤) أبغي: لا أبغي.

(٥) هم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة. . . فهم وبنو سليم أبناء عم.

(٦) يريد: شاردة وضالة، من قولهم: أصابه سهم عائر أي لا يدري من رماه.

(٧) في الأصول: «زورة» وهو تحريف، وصوابه ما أثبتنا كما في (تاج العروس).

(٨) في ب، س «غبطة» وصوابه ما أثبتنا كما في ها.

(٩) أبى قومنا: يريد بني عمهم بني نصر. يظلم، أي يتعرض للظلم والعدوان عليه لضعفهم عن نصرته والدود عنه.

(١٠) الأيهم: من لا عقل له ولا فيهم.

(١١) كلاب وكعب: هما ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وسرارة كل شيء: أعلاه وظاهره ووسطه.

(١٢) رجل حاسر: لا درع عليه ولا بيضة على رأسه. وملاَم: عليه لامة، وهي الدرع، والسلاح وأداة الحرب.

(١٣) تمرّس به: احتك به. وترمرم: حرّك فاه للكلام.

(١٤) الماقط: المضيق الذي يقتتلون فيه. ومنشم: امرأة كانت عطارة بمكة، وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت فيهم القتلى، ففصبوا بها المثل في الشؤم فقالوا: أشأم من عطر منشم.

فقلت وقد صاح النساء خلألهم
لخيلِي شُدِّي إنهم قوم لَهْذَمٌ^(١)
فما كان تهليلٌ لَدُنْ أن رميْتُهُمْ
بِزِرَّةٍ رَكْضاً حَاسِراً غَيْرَ مُلْجَمٍ
إذا هي صَدَّتْ نَحْرَهَا عن رَمَاحِهِمْ
أَقْدَمَهَا حَتَّى تَنْعَلُ بِالدِّمِ
وما زال منهم رائِخٌ عن سبيلها
وَأَخْرُ يَهْوِي لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ^(٢)
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَبِيحُوا عَشِيَّةً
وَذَلُّوا فَكَانُوا لِحِمَّةِ الْمُتَلَحِّمِ^(٣)
فَأَبَوْا بِهَا عُزْفاً وَالْقَيْتُ كُلُّكُلِي
عَلَى بَطْلٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَكْلَمِ^(٤)
/ وَلَنْ يَمْنَعَ الْأَقْوَامُ إِلَّا مُشَايِخَ
يُطَارِدُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءَ وَيَرْتَمِي^(٥)

/ قال: ثم إن العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر - وكانوا ثلاثين رجلاً - فأطلقهم، وظن أنهم سيثبون [٣١٤/١٤] بفعله، وأن سفيان سيرة عليه فرسه زرة، فلم يفعلوا، فقال في ذلك:

أَزِرَّةٌ خَيْرٌ أَمْ ثَلَاثُونَ مِنْكُمْ
طَلِيقاً رَدَدْنَاهُ إِلَيْكُمْ مَسْلَمًا^(٦)
قال: وجعل العباس يهجو بني نصر، فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعدده في ذلك، فلقية عباس في المواسم، فقال له سفيان: والله لتنتهين أو لأصْرمتك، فقال عباس:
أَتَوَعَدْنِي بِالصَّرْمِ إِنْ قُلْتَ أَوْفَنِي
وَقَالَ الْعَبَّاسُ أَيْضاً فِيهِ:
فَأَوْفٍ وَزِدْ فِي الصَّرْمِ لِهَزْمَةِ التَّنِ^(٧)

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ مُفِيَّانٌ عَنِّي
وَمَوْلَاهُ عَطِيَّةٌ أَنْ قِيلَا
وَضُنِّي أَنْ سِيلِفَهُ السَّرْسُولُ
خِلَا مَنِّي وَأَنْ قَدَبَاتٍ قِيلَا^(٨)
وَذَلَّكُمْ بِأَرْضِكُمْ جَمِيلُ^(٩)
فَحَلَّ لَهُ الْوَلَايَةُ وَالشُّمُولُ
وَأَخِيرَكُمْ إِذَا حُمِدَ الْجَمِيلُ
تَلَاقِنِي مِنَ الْجِيرَانِ غُولُ^(١٠)

(١) اللهزم: القاطع من الأسته. وم ذوو لهازم.

(٢) راغ: مال وحاد.

(٣) المتلحم: يريد طالب اللحم ومشتهيه.

(٤) العرف: اسم من الاعتراف، أي أبوا معترفين بالهزيمة. والكلكل: الصدر. شاكي السلاح: ذو شوكة وحد في سلاحه، مكلم: مجرح.

(٥) شايع: قاتل، وجد في الأمر. وفي الأصول «مشايخ» تطاردن وهو تصحيف. ارتموا: تراموا.

(٦) في الأصول «طليق» وهو تحريف، والفصل بين العدد وتمييزه ضرورة، كقوله:

* ثلاثون للهجر حولاً كمياً *

(٧) اللهزمتان: عظيمان ناتئان في اللحين تحت الأذنين، يريد يا رأس التن وأصله.

(٨) القيل: القول، أو القول في الشر. خلا: مضى.

(٩) في ب، س «شتمتم» والتصويب عن جـ.

(١٠) الغول: الهلكة والداهية.

سأجعلها لأجمعكم شعارا وقد يمضي اللسان بما يقول

[٣١٥/١٤] / وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زبيد باليمن.

حربه مع بني زبيد

قال أبو عمرو وأبو عبيدة: جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر - وكان يقال للعباس: مقطّع الأوتاد - جمعا من بني سليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبح بني زيد بثلاث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عدداً كثيراً، وغنم حتى ملأ يديه، فقال في ذلك:

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وقفْتُ به يوماً إلى الليل حابساً
يقول فيها:

فدع ذا ولكن هل أناك مقادنا لأعدائنا نزجي الثقال الكوايسا^(١)
سموئنا لهم تسعاً وعشرين ليلة نُجيرُ من الأعراض وحشاً بسايسا^(٢)
فلم أر مثل الحيّ حيّاً مصبّحاً ولا مثلاً يوم التقينا فوارسا
إذا ما شدّنا شدة نصّبوا لنا صدور المذاكي والرماح المداعسا^(٣)
وأحصتنا منهم فما يبلغوننا فوارس متا يحبسون المحابسا
وجرّد كأن الأسد فوق متونها من القوم مرءوسا كميّا ورائسا
وكنّت أمام القوم أول ضارب وطاعنت إذ كان الطعان مخالسا^(٤)
/ ولو مات منهم من جرّحنا لأصبحت ضياعاً بأكناف الأراك عرائسا

[٣١٦/١٤]

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أولها:

٧١ / لِمَن طلل بالخيف أصبح دارسا تبذل آراما وعينا كوانسا^(٥) ١٣

وهي طويلة، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها.

شعره في جلاء بني النضير وجواب خوات له

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا أبو غزيرة عن فليح بن سليمان قال: قال

(١) كدست الدواب: أسرع وركب بعضها بعضاً في سيرها.

(٢) الأعراض: قرى بين الحجاز واليمن. والبسايس: جمع بسيس كجعفر، وهو الفقر الخالي.

(٣) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو ستان. والمداعس: جمع مدعس كمنبر وهو من الرماح الغليظ الشديد الذي لا ينثني، ودعسه بالرمح: طعنه.

(٤) تخالسا القرنان: رام كل واحد منهما اختلاس الآخر. وفي جـ «مجالسا» وفي ها «تخالسا».

(٥) آرام: جمع رثم، وهو الظبي الخالص البياض. والعين: بقر الوحش. وكنس الظبي كضرب: دخل في كنامه، وهو ما يستره من الشجر.

العباس يذكر جلاء بني النضير ويكيهم بقوله :

لو أن قَطِينَ الدَّارِ لَمْ يَتَحَمَّلُوا
فإنَّكَ عَمْرِي هَلْ رَأَيْتَ ظَعَانَنَا
[عليهنَّ عَيْنٌ مِنْ ظِبَاءٍ تَبَالَةٍ
إذا جاءَ باغِي الخَيْرِ قَلْبَ شَاشَةٍ
]وأَهْلًا فَلَا مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ
فَلَا تَحْسَبْنِي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمِ
وجدت خلال الدار ملهى وملعباً^(١)
سلكن على ركن الشظاة فميشباً^(٢)
أوانس يصبين الحليم المجرباً^(٣) [له بوجوه كالدنانير : مرحباً
ولا أنت تخشى عندنا أن تؤبباً^(٤)]
سلام ولا مولى حيتي بن أخطب^(٥)

فقال خوات بن جبير يجيب العباس :

أتبكي على قتلى يهود وقد ترى
/ فهلاً على قتلى بيطن أواره
إذا السلم دارت في الصديق ردتها
وإنك لما أن كلفت بمدحة
وجئت بأمر كنت أهلاً لمثله
فهلاً إلى قوم ملوك مدحتهم
إلى معشر سادوا الملوك وكرموا
أولئك أولى من يهود بمدحة
من الشجولو تبكي أحق وأقرباً
بكيت وما تبكي من الشجو مفضلاً
وفي الدين صداداً وفي الحرب ثعلباً^(٦)
لمن كان مينا مدحه وتكذباً^(٧)
ولم تلف فيهم قائللاً لك مرحباً
بنوا من ذرا المجد المقدم منصبا
ولم تلف فيهم طالب الحق مجذباً^(٨)
تراهم وفيهم عزة المجد ترتباً^(٩)

فقال عباس بن مرداس يجيبه :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم
أولئك أخرى إن بكيت عليهم
لهم نعم كانت من الدهر ترتباً^(١٠)
وقومك لو أدوا من الحق موجباً

(١) القطين : أهل الدار . تحملوا : ارتحلوا .

(٢) في الأصول «السطاة فأنابا» وهو تحريف . والتصويب عن «معجم ما استمعتم» ج ٣ : ص ٧٩٨ ، والشظاة بفتح أوله : موضع قبل خيبر ، ورد ذكره في «أشعار المغازي» . وميشب : من خيبر هو موضع صدقات رسول الله ﷺ .

(٣) سقط هذا البيت من ب ، س ، جـ وقد أثبتناه عن ها .

(٤) في ب ، س ، جـ «سلم» وهو تحريف . والمولى : الحليف والصاحب . وحيتي بن أخطب : سيد بني النضير .

(٥) في ب ، س ، جـ «مداحاً» والتصويب عن «السيرة» لابن هشام .

(٦) في جـ «عنا» .

(٧) في ب ، س ، جـ «محبداً» وهو تصحيف .

(٨) في ها «أخرى» . والترتب (بضم التاء الأولى وضم الثانية وفتحها) : الشيء المقيم الثابت . وفي الأصول «وفيه طابع اللوم» . والتصويب عن «السيرة النبوية» .

(٩) الصريح : الخالص النسب . والكاهنان : يطلقان على قريظة والنضير .

مَنْ الشُّكْرِ إِنْ الشُّكْرَ خَيْرٌ مَغْبِيَّةٍ وَأَوْفَقُ فِعْلًا لِلَّذِي كَانَ أَصَوْبًا^(١)
فَصَرْتُ كَمَنْ أَمْسَى يَقْطَعُ رَأْسَهُ لِيُلْغِ عِزًّا كَانَ فِيهِ مَرْكَبًا
فَبِكَ بَنِي هَارُونَ وَأَذْكَرَ فَعَالَهُمْ وَقَتْلَهُمْ لِلْجُوعِ إِذْ كُنْتُ مُسْغِبًا^(٢)

[٣١٨/١٤] قال الزبير: فحدثني محمد بن الحسن عن مُحَرِّزِ بن جعفر قال: التقى عباس بن مرداس وخوات بن جبير يوماً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال خوات: يا عباس أنت الذي رثيت اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ ما كان! فقال عباس: إنهم كانوا أخلائي في الجاهلية، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرموني، ومثلي يشكر ما صنَّع إليه من الجميل، وكان بينهما قول حتى تجاذبا، فقال له خوات: أما والله لئن استقبلت غُرب^(٣) شبابي، وشبأ أنيابي، وخشيت جوابي، لتكرهن عتابي. فقال عباس: والله يا خوات، لئن استقبلت عني وفئي^(٤) وذكاء سني، لتفترن مني، إيتاي تتوعد يا خوات، يا عاني^(٥) السوات! / والله لقد استقبلك اللؤم فَرَدَعَكَ^(٦)، واستدبرك فكسَعَكَ^(٧)، وعَلَاكَ فَوَضَعَكَ، فما أنت بمهجوم^(٨) عليك من ناحية إلا عن فضل لؤم؛ إيتاي - ثكلتك أمك - تروم؟ وعليّ تقوم؟ والله ما نُصِبْتُ سَوْقُكَ، ولأظهرن عليك^(٩) بعد؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا وإما أن أوجعكما ضرباً، فصمتا وكفّا، أخبرني بذلك علي بن نصر قال: حدثني الحسن بن محمد بن جرير، وحدثني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. وللعباس مع خوات مناقضات أخر في هذا المعنى، كرهت الإطالة بذكرها.

رثاء أخوه بشعر

قال أبو عبيدة: وكان العباس وسراقة وحزن وعمر بنو مرداس كلهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وكلهم كان شاعراً، وعباس أشعرهم، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات في الإسلام، فقال أخوه سراقة يرثيه:

/ أَعْيَنِ أَلَا أَبْكِي أَبَا الْهَيْثَمِ وَأَذْرِي الدَّمُوعَ وَلَا تَسْأَمِي
وَأُنْثِي عَلَيْهِ بِأَلَا تَه بِقَوْلِ أَمْرٍءٍ مَوْجَعِ مَوْلَمِ
[فَمَا كُنْتُ بِأَتَعَهُ بِأَمْرٍءٍ أَرَاهُ يَسْذُو وَلَا مَوْسِمِ]^(١٠)
أَشَدَّ عَلَى رَجُلٍ ظَالِمِ وَأَدَهَى لِدَاهِيَةِ مَيْثَمِ^(١١)

[٣١٩/١٤]

- (١) في ب، س، ج «من السكران السكر» وهو تصحيف.
- (٢) أسغب: دخل في المجاعة فهو مسغب، كما يقال: أقحط: دخل في القحط.
- (٣) الغرب: الحدة. والشبا جمع شباء، وهي حد كل شيء.
- (٤) العن: الاعتراض. والفن: الأمر العجب، رجل معن مفن (كمقص). معن: أي يعتن ويعترض في كل شيء، مفن: يأتي بالعجائب، ومفن أيضاً ذوفنون من الكلام. والذكاء: شدة وهج النار.
- (٥) أي يا أسير السوات.
- (٦) ردهه بالشئ كفتح: لطمه به.
- (٧) كسعه بالسيف كمنع، ضرب دبره به.
- (٨) في ب، س «بمجهوم» وهو تحريف والتصويب عن «ها».
- (٩) في ج، ها «عنك».
- (١٠) هذا البيت ساقط من ب، س، ج وقد أثبتناه عن «ها».
- (١١) ميثم: شديد الوطء.

وقالت أخته عمرة ترثيه:

لِتَبْكِ أَبَنَ مَرْدَاسٍ عَلَى مَا عَرَاهُمُ عَشِيرَتُهُ إِذْ حُمَّ أُمْسِ زَوَالُهَا
لِسَدَى الْخَصْمِ إِذْ عِنْدَ الْأَمِيرِ كَفَاهُمُ فَكَانَ إِلَيْهِ فَصْلُهَا وَجِدَالُهَا^(١)
وَمُعْضِلَةٌ لِلْحَامِلِينَ كَفَيْتَهَا إِذَا أَنْهَلَتْ هُوجَ الرِّيحِ طِلَالُهَا^(٢)

وقد روى العباس بن مرداس عن النبي ﷺ، ونقل عنه الحديث.

دعاء النبي عليه السلام لأمته

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الطَّيِّبِ الشَّجَاعِيُّ الْبَلْخِيُّ بِالْكُوفَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّلْحِيُّ^(٣) قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ السَّرِيِّ الشُّلَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كِنَانَةَ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ مَرْدَاسٍ السَّلْمِيُّ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ جَدِّهِ عَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لِأَمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ قَالَ: فَأَجِيبْ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَغُفِرَتْ لِلظَّالِمِ، فَلَمْ يَجِبْ فِي حِينِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فِي الْمَزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ، فَأَجِيبْ لَهُمْ بِمَا سَأَلَ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ تَبَسَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: يَا بَابِي / أَنْتَ وَأُمِّي! إِنْ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا أَوْ تَبَسَّمُ، فَقَالَ: إِنْ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِأُمَّتِي جَعَلَ يَحْتُوُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ، فَضَحِكْتُ مِنْ جَزَعِهِ. تَمَّتْ أَخْبَارُ الْعَبَّاسِ.

نصوت

أَرْجُوكَ بَعْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ إِذْ بَانَا يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَعْرَاقاً وَعِيدَانَا
أَرْجُوكَ مِنْ بَعْدِهِ إِذْ بَسَانِ سَيِّدِنَا عَنَّا وَلِسَوْلَاكَ لَا سَتَلَمْتُ إِذْ بَانَا
فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ وَأَنْضَرُ النَّاسِ عِنْدَ الْمَحَلِّ أَغْصَانَا
لَوْ مَجَّ عُوْدٌ عَلَى قَوْمٍ عَصَارَتَهُ لَمَجَّ عُوْدُكَ فِينَا الْمِسْكَ وَالْبَانَا^(٤)

الشعر لحَمَّادِ عَجْرَدٍ، والغناء لِحَكَمِ الْوَادِي، ولحنه من القَدَرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبِنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا.

(١) فصلها أي في الخصومات والمشاكل.

(٢) النهل (كسب): أول الشرب. هوج الرياح: الشديدة الهبوب. طلال: جمع ظل وهو أخف المطر وأضعفه. يقول، إنه غيات لقومه وقت الجذب حين تهب الرياح الهوجاء حاملة طلالاً لا تغني ولا تسد حاجة.

(٣) الذي في ج، «ها» «الصالح».

(٤) في ب، س، ج «غضارته» والتصويب عن ط، مط، ها.

/ أخبار حماد عَجْرَد ونسبه

[٣٢١/١٤]
٧٣
١٣

نسبه

هو حماد بن يحيى بن عمر^(١) بن كليب، ويكنى أبا عُمَر^(٢)، مولى [بني]^(٣) عامر بن صعصعة، وذكر ابن النطاح أنه مولى بني سَراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عُقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة، وكان يَبْرِي الثَّبل، وقيل: بل أبوه كان نَبَلًا، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بن سليمان: كان عمُّ لحَمَاد عَجْرَد يقال له مؤنس^(٤) بن كليب، وكانت له هيئة^(٥) - وابن عمه عُمارة بن حمزة بن كليب - انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً، فكانوا بها، وحماد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس، وكان خليعاً ماجناً، متهماً في دينه، مرمياً بالزندقة.

كان أبوه مولى لبني هند، وهجاء بشار له

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال: قال أبو دعامة: حدثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء قال: كان يحيى أبو حماد عَجْرَد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، وكان وكيلاً لها في ضيعتها بالسواد^(٦)، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر، فجزَّ عبد الملك ولاء موالي أمه فصاروا مواليه. قال: ولما كان والدُ حماد عَجْرَد بالسواد في ضيعتها نَبَطه^(٧) بشارُ لما هجَّاه بقوله:

وَأَشَدُّ يَدِيكَ بِحَمَادِ أَبِي عُمَرَ فَإِنَّهُ نَبَطِيٍّ مِنْ زَنَابِيرِ^(٨)

[٣٢٢/١٤] / قال: وإنما لقَّبه^(٩) بعَجْرَد عمرو بن سِنْدِيٍّ، مولى ثقيف لقوله فيه:

سَبَّحَتْ بَغْلَةً رَكِبَتْ عَلَيْهَا عَجَباً مِنْكَ خَيْبَةً لِلْمَسِيرِ^(١٠)

زَعَمْتُ أَنَّهَا تَرَاهُ كَيِّراً حَمَلَهَا عَجْرَدُ الزُّنَا وَالْفُجُورِ^(١١)

(١) كذا في ها، و «معجم الأدباء» ج ١٠: ٢٤٩ وفي باقي الأصول «عمرو».

(٢) كذا في ب، س وهو الصواب؛ وفي باقي الأصول «أبا عمرو».

(٣) عن ط، مط.

(٤) كذا في ط، مط. والذي في ب، س، ج «مولى». وفي ها: يونس.

(٥) في ب، س، ج «بقية» وما أثبتناه عن ط، مط، ها.

(٦) أي سواد العراق.

(٧) نبطه: نسبه إلى النبط.

(٨) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول: «دنابير»؛ وهو تصحيف. وزنابير: أرض باليمن.

(٩) كذا في ط، مط، ها. والذي في ب، س «سماه». وقد سقطت هذه الكلمة من ج.

(١٠) سيج الفرس: مذيديه في العدو، شبهه بالسباح في الماء. وفي ب، س «سحبت».

(١١) حملها: بدل من الهاء في تراه.

إن دهرأ ركبت فيه على بغد — وأوقفته بباب الأمير
 لجدير الأثرى فيه خيراً — لصغير منّا ولا لكبير
 ما أمرؤ يتتقىك يا عقدة الكلد — سب لأسراره بجذ بصير^(١)
 لا ولا مجلس أجئك للذات — يا عجرد الخنا بستير^(٢)

يعني بهذا القول محمد بن أبي العباس السفاح، وكان عجرد في نُدُمائه، فبلغ هذا الشعر أبا جعفر، فقال لمحمد: مالي ولعجرد يدخل عليك؟ لا يَلْعَنُني أنك أذنت له، فقال: وعجرد مأخوذ من المعجّر، وهو العريان في اللغة، يقال: تعجرد الرجل إذا تعرّى فهو يتعجرد تعجّرداً؛ وعجّرت الرجل أعجّره عجردة إذا عرّيته.

الحمادون الثلاثة

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدّثني الثقفى عن إبراهيم بن عمر العامري قال: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حماد عجرد وحماد الراوية، وحماد [بن] ^(٣) الزُّبرقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حماد عجرد.

/ أخبرنا الفضل بن الحُبَاب الجُمَحِيّ أبو خليفة إجازة عن التّوّزي^(٤): أن حماداً لُقّب بعجرد لأن أعرابياً مرّ به [٣٢٣/١٤] في يوم شديد البرد وهو عُريان / يلعب مع الصّبيان فقال له: تعجّرت يا غلام؛ فسَمّي عجرداً.
 قال أبو خليفة: المتعجّر: المتعرّى؛ والعجّر أيضاً: الذهب.

٧٤
١٣

سبب مهاجاة حماد

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عباد بن الممّزق، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: كان السبب في مهاجاة حماد عجرد بشاراً أن حماداً كان نديماً لنافع بن عُقبة، فسأله بشار تنجّز حاجة له من نافع، فأبطأ عنها، فقال بشار فيه:

مواعيد حماد سماء مُخيلة — تكشف عن رعد ولكن سبرق^(٥)
 إذا جئتَه يوماً أحالَ على غدٍ — كما وعد الكُثّون ما ليس يصدّق^(٦)
 وفي نافع عني جفاء، وإنني — لأطرق أحياناً، وذو اللب يطرق

(١) عقدة الكلب: قضيبه.

(٢) أجئك: سترك. الخنا: الفحش. ستير: مستور.

(٣) كذا في ط، مط، ها، مب. وقد سقطت هذه الكلمة من ب، س، ج.

(٤) كذا في ط، مط، ها. وهو الصواب. والذي في ب، س، ج: الثوري؛ وهو تصحيف.

(٥) السحابة المخيلة: التي تحسبها ماطرة.

(٦) يعني أنه كلما تطلب السعي تمهل وسوف قال: غدا غدا، وهذا المعنى وارد في كلامهم، من ذلك قول القائل: لا تجعلنا ككثّون بمزرعة — إن فاته الماء أروته المواعيد

وللنَّقَرَى قَوْمٌ فَلَوْ كُنْتُ مِنْهُمْ / أبا عُمَرَ خَلَفْتُ خَلْفَكَ حَاجَتِي
دُعَيْتُ وَلَكِنْ دُونِي الْبَابُ مَغْلَقٌ^(١) / وما زِلْتُ أَسْتَأْنِيكَ حَتَّى حَسَرْتُنِي
وَحَاجَةٌ غَيْرِي بَيْنَ عَيْنَيْكَ تَبْرُقُ / بوعِدٍ كَجَارِي الْآلِ يَخْفَى وَيَخْفَقُ^(٢)

قال: فغضب حمّاد وأنشد نافعاً الشعر، فمنعه من «صلة»^(٣) بشار، فقال بشار:

أبا عُمَرَ مَا فِي طِلَاسِيكَ حَاجَةٌ / وَلَا فِي الَّذِي مَيِّتْنَا لَمْ أَصْحَرَا
وَعَدْتُ فَلَمْ تَصْدُقْ وَقُلْتَ غَدًا غَدًا / كَمَا وَعَدَ الْكُثُونُ شَرِبًا مَوْخَرَا

قال: فكان ذلك السبب في التهاجي بين بشار وحمّاد.

كان من كبار الزنادقة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني أبو إسحاق الطَّلْحِيّ قال: حدّثني أبو سُهَيْل قال: حدّثني أبو نواس قال: كنت أئوهم أن حمّاد عجرد إنما رُمِيَ بالزنادقة لمُجونه في شعره، حتى حُبِسْتُ في حبس الزنادقة، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمتهم، وإذا له شعر مزاج بيتين بيتين يقرءون به في صلاتهم، قال: وكان له صاحب يقال له حريث^(٤) على مذهبه، وله يقول بشار حين مات حمّاد عجرد على سبيل التعزية له:

بَكَى حُرَيْثٌ فَوْقَ رَءْسِهِ بَتَعَزِيَةٍ / مَاتَ ابْنُ نَهْيَا وَقَدْ كَانَا شَرِيكَيْنِ
تَفَاوَضَا حِينَ شَابَا فِي نَسَاقِهِمَا / وَحَلَّ كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَ رَجُلَيْنِ^(٥)

/ أَمْسَى حُرَيْثٌ بِمَا سَدَى لَهُ غَيْرًا / كَرَكَبِ اثْنَيْنِ يَرْجُو قُوَّةَ اثْنَيْنِ^(٦)
حَتَّى إِذَا أَخْلَدَا فِي غَيْرِ وَجْهِهِمَا / تَفَرَّقَا وَهَوَى بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ

يعني أنه كان يقول بقول الثنوية^(٧) في عبادة اثنين، فتفرقا وبقي بينهما حائراً، قال: وفي حمّاد يقول بشار أيضاً وينسبه إلى أنه ابن نهيا^(٨):

يَا ابْنَ نَهْيَا رَأْسٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ / وَأَحْتِمَالُ الرُّوَسِ خَطْبٌ جَلِيلُ
أَدْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ الْاِثْنَيْنِ / مِنْ فِلَاسِي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ

(١) في ب، س «وللنقدي» وهو تحريف. يقال: دعاهم النقري، أي دعوة خاصة، وهو أن يدعو بعضاً دون بعض بنقر باسم الواحد بعد الواحد.

(٢) استأني به: انتظر به ولم يجعله. حسره: كشفه. الآل: السراب، وقيل: الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض، وأما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصول، وهي مثبتة في «مختار الأغاني» ص ٤١٥.

(٤) في ب، س، جـ «حريب» وهو تصحيف؛ والتصويب عن ط، مط، مب، ها. وأراد ها هنا: حريث بن أبي الصلت الحنفي كما سيأتي بعد.

(٥) التفاوض والمفاوضة: الاشتراك في كل شيء.

(٦) كذا في ط، مط، جـ، مب. والذي في ب، س «أسدى له عندا» وفي ها «غمر».

(٧) الثنوية: فرقة يقولون بالثنوية الإله، أي إله الخير وإله الشر.

(٨) كذا في ط، مط، مب، ها. وهو يوافق ما ورد في «أمالى المرتضى» والذي في جـ ب، س «نهيا» بالباء؛ وهو تصحيف.

يَأْبَسُ نَهْيَا بَرِئْتُ مِنْكَ إِلَى اللَّهِ — جهاراً، وذلك منّي قليل

قال: فأشاع حمّاد هذه الأبيات لبشار في الناس، وجعل فيها مكان «فإني بواحد مشغول»: «فإني عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في / أيدي الناس حتى انتهت إلى بشار، فأضطرب ^{٧٥}/_{١٣} منها وتغيّر وجزع وقال: أشاط ابن الزانية بدمي^(١)، والله ما قلت إلا «فإني بواحد مشغول» فغيرها حتى شهّرتني في الناس [بما يهلكني]^(٢).

هجاء بشار له

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني صالح بن سليمان الخثعمي قال: قيل [للعبد الله بن ياسين]^(٣): إن بشاراً المرعّث^(٤) / هجا حمّاداً فنبّطه، فقال عبد الله: [قد]^(٥) رأيتُ جدّ [٣٢٦/١٤] حمّاد، وكان يسمّى كليباً، وكانت صناعته صناعة لا يكون فيها نبطي، كان يبري النبال ويبرشها، وكان يقال له: كليب النبال، مولى بني عامر بن صعصعة.

هجاء بشار له ولصديقه سليم

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدّب، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ العنزّي قال: حدّثني أحمد بن خلّاد قال: كان بشارٌ صديقاً لسليم بن سالم مولى بني سعد، وكان المنصور أياًم أسّثر بالبصرة نزل على سليم بن سالم، فولّاه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه الشّوس وجند يسابور، فانضمّ إليه حمّاد عجرد، فأفسده على بشار، وكان له صديقاً، فقال بشار يهجوها:

أَمْسى سُلَيْمٌ بِأَرْضِ الشُّوسِ مُرْتَفِئاً فِي خَزَاهَا بَعْدَ غُرْبَالٍ وَأَمْدَادٍ^(٦)
لَيْسَ النَّعِيمُ وَإِنْ كُنَّا نُسْرَنَ بِهِ إِلَّا نَعِيمُ سُلَيْمٍ ثُمَّ حَمَادٍ^(٧)
نِيكَا وَنَاكَا وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَا أَحَدٍ فِي غَفْلَةٍ مِنْ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الْهَادِي

فَنَشِبَ الشَّرُّ بَيْنَ حَمَادٍ وَبِشَارٍ.

دخل بينه وبين بشار رجل بصري

أخبرني عتي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويّة، عن عمر بن شبة، عن أبي أيوب الزبالي^(٨)، قال:

(١) يقال: أشاط دمه وبدمه: أذهبه، أو عمل في هلاكه، أو عرّضه للقتل.

(٢) ما بين القوسين من «ها».

(٣) في الأصول «قيل له» وما أثبتناه عن «مختار الأغاني» ص ٤١٥.

(٤) كان بشار بن برد يلقب بالمرعّث، لرعات كانت له في صغره في أذنه؛ ورعات بالكسر: جمع رعة بالفتح، وهو ما علق بالأذن من قرط ونحوه. وفي ب، س «المرعّث» وهو تصحيف.

(٥) سقطت من ب، س. وهي عن باقي الأصول.

(٦) في ب وس «مرتفعاً» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا كما في ج، ط، مط، ها. وارتفق: اتكأ على مرفقة: وهي المتكأ والمحددة، يكنى بذلك عن أنه صار منعماً مترفاً بعد أن كان ممتهناً. أمداد، جمع مدّ بالضم، وهو مكياك، ويفهم من هذا أنه كان قبل الولاية كيّالاً.

(٧) أزنّته بكذا: اتهمته به.

(٨) في ب وس «الذبالي»؛ والتصويب عن باقي الأصول.

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ورضاً بأن ينقل إلى كل واحد منهما وعنه الشعر، فدخل يوماً إلى بشار فقال له: إيه يا فلان، ما قال ابن الزانية في؟ فأنشده:

إِنْ تَاءَ بِشَارٍ عَلَيْكُمْ فَقَدْ أَمَكَنْتُ بِشَاراً مِنَ الثَّيِّبِ
[٣٢٧/١٤] / فقال بشار: بأي شيء ويحك؟ فقال:

وذاك إِذ سَمَيْتُهُ بِأَسْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ حَرّاً يَسْمِيهِ
فقال: سَخَنْتُ عَيْنَهُ^(١)، فبأي شيء كنت أعرف؟ إيه، فقال:

فصار إنساناً بذكري له مَا يَتَغَيَّرُ مِنْ بَعْدِ ذِكْرِيهِ؟
فقال: ما صنع شيئاً، إيه ويحك؟ فقال:

لَمْ أَهْجُ بِشَاراً وَلَكِنِّي هَجَوْتُ نَفْسِي بِهَجَائِيهِ
فقال: على هذا المعنى دار، وحوله حام^(٢)، إيه أيضاً، وأي شيء قال؟ فأنشده:

أَنْتَ ابْنُ بَرْدٍ مِثْلُ بُرٍّ فِي النَّذَالَةِ وَالرَّذَالَةِ
مَنْ كَانَ مِثْلَ أَبِيكَ يَا أَعْمَى أَبَوْهُ فَلَا أَبَالَه
فقال: جَوَدَ ابْنُ الزَّانِيَةِ، وتَمَامُ الأبياتِ الأَوَّلِ:

لَمْ آتِ شَيْئاً قَطُّ فِيمَا مَضَى وَلَسْتُ فِيمَا عَشْتُ أَتِيهِ
أَسْأَلِي فِي النَّاسِ أَحَدُوَّةً مَنْ خَطِئَ أَخْطَأَتْهُ فِيهِ
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ بِسَبِّي لَهُ أَعْظَمَ شَأْناً مِنْ مَوَالِيهِ

٧٦ / أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، عن خلاد الأزقظ قال: أنشد بشاراً راويته
١٣ قول عجرد فيه:

دُعِيتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لغيره فَهَبْكَ ابْنَ بُرْدٍ نَكَتَ أَمَّكَ مَنْ بُرْدُ؟

فقال بشار لراويته: ها هنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن والله ما شاء ابن الزانية.

[٣٢٨/١٤] / أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن عليل العززي قال: حدثني محمد بن يزيد المهلب قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عيينة قال: قال حماد عجرد لما أنشد قول بشار فيه:

يَا ابْنَ نَهْيَا رَأْسٌ عَلِيٌّ ثَقِيلٌ وَاحْتِمَالُ الرُّأْسَيْنِ أَمْرٌ جَلِيلٌ
فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّي مِنْ فَإِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولٌ

والله ما أبالي بهذا من قوله، وإنما يغنيني منه تجاهله بالزندقة، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهال أنه لا يعرفها، لأن هذا قولٌ تقوله العامة لا حقيقة له، وهو والله أعلم بالزندقة من ماني.

(١) سَخَنْتُ عَيْنَهُ: نَقِضُ قَرَّتْ، دَعَاءٌ عَلَيْهِ.

(٢) فِي ب، س: «وَحَوْلَهُ دَامَ». وَالتَّصْوِيبُ عَنْ بَاقِي الْأَصُولِ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار وحبيب بن نصر المهلب، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو أيوب الزبالي قال: قال بشار لراوية حماد: ما هجاني به اليوم حماد؟ فأنشده:

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي الَّذِي وَاللَّهِ بَرْدُ

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟ فقال:

إِذَا مَا نُسِبَ النَّاسُ فَلَا قَبْلَ وَلَا بَعْدُ

فقال: كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات^(١) من عُقِيل؟ فما يكون؟ فقال:

وَأَعْمَى قَلْبِي إِنْ مَا عَلَى قَائِدِهِ حَدُّ

/ فقال: كذب ابن الفاعلة، بل عليه ثمانون جِلْدَةً، هيه، فقال:

[٣٢٩/١٤]

وَأَعْمَى يَشْبَهُ الْقِرْدُ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقرد، حسبك حسبك، ثم صفق بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبّهني ولا أراه فأشبّهه.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزازي قال: حدثنا أبو غسان دماذ فذكر مثله، وقال فيه: لما قال حماد عجرد في بشار:

شِبْهُ الْوَجْهِ بِالْقِرْدِ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

بكى بشار، فقال له قائل: أنبكي من هجاء حماد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه، قال: وتماّم هذه الأبيات:

وَلَوْ يَنْكُهُ فِي صُلْدٍ	صَفَا لَانْصَدَعَ الصُّلْدُ
دَنِيٍّ لَمْ يَرْحُ يَوْمًا	إِلَى مَجْدٍ وَلَمْ يَغْدُ
وَلَمْ يَحْضُرْ مَعَ الْحُضَا	رَفِي خَيْرٍ وَلَمْ يَتْدُ
وَلَمْ يُخَشَّ لَهُ ذَمٌّ	وَلَمْ يُرَجَّ لَهُ حَمْدُ
/ جَرَى بِالتَّخَسُّسِ مَذْكَان	وَلَمْ يَجِرْ لَهُ سَعْدُ ^(٢)
هُوَ الْكَلْبُ إِذَا مَا	تَ لَمْ يَوْجَدْ لَهُ فَقْدُ ^(٣)

٧٧
١٣

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني خلاد الأزقط قال: أشاع بشار في الناس أن حماد عجرد كان يُنشد شعراً وَرَجُلٌ بِإِزَاتِهِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَقَدْ اجتمع الناس عليه، فقال حماد: علامَ اجتمعوا؟ فوالله لما أقول أحسن مما يقول.

قال: وكان بشار يقول: لما سمعت هذا من حماد مَقَّته عليه.

(١) كذا، وفيها «العصاب».

(٢) في ب، س «مندكاة» وهو تحريف.

(٣) في ج: «إذا مات كم».

[٣٣٠/١٤] هجاء بشار له

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني أبو إسحاق الطَّلحي قال: حدَّثني أبو سهيل عبد الله بن ياسين أن بشاراً قال في حماد عجرد وسهيل بن سالم، وكان سهيل من أشرف أهل البصرة، وكان من عمال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حماد وسهيل نديمين:

ليس النعيم وإن كنا نُزَنَ به إلا نعيم سهيل ثم حماد
نأكَا ونيكَا إلى أن لاح شبيهُهما في غفلة عن نبي الرحمة الهادي
فهدَيْن طوراً وفهادين آونةً ما كان قبلهما فهْدُ بفَهَاد^(١)
سبحانك الله لو شئت امتسختهُما قردَيْن فاعتلجَا في بيت قرَاد^(٢)

قال: يعني بقوله * ما كان قبلهما فهْدُ بفَهَاد * أي لم يكن الفهد فهَاداً، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، ولم يكن زيد ظريفاً، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضاً:

مألُمتُ حماداً على فسقه يلومه الجاهل والمائق^(٣)
وما همَا من أيرِه وأسيه؟ ملكه إياهما الخالق
ما بات إلا فوقه فاسق ينيكه أو تحته فاسق

مركزية تكملة برطانية

هجاؤه لبشار

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أنشدني ابن أبي سعد لحماد عجرد في بشار - قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه -:

نهاره أخبث من ليله ويومه أخبث من أمسه
وليس بالمُقْلِيع عن غيِّه حتى يُوارَى في ثرى رَمْسِه^(٤)

[٣٣١/١٤] قال: وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه:

لو طليت جلدته عنبراً لأفسدت جلدته العنبراً
أو طليت مسكاً ذكياً إذا تحوّل المسك عليه خرساً

قال ابن أبي سعد: وقد بالغ بشار في هجاء حماد، ولكن حكم الناس عليه لحماد بهذه الأبيات.

اتصاله بالربيع

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدَّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدَّثني أحمد بن

(١) الفهد: صاحب الفهود الذي يعلمها الصيد.

(٢) اعتلج: تصارعا وتقاتلا.

(٣) المائق: الأحق.

(٤) الرمس: القبر.

إسحاق قال: حدثني عثمان بن سُفيان العطار قال: اتصل حماد عجرد بالربيع^(١) يؤدّب ولده، فكتب إليه بشارَ رقة، فأوصلت إلى الربيع، فطرده لما قرأها، وفيها مكتوب:

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم
إن حمّاد عجرد إن رأى غفلة هجّـم
/ بين فخذيه خربة في غلاف من الأدم^(٢)
إن خلا البيت ساعة نجمج الميم بالقلـم

٧٨
١٣

فلما قرأها الربيع قال: صيّري حمّاد دريئة الشعراء، أخرجوا عني حمّاداً، فأخرج.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممزق أن حمّاد عجرد كان يؤدّب ولد العباس بن محمد الهاشمي، فكتب إليه بشارُ بهذه الأبيات المذكورة، فقال العباس: مالي ولبشار؟ أخرجوا عني حمّاداً، فأخرج.

[٣٣٢/١٤]

/ هجاءه لبشار

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزُّبيري قال: لما أخرج العباس بن محمد حمّاداً عن خدمته، وأنقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشاراً:

لقد صار بشار بصيراً بذنوبه ونافظه بين الأنعام ضريـر
له مقلّة عمياء وأسّت بصيرة إلى الأير من تحت الثياب تشير
على وده أن الحمير تنيـكه وأن جميع العالمين حمير

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد فعل مثل هذا بعينه حمّاد عجرد بقطرب^(٣).

شعره في قطرب

أخبرني عتي عن عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو حفص الأعمى المؤدّب، عن الزُّباليّ قال: اتخذ قطرب النحويّ مؤدّباً لبعض ولد المهديّ، وكان حماد عجرد يطمع في أن يُجعل هو مؤدّبه، فلم يتم له ذلك، لتهتكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالمُلقي على الرّصف^(٤)، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقة فكتب فيها:

فل للإمام جزاك الله صالحـة لا تجمع الدهر بين السخل والذيب^(٥)

(١) هو الربيع بن يونس وزير المنصور، وتوفي سنة ١٧٠ هـ.

(٢) الأدم: الجلد.

(٣) هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي، أخذ عن سيبويه، ولقبه سيبويه بقطرب، لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل؛ والقطرب: ذكر الغيلان أو الذئب الأمعط أو صغار الجن أو الخفيف أو طائر أو دابة صغيرة لا تستريح من الحركة وتوفي سنة ٢٠٦ هـ.

(٤) في ج، ط، مط، مب، «الرصد». والرصف: الحجارة المحمّاة بالشمس أو النار.

(٥) السخل والسخال: جمع سخله: وهو ولد الشاة عند ولادته ذكراً أو أنثى.

السَّخْلُ غِرٌّ وَهُمْ الذَّنْبُ فُرْصَتُهُ والذَّنْبُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّخْلِ مِنْ طِيبٍ^(١)

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظروا لا يكون هذا المؤدَّب لوطيًّا، ثم قال: انقوهُ عن الدار، فأخرج عنها، وجيء بمؤدَّب غيره، ووُكِّلَ به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبي، فخرج قطرب هارباً مما شهَرَ به إلى عيسى بن إدريس العجلي بن أبي دُلَفٍ فأقام معه بالكَّرَجِ إلى أن مات.

[٣٣٣/١٤] / أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ قال: لما قال حمّاد عجرد في بشار:

وَيَا أَقْبَحَ مَنْ قَرِدَ إِذَا مَا عَمِيَ الْقَرْدُ

قال بشار: لا إله إلا الله، قد والله كنت أخاف أن يأتي به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقْتُ به خوفاً من أن يُسَمَعَ فأهَجَى به، حتى وقع عليه التَّبْطِيْ ابنُ الزانية.

كان أبو حنيفة صديقاً له

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني العجليّ قال: حدثني أبو دُهْمَان قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحمّاد عجرد، فنسَكَ أبو حنيفة وطلبَ الفقه، فبلغ^(٢) فيه ما بلغ، ورفضَ حمّاداً وبَسَطَ لسانَه فيه، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفَّ عن ذكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حمّاد بهذه الأبيات:

إِنْ كَانَ نَسْكُكَ لَا يَبْنِي بغير شَتْمِي وانتقاصي

/ أَوْلَمْ تَكُنْ إِلَّا بِهِ تَرْجُو النجاة من القصاص

فَأَقْعَدْ وَقَمْ بِي كَيْفَ^(٣) شَدَّ سَتَّ مَعَ الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي

فَلَطَّ الْمَا زَكَيْتَنِي وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي

أَيَّامَ تَأْخُذْهَا وَتُعْطِي فِي أَبَارِيْقِ الرِّصَاصِ

قال: فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

كان يحيى بن زياد صديقاً له

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال: كان حمّاد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد، [وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يجتمع عليه مثلُهما، ثم إن يحيى بن زياد^(٤)] أظهر تورُّعاً / وقراءةً ونزوعاً عما كان عليه، وهجرَ حمّاداً وأشباهه، فكان إذا ذُكِرَ عنده ثَلَبَهُ وذكر تهتكه ومُجَوَّنَهُ، فبلغ ذلك حمّاداً، فكتب إليه:

هَلْ تَذْكُرُنْ دَلَجِي إِلَيَّ كَ عَلَى الْمَضْمَرَةِ الْقِلَاصِ^(٥)

(١) في ب، س «وهم الناس».

(٢) ماقطة من ب، س.

(٣) في «ها» «حيث».

(٤) تكملة عن ط، مط، ها، مب. وسقطت من ب، س، جد.

(٥) الدلج: السير من أول الليل. وفي ط، مط «المضيرة». والمضيرة: المكتزة اللحم. والقُلُوص من الإبل: الشابة أو الباقية على السير، والجمع قُلُوص وقُلُوص، وجمع الجمع قُلُوص.

أَيَّامَ تَعْطِينِي وَتَأْ^(١) خُذْ مِنْ أَبَارِيقِ الرِّصَاصِ
 إِنْ كَانَ نَسْكُكَ لَا يَتِمُّ بِغَيْرِ شَتْمِي وَأَنْتَقَاصِي
 أَوْ كُنْتَ لَسْتَ بِغَيْرِذَا كَ تَنَالُ مَنْزِلَةَ الْخُلَاصِ
 فَعَلَيْكَ فَاشْتَمُ أَمِنَا كُلَّ الْأَمَانِ مِنَ الْقِصَاصِ
 وَأَقْعِدْ وَقْمَ بِسِي مَا بَدَا لَكَ فِي الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
 فَلَطَّ الْمَا زَكَيْتَنِي وَأَنَا الْمَقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي
 أَيَّامَ أَنْتَ إِذَا ذُكِرُ تُ مُنَاضِلٌ عَنِّي مُنَاصِي^(٢)
 وَأَنَا وَأَنْتَ عَلَى ارْتِكَا بِ الْمُوبِقَاتِ مِنَ الْحِرَاصِ
 وَيَنَا مَوَاطِنُ مَا يُنَا فِي الْبِرِّ أَهْلَةُ الْعِرَاصِ^(٣)

فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد، فنسب حماداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام، فقال حماد فيه.

لَا مُؤْمِنٌ يُعْرِفُ إِيْمَانَهُ وَلَيْسَ يَحْيَى بِالْفَنَى الْكَافِرِ
 مُنَافِقٌ ظَاهِرُهُ نَاسِكٌ مُخَالِفُ الْبَاطِنِ لِلظَّاهِرِ



[٣٣٥/١٤]

/ شعره لصديق انقطع عن مجلسه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال: كان لحماد عجرد إخوانٌ ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال لبعضهم:

لَسْتُ بِغَضْبَانٍ وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مَا شَأْنُكَ يَا صَاحِ
 أَلَنْ فَقَدْتُ الرَّاحَ^(٤) جَانِبَتِي مَا كَانَ حَيْثُكَ عَلَى الرَّاحِ
 قَدْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ وَأَنْتَ الَّذِي يَعْنِيكَ إِمْسَائِي وَإِصْبَاحِي
 وَمَا أَرَى فِعْلَكَ إِلَّا وَقَدْ أَفْسَدَنِي مِنْ بَعْدِ إِصْلَاحِي
 أَنْتَ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ عَيْتَهُمْ دُونَكُهُمَا مَنِّي بِإِفْصَاحِ^(٥)

كان من ندماء الوليد بن يزيد

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني ميمون بن هارون عن أبي محمّد أن الوليد^(٦) بن يزيد أمر شراعة بن الزندبوذ أن يسمي له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة، فسمي له مطيع بن إياس وحماد عجرد^{٨٠}/_{١٣}

(١) كذا في جميع الأصول. والذي في مب «فأخذ».

(٢) ناصاه مناصرة: جاذبه فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه.

(٣) العراص: جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدار التي ليس فيها بناء.

(٤) في ب، س «الخمرة» وما أثبتناه عن باقي الأصول.

(٥) أي خذها كلمة فصيحة صريحة.

(٦) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولي الخلافة سنة ١٢٥ وقاتل سنة ١٢٦.

والمطيعي المغني ، فكتب في إشخاصهم إليه ، فأشخصوا ، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتِل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدّثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال : تزوّج حمادُ عَجْرِدَ امرأةً ، فدخلنا إليه صبيحةً بناه بها نهته ونسأله عن خبره ، فقال لنا : كنت البارحة جالساً مع أصحابي أشرب ، وأنا منتظرٌ لامراتي أن يؤتني ^(١) بها ، حتى قيل لي : قد دخلت ، فقمْتُ إليها فوالله ما لبثتها ^(٢) حتى افتضضتها ، وكتبت من وقتي إلى أصحابي :

[٣٣٦/١٤] / قد فتحت الحصن بعد امتناع
ظفرت كفي بتفريق شمل
بمُشِج فاتح للقلاع
جاءنسا تفريقه بأجتماع
فلذا شعبي وشعب حبيبي
إنما يلثام بعد أنصداع

اجتماعه بوجوه البصرة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن علي عن القاسم بن محمد الأنباري ، قال : حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الحميد ، قال : اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل ، ومعهم حماد عجرد ، وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان ، ونازل على عتبة بن سلم وقد آمن ، وحضر الغداء ، فقبل له : سهم بن عبد الحميد يصلي الضحى ، فانتظر ، وأطال سهم الصلاة ، فقال حماد :

ألا أيُّ هذا القانت المتهجّد
أما والذي نادى من الطور عبده
صلاّتك للرحمن أم لي تسجّد؟ ^(٣)
لمن غير ما برّ تقوم وتقعّد
بصنعاء تبيري من وليت وتجرّد
حريّت ويحيى لي بذلك يشهد
وبكر ، وبكر مُسلم متهجّد
سيشهد لي أيضاً بذاك محمّد
فلن قلت زدنّي في الشهود فلانه

قال : فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً ، فقال له : قبحك الله يا زنديق ، فعلت بي هذا كله لشركك في تقديم أكل وتأخيرها هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى ، فقدّمت المائدة .

[٣٣٧/١٤] / شعر لمحمد بن الفضل السكوني يعتذر إليه به

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى ، عن أبيه ، عن إسحاق الموصلي ، عن محمد بن الفضل السكوني ^(٤) قال :

(١) كذا في ط ، مط ، مب ، ها . والذي في ج ، ب ، س «باتوا» . والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في ب ، س «لثمها» . والتصويب عن باقي الأصول .

(٣) القانت : الطائع . والمتهجّد : المصلي بالليل .

(٤) في ب ، س ، ج ، ط ، مط ، مب «محمد بن الفضل السلولي» وهو تحريف ! والتصويب عن ها و «الأغاني» جـ ١٣ طبع دار الكتب المصرية .

لقيت حمادَ عجردٍ بواسطٍ وهو يمشي وأنا راكب، فقلت له: أنطلق بنا إلى المنزل، فإني الساعة فارغ لتحدث، وحبستُ عليه الدابة، فقطعني شغلٌ عَرَضَ لي لم أقدرُ على تركه، فمضيتُ وأنسيته، فلما بلغتُ المنزلَ خفتُ شره، فكتبتُ إليه:

أبا عُمَرَ اغْفِرْ هُدَيْتَ فَإِنِّي / قد أَذْنِبْتُ ذَنْباً مَخْطِئاً غَيْرَ عَامِدٍ
فَلَا تَجِدَنَّ فِيهِ عَلِيٌّ فَإِنِّي / أَقِرُّ بِإِجْرَامِي وَلَسْتُ بِعَائِدٍ^(١)
وَهَبْهُ لَنَا تَفْدِيكَ نَفْسِي فَإِنِّي / أَرَى نِعْمَةً إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِوَاجِدٍ
وَعُذْ مِنْكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ / فَإِنَّكَ ذُو فَضْلٍ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
فكتب إليَّ مع رسولي:

٨١
١٣

/ مُحَمَّدُ يَا بَنَ الْفَضْلِ يَا ذَا الْمَحَامِدِ / وَيَا بِهِجَةَ النَّبَادِي وَزَيْنَ الْمَشَاهِدِ^(٢)
حَقُّكَ مَا أَذْنِبْتَ مِنْذَ عَرَفْتَنِي / عَلَى خَطَا يَوْمًا وَلَا عَمْدَ عَامِدٍ
وَلَوْ كَانَ، مَا أَلْفَيْتَنِي مُتَسَرِّعًا / إِلَيْكَ بِهِ يَوْمًا تُسْرِعُ وَاجِدٍ
أَيُّ لَوْ كَانَ لَكَ ذَنْبٌ مَا صَادَفْتَنِي مُسَرِّعًا إِلَيْكَ بِالْمُكَافَاةِ^(٣):
وَلَوْ كَانَ ذُو فَضْلٍ يَسْمَى لِفَضْلِهِ / بِغَيْرِ أَسْمِهِ شُمِيتَ أُمُّ الْقَلَائِدِ
/ قَالَ: فَبَيْنَا رَقَعْتُهُ فِي يَدِي وَأَنَا أَقْرؤها إِذْ جَاءَنِي رَسُولُهُ بِرَقْعَةٍ فِيهَا:

[٣٣٨/١٤]

قَدْ غَفَرْنَا الذَّنْبَ يَا بَنَ الْ / فَضْلِ وَالذَّنْبُ عَظِيمٌ
وَمُسِيءٌ أَنْتَ يَا بَنَ الْ / فَضْلِ فِي ذَاكَ مُلِيمٌ^(٤)
حِينَ تَخْشَانِي عَلَى الذَّنْ / بٍ كَمَا يُخْشَى اللَّئِيمُ
لَيْسَ لِي إِنْ كَانَ مَا خَفَ / سَتْ مِنَ الْأَمْرِ حَرِيمُ
أَنْتَ وَاللَّهِ - وَلَا أَفَ / خَرُّ - لِلْغِيظِ كَطُومُ
وَلَأَصْحَابِي وَلَا / رِيءُهُ بِرُّ رَحِيمُ^(٥)
وَبِمَا يُرْضِيهِمْ عَنِّي / وَيُرْضِينِي عَلَيْهِمْ

مديحه لجلّة من أبناء ملوك فارس

أخبرني يحيى بن عليّ، عن أبيه عن إسحاق قال: خرج حمادُ عجردٍ مع بعض الأمراء إلى فارس، وبها جلّة من أبناء الملوك، فعاشر قوماً من رؤسائها، فأحمد معاشرتهم، وسرّ بمعرفتهم، فقال فيهم:

(١) وجد عليه يجد بكسر الجيم وضمها موجدة ووجداً: غضب.

(٢) في ب، س، ج «يا أبا الفضل» وهو خطأ. والصواب عن ط، مط، مب، ها. وفي ها «المساجد».

(٣) المكافاة: المجازاة.

(٤) الام: أتى ما يلام عليه.

(٥) رواية ها: «ولأصحابي - ولا من به - رب رحيم».

رَبِّ يَوْمَ بَفْسَاءٍ لَيْسَ عِنْدِي بِذَمِيمٍ^(١)
 قَدْ فَرَعْتُ الْعَيْشَ فِيهِ مَعَ نَذْمَانِ كَرِيمٍ
 مِنْ بَنِي صَيْهَوْنَ^(٢) فِي الْبَيْدِ سِتَّ الْمَعْلَى وَالصَّمِيمِ
 فِي جَنَانٍ بَيْنَ أَنْهَارٍ رِوْتَعَرِي شِ كُرومِ
 نَتَعَطَّى قَهْوَةً تُشَدُّ خِصَّ يَقْظَانِ الْهُمُومِ^(٣)
 بِنَتٍ عَشِيرٍ تَتْرَكَ الْمُكْ شِرَّ مِنْهَا كَالْأَمِيمِ^(٤)
 / فَبِهَا ذَابِبًا أَحْيِي وَيَحْيِيْنِي نَدِيمِي
 فِي إِنْهَاءِ كِنُزْرُوِي مَسْتَخِفٍّ لِلْحَلِيمِ
 شَرْبَةً تَعْدِلُ مِنْهُ شَرِبْتَنِي أَمَّ حَكِيمِ
 عِنْدَنَا دِهْقَانَةٌ حَسَانَةٌ ذَاتُ هَمِيمِ^(٥)
 جَمَعْتُ مَا شِئْتُ مِنْ حُسْ مِنْ وَمِنْ دَلِّ رَخِيمِ^(٦)
 فِي أَعْتَدَالٍ مِنْ قَوَامِ وَصَفَاءٍ مِنْ أَدِيمِ
 وَتَنَانٍ كَالْمَدَارِي وَتَنَائِيَا كَالنَّجُومِ^(٧)
 لَمْ أَنْلِ مِنْهَا سِوَى غُنْدِ زَرَّةٍ كَفِّ أَوْ شَمِيمِ^(٨)
 غَيْرَ أَنْ أَقْرُصَ مِنْهَا عُكْنَةَ الْكَشْحِ الْهَضِيمِ^(٩)
 / وَبَلَّيَ الْطَلْمَ مِنْهَا خَذَّهَا لَطْمَ رَحِيمِ
 وَبَنَفْسِي ذَاكَ يَسْأَلُ وَدُّ مِنْ خَذِّ لَطِيمِ

[٣٣٩/١٤]

٨٢
١٣

يعني الأسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى.

حريث بن أبي الصلت بعينه بالبخل وشعر له في ذلك

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه عن أبي النضر قال: كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحماد عجرد، وكان يعابته بالشعر، ويعيبه بالبخل، وفيه يقول:

(١) كذا في ب، س. وفسا (بالقصر): أنزه مدينة بفارس فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل، مده هنا للشعر. وفي ط، مط، ج، مب، ها «رب يوم لي بفسا».

(٢) كذا في ط، مط. وفي ها. «مهيود».

(٣) القهوة: الخمر. وشخص كمنع: خرج من موضع إلى غيره، وأشخصه: أخرجه.

(٤) يقال: رجل أميم ومأموم، أي يهذي من أم رأسه.

(٥) دهقانة: مؤنث دهقان بالكسر والضم: وهو التاجر وزعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم، معرب. والهميم: الدبيب.

(٦) الدل: الدلال، ورخم الكلام ككرم ونصر فهو رخم: لان وسهل.

(٧) المداري: جمع مدري بكسر الميم، وهو المشط.

(٨) الشميم: الشم.

(٩) كذا في ط، مط، مب، ها. والذي في ب، س، ج «أرقص» وهو تصحيف. والعكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

حُرَيْثُ أَبُو الْفَضْلِ ذُو خَيْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً

/ قوله في رجل حبق في مجلسه

[٣٤٠/١٤]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ تَيْنَةَ، عَنْ أَبِيْن عَائِشَةَ قَالَ: ضَرَطَ رَجُلٌ فِي مَجْلَسٍ فِيهِ حَمَادٌ عَجْرَدٌ وَمَطِيعٌ بْنُ إِبَاسٍ، فَتَجَلَّدَ^(١)، ثُمَّ ضَرَطَ أُخْرَى مُتَعَمِّدًا، ثُمَّ ثَلَّثَ، لِيُظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ تَعَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ حَمَادٌ: حَسْبُكَ يَا أَخِي فَلَوْ ضَرَطْتَ أَلْفًا لَعُلِمَ أَنَّ الْمُخْلِفَ الْأَوَّلَ مُفْلِتٌ^(٢).

شعر له في قريش حين صلى به

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِي قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ عِيسَى مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ قَالَ: كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْفُرَاتِ عَلَى كَسْكَرٍ^(٣)، وَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ، وَكَانَ قُرَيْشٌ مَوْلَى صَاحِبِ الْمَصْلَى بِوَاسِطٍ فِي ضِيَاعٍ صَالِحٍ - وَهُوَ سِنْدِي^(٤) - فَحَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ عِيسَى قَالَ: كُنَّا فِي دَارِ قُرَيْشٍ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ قُرَيْشٌ فَصَلَّى بِنَا وَحَمَادٌ عَجْرَدٌ إِلَى جَنْبِي، فَقَالَ لِي حَمَادٌ حِينَ سَلَّمَ: اِسْمَعْ مَا قُلْتُ، وَأَنْشُدْنِي:

قَدْ لَقِيتُ الْعَامَ جَهْدًا مِنْ هَنَاتٍ وَهَنَاتٍ^(٥)
مِنْ هَمٍّ تَعْتَرِينِي وَبِئْسَ لَا مَطْبِقَاتٍ^(٦)
وَجَوَى شَيْبٍ رَأْسِي وَخَنَى مِنِّي قَنَاتِي
وَعُذُوِّي وَرَوَاحِي نَحْوُ سَلَمٍ بِنِ الْفُرَاتِ
وَأَتَمَّامِي بِالْقَمَارِي قُرَيْشٍ فِي صَلَاتِي^(٧)

/ خبره مع غلام أمرد

[٣٤١/١٤]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مَصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو يَعْقُوبَ الْحُرَيْمِيُّ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلَسٍ فِيهِ حَمَادٌ عَجْرَدٌ، وَمَعَنَا غُلَامٌ أَمْرَدٌ، فَوَضَعَ حَمَادٌ عَيْنَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ اخْتَلَفْتُ مَوَاضِعُ نَوْمِنَا، فَقَمْتُ فَمِئْتُ فِي مَوْضِعِ الْغُلَامِ، قَالَ: وَدَبَّ حَمَادٌ إِلَيَّ يَطْشُنِي الْغُلَامَ، فَلَمَّا أَحْسَسْتُ بِهِ أَخَذْتُ يَدَهُ فَوَضَعْتُهَا عَلَى عَيْنِي الْعَوْرَاءِ - لِأَعْلَمَهُ أَنِّي أَبُو يَعْقُوبَ - قَالَ: فَتَرَى يَدَهُ وَمَضَى فِي شَأْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «وَلَقَدْ بَنَاهُ بِذَنْجٍ عَظِيمٍ».

شعره في جوهر

(١) في ب، س «فتخلد» وهو تصحيف؛ والتصويب عن باقي الأصول.

(٢) المخلف: الكرية الرائحة.

(٣) كسكر: كورة واسعة كانت قصبها واسط التي بين الكوفة والبصرة.

(٤) نسبة إلى السند، وهي من بلاد الهند. وفي ب، س «وهو سيدي» وهو تحريف. والتصويب عن ج، ط، مط، م، هـ.

(٥) هنات وهنات، أي شدائد وأمور عظام.

(٦) مطبقات، أي مغطاة.

(٧) القماري: نسبة إلى قمار، وهو موضع ببلاد الهند ينسب إليه العود.

أخبرني عمي قال: حدثني مصعب قال: كان حماد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون نافع بن عون بن المقعد، وكان حماد يحبها ويحسن بها، وفيها يقول:

إني لأهوى جوهرًا ويحب قلبي قلبها
وأحب من حبي لها من دها وأحبها
وأحب جارية لها تخفي وتكتم ذنبها
/ وأحب جيرانا لها وأبن الخبيثة ربها

٨٣
١٣

رثاؤه للأسود بن خلف

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكُراني قال: حدثني أبيص بن عمرو قال: كان حماد عجرد يعاشر الأسود بن خلف ولا يكادان يفترقان، فمات الأسود قبله، فقال يرثيه - وفي هذا الشعر غناء -:

أصوت

[٣٤٢/١٤]

قلت لحنانة دلوح تسخ من وإبل سفوح^(١)
جادت علينا لهارباب بواكب هاطل نضوح^(٢)
أُمي الضريح الذي أسمي ثم استهلي على الضريح^(٣)
على صدى أسود الموارى في اللحد والترب والصفوح^(٤)
فأسقيه ريًا وأوطنيه ثم اغتدي نحوه ورؤحي^(٥)
اغدي بسقيائي^(٦) فأصحيه ثم اغقيه مع الصبح
ليس من العدل أن تشخي على أمرى ليس بالشحيح

الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه ولم يجثسه.

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

أخبرني عمي قال: أنشدنا الكُراني قال: أنشد مصعب لحماد عجرد يهجو أبا عون مولى جوهر، وكان

- (١) سحابة حنانة: لها حنين كحنين الإبل، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين. وسحابة دلوح: كثيرة الماء. سفوح: مبالغة في سافح أي منصعب، من سفح.
- (٢) الرباب: جمع ربابة، وهي السحابة التي قد ركب بعضها بعضاً. بواكب، أي بمطر واكب أي سائل. نضوح، أي ينضح بالماء، وفي ط، مط «جاد».
- (٣) أُمي: أقصدي. استهلي، أي ارفعي الصوت بالبكاء.
- (٤) الصدى: جثة الميت. الصفوح: واحد الصفائح، وهي الحجارة العريضة.
- (٥) أوطنه: اتخذه وطناً.
- (٦) كذا في ط، مط. وفي باقي الأصول: «سقياً فأصحيه»: وصبحه كمنع: سقاء الصبوح وهو شرب الغداة، وغبقه كنصر وضرب: سقاء القبرق وهو شرب العشي. يريد اتصال مظلها عليه ودوامه صباحاً ومساءً.

يُقِينُ^(١) عليها، وكان حماد عجرد يميل إليها، فإذا جاءهم / ثقل، ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها، [٣٤٣/١٤] فيضّر ذلك بأبي عون، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته، فحجبها عنه، فقال فيه:

إِنَّ أَبَا عَوْنٍ وَلَنْ يَرَعَوِي مَا رَقَصَتْ رَمَضَاؤُهَا جُنْدُبَا^(٢)
لَيْسَ يَرَى كَنْباً إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ كَسْبِ شُفْرِي جَوْهَرِ طَيِّبَا^(٣)
فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَى مَا حَوَى مَثْرُهَا الْأَفْعَى أَوْ الْعَقْرَبَا^(٤)
يُنْسَبُ بِالْكَشْخِ وَلَا يَشْتَهِي بَغِيرِ ذَلِكَ الْإِسْمِ أَنْ يُنْسَبَا^(٥)

وقال فيه أيضاً:

إِنْ تَكُنْ أَغْلَقْتَ دُونِي بَاباً فَلَقَدْ فَتَحْتَ لِلْكَشْخِ بَابَا

وقال فيه أيضاً:

قَدْ تَخَرَّطَمْتَ عَلَيْنَا لَا تَنَا لَمْ نَكُنْ نَأْتِيكَ نَبْغِي الصَّوَابَا^(٦)
إِنَّمَا تُكْرِمُ مَنْ كَانَ مِنَّا لِسَانِ الْحَقِّو مِنْهَا قِرَابَا^(٧)

وقال فيه أيضاً:

يَا نَافِعُ أَبْنِ الْفَاجِرَةَ يَا سَيِّدَ الْمُؤَاجِرَةِ^(٨)
/ يَا حِلْفَ كُلِّ دَاعِرٍ وَزَوْجَ كُلِّ عَاهِرَةٍ
مَا أَمَةٌ تَمْلِكُهَا أَوْ حُرَّةٌ بَطَاهِرُهُ
تَجَارَةٌ أَحَدَتْهَا فِي الْكَشْخِ غَيْرُ بَائِرِهِ
لَوْ دَخَلَتْ عَفِيفَةٌ بَيْتَكَ صَارَتْ فَاجِرَةَ
حَتَّى مَتَى تَرْتَعُ فِي الدِّ حُسْرَانِ يَا بْنَ الْخَاسِرَةِ
تَجْمَعُ فِي بَيْتِكَ بِيَدِ مِنَ الْعِرْسِ وَالْبَرَايِرَةِ^(٩)

(١) كذا في ط، مط، مب. والذي في باقي الأصول «يغير».

(٢) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة. الجندب بفتح الدال وضمها: ضرب من الجراد، والجندب إذا رمض في شدة الحر لا يقر على الأرض، بل يطير فيسمع لرجليه صرير، والمعنى: ولن يرعوي ما دامت الرمضاء ترقص الجندب.

(٣) الشفر: حرف الفرج.

(٤) المثزر: الإزار.

(٥) ينسب بالكشخ، أي يسمى بالكشخان، وسيأتي في شعره بعد:

فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي النَّاسِ إِذَا سَمِيتَ كَشْخَانَا

والكشخان: الدبوث.

(٦) تخرطم: يريد اخرنطم.

(٧) الحق بالفتح ويكسر: الخصر، ومعقد الإزار من الجنب. لسان الحق، أي لحقوها الشبيه باللسان في الرقة والضمور. وفي ج، ب، س «الحقوا» وهو تحريف، والتصويب عن ط، مط، مب، ها.

(٨) أجر المملوك إيجاراً ومؤاجرة: أكراه.

(٩) العرس: امرأة الرجل.

٨٤ / وقال يهجو:

أَنْتَ إِنْسَانٌ تُسَمِّي دَارُهُ دَارَ السَّوَانِي
قَدْ جَرَى ذَلِكَ بِالْكَرَى خَ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ^(١)
لَكَ فِي دَارِ جَرَّيْزٍ نِي فِي دَارِ حِرَانٍ^(٢)

وقال فيه:

تَفَرَّحْ إِنْ نِكَتَ، وَإِنْ لَمْ تُنْكُ بَتْ حَزِينِ الْقَلْبِ مُسْتَعِيرًا^(٣)
أَسْكُرَكَ الْقَوْمُ فَسَاهَلَتْهُمْ وَكُنْتَ سَهْلًا قَبْلَ أَنْ تُسْكُرَا^(٤)

وقال فيه:

قُلْ لِلشَّقِيِّ الْجَدُّ غَيْرُ الْأَسْعَدِ أَتَحِبُّ أَنَّكَ فَقْهَةُ ابْنِ الْمُفْعَدِ؟^(٥)
لَوْ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا يَسْكُنُهَا بِهِ يَوْمًا لَسَكُنَهَا بِرُبِّ الْمَسْجِدِ

وقال فيه:

أَبَا عَوْنٍ لَقَدْ صَفَّ رَزُوزَاؤُكَ أَذُنَيْكَ
وَعَيْنَاكَ تَرَى ذَاكَ فَأَعْمَى اللَّهُ عَيْنَيْكَ

[٣٤٥/١٤] هجا بشاراً بيت من الشعر

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عمر بن شبة قال: لما قال حماد عجرد في بشار:

نُسِبْتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لَغَيْرِهِ وَهَبَكَ لِبُرْدٍ نَكْتِ أَمَّكَ مَن بُرْدُ؟

قال بشار: تهياً له علي في هذا البيت خمسة معان من الهجاء، قوله «نُسِبْتَ إِلَى بُرْدٍ» معنى؛ ثم قوله: «وأنت لغيره» معنى آخر، ثم قوله: «فهبك لبرد» معنى ثالث، وقوله: «نكت أمك» شتم مفرد، وأستخفاف مجدد، وهو معنى رابع، ثم ختمها بقوله: «مَن بُرْدُ؟» ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثير المعاني، ونحا هذا النحو، فما تهياً له أكثر من ثلاثة معان في بيت، وهو قوله:

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ^(٦)

(١) الكرخ: محلة ببغداد.

(٢) في ج، ط، مط، مب «خوان» وفي ب، س «حوان» وهو تحريف. والتصويب عن «ها».

(٣) استعير: بكى.

(٤) ساهله: يأسره.

(٥) الفقهة: حلقة الدبر.

(٦) قبل هذا البيت:

أَعْدَدْتُ لِلشَّعْرَاءِ سَمَا نَاقِعَا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ

والميسم: المكواة، يريد به أهاجيه التي يكويه بها. وضفاً ضغواً: استخذي، وضفاً: صاح وضج، وضفاً السنور والكلب: صوت وصاح، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضرب فاستغاث. وفي جـ «وضعا» وفي «مختار الأغاني» «وضعا»، وفي ب، س «وضع البعيث». والتصويب عن ط، مط، مب، ها.

فلم يُدرك أكثر من هذا.

هجاؤه له أيضاً

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: ما زال بشارٌ يهجو حماداً ولا يَرفُثُ^(١) في هجائه إياه حتى قال حماد:

مَنْ كَانَ مِثْلَ أَبِيكَ يَا أَعْمَى أَبَوْهُ فَلَا أَبْسَالَهُ
أَنْتَ أَبْنُ بُرْدٍ مِثْلُ بُرْ دَفِي النَّذَالَةِ وَالرَّذَالَةِ
/ زَحَرْتُكَ مِنْ حُجْرِ أَسْتِهَا فِي الْحِشِّ خَارِئَةً غَزَالَةً^(٢)
مَنْ حَيْثُ يَخْرُجُ جَعْفَرُ مُدْ تِنَةٌ مَدْنَسَةٌ مُذَالَهُ^(٣)
أَعْمَى كَسَتْ عَيْنُهُ مِنْ وَذَحَ أَسْتِهَا وَكَسَبَتْ قَذَالَهُ^(٤)
خِزِرَاءَ بَطْرَاءُ مِنْ تِنَةُ الْبُدَاهَةِ وَالْعُلَالَةِ^(٥)
رَمَحَاءَ خَضِرَاءُ الْمَغْنَا بِنِ رِيحُهَا رِيحُ الْإِهَالَةِ^(٦)
عَذْرَاءُ حُبْلَى يَا لَقَوُ مَنِي لِلْمِجَانَةِ وَالضَّلَالَةِ^(٧)
مَرَقَتْ فَصَارَتْ قَحْبَةً بِجَعَالَةٍ وَبِلَا جَعَالِهِ^(٨)
/ وَلَقَدْ أَقْلَشْتُكَ يَا أَبْنَ بُرْدٍ دَفَا جَحْرَاتٍ فَلَا إِقَالَهُ

[٣٤٦/١٤]

٨٥
١٣

فلما بلغت هذه الأبيات بشاراً أطرق طويلاً، ثم قال: جزى الله ابن نهيأ خيراً، فقليل له: علام تجزيه الخير؟ أعلَى ما تسمع؟ فقال: نعم، والله لقد كنت أرد / على شيطاني أشياء من هجائه إبقاءً على المودة، ولقد أطلق من لساني ما [٣٤٧/١٤] كان مقيّداً عنه، وأهدفتني عورةً ممكنةً منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أم حماد في هجائه إياه، ويذكر أباه أقبح ذكر، حتى ماتت أم حماد، فقال فيها يخاطب جارا لحماد:

أبا حامدٍ إِنْ كُنْتَ تَزْنِي فَأَسْعِدِ وَبِكَ حِرّاً وَلَسْتُ بِهِ أُمَّ عَجَرَدٍ^(٩)

(١) رَفَثَ فِي مَنْطِقِهِ كَطَلَبٍ وَضَرْبٍ وَأَرْفَثَ: أَفْحَشَ فِيهِ أَوْ صَرَحَ بِمَا يَكْنِي عَنْهُ.

(٢) يُقَالُ: زَحَرْتُ بِهِ أُمَّهُ وَتَزَحَرْتُ عَنْهُ: وَلَدَتْهُ، وَالْحِشُّ: الْمَتْرُضُ، سُمِيَ بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَذْهَبُونَ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ إِلَى الْبَسَاتِينِ.

(٣) الْجَعْرُ: مَا يَمِيسُ مِنَ الْعُدَّةِ فِي الدَّبْرِ. وَفِي ب، س «جعد» وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ ط، مَط، مَب، هَا. وَالْمَذَالَةُ: الْأَمَةُ.

(٤) الْوَذَحُ: مَا تَعْلُقُ بِأَصْوَابِ الْغَنَمِ مِنَ الْبَعْرِ وَالْبُولِ، وَفِي ج «ودج» وَفِي ب، س وَ «مختار الأغاني» «ودح» وَهُوَ تَصْغِيفٌ. وَالتَّصْوِيبُ عَنْ ط، مَط، هَا، مَب. وَالْقَذَالُ: جَمَاعٌ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ.

(٥) الْبُدَاهَةُ وَالْعُلَالَةُ: يُقَالُ لِأَوَّلِ جَرِي الْفَرَسِ: بُدَاهَتُهُ، وَلِلَّذِي يَكُونُ بَعْدَهُ: عَلَالَتُهُ، قَالَ الْأَعْمَشُ:

إِلَّا بِبُدَاهَةٍ أَوْ عُلَالَةٍ لَسْتُ سَابِحَ نَهْدِ الْجِزَارِ
وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا مَتْنَةٌ أَوَّلُ مَا تَلْقَاهَا وَبَعْدَ لِقَائِهَا.

(٦) رَسَحَاءُ: قَلِيلَةُ لَحْمِ الْعِجْزِ وَالْفَخْذَيْنِ وَالْقَبِيحَةِ. وَالْمَغَابِنُ: جَمْعُ مَغِينٍ كَمَنْزِلٍ وَهُوَ الرِّفْعُ بِالضَّمِّ: أَيْ الْإِطْوَ وَمَا حَوْلَ فَرْجِ الْمَرْأَةِ.

وَيَعْنِي بِخَضِرَاءِ الْمَغَابِنِ: أَنَّهَا طَوِيلَةُ الْعَانَةِ. وَالْإِهَالَةُ: الشَّحْمُ وَالزَّيْتُ.

(٧) فِي ب، س «للمخانة»؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ بَاقِي الْأَصُولِ.

(٨) مَرَقَتْ، أَيْ خَرَجَتْ مِنْ عَقَافِهَا. قَحْبَةٌ: فَاجِرَةٌ. الْجَعَالَةُ مِثْلَةُ: الْجَعْلُ وَهُوَ الْأَجْرُ.

(٩) أَيْ فَاسْعِدْنِي وَأَعْنِي بِالْبُكَاءِ. وَفِي س «وابك» وَهُوَ تَحْرِيفٌ. وَالتَّصْوِيبُ عَنْ بَاقِي الْأَصُولِ.

حِراً كَانَ لِلْعُزَابِ سَهْلاً وَلَمْ يَكُنْ
أُصِيبَ زُنَاةُ الْقَوْمِ لَمَّا تَوَجَّهْتُ
أَيُّهَا عَلَى ذِي الزَّوْجَةِ الْمَتَوَدَّدِ
بِهِ أُمُّ حَمَادٍ إِلَى الْمَضْجَعِ الرَّدِّي^(١)
لَقَدْ كَانَ لِلْأَدْنَى وَلِلْجَارِ وَالْعِدَا
وَلِلْقَاعِدِ الْمَعْتَرِّ وَالْمَتَزَيِّدِ^(٢)

راوية بشار ينشده شعراً لحمام

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ يَحْيَى بْنُ الْجَوْنِ الْعَبْدِيُّ رَاوِيَةً بِشَارَ:
[أَنْشَدْتُ بِشَاراً]^(٣) يَوْمَا قَوْلَ حَمَادٍ:

أَلَا قُلْ لِعَبْدِ اللَّهِ إِنَّكَ وَاحِدٌ
قَطَعْتَ إِخَائِي ظَالِماً وَهَجَرْتَنِي
أَدِيمُ لَأَهْلِ الْوُدِّ وَذِي، وَإِنِّي
وَلَوْ أَنَّ بَعْضِي رَابِنِي لَقَطَعْتَهُ
فَلَا تَحْسِبَنَّ مَنَحِي لَكَ الْوَدَّ خَالِصاً
وَدُونَكَ حَظِّي مِنْكَ لَسْتُ أَرِيدُهُ
وَمِثْلُكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَثِيرٌ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ فِي الْإِخَاءِ يَجُورُ
لَمَنْ رَامَ هَجْرِي ظَالِماً لَهْجُورِ
وَإِنِّي بِقَطْعِ الرَّائِيَيْنِ جَدِيرٌ
لِعِزٍّ وَلَا أَنِّي إِلَيْكَ فَقِيرٌ
طَوَالَ اللَّيَالِي مَا أَقَامَ فَيِّرٌ^(٤)

[٣٤٨/١٤] فَقَالَ بِشَارُ: مَا قَالَ حَمَادٌ شِعْراً قَطُّ هُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ هَذَا، قُلْتُ: كَيْفَ ذَاكَ وَلَمْ يَهْجُكْ فِيهِ؟ وَقَدْ هَجَاكَ فِي شِعْرِ
كَثِيرٍ فَلَمْ تَجْزَعْ. قَالَ: لَأَنَّ هَذَا شِعْرٌ جَيِّدٌ وَمِثْلُهُ يُرْوَى، وَأَنَا أَنْفَسُ^(٥) عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ شِعْراً جَيِّداً.

إعجاب محمد بن النطاح بشعره

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ
قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ النَّطَّاحِ قَالَ: كُنْتُ شَدِيدَ الْحُبِّ لَشِعْرِ حَمَادٍ عَجْرَدَ، فَأَنْشَدْتُ يَوْمًا أَخِي بَكْرَ بْنَ النَّطَّاحِ قَوْلَهُ
فِي بِشَارٍ:

أَسَأْتُ فِي رَدِّي عَلَى ابْنِ اسْتِهَا
فَصَارَ إِنْسَاناً بِذِكْرِي لَهُ
إِسَاءَةٌ لَمْ تُبْقِ إِحْسَاناً^(٦)
وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ إِنْسَاناً
قَرَعْتُ مِنِّْي نَدماً سَادِماً
لَوْ كَانَ يَغْنِي نَدْمِي الْآنَا^(٧)

(١) فِي الْأَصُولِ: «إِلَى مَضْجَعٍ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ «مَخْتَارِ الْأَغَانِي».

(٢) فِي ب، س، هَا «وَلِلْقَاوِدِ الْمَعْتَلِّ وَالْمُتَرَدِّدِ». وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ ط، مَط، مَب.

(٣) هَذِهِ التَّكْمِلَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ ب، س، جَد. وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا عَنْ ط، مَط، مَب، هَا.

(٤) ثُبِيرٌ: جَبَلٌ بِظَاهِرِ مَكَّةَ.

(٥) نَفْسٌ عَلَيْهِ الشَّيْءُ كَفَرَحِ نَفَاسَةٍ: لَمْ يَرَهُ أَهْلاً لَهُ.

(٦) فِي ب، س «أَسَأْتُ فِي رَدِّي لِمَنْ أَسَانَا» وَالتَّصْوِيبُ عَنْ جَد، ط، مَط، مَب، هَا. وَمَعْنَى «عَلَى ابْنِ اسْتِهَا» عَلَى ابْنِ الْأُمَةِ، وَكَانَتْ

الْعَرَبُ تَسْمِي بَنِي الْأُمَةِ: «بَنِي اسْتِهَا» وَيُقَالُ لِلَّذِي وَلَدَتْهُ أُمُهُ: «يَابْنَ اسْتِهَا» يَعْنُونَ اسْتِ أُمَةً وَلَدَتْهُ، أَيْ أَنَّهُ وَلَدَ مِنْ اسْتِهَا، قَالَ الْأَعَشَى:

أَسْفَهَهَا أَوْعَدْتُ يَابْنَ اسْتِهَا لَسْتُ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْقَادِرِ

انْظُرِ «لِسَانَ الْعَرَبِ» مَادَّةُ سَتَه.

(٧) السِّدْمُ مُحَرَّكَةٌ: الْهَمُّ أَوْ مَعَ نَدَمٍ أَوْ غَيْظٍ مَعَ حُزْنٍ، سِدْمٌ كَفَرَحٍ فَهُوَ دَامٌ وَسِدْمَانٌ.

يا ضيعة الشعر ويا سوءنا
لبي ولا زماني أزمانا
من بعد شتمي القرد لا والذي
أنزل تواراة وقرآنا^(١)
ما أحد من بعد شتمي له
أنذل مني، كان من كانا

/ قال: فقال لي: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لحماد عجرد في بشار، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر:

ما يضّر البحر أمسى زاخراً
أن رمى فيه غلام بحجر

/ ثم قال: يا أخي، إنس هذا الشعر فنسيانه أزين بك، والخرس^(٢) كان أستر على قائله.

٨٦
١٣

هجاء بشار أكثر مما هجاء هو

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني هرون بن يحيى قال: حدثني علي بن مهدي قال: أجمع العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار شيء جيد إلا أربعين بيتاً معدودة، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد، قال: وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه، وكانا يجتمعان عليها، فسقط حماد عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه، وبقي بشار على حاله لم يسقط، وعُرف مذهبه في الزندقة فقتل به.

مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي^(٣) الفضل عن إسحاق الموصلي أن مجاشع بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حماد عجرد وهو صبي حيثل ليرتفع بهجائه حماداً، فترك حماداً وشبب بأمه، فقال:

راعثك ألم مجاشع
بالصد بعد وصالها^(٤)
وأستبدلت بك والبلا
عليك في استبدالها
/ جئته من بربر
مشهورة بجملها
فحرائها أشهى لنا
ولها من استحلالها^(٥)

[٣٥٠/١٤]

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حماد بصلة، وسأله الصفح عن أخيه، ونال أخاه بكل مكروه، وقال له: ثكلتك أمك، أنتعرض لحماد وهو يناق^(٦) بشاراً ويقاومه، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر، ولئن تعرضت له ليهتكك وسائر أهلك، وليفضحننا فضيحة لا نغسلها أبداً عنا.

شعره في جارية

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكُراني قال: حدثني أبو علي بن عمار قال: كان حماد عجرد عند

(١) كذا في ب، س، جـ. والذي في باقي الأصول «وفرقانا».

(٢) كذا في جـ، ط، مط، مـب، ها، وهو الصواب. والذي في ب، س «والحرمن»؛ وهو تصحيف.

(٣) ساقطة من ب، س، جـ. وقد أثبتناها عن باقي الأصول.

(٤) راعتك: أفرعتك بالصد: وفي جـ، ب، س «والصدق»؛ وهو تحريف، والتصويب عن ط، مط، مـب، ها.

(٥) في جـ «أشهى لنا من استحلالها» وفيه سقط من الناسخ.

(٦) المناقفة والنفاق: المضاربة بالسيوف على الرؤوس.

أبي عمرو بن العلاء، وكانت لأبي عمرو جارية يقال لها مَنِيعة، وكانت رسحاء^(١) عظيمة البطن، وكانت تَسَخَرُ^(٢) بحمّاد، فقال حمّاد لأبي عمرو: أَغْنِ عَنِّي^(٣) جاريك فإنّها حَمَقَاء، وقد أَسْتَغْلَقْتُ^(٤) لي، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد:

لو تَأْتَى لكَ التَّحَوُّلُ حَتَّى تَجْعَلِي خَلْفَكَ اللَّطِيفَ أَمَامَا
وَيَكُونُ الْقُدَامُ ذُو الْخِلْقَةِ الْجَزْ لَهْ خَلْقاً مُؤْتِلاً مُسْتَكَامَا^(٥)
لَإِذَا كُنْتَ يَا مَنِيعةُ خَيْرَ النَّاسِ خَلْفاً وَخَيْرَهُمُ قُدَامَا

[٣٥١/١٤] شعره في محمد بن طلحة

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي الْكَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ: نَزَلَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ بِالطَّعَامِ، فَاشْتَدَّ جُوعُهُ، فَقَالَ فِيهِ حَمَّادُ:

زُرْتُ أَمْرَأَةً فِي بَيْتِهِ مَرَّةً لَهُ حَيَاءٌ وَلَهُ خَيْرٌ^(٦)
يَكْرَهُ أَنْ يُتَخِمَ أَضْيَافُهُ إِنَّ أَذَى التُّخْمَةِ مُحْذُورُ
وَيَشْتَهِي أَنْ يُوْجَرُوا عِنْدَهُ بِالصَّوْمِ وَالصَّالِحِ مَاجُورُ

قال: فَلَمَّا سَمِعَهَا مُحَمَّدٌ قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَيُّ شَيْءٍ حَمَلَكَ عَلَى هِجَايِي، وَإِنَّمَا أَنْتَ تَنْتَظِرُ أَنْ يُفْرَغَ لَكَ مِنَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: الْجُوعُ وَحَيَاتِكَ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَإِنْ زِدْتَنِي فِي الْإِبْطَاءِ زِدْتُ فِي الْقَوْلِ، فَمَضَى مُبَادِرًا حَتَّى جَاءَ بِالْمَائِدَةِ.

رَدَّهُ عَلَى حَفْصِ بْنِ أَبِي وَزَةَ حِينَ طَعَنَ عَلَى مَرْقَشٍ

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى وَعِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ وَوَكَيْعُ بْنُ أَبِي / الْأَزْهَرُ قَالُوا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ حَفْصُ بْنُ أَبِي وَزَةَ صَدِيقًا لِحَمَّادِ عَجْرَدٍ، وَكَانَ حَفْصٌ مَرْمِيًّا بِالزَّنْدَقَةِ، وَكَانَ أَعْمَشُ أَفْطَسَ أَغْضَفَ^(٧) مَقْبَحَ الْوَجْهِ، فَاجْتَمَعُوا يَوْمًا عَلَى شَرَابٍ، وَجَعَلُوا يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَنَاشِدُونَ، فَأَخَذَ حَفْصُ بْنُ أَبِي وَزَةَ يَطْعَنُ عَلَى مَرْقَشٍ وَيَعِيبُ شَعْرَهُ وَيَلْحَنُهُ، فَقَالَ لَهُ حَمَّادُ:

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنِكَ يَا حَفْصُ شَاغِلٌ وَأَنْفٌ كَثِيلٌ الْعَوْدِ عَمَّا تَتَّبَعُ^(٨)
تَتَّبَعُ لَحْنًا فِي كَلَامِ مَرْقَشٍ وَوَجْهٌ مَبْنِيٌّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعُ

(١) رسحاء: وصف من الرشح بالتحريك، وهو قلة لحم العجز والفخذين.

(٢) كذا في ب، س. والذي في ج، ط، مط، م، هـ: «تَعَجَّرَ حَمَادُ».

(٣) أغناها عني: أصرفها وكفها، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٌ شَأْنٌ يَغْنِيهِ﴾ أي يكفه.

(٤) من قولهم: استغلقت علي بيعته: إذا لم يكن لي خيار في ردها.

(٥) في ب، س،

ويكون القدام في الخلف من

والتصويب عن باقي الأصول. والمؤثّل: المجتمع. والمستكّام: اسم مفعول من استكّام الرجل المرأة: إذا جامعها.

(٦) الخير: الكرم والشرف والأصل.

(٧) الأغضف: المتدلي الأذنين كالكلب على التشبيه.

(٨) الثيل: بالكسر والفتح: القصيب. والعود: الجمل المسن.

فَأَذْنَاكَ إِقْوَاءً وَأَنْفُكَ مُكْفَأً وَعَيْنَاكَ إِيْطَاءً فَأَنْتَ الْمَرْقَعُ^(١)

[٣٥٢/١٤]

/ شعره في جبة لبعض الكتاب

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أبو دُعامة عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حماد عجرد على بعض الكتاب جبة خَزَ دُكْناء فكتب إليه:

إِنِّي عَاشِقٌ لِحَبِيْبِكَ الدَّكْ نَاءَ عَشَقًا قَدْ هَاجَ لِي أَطْرَابِي
فَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا أَتَنَسِّي فِي سَرَّاحٍ مَقْرُونَةٍ بِالْجَوَابِ
وَلَكَ اللَّهُ وَالْأَمَانَةُ أَنْ أَجْ عَلَهَا أَشْهُرًا أَمِيرَ ثِيَابِي

فوجه إليه بها. وقال للرسول: قل له وأني شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك؟ وأني شيء علي من الضرر في غير ذلك من فعلك، لو جعلت مكان هذا مدحاً لكان أحسن، ولكنك ردّلت لنا شعرك فاحتملناك.

مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال شعراً في ذلك

أخبرني أحمد بن العباس العسكري والحسن بن علي الخفاف، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن علي بن منصور قال: مرض حماد عجرد فلم يعده مطيع بن إياس، فكتب إليه:

كَفَاكَ عِيَادَتِي مَنْ كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ فِي صَلَةِ الْمَرِيضِ
فَإِنْ تُحْدِثْ لَكَ الْإِيَامَ سُقْمًا يَحُولُ جَرِيضُهُ دُونَ الْقَرِيضِ^(٢)
يَكُنْ طُولُ التَّأْوُهُ مِنْكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الطَّنِينِ مِنَ الْبَعُوضِ

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: زم أبو دُعامة أن التَّيْحَانَ^(٣) بن أبي التَّيْحَانَ قال: كنت عند حماد عجرد فأتاه والبة بن الحباب^(٤)، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئاً، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى علي:

[٣٥٣/١٤]

/ عَثْمَانُ مَا كَانَتْ عِدَا تُكُّ بِالْعِدَاتِ الْكَاذِبَةُ
فَعَلَامٌ يَإِذَا الْمَكْرُمَا تِ وَذَا الْغِيُوثِ الصَّائِبَةُ^(٥)
أَخْرَزَتْ وَهَيَّيْ سِيرَةً فِي الرُّزْءِ^(٦) حَاجَةً وَالْبَهْ؟
فَأَبُو أَسَامَةَ حَقُّهُ أَحَدُ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ

(١) الإقواء، هو اختلاف حركة الروي كأن يكون في آخر البيت كلمة «المحمود» مرفوعاً وفي آخر البيت الثاني «المعدود» مجروراً. والإكفاء: هو أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها ميماً وبعضها نوناً وبعضها دالاً وبعضها طاءً وبعضها حاءً ونحو ذلك. والإيطاء، هو إعادة كلمة الروي لفظاً ومعنى، وهو عيب.

(٢) يقال: جرض بريقه، أي ابتلع ريقه على هم وحزن بجهد ومشقة. والقريض: الشعر.

(٣) يقال: رجل تيحان يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد.

(٤) هو أستاذ أبي نواس، من شعراء الكوفة.

(٥) صاب المطر صوباً: انصب.

(٦) في ب، س: «في الرد».

فَأَسْتَحِي مِنْ تَسْرُدَادِهِ فِي حَاجَةٍ مُتَقَارِبِهِ
 لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ^(١) ، وَلَوْ وَاللَّهِ كَانَتْ كَازِبِهِ^(١)
 فَقَضَيْتَهَا أَحْمَسْتُ غِبِّ قَضَائِهَا فِي الْعَاقِبَةِ
 إِنِّي وَمَا رَأَيْتُ بَعَا دِمِ عَاتِبٍ أَوْ عَاتِبِهِ^(٢)
 / لَأَرَى لِمِثْلِكَ كَلَّمَا نَابَتْ عَلَيْهِ نَائِبِهِ
 أَلَا يَسْرُدُ يَدَ أَمْرِي بُسْطَتْ إِلَيْهِ خَائِبِهِ

٨٨
١٣

قال: فلقيت والبة بعد ذلك فقلت له: ما صنعت؟ فقال: قَضَى حاجتي وزاد.

خبره مع المفضل بن بلال

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه عن الزبالي قال: بلغ حمّاد عَجْرِدُ أَنَّ المفضل بن بلال أعانَ بشاراً عليه وقَدَّمه وقرَّظه، فقال فيه.

عَجِباً لِلْمُفَضَّلِ بْنِ بِلَالٍ مَا لَهُ يَا أَبَا الزُّبَيْرِ وَمَالِي
 عَرَبِيٌّ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِيرَ يَهُ مَا بَالُهُ وَيَا أَلِ المَوَالِي

قال: وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزبير، وكان قُبَيْسٌ ويونسُ بن أبي فَرَوَةَ كاتبُ عيسى بن موسى صديقين له، وكانوا جميعاً زنادقة، وفي يونس يقول حمّاد عَجْرِدُ وقد قَدِمَ من غيبة كان غابها:

/ كَيْفَ بَعْدِي كُنْتَ يَا يُونُسَ نُسُ لَزَلْتُ بِخَيْرِ
 وَبَغِيرِ الخَيْرِ لَازَا لَ قُبَيْسُ بْنُ الزُّبَيْرِ
 أَنْتَ مَطْبُوعٌ عَلَى مَا شُئْتَ مِنْ خَيْرٍ وَمَيْرِ^(٣)
 وَهُوَ إِنْسَانٌ شَبِيهُ بِكُسَيْرٍ وَعُيُورِ^(٤)
 رَغْمُهُ أَهْوَوْنَ عَنْدَ النَّاسِ مِنْ ضَرْطَةِ عَيْرِ^(٥)

[٣٥٤/١٤]

خبره مع سعاد الجارية

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ووَكَيْعٌ قالَا: حَدَّثَنَا الفضل بن محمد البزدي قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ المَوْصِلِيُّ عن السَّكُونِيِّ قال: ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ أَنَّ حَمَادَ عَجْرِدَ حَضَرَ جَارِيَةً مَغْنِيَةً يُقَالُ لَهَا سَعَادُ - وَكَانَ مَوْلَاهَا ظَرِيفاً - وَمَعَهُ مَطْبِعُ بْنُ إِيَاسَ، فَقَالَ مَطْبِعُ:

قَبْلَئِنِّي سَعَادُ بِاللَّهِ قُبْلَانِي وَأَسْأَلُ نِي لَهَا فِدَيْتِكَ نَحْلَةً^(٦)

(١) في ها «يكاريه»، «كاريه».

(٢) كذا في ها. وفي باقي الأصول «غائب أو غائبة» وهو تصحيف. ولعلها «عائب أو عائبه».

(٣) مار عياله: جلب لهم الميرة بالكسر، أي الطعام؛ ويقال: ما عنده خير ولا مير.

(٤) يقال في المثل: «كسير وعوير وكل غير خير»، في الخصلتين المكروهتين.

(٥) العير: الحمار، وغلب على الوحشي.

(٦) النحلة: العطية.

فَورِبُ السَّمَاءِ لَوْ قَلَّتْ لِي صَالٌ لَوَجْهِي جَعَلْتُهُ الدَّهْرَ قَبْلَهُ

فَقَالَتْ لِحَمَادٍ: اِكْفَيْهِ يَا عَمَّ، فَقَالَ حَمَادُ:

إِنْ لِي صَاحِبًا سِوَاكَ وَفِيَّ لَا مَلُولًا لَنَا كَمَا أَنْتَ مَلَّةٌ^(١)

لَا يُبَاعُ التَّقْيِيلُ يَتَعَا وَلَا يُشَدُّ رَى فَلَا تَجْعَلِ التَّعَشُّقَ عَلَيْهِ

فَقَالَ مَطِيحٌ: يَا حَمَادُ، هَذَا هِجَاءٌ: وَقَدْ تَعَدَّيْتَ وَتَعَرَّضْتَ، وَلَمْ تَأْمُرْكَ بِهَذَا؛ فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ - وَكَانَتْ بَارِعَةً^(٢) ظَرِيفَةً - أَجَلٌ؛ مَا أَرَدْنَا هَذَا كُلَّهُ، فَقَالَ حَمَادُ:

/ أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي مِثْلَهَا مِنْ كِ بِنُحْلٍ، وَالتُّحْلُ فِي ذَاكَ حِلَّةٌ^(٣) [٣٥٥/١٤]

فَأَجِيبِي وَأَنْعِمِي وَخُذِي الْبَذْلَ وَأَطْفِي بِقُبْلَةٍ مِنْكَ غُلَّةً^(٤)

فَرَضِي مَطِيحٌ، وَخَجَلْتُ الْجَارِيَةُ، وَقَالَتْ: اِكْفَيْانِي شَرَكَمَا الْيَوْمَ، وَخُذَا فِيمَا جِئْتُمَا لَهُ.

خبره مع غلام بعث به إليه مطيح

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني، عن مصعب الزبيري عن أبي يعقوب الحرثمي قال: أهدى مطيح بن إياس إلى حماد مجرد غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ.

شعر له ولمطيح في بنت دهقان

أخبرني وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني / قال: ذكر محمد بن سنان أن مطيح بن إياس خرج هو وحماد^{٨٩}_{١٣} مجرد ويحيى بن زياد في سفر، فلما نزلوا في بعض القرى عرفوا، ففرغ لهم منزل، وأثوا بطعام وشراب وغناء، فبينما هم على حالهم يشربون في صحن الدار، إذ أشرفت بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيح لحماذ: [ما]^(٥) عندك؟ فقال حماد: «خذ فيما^(٦) شئت» فقال مطيح:

أَلَا يَا أَبَا بِي النَّاظِ — ر مِنْ بَيْنَهُمْ نَحْوِي

فَقَالَ حَمَادُ عَجْرَدُ:

أَلَا يَا لَيْتَ فَوْقَ الْحَقِّ — وَمِنْهَا لَصِقًا حَقْوِي

/ فَقَالَ مَطِيحٌ: [٣٥٦/١٤]

وَأَنَّ الْبُضْعَ يَاحَمَّا — دُ مِنْهَا شَوْؤُكَ الْمُزَوِي^(٧)

(١) رجل ملة: إذا كان يعمل إخوانه سريعاً.

(٢) كذا في ج، ط، مب، ها. والذي في ب، س: «مؤدية».

(٣) النحل (بضم النون): الهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. حلة: حلال.

(٤) وخذي البذل، أي ما بذله لك مطيح.

(٥) عن ها، وسقطت من باقي الأصول.

(٦) كذا في ها. والذي في س، ب، ج، ط، مط، مب: «شيب بها».

(٧) البضع: الفرج. والشوب: العسل، واللبن، يقال: سقاء الشوب بالروب، أي العسل باللبن، وسقاء الشوب بالذوب، أي اللبن بالعسل.

فقال يحيى بن زياد:

وَيَا سَفِيحاً لَسَطَحَ أَشَدَّ — رَقِصْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ حَذْوِي^(١)

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن أبيه: أَنَّ حَمَادَ عَجْرِدٍ قَالَ فِي جَوْهَرٍ جَارِيَةٍ أَبِي عَوْنٍ: - قَالَ: وَفِيهِ غَنَاءٌ -:

صوت

إِنِّي أَحْبُّكَ فاعلمي إن لم تكوني تعلمين
جَبَّأً أَفْلُ قَلِيلِهِ كَجَمِيعِ حُبِّ الْعَالَمِينَ

شعره في وداع أبي خالد الأحول

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كَانَ حَمَادَ عَجْرِدٍ صَدِيقاً لِأَبِي خَالِدِ الْأَحْوَلِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، فَأَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى وَاسِطٍ، وَأَرَادَ وَدَاعَ أَبِي خَالِدٍ، فَلَمَّا جَاءَهُ لَذَلِكَ حَاجِبُهُ الْغَلَامُ وَقَالَ لَهُ: هُوَ مَشْغُولٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ [يَقُولُ]^(٢):

عَلَيْكَ السَّلَامُ أَبَا خَالِدٍ وَمَا لِلْوَدَاعِ ذَكَرْتُ السَّلَامَ
وَلَكِنْ تَحِيَّةٌ مُسْتَطَرِبٍ يُحِبُّكَ حَبِّ الْغَوِيِّ الْمَدَامَا^(٣)
/ أَرَدْتُ الشُّخُوصَ إِلَى وَاسِطٍ وَلَسْتُ أَطِيلُ هُنَاكَ الْمُقَامَا
فَإِنْ كُنْتَ مَكْتَفِياً بِالْكِتَا بَ دُونَ اللَّمَامِ تَرَكْتُ اللَّمَامَا^(٤)
وَالْأَفْوَصِ مَذَاكِ الْمَلِي لَكُ بِوَأَبْكُمْ بِي وَأَوْصِ الْغَلَامَا
[فَإِنْ جِئْتُ أُدْخِلْتُ فِي الدَّخْلِي مِنْ إِمَّا قَعُوداً وَإِمَّا قِيَامَا]^(٥)
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ أَهْلاً لَذَاكَ فَلَا لَوْمْ لَسْتُ أَحِبُّ الْمَلَامَا
لَأَنِّي أَذَمُّ إِلَيْكَ الْآنَا مَ أَخْزَاهُمْ اللَّهُ طَرّاً أَنَامَا
فَلَأَنِّي وَجَدْتُهُمْ كُلَّهُمْ يُمِيتُونَ حَمْداً وَيُحْيُونَ ذَامَا^(٦)
سِوَى عُصْبَةٍ لَسْتُ أَعْنِيهِمْ كَرَامٍ فَلَأَنِّي أَحِبُّ الْكَرَامَا
وَأَقْلِلُ عَدِيدَهُمْ إِنْ عُدَدْتُ فَمَا أَكْثَرَ الْأَرْدَالِينَ اللَّثَامَا

[٣٥٧/١٤]

(١) الحذو والحذاء: الإزاء والمقابل.

(٢) عن ط، مط. وسقطت من باقي الأصول.

(٣) استطرب: طلب الطرب.

(٤) ألم به: زاره غباءً؛ وهو يزورنا لمأماً، أي في بعض الأحيان.

(٥) سقط هذا البيت من ب، س. وقد أثبتناه عن باقي الأصول.

(٦) اللثام: العيب.

ممازحته لمطيع بن إلياس وشعرهما في ذلك

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثني أبو أيوب المَدِينِيّ قال: قال ابن عبد الأعلى الشيباني: حضر حمّاد عجرد ومطيع بن إلياس مجلساً محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي / العباس، فتمازحا، فقال حماد:

٩٠
١٣

يا مُطِيعُ يا مُطِيعُ أنتَ إنسانٌ رقيقُ
وعن الخير بطيءُ وإلى الشرّ سريعُ

فقال مطيع:

إنّ حمّاداً لثيماً سفلةُ الأصلِ عديمُ
لا تراه الدهرُ إلّا يهين العيّرُ يهيمُ^(١)

/ فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لتمادى الشرّ ولجّاج الهجا لقلتُ لك قولاً يبقى، ولكنّي [٣٥٨/١٤] لا أفسد مودّتك، ولا أكافئك إلّا بالمديح، ثم قال:

كل شيء لي فداءً لمطيع بن إلياس
رجلٌ مستملحٌ في كحلّ لبنٍ وشماس^(٢)
عذّلُ رُوحِي بين جنّ جني وعيني براسي^(٣)
غرس الله له في كيدي أحلسي غراس
لسْتُ دهري لمطيع به من إلياس ذا تناس
ذاك إنسانٌ له فضـ لّ على كلّ أناس
فإذا ما الكأس دارث وأحساها من أحاسي^(٤)
كان ذكراً مُطِيعاً عندها ربحان كاسي

هجاؤه عيسى بن عمرو

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصّيرَفِيّ قالا: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثنا التّوزيّ قال: كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقاً لحمّاد عجرد^(٥)، وكان يواصله أيّام خدمته للربيع، فلما طرده الربيع وأختلت حاله جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائج يسأل له الربيع فيها، فقال حمّاد عجرد فيه:

أوصلُ الناس إذا كانت له حاجة عيسى وأفضاهم لحق
ولعيسى إن أتى في حاجة ملّق يُسقى به كلّ ملّق

(١) الهن: كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة.

(٢) الشماس: النفور والإباء، شمس الفرس شمساً وشماساً: منع ظهره.

(٣) العدل: التطير.

(٤) أحاسي: أسافي.

(٥) في ها «لعجرد».

فإن أستغنى فما يعدُّه نخوة كسرى على بعض الشوق
إن تكن كنت بعيسى واثقاً فهذا الخلق من عيسى فسوق

[٣٥٩/١٤] وله يهجو أيضاً

قال العنزي: وأنشدني بعض أصحابنا لحماد في عيسى بن عمر أيضاً:

كم من أخ لك لست تنكره ما دمت من دنيالك في سر
متصنع لك في مودته يلقيك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويلد حلى الغدر مجتهداً وذا الغدر
فلذا عداً والدهر ذو غير دهر عليك عداً مع الدهر
فأرفض بإجمال مودة^(١) من يلقى المقل ويغشق المشرى
وعليك من حاله واحدة في العسر إما كنت واليسر
/ لا تخلصهم بغيرهم^(٢) من يخلص العقيان بالصفر^(٣)

٩١
١٣

هجا حشيشاً الكوفي

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني ابن أبي فنن قال: حدثني العتابي، وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر قال: قال العتابي: وحدث ابن طاهر أتم، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعنة يقال له حشيش وكانت أمه حارثية، فمدحه حماد عجرد فلم يبه، وتهاون به، فقال يهجو:

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء
قسمت الويبة من رجال ونساء
ظفرت أخت بني الحما رث منها بلاواء
حادث في الأرض يرتا غ له أهل السماء

قال: فعرضت أسماء العمال على المنصور فكان فيها أسم حشيش، فقال: أهو الذي يقول فيه الشاعر:

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء؟

[٣٦٠/١٤] قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؟ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرض لهذا الشاعر، ولم يستعمله، قال: وقال حماد فيه أيضاً يخاطب سعيد بن الأسود ويعاتبه على صحبة حشيش وعشرته:

صرت بعدي يا سعيد من أخلاء حشيش
أنت وطئت أم استخ لفت بعدي أم لأيش^(٣)

(١) في ها «أخوة».

(٢) العقيان: الذهب. والصفر: النحاس وفي «ها». «من يخلص العقبان بالنسر».

(٣) لاط ولاوط وتلوط: عمل عمل قوم لوط.

حَلَقِيَّيْ إِسْثُوهْ أَوْ سَعُ مِنْ إِسْتِ بُحَيْشٍ^(١)
ثُمَّ بَغَاءُ عَلَى ذَا أَبْلَغُ النَّاسِ لَفَيْشٍ^(٢)
يَا بَنِي الْأَشْعَثِ مَا عَيْنُ شُكُّكُمْ عِنْدِي بَعْيِشِ
حِينَ لَا يُوجَدُ مِنْكُمْ غَيْرُهُ قَائِدُ جَيْشِ

قال: وكان بُحَيْشُ هذا رجلاً من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء، فلما بلغه هذا الشعرُ وَقَدْ من البصرة إلى حماد قاصداً، وقال له: يا هذا، مالي ولك، وما ذنبي إليك؟ قال: وَمَنْ أنت؟ قال: أنا بُحَيْشُ، . أما وجدت أحداً أوسع دُبُرًا مِنِّي يُتَمَثَّلُ به؟ فضحك ثم قال: هذه بليّة صبتّها عليك القافية^(٣)، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله.

هجا أبا عون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن بن الحرون. قال: كان حماد عجرد يعاشر أبا عَوْنَ جَدِّ أبن أبي عون العابد؛ وكان ينزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدث الناس أنه يهوى جارية يقال لها جوهر، فحجبه وجفاه واطرحه، فقال يهجو أبا عون:

[٣٦١/١٤]

/ أَبَا عَوْنٍ لَحَاكَ اللَّهُ سَهْ - يَا عُورَةَ - إِنْسَانًا^(٤)
فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي النَّاسِ إِذَا تُمَيِّسَتْ كَشْخَانَا^(٥)
بَنَيْتَ الْيَوْمَ فِي الْكُشْحِ لِأَهْلِ الْكَرْخِ بِنِيَانَا
/ وَشَرَّفْتَ لَهُمْ فِي ذَا لَنَا أَبْوَابًا وَحِيطَانَا
وَالْفَيْشَ عَلَى ذَاكَ مِنَ الْفُسْأَقِ أَعْوَانَا
وَمُجَّانًا وَلَنْ تَعْدَ مَمْنٌ يَمْجُجُنْ مُجَّانَا
فَأَخْزَى اللَّهُ مَنْ كُنْتَ أَخَاهُ كَانَ مِنْ كِنَانَا
وَلَا زَلْزَلْتَ وَلَا زَالَ بِأَخْلَاقِكَ خَزْيَانَا
وَعُزْيَانَا كَمَا أَصْبَحَ سَتَ مِنْ دِينِكَ عُزْيَانَا

وقال فيه أيضاً:

إِنَّ أَبَا عَوْنٍ وَلَا أَقُولُ فِيهِ كَذِبًا
غَاوٍ أَتَى مَدِينَةَ فَسَنُ فِيهَا عَجَبًا

(١) الحلقي: صفة سوء في الرجل، من قولهم: أتان حلقيّة إذا تداولتها الحمر فأصابها بسبب ذلك داء وفي «ها». «تجيش».
(٢) الفيش والفيشة: رأس الذكر.
(٣) في «ها» صيها عليك الروي.
(٤) العرة: الجرب، والمعنى يا شبيهاً بالعرّة. وفي «ها» «ما عمر».
(٥) الكشخان: الذبوث.

إِخْوَانُهُ قَدْ جَعَلُوا أُمُّ بَيْتِهِ مَرَكَبًا
وَأَتَّخَذُوا جَوْهَرَةً مِنْ سَوْدَةٍ وَمَلْعَبًا
إِنْ نِكَتْهَا أَرْضِيَتْهُ أَوْ لَمْ تَنْكُهَا غَضِبَا
أَحِبَّهُمْ إِلَيْهِ مَنْ أَدْخَلَ فِيهَا ذَنْبًا
وَمَنْ إِذَا مَا لَمْ يَنْكُ^(١) جَرَّ إِلَيْهَا جَلْبًا

هجاؤه غيلان جدّ عبد الصمد بن المعدّل

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا اللَّائِيّ عن مهديّ بن سابق قال: أستمع لمحمد بن أبي العباس وهو [٣٦٢/١٤] يُلِيّ^(٢) البصرة غيلان جدّ عبد الصمد بن المعدّل على / بعض أعشار البصرة، وظهر منه على خيانة، فعزّله، وأخذ ما خانه فيه، فقال حمّاد عجرد يهجوّه:

ظَهَرَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ يَا غَيْلَانُ إِذْ خُتَّتْهُ إِنَّ الْأَمِيرَ مُعَانُ
أَمَعَ الدَّمَامَةَ قَدْ جَمَعْتَ خِيَانَةً! قَبَحَ الدِّمِيمُ الْفَاجِرُ الْخَوَانُ

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دُعامة قال: أنشد بشارٌ قولَ حمّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بشر:



مركز توثيق التراث الحضاري

أَخِي كُفَّ عَنْ لُومِي فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا فَعَلَ الْحُبُّ الْمَبْرُحُ فِي صَدْرِي
أَخِي أَنْتَ تَلْحَانِي وَقَلْبُكَ فَارِغٌ وَقَلْبِي مَشْغُولُ الْجَوَانِحِ بِالْفِكْرِ
أَخِي إِنْ دَائِي لَيْسَ عِنْدِي دَوَاؤُهُ وَلَكِنْ دَوَائِي عِنْدَ قَلْبِ أَبِي بَشْرٍ
دَوَائِي وَدَائِي عِنْدَ مَنْ لَوْ رَأَيْتَهُ يَقْلِبُ عَيْنِيهِ لِأَقْصَرَتْ عَنْ زَجْرِي
فَأَقْسَمَ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُوعَةِ الْهَوَى لِأَقْصَرَتْ عَنْ لُومِي وَأَطْنَبَتْ فِي عَذْرِي
وَلَكِنْ بِلَائِي مِنْكَ أَنْتَ نَاصِحٌ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي بِأَنْتَ لَا تَدْرِي

فطرب بشار ثم قال: وَيَلَكُمْ، أَحْسَنَ وَالله! مَنْ هَذَا؟ قالوا: حمّاد عجرد؛ قال: أَوْه، وَكَلَّمُونِي وَالله بَقِيَّةَ يَوْمِي بِهِ طَوِيل، وَالله لَا أَطْعَمُ بَقِيَّةَ يَوْمِي طَعَامًا وَلَا صَوْمَ غَمًا بِمَا يَقُولُ النَّبْطِيُّ أَبْنُ الزَّانِيَةِ مِثْلَ هَذَا.

٩٣
١٣ في الأول والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقليل الأول ذكر / الهشامي أنه لعطرد.

أنشدني جحظة، عن حمّاد بن إسحاق، عن أبيه لحمّاد عجرد:

خَلِيلِي لَا يَقْضِي أَبَدًا يَمُنِّي غَدًا فَغَدًا
/ وَبَعْدَ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ كَذَا لَا يَنْقُضِي أَبَدًا

[٣٦٣/١٤]

(١) في ط، مط «يعف».

(٢) في ب، س «على».

لَهُ جَمْرٌ عَلَى كَيْدِي إِذَا حَسَرَكْتَهُ اتَّقِدَا

شعره في يحيى بن زياد

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الزبالي قال: كان المهدي سأل أباه أن يولي يحيى بن^(١) زياد عملاً، فلم يجبه، وقال: هو خليع متخرق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب وأناب، وتضمن عنه ما يحب، فولاه بعض أعمال الأهواز، فقصدته حماد عجرد إليها، وقال فيه:

فَمَنْ كَانَ يَسْأَلُ أَيْنَ الْفَعَالِ فَعَنْدِي شِفَاءٌ لِسِذَا الْبَاحِثِ
مَحَلُّ النَّدَى وَقَعَالُ التُّهَى وَبَيْتُ الْعُلَا فِي بَنِي الْحَارِثِ^(٢)
[حَلَّلْنِ يَحْيَى فَحَالْفَنَّهُ حَيَاءٌ مِنَ الْبَاعِثِ الْوَارِثِ^(٣)]
فَلَا تَعْدِلْنِ إِلَى غَيْرِهِ لِعَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا رَائِثِ^(٤)
فَلِنْ لَدَيْهِ بِلَا مِثْلِهِ عَطَاءُ الْمَرْخَلِ وَالْمَاكِثِ

قال: وقال فيه أيضاً:

يَحْيَى أَمَرُو زَيْنَهُ رُئُوسَهُ بِفَعْلِهِ الْأَقْدَمِ وَالْأَحْدَثِ
إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ، وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ، وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مَسْوُكِيلاً بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَثِ^(٥)
طَبِيعَةً مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
وَرُئُوسُهُ ذَاكَ أَبَسُّوهُ فِيهَا طِيبَ نَثَا الْوَارِثِ وَالْمُورِثِ^(٦)

فوصله يحيى بصلة سنينة وحملته وكساه، وأقام عنده مدة ثم أنصرف.

/ شعره في عيسى بن عمرو

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن النضر بن عمرو قال: ولي عيسى بن عمرو إمارة البصرة من قبل محمد بن أبي العباس السفاح لما خرج عنها عليلاً، فقال له حماد عجرد:

قُلْ لِعَيْسَى الْأَمِيرِ عَيْسَى بِنِ عَمْرٍو ذِي الْمَسَاعِي الْعِظَامِ فِي قَهْطَانِ
وَالْبِنَاءِ الْعَالِي الَّذِي طَالَ حَتَّى قَصُورَتْ دُونَهُ يَدَا كُلِّ بَانِ
يَأْبَنُ عَمْرٍو عَمْرٍو الْمَكَارِمِ وَالتَّقْدِ سَوَى وَعَمْرٍو النَّدَى وَعَمْرٍو الطَّعَانِ

(١) من بني الحرث بن كعب، شاعر مترسل بليغ (انظر «الفهرست» لابن النديم» ص ١٧١).

(٢) النهي: العقل.

(٣) ساقط من ب، س. وقد أثبتناه عن بقية الأصول.

(٤) الرأث: البطيء، من راث يريث.

(٥) الأدمت: الأسهل، من دمت كفرح: سهل ولان.

(٦) النثا: التحدث عن إنسان بالمدح أو القدح، والمراد هنا الأول.

لَكَ جَارٌ بِالْمِصْرَ لَمْ يَجْعَلِ الدَّ
لَهُ مِنْكَ حُرْمَةً الْجِيرَانِ
لَا يَصْلُحِي وَلَا يَصْصُومُ وَلَا يَقْدُ
رَأَى حَرْفًا مِنْ مُحَكَّمِ الْقِرَانِ
إِنَّمَا مَعْسِدِنِ الزُّنَاةِ مِنَ السُّفْ
لَةٍ فِي بَيْتِهِ وَمَأْوَى الزَّوَانِي
وَهُوَ خِذْلُ الصَّبِيانِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِي
نَ، فَمَاذَا يَهْوَى مِنَ الصَّبِيانِ؟
طَهَّرَ الْمِصْرَ مِنْهُ يَأْتِيهَا الْمَوُ
لِي^(١) الْمَسْمُومِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَتَقَرَّبَ بِذَلِكَ فِيهِ إِلَى الدَّ
لَهُ تَقَرُّزٌ مِنْهُ فَوَزَّ أَهْلَ الْجِنَانِ
يَأْبَنُ بُرْدٌ إِخْسًا إِلَيْكَ فَمِثْلُ الدَّ
كَلْبٍ فِي النَّاسِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ^(٢)
/ وَلَعَمْرِي لَأَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْكَذِّ
سَبَّ وَأَوْلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانِ

٩٤
١٣

هجا يقطينا بشعر

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني محمد بن صالح الجبلي قال: كان حماد عجرد قد مدح يقطينا فلم يثبه، فقال يهجو:

مَنْ أَرَى فِيمَا أَرَى دَوْلَةً
يَعِزُّ فِيهَا نَاصِرُ الدُّيْنِ
[مِمُونَةَ مَجْدَهَا رَبُّهَا
بَصَادِقِ النَّيَّةِ مِمُونِ
تَرُدُّ يَاقُطِينَا وَأَشْيَاعَهُ
مِنْهَا إِلَى أَبْزَارِ يَاقُطِينِ

قال: وكان يقطين قبل ظهور الدولة^(٣) العباسية بخراسان حاكماً.

[٣٦٥/١٤] / قال: ومَرَّ يوماً بيونسَ بن فروة الذي كان الربيع يزعم أنه أبنته، فلم يهش له كما عوده، فقال يهجو:

أَمَّا ابْنُ فُرُوءَ يُونُسَ فَكَأَنَّهُ
مَنْ كَبَّرَهُ ابْنُ الْإِمَامِ الْقَائِمِ^(٤) [وَقَالَ فِيهِ:

وَلَقَدْ رَضِيتَ بِعُصْبَةِ أَخِيهِمْ
وَإِخَاؤُهُمْ لَكَ بِالْمَعْرِ لَا زُمْ
فَعَلِمْتُ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دِخْلَةً
أَنْتَ لِعَرْضِي فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ^(٥)

شعره في ولد لبشار

أخبرني عمي قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلب قال: حدثني أبو معاذ الثميري أن لبشاراً وُلِدَ له ابنٌ، فلما وُلِدَ قال فيه حماد عجرد:

(١) كذا في ب، س وفي باقي الأصول «يايها الوالي».

(٢) خساً الكلب: طرده وزجره وقال له: اخسأ.

(٣) في ها «الدعوة».

(٤) تكلمة عن جد، ط، مط، مب. وقد سقطت من ها، ب، س.

(٥) دخلة الرجل مثله الدال: بطلانته.

سائلُ أُمَامَةِ يَآبْنَ بُر دِ مَنْ أَبُو هَذَا الْغَلَامِ؟
 أَمِنْ الْحَلَالِ أَتَسَتْ بِهِ أَمْ مِنْ مَقَارَفَةِ الْحَرَامِ^(١)
 فَلتُخْرِجَنَّكَ أَنْتَهُ بَيْنَ الْعِرَاقِي وَالشَّامِي
 وَالْآخِرِ الرَّومِيَّ وَالنَّبَطِيَّ أَيْضاً وَابْنَ حَامِ
 أَجَعَلْتَ عِرْسَكَ شِقْوَةً غَرَضاً لَأَسْهَمُ كُلُّ رَامِ

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدثنا الحسن بن علي العنزي قال: حدثني مسعود بن بشر قال: مرَّ حماد عجرد بقصر شيرين، فاستظل من الحر بين سدرتين^(٢) كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغني في شعر مطيع بن إياس:

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي، خُلْوَانِ وَأَرْثِيَا لِي مِنْ رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ
 أَسْعِدَانِي وَأَيُّقِنَا أَنْ نَحْسَأَ سَوْفَ يَلْقَاكُمَا فَتَفْتَرِقَانِ

/ قال شعراً حين سمع بيني مطيع

فقال حماد عجرد:

جَعَلَ اللَّهُ سِدْرَتِي قَصْرَ شِيرِينَ بَيْنَ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي خُلْوَانِ
 جَنَّتْ مُتَسَعِدًا فَلَمْ يُسْعِدَانِي وَمَطِيعٌ بَكَتْ لَهُ النَّخْلَتَانِ

استجازه محمد بن أبي العباس وعداً

أخبرني يحيى بن علي إجازة عن أبيه، عن إسحاق، عن محمد بن الفضل السكوني قال: كان محمد بن أبي العباس قد وعد حماد عجرد أن يحمله على بغل، ثم تشاغل عنه، فكتب إليه حماد:

طَلَبْتُ الْبَذْلَ مِمَّنْ خُ طَلَقْتُ كَفَّاهَ لِلْبَذْلِ
 وَمَنْ يَنْفِي عَنِ الْمُحِجِ لِي بِالْجُودِ أَذَى الْمَخْلِ^(٣)
 أَلَا يَآبْنَ أَبِي الْعَبَا سَ يَا ذَا النَّائِلِ الْجَزَلِ
 أَمَا تَذْكُرِيَا مَوْلا يَ مِعَادَكَ فِي الْبَغْلِ؟
 وَذَاكَ الرَّجْسَ فِي الدَّارِ جَلِيسٌ لِأَبِي سَهْلِ^(٤)
 يَرِيكَ الْحَزَمَ فِي الْإِخْلَا فِ لِلْمِعَادِ وَالْمَطْلِ

شعره في عثمان بن شيبة

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنا سليمان المديني قال: كان

(١) قارف الخطيئة: خالطها.

(٢) السدر: شجر النبق.

(٣) المحل: الجذب.

(٤) الرجس: القذر، عني به عدواً له.

٩٥
١٣ عثمان بن شَيْبَةَ مَبْخَلًا، وكان حَمَادُ عَجْرَدٍ يَهْجُوهُ، فجاء رجل كان يقول الشعر/ إلى حَمَادٍ فقال له:
أَعِثِّي مِنْ غِنَاكَ بَيْتَ شَعْرِ عَلَى فَقْرِي لِعُثْمَانَ بْنِ شَيْبَةَ
فقال [له حَمَادُ^(١)]:

فإِنَّكَ إِنْ رَضِيتَ بِهِ خَلِيلًا مَلَأَتْ يَدِيكَ مِنْ فَقْرٍ وَخِيَّةٍ
[٣٦٧/١٤] فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عَرَفْتَنِي مِنْ أَخْلَاقِهِ مَا قَطَعَنِي عَنْ مَدْحِهِ، فَصَنْتُ وَجْهِي عَنْهُ.

هَجَاؤُهُ مَطِيعَ بْنِ إِيَّاسَ

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ حَمَادُ عَجْرَدٍ يَهْوَى غِلَامًا مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ مِنْ مَوَالِي الْعَتِيقِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو بَشَرٍ الْحَلُولُ أَبُو الْحَلَالِ - أَحْسَبُهُ مِنْ مَوَالِي الْمَهْلَبِ - وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالْجَمَالِ،
فَأَنْدَسَ لَهُ مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ، وَلَمْ يَزَلْ يَحْتَالُ عَلَيْهِ حَتَّى وَطِئَهُ، فَغَضِبَ حَمَادُ عَجْرَدٍ مِنْ ذَلِكَ، وَنَشِبَ بَيْنَهُمَا بِسَبَبِهِ
هَجَاءٌ، فَقَالَ فِيهِ حَمَادُ:

يَا مَطِيعُ النَّذْلُ أَنْتَ الـ يَوْمَ مَخْذُولٌ جَهْوَلٌ
لَا يَغْنَرُنَّكَ غَرُورٌ ذُو أَفْئَانَيْنِ مَلُورٌ
لَيْسَ يَحْلُو الْفَعْلُ مِنْهُ وَهُوَ يَحْلُو مَا يَقُولُ
مَلْدَانِي^(٢) مَعَ السَّرِّ حِجَّ إِذَا مَالَتْ يَمِيلُ
وَجَوَادٌ بِالْمَوَاعِي دٍ وَبِالْبَذْلِ بِخَيْلُ
لَيْسَ يُرْضِيهِ مِنَ الْجُفْ لِكثِيرٍ أَوْ^(٣) قَلِيلُ
ذَلِكَ مَا اخْتَرْتَ خَلِيلًا بَنَسَ وَاللَّهِ الْخَلِيلُ
إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ يَأْ تِيكَ فِي السَّرِّ رَسُولُ
سَاخِرًا مِنْكَ يَمْنِي كُ أَمَانِي تَطُولُ

وقال في مطيع أيضاً وقد لَجَّ الهجاء بينهما:

عَجِبْتُ لِلْمَدْعَى فِي النَّاسِ مَنْزِلَةً لَيْسَ يَصْلَحُ لِلدُّنْيَا وَاللَّذِينَ
لَوْ أَبْصَرُوا فِيكَ وَجْهَ الرَّأْيِ مَا تَرَكَوْا حَتَّى يَشُدُّوكَ كَرْهًا شَدَّ مُجْنُونٍ
/ مَا نَالَ قَطُّ مَطِيعٌ فَضْلَ مَنْزِلَةٍ إِلَّا بِأَنْ صَرْتُ أَهْجُوهُ وَيَهْجُونِي
وَلَوْ تَرَكَتُ مَطِيعًا لَا أَجَاوِبُهُ لَكَانَ مَا فِيهِ مِ الْآفَاتِ يَكْفِينِي
يَخْتَارُ قَرَبَ الْفُحُولِ الْمُزْدِ مَعْتَمِدًا جَهْلًا وَيَتْرُكُ قُرْبَ الْخَرْدِ الْعَيْنِ^(٤)

[٣٦٨/١٤]

(١) ساقطة من ب وس. وقد أثبتناها عن باقي الأصول.

(٢) الملداني: الكذوب الذي لا يصحّ ودّه.

(٣) كذا في ب، س. والذي في ط، مط، مب، «إذا عيف القليل».

(٤) الخرّد: جمع خريدة، وهي البكر لم تمس. والعين: جمع عيناء، وهي الراسعة العين.

مدحه وتعزيتة داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبيه عن إسحاق قال: قال حماد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزيه عن ابن مات له ويستجيزه:

إِنَّ أَرْجَى الْأَنْسَامِ عِنْدِي وَأَوَّلَا
هَذَا رُكْنِي فَقَدِي أَبَاكَ فَقَدْ شَدَّ
فَائِلٌ فَاعِلٌ أَبِيٌّ وَفِيَّ
وَقَتَّى السَّنَّ فِي كَمَالِ ابْنِ خَمْسٍ
مِخْلَطٌ مَزْزَلٌ أَرِيْبٌ أَدِيْبٌ
/ وَهُوَ الذَّائِدُ الْمَدْفِعُ عَنِّي
هُمُّ بِمَذْحِي وَنَصْرَتِي دَاوُدُ
فَلْ مَا كَادَنِي بِهِ مِنْ يَكِيدٍ^(١)
سَدَّ بِكَ الْيَوْمَ رُكْنِي الْمَهْدُودُ
مُتْلِفٌ مُخْلِفٌ مُفِيدٌ مُيِيدُ
سَنَ دَهَاءٍ وَإِزْبَاءَ بَلْ يَزِيدُ^(٢)
رَاتِقٌ فَاتِقٌ قَرِيْبٌ بَعِيدُ^(٣)
وَعَزِيْزٌ مَمْنَعٌ مِّنْ يَّذُودُ^(٤)

٩٦
١٣

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الملك بن شيان قال: ولَّى أبو جعفر المنصور محمد بن أبي العباس السفاح / البصرة، فقدمها معه جماعة من الشعراء والمغنيين منهم حماد [٣٦٩/١٤] عجرد، وحكم الوادي وذحمان، فكانوا ينادونه ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاش^(٥)، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العباس كثير الطيب، يملأ لحيته بالغالية^(٦) حتى تسيل على ثيابه فتسود، فلقبوه أبا الدبس^(٧)، وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة:

صِرْنَا مِنَ الرِّيحِ إِلَى الْوُكُوسِ
مَا شِئْتَ مِنْ لُومٍ عَلَى نَفْسِهِ
إِذْ وَلَّى الْمَصْرَ أَبُو الدَّبْسِ
وَجَنُّهُ مِنْ أَكْرَمِ الْجِنْسِ^(٨)

كان ماجناً زنديقاً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا علي بن محمد التوفلي قال: حدثني أبي قال: كان أبو جعفر المنصور يبيغض محمد بن أبي العباس ويحب عيبه، فولاه البصرة بعقب مقتل إبراهيم^(٩) بن عبد الله بن حسن،

(١) يقال: ما حفله وما حفل به، أي ما بالي، ورفع هنا جواب الشرط وهو ضعيف.

(٢) الإربة: العقل.

(٣) رجل مخلط مزيل، أي يخالط الأمور ويزايلها، والمزيل: الرجل الكيس اللطيف، والمزيل أيضاً: الجدل في الخصومات الذي يزول من حجة إلى حجة.

(٤) في س «عنه» وهو تحريف.

(٥) عاش: أفسد.

(٦) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

(٧) الدبس: عسل التمر وعصارته.

(٨) في الأصول «في لوم»، «وحبسه»، «الحبس» وهو تحريف، والتصويب عن «مختار الأغاني» ص ٤٢٧ أي أن ذاته وحدها هي المعية.

(٩) كان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (الملقب بالنفس الزكية) قد خرج على أبي جعفر المنصور، وغلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور، فندب المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، وكانت الغلبة لعسكر =

فقدّمها، وأصحابه المنصور قوماً يعاب بصحبتهم مُجاناً زنادقة: منهم حمّاد عجرد، وحمّاد بن يحيى، ونظراء لهم، ليغضّ منه ويرتفع ابنه المهديّ عند الناس، وكان محمد بن أبي العباس محمّقا، فكان يغلف لحيته إذا ركب بأواق من الغالية، فتسيل على ثيابه فيصير شهرة، / فللقبه أهل البصرة أبا الدّيس؛ قال ولما أقام بالبصرة مدة قال لأصحابه: قد عزمْتُ على أن أعترض أهل البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتل كلّ من وجدت، لأنهم خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمّ سلمة^(١) بنت أيوب بن سلمة المخزومية فأعلموها بذلك، وقالوا: والله لئن همّ بها ليقتلن ولنقتلن معه، فإنما نحن في أهل البصرة أكلة رأس، فخرجت إليه وكشفت عن ثديها وأقسمت عليه بحقها حتى كفّ عما كان عزم عليه.

أدبه محمد بن أبي العباس

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال: حدّثني أبي عن إسحاق الموصلي قال: كان حمّاد عجرد في ناحية محمد بن أبي العباس السّفاح، وهو الذي أدبه، وكان محمد يهوى زينب بنت سليمان^(٢) بن علي، وكان قد قدم البصرة أميراً عليها من قبل عمّه أبي جعفر، فخطبها، فلم يزوجه لشيء كان في عقله، وكان حمّاد وحكّم الوادي ينادمانه، فقال محمد لحمّاد: قل فيها شعراً، فقال حمّاد فيها على لسان محمد بن أبي العباس، وغنّى فيه حكّم الوادي:



زينب ما ذنبي وما ذا الذي غضبْتُم منه ولم تُغضَبوا^(٣)
والله ما أعرف لي عندكم ذنباً ففيم الهجر يا زينب؟
إن كنت قد أغضبتكم ضلّة فاستعيبوني إنني أعتب^(٤)
عُودوا على جهلي بأحلامكم إنني - وإن لم أذنب - المذنب

[٣٧١/١٤] / الغناء لحكّم في هذه الأبيات خفيف ثقيل، الأول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيه هزج/ يقال: إنه لخليد بن عبيد الوادي، ويقال لعريب.

نسب محمد بن أبي العباس بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدّثني عمرو بن بانه قال: كان لمحمد بن أبي العباس السّفاح شعر في زينب، وغنّى فيه حكّم الوادي:

- = المنصور، فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ. ثم خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله ومضى إلى البصرة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل أخيه، فالتقوا بقرية يقال لها باخمرى قريبة من الكوفة، فكانت الغلبة لعسكر المنصور أيضاً وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ.
- (١) كذا في جميع الأصول. والذي في «مختار الأغاني» ص ٤٢٧ «أم سلمة».
- (٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور.
- (٣) ولم تغضبوا، أي لم آت ما يستوجب غضبك.
- (٤) الضلة: الضلال. استعته: أعطاه العتي وهو الرضا. وأعتبني فلان: ترك ما كنت أجد عليه من أجله، ورجع إلى ما أَرْضاني عنه بعد إسقاطه إياي عليه.

صوت

قُولاً لَزِينَبَ لَو رَأَيْتَ تَشَوُّفِي لَكَ وَأَشْتَرَا فِي^(١)
وَتَلَفُّتُنِي كَيْمَـاً أَرَا لَكَ وَكَانَ شَخْصُكَ غَيْرَ خَافِ
وَشَمَمْتُ رِيحَكَ سَاطِعاً كَالْيَيْسِ جُمُرٍ لِلطَّوْفِ
فَتَرَكْتَنِي وَكَأَنَّمَا قَلْبِي يَغْرَزُ بِالْأَشَافِي^(٢)

خطبته لها

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال: حدّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائني قال: خطب محمد بن أبي العباس زينب بنت سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلّا أنه قال فيه: فقال محمد بن أبي العباس فيها، وذكر الأبيات كلّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّاداً.

قال أبو الفرج مؤلف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غلطٌ من رواته، لما سمعوا ذكر زينب ولحن حَكَمَ، نسبوه إلى محمد بن أبي العباس، وقد ذكر هذا الشعر بعينه إسحاق الموصلي في كتابه، ونسبه إلى ابن رَهْمَةَ وهو من زَيْنَبِ يونس الكاتب المشهورة، معروفٌ ومنها فيه يقول:

فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِيَسُونِسٍ فَذَكَرْتُه لِأَخٍ مُصَافٍ

/ وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبصرة في مجرى الخنصر، وأن لحن حَكَمَ من الثقيل الأول [٣٧٢/١٤] بالبصرة، قال محمد بن يحيى: ولمحمد بن أبي العباس في زينب أشعارٌ كثيرة ممّا غَنَى فيها المغنّون، منها:

صوت

زَيْنَبُ مَا لِي عَنْكَ مِنْ صَبْرٍ وَلَيْسَ لِي مِنْكَ سِوَى الْهَجْرِ
وَجْهُكَ وَاللّٰهُ وَإِنْ شَفَّنِي أَحْسَنُ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ بَدْرِ^(٣)
لَوْ أَبْصَرَ الْعَاذِلُ مِنْكَ الَّذِي أَبْصَرْتُهُ أَسْرَعَ بِالْعَذْرِ

الغناء في هذه الأبيات لحكم خفيف رمل بالوسطى.

غنى دحمان في شعر قيس بن الخطيم

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغلابي قال: حدّثني عبد الله بن الضحّاك عن هشام بن محمد قال: دخل دَحْمَانُ المَغَنِّي مَوْلَى بني مخزوم - وهو المعروف بدَحْمَانَ الأشقر - على محمد بن أبي العباس وعنده حَكَمُ الوادي، فأحضر محمد عشرة آلاف درهم وقال: من سبق منكما إلى صوت يُطربني فهذه له؛ فابتدأ دَحْمَانُ فغَنَى في شعر قيس بن الخطيم:

(١) تشوّف إلى الشيء: تطلع وتطاول وأشرف. والاشتراف: الانتصاب.

(٢) الأشافي: جمع إشفى بكسر الهمزة، وهو المثقب.

(٣) شفه الهم: هزله.

حَوْرَاءُ مَكْمُورَةٌ مَنَعْمَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا تَرَفٌ^(١)

فلم يهش له، فغنى حَكَمَ في شعر محمد في زينب:

زينبُ مالي عنك من صبرٍ وليس لي منك سوى الهجرِ

قال: فطرب وضرب برجله وقال له: خُذْهَا، وأمر لدَحْمَانَ بخمسة آلاف درهم، قال: ومن شعره فيها الذي غنى فيه حَكَمَ أيضاً:

أصوات

[٣٧٣/١٤]

/ أَحَبُّتُ مَنْ لَا يُصَفُّ وَرَجَوْتُ مَنْ لَا يُسَعِّفُ
نَسَبُ تَلِيدُ بَيْنَنَا وَوِدَادُنَا مُسْتَطَرَفُ
بِاللَّهِ أَحْلَفُ جَاهِدًا وَمَصْدَقُ مَنْ يَحْلِفُ
إِنِّي لَأَكْتُمُ حَبَّهَا جَهْدِي لِمَا أَتَخَوَّفُ
وَالْحَسْبُ يَنْطَلِقُ إِنْ سَكَتَ بِمَا أَجْنَى وَيُعْرِفُ

 $\frac{98}{13}$

الغناء في هذه الأبيات لحكم الوادي، ولحنه ثقیل أول.

شعر لابن أبي العباس غنى فيه

قال: ومن شعر محمد فيها الذي غنى فيه حَكَمَ:

أصوات

أَسْعِدِ الصَّبَّ يَا حَكَمُ وَأَعِثْهُ عَلَى الْأَلَمِ
وَأِدْرِ فِي غِنَائِهِ نَعْمًا تَشْبِهُ النِّعَمِ
أَجْمِلْ بَأَن تُرَى نَائِمًا وَهَوْلَمَ يَمِ
لَأَتَمِّي فِي هَوَايَ زِي نَسَبَ أَنْصِفْ وَلَا تُلَمِ
لَيْسَ الْجِسْمُ حُلَّةً فِي هَوَاهَا مِنَ السَّقَمِ

غناه حَكَمَ، ولحنه هَزَج.

سكر حماد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العباس فناموا دونه

وقد أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: قال بُرَيْه الهاشمي حدثني من حضر محمد بن

أبي العباس وبين يديه حماد وحكم الوادي يغني، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سكر وسكروا، فكان محمد

أول من أفاق منهم، فقام إلى جماعتهم ينههم رجلاً رجلاً، فلم يجد فيهم فضلاً سوى حماد / عجرد وحكم

الوادي، فأنتبها، وابتدءوا يشربون، فقال عجرد على لسانه، وغنى فيه حَكَمَ:

أَسْعِدِ الصَّبَّ يَا حَكَمُ وَأَعِثْهُ عَلَى الْأَلَمِ

أَجْمِيلٌ بـ أَن تُرَى نَائِمًا وَهُوَ لَمْ يَنَمْ

هكذا ذكر هذا الخبر الحسن، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً.

محمد بن أبي العباس يشبب بزینب بنت سليمان

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنشدني أبو خليفة وأبو ذكوان والغلابي لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي:

يا قمر المرید قد هجيت لي	شوقاً فما أنفك بالمرید
أراقب الفرق قد من جكم	كأنتي وكُلتُ بالفرق ^(١)
أهيم ليلي ونهاري بكم	كأنتي منكم على موعدي
علقتُها رياء الشوى طفلة	قريبة الموليد من مولدي ^(٢)
جدي إذا ما نُسبت جدها	في الحسب الشاقب والمحتد ^(٣)
والله ما أنساك في خلوتي	يا نور عيني ولا مشهدي

كان محمد نهاية في الشدة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة قال: حدثني المدائني قال: كان محمد بن أبي العباس نهاية في الشدة، فعاتبه يوماً المهدي، فغمر محمد ركابته، حتى أنضغط رجل المهدي في الركاب، ثم لم تخرج حتى رد محمد الركاب بيده، فأخرجها المهدي حيث.

/ حماد يمدح محمد بن أبي العباس

أخبرني محمد قال: حدثنا أبو ذكوان قال: حدثنا العثبي قال: كان محمد بن أبي العباس شديداً قوياً جواداً ممدحاً، وكان يلوي العمود ثم يلقيه إلى أخته ربيعة فترده، وفيه يقول / حماد عجرد:

٩٩
١٣

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا	يا أكرم الناس أعراقاً وعيداناً
فأنت أكرم من يمشي على قدم	وأنضر الناس عند المخل أغصاناً
لو مَجَّ عود على قوم عُصارته	لَمَجَّ عودك فينا المسك والباناً

خبر عزل محمد بن أبي العباس عن البصرة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لما عزله المنصور عنها قال:

أيا وقفه البيّن ماذا شَيَّبَتِ من النار في كبد المُغرم!

(١) الفرقد: النجم الذي يهتدى به.

(٢) علقتها: أحببتها. رياء: مثلثة. الشوى: الديدان والرجلان. الطفلة: الرخصة الناعمة.

(٣) في جد «ما جدى إذا» وفي ب، س «ما جدى إذا» وهو تحريف، والتصويب عن باقي الأصول. والمحتد: الأصل.

رَمِيتِ جَوَانِحَهُ إِذْ رَمِيتِ بِقُوسٍ مُسَدَّدَةِ الْأَسْهُمِ
وَقَفْنَا لَزِينَبَ يَوْمَ الْوَدَاعِ عَلَى مِثْلِ جَمْرِ الْغَضَى الْمُضَرَمِ
فَمِنْ صَرْفِ دَمْعٍ جَرَى لِلْفِرَاقِ لِمَمْتَزِجٍ بَعْدَهُ بِالْأَدَمِ

شبيب حماد عجرد بزینب بنت سلیمان

أخبرني محمد قال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ قَالَ: قَالَ حَمَادُ عَجْرَدٍ يَشِيبُ
بَزِينَبَ بِنْتِ سَلِيمَانَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُسْتَهَامٍ مَعْدَبٍ بِحَبِّ غَزَالٍ فِي الْحِجَالِ مُرَّيٍ^(١)
يَرَاهُ فَلَا يَسْطِيعُ رَدًّا لَطَرْفِهِ إِلَيْهِ حِذَارَ الْكَاشِحِ الْمَتَرَقَّبِ
/ وَلَوْ لَا مَلِيكَ نَافِذُ فِيهِ حُكْمُهُ لِأَذْنَى وَصَالًا ذَاهِبًا كُلَّ مَذْهَبِ
تَغَبَّرْتُ خَلْفَ اللَّهِوْ بَعْدَ صِرَاوَةٍ^(٢) فَبَحْتُ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ حَبِّ زِينَبِ

قال: فبلغ الشعرُ محمدَ بنَ سليمان، فنذرَ دمه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمد.

رثي حماد محمد بن أبي العباس بشعر

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدَّثَنِي الْغَلَابِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي
أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ، فَقَالَ حَمَادُ يَرِثِيهِ بِقَوْلِهِ:

صُرْتُ لِلدَّهْرِ خَاشِعًا مُسْتَكِينًا بَعْدَ مَا كُنْتُ قَدْ قَهَرْتُ الدَّهْرَ
حِينَ أَوْدَى الْأَمِيرُ ذَاكَ الَّذِي كُنْتُ تُبْ بِهِ حَيْثُ كُنْتُ أَدْعَى أَمِيرًا
كُنْتُ إِذْ كَانَ لِي أَجِيرُ بِهِ الدَّهْرَ سَرَفَقْدَ صُرْتُ بَعْدَهُ مُسْتَجِيرًا
يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ يَا أَبْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ حَقَّقْتَ عِنْدِي الْمَحْذُورَا كَ سُرُورِي فَلَسْتُ أَرْجُو سُرُورَا
لِيَتْنِي مِتَّ حِينَ^(٣) مَوْتِكَ لَا بَلْ لِيَتْنِي كُنْتُ قَبْلَكَ الْمَقْبُورَا
أَنْتَ ظَلَّلْتَنِي الْغَمَامَ بِنُعْمَا كَ وَوَطَّأْتَ لِي وَطَاءً وَثِيرَا^(٤)
لَمْ تَدْعُ إِذْ مَضَيْتَ فِينَا نَظِيرَا مِثْلَ مَا لَمْ يَدْعُ أَبُوكَ نَظِيرَا

خبر موت محمد بن أبي العباس

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ

(١) الحجال: جمع حجلة كركبة، وهي موضع يزين بالثياب والستور للعروس. مربب: مربى.

(٢) ورد هذا الشطر في ب، س هكذا: «وعيرت بالكتمان بعد صراوة» والتصحيح عن باقي الأصول. وتغير الناقة: احتلب غيرها، والغبر: بقية اللبن في ضرع الناقة. والخلف: حلقة الضرع. والصرار: ما يشد فوق خلف الناقة من خيط لتلا يرضعها ولدها.

(٣) في ب، س «قبل» وما أثبتناه عن باقي الأصول، وهو أولى لسياق الكلام.

(٤) وثير: لبن.

الْجُمُحِي^(١) قَالَ: كَانَ خَصِيْبُ الطَّبِيْبِ نَصْرَانِيًّا نَبِيْلًا، فَسَقَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ شَرِبَةً دَوَاءً وَهُوَ عَلَى الْبَصَرَةِ، فَمَرَضَ مِنْهَا، وَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ فَمَاتَ بِهَا، / وَأَتَاهُمْ خَصِيْبُ فُحْبَسَ حَتَّى مَاتَ، وَسُئِلَ عَنْ عِلَّتِهِ وَمَا بِهِ فَقَالَ: قَالَ جَالِينُوسُ: إِنْ مِثْلَ هَذَا لَا [٣٧٧/١٤] يَعْيشُ صَاحِبُهُ، فَقِيلَ: لَهُ إِنْ جَالِينُوسَ رَبِّمَا أَخْطَأَ، / فَقَالَ: مَا كُنْتُ قَطُّ إِلَى خَطْئِهِ أَحْوَجَ مِنِّي الْيَوْمَ، وَفِي خَصِيْبٍ يَقُولُ ابْنُ ١٣٠ قَنْبَرٍ:

وَلَقَدْ قُلْتُ لِأَهْلِي إِذْ أَتَوْنِي بِخَصِيْبٍ
لَيْسَ وَاللَّهِ خَصِيْبٌ لِلَّذِي بِي بِطِيْبٍ
إِنَّمَا يَعْرِفُ مَا بِي مَنْ بِهِ مِثْلُ الَّذِي بِي

تنصّله لأخي زينب بشعر

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبَانَ^(٢) وَابْنُ دَاحَةَ، وَأَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ يَحْيَى إِجَازَةً قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ: لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ طَلَبَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَمَادَ عَجْرَدٍ لِمَا كَانَ يَقُولُهُ فِي أُخْتِهِ زَيْنَبَ مِنَ الشَّعْرِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا مَقَامَ لَهُ مَعَهُ بِالْبَصْرَةِ، فَمَضَى فَاسْتَجَارَ بِقَبْرِ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَالَ فِيهِ:

مِنْ مَقَرِّ بِالذَّنْبِ لَمْ يَوْجِبِ الدَّ بِهِ عَلَيْهِ سَيِّئٌ إِقْرَارًا
لَيْسَ إِلَّا بِفَضْلِ حِلْمِكَ يَعْتَدُ بِإِلَاءٍ، وَمَا يُعْذَرُ عَتَا^(٣)
يَا بَنَ بِنْتَ النَّبِيِّ أَحْمَدًا لَا^(٤) أَجْرًا إِلَّا إِلَيْكَ مِنْكَ الْفَرَارَا
غَيْرَ أَنِّي جَعَلْتُ قَبْرَ أَبِي أَيُّوبَ لِي مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ جَارًا
وَحَرِيٍّ مَنِ اسْتَجَارَ بِذَلِكَ الـ قَبْرِ أَنْ يَأْمَنَ الرَّدَى وَالْعِثَارَا
لَمْ أَجِدْ لِي مِنَ الْعِبَادِ مَجِيرًا فَاسْتَجَرْتُ التُّرَابَ وَالْأَحْجَارَا
/ لَسْتُ أَعْتَاضُ مِنْكَ فِي بَغْيَةٍ^(٥) الْوِزَّةَ قَحْطًا أَنْ كُلَّهَا وَنِزَارَا
فَأَنَا الْيَوْمَ جَارٌ مِنْ لَيْسَ فِي الْأَر ضٍ مَجِيرٌ أَعَزُّ مِنْهُ جَوَارَا
يَا بَنَ بِنْتَ النَّبِيِّ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّ إِلَيْهِ الْغَوَارِبُ الْأَكْوَارَا^(٦)
إِنْ أَكُنْ مُذْنِبًا فَأَنْتَ أَبْنُ مَنْ كَا نَ لَمَنْ كَانَ مُذْنِبًا غَفَّارَا
فَأَعْفُ عَنِّي فَقَدْ قَدَرْتُ وَخَيْرُ الـ عَفْوِ مَا قُلْتُ كَنْ فَكَانَ اقْتِدَارَا

[٣٧٨/١٤]

(١) فِي ب، س «يسر الحمى» وهو تحريف؛ والتصويب عن باقي الأصول.

(٢) فِي ب، س «سنان» والتصويب عن باقي الأصول.

(٣) الْبَلَاءُ: الْإِنْعَامُ.

(٤) كَذَا فِي ب، س، جـ. وَالَّذِي فِي ط، مط، مـب، هـا:

يَا بَنَ بِنْتَ النَّبِيِّ لَا أَجْعَلُ التَّسْوِ بِسُوءَةٍ إِلَّا

(٥) كَذَا فِي ب، س، جـ. وَفِي ط، مط، مـب، هـا:

لَسْتُ أَعْتَاضُ مِنْكُمْ فِي ابْتِغَاءِ الـ عِزِّ

(٦) الْغَوَارِبُ: جَمْعُ غَارِبٍ، وَهُوَ أَعْلَى الظَّهْرِ، وَأَعْلَى مَقْدَمِ السَّانِمِ. وَالْأَكْوَارُ: جَمْعُ كَوْرٍ بِالضَّمِّ: وَهُوَ الرَّحْلُ أَوْ بَادَاتُهُ.

لو يطيل الأعمارَ جارٍ لعزُّ كان جاري يطول الأعمارا

اعتذر إلى محمد بن سليمان بشعر

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا الحسن بن علي العنزي قال: حدثني علي بن الصباح قال: كان محمد بن سليمان قد طلب حماد عجرد بسبب نسيبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس، فلما هلك محمد جد ابن سليمان في طلبه، وخافه حماد خوفاً شديداً، فكتب إليه:

يا ابن عم النبي وابن النبي
أنت بدر الدجى المضيء إذا أظ
وحيا الناس في المحول إذا لم
إن مولاك قد أساء ومن أع
ثم قد جاء تائباً فأقبل التو
لعلني إذا أنتمسي وعلي
لم واسود كل بدر مضي
يُجد غيث الربيع والوسمي^(١)
تب من ذنبه فغير مومي
بة منه يا ابن الوصي^(٢) الرضي

[٣٧٩/١٤] / هجاؤه محمد بن سليمان

قال ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن علي فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلى قبر أبي من / دمه، فهرب حماد إلى بغداد، فعاد بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أَرْضَى أو تهجو محمد بن سليمان، فقال يهجو:

قل لوجه الخصى ذي العار إني
قد لعمرى فررت من شد الخو
وظننت القبور تمنع جارا
كنت عند استجارتني بأبي أي
لم يجرنى ولم أجد فيه حظا
سوف أهدي لزينب الأشعارا
ف وأنكرت صاحبي نهارا
فأستجرت التراب والأحجارا
سوب أبي في ضلالة وخسارا
أضرم الله ذلك القبر نارا

قال: وقال فيه:

له حزم بُرغوثٍ وحلمٌ مكاتبٍ
وعُلْمَةٌ مَنُورٌ بَلِيلٌ تُولول^(٣)

وقال أيضاً يهجو:

وقال فيه يهجو:

يا ابن سليمان يا محمد يا
من يشتري المكرُمات بالسَّمن

(١) الحيا: المطر. المحول: جمع محل، وهو الجذب. والوسمي: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات.

(٢) يقول الشيعة: إن النبي ﷺ أوصى بالخلافة من بعده علي كرم الله وجهه، فلقبوا علياً بالوصي، وهو أوصى بها لمن بعده، وهكذا كل إمام وصي من قبله.

(٣) تولول: تعول.

إِنْ فَخَرْتُ هَاشِمٌ بِمَكْرُمَةٍ فَخَرْتُ بِالشَّحْمِ^(١) مِنْكَ وَالْعُكْنِ
لُؤْمُكَ بِإِدٍ لِمَنْ يَرَاكَ إِذَا أَقْبَلْتَ فِي الْعَارِضِينَ وَالذَّقْنِ
لَيْتَكَ إِذْ كُنْتَ ضَيْقًا نَكِرًا لَمْ تُدْعَ مِنْ هَاشِمٍ وَلَمْ تُكُنْ
جَدَاكَ جَدَانِ لَمْ تُعَبْ بِهِمَا لَكُنْمَا الْعَيْبُ مِنْكَ فِي الْبَدَنِ

قال: فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال: والله لا يُقِلَّتني أبدأ، وإنما يزداد حثفاً بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً.

وقد اختلف في وفاة حماد.

/ خبر مقتله

[٣٨٠/١٤]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو داحة وعبد الملك بن شيان أن حماداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتراً، وبلغ محمداً خبره، فأرسل مولى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة.

شعر له وهو يحتضر

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا: حدثنا الحسن بن عليل الغنزي عن أحمد بن خلاد أن حماداً نزل بالأهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستتراً من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البصرة، فمرّ بشيرزاذان في طريقه، فمرض بها، فاضطرّ إلى المقام بها بسبب علته، فاشتد مرضه، فمات هناك ودُفن على تلعة^(٢)، وكان بشار بلغه أن حماداً عليل لما به، ثم نُعي إليه قبل موته، فقال بشار:

لو عاش حماد لهونا به لكنّه صار إلى النار

فبلغ هذا البيت حماداً قبل أن يموت وهو في السّياق^(٣)، فقال يرّد عليه:

نُبِيتُ بِشَاراً نَعَانِي وَلَدٍ مَوْتُ بَرَانِي الْخَالِقُ الْبَارِي
يَا لَيْتَنِي مِتَّ وَلَمْ أَهْجُجْهُ نَعَمْ وَلَوْ صُرْتُ إِلَى النَّارِ
وَأَيُّ خِزْيٍ هُوَ أَخْزَى مِنْ أَنْ يَقَالَ لِي يَا سَبَّ بِشَارِ

قال: فلما قتل المهديّ بشاراً بالبطحية^(٤) اتفق أن حُمِل إلى منزله ميتاً، فدفن مع حماد على تلك التلعة، فمرّ بهما أبو هشام الباهليّ الشاعر البصريّ الذي كان يُهاجِي بشاراً، فوقف / على قبريهما وقال:

/ قَدْ تَبَعَ الْأَعْمَى قَفَا عَجْرِدٍ فَأَصْبَحَا جَارَيْنِ فِي دَارٍ
قَالَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ لَا مَرْحَبَا بِقُرْبِ حَمَّادٍ وَبَشَارِ

(١) في ها «أنت».

(٢) التلعة: القطعة المرتفعة من الأرض.

(٣) السّياق: نزع الروح.

(٤) البطحية: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

تجاوَزَا بعدَ تَنَائِيهِمَا ما أَبْغَضَ الجَارَ إِلَى الجَارِ
صَارَا جَمِيعاً فِي يَدَي مَالِكٍ فِي النَّارِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ

نصوت

هَلْ قَلْبُكَ الْيَوْمَ عَنْ شَنْبَاءٍ مَنْصَرِفٌ وَأَنْتَ مَا عَشْتَ مَجْنُونٌ بِهَا كَلِفٌ
مَا تُذَكِّرُ الدَّهْرَ إِلَّا صَدَعْتَ كِبْدًا جَرَى عَلَيْكَ وَأَذْرَتْ دَمْعَةً تَكِفُ

ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ أَنَّ الشَّعْرَ لِحُرَيْثِ بْنِ عَتَابِ الطَّائِيِّ، وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لِإِسْمَاعِيلِ بْنِ بَشَارِ النَّسَاءِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِحُرَيْثٍ، وَالْغَنَاءُ لَغَرِيضِ ثَقِيلٍ أَوَّلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِمَالِكٍ.



مركز تحقيقات تاريخ الادب العربي

/ أخبار حريث ونسبه

[٣٨٢/١٤]

نسبه

حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ (بالنون) بن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف^(١) بن عُنَيْن^(٢) بن نائل بن أسودان، وهو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدويًا مُقَلًّا غير متصدِّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يَغْدُو شعره أمرًا ما يخصه.

يشبب بحبي بنت الأسود

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عَمِي عن الحَزَنبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني، عن أبيه، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأولين قوله:

يدومُ وُدِّي لمن دامت مودُّته	وأصرف النفسَ أحياناً فتتنصرف ^(٣)
يا وَيْحَ كلِّ محبٍّ كيف أرحمُه	لأتني عارف صدق ^(٤) الذي يصف
لا تأمنن بعد حُبِّي خُلَّةَ أبداً	على الخيانة إنَّ الخائن الظَّرِف ^(٥)
كأنها ريشةٌ في أرض ^(٦) بَلَقعة	من حيثما واجهتها الريحُ تنصرف
يُنسي الخليلين طُولَ النأي بينهما	وتلتقي طرفُ شتَّى فتألف

قال أبو عمرو، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبِّي بنت الأسود من بني بُخْتَر بن عَتُود، وكان يهواها ويتحدث إليها، ثم خطبها، فوعده أهلها أن يزوجه / ووعدته ألا تجيب إلى تزويج إلا به، فخطبها رجل من [٣٨٣/١٤] بني ثعل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيْنًا، وقد خُيرت بينهما فاخترت الثعلبي، فتزوجها، فطَفِقَ حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بُخْتَر وبني ثعل، فقال يهجو بني ثعل:

بني ثعل أهل الخنا ما حديثكم	لكم منطلق غارٍ وللناس منطلق
كأنكم معزى قواصعُ جرة ^(٧)	من العيى أو طيرٌ بخفانٍ ينعق

(١) في ب، س، ج: «عون».

(٢) كذا في ج، ط، مط، م. والذي في ب، س، ها «عبر».

(٣) كذا في ط، مط، ها. والذي في ب، س، ج، م: «ب».

* وأصرف الناس أحياناً فتتنصرفوا *

(٤) في رواية «كأنني ... بعض».

(٥) الظرف: الرجل الحديث الشرف.

(٦) كذا في ب، س، ج، م. والذي في ط، مط، ها «عرض».

(٧) في ب، س: «مواضع حرة»؛ والتصويب عن باقي الأصول. وقصعت الناقة بجرتها إذا ردتها إلى جوفها أو مضغتها. أو ملأت بها

فاها، يصفهم بالعِي والفهاة.

/ دِيافِيَّةٌ قُلْتُ كَانَ خَطِيئَهُمْ سَرَاةَ الضُّحَى فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ^(١)

قال أبو عمرو: ولم يزل حريث يهجو بني بُخْتَرُ وبني ثَعْلٍ من أجل حُبِّي، فيينا هو ذات يوم بخيبر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفنائه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثَعْلٍ وبني بُخْتَرُ ابْنِي عَتود، وبخير يومئذ رجل من بني جُشَم بن أبي حارثة بن جُدَيْ بن تَدُول بن بُخْتَرُ يقال له أَوْفَى بن حُجْر بن أسيد بن حُبَيْ بن ثُرْملة بن ثرغل بن خيثم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش، فمرَّ أَوْفَى هذا بحريث بن عَتَاب وهو يُنشد شعراً هجا به بني بحتَر، فسمعه أَوْفَى وهو ينشد قوله:

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ طُرّاً إِهَانَةً^(٢) عَتودُ يُبَارِيهِ قَرِيرٌ وَثَعْلِبُ

العَتود: التيس الهَرَم. والفَرِير: ولد الظبية. ويباريه: يفعل فعله. فدنا منه أَوْفَى وقال: إني رجل أصمُّ لا أكاد أسمع، فتقرَّب إليَّ، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا رجل من قيس، وأنا أهاجي هذا الحَيَّ من بني ثَعْلٍ وبني بُخْتَرُ، وأحبُّ / أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء، فادَّئوه منه، وكانت معه هراوة وقد اشتمل عليها، فلما تمكَّن من ابن عَتَاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطَّمه، وسقط على وجهه ووثب القرشي على أَوْفَى فأخذه، فوثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي، وكاد أن يقع بينهم شرٌّ، وأفلت أَوْفَى ودُورِي ابنُ عَتَاب حتى صلَح واستوى أنفه، فقال أَوْفَى في ذلك:

لَأَقَى ابْنَ عَتَابٍ بِخَيْرٍ مَا جَدَا يَزْعُ اللِّثَامُ وَيَنْصُرُ الْأَحْسَابَا
فَضْرِبَتُهُ بِهَرَاوَتِي فَتَرَكْتُه كَالْجِلْسِ مَنْعَفَرِ الْجَبِينِ مَصَابَا

قال: ثم لحق أَوْفَى بقومه، فلما كان بعد ذلك بمدة انهمه رجل من قريش بأنه سرق عبداً له وباعه بخيبر، فلم يزل القرشي يطلبه حتى أخذه وأقام عليه البيَّنة، فحُبِس في سجن المدينة، وجُعِلَت للقرشي يَدُهُ، فبعث ابنُ عَتَاب إلى عشيرته بني نُبْهَانَ، فأبوا أن يعاونوه، وأقبل عُرفاء بني بُخْتَرُ إلى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقات قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرُض، وسعدُ بن عمرو بن لأم، ومنصور بن الوليد بن حارثة، وجَبَّار بن أُنَيْف، فلقوا القرشي وانتسبوا له، وقالوا: نحن نعطيك العِوض من عبدك ونرضيك، ولم يزلوا به حتى قَبِلَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ، فقال حَرِيثُ يمدحهم ويهجو قومه الأَدْنَيْنِ من بني نُبْهَانَ:

لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ نُبْهَانَ تَارِكِي لَمَاعَةٍ فِيهَا الْحَوَادِثُ تَخْطُرُ^(٣)
نُصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وَبِابْنِي مَعْرُضٍ وَسَعْدٍ وَجَبَّارٍ بَلِّ اللَّئِ يُنْصَرُ
وَذُو الْعَرْشِ أَعْطَانِي الْمَوْدَةَ مِنْهُمْ وَثَبَّتْ سَاقِي بَعْدَ مَا كَدْتُ أَعْشُرُ
/ إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأَيْتَهُمْ لَهُمْ خَابِطٌ أَعْمَى وَآخِرُ مُبْصَرُ
لِكُلِّ بَنِي عَمْرٍو بَنِ غَوْثٍ^(٤) رِبَاعَةٌ وَخَيْرُهُمْ فِي الشَّرِّ وَالْخَيْرِ بُخْتَرُ

[٣٨٥/١٤]

(١) التَمَطَّقُ: التذوق، وهو إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت، وذلك عند استطابة الشيء، والغاء في قوله «في سلحه» بمعنى الباء.

(٢) كذا في ب، س. والذي في باقي النسخ: «إلا أهابه».

(٣) اللماعة، الفلاة يلعب فيها السراب.

(٤) الرباعة: السيادة.

مر بنسوة فضحكك منه فقال شعراً

وقال أبو عمرو: مرّ ابن عَنَاب بعدما أَسَنَ بنسوة من بني قُلَيْع وهو يتوكأ على عَصَا / فضحكك منه، فوقف $\frac{١٠٤}{١٣}$ عليهنّ وأنشأ يقول:

هزئت نساء بني قُلَيْع أن رأث خَلَقَ القَمِيص على العصا يترَكُّعُ
وجعلتني مُزَوَّأً ولو يعرفتنني لعلمن أني عند ضيمي أَرْوَعُ^(١)

خير إشارته على قوم من بني أسد

قال أبو عمرو: وكان حريث بن عَنَاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلًا لهم، فطلبه السلطان، فهرب من نواحي المدينة وخيبر إلى جبّلين في بلاد طيء يقال لهما: مُرَى والشُّمُوس حتى غَزِمَ عنه قومه ما طلب، ثم عاود وقال في ذلك:

إذا الدّين أودى بالفساد فقل له يدغنا ورُكْنًا من معدّ نصادمُهُ
بيض خفاف مرهفلت قسواطع لنداود فيها أثَرُهُ وخَوَاتِمُهُ^(٢)
ورُزْق كسها ريشها مضرحيّة أثيث خوافي ريشها وقوادِمُهُ^(٣)
إذا ما خرجنا خرت الأكم سجداً لعزّ علا خيزومُهُ وعلاجِمُهُ^(٤)
/ إذا نحن سِرنا بين شرقي ومغرب تحرّك يقظان الثراب ونائِمُهُ
وتفزع منا الإنسان والجنُّ كلّها ويشرب مهجور المِياه وعائِمُهُ
سَمَنع مُرَى والشُّمُوس أخاهما إذا حكس السلطان حُكماً يُصاِجِمُهُ

يميل فيه. ويروى: يصاحمه، وقال أبو عمرو: يصاحمه: يزاحمه. والأصح منه مأخوذ.

إلى هنا انتهى الجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس عشر منه

وأوله أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

(١) الأروع: الذي يروعك بشجاعته.

(٢) أثر السيف: فرنده وجوهره ووشيه.

(٣) الزرق: النصال. والمضرحية: جمع مضرحي، وهو التسر أو السيد الكريم. والأثيث: الكثير العظم. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. والقوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدّم الجناح.

(٤) الحيزوم هنا: الغليظ من الأرض أو المرتفع منها. العلاجم: جمع علجم وهو الطويل من الإبل.

فهرس موضوعات الجزء الرابع عشر

الموضوع	الصفحة
بيان	٢٥١
أخبار الحصين بن الحمام ونسبه	٢٥٣
أخبار محمد بن يسير ونسبه	٢٦٤
أخبار ديك الجن ونسبه	٢٨٧
أخبار قيس بن عاصم ونسبه	٣٠٠
أخبار محمد بن حازم ونسبه	٣١٤
أخبار ابن القصّار ونسبه	٤٢٨
أخبار معبد	٣٣٠
أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه	٣٣٣
أخبار أبي الأسد ونسبه	٣٤٠
أخبار قيس بن الحدادية ونسبه	٣٤٨
أخبار ابن قنبر ونسبه	٣٦٠
أخبار الأسود ونسبه	٣٦٥
أخبار علي بن الخليل	٣٦٩
أخبار محمد الزف	٣٧٨
أخبار أبي الشبل ونسبه	٣٨٢
أخبار عثعث	٣٩٥
أخبار عبدالله بن الزبير ونسبه	٣٩٩
أخبار ثابت قطنة	٤٢٨
أخبار كعب الأشقرى ونسبه	٤٤١
أخبار العباس بن مرداس ونسبه	٤٥٤
أخبار حماد عجرد ونسبه	٤٦٦
أخبار حريث ونسبه	٥٠٩
الفهرس	٥١٣